

مِنْهَا هِيَ الْإِمْدَانِ

لِلشَّيْخِ إِحْسَانَ مُحَمَّدٍ دَخَلَتْ الْجُمْهُورُ الْكَدِيرُ

الْمُتَوَفَّى ١٣٧٢ هـ

عَلَّمَ شَيْخُ

أَرْشَادُ الْعِبَادِ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ

تَأَلَّفَ
زَيْنُ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ زَيْنِ الدِّينِ بْنِ عَلِيٍّ
الْمَعْبُورِيِّ الْمَلِيبَارِيِّ



الْمَجْمُوعَةُ الثَّانِيَّةُ

الحمد لله وحده
والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وعلى آله وصحبه أجمعين

مَنَاهِجُ الإِمْدَادِ

مَنَاهِجُ الإِمْدَادِ

للشيخ إحسان محمد دحلان
الجفسي الكديري

على شرح

إرشاد العباد

للعامة الفاضل الأستاذ الكامل الشيخ زين الدين عبد العزيز

ابن زين الدين المليباري عليه رحمة ذي الجلال الباري

الجزء

٢

الغدير إلى فتوح الرحمن :
عبد الله أرشد الفاطمي الأندلسي

MAKTABAH KITAB NUSANTARA

**DILARANG
MEMPERJUALBELIKAN PDF INI**

Perpustakaan
Ubaidillah Arsyad

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿باب الحج﴾

﴿باب﴾ فضيلة ﴿الحج﴾ ولتقدم قبل الخوض فيها مهمات .

الأولى اختلف العلماء في السنة التي فرض الحج والمشهور أنها سنة ست وبه جزم الرافعي في كتاب السير وصححه ابن الرقعة وقيل سنة خمس حكاه الواقدي محتجا بقصة ضمام بن ثعلبة وقيل سنة تسع حكاه النووي في الروضة وحكاه الماوردي في الاحكام السلطانية وصححه القاضي عياض وقيل فرض قبل الهجرة حكاه الامام في النهاية وهو بعيد وأبعد منه قول بعضهم أنه فرض سنة عشر اخرج البخاري من حديث زيد بن أرقم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعدما هاجر حج حجة واحدة قال ابن اسحق ومكة أخرى وأخرج الدارقطني من حديث جابر قال حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وحجة قرن بها عمرة وكان حجته بعدما هاجر سنة عشر وحج أبو بكر الصديق في السنة التي قبلها سنة تسع وأما سنة ثمان وهي عام الفتح فحج بالناس عتاب بن أسيد .

الثانية المشهود عند العلماء ان العبادات ثلاثة أنواع بدنية محضة وهي الصلاة والصوم ومالية محضة وهي الزكاة ومركبة منهما وهي الحج وقدّم بعض العلماء الصوم على الزكاة نظرا الى أن كلاهما عبادة بدنية وأخره أكثرهم منها اقتداء بالكتاب والسنة وانفق الكل على تأخير الحج عن الثلاث والأفضلية فمن على الترتيب الذي ذكره أكثر العلماء فالصلاة أفضل الأعمال بعد الايمان ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج .

الثالثة الحج لغة القصد هكذا أطلقه أئمة اللغة وقيد بعضهم بكونه الى معظم وقال في النهاية الحج القصد الى كل شيء وخضه الشرع بقصد البيت على وجه مخصوص وفيه لغتان الفتح والكسر وقيل الفتح المصدر والكسر الاسم وقال النووي في شرح مسلم الحج هو المصدر وبالفتح والكسر جميعا هو الاسم منه وأصله القصد وقال الحافظ ابن حجر الحج في اللغة القصد وفي الشرع القصد الى البيت الجرام بأعمال مخصوصة وهو بالفتح والكسر لغتان نقل الطبراني ان الكسر لغة أهل نجد والفتح لغيرهم وقيل هو بالفتح الاسم وبالكسر المصدر وقيل بالعكس .

قال الله تعالى والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا بوجدان الزاد والراحلة فاضلا عن دين ومؤن من يمونه ذهبا وإياها .
 ﴿وأخرج﴾ الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا من حج الله فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه والعمره إلى العمرة كفارة لما بينهما

واذ قد فرغنا عن ذكر المهمات فلنعد إلى شرح كلام المصنف رحمه الله تعالى قال ﴿قال الله تعالى﴾ وأذن في الناس في الحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق الخطاب في الآية لإبراهيم عليه السلام وروى ابن جرير عن ابن عباس في قوله رجالا أي مشاة ومن كل فج عميق أي طريق بعيد وفي رواية رجالا أي على أرجلهم وعلى كل ضامر قال الأبل يأتين من كل فج عميق يعني مكان بعيد وروى عن مجاهد وأبي العالية وقادة مثل ذلك وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله يأتوك رجالا وعلى كل ضامر قال هم المشاة والركبان وأخرج عبد الرزاق وابن جرير عن مجاهد قال كانوا يحجون ولا يزودون ولا يركبون فأنزل آية يأتوك رجالا وعلى كل ضامر فأمرهم بالزاد ورخص في الركوب وقال عز من قائل ﴿والله على الناس حج البيت﴾ أي والله على الناس فرض حج البيت .
 والحج أحد أركان الإسلام . روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فقال النبي ﷺ الحج من أركان الإسلام الخمسة فمن استطاع إليه سبيلا وذلك ﴿بوجدان الزاد والراحلة﴾ ما فسرهما رسول الله ﷺ بهما وهو يؤيد قول الشافعي رحمه الله أن الاستطاعة بالمال ولذلك أوجب الاستئابة على الزمان إذا وجد أجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله تعالى : أنها بالبدن فيجب على من قدر على المشى والكسب في الطريق وقال أبو حنيفة أنها بمجموع الأمرين وقوله من استطاع بدل من الناس مخصص له والضمير في إليه للبيت أو الحج وكل ما يأتي إلى شيء فهو سبيله قاله البيضاوي ﴿فاضلا عن دين ومؤن من يمونه ذهبا وإياها﴾ أي رجوعا كما يأتي بيانه في الفصل الذي بعد هذا الباب وقوله عن دين بلا تنوين على حد قولهم قطع الله يد ورجل من قالها .

﴿وأخرج﴾ الشيخان عن أبي هريرة ؓ قال قال رسول الله ﷺ أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا من حج البيت ﴿الله﴾ أي لا بتغاء وجهه والمزاد الإخلاص ﴿فلم يرفث﴾ بتلث الفاء في الماضي قال الحافظ والأفصح من باب قعد أي لم يفسح في القول أو لم يحاطب امرأة بما يتعلق بجماع ﴿ولم يفسق﴾ أي لم يخرج عن حد الاستقامة بفعل معصية أو جدال أو مراء أو ملاحه نحو رقيق أو أجبر وقال الطبراني في مناسكه الرث الجماع على ما جاء في تفسير ابن عباس وقيل الفحش وقيل التصريح بالجماع قال الأزهرى هي كلمة جامعة لما يريد الرجل من المرأة والرث في قوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرث أي الجماع والفسوق من المعاصي قال ابن عباس وقيل السباب وقيل ما أصاب من محارم الله تعالى ومن الصيد وقيل قول الزور ﴿خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه﴾ وهو يشمل الكبائر والتبعات وقال الطبراني هو محمول بالتسببه إلى المظالم على من مات وعجز عن وفائها وقال الترمذي هو مخصوص بالمعاص المتعلقة بحج الله لا العباد ولا يستط الحق عن نفسه .

وأخرج مالك وأحمد والشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة ؓ ﴿العمره إلى العمرة كفارة لما بينهما﴾ من الصفات وإذا كانت إلى للغاية كان المكفر هو العمرة الأولى فتقديره أي منتهية إلى العمرة وإذا كانت بمعنى مع كما قاله ابن التين كان المكفر العمرة فيكون التقدير العمرة مع العمرة مكفرة لما بينهما ويدل للماني حديث البيهقي عن أبي هريرة العمرتان تكفران ما بينهما واشتد شكل بعضهم كون العمرة كفارة مع أن اجتناب الكبائر يكفر الصفات فماذا تكفره العمرة والجواب أن تكفر العمرة مقيد بزمانها وتكفر الاجتناب عام لجميع عمر العبد

والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة * عن أبي نعيم عن عبد الله بن مسعود من جاء حاجا يريد به وجه الله فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفع فيمن دعا له * وأحمد وابن منيع وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر * والطبراني عن عبد الله بن جرادة حجوا فان الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن * والترمذي والبيهقي عن علي رضي الله عنه من ملك رادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج

فتغيرا من هذه الحجة والحج المبرور أي الذي لم يحاط له أو المقبول أو الذي لا راي فيه ولا فسوق ليس له جزاء إلا الجنة أي دخولها مع السابقين فهو مكفر للكبائر * أخرجه أبو نعيم عن عبد الله بن مسعود * من جاء إلى مكة المكرمة حاجا يريد به وجه الله أي ذاته لا لغرض من الأغراض الدنيوية فقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ويشفع فيمن دعا له * أخرجه أحمد وابن منيع وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله بن مسعود * باسناد ضعيف * من قضى نسكه أي حجه أو عمرته وسلم المسلمون لسانه ويده * بأن لا يرتكب ذنبا فيه حق آدمي * غفر له ما تقدم من ذنبه وتأخر * قال العزيمى حتى الكبائر فان الحج يكفرها .

* أخرجه عبد الرزاق عن صفوان بن سليم من سلا حجوا تستغفروا وسافروا تصحوا وأخرج البيهقي عن أبي هريرة * حجوا قبل أن لا تحجوا تعد أعرابها على أذنانها أو دينها فلا يصل إلى الحج أحد وأخرج الطبراني عن عبد الله بن جرادة قال العزيمى في استناده كذاب * حجوا فان الحج يغسل الذنوب أي يزيلها * كما يغسل الماء الدرن أي الوسخ فهو يكفر الصغائر والكبائر قاله العزيمى .

وأخرج أبو الليث عن ابن عباس * قال كما مع النبي * متى إذا أقبلت طائفة من اليمن فقالوا فذاك الأمهات والآباء أخبرنا بفضائل الحج قال بلى أتى رجل خرج من منزله حاجا أو معتمرا فكما رفع قدما تناثرت الذنوب من بدنه كما يتناثر الورق من الشجر فاذا ورد المدينة وصافحني بالسلام صافحته الملائكة بالسلام فاذا ورد ذا الحليفة واغتسل طهره الله من الذنوب واذا لبس ثوبين جديدين جدد الله له من الحسنات واذا قال ليك اللهم ليك أجابه الرب عز وجل بليك وسعديك أسمع كلامك وأنظر اليك فاذا دخل مكة وطاف وسمى بين الصيفا والمروة واصل الله له الخيرات فاذا وقفوا بعزقات وضجت الأصوات بالحاجات باهى الله بهم ملائكة سبع سموات ويقولوا ملائكتي وسكان سمواتي أما تروا إلى عبادي أتوني من كل فج عيق شعنا غيرا أنفقوا الأموال واتعبوا البدان فوعزتي وجلالي وكرمي لأهين سيئهم بحسنهم من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم فاذا رموا الجمار وحلقوا الرؤوس وزاروا البيت نادى مناد من يطئ العرش أرجعوا مغفورا لكم واستأنفوا العمل وعن النبي * أنه قال ما رأى الشيطان يوما قط هو فيه أضعف ولا أحقر ولا أغبط من يوم عرفة وما ذلك إلا لما رأى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام ولم ير قبل ذلك مثله إلا ما روى من يوم بدر .

وعن عمر بن عبد العزيز * أنه قال فيما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام ذكر بيت الله الحرام وفضيلته قال الهى ما الحج قال بلى الذي أخرته على جميع البيوت وجرمى الذي حرمه خليلي إبراهيم ينهون إليه من الأطراف الأرض ويهاولون بالتلبية كما يلبي العبد لسيداه قال موسى فما ثوابهم قال الحقهم المغفرة حتى اشفعهم في جيرانهم وقربانهم فقال موسى الهى منهم من ليس له نقعة طيبة ولا قلب زاك قال فاني أذهب المسىء منهم للمحسن .

واعلم أن من مات ولم يحج مع اليسار وتحقق الإمكان فأمره شديد عند الله تعالى وذلك لما دل عليه الخبر رواه الترمذي والبيهقي عن علي * مرفوعا وموقوفا * من ملك رادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام * ولم يحج * مع إمكانه أو نوات عدم

فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا وقال عمر رضي الله عنه لقد هممت أن أبعث رجلا إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة ولا يحج فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين وقال سعيد بن جبير مات لي جار موسر لم يحج فلم أصل عليه ﴿وحكى﴾ اليافعي أنه ركب جماعة من التجار في البحر متوجهين إلى الحج فقالوا له لولا قميت في هذا المكان لعله يخرج لك بعض بضاعتك فقال والله لو حصلت لي الدنيا كلها ما اخترتها على الحج ودعاء من يشهد من أولياء الله بعد أن رأيت منهم ما رأيت قالوا وما رأيت منهم قال كنا مرة متوجهين إلى الحج فأصابنا عطش في بعض الأيام وبلغت الشربة كذا وكذا ودرت في الركب من أوله إلى آخره فلم يحصل لي ماء سبيح ولا غيره وبلغ العطش منا الجهد فتقدمت قليلا وإذا أنا بفقير معه عكازة

الإمكان بعد وجوده كان عاصيا لله تعالى من حين إمكانه إلى حين موته ولم يكن كامل الإسلام لأن الله سبحانه وتعالى أكمل الإسلام بالحج وإلى الإشارة من باب التغليظ والزجر بقوله ﴿فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا﴾ وذلك أن الله تعالى يقول في كتابه العزيز والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وقال الترمذي ضعيف وأخرجه ابن جرير كذلك والموقوف استناده حسن ﴿وقال عمر﴾ بن الخطاب ﴿رضي الله عنه﴾ وهو يومئذ أمير المؤمنين ﴿لقد هممت أن أبعث رجلا إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة﴾ أي غنية ﴿ولم يحج ويضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين﴾ أخرجه سعيد بن منصور والبيهقي من طرق هذا اللفظ سعيد وأما لفظ البيهقي فإن عمر قال لبيت يهوديا أو نصرانيا يقولها ثلاث مرات رجل مات ولم يحج وجد لذلك سعة وخليت سبيله وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن شعبة عن الحكم عن عدي بن عدي عن أبيه قال قال عمر بن الخطاب من مات وهو موسر ولم يحج فليتب أي حال شيئا يهوديا أو نصرانيا وأخرجه أيضا عن غندر عن عتبة عن الحكم عن عدي بن عدي عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزم عن عمر ﴿وقال سعيد بن جبير مات لي جار موسر لم يحج فلم أصل عليه﴾ أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه قال حدثنا وكيع عن شيبة عن أبي المعلى عن سعيد بن جبير قال لو كان لي جار موسر ثم مات ولم يحج لم أصل عليه حدثنا جرير بن عبد الحميد عن منصور عن إبراهيم قال قال الأسود لرجل منهم موسر لومت ولم تحج لم أصل عليك وقال حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سوير عن مجاهد عن ابن عمر قال من مات وهو موسر ولم يحج جاء يوم القيامة وبين عينيه مكروب كافر وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس رضي الله عنهما قال من مات ولم يرك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا وقرأ قوله تعالى رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت وكان يفسره في هذه ويقول أي أحج ومثله فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين قال أحج وأزكى وكان يقول هذه الآية من أشد شيء على أهل التوحيد كذا قاله في القوت وقوله الزبيدي .

﴿وحكى﴾ أبو محمد ﴿اليافعي﴾ رحمه الله تعالى ﴿أنه﴾ أي الحال والشأن ﴿ركب جماعة من التجار﴾ سفينة ﴿في البحر متوجهين إلى﴾ مكة المكرمة لأجل ﴿الحج فانهكسر المركب وضاق وقت الحج وفيهم﴾ أي في أهل المركب ﴿إنسان معه بضاعة بخمسين ألفا فتركها وتوجه إلى الحج فقالوا له لولا قميت في هذا المكان لعله يخرج لك بعض بضاعتك فقال﴾ صاحب البضاعة ﴿والله لو حصلت لي الدنيا كلها ما اخترتها على﴾ ترك ﴿الحج﴾ على ﴿دعاء من يشهد من أولياء الله﴾ الكرام ﴿بعد أن رأيت منهم﴾ أي من هؤلاء الأولياء ﴿وما رأيت منهم﴾ أي جماعة المركب ﴿وما رأيت منهم﴾ أي من هؤلاء ﴿قال﴾ صاحب البضاعة ﴿كنا مرة متوجهين إلى الحج فأصابنا عطش في بعض الأيام وبلغت الشربة كذا وكذا﴾ ثم كثيرا ﴿ودرت﴾ أي طفت ﴿في الركب من أوله إلى آخره فلم يصل لي ماء سبيح ولا غيره وبلغ العطش منا الجهد﴾ أي المشقة ﴿فتقدمت قليلا وإذا أنا بفقير معه عكازة﴾ بوزن نقاعة العنزة

وركوة وقد ركن العكازة في ساقيه بركمة والماء ينبع من تحت العكازة ويجري في الساقية الى البركة فجت الى البركة فشربت وملأت
قرنى ثم أعلمت الركب فاستقموا كلهم منها وتركوها وهى تطفح قال فهل يسمع نفوت مشهده هؤلاء القوم رضى الله عنهم * وهو
أيضا عن على بن الموفق قال جلست يوما في الحرم وقد حججت ستين حجة فقلت في نفسى الى متى أتردد في هذه المسالك والتعار ثم
غلبتنى عيني فنتمت فاذا انا بقاتل يقول يا ابن الموفق هل تدعو الى بيتك الا من تحب فطوبى لمن أحبه المولى وحمله الى المقام الأعلى *

﴿وركوة﴾ هى دلو صغيرة والجمع ركاء مثل كلبة وكلاب كذا في المصباح ﴿وقد ركن العكازة﴾ أى أثبتها في المصباح ركنت الرمح ركبا
من باب قتل أثبت في الأرض فارتكز ﴿في ساقيه بركمة﴾ والبركة كالحوض والجمع البرك مثل سدره وسدر قيل سميت بذلك لاقامة الماء
فيها وكل شيء ثبت وأقام فقد برك ﴿والماء ينبع من تحت العكازة ويجرى﴾ ذلك الماء ﴿في الساقية الى البركة فجت الى البركة فشربت
وملأت قرنى﴾ بالكسر وهو معروف ﴿ثم أعلمت الركب﴾ أن تحت العكازة ماء يجرى ﴿فاستقموا كلهم منها﴾ أى من البركة
﴿وتركوها وهى تطفح﴾ أى تمتلئ في المخارط فتح الاناء استلاء حتى يفيض وبابه خضع ﴿قال﴾ صاحب البضاعة ﴿فهل يسمع
نفوت مشهده﴾ أى يحضره ﴿هؤلاء القوم﴾ الصالحون ﴿رضى الله عنهم﴾ ونفعنا بهم آمين .

﴿وهو﴾ أى وحكى أبو محمد الباقى رحمه الله تعالى ﴿أيضا﴾ أى كما حكاه أولا ﴿عن على بن الموفق﴾ رحمه الله تعالى أنه
﴿قال جلست يوما في﴾ أرض ﴿الحرم وقد حججت ستين حجة فقلت في نفسى الى متى أتردد في هذه المسالك والتعار﴾ أى المغازة
التي لا مائها ولا نبات ﴿ثم غلبتنى عيني فنتمت فاذا انا بقاتل يقول﴾ لى ﴿يا ابن الموفق هل تدعو الى بيتك الا من تحب﴾ وترضى
﴿فطوبى لمن أحبه المولى﴾ الكريم ﴿وحمله الى المقام الأعلى﴾ وأنشأ يقول دعوت الى الزبارة أهل ودى ولم أطلب بها أحدا سواهم
فجأوني الى بيتى كراما فأهلا بالكرام ومن دعاهم ويروى عن على بن الموفق انه قال حججت سنة فلما كانت ليلة عرفة نمت بمنى في
مسجد الخيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فتنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر لبيك
يا عبد الله قال أتدرى كم تقسنا حج بيت ربنا في هذه السنة قال لا أدري قال حج بيت ربنا ستماية الف أتدرى كم قبل منهم قال لا
أدرى قال قبل منهم ستة أنفس قال ثم ارتفع في الهواء فجا باعنى فاتبته فرعا واغتصت غما شديدا وأهمنى أمرى فقلت اذا قبل
حج ستة أنفس فأين أكون أنا في ستة أنفس فلما أفضت من عرفة وبنت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر فى كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم
فحملنى النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيتهما فتنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام الذي حصل به المراجعة بعينه ثم قال أتدرى
ماذا حكم ربنا عز وجل في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة المذكورة مائة الف قال فاتبته وبى من السرور
ما يكل من الوصف هكذا نقله صاحب القوت ثم قال ذكر في هذه القصة ستة أنفس ولم يذكر السابع هؤلاء هم الابدال السبعة او تاد
الارض المنظر اليهم ثم ينظر الى قلوب الأولياء من وراء قلوبهم فانوار هؤلاء من نور الجلال ونور الأولياء من نورهم وانصبتهم وعلومهم من
انصبه هؤلاء فلم يذكر السابع وهو قطب الارض ويقال أنه هو الذي يضاهاى الحضر من هذه الامة في الحال وبجاريه في العلم وأنها يتفاوضا
العلم ويحد أحدهما المزيدي من الآخر فانما يذكر والله اعلم لأنه يوجب له من مات ولم يحج من هذه لأنه أوسع جاها من جميعهم وانفذ قولاً في
الشفاعة من الجملة .

وعن على بن الموفق أيضا قال حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يتقبل حجه فقلت اللهم انى قد وهبت
حجتي هذه وجعلت ثوابها لمن لم يتقبل حجه قال فرأيت رب العزة في النوم جل جلاله فقال لى يا على تسخى على وانا خلقت السخاء

وهو عن أبي عبد الله الجوهري قال كُتبت سنة في عرفات فلما كان آخر الليل فوت فرأيت ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه كم وقف هذه السنة قال صاحبه ستمائة ألف ولم يقبل منهم إلا ستة أنفس قال فهمت أن أطم ووجهي وأنوح على نفسي فقال له ما فعل الله في الجميع قال نظر الكريم اليهم بعين الكرم فوهب لكل واحد مائة ألف وغفر ستة أنفس لستمائة ألف وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * وهو عن ذي النون أنه قال رأيت شابا عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت منه فقلت انك تكثر الصلاة فقال أنتظر الأذن في الانصراف قال فرأيت رقعة سقطت عليه مكتوبا فيها من الله عز وجل الغفور إلى العبد الصادق الشكور انصرف مغفورا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قبل الله حجنا وغفر ما تقدم من كبائر ذنوبنا وما تأخر وتحمل عنا تبعاتنا آمين . ﴿تنبيه﴾

والاستخياء وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحق بالجوود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبله وقد وقع لأبي عبد الله الجوهري مثل ما وقع لابن الموفق من القصة الأولى وذكره المصنف بقوله رحمه الله ﴿وهو﴾ أي وحكى الياقضي أيضا ﴿عن أبي عبد الله الجوهري﴾ رحمه الله ﴿قال كُتبت سنة في عرفات فلما كان آخر الليل نمت فرأيت ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه كم وقف هذه السنة قال﴾ له ﴿صاحبه ستمائة ألف ولم يقبل منهم إلا ستة أنفس قال﴾ الجوهري ﴿فهمت أن أطم ووجهي وأنوح على نفسي﴾ لقلّة من يقبل منهم فإن أكون من الستة ﴿فقال له﴾ الآخر ﴿ما فعل الله في الجميع قال نظر﴾ ربنا ﴿الكريم اليهم بعين الكرم فوهب لكل واحد﴾ منهم ﴿مائة ألف وغفر ستة أنفس لستمائة ألف وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ قال بعضهم وذلك فضل الله يؤتيه لمن يشاء جل وأهب ممن .

﴿وهو﴾ أي وحكى الياقضي أيضا ﴿عن ذي النون﴾ المصنف رحمه الله تعالى ﴿أنه قال رأيت شابا عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت﴾ أي قربت ﴿منه فقلت﴾ له ﴿انك تكثر الصلاة فقال﴾ الشاب ﴿أنتظر الأذن في الانصراف قال﴾ ذي النون ﴿فرأيت رقعة سقطت عليه مكتوبا فيها﴾ أي في تلك الرقعة ﴿من الله العزيز الغفور إلى العبد الصادق الشكور انصرف مغفورا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ ثم دعا المصنف بقوله ﴿قبل الله حجنا وغفر ما تقدم من كبائر ذنوبنا وما تأخر﴾ منها ﴿وتحمل عنا تبعاتنا﴾ أي حقوقنا الأدميين ﴿آمين﴾ أي استجب يا ربنا .

* خاتمة * نسأل الله حسنها ، قال الغزالي وغيره ويقال إن الله عز وجل إذا غفر لعبد ذنبا في الموقف غفره لكل من أصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف إذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله ﷺ حجة الوداع سنة عشر لم يحج بعد نزول فرض الحج غيرها وعاش ﷺ بعدها ثمانين يوما وكان واقفا على راحلته إذا نزل عليه قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً قال العلماء من أهل الكتاب لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه لقد أنزلت هذه الآية في يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم الجمعة على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة وقال الثوري فقد اجتمع في ذلك فضيلتان وشرقان ومعلوم تعظيمنا كلاهما فاذا اجتمعا زاد تعظيم فقد اتخذنا ذلك اليوم عيداً وعظمتنا مكانه والله أعلم .

﴿تنبيه﴾ * أعلم أن الحج من الشرائع القديمة روى أن آدم عليه الصلاة والسلام لما حج قال له جبرائيل : إن الملائكة كانوا يطوفون قبلك بهذا البيت بسبعة آلاف سنة وقال صاحب التعجير أن أول من حج آدم عليه الصلاة والسلام وأنه حج أربعين سنة من الهند ما شيا قبل ما من نبي إلا حجه وقال أبو اسحاق لم يبعث الله نبيا بعد إبراهيم إلا وقد حج البيت وادعى بعض من ألف في المناسك

أن الحج والعمرة يجبان في العمر مرة على كل مسلم مكلف حر مستطيع بوجدان الزاد والراحلة ولو بيع عقاره

أن الصحيح أنه لم يجب الأعلى هذه الأمة.

واعلم أيضاً ﴿أن الحج﴾ فرض لقوله تعالى والله على الناس حج البيت الآية ولحديث بنى الإسلام على خمس، وغيره مما تقدم ذكره وهو إجماع يكفر جاحده أن لم يحف عليه بأصل الشرع ولا يجب الأمرة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يحج بعد فرض الحج الأمرة واحدة وهي حج الوداع كما مر ولخبر مسلم آحجنا هذا العامنا أم للأبد قال لا بل للأبد وأما حديث البيهقي الأمر بالحج في كل خمسة أعوام كما سيأتي فمحمول على الندب لقوله ﷺ من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثنية دأب ربه ومن حج ثلاث حج حر الله شعره وبشعره على النار قيل أن رجلاً قتل وأوقد عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي أبيض البدن فسألوا سعد بن الخولاني عن ذلك فقال لعله حج ثلاث حج قالوا نعم وسيأتي هذا للمصنف وقد يجب أكثر من مرة لعارض كذور وقضاء عند إفساد التطوع ﴿و﴾ كذا ﴿العمرة﴾ فرض في الاظهر لقوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله أي استمروا بهما تامين ولخبر ابن ماجه والبيهقي وغيرهما بأسانيد صحيحة عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله هل على النساء جهاد قال نعم جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة وأما خبر الترمذي عن جابر سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن العمرة أواجبة هي قال لا وإن تيسر خير لك فضعيف قال في المجموع اتفق الحفاظ على ضعفه ولا يفتقر قول الترمذي فيه حسن صحيح وقال ابن حزم أنه باطل قال أصحابنا ولو صح لم يلزم منه عدم وجوبها مطلقاً لاحتمال أن المراد ليست واجبة على السائل لعدم استطاعته والعمرة بضم العين مع ضم الميم واسكانها وفتح العين واسكان الميم لغة الزيادة وقيل القصد إلى مكان عام ولذلك سميت عمرة وقيل سميت بذلك لأنها تفعل في العمرة كله وشرعاً قصد الكعبة للنسك ولا يغني عنه الحج وإن اشتمل عليها وينارق الغسل حيث يغني عن الوضوء بأن الغسل أصل فاغنى عن بدله والحج والعمرة أصلاً.

وأما ﴿تجبان﴾ أي الحج والعمرة ﴿في العمر مرة على كل مسلم﴾ فلا يجبان على الكافر الأصلي وجوب مطالبة بهما في الدنيا أما المرتد فيخاطب بهما في رده حتى لو استطاع ثم أسلم لزمه الحج وإن اقتصر فإن أخره حتى مات حج عنه من تركه هذا إذا أسلم فإن لم يسلم ومات على رده لا يقضيان عنه وكما لا يجبان على الكافر لا يصحان منه ولا عنه لعدم أهليته للعبادة ﴿مكلف﴾ أي بالغ ﴿حسن﴾ أي كلفه فلا يجبان على صبي ومجنون ولا على رقيق لتقصم.

قال العلامة الزبيدي والدليل على اعتبار الحرية والبلوغ ما روى أنه ﷺ قال أيما صبي حج ثم بلغ فعليه حجة الإسلام وأما عبد حج ثم عتق فعليه حجة الإسلام والمعنى فيه أن الحج عبادة عمر لا تتكرر فاعتبر وقوعها في حال الكمال وإذا اجتمعت شرائط هذا الحكم قلت هي أربع الإسلام والتمييز والبلوغ والحرية فإن اختصرت قلت في ثلاث الإسلام والتكليف والحرية وعليه منى الغزالي في الوجيز وتبعه المصنف ﴿مستطيع﴾ للحج.

وتحصل الاستطاعة ﴿بوجدان الزاد﴾ الذي يكتفي ومحل ذلك إذا لم يقصر سفره للنسك بأن كان دون يومين من مكة وكان يكتب في أول يوم كفاية أيام الحج وهي ما بين زوال السابع ذى الحجة وزوال ثالث عشرة لمن لم ينفر النفر الأول والا فلا يشترط وجدان ذلك بل يلزمه النسك لقلة المشقة حينئذ فإن لم يجد زادا واحتاج إلى أن يسأل الناس كره له اعتماداً على السؤال أن لم يكن له كسب والامنع بناء على تحريم المسئلة للمكاتب كما يحثه الأذرعى ﴿و﴾ بوجود ﴿الراحلة﴾ الصالحة لمثل البشراء أو استجار أو شئ أو أجرة المثل ﴿ولو بيع عقاره﴾ وذلك لمن بينه وبين مكة مرحلتان فأكثر قدر على المشى أو لا لكن يستحب للقادر على المشى الحج خروجا من خلاف

فاضلا من مؤنة لائمة لمن يمونه ذهابا وإيابا وعن دين عليه ولو مؤجلا أو أمهل الى إيايه على التراخي بشرط عزمه على الفعل

من أوجبه وقضية كلام الرافعي أنه لا فرق في استحباب المشي بين الرجل والمرأة قال في المهمات وهو كذلك وهذا هو المعتمد وإن قال القاضي الحسين لا يستحب للمرأة الخروج ماشية لأنها عورة وربما تظهر للرجال إذا كانت ماشية وعلى الأول لوليها منعها لما قاله في التقرب والركوب لو وجد الراحلة أفضل عند النووي خلافا للرافعي اقتداء بالنبي ﷺ والراحلة هي الناقة التي تصلح لأن ترحل ومرادهم بها كل ما يركب من الأبل ذكرًا كان أو أنثى قال المحب الطبري ومعنى الراحلة كل دابة اعتد الحمل عليها في طريقه من برذون أو بغل أو حمار فإن لحقه بالراحلة مشقة شديدة اشترط وجود حمل واشترط شرك أيضا مع وجود الحمل يجلس في الشق الآخر لتعذر ركوب شق لا يعادله شيء فإن لم يجد له لم يلزمه النسك وإن وجد مع الحمل بتمامه أو كانت العادة جارية في مثله بالعادة بالانتقال كما هو ظاهر كلام الأصحاب وإن خالف بعضهم في ذلك لما عليه في ذلك من المشقة.

ويسن أن يكون لمريد النسك رفيق موافق راغب في الخير كاره للشر إن نسي ذكره وإن ذكره أبعاده ويحمل كل منهما صاحبه ويرى له عليه فضلا وحرمة وإن رأى رفيقا عالما دينا كان ذلك هو الفضل العظيم وروى ابن عبد البر الرابع الرفيق قبل الطوق فإن عرض لك أمر نصرك وإن احتجت إليه افدك.

ويشترط كون ما ذكر ﴿فاضلا من مؤنة لائمة لمن يمونه ذهابا وإيابا﴾ أي مدة ذهابه من وطنه الى مكة ورجوعه منها الى وطنه ثلاثين يوما وقد كفى بالمرء اثما أن يضع من يثوث زواه أبو داود وغيره وتعتبر مؤنة الإياب وإن لم يكن له ببلده أهل وعشيرة وحمل هذا كما في التحفة فيمن له وطن ونوى الرجوع إليه أو لم يتوشيا فمن لا وطن له وله بالحجاز ما يقيه لا تعتبر في حقه مؤنة الإياب قطعا لاستواء سائر البلاد إليه وكذا من نوى الاستيطان بمكة أو غيرها.

* تنبيه * تقدير المصنف بالمؤنة يشمل النفقة والكسوة والخدمة والسكنى واعفاف الإياب وكذا أجره الطيب وثن الأدوية حيث احتاج إليها القريب والمملوك فهي أولى من تعبير بعضهم بالنفقة.

﴿و﴾ يشترط كون ما ذكر من الزاد والراحلة وغيرهما فاضلا ﴿عن دين عليه﴾ سواء كان لأدنى أم لله تعالى ككفر وكفارة ولو كان له في ذمة شخص مال فإن أمكن تحصيله في الحال فالحاصل عنده والافكا للمعدوم قاله الخطيب في شرح المنهاج ﴿ولو مؤجلا﴾ أي فلا فرق بين كون الدين حالا وكونه مؤجلا ﴿أو أمهل﴾ به أي بذلك الدين ﴿الى إيايه﴾ أي رجوعه الى وطنه وإنما يشترط الفعل عن الدين الحال الذي تضمنه قوله ولو مؤجلا لأن الحال على الفور والحج ﴿على التراخي﴾ والمؤجل سجل عليه فاذا صرف ما معه في مؤنة الحج لم يجد ما يفي به الدين يعني يحل الأجل ولا يجد ما يفي به الدين وأيضا فقد تخترمه المنية فبقي ذمته مرهونة لكن إنما يجوز التأخير بشرط عزمه على الفعل ﴿في المستقبل﴾ فلو لم يعزم على ما ذكر حرم عليه التأخير بشرط أن لا يتضيق عليه الحج والعمرة يذروا قضاء أو خوف غصب أو تلف مال بقرينة ولو ضعيفة.

* تنبيه * اعلم أن الاستطاعة نوعان أحدهما استطاعة المباشرة ولذلك أسباب أما في نفسه فبالصحة وأما في الطريق فإن تكون ذات حصص وأمن بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر فلو كان يخاف على ماله في الطريق من عدو أو رصدي لم يلزمه الحج وإن كان الرصدي يرضى بشيء يسير فيلغى ذلك الطريق ولا فرق بين أن يكون من يخاف منه مسلحين أو كفارا ويكره بذل المال للرصدين لأنهم يحرضون بذلك على التعرض على الناس ولو وجدوا من يذرفهم بأجرة فهل يلزمهم استجار فيه وجهان أظهرهما عند الإمام نعم لأن

فمن مات أو غضب فلم يحج بعد الإستطاعة تين فسقه في آخر سنى الامكان وكذا فيما بعدها في المعصوب الى أن يحج عنه فما شهد به أو قضى فيها تين بطلانه وكذا تزويج مولته

بذل الأجرة بذل مال بحق ورتب عليه لزوم استئجار المحرم على المرأة اذا لم يساعدها بلا أجرة.

وذكر الغزالي في الوجيز اشتراط الأمن على العرض ويانه ان المرأة لا يجب عليها الحج حتى تأمن على نفسها فان خرج معها زوج أو محرم أما بنسب أو غيره فذلك والا فينظر ان وجدت نسوة ثقات يخرجن فعلها ان تحج معهن وهل يشترط أن يكون مع كل واحدة منهن محرم. فيه وجهان أحدهما فيه قال الفقهاء نعم وأصحهما لأن النساء اذا كثرن انقطعت الاطماع منهن وكفين أمرهن وان لم تجد نسوة ثقات لم يلزمها الحج هذا ظاهر المذهب ووراء قولان أحدهما ان عليها ان تخرج مع المرأة الواحدة ويحكي هذا عن الاملاء والثاني واختار جماعة من الأئمة ان عليها ان تخرج وحدها اذا كان الطريق مسلوكا ويحكي هذا عن الكرايسى والله أعلم.

وأما في المال فبان يجب نفقة ذهابه وإيابه الى وطنه كان له أهل وعشيرة أو لم يكن لان مفارقة الوطن شديدة فشرع النفوس اليه كما في القرية من الوحشة وأن يملك نفقة من تلزمه نفقة في هذه المدة وغير ذلك مما تقدم ذكره.

وأما النوع الثاني فالاستطاعة المقصوب بماله وذلك أن يجد مالا استأجر به من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الاسلام لنفسه ويكفي نفقة الذهاب بزائلة في هذا النوع والشرط أن يكون المال فاضلا عن نفقة العيال وكسوتهم يوم الاستئجار ولا يعتبر بعد فراغ الأجير من الحج الى إياه ولو طلب الأجير أكثر من أجرة المثل لم يلزم الاستئجار فان رضى باقل منها لزمه وان امتنع من الاستئجار فهل يستأجر عليه الحكم فيه وجهان أشبههما أنه لا يستأجر والابن اذا عرض طاعته على الأب الزمن صار بذلك مطيعا ولو بذل الابن المال لوالده لم يصربه مطيعا على أصح الوجهين وبه قال ابن سريج لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للوالد وبذل المال فيه منة على الوالد ألا ترى ان الانسان يستنكف عن الاستعانة بمال الغير ولا يستنكف عن الاستعانة يديه مع الاشتغال والوجه الثاني نعم كما لو بذل الطاعة والوجهان صادران من التابعين بعد وجوب القبول من الأجنبية فان أوجبنا فنهنا أولى.

ومن مات وفي ذمته حج واجب مستقر بأن تمكن بعد استطاعته من فعله بنفسه أو بغيره وجب الاحجاج عنه من تركه وهو متعين كما ينفي منها دينه لرواية البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما ان امرأة من جهينة جاءت الى رسول الله ﷺ فقالت ان أمي نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج عنها أفأحج عنها قال نعم حجى عنها أرايت لو كان على أمك دين أكتت قاضيه قالت نعم قال أقضوا دين الله فالله أحق بالوفاء ولفظ النسائي ان رجلا قال يا رسول الله ان أبى مات ولم يحج أفأحج عنه قال أرايت لو كان على أهلك دين أكتت قاضيه قال نعم فدين الله أحق بالوفاء فشبه الحج بالدين الذي لا يسقط بالموت فوجب أن يتساويا في الحكم ولأنه انما جوز له التأخير من غير التقويت وانما لم يأثم اذا مات في أثناء وقت الصلاة في وقت يسعها لأن آخر وقتها معلوم فلا تقصير مالم يؤخره عنه والاباحة في الحج بشرط المبادرة قبل الموت واذا مات قبل فعله أشعر الحال بالتقصير نقله في الروضة عن التهذيب وأقره قال الأسنوي ولا بد من زمن يسع الخلق أو التقصير بناء على أنه ركن ويعتبر الا من في السير الى مكة للطواف ليلا انتهى ﴿فمن مات أو غضب﴾ أي عجز ﴿ولم يحج بعد الاستطاعة تين فسقه في آخر سنى الامكان وكذا فيما بعدها في المعصوب﴾ وهو بالعين المهملة والضاد المعجمة الزمن الذي لا حراك به كان الزمانه غضبه أي قطعه ومنعه الحركة وجوز الرافي في إهمال الضاد من عصبته الزمانه أي حسبته ﴿الى أن يحج عنه فما شهد به أو قضى فيها تين بطلانه وكذا﴾ يبطل ﴿تزوج مولته﴾

قال الغزالي من استطاع فأجر حتى أفلس لزمه كسب مؤته أو سؤالها من زكاة أو صدقة ليجب والامات عاصيا وقيل يجب على القادر أن لا يتركه في كل خمس سنين لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل إن عبدا صححت له جسده ووسعة عليه في المعيشة فمضى عليه خمسة أعوام لم يفد إلى محروم رواه البيهقي وابن حبان **(خاتمة)** روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يباهى بأهل عرفات الملائكة يقول يا ملائكتي انظروا إلى عبادي شعشا غبرا .

* تنبيه * الاستجار فيما ذكر ضربان استجار معين واستجار ذمة فالأول كاستجارك لتج منى أو عن مئتي هذه السنة فان عين غير السنة الأولى لم يصح العقد وإن أطلق صح وحمل على السنة الحاضرة فان كان لا يصل إلى مكة الا سنين فأكثر فالأولى من سننى الأماكن الوصول ويشترط لصحة العقد قدرة الاجير على الشروع في العمل واتساع المدة له والمكى يستاجر في أشهر الحج والضرب الثاني كقوله الزمت ذمتك تحصيل حجة ويجوز الاستجار في هذا الضرب على المستقبل فان أطلق حمل على الحاضرة فيبطل إن ضاق الوقت ولا يشترط قدرته على السفر لا مكان الاستنابة في اجارة الذمة ولو قال الزمت ذمتك لتج عن نفسك صح وتكون اجارة عين ويشترط معرفة القاعد بن أعمال الحج ولا يجب ذكر الميعات ويحمل عند الإطلاق على الميعات الشرعية ولو استاجر القوان فالدم على المستاجر فان شرطه على الاجير بطلت الاجارة ولو كان المستاجر للقرآن معسرا فالصوم الذي هو بدل الدم على الاجير وجماع الاجير مفسد للحج وتنفسح به اجارة العين لا اجارة الذمة لأنها لا تختص بزمان وينقلب فيها الحج للأجير لأن الحج مطلوب لا يحصل بالحج الفاسد فانقلب له كمطيع المعضوب اذا جامع فسدت حجة وانقلب له وعليه أن يمضى في فاسده وعليه الكفارة وعليه في اجارة الذمة أن يأتي بعد القضاء عن نفسه بحج الآخر للمستاجر في عام آخر أو يستيب من حج عنه في ذلك العام أو في غيره وللمستاجر فيها الخيار في الفسخ على التراخي لتأخر المقصود ويسقط فرض من حج أو اعتمر بمال حرام كمعضوب وإن كان عاصيا كما في الصلاة في مفضوب أو ثوب حرير قاله الخطيب في شرح المنهاج .

واعلم انه اذا استطاع ثم افقر لزمه التكسب والمشى ان قدر عليه ولا يلزمه السؤال لأن أكثر النفوس تسبح بالتكسب لاسيما عند الضرورة دون السؤال قاله السيد البكرى خلافا لما **(قال)** حجة الاسلام **(الغزالي)** رحمه الله تعالى **(من استطاع)** الحج **(فأخر حتى أفلس)** فعليه الخروج إلى الحج وإن عجز بالأفلس **(لزمه كسب مؤته أو سؤالها)** أن عجز عن الكسب **(من زكاة أو صدقة ليجب والا)** أى وإن لم يفعل ما ذكر ومات **(مات عاصيا وقيل يجب على القادر أن لا يتركه)** أى الحج **(فى كل خمس سنين)** وذلك **(لما قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل إن عبدا صححت له جسده ووسعت عليه فى المعيشة فمضى عليه خمسة أعوام لم يفد الى)** وفى رواية لا يفد وعلى **(محروم رواه البيهقي وابن حبان)** فى صحيحه وقال البيهقي قال على ابن المنذر اخبرني بعض اصحابنا كان حسن بن حى يعجبه هذا الحديث وبه يأخذ وهذا لا يدل على وجوبه كل خمسة اعوام وانما يدل على تأكد طلبه كما قاله السيد البكرى .

(خاتمة) نسأل الله حسنهما **(وروى عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى يباهى بأهل عرفات الملائكة)** المباحة لغة ذكر ما أثر نفسه وأصوله للاستعلاء على الغير وهذا محال عليه تعالى فالمراد اظهار فضل من ذكر للملائكة لأنهم قنعوا شهرتهم بخلاف الملائكة فانهم وإن كانوا معصومين إلا أن ذلك بالجملة لعدم تركب الشهرة فيهم افاده العلامة الحنفى **(يقول يا ملائكتي انظروا إلى عبادي)** أى تأملوا هيأتهم **(شعشا)** بضم الشين المعجمة وسكون العين المهملة أى متغيرى الأبدان والشعور والملابس **(غبرا)** أى غير منظمين قد علام غبار

أقبلوا يضربون إلى من كل فج عميق فأشهدكم أني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبهم ووهبت مسيئهم محسنهم وأعطيت محسنهم جميع ما سألوني غير التبعات التي بينهم فالأفاضل القوم إلى جمع ووقفوا وعادوا في الرغبة والطلب إلى الله تعالى يقول الله تعالى يا ملائكتي عبادي وقفوا فعادوا في الرغبة والطلب فأشهدكم أني أجبت دعاءهم وشفعت رغبهم ووهبت مسيئهم محسنهم وأعطيت محسنهم جميع ما سألوني وكلت عنهم بالتبعات التي بينهم تحمل الله تبعاتنا وغفر كبائر ذنوبنا ﴿وروي﴾ من أم البيت لا تضع ناقته خفا ولا ترفعه إلا كعب الله له به حسنة ومحا عنه خطيئة وركعتا الطواف كعتق رقبة من بني اسماعيل والسعي كعتق سبعين رقبة والوقوف يغفر به الذنوب وإن كانت بعدد الرمل وكقطر المطر وكرد البحر وبكل حصاة من الجمار تكفير كبيرة من الموبقات والنحر مدخور عند الله وبكل شعرة حلقت حسنة ومحو خطيئة وبالطواف بعد ذلك يضع ملك يده بين كفيه فيقول أعمل فيما يستقبل وقد غفر لك ما مضى غفر ما قدمنا وما أخرنا ﴿وروي﴾ إذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه ومروا أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته

الأرض قال المناوي وهذا يقتضي الفجران وعموم التكفير ﴿أقبلوا يضربون﴾ ويسافرون ﴿إلى من كل فج عميق﴾ أي طريق بعيد ﴿فأشهدكم أني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبهم ووهبت مسيئهم محسنهم وأعطيت محسنهم جميع ما سألوني غير التبعات﴾ أي حقوق الآدمين ﴿التي بينهم﴾ فالأفاضل القوم إلى جمع ﴿وهي المزدلفة لأن الناس يجتمعون بها أو لأن آدم اجتمع هناك بجواء﴾ ووقفوا وعادوا في الرغبة والطلب إلى الله تعالى يقول الله تعالى يا ملائكتي عبادي وقفوا فعادوا في الرغبة والطلب فأشهدكم أني أجبت دعاءهم وشفعت رغبهم ووهبت مسيئهم محسنهم جميع ما سألوني وكلت عنهم بالتبعات التي بينهم ﴿قال المصنف رحمه الله﴾ تحمل الله تبعاتنا وغفر كبائر ذنوبنا ﴿وروي ابن حبان عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال أن الحاج حين يخرج من بيته لم يخط خطوة إلا كتب الله له بها حسنة وخط عنه بها خطيئة فاذا وقفوا بعرفات باهى الله تعالى بهم ملائكة يقول انظروا إلى عبادي أتوني شعباً غيراً أشهدكم أني غفرت ذنوبهم وإن كانت عدد قطر السماء ورمي الجمار لم يدر أحد ماله حتى يتوفاه الله تعالى يوم القيامة وإذا حلق شعره فله بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة وإذا قضى آخر طوافه بالبيت خرج ذنوبه كيوم ولدته أمه

﴿وروي﴾ في حديث قال المنذري رواه كلهم موثقون أن ﴿من أم البيت﴾ أي قصده ﴿لا تضع ناقته خفا ولا ترفعه إلا كعب الله له به حسنة ومحا عنه خطيئة وركعتا الطواف كعتق رقبة من بني اسماعيل والسعي﴾ بين الصفا والمروة ﴿كعتق سبعين رقبة والوقوف﴾ بعرفة ﴿يغفر به الذنوب وإن كانت بعدد الرمل﴾ أ ﴿وكقطر المطر﴾ أ ﴿وكرد البحر وبكل حصاة من الجمار﴾ الثلاث ﴿تكفير كبيرة من الموبقات﴾ أي المهلكات ﴿والنحر﴾ أي نحر البهيمة ﴿مدخور عند الله وبكل شعرة حلقت حسنة ومحو خطيئة وبالطواف﴾ أي طواف الركن ﴿بعد ذلك﴾ الحلق ﴿يضع ملك يده بين كفيه فيقول أعمل فيما يستقبل وقد غفر لك ما مضى﴾ هكذا أورده ابن حجر في الزواجر ﴿غفر الله ما قدمنا وما تأخرنا﴾ من الذنوب وقال عمر رضي الله عنه الحج مغفور له ولئن استغفر له في شهر ذي الحجة والحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول وقال الحافظ بن رجب فإن تأخر وصوله إلى وطنه عن هذه المدة فإلى وصوله

﴿وروي﴾ بالبناء للمفعول أي روي أحمد من حديث ابن عمر مرفوعاً ﴿إذا لقيت الحاج﴾ أي عند قدومه من حجه ﴿فسلم عليه وصافحه﴾ أي ضع يدك اليمنى في يده اليمنى ﴿ومروا أن يستغفر لك﴾ أي يطلب لك المغفرة من الله ﴿قبل أن يدخل بيته﴾ أي الأولى المتأكد ذلك والا فيطلب طلب الاستغفار منه ولو بعد دخول البيت إلى أن يمضي نحو عشرة الأيام من ربيع الأولى فلا يطلب حينئذ فيطلب منه في ذي الحجة ومحرم وصفر وبعض ربيع الأولى قاله الحنفى وإنما كان طلبه منه قبل دخول بيته أولى لأنه بعده قد يخلط

فانه مغفور له ﴿وروى﴾ أن آدم عليه السلام أتى البيت ألف آية من الهند على رجله لم يركب قط فيهن وام نبي الإحج حتى هودو صالح ﴿وحكى﴾ القاضي عياض أن قوما أتوا إلى سعدون الخولاني بالمنستير فأعلموه أن كامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه شيئا وبقي أبيض اللون قال لعله حج ثلاث حجج قالوا كيف ذلك قال حدثت أن من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية دأب ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار وحكى عن محمد بن المنكدر أنه حج ثلاثا وثلاثين حجة فلما كان في آخر حجة حجها قال وهو واقف بعرفات اللهم اني قد وقفت في سوقى هذا ثلاثا وثلاثين وقفة فواحد عن فرضى والثانية عن أبى والثالثة عن أمى وأشهدك يا رب اني قد وهبت الثلاثين لمن وقف موقعى هذا ولم يقبل منه فلما دفع بعرفات ونزل بالمزدلفة نودى في المنام

﴿فانه﴾ أنى الحاج ﴿مغفور له﴾ أى اذا كان حجه مبرورا كما قيد به في خبر ودعاء مغفور له مقبول وقد كان من سنة السلف رحمهم الله تعالى أن يشيعوا الغزاة وأن يستقبلوا الحاج اذا قدموا ويقبلوا بين أعينهم وسألوهم الدعاء ويبادروا ذلك قبل ان يتدانسوا بالاثام.

﴿وروى﴾ أن آدم عليه السلام أتى البيت ألف آية من الهند ﴿ماشيا﴾ على رجله لم يركب قط فيهن ﴿صححه ابن حزيمة﴾ واعترض بأن فيه واهيا قاله ابن حجر ﴿وما من نبي الا حج حتى هودو وصالح﴾ خلافا لمن قال أنهما لم يحجا قال العلامة عتد الرؤف وقائل ذلك عروة بن زبيد رضى الله عنهما حيث قال بلغنى أن آدم ونوحا حجا دون وصالح لاستقائهما بأمر قومهما فجحجه وعلم مناسكهما ثم لم يبعث الله نيا بعده الا حجه وبجاء عن قول عروة بأن الحديث على فرض صحة معارض بأحاديث كثيرة أنهما حججتهما قول الحسن في رسالته أن رسول الله ﷺ قال ان قبر نوح وهود وشعيب وصالح فيما بين الركن والمقام وزمزم ومن المعلوم أنهم لا يأتون البيت بغير حج مع أن الميث مقدم على الناقى ولا تكره الصلاة بين الركن والمقام وزمزم لكونهما مقبرة الأنبياء وهم احياء قى قبورهم ولا يقال الكراهة أو الحرمة من حيث ان المصلى يستقبل قبر نبي وهو منتهى عنه بقوله ﷺ لا تتخذوا قبور أنبيائكم مساجد لأن شرط الحرمة والكراهة تحقق ذلك وهو متحقق هنا.

﴿وحكى القاضي عياض﴾ في شفاة ﴿ان قوما أتوا إلى سعدون الخولاني بالمنستير﴾ هو مكان بالقيروان ﴿فأعلموه ان كامة﴾ بضم الكاف الفوقية هى قبيلة من البربر هكذا ذكره في هداية الناسك ﴿قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل﴾ أى النار ﴿فيه﴾ أى في ذلك الرجل ﴿شيئا وبقي أبيض اللون فقال﴾ الخولاني ﴿لعله﴾ أى الرجل المذكور ﴿حج ثلاث حجج قالوا كيف ذلك قال﴾ حدثت أن من ﴿وفي لفظ قالوا نعم فقال هذا مصداق حديث من﴾ حج حجة أدى فرضه ومن حج ﴿حجة﴾ ثانية دأب ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ﴿وأخرج الترمذي من قضى نسكه وسلم الناس من يده ولسانه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر واتفاق الدرهم الواحد في ذلك يعدل ألف ألف فيما سواه وورد أن البيت الحرام يحججه كل عام سبعون ألفا من البشر فاذا تقصوا عن ذلك أنتم الله عز وجل الملائكة كما يحجج البهائم إلى البيت الحرام.

﴿وحكى عن محمد بن ابن المنكدر﴾ رحمه الله تعالى ﴿أنه حج ثلاثا وثلاثين حجة فلما كان في آخر حجة حجها قال وهو واقف بعرفات اللهم اني قد وقفت في موقعى هذا ثلاثا وثلاثين وقفة فواحدة عن فرضى والثانية عن أبى والثالثة عن أمى﴾ وأخرج الدارقطني عن جابر من حج عن أبيه أو أمه فقد قضى عنه حجه وكان له فضل عشر حجج أى اذا كان الفاعل قد حج عن نفسه وأخرج الطبراني عن ابن عباس من حج عن والديه أو قضى عنهما مغر ما بعثه الله القيامة مع الأبرار ﴿أشهدك يا رب اني قد وهبت الثلاثين لمن وقف موقعى هذا ولم يقبل منه فلما دفع بعرفات ونزل بالمزدلفة نودى في المنام﴾

يا ابن المنكر أتكرم على من خلق الكرم أتجود على من خلق الجود إن الله تعالى يقول لك وعزتي وجلالي لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألفى عام نسأل الله الكريم الجواد أن يغفر لنا كباثر ذنوبنا ويتحمل تبعاتنا ويسبل توبتنا .

﴿فصل في أحكام الحج﴾ أركانها إحرام بنية نويت الحج ، أحرمت به ووقوف بعرفة وطواف سبعا وسمى سبعا

يا ابن المنكر أتكرم على من خلق الكرم أتجود على من خلق الجود إن الله تعالى يقول لك وعزتي وجلالي لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألفى عام نسأل الله الكريم الجواد أن يغفر لنا كباثر ذنوبنا ويتحمل تبعاتنا ويسبل توبتنا .

﴿فصل في أحكام الحج﴾ أى والعمره

ففيه اكفاء على حد سرايل تفيكم الحراى والبرد بدليل ذكر أركان العمره .

﴿أركانها﴾ خمسة كما ذكره هنا والمعتمد انها ستة بالترتيب وسيأتى أحدها ﴿إحرام بنية﴾ أى بنية دخول فيه للاجماع وللإتياع رواه الشيخان ولا تجب تلفظ بها ولا تلبية بل يستأنن فيقول بقلبه وجوبا وبلسانه بندا ﴿نويت الحج﴾ أى لأو العمره أو هما أو النسك ﴿وأحرمت به﴾ لله تعالى ولو تخالف القلب واللسان فالعبرة بما في القلب هذا إن كان الحج عن نفسه فإن حج أو اجتمع عن غيره قال نويت الحج أو العمره عن فلان وأحرمت به لله تعالى .

﴿و﴾ ثانيا ﴿وقوف بعرفة﴾ بأى جزء منها ولو لحظة أو نائما أو مارا في طلب آبق ونحوه لخبر الترمذي وغيره الحج عرفة وخبر مسلم عرفة كلها موقف والأفضل للذكر ولو ضياع بموقف رسول الله ﷺ وهو عند الصحراء الكبار المفترشة في أسفل جبل الرحمة ويقف الأمرد الحسن خلف الرجال ويقف المرأة والحشى بجانبه . وسميت عرفة لأن آدم وحواء عليهما السلام تعارفا فيها حين هبطا من الجنة ونزل بالهندي وهى بجدة وقيل أن جبريل عليه السلام لما عرف إبراهيم مناسك الحج وبلغ الشعب الأوسط الذي هو موقف الإمام قال له أعرفت قال نعم فسميت عرفات وقيل سميت بذلك من قولهم عرفت المكان إذا طيبته ومنه قوله تعالى الجنة عرفها لهم ووقفه من الزوال الكائن يوم تاسع ذى الحجة إلى طلوع الفجر يوم النحر فمن وقف قبل الزوال وذهب إلى عرفة لا يصح وقوفه كذلك من وقف بعد الفجر ومن وقف بينهما صح وقوفه ولو لحظة قبل الفجر وذلك أنه ﷺ وقف بعد الزوال رواه مسلم وأنه قال من أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك الحج وفي رواية من جاء عرفة ليلة جمع أى ليلة مزدلفة قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج ولو حصل غلط فوقوا العاشر صح لافي الثامن والحادى عشر ولا في غير المكان .

﴿و﴾ ثالثا ﴿طواف سبعا﴾ يقينا وهو طواف الأفاضة أى انفصال وخروج من عرفة لمكة وهو يقع بعد المبيت بمنى ومنى بعد مزدلفة إذا المبيت بها معظم ليلة النحر ومنى لى إلى أيام التشريق الثلاثة ومزدلفة بعد الوقوف وذلك للاجماع وقوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق ويدخل وقت طواف الأفاضة وكذا الرمي والحلق ولا آخر لوقت الحلق بالتصاف ليلة النحر أى لمن وقف قبله كما قيد بذلك في المنهج فان لم يقف قبله لم يدخل بذلك والمراد بليلة النحر كما قاله الشرافى الليلة المحكوم عليها بذلك سواء كانت ليلة العاشر أو الحادى عشر في صورة الغلط وإن شئت قلت ليلة النحر حقيقة أو حكما فدخل ما ذكره وخارج بما ذكر الشك في العدد فانه يدخل بالأقل كالصلاة نعم يسن هنا الاحتياط لو أخبر بخلاف ما في ظنه ولا يلزمه أن يأخذ بخبر ناقص عما في اعتقاده الآن أورثه الخبر ترددا .

﴿و﴾ رابعا ﴿سمى﴾ بين الصفا والمروة ﴿سبعا﴾ يقينا بعد طواف صحيح كطواف قدوم ما لم يقف بعرفة أو أفاضة وفعلة بعد طواف القدوم أفضل لأنه هو الذي صح من فعله ﷺ كما قاله ابن حجر فلو اقتصر على ما دون السبع لم يجزئه ولو شك في عددها قبل

مبتدأ بالصفا إلى المروة وعاندا منها إلى الصفا وإزالة شعرات من رأس

فراقه أخذ بالقل لأنه المتيقن وروى الدارقطن وغيره بإسناد حسن أنه ﷺ استقبل القبلة في السعي وقال يا أيها الناس اسعوا قد كتب عليكم أي فرض .

وأصل السعي الإسراع والمراد به هنا مطلق المشى وشروطه سبعة ذكر بعضها المصنف الأول أن يقطع جميع المسافة بين الصفا والمروة فلو بقي منها بعض خطوة لم يصح سعيه في كل مرة ولو تعدى في سعيه عن محل السعي سيرا لم يضر كما نص عليه الشافعي كذا في حاشية التحفة والثاني الترتيب وهو أن يبدأ بالصفا الأوتار ثم بالمروة في الأشفاع والمروة أفضل من الصفا لأن الصفا وسيلة والمروة مقصد والمقاصد أفضل من الوسائل ولأنها مرور الحاج أربع مرات والصفا يرجع إليه ثلاث مرات والثالث أن يكمل سبع مرات والرابع أن يكون بعد طواف صحيح كطواف قدوم أو أفاضة ولا يأتى السعي بعد طواف الوداع ولا يجوز بعد طواف نفل كان أحرم من مكة بحج منها ثم تنفل طواف وأراد السعي بعده ومن عاد لمكة بعد الوقوف وقبل نصف الليل سن له القدوم ولا يجزئه السعي حينئذ لأن السعي متى أخر عن الوقوف وجب وقوعه بعد طواف الأفاضة والخامس كون السعي من بطن الوادي وهو المسمى بالسعي المعزوف الآن والسادس أن لا يكون الساعي منكوسا ولا معترضا كالطواف والسابع عدم الصارف عن السعي كما يفعله جهلة الغوام من المسابقة وقد نظم المداينى هذه الشروط فقال من بحر الرجز :

شروط سعي سبعة وقوعه ❊ بعد طواف صح ثم قطعه

مسافة سبعا بطن الوادي ❊ مع فقد صارف عن المراء

وليس منكوسا ولا معترضا ❊ والبدا بالصفا كما قد فرضا

حال كونه ﴿مبتدأ بالصفا إلى المروة وعاندا منها إلى الصفا﴾ وذهابه من الصفا إلى المروة مرة وعوده منها إليه مرة أخرى لأنه ﷺ يبدأ بالصفا وختم بالمروة رواه مسلم .

ويسن للسعي أمور خمسة الأول أن يسعى ماشيا لراكبا الاعتذر وأن يسعى حافيا والثاني أن يكون على طهارة ساترا عورته فلو سعى مكشوف العورة أو محدثا أو جنبا أو حائضا أو عليه نجاسة صح سعيه والثالث أن يكون على القراءة والذكر في سعيه وأذكاره معروفة في المناسك والرابع الموااة بين مرات السعي وبين أجزائه وبينه وبين الطواف بأن لا يقطع السعي لجنازة وراثة وإن خاف فوتها والخامس أن يتحرى زمن الخلوة لسعيه كطوافه وإذا كثرت الرحمة فينتفى أن يتحفظ من إيذاء الناس وترك هيئة السعي أهون من إيذاء المسلم ومن أقبال نفسه على الإيذاء .

❊ وخامسها ﴿إزالة﴾ ثلاث ﴿شعرات من رأس﴾ لتوقف التحلل عليه مع عدم جبره بدم كالطواف وإزالة ما ذكر بحلق أو غيره فالتعبير بها اعم من التعبير بالخلق والأفضل أن يزيل الجميع دفعة واحدة لا متفرقة وإذا أزال أكثر من ثلاث أثبت على الثلاث ثواب الواجب وعلى الباقية ثواب المندوب على المعتمد فلا يجزئ شعر غير الرأس وإن وجبت فيه الفدية لورود لفظ الحلق أو التقصير فيه واختصاص كل منهما عادة بشعر الرأس وشمل ذلك المسترسل عنه وما لو أزالها متفرقة وإنما لم يجز المسح على المسترسل في الوضوء لأنه لا يسمى رأسا وهنا سمي شعرا في الرأس قال الرافعي فينبغي أن يعد الترتيب الواجب هنا ركنا كما في الوضوء والصلاة بأن يقدم الاحرام على غيره ثم الوقوف على الطواف وإزالة الشعر ثم الطواف وعلى السعي على ما مر من أن محل وجوبه بعد طواف الأفاضة أن لم يكن بعد طواف القدوم والاستسقاء عنه .

وأفضلها الوقوف وعند بعض المحققين الطواف وغير الوقوف أركان للعمرة وواجبه إحرام من ميقات

﴿وأفضلها﴾ أي الأركان ﴿الوقوف﴾ كما قاله الزركشي ﴿وعند بعض المحققين﴾ أفضلها ﴿الطواف﴾ لأنه مشبه الصلاة ومشتل عليها والصلاة أفضل من الحج والمشتل على الأفضل أفضل وهذا معتد الرملي واستوجهه شيخ الإسلام وقال ابن حجر في التحفة الوقوف أفضل على الأوجه لخبر الحج غرفة أي معظمه كما قالوه ولتوقف صحة الحج عليه ولأنه جاء فيه من حقائق القرب وعموم المغفرة وسعة الاحسان ما لم يرد في الطواف ﴿وغير الوقوف﴾ وهو التلبية والطواف والسعي والحلق والترتيب ﴿أركان للعمرة﴾ لتشمول أدلة لها وظاهر أن الحلق يجب تأخيره عن سعيها فالترتيب فيها في جميع الأركان لا في المعظم فقط كالحج.

﴿وواجباته﴾ أي الحج وهي ما يجب بتركه الفدية خمسة أحدها ﴿إحرام من ميقات﴾ فلو أحرم من دونه لزمه دم ما لم يعد إليه قبل تلبسه بنسك سواء في ذلك الناسي والجاهل وغيرهما وإن لم يأتها فميقات المكنى للمكي مكة لاسائر الحرام فإن أحرم ببيتانها وأحرم خارجها ولم يعد إليها قبل الوقوف أساء ولزمه دم فإن عاد إليها قبل الوقوف سقط الدم وإحرامه من باب داره أفضل منه من غيره فيدخل المنسجد الحرام محرما والمتنع الأفاقي أن أحرم بالحج خارج مكة ولم يعد إلى الميقات الأولى أو إلى مكة لزمه دمان دم الإساءة ودم التمتع وأما الأفاقي فله مواقيت مختلفة بحسب النواحي فلاهل المدينة ذوالحليفة وللشام ومصر والمغرب الجحفة واليمن يلملم ولنجد والحجاز واليمن قرن وللعراق وخراسان ذات عرق والعقيق وهو أفضل من ذات عرق لأنه أحوط ولما روى ابن عباس أنه ﷺ وقت لأهل المشرق العقيق رواه الترمذي وحسنه لكن رده في المجموع.

والأصل في المواقيت خبر الصحيحين أنه ﷺ وقت لأهل المدينة ذوالحليفة ولأهل الشام الجحفة ولأهل نجد قرن المنازل ولأهل اليمن يلملم وقال من لمن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمره ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ حتى أهل مكة وخبر الشافعي أنه ﷺ وقت لأهل المدينة ذوالحليفة ولأهل الشام ومصر الجحفة ولأهل العراق ذات عرق والمواقيت المذكورة لأهلها ولمن سلكها الخبر السابق إلا الثابت فيحرم من ميقات بلد منببه والعبرة في هذه المواقيت بالبيعة لا ما بنى ولو قربا منها ومن سلك طريقا غير طريق الميقات أحرم بمحاذته مينة أو يسرة سواء كان في البر أم في البحر لخبر البخاري عن ابن عمر أن أهل العرق أتوا عمر فقالوا يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ حد لأهل نجد قرنا وهو جور عن طريقنا وأنا أن أردنا قرنا شق علينا قال فانظروا وأحدوها من طريقكم فحد لهم عمر ذات عرق ولم ينكر عليه أحد فإن اشكل عليه الميقات أو موضع محاذاته اجتهد ولو حاذى ميقاتين أحرم من أقربها إليه وإن كان الآخر أبعد إلى مكة فإن استويا في القرب إليه فابعدهما منها يحرم منه وإن حاذى الأقرب إليها أولا كان كان الأبعد منحرفا فإن لم يحاذ شيئا من المواقيت أحرم على مرحلتين من مكة لأنه لا شيء من المواقيت أقل مسافة من هذا القدر ومن جاوز الميقات إلى جهة الحرم غير مرید للنسك ثم عرض له قصد النسك فذلك ميقاته ولا يلزمه العود كما شمل ذلك قوله في الخبر السابق ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ وأشار إليه أيضا من أراد الحج والعمره ومن جاوز الميقات مریدا للنسك غير محرم ولم ينو العود إليه أو إلى مثل مسافته من ميقات آخر أساء للاجماع وللخبر السابق ولزمه العود إليه محرما أو ليحرم منه تداركا لما فوته وأثم بترك العود الأعذر كضيق الوقت وخوف الطريق أو انقطاع عن الرفقة وسهوه وجهله فلا عود عليه ولا اثم وقضية كلامهم أنه يلزمه العود إذا كان ماشيا ولم يتضرر بالمشى قال الأسنوي وفيه نظر ويتجه أن يقال إن كان على دون مسافة القصر لزمه والا فلا كما قلنا في الحج ماشيا قال ابن العماد والوجه لزوم العود مطلقا لأنه قضاء لما تعدى فيه فاشبه وجوب قضاء الحج الفاسد وإن بعدت المسافة فإن أحرم ولم يعد وإن كان معذورا في ذلك لزمه دم لاساءته بترك الإحرام من الميقات

وميت بمزدلفة لحظة من نصف أخير من ليلة النحر

ويسقط عنه الدم متى عاد لأن عاد بعد التلبس بنسك ولو طواف القدوم لتأدى النسك باحرام ناقص والاحرام من الميقات أفضل منه من ديرة أهله خلافا للرافعي .

* تنبيه * ميقات العمرة ميقات الحج الأمن في الحرم مكيا كان أو غيره فميقاته الواجب الحل فيلزمه الخروج من الحرم ولو بقليل من أي جانب شاء للجمع فيها بين الحل والحرم كالجمع في الحج بينهما بوقوفه بعرفة ولأنه ﷺ أمر عائشة بالخروج إلى الحل للاحرام بالعمرة رواه الشيخان والأفضل من بقاع الحل لأحرامه بالعمرة الجعرانة للاتباع رواه الشيخان وهي في طريق الطائف على ستة فراسخ من مكة ثم التعميم لأمره ﷺ عائشة بالاعتمار منه وهو الموضع الذي عند المسجد المعروف بمسجد عائشة بينه وبين مكة فرسخ ثم الحديبية بتخفيف الباء أفصح من تشديد ها وهي اسم لبئر هناك بين طريق الجدة وطريق المدينة بين جبلين على ستة فراسخ من مكة وذلك لأنه ﷺ هم بالاعتمار منها فصد الكفار فقدم فعله ثم أمره ثم هم كذا قاله الغزالي أنه هم بالاعتمار من الحديبية قال في المجموع والصواب أنه كان أحرم من ذي الحليفة إلا أنه هم بالدخول إلى مكة من الحديبية كما رواه البخاري قال بعضهم يجمع بينهما بأنه هم أولا بالاعتمار منها ثم بعد إحرامه هم بالدخول منها وإنما أمر عائشة من التعميم مع أن الإحرام من الجعرانة أفضل لضيق الوقت أوليان الجواز من أدنى الحل وليس التفضيل لبعدها المسافة فإن الجعرانة والحديبية مسافتها إلى مكة واحدة ستة فراسخ والتعميم مسافته إليها فرسخ كما مر فهو أقرب إليها منهما وإذا أحرم بالعمرة من مكة وتم أفعالها ولم يخرج إلى الحل قبل تلبسه بفرض منها أجزاء ما أحرم به ولزمه الدم لأن الإساءة بترك الإحرام من الميقات إنما تنقضي لزوم الدم لاعداء الأجزاء ومتى عاد وخرج إلى الحل قبل التلبس بفرض سقط عنه الدم .

﴿ فرع ﴾ الميقات الزماني من شوال إلى فجر ليلة النحر كما فسره ابن عباس وغيره قوله تعالى الحج أشهر معلومات أي وقت الإحرام به أشهر معلومات إذ فعله لا يحتاج إلى أشهر وأطلق الأشهر على شهرين وبعض شهر تنزيلا للبعوض منزلة الكل أو إطلاقا للجمع على ما فوق الواحد كما في قوله تعالى أولئك مبرؤن مما يقولون أي عائشة وصفوان والميقات الزماني للعمرة جميع السنة الحاج فيمتنع إحرامه بالعمرة قبل نحره ويستحب الأكثار منها ولو في العام الواحد فلا تكره في وقت ولا تكره تكررها فقد أجمع ﷺ عائشة في عام مرتين واعتمرت في عام مرتين أي بعد وفاته ﷺ وفي رواية ثلاث عمران واعتمر ابن عمر أعواما مرتين في كل عام رواها الشافعي والبيهقي .

﴿ و ﴾ ثانياً ﴿ ميت بمزدلفة ﴾ من الإزدلاف وهو القرب لأن الحجيج يتقربون منها إلى متى أو من الإزدلاف بمعنى الاجتماع لاجتماع الناس بها ﴿ لحظة ﴾ أشار به إلى أن الميت ليس يقيد بل المدار على الحصول ولو من غير مكث بأن كان مارا وإن لم يعلم أنها المزدلفة كالوقوف بعرفة ولو بلا نوم خلافا لما يتوهم من لفظ الميت وإنما لم يجب هنا معظم الليل كما في الميت بمنى لأن الأمر بالميت لم يرد هنا بخلافه بمنى وأعلم أن الميت أربع ليال تسلك في الحج ليلة النحر بمزدلفة والثاني أيام التشريق بمنى لكن ميت ليلة الثالثة منها ليس بنسك على الإطلاق بل في حق من لم ينفر اليوم الثاني من أيام التشريق وفي الحد المعبر للميت قولان حكاهما الإمام عن نقل شيخه وصاحب القرب أظهرهما أن المعبر بكونه بمعظم الميت في معظم الليل والثاني الاعتبار بحال طلوع الفجر قال النووي المذهب مانص عليه الشافعي في الأم وغيره أن الواجب في ميت المزدلفة مسافة في النصف الثاني من الليل والله أعلم وإليه أشار المصنف بقوله ﴿ من نصف ﴾ أخير من ليلة النحر ﴿ فمن لم يكن بها فيه بأن لم يبيت بها أو بات لكن نقر قبله ولم يعد إليها فيه لزمه دم لتركه الواجب نعم أن تركه لعذر كأن خاف أو انتهى إلى عرفة ليلة النحر واشتغل بالوقوف عن الميت أو أفاض من عرفة إلى مكة وطاف للركن ففاته الميت لم يلزمه شيء .

وميت بمنى ليالى التشريق ورمة أيامها سبعا سبعا إلى الجمرات وطواف وداع

﴿تنبيه﴾ قال الغزالي وإخفاء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدّر عليه انتهى ولا بن الجوزي عن أمانة عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ من صلى ليلة النحر ركعتين يقرأ بكل ركعة بفاتحة الكتاب خمس عشرة مرة وقل أعوذ برب الناس خمس عشرة مرة فاذا سلم قرأ آية الكرسي ثلاث مرات واستغفر الله خمس عشرة مرة جعل الله اسمه في أصحاب الجنة وغفر له ذنوب السرور وذنوب العلانية وكتب له بكل آية قرأها حجة وعمرة وكأنما أعرق ستين رقبة من ولد اسمعيل وإن مات فيما بينه وبين الجمعة الأخرى مات شهيدا وقال القرابي كمت بالمرزلفة أحي الليل فاذا امرأة تصلى إلى الصباح ومعها شيخ فسمعته يقول اللهم أنى قد جئتك تعلم وحججنا كما امرتنا ووقفنا كما دللتنا وقد رأينا أهل الدنيا إذا شاب المملوك تذاخروا أن يبعوه وقد شربنا في خدمتك فاعفنا ثم معهما اتصف الليل ومضى أول جزء بعده على المعتمد في المذهب فلينأخذ في التأهب للرحيل واليزود الحصى الصغار منها ففيها حجارة رخوة وإنما يستحب أخذ الحصى في رمى جيرة العقبة لا غير ليكون غير معرج على شيء غير الرمي عند وصوله إلى منى.

﴿و﴾ ثالثها ﴿ميت بمنى﴾ معظم ﴿ليالى﴾ أيام ﴿التشريق﴾ أى معظم كل ليلة منها بزيادة على النصف ولولحظة للاتباع مع خير خذوا عن مناسككم قال الزيدى وخدمنى من آخر وادى محسر إلى العقبة التي يرمى بها الجمرة يوم النحر نعم إن تقر قبل غروب يوم الثالث جاز وسقط عنه ميت الليلة الثالثة ورمى يومها قال تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه والأفضل تأخير النحر إلى الثالث لاحتيا الامام الأئمة ركلاء ونحوه بل قال بعضهم أنه ليس له ذلك لأنه متبوع فلا ينفرد إلا بعد كمال المناسك.

﴿و﴾ رابعها ﴿رمى﴾ يوم النحر إلى الجمرة العقبة ويدخل وقت الجواز بعد اتصاف ليلة النحر ووقت الفضيلة بعد ارتفاع الشمس قدر رُمح وهذا الرمي تحية منى و﴿أيامها﴾ أى ليالى التشريق وذلك زوال كل يوم منها ﴿سبعا سبعا﴾ وهذه الثانية مؤكدة للأولى ﴿إلى الجمرات﴾ الثلاث بما يسمى حجرا ولومن عقيق وبلور وحديد قبل استخراج حجره منه بالعلاج وهذا شرط لصحة الرمي وبقي من شروطه ترتيب الجمرات في رمى أيام التشريق بأن يرمى أولا إلى الجمرة التي تلى مسجد الحيف ثم إلى الوسطى ثم إلى جمرة العقبة فلورمى سبع حصيات مرة واحدة أو حصاتين كذلك أحدهما يمينه والأخرى يساره لم يحسب الا واحدة سواء ترتبتا في الوقوع أم وقعتا معا أما لورما هما مرتين فوقتا معا أو مرتين فائتان اعتبارا بالرمي وكذا أن وقعت الثانية قبل الأولى ولورمى حصاة سبع مرات أو جملة الحصى كذلك أجزأ مع الكراهة لأنه لا يبقى في الجمرة إلا الحصى المردود ولا يكفى وضع الحصاة في المرمى لأنه لا ينسب رما ولأنه خلاف الوارد وكونه يد فلا يكفى الرمي بغيرها ككوس ورجل ومقلع وقصد المرمى وهو مجتمع الحصى وضبط بثلاثة أذرع من كل جانب الجمرة العقبة فليس لها الجانب واحد وهذا قرب من قول الشافعى رحمة الله تعالى عليه الجمرة مجتمع الحصى لا ما سال منه فلورمى إلى غيره كان رمى في الهواء فسقط فيه لم يحسب وتحقق إصابته بالحجر وإن لم يقف فيه كان تزحرج وخرج منه فلو شك فيه لم تحسب.

﴿و﴾ خامسها ﴿طواف وداع﴾ عده من واجباته بناء على أنه من المناسك والمعتمد أنه ليس منها بل يجب على كل من أراد فراق مكة سواء كان حاجا أو معتمرا أم غيرهما هذا إن أراد فراقها لمكان على مسافة قصر سواء قصد الإقامة فيه أم لا فإن أراد فراقها لمكان دون ذلك نظر أن قصد الإقامة فيه لزمه طواف الوداع والا كان خرج للعمرة فلا وذلك لخبر مسلم لا ينفرد أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت أى الطواف بالبيت كما رواه أبو داود فلو خرج بلا وداع لزمه دم ما لم يعد قبل مسافة القصر أو قبل بلوغ نحو وطنه من مكان قصد الإقامة فيه نحو أربعة أيام إذا كان نحو الوطن دون مسافة القصر على ما مر وتعتبر مسافة القصر من مكة وإنما اعتبرت منها لأن الحرم

غير مكى ونحو حائض ويجب بترك واحدة منها فدية *

على خلاف ما في تمتع من اعتبارها من الحرم لأن الطواف لأجل مفارقة البيت فاعتبرت من بلده أفاده الشويري .

هذا ﴿غير مكى﴾ لم يفارق مكة بعد حجه فلا يجب عليه طواف الوداع والمراد بالمكى من هو مقيم بمكة سواء كان مستوطنا أو غيره فشمل الآفاقى الذي نوى الإقامة بعد حجه بمكة ﴿و﴾ غير ﴿نحو حائض﴾ من النساء فلا يجب عليها روى الشيخان عن ابن عباس أنه قال أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت لأنه خفف عن المرأة الحائض فلو طهرت قبل مفارقة مكة لزمها العود والطواف وبعدها فلا ويلحق بما ذكر المذوور لخوف ظالم أو فوت رفقة وخرج بالحائض المتحيرة فلها أن تطوف للوداع فلم تطف فلا دم عليها والمستحاضة غير متحيرة لا عودها وإن نقرت في طهرها لزمها العود ومن حاضت قبل طواف الإفاضة تبقى على إحرامها وإن مضى عليها أعوام نعم لوعادت بلدها وهي محرمة عدمه للنفقة ولم يمكنها الوصول للبيت الحرام كان حكمها كالحصر فتحلل بذبح شاء وتقتصر وتنوى التحلل معها هذا إن لم تعلم الحكم حتى وصلت بلدها فإن كانت عالمة به خرجت إلى محل لا يمكنها الرجوع منه إلى مكة وتحللت بما أمر وتقضى متى شاءت وإذا ارادت القضاء تنوى الطواف فقط كما قاله الشيرازي ملسى ويحث بعضهم أنها لو كانت شاقية بقلد الإمام أبي حنيفة فإن الطهارة عنده واجبة في الطواف وليست شرطا فإذا فعله صح مع وجوب بدنة على حائض وشاة على محدث ولو يجنبها والإمام أحمد على إحدى الروايتين عنه في أنها تهجم وتطوف بالبيت ويلزمها بدنة وتأثم بدخولها المسجد حائضا ويجزئها هذا الطواف عن الفرض لما في بقائها على الإحرام من المشقة ﴿ويجب بترك واحدة منها﴾ أي من الواجبات المذكورة ﴿فدية﴾ أي وأثم إن كان لغير عذر .

﴿تمة﴾ إذا فرغ من طواف الوداع المتبوع بركعتيه استحب له أن يدخل البيت ما لم يؤذ أو يأتذى بزحام أو غيره وإن يكون حائلا وإن لا ينظر إلى أرضه ولا يرفع بصره إلى سقته تعظيما لله تعالى وحياء منه وإن يصلى فيه ولوركعتين والأفضل أن يقصد مصلى النبي صلى الله عليه وسلم بأن يمشى بعد دخوله الباب حتى يكون بينه وبين الجدار الذي قبل وجهه قريبا من ثلاثة أذرع وإن يدعو في جوانبه ثم يدعو عند الملتزم وهو بين الحجر الأسود والباب موضع لاستجابة الدعوة روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء وما دعا عبد الله دعوة إلا استجابها أو نحو ذلك وهو حديث حسن غريب من رواية عمرو بن دينار عن ابن عباس وأخرج الأزرقي في تاريخ مكة عن أبي الزبير عن ابن عباس قال الملتزم بين الحجر والباب لا يلزم بينهما أحد سأل الله شيئا إلا أعطاه إياه قال أبو الزبير فقد دعوت هنالك فاستجب لي وأخرج سفيان عن عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول فوالله ما دعوت الله عز وجل فيه إلا أجابني قال عمرو وأنا والله ما أهمني أمر فدعوت الله عز وجل فيه الاستجابة إلى منذ سمعت منه هذا الحديث وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال من الملتزم الكعبة وهذا يجوز على عمومته وإن يكون محمولا على الملتزم وعن مجاهد قال ما بين الركن والباب يدعى الملتزم ولا يقدم عبد ثم يدعو الله عز وجل إلا استجاب له وعنه قال رأيت ابن عباس وهو يستعيد ما بين الركن والباب .

قال الشافعي رحمه الله تعالى ونقله في المجموع عن القاضي أبي الطيب بسنن لمن فرغ من طواف الوداع أن يأتي الملتزم فيلصق بدنة وصدرة يحاط البيت ويسط يدنيه على الجدار فيجعل اليمنى يما يلي الباب واليسرى يما يلي الحجر الأسود ويدعو بما أحب من المأثور وغيره لكن المأثور أفضل ومن المأثور ما في التنبيه وهو اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن أمك حملتني على ما سخرت لي من خلقك

وشروط الطواف طهارة وستر عورة وإبتداء بالحجر الأسود

حتى صيرتنى في بلادك وبلغتنى بنعمتك حتى اعننى على قضاء مناسك فان كنت رضيت عنى فاردد عنى رضا والاقن الان قبل ان تنائى عن بيتك دارى ويبعد منه مزارى هذا أو انصرافى ان أذنت لى غير متبدل بك ولا يتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك فاصبنى العافية في بدنى والعصمة في دينى واحسن منقلبى وارزقنى العمل بطاعتك ما بقيتنى وما زاد فحسن وقد زيد فيه واجمع لى خيرى الدنيا والآخرة انك قادر على ذلك ولفظ فمن الآن يجوز فيه ضم الميم وتشديد النون وهو الاجود وكسر الميم وتخفيف النون مع فتحها وكبرها قاله في المجموع ثم يصلى على النبى ﷺ فإذا كانت حائضاً أو نساء استحب ان يأتى بجميع ذلك على باب المسجد وتمضى.

ويسن شرب ماء زمزم لأنها مباركة طعام طعم وشفاء سقم قال في المجموع رواه مسلم وقيل شفاء سقم لم يروها مسلم وإنما رواها أبو داود الطيالسى نبه على ذلك الأسنوى ويسن أن يشربه لمطلوبه في الدنيا والآخرة لحديث ماء زمزم لما شرب له رواه البيهقي وغيره وصححه المنذرو وضعفه النووي وحسنه ابن حجر لوروده من طرق عن جابر ويسن استقبال القبلة عند شربه وأن يتضلع منه لما روى البيهقي من طرق النبى ﷺ قال آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من زمزم وقد شربه جماعة من العلماء فقالوا مطلوبهم ويسن أن يقول عند شربه اللهم انه قد بلغنى عن نبيك محمد ﷺ انه قال ماء زمزم لما شرب له وأنا شرب لكذا . . . ويذكر ما يريد ديناً ودنيا اللهم فافعل ثم يسن بالله تعالى ويشرب ويتنفس ثلاثاً وكان ابن عباس اذا شربه يقول اللهم انى أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل داء وقال الحاكم صحيح الاسناد ويسن الدخول الى البئر والنظر فيها وأن ينزع منها بالدلو الذي عليها ويشرب قال الملوذى ويسن أن ينضح منه على رأسه ووجهه وصدره وأن يتزود من مائها ويتصحب منه ما أمكنه ففى البيهقي أن عائشة رضى الله عنها انها كانت تحمله وتخير ان رسول الله ﷺ كان يحمله في القرب وكان يصبه على المرضى ويسقيهم منه.

﴿وشروط الطواف﴾ ثمانية بجميع أنواعه وهى ستة طواف الركن وهو طواف الافاضة وطواف الوداع وطواف القدوم وطواف نفل غير طواف القدوم لمن كان مقيماً بمكة فان تحية البيت بالطواف وطواف نذر وطواف تحلل لمن فاتته الوقوف بعرفة .

الشرط الاول ﴿طهارة﴾ من الحدث الاصغر والاكبر والتجسس في الثوب والبدن والمكان نعم يعنى ايام المواسم وغيرها عما يشق الاحتراز عنه في المطاف من نجاسة الصور وغيرها ان لم يعتمد المشى عليها ولم تكن رطوبة فيها وفي مماسها فان كان فاقدا للستر جاز الطواف وان كان به نجاسة او كان فاقدا للطهورين لم يجز وان كان فاقدا للماء جاز الطواف باليسم ولا تجب الاعادة في الطواف الركن الا اذا كان بمحل يغلب فيه وجود الماء وهذا هو حاصل المعتمد كما قاله البجيرمى عن السجيمى .

﴿والشرط الثانى﴾ ستر عورة ﴿كسترها للصلاة اذا كان قادراً عليه فلو كان عاجزاً عنه حتى عن الطين جاز فعل طواف الوداع والنفل وكذا طواف الركن عارياً لانه لاعادة عليه ومن طافت من النساء الحرائر مكشوفة الرجل او شيء منها او طافت كاشفة جزء من رأسها لم يصح طوافها حتى لو ظهرت شعرة من شعر رأسها أو ظفر رجلها لم يصح لأن ذلك عورة منها يشترط ستره في الطواف كما يشترط في الصلاة .

والشرط الثالث طواف في المسجد ان وسع ولم يخرج الى الحل وان حال حائل وطاف على سطحه ولو مرتفعاً عن البيت .

والشرط الرابع سبع طوافات فلو شك في العدد أخذ بالاقل كالصلاة .

﴿والشرط الخامس﴾ ابتداء بالحجر الأسود وهو يقوته من يواقيت الجنة ولولا أن الله تعالى طمس ضوؤه ما استطاع أحد أن

ومحاذاته بكل بدنه وجعل البيت عن يساره

ينظر إليه فلا يعتد بمبدأ به قبله ولو سهوا ﴿و﴾ تجب ﴿محاذاته﴾ أو بعضه ﴿بكل بدنه﴾ أى بجميع شقة الأيسر أى اعلاه محاذى للصدر وهو المنكب فلا يكفى محاذاة الحجر بما تحته المنكب من الشق الأيسر وصفة المحاذاة أن يستقبل البيت ويقف بجانب الحجر من جهة اليماني بحيث يصير منكبه الأيمن عند طرفه ثم ينوي ثم يمشى مستقبلاً ما را إلى يمينه حتى يجاوز بعضه فيستقبل ويجعل يساره للبيت .
﴿و﴾ الشرط السادس ﴿جعل البيت عن يساره﴾ للاتباع لمخالفة المشركين فإن العرب كانوا يطوفون بالبيت ويجعلونه عن يمينهم والحكمة في أن البيت يجعل عن يسار الطائف أن القلب في جهة اليسار فيكون مما يليه وأن من طافه يأتي يوم القيامة متعلقاً به كما طافوه شمالهم وفي إيمانهم الصحف .

والشرط السابع جعل جميع بدنه خارجاً عن جميع البيت والحجروان كان الزائد منه على ستة أذرع ليس من البيت والمرور إلى ناحية الحجر بكسر الحاء ولو منكساً وجهه فلو طاف ويده على حائط الحجر أو طاف على الشاذروان الذي في جدار البيت في الجهة الغربية واليمانية وكذا في جهة الباب وهو بعض جدار البيت أو دخل من الخدي فتحس الحجر لم يصح طوافه أى بعضه وهو ما أتى به في تلك الحالة لا ما مضى فليرجع إلى موضع الذي أتى بالمبطل فيه وليطف خارجاً عن البيت وتحسب طوافه .
والشرط الثامن نية الطواف أن استقبل بأن كان غير طواف حج وعمرة والابان شمله نسك كطواف القدوم للحاج وطواف الفرض تستحب وقد نظم المداينى واجبات الطواف بقوله بجز الخفيف .

واجبات الطواف ستروا وطهر ✽ جعله البيت ياقنى عن يسار

في مرور تلقاء وجهه وبالا ✽ سود يبدأ محاذياً وهو ماري

مع سبع بمسجد ثم قصد ✽ لطواف في النسك ليس يجارى

فقد صرف لغيره ذى ثمان ✽ قد حكى نظمها نظام الدرارى

ويسن للطواف أمور تسعة : الأول أن يطوف ماشياً ولو امرأة وحافياً في كله إلا العذر لأزاحفاً ولا حايماً ولا راكباً البهيمة أو آدمى .
والثاني أن يستلم الحجر الأسود أول طوافه بعد أن يستقبله يده اليمنى فباليسرى أن عجز ويقبله ويكره اظهار صوت لقبته ويضع وجهه عليه والأفضل أن يستلم ثلاثاً متوالية ثم يقبل كذلك ثم يسجد فإن عجز عن التقيل والسجود لزحمة اقتصر على الاستلام به من يد أو غيرهما فإن عجز عن الاستلام أشار إليه يده اليمنى فاليسرى فما في اليمنى فما في اليسرى ثم قبل ما أشار به ويراعى ذلك المذكور كله في طوفة .

والثالث أن يستلم الركن اليماني يده اليمنى فاليسرى فما في اليمنى فما في اليسرى ثم يقبل ما استلم به فإن عجز أشار إليه بما ذكر ثم قبل ما أشار به ولا يقبل هذا الركن ولا يسن تقيل الركنين الشاميين ولا استلامهما والسبب في اختلاف الأركان أن لركن الحجر فيه فضيلتان كون الحجر فيه وكونه على رأس أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام واليماني فيه فضيلة واحدة وهو كونه على رأس أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولا ينافي أن عنده شاذرواناً لأنه ينقص من عرضه عند ارتفاع البناء أما الشاميان فليس لهما شيء من الفضيلتين .

والرابع أن يدعو في طوافه بما أحب من دين ودنيا لنفسه ولغيره فالدعاء بدينى مندوب ويدنوى مباح ليس بمندوب .
والخامس أن يكثر فيه من القراءة لأنه موضع ذكر القرآن أعظم الذكر لكن الدعاء المأثور أفضل من قراءة القرآن على الصحيح

وهي أفضل من غير المأثور وقال العلماء أن نحواية الكرسي مما شتمل على الثناء على الله تعالى وذكر صفاته أفضل من سائر الأدعية هنا مطلقا قال ابن حجر وذلك في غير دعاء صح سنده ويكرهه من التسيح لما روى ابن ماجه ان النبي ﷺ قال من طاف بالبيت سبعا ولم يتكلم الا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله بحيث عنه عشر سيئات وكبت له عشر حسنات ورفع له عشر درجات وهذا التسيح مفضول بالنسبة للآيتين بالأذكار في محلها وأفضل من القراءة كما افاده ابن حجر وسن الاسرار بالذكر والقراءة ثلاث شوش على غيره ولودعا واحدا بالجهر وأمن جماعة فحسن ولا يضر حينئذ الجهر لأنه لمصلحة الكل .

والسادس ان يكون الطائف خاشع القلب أعني مقبلا بالقلب على الطواف واذا كان ملازم الأدب بالظاهر والباطن .
والسابع أن لا يتكلم فيه بغير ذكر الله تعالى أو أمر معروف أو تعليم أو سلام على صديقه أو سؤاله عن حاله وأهله اذا لم يطل كما افاده

ابن حجر .

والثامن ان يرمل الذكر في جميع الاشواط الثلاثة الاولى في طواف يعقبه سعي والرمل بفتح الراء والميم من باب طلب هو الاسراع في المشي مع تقرب الخطا من غير وثوب وعدومع من كيفية ويمشي في الاشواط الاربعة الأخيرة .

والتاسع ان يضطجع الذكر في ذلك أى في جميع كل طواف ويشرع فيه الرمل وان لم يرمل وكذا سين الاضطجاع في جميع السعي ويكره في الصلاة وهو ان يجعل وسط رداءه تحت منكبيه الأيمن وطرفه على عاتقه الأيمن مكشوقا .

ومن الادعية المأثورة ان يقول عند استلام الحجر الأسود باسم الله والله اكبر اللهم ايمانك وتصديقك بكاتبك ووفاء بعهدك واتباع السنة نيك محمد ﷺ وان يقول قبالة الباب اللهم ان البيت بيتك والحرم حرمك والأمن أمنك وهذا مقام العائذ بك من النار وعند الانتهاء الى الركن العراقي اللهم اني اعوذ بك من الشك والشرك والشقاق والتناق وسوء الأخلاق وسوء المنظر في الأهل والمال والولد وعند الانتهاء الى الميزاب اللهم اظلني في ظلك يوم لا ظل الا ظلك واسقني بكأس نيك محمد ﷺ شرابا هنيئا سرينا لأنظما بعده أبدا يا ذا الجلال والإكرام وبين الركن الشامي واليماني اللهم اجعله حججا مبرورا وذنباً مغفورا وسعيام مشكورا وعيلا مقبولا وتجارة لن تبورا يا عزيز يا غفور وبين اليمانيين اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وروى عن النبي ﷺ أنه قال وكل بالركن اليماني سبعين ملكا من قال اللهم اني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا آمين وعن مجاهد أنه قال ما من انسان يضع يده على الركن اليماني ويدعو الاستجيب له وان بين الركن اليماني والركن الأسود سبعين ألف ملك لا يبارقونه هناك منذ خلق الله البيت .

فاذا أفرغ من طوافه استحبه ان يصلي ركعتين سنة الطواف بالكافرون والافضل فعلهما خلف المقام بان يكون بين المصلي والكمبة ففي الكمبة تحت الميزاب فما قرب من الحجر الى البيت ثم في بقية الحجر ثم الى وجه البيت فما قرب الى البيت فبقيت المسجد ففي بيت خديجة ففي بقية مكة ففي الحرام فحيث شاء متى شاء ويجهر فيها ليلا ونهارا ويسن أن يدعو بعدهما بما أحب من امور الآخرة والدنيا بعد دعائه المأثور وهذا اللهم هذا بلدك الحرام والمسجد الحرام وبيتك الحرام انا عبدك وابن أمك آيتك بذنوب كثيرة وخطايا جمة واعمال سيئة وهذا مقام العائذ بك من النار فاغفر لي انك غفور الرحيم اللهم انك دعوت عبادك الى بيتك الحرام وقد جئت طالبا رحمتك مبتغيا مرضاتك وانت مننت علي بذلك فاغفر لي وارحمني انك على كل شيء قدير وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت لما اراد الله ان يتوب آدم طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربه حذاء فصلى ركعتين وقال اللهم انك تعلم سرى وعلايتي

ومحرمات الاحرام وطء وقبلة ومباشرة بشهوة

فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤالي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسألك ايمانا يا شرقي ويمين اصادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبه لي ورضني بما قسمت لي فاعوذ بالله اليه يا آدم غفرت لك ذنبك ولن يأتيك احد من ذريتك يدعوني بمثل ما دعوتني الا غفرت له ذنوبه وكشفت غمومه ونزعت الفقر من بين يمينه وجاءته الدنيا وهو لا يريد ها .

﴿ ومحرمات الاحرام ﴾ أي المحرمات التي سببها الاحرام من اضافة المسبب للسبب ﴿ وطء ﴾ الآية فلا رفث أي لا ترفثوا والرفث مفسر بالجماع وهو مفسد النسك يروى ذلك عن عمرو بن علي وابن عباس وابي هريرة وغيرهم من الصحابة واتفق الفقهاء عليه بعدهم وانما يفسد الحج بالجماع قبل التحلل الاول وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه وان كان بعد التحلل الاول لزمه البدنة لم يفسد حجه والعمره كالحج في وجوب الفدية .

واعلم أن في خصال فدية الجماع وجهين أحدهما انها هذه الثلاثة المذكورة والإطعام بقدر قيمة البدنة على سبيل التعديل والصيام عن كل مد يوما ولثاني حكى ابن كج أن خصالها الثلاث الأولى فإن عجز عنها فالهدي في ذمته الى أن يجد تخرجا من أحد القولين في دم الإحصار وإن جربنا على الصحيح وهو إثبات الخصال الخمس فهذا الدم دم تعديل لا محالة لأن في الجملة تقوم البدنة وهل هو تخيير أو ترتيب فيه قولان أحدهما دم ترتيب فعليه بدنة أن وجدها والافقرة والافسج من الغنم والاقوم البدنة بدراهم والدراهم طعاما ثم فيه وجهان أحدهما أنه يصوم عن كل مد يوما فإن عجز عن الصيام اطعم كما في كفاية الظهار والقول أن الترتيب على العكس ويقدم الطعام على الصيام في هذا المقام خاصة وذكر القفال وآخرون أن القول في أن دم الجماع دم ترتيب أو تخيير مبني على أن الجماع استهلاك أو استماع أن جعلناه استهلاكا فهو على التخيير كذبة الحلق والقلم وإن جعلناه استماعا فهو على الترتيب كذبة الطيب واللباس وهنا مسئلتان .

الأولى لو جامع بين التحللين وفرعنا على الصحيح وهو أنه لا يفسد فقيما يجب فيه قولان أظهرهما شاء لأنه لا يتعلق بفساد الحج به فاشبهه بالمباشرة فيما دون الفرج واختار المزانة هذا القول في تخريجه للشافعي وقيل أنه حكاه في غير المختصر عن نفيه والثاني أن الواجب بدنة لأنه وطء معذور في الحج فاشبهه الوطء قبل التحلل وبهذا قال مالك وأحمد ونقل الإمام قولنا ثالثا وهو أنه لا يجب فيه شيء أصلا وهو ضعيف لأن الوطء لا يقتصر عن سائر محظورات الاحرام وهي بين التحللين موجبة للفدية على ظاهر المذهب .

الثانية إذا فسد الحج بالجماع ثم جامع ثانيا فينظر أن لم يند عن الأول ففي وجوب شيء للثاني قولان أحدهما لا يجب بل يتد اخلاص وأصحهما أنه لا يتد اخلاص لبقاء الاحرام ووجوب الفدية بارتكاب المحظورات وحيث قلنا بعدم التدخل فقيما يجب بالجماع الثاني قولان أحدهما بدنة كما في الجماع الأول وأظهرهما شاء قلت في المسئلة الثلاثة أقوال أظهرها أن الجماع الثاني يوجب شاء وبه قال أبو حنيفة والثاني لا يوجب شيئا وبه قال مالك وعند أحمد أن كثر عن الأول وجبت في الثاني بدنة ﴿ وقبلة ﴾ أن حركت الشهوة وفيها شاء أن يشرع عندا روى عن علي وابن عباس أنهما أوجبا في القبلة شاء أما أثر علي فرواه البيهقي من طريق جابر الجعفي وهو ضعيف عن أبي جعفر عن علي ولم يدركه وإما أثر ابن عباس فذكره البيهقي ولم يسنده وإن كان سائما لم يلزمه شيء بلا خلاف لأنه استماع محض وحكى الغزالي في الوسيط عن مالك أنه لا يجب الدم عند الانزال قال الرافعي والأغلب على الظن أنه وهم فيه ﴿ ومباشرة بشهوة ﴾ ولو منع عدم الانزال أو مع حائل لادم في النظر بشهوة والقبلة بحائل وإن أنزل بخلاف ما سواهنا من المقدمات فإن فيها الدم وإن لم ينزل أن يشر

واستثناء ونكاح وتطيب

عمدا بشهوة ويخالفها الاستثناء في انه لا بد في الدم فيه من الانزال ويندرج دم المباشرة في بدنة الجماع الواقع بعدها او قبلها وكذا في شاته كالواقع بعد الجماع المفسد أو بين التحللين سواء اطلال الزمن بين المقدمات والجماع أم قصر اما حيث لاشهوة فلا حرمة ولا فدية اتفاقا واذا تكررت المحرمات تكررت الشاة على قياس تكررها بتكرار الوطء بين التحللين ﴿واستثناء﴾ أي استدعاء خروج المنى يد حليلة سواء انزل أم لا لكن انما يلزم به الدم ان انزل ﴿ونكاح﴾ أي عقده لنفسه أو لغيره باذن أو بوكالة أو لاية وكذا لو كان المعقود له محرما والعاقدة حلالا فانه محرم ولا يصح ولا فدية لأنه لا ينعقد ويندب للمحرم ترك الخطبة بكسر الخاء وكرهت رجعة وجاز كونه شاهدا في نكاح الحلالين ﴿وتطيب﴾ استعمال الطيب في بدن أو ثوب بما يسمى طيبا كمسك وكافور وغيرهما فان تطيب أو لبس شيئا مسه طيب فعليه دم شاة.

واعلم أن الكلام على هذه الفصل مما يتعلق به الفدية في ثلاثة أمور الطيب والإستعمال والقصد أما الطيب فالمعتبر فيه أن يكون معظم الفرض التطيب واتخاذ الطيب فيه أو يظهر منه الفرض كالمسك والعود والعتبر والكافور والصندل ثم ماله رائحة طيبة من نبات الارض أنواع منها ما يطلب للطيب واتخاذ الطيب منه كالورد والياسمين وكذا الزعفران وان كان يطلب للصنع والتداوى أو كالورس وهو كما يقال أشهر طيب بلاد اليمن ومنها ما يطلب للأكل والتداوى به غالبا فلا يتعلق به الفدية كالقرنفل والسنبل وسائر الأباذير الطيبة وكذا السفرجل والتفاح والبطيخ والأترج ومنها ما يتطيب به ولا يتخذ منه الطيب كالنرجس والريحان الفارسي والمرزنجوش ونحوها ففيه قولان القديم يتعلق به الفدية لأن هذه الأشياء لا تبقى لها رائحة اذا جفت وقد روى ان عثمان رضى الله عنه سئل عن المحرم هل يدخل البستان قال نعم ويشم الريحان قال النووي في شرح المذهب انه غريب يعنى لم يقف على اسناده والجديد التعلق لظهور قصد الطيب فيها كالورد والزعفران ومنها ما ينبت بنفسه ولا يستنبت كالشيخ والقصوم والشقائق فلا يتعلق بها الفدية.

الأمر الثاني الإستعمال وهو الصاق الطيب بالبدن على وجه المعتاد من ذلك الطيب فلو طيب بجزء من بدنه بغالية أو مسك مسحوق أو ماء ورد لزمته الفدية عن أبي حنيفة ان الفدية التامة انما تلزم اذا طيب عضوا أو ربع عضوا فان طيب أقل منه لم تلزمه ولا فرق بين ان يتق الاصاق بظاهر البدن أو داخله كما لو اكله أو اختن به أو تسعط به وقيل لا فدية في الحقنة والسعوط ولو جلس في حانوت عطار أو عند الكعبة وهي تجمر وفي بيت تجمر ساكوه فعقب به الريح دون العين فلا فدية لأن ذلك لا يسمى مطيبا ثم ان قصد الموضع لا لاشتئام الرائحة لم يكره والاكره على الأصح وعن القاضي الحسين أن الكراهة ثابتة لاحالة والخلاف في وجوب الفدية ولو احتوى على بحمرة فتبخر بالعود بدنه وثيابه لزمته الفدية لأن هذا هو طريق التطيب وأو مس طيبا ولم يعلق بدنه شيء من عينه ولكن عبت به الرائحة فهل تلزمه الفدية منه قولان أحدهما لا وهو منقول المزني والثاني نعم وهو المروي عن الأملاء وذكر صاحب العدة أن هذا أصح القولين وكلام الأكثرين يميل الى الأول ولو شد المسك أو العنبر أو الكافور في طرف ثوبه أو جيبه وجبت الفدية وان حمل مسكا في فارة غير مشفوقة فوجهاً أصحابهما وبه قال الثعالبي أنه تجب وأصحابهما وبه قال الشيخ أبو حامد لا ولو جلس على فراش مطيب ونام عليه مفضيا به أو ملبوسه اليها لزمته الفدية فلو فرش فوقه ثوبا ثم جلس عليه أو نام لم تجب ولو داس بتعله طيبا لزمته الفدية لأنها ملبوسة له.

الأمر الثالث كرن الإستعمال عن قصد فلو تطيب ناسيا لاجرامه أو جاهلا بتحريم الطيب لم تلزمه الفدية وعند مالك وأبي حنيفة والمزني تجب الفدية على الناسي والجاهلي وعن أحمد زويتان وان علم بتحريم الاستعمال وجهل وجوب الفدية لزمته الفدية ولو علم

ودهن شعره وازالته وتقليم الظفر

تحريم الطيب وجعل كون المسوس طيبا الأجود أن لا فدية وحكى الإمام وجهها آخر أنها تحب ولو مس رطبا وهو يظن أنه يابس لا يعلق به شيء منه ففي وجوب الفدية قولان أحدهما أنها تحب والثاني لا وبالقول الأول رجح الإمام وقطع به في الشامل ولكن طائفة من الأصحاب رجحوا الثاني وذكر صاحب التتبع أنه قول الجديد ومتى لصق الطيب ببدنه أو ثوبه على وجه لا يوجب الفدية وإن كان ناسيا أو القه الریح عليه فعليه أن يبادر إلى غسله أو معالجته بما يقطع رائحته والأولى أن يأمر غيره به وإن باشره بنفسه لم يضره لأن قصده الإزالة فإن توانى فيه ولم يزل مع الإمكان فعليه الفدية فإن كان زمنا لا يقدر على إزالة فلا فدية عليه كما لو أكره على الطيب قاله في التهذيب ونقله الزبيدي ﴿ودهن﴾ بفتح أوله ﴿شعر﴾ رأس أو لحيته بدهن ولو غير مطيب كزيت وسمن ودهن لوز لما فيه من التزيين المنافي لحرم المحرم أشعث أغبر .

وخرج بالرأس واللحية ما عدا ذلك من البدن ظاهرا وباطنا وسائر شعوره ورأس أقرع وأصلع وذقن أمرد لم بات أو إن نباتها قلا يحرم دهنها بما لا طيب فيه لأنه لا يقصد به تزيينها بخلاف الرأس الخلق يحرم دهنه بذلك لتأثيره في تحسين شعره الذي ينبت بعده فالتعبير بالشعر جرى على الغالب وكذا لو بلغت لحية الأمرد أو ان الطلوع فلا يحرم دهنها ولا تحب فيه الفدية على المعتد خلافا لما قاله الزبدي والفرق بينهما وبين الشعر الخلق أن العادة جرت بنباته ثانيا ولا كذلك لحية الأمرد فإنها قد لا تنبت على أنها إذا نبتت شيئا فشيئا فان قلت ما الفرق بين الطيب للاختشم حيث حرم ولزمت الفدية وبين دهن رأس الأصلع والأقرع وذقن الأمرد حيث لم يحرم ولا فدية قلت الفرق أن المعنى هنا منتف بالكلية بخلافه ثم فإن المعنى فيه الترفه وإن كان المطيب اختشم على أن لطيفة الشعر قد تبقى منها بقية وإن قلت لأنها لم تزل وإنما عرض مانع في طريقها فحصل الانتفاع بالشم في الجملة وإن قل ولو كان بعض الرأس أصلع جاز دهنه هو فقط دون الباقي ﴿وازالته﴾ أى الشعر ولو واحدة من رأسه أو لحيته أو بدنه نعم إن احتاج إلى حلق شعر بكثرة قمل أو غيره فلا حرمة وعليه الفدية ولو حلق محرم أو حلال رأس محرم بغير اختياره قبل دخول وقته فالدم على الخالق كما لو فعل ذلك بنائم أو مجنون أو غير مميز أو مغشى عليه أذ هو المقصود ولو أخرجه الخلق من غير إذن الخالق لم يسقط مما لو كان بأمره أو مع سكوته وقدرته على الدفع فإنه يحرم عليهما والفدية على مفعول به لتقرطه فيما عليه حفظه وحل قوْلهم المباشرة مقدمة على الأمر ما لم يعد النفع على الأمر ولو طارت نار إلى شعره فاخرقته واطاق الدفع لزمت الفدية والأفلا .

قال الزبيدي أعلم أن حلق الشعر قبل أو أنه محظور فإن الله تعالى قال ولا تحلقوا رؤسكم الآية وأوجب الفدية على المعدور والخلق حيث قال فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه الآية وإذا وجبت الفدية على المعدور فعلى غير المعدور أولى ولا فرق بين شعر الرأس والبدن أما شعر الرأس فنصوص عليه وأما غيره فالتنظيف والترفه في إزالته أكثر وذكر الحاملي أن في رواية عن مالك لا تعلق الفدية بشعر البدن والتقصير كالخلق كما أنه في معناه عند التحلل وقلم الأظفار كالحلق للشعر فإنها تراد للتنظيف والترفه وليس الحكم في الشعر منوطا بخصوص الخلق بل بالإزالة والإبادة فيلحق به النفث والاحراق وغيرهما وكذلك يلحق بالقلم الكسر والقلم فلو كشط جلدة الرأس فلا فدية ولو امتشط لحيته فاستفت شعرات فعليه الفدية ﴿وتقليم ظفر﴾ أو يعضه من يد أو رجل أو من محرم آخر قلما أو نحوه ولا يعتبر في وجوب الفدية كما قاله الزبيدي حلق جميع الرأس ولا قلم جميع الأظفار بالإجماع ولكن يكمل الدم في حلق الثلاث شعرات وقلم ثلاث أظفار اليد أو الرجل كما مر سواء كانت من طرف واحد أو طرفين خلافا لأبي حنيفة حيث قال لا يكمل بحلق ثلاث شعرات

واصطياذ

وانما يكمل اذا خلق من رأسه القدر الذي يحصل به اماطة الاذى ولاحمد حيث يكمل قدر في رواية باربع شعرات والرواية الثانية مثل قول الشافعي قال الرافي لنا ان المفسرين ذكروا في قوله تعالى اوبه اذى من رأسه فقدي من صيام ان المعنى فخلق فقدي ومن خلق ثلاث شعرات فقد خلق قال الزبيدي وهذا الاستدلال ناقص لانه جمع مضاف فيفيد العموم فينبغي تعميم الاستدلال بان يقال الاستيعاب متروك بالاجماع فحملناه على اقل الجمع والله اعلم .

وان اقتصر على شعرة او شعرتين ففيه اقوال اظهرها أن في شعرة مدا من طعام وفي شعرتين مدين لان تبويض الدم عسير والشرع قد عدل الجبران بالطعام في جزء الصيد وغيره والشعرة الواحدة هي النهاية في القلة والمد اقل ماوجب في الكفارات فقوبلت به والثاني في شعرة درهم وفي شعرتين درهمان ويمكن ذلك عن مذهب عطاء والثالث رواه الحميد عن الشافعي في شعرة ثلث درهم وفي شعرتين ثلثا درهم وهناك قول رابع حكاه صاحب الترمذ ان الشعرة الواحدة تقابل بدم كامل وهو اختيار الاستاذ ابي طاهر واما ابو حنيفة فلا يوجب فيما دون الربع شيئا مقدرا وانما يوجب صدقة .

ثم ان الخلاف في الشعرة والشعرتين جار في الظفر والظفرين ولو قلم دون القدر المعتاد كان كما لو قصر الشعر ولو اخذ من بعض جوانب ولم يأت الحساب وان قلنا يجب فيه مد فلا سيل الى تبويضه **واصطياذ** أخذ الصيد وكذا وضع اليد عليه بشراء او غيره قال تعالى وحزم عليكم حيد البر ما دسمت حرم اى اخذه ولو احرم وفي ملكه شيء منه زال ملكه عنه ووجب ارساله ولا فرق في وجوب الجزاء بين ان يكون الصيد مملوكا لانسان او مباحا .

تنبيه ما ليس بمأكول من الحيوانات من الطيور والدواب صنفان ما ليس له أصل مأكول وما أحد أصله مأكول اما صنف الاول فلا يحرم التعرض له بالاحرام ولو قتله المحرم لم يلزمه الجزاء وبه قال احمد وقال ابو حنيفة يجب الجزاء بقتل غير المأكول من الصيد الا الذئب والفواسق الخمس .

ثم الحيوانات الداخلة في هذا الصنف على احزاب منها ما يستحب قتلها للمحرم وغيره وهي المؤذيات بطبيعتها والفواسق الخمس وفي معناه الحية والذئب والاسد والنمر والدب والسنور والعتارب والبرغوث والبق والزنبور ولو ظهر النمل على بدن المحرم أو ثيابه لم يكن له تحيته ولو قتله لم يلزمه شيء وللصبيان حكم القمل ويكره أن يفلأ رأسه ولحيته فان فعل وأخرج منها قملة تصدق ولو بقلعة وهو عند الأكثرين محمول على الإستحباب

ومنها الحيوانات التي فيها منفعة ومضرة كالفهد والصقر والبازي فلا يستحب قتلها لما يتوقع من المنفعة ولا يكره لما يخاف من المضرة .

ومنها التي لا تظهر فيها منفعة ولا مضرة كالخنافس والجملان والسرطان والرخمة والكلب الذي ليس بمغور فيكره قتلها قال الثوري أي كراهة تنزيه وفي كلام بعضهم ما يقتضي التحريم ولا يجوز قتل النمل والخطاف والضفدع لورود النهي عن قتلها وفي وجوب الفداء بقتل الهدد والصرر خلاف مبنى على الخلاف في أكلها .

والصنف الثاني ما أحد أصله مأكول كالمتولد بين الذئب والضبع وبين حمار الوحش وحمار الأهل فيحرم التعرض له ويجب الجزاء فيه احتياطا كما يحرم أكله احتياطا واما الحيوانات الانسية كالنعم والخيل والدجاج فيجوز للمحرم ذبحها ولا جزاء عليه واما ما يتولد من

وأكل ما صيد له وليس رجل محيطاً وستر رأسه

الوحش والانس كالمتولد من الضبع والشاة فيجب في ذبحه الجزاء احتياطاً ﴿وأكل ما صيد له﴾ وذلك لخبر الصحيحين عن أبي قتادة أني يحرم على المحرم أكل ما صاده الحلال لأجله وإن لم يعلم به وإن لم يدل عليه الحرام تنزيلاً لصيد الحلال له منزلة دلالة ولا يحرم على الحلال الأكل منه في هذه الحالة لأن دلالة الحرام الحلال على الصيد لا تحرم الصيد على الحلال كما قاله بعضهم وقرر الشيخ عطية حرمة الأكل على الحلال كالحرم وهو ظاهر لأن قصد الحرام بالاصطيد يؤثر في التحريم أكثر من تأثير الدلالة على الصيد .

واعلم أنه لا يلزم الجزاء بدلالة ولا اعانة ولا أكل ما صيد للمحرم خلافاً للأئمة الثلاثة على تفصيل عندهم وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه لقوله تعالى أحل لكم صيد البحر الآية قال الأصحاب وصيد البحر هو الذي لا يعيش إلا في البحر أما ما يعيش في البر والبحر فهو كالبري والطيور المائية التي تنقص في الماء وتخرج من صيد البر لأنها لو تركت في الماء هلكت والجراد من صيد البر ويجب الجزاء بقتله وبه قال ابن عمر وابن عباس وحكى الموفق بن طاهر قولاً غريباً أنه من صيد البحر لأنه يتولد من روث السمك .

واعلم أن الصيد على قسمين مثلي هو ماله مثل النعم وغير مثلي أما لأول فجزاءه على التخيير والتعديل قال الله تعالى فجزاء مثل ما قتل من النعم إلى قوله صيماً ثم إن مثلي ليس معتبراً على التخفيف وإنما هو على التقرب وليس معتبراً على القيمة بل في الصورة والخلفة لأن الصحابة رضي الله عنهم حكموا في النوع الواحد من الصيد النوع الواحد من النعم مع اختلاف البلاد وتقارب الأزمان واختلاف القيم بحسب اختلافهما فعلم أنهم اعتبروا الخلفة والصورة فما ورد فيه نص فهو متبع وكذلك كل ما حكم فيه عدلان من الصحابة والتابعين أي من أهل عصر آخر من النعم أنه مثل الصيد المقتول يتبع حكمهم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم وقد حكما وعن مالك لا بد من تحكيم عدلين من أهل العصر وما ليس بمثلي كالعصافير وغيرها من الطيور ففيه قيمة وفيه تفصيل يرجع في فروع المذهب ﴿وليس رجل﴾ أي ذكر يتينا فيشمل الصبي ويخرج المرأة فلا يحرم عليها من المحيط الألبس القنازين كما يحرم إبطاً على الرجل بالأولى ﴿محيطاً﴾ بفتح الميم والخاء المعجمة أي شيء فيه خياطة كقميص وقباء وخريطة لخضاب لحية وقنار وسراويل وتبان وخف والمعتبر في اللبس العادية في كل ملبوس أذية يحصل الرفه فلوارتدي بالقميص أو القباء أو الخف بها أو اتزر بالسراويل فلا فدية كما لو اتزر بأزار لفقه من رقاع أو أدخل رجله ساق الخف ولو زار الأزار أو خاطه حرم كما نص عليه في الانلاء .

ويحوز أن يعقد أزاره لارداءه وإن يشد عليه خيطاً ليثبت وإن يجعله مثل الحجرة ويدخل فيه الثكة احكاماً وله أن يلف بوسطه عمامة ولا يعقدها وإن يلبس الخاتم وإن يدخل يده في كم قميص منفصل عنه وإن يبرز طرف رداءه في أزاره ولا يجوز له أن يعقد رداءه ولا أن يخله بنحوسلة ولا يربط طرفه الآخر بخيط ولا بأس بشد المنطقة على الوسط وكذا شد السراويل لحافة النفقة ونحوها وقد روى الترخيص فيها عن عائشة رضي الله عنها أما أثر عائشة فرواه ابن أبي شيبة والبيهقي من طريق القاسم عنها أنها سألت عن الهيمان للمحرم فقالت أوثق نقتك في حقك وروى ابن أبي شيبة نحوه ذلك عن سالم وسعيد بن جبير وطاوس وابن المسيب وعطاء وغيرهم وأما أثر ابن عباس فرواه ابن أبي شيبة والبيهقي من طريق عطاء عنه قال لا بأس بالهيمان للمحرم ورفع الطبراني في الكبير وابن عدي من طريق صالح بن مولى التوأمة عن ابن عباس وهو ضعيف قال الرافعي ويقل عن مالك المنع من شد الهيمان والمنطقة ولم يثبت المشتون في نقل الرواية عنه وكذا لا بأس بتقليد المصحف والسيف قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة متقلدين بسيوفهم عام عمرة القضاء ﴿وستر﴾ بعض ﴿رأسه﴾ أي الرجل بما يعد ساتراً عرفاً سواء بشرته وشعره الذي وراء الأذن فيحرم محيطاً كان أو غيره

وستر امرأة شيئا من وجهها

كالعمامة والعصابة والطيلسان والطين والحناء الشحين لزمت الفدية لخبر الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال في الحرم الذي نحر عن غيره ميتا لا تنحروا رأسه فانه يبعث يوم القيامة ملبيا فلو شدد حرقة على جرح برأسه لزمت الفدية بخلافه في البدن لان الرأس لا فرق فيه بين الخيط وغيره ولا كذلك البدن بخلاف ما لا يعد ساترا كاستغلال بمحمل وان مسه وحمله قفة او عدلا او انغماسه في ماء وتغطيه رأسه بكفه او كف غيره نعم ان قصد بمحمل القفة ونحوها الستر حرم ولزمت الفدية وكذا ان استرخت وصارت له كالطاقة أو نزلت في رقبته وان لم يقصد ما ذكر فان لبس أو ستر ذلك بغير عذر حرم ولزمت الفدية فان كان بعذر من حر او برد أو مداوة كان جرح رأسه فشدد عليه حرقة جاز لكن تلزمت الفدية قياسا على الحلق بسبب الأذى افاده الرمل وغيره .

ثم يبيح خص صاحب التهمة نفى الفدية في صورة الإستغلال بما اذا لم يمسه المظلة رأسه وحكم بوجوبها اذا كانت تمسه قال الرافعي وهذا التفصيل لم أره لغيره وان لم يكن منه بد فالوجه الحاقه بوضع الزنيل على الرأس والأصح فيه أنه لا فدية وعن مالك وأحمد أنه اذا استظل بالمحمل راكبا اقتدى وان استظل به نازلا فلا وروى الأمام الخلاف عن مالك في صورة الإنغماس أيضا والدليل على ما ذكر ما رواه مسلم والنسائي وأبو داود من حديث أم الحصين قالت حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فرأيت أسامة بن زيد وبلال أحدهما أخذ بخطام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة وفي رواية على الرأس رسول الله ﷺ يظله من الشمس .

* فائدة * قال بعض العلماء والحكمة في تحريم لبس المخيط وغيره مما منع منه الحرم أن يخرج الإنسان عن عادته فيكون مذكرا له ما هو فيه من عبادة ربه فيشتغل بها كذا قاله الخطيب في شرح المنهاج «وستر امرأة شيئا من وجهها» وذلك لتهيأ عن النقاب وحكمته انها تستره غالبا فامرت بكشفه لمخالفة عادتها نعم يعنى عما تستره من الوجه احتياطا للرأس ولو أنه عند ابن حجر لأن ما لا يتم الواجب الابه فهو واجب فان أرادت المرأة ستروجهما عن الناس أرخت عليه ما يستره بنحو ثوب متجاف عنه بنحو خشبة بحيث لا تقع على البشرة وسواء أفعلة الحاجة كحر وبرد أم لا كما يجوز للرجل ستر رأسه بنحو مظلة فلو وقعت الخشبة مثلا فأصاب الثوب وجهها بلا اختيار منها فرفعته فوراً لم تلزمها الفدية والالزمتها مع الاثم ولها لبس المخيط وغيره في الرأس وغيره الا القمازين كما مر قال الجوهرى والقماز شيء يعمل لليدين يحشى بقطن ويكون له أزرار تزرع على الساعدين من البرد تلبسه المرأة في يديها ومراد الفقهاء ما يشمل الحشو وغيره .

ويحرم على الخنثى المشكل ستر وجهه مع رأسه وتلزمه الفدية وليس له ستر وجهه مع كشف رأسه خلافا لمقتضى كلام ابن المقرئ في روضه ولا فدية عليه لأننا لانوجبها بالنسك نعم لو أحرم بغير حضرة الاجانب جاز له كشف رأسه كما لو لم يكن محرما قال في المجموع ويسن أن لا يستر بالمخيط لجواز كونه رجلا ويمكحه ستره بغيره هكذا ذكره جمهور الاصحاب وقال القاضي أبو الطيب في التعليق لا خلاف انا تأمره بالستر ولبس المخيط كما تأمره أن يستتر في صلاته كالمرأة وفي احكام الخنثى لابن مسلم ما حاصله أنه يجب عليه ان يستر رأسه وان يكشف وجهه وان يستر بدنه الا بالمخيط فانه يحرم عليه احتياطا قال الاذرعى كالأنثى وما قاله حسن انتهى ولكنه مخالف لما تقدم عن المجموع قال الزيدى واذا استتر الخنثى المشكل رأسه أو وجهه فلا فدية لاحتمال أنه امرأة في الصورة الأولى ورجل في الثانية وان سترهما معا وجبت .

فان فعل شيئا ناسيا أو جاهلا بتحريمه فان كان اتلافا كحلق شعر وقتل صيد وجبت الفدية أو تمتعا كلبس وتطيب فلا ونقل التوى في المجموع قول بعضهم يندب ان يشبه كل أحد بالحرم في عشر ذو الحجة بعدم ازالة شعر وظفر وقول آخرين يندب التعريف في يوم عرفة بالاجتماع بعد الظهر في أى بلد كان للذكر والدعاء تشبها بأهل عرفة ونقل الامام أحمد فعله عن الحسن وجماعة

﴿فان فعل شيئا﴾ من الحرمات المذكورة ﴿ناسيا أو جاهلا بتحريمه فان كان اتلافا كحلق شعر وقتل صيد وجبت الفدية﴾ لأن ضمان الاتلاف لا يختلف بذلك نعم صحح في الروضة عدم وجوب الفدية على الجنون قال بعضهم ومثله مغنى عليه والصبي الذي لا يميز فلا فدية عليه ولا على وليه والفرق بين هؤلاء وبين الجاهل والناسي انهما يعقلان فنسبا الى تقصير بخلاف هؤلاء على ان الجارى على قاعدة الاتلاف وجوبها عليهم ايضا ومثلهم في ذلك النائم وكذا ولي الجنون ويجب على ولي الصبي منعه من مخطورات الاحرام فان ارتكب شيئا منها فالفدية في مال الولي حيث كان ميمزا دون غيره كما مر ﴿أو﴾ كان ﴿تمتعا كلبس وتطيب فلا﴾ تجب الفدية لاتقاء الحرمة فيه مع كونه ليس اتلافا اما العائد العالم بالتحريم فعليه الفدية مطلقا نعم لافدية في قطع ما نبت من الشعر في العين او غطاها او انكسر من الظفر ولا في وطء جراد ومثله بضة عم المسالك بحيث لا يجد بعد لا عنه ولا في صيد قتله دفعا لصلاله او خلصه من فم هرة مثلا ليتداويه او باض في فراشه ولم يمكنه دفعه الا بالتعرض لنحو بضة.

﴿وقتل التوى في المجموع قول بعضهم يندب ان يشبه كل أحد بالحرم في عشر ذى الحجة بعدم ازالة شعر وظفر وقول آخرين يندب التعريف في يوم عرفة بالاجتماع بعد الظهر في أى بلد كان للذكر والدعاء تشبها بأهل عرفة ونقل الإمام أحمد فعله عن الحسن﴾ البصري رحمه الله تعالى ﴿وجماعة﴾ من العلماء الأعلام قال النووي في ايضاحه اختلف العلماء فيه فجاء عن جماعة استحبابه فقد روى عن الحسن البصري انه قال أول من صنع ذلك ابن عباس رضى الله عنهما وقال الاثم سألت أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عن التعريف في الامصار فقال أرغبوا ان لا يكون به بأس وقد فعله غير واحد الحسن وبكر وثابت ومحمد بن واسع كانوا يشهدون المسجد يوم عرفة وكرهه جماعة منهم نافع مولى ابن عمر وابراهيم النخعي والحكم وحماد ومالك بن اسن وغيرهم وصنف الإمام ابو بكر الطرطوشي المالكي الزاهد كتابا في البدع المنكرات وجعل منها هذا التعريف وبالغ في انكاره ونقل أقوال العلماء فيها ولا شك أن من جعلها بدعة ليلحقها بفاحشات البدع بل يخفف امرها بالنسبة الى غيرها.

﴿تمتع﴾ نقل تراب الحرام وحجاره الى حل حرام لحرمة فيجب رده الى الحرم لا ماء زمزم بل ولا يكره كما ذكره بعضهم لاستخلافه ولأنه استهده وهو بالمدينة من سهل بن عمرو عام حديبية رواه البيهقي ولان عائشة كانت تنقله رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه اسنده وزاد البيهقي وكانت تخبر انه كان يفعل ومن هنا قال في المجموع باستحباب نقله تبركا وحكاه عن نصوص الشافعي والأصحاب وعكسه وهو نقل تراب الحل واحجاره الى الحرم مكروه كما قاله في الروضة لكن في المجموع اتفقوا على أنه خلاف الأولى فلا يحدث لها حرمة لم تكن ولا يقال مكروه لعدم ثبوت النهي عنه ومحرم اخذ طيب الكعبة واخذ سترها ومن اخذ منهما شيئا لزمه رده فمن اراد التبرك بها في طيب مسحها بطيب نفسه ثم يأخذه ولو فرق الامام سترها جاز بفرقتها بالبيع والعطاء ويصرفها لبيت المال قاله شيخ الاسلام زكريا وغيره وفي الروضة نقلا عن ابن الصلاح الأمر فيها الى الامام يصرفها في بعض مصارف بيت المال يعا وعطاء لأن عمر رضي الله عنه كان يقسمها على الحاج قال وهو حسن معين ثلاثا بالبلى وبه قال ابن عباس وعائشة وأم سلمة وجوزوا لمن اخذها لبسها ولو حائضا وجنبا وتبعه في المهمات على ان ما قاله النووي هنا يخالف لما وافق عليه الرافعي في آخر الوقف من تصحيح انها تباع اذا لم

﴿فصل في فضل مكة﴾ قال الله تعالى ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة

يبقى فيها جمال ويصرف ثمنها في مصالح المسجد ثم قال ان المسئلة أحوالاً أحدها أن توقف على الكعبة وحكمها مأمور وخطأه غيره بأن الذي مر محله إذا كساها الإمام من بيت المال أبا إذا وقفت فلا يتعلل عالم جواز صرفها في مصالح غير الكعبة وثانيها أن يملكها مالكمها الكعبة فليقيمها أن يفعل فيها ما يراه من تعليقها عليها أو بيعها وصرف ثمنها إلى مصالحها وثالثها أن يوقف شيء على أن يؤخذ ريعه ويكسى به الكعبة كما في عصرنا فان الإمام قد وقف على ذلك بلاداً قال وقد تلخص لي في هذه المسئلة أنه ان شرط الواقف شيئاً من بيع أو إعطاء أو غيره فلا كلام والافان لم يقف الناظر تلك الكسوة فله بيعها وصرف ثمنها في كسوة أخرى وان وقفها شيئاً في غيرها مأمور من الخلاف في البيع نعم بقي قسم آخر وهو الواقع اليوم في هذا الوقف وهو أن الواقف لم يشترط شيئاً من ذلك وشرط تجديدها كل سنة مع علمه بأن بنى شية كانوا يأخذونها كل سنة لما كانت تكسى من بيت المال فهل يجوز لهم أخذها الآن أو تباع ويصرف ثمنها إلى كسوة أخرى فيه نظر المتجه الأول كذا في شرح الروض والله أعلم .

﴿فصل في فضل مكة﴾ مكة والكعبة المعظمة ﴿قال الله تعالى ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة﴾ سبب نزول هذه الآية كما ذكره الحارثي ان اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو أفضل من الكعبة واقدم وهو مأجور الأنبياء وقبلتهم وأرض الحشر وقال المسلمون بل الكعبة أفضل فانزل الله هذه الآية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى أنهم على ملة إبراهيم أكد بهم الله تعالى وأخبر ان إبراهيم كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين وأمرهم باتباعه وقال تعالى في الآية المقدمة فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وكان من أعظم شعائر ملة إبراهيم الحج إلى الكعبة ذكر في هذه الآية فضيلة البيت ليفرغ عليها إيجاد الحج وقوله تعالى ان أول بيت وضع للناس الأول هو الفرد السابق المتقدم على ما سواه وهل هو اسم للشيء الذي يوجد ابتداء سواء حصل عقبه شيء آخر أو لم يحصل والمعنى ان أول بيت وضع للناس أي وضعه الله وضعا للطاعات والعبادات وقبلة للصلاة وموضعاً للحج وللطواف تزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سواء العاكف فيه والباد .

فان قلت كيف أضافه لنفسه مرة في قوله وطهر يسي وأضافه للناس أخرى بقوله وضع للناس قلت أضافته إلى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله تافقه الله وأما أضافته إلى الناس فلا نه يشترك فيه جميع الناس لأنه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذي ببكة قيل هي مكة نفسها والعرب تعاقب بين الباء والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل بكه اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفي اشتقاق بكه وجهان أحدهما أنه من البك الذي هو عبارة عن الدفع بكه بكه إذا دفعه وزاحمه ولهذا قال سعيد بن جبير سميت بها لأن الناس يتباكون فيها أي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقرى ومجاهد وقادة الوجه الثاني سميت بكه لأنها بك أعناق الجبابرة أي تدقها ولم يقصد ما جبار يسؤ الاقصه الله تعالى وهذا قول عبد الله بن الزبير .

وأما مكة فسميت بذلك لقلة ما فيها من قول العرب مك الفصل ضرع أمه وامتكه إذا مضى كل ما فيه من اللين وقيل لأنها تمك الذنوب أي تزيلها وسميت مكة أم رحم لأن الرحمة تنزل بها والحاطمة لأنها تحطم من استخف بجرمها ولأن الناس يحطم بعضهم بعضاً من الرحمة وسميت أم القرى لأنها أم كل بلدة ومن تحتها دجت الأرض .

واختلف العلماء في كون البيت أول بيت وضع للناس على قولين أحدهما أنه أول في الوضع والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرض وفي رواية عنه ان الله خلق موضع البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بالقي عام وقيل هو أول بيت

مباركا وهدى للعالمين وفيه آيات بينات مقام إبراهيم

ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض خلقه قبل الأرض بالفى عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدجت الأرض من تحته وهذا قول ابن عمرو ومجاهد وقتادة والسدى وقيل هو أول بيت بنى على الأرض وروى عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أن الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين في الأرض أن ينووا بيتا في الأرض على مثاله وقد ربه فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وأمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وروى أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بالفى عام وكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت له الملائكة برحمتك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو أول بيت بناه آدم في الأرض قيل إن آدم لما هبط إلى الأرض استوحش وشكا وحشة فامرأه الله تعالى ببناء الكعبة فبنوها وطاف بها وبقي ذلك البناء إلى زمان نوح عليه الصلاة والسلام فلما كان الطوفان رفع الله البيت إلى السماء وبقي موضع البيت أكمة بيضاء إلى أن بعث الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام فأمر ببنائه .

القول الثاني أن المراد من الأولية كون هذا أول بيت وضع للناس مباركا ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى للذي ببكة مباركا وروى أن رجلا قام إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الأرض قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا وقال الحسن هو أول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو أول بيت وضع للعبادة وقال الضحاك هو أول بيت وضع فيه البركة وأول بيت وضع للناس ينجح إليه وأول بيت جعل قبله للناس روى الشيخان عن أبي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض قال المسجد الحرام قلت ثم أتى قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركت الصلاة فصل زاد البخاري فإن الفضل فيه .

وقوله عز وجل ﴿مباركا﴾ يعنى ذا بركة وأصل البركة النمو والزيادة وقيل ثبوت الخير الإلهي فيه وقيل أول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لأن الطاعات وسائر العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام ﴿وهدى للعالمين﴾ يعنى أنه قبله للمؤمنين يهتدون به إلى جهة صلاحهم وقيل لأن فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الآيات التي لا يتدرع عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين إلى الجنة لأن من قصده بأن صلى إليه أوجبه فقد أوجب الله تعالى له الجنة برحمته ﴿فيه آيات بينات﴾ أى فيه دلالة واضحة على حرمة ومزيد فضله .

ثم اختلفوا في تفسير تلك الآيات فقيل هى قوله مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا وقيل الآيات غير المذكورة وهى ما يدل على فضل هذا البيت منها أن الطير لا يطير فوق الكعبة في الهواء بل ينحرف عنها إذا وصل إليها من شمالا ومنها أن الوحوش لا تؤذى بعضها في الحرم حتى الكلاب لا تهيج الظباء ولا تصطادها ومنها أن الطير إذا مرض منه شيء استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمه البيت وما قصده جبار بسوء الأهل كالله كما أهلك أصحاب الفيل وغيرهم من الآيات التي فيه الحجر الأسود والمثلزم والحطيم وزمزم وشاعر الحج التي فيه كلها الآيات ومنها أن الأمر ببناء هذا البيت هو الجليل والمهند من له جبريل والبانى هو إبراهيم الخليل والمساعد في بنائه هو اسمعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت ﴿مقام إبراهيم﴾ يعنى الحجر الذي كان يقوم عليه عند بنائه وكان فيه أثر قدمي إبراهيم

ومن دخله كان آمنا ﴿وروي﴾ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله أنك خير أرض الله وأحب أرض الله إلى ولولا أني أخرجت منك ما خرجت

وسبب هذا الأثر أنه لما ارتفع ببيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجرة ففاضت فيه قدماءه وقيل أنه جاء زائرا من الشام إلى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عليه السلام أنزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعه على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حوله إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقى أثر قدمته ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ قيل لما كانت الآيات المذكورة عقيب قوله تعالى أن أول بيت وضع للناس موجودة في جميع الحرم على أن المراد بقوله ومن دخله كان آمنا جميع الحرم وبدل عليه أيضا دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا يعني من أن يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم آمن من القتل والغارة وهو المراد من حكمة الآية على قول أكثر المفسرين قال الله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم .

وقيل في معنى الآية ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله ﷺ كان آمنا وقيل هو خبر بمعنى الأمر تقديره ومن دخله فآمنوه وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما حتى ذهب أبو حنيفة إلى أن من وجب عليه القتل قصاصا كان أو حدا فالتجأ إلى الحرم فانه لا يستوفى منه القصاص أو الحد في الحرم لكنه لا يطعم ولا يباع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعي رحمه الله تعالى إذا وجب عليه القصاص خارج الحرم استوفى منه في الحرم وأجمعوا على أنه لو قتل في الحرم أو سرق أو زنى فانه يستوفى منه الحد في الحرم عقوبة له .

وقيل في معنى الآية ومن دخله معظما له مقربا بذلك إلى الله تعالى كان آمنا من العذاب يوم القيامة لقوله عليه الصلاة والسلام من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا من النار وعنه عليه الصلاة والسلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام . وقيل من دخله كان آمنا من الذنوب التي اكتسبها قيل ذلك والله أعلم .

﴿وروي أن رسول الله ﷺ﴾ لما عاد إلى مكة استقل الكعبة و﴿قال والله أنك خير أرض الله وأحب أرض الله إلى ولولا أني﴾ أخرجت منك ما خرجت ﴿قال العراقي ورواه الترمذي وصححه النسائي في الكبرى وابن ماجه وابن حبان من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء انتهى وعبد الله بن عدي هذا زهري له صحبة روى عنه أبو سلمة ومحمد بن جبير وهو من رجال الترمذي والنسائي وابن ماجه ولفظ الترمذي والنسائي أن عبد الله بن عدي سمع رسول الله ﷺ وهو واقف على راحلته على الحزورة من مكة وهو يقول لمكة والله أنك خير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك وأخرج ابن حبان في السماسيم والأنواع وسعيد ابن منصور في سننه قال الطبري في مناسكه وذكره رزني عن العطاء من حديث أبي سلمة عن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ولم أره في مطاء يحيى بن يحيى وأخرجه أحمد وقال وهو واقف بالحزورة في سوق مكة وأخرجه رزني أيضا عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة وقف عند الحزورة وقال ما أطيبك إلى ولولا أن قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك وعلم عليه علامة الموطأ ولم أره في مطايحي بن يحيى .

﴿تنبيه﴾ أعلم أن مكة والمدينة زادهما الله شرفا وتعظيما أفضل بقاع الأرض بالاجماع وذكر القاضي عياض أن موضع قبر نبينا عليه الصلاة والسلام أى ما ضم أعضاء الشرفة أفضل بقاع الأرض بالاجماع للقول سيد الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة

والسلام فيه قال الشكري رحمه الله تعالى :

جزم الجميع بان خير الارض ما ✽ قد حاط ذات المصطفى وحوها

ونعم لقد صدقوا ساكنها علت ✽ كالنفس حين ذكرت زكى ما وها

ثم اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في أن مكة شرفها الله أفضل أم المدينة الشريفة فذهب الامام مالك بن أنس رضي الله عنه الى أن المدينة أفضل من مكة وهو المشهور المذهب وقول سيدنا عمر بن الخطاب وقول أكثر علماء المدينة وذلك لما رواه الطبراني والدارقطني من حديث رافع بن خديج المدينة خير من مكة نقله في الجامع الصغير روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا مسجد الحرام قال ابن نافع وغيره في الرواية عن مالك وجماعة من أصحابه ان معنى الحديث ان الصلاة في مسجده ﷺ أفضل من الصلاة في سائر المساجد بألف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ أفضل من الصلاة في المسجد الحرام بدون ألف أى أقل من ألف واحتجوا بما روى في مسند الحميدى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في مسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه فتأتى فضيلة مسجد رسول الله ﷺ تسع مائة وعلى غيره بألف وفيه ان هذا الحديث يدل على أن الصلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة في مسجد المدينة لأنه داخل فيما سواه من غير ذكر استثناء وفي مبناء فلا يتم الاحتجاج به المؤدى الى تفضيل المدينة على مكة ولما روى ايضا أن النبي ﷺ قال حين خرج من مكة الى المدينة اللهم انك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد الى فاسكنى أحب البلاد اليك رواه الحاكم في المستدرک وما هو أحب البقاع الى الله يكون أفضل والظاهر استجابة دعائه ﷺ وقد أسكنه الله في المدينة المنورة فتكون أفضل البقاع وخالف في ذلك ابن عبد البر من المالكية حيث قال قوله المدينة خير من مكة هذا الحديث ضعيف لا يحتج به وقيل انه موضوع وقوله أنهم أخرجوني الخ أجاب منه ايضا في الاستدلال بعدم صحته وعدم اختلاف أهل العلم في نكارة ووضعه وقوله في نكارة ففى المواهب وكان قوله ﷺ حين خرج من مكة والله انك لأحب ارض الله الى وانك لأحب ارض الله الى الله لولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت قال القسطلاني وهذا أحسن ما يحتج به على فضل مكة .

وذهب اهل مكة والكوفة ومنهم الامام أبو حنيفة واصحابه والامام الشافعى واصحابه والامام أحمد بن حنبل واصحابه وجماعة من اصحاب الامام مالك كطاء وابن حبيب في رواية عنه وابن وهب وسفيان الثوري وحماة وعلقمة رضي الله عنهم أجمعين الى أن مكة أفضل من المدينة لحديث النسائي وابن ماجه والترمذي وحسنه وصححه عن عبد الله بن عدى بن حراء كما تقدم ذكره وحملوا الاستثناء في الحديث المذكور على ظاهره وان الصلاة في المسجد الحرام أفضل لحديث عبد الله بن زبير ان النبي ﷺ قال صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في مسجدى رواه أحمد وابن حبان في صحيحه فهذا منطوق وقع صريحا فلا يعارضه مفهوم وان كان صحيحا ولا معنى للفضل بهما عندهم الا ان العمل في احدهما أكثر من العمل في الأخرى ورد ذلك مالك بان اسباب التفضيل لا تنحصر في مزيد المضاعفة فالصلوات الخمس بمنى عند التوجه لعرفة أفضل منها بمسجد مكة وان اتقت عنها المضاعفة أيضا ورد في حديث آخر ان خير بلد على وجه الارض وأحبها الى الله مكة هذا لا يرتاب في الفضائل التي أثبتها الله تعالى لبلده الحرام ولقد أحسن القائل في مدحها حيث قال :

أرض بها البيت المحرم قبله ✽ للعالمين له المساجد تعدل

حرم سرام أرضها وصيودها ✽ والعبد في كل البلاد محال

﴿وروي﴾ ما على وجه الأرض بلدة يرفع الله تعالى فيها الحسنة الواحدة بمائة ألف حسنة إلا مكة ومن صلى فيها صلاة رفعت له مائة ألف صلاة ومن صام فيها يوما كتب الله له صوم مائة ألف يوم ومن تصدق بدرهم كتب الله له مائة ألف درهم صدقة ومن ختم القرآن مرة واحدة كتب الله له مائة ألف ختمة ومن سبح الله تعالى فيها مرة كتب الله له مائة ألف بغيرها وليوم واحد في حرم الله وأمنه أرجى لم وأفضل من صيام الدهر وقيامه في غيرها من البلدان

وبها المشاعر والمناسك كلها ✽ الى فضيلتها البرية ترحل
وبها المقام وخوض زمزم مشرعا ✽ والحجر والركن الذي لا يرحل
والمسجد العالي الحرم والصفا ✽ والمشعران لمن يطوف ويرمل
وبمكة الحسنات ضوعف اجرها ✽ وبها المسمى عنه الخطايا تغسل

واعلم أن العلماء صرحوا بأن هذه المضاعفة فيما يرجع الى الثواب فقط ولا يتعدى ذلك الى اجزاء عن الفوائد حتى لو كان عليه صلاتان فصلى في مسجد مكة أو المسجد النبوي أو الأقصى صلاة لم تجزعه عنهما وهذا لا خلاف فيه بين العلماء خلافا لما يفتريه بعض الجهلة قال الباجي والذي تقتضيه الأحاديث الواردة في فضل المسجدين مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد وكذا مسجد الرسول ولا يعلم منها حكم مكة والمدينة في التفاضل الا ان حديث حسبات الحرم بمائة ألف ان ثبت صرح في ان نفس مكة أفضل من نفس المدينة.

﴿واعلم ايضا﴾ ان هذه المضاعفة لا تختص بالصلوات بل كل حسنة يعملها العبد في الحرم بمائة ألف بدليل ما ﴿وروي﴾ ما على وجه الأرض بلدة يرفع الله تعالى فيها الحسنة الواحدة بمائة ألف حسنة إلا مكة ومن صلى فيها صلاة ﴿ورفعت له مائة ألف صلاة ومن صام فيها يوما كتب الله له صوم مائة ألف يوم ومن تصدق بدرهم كتب الله له مائة ألف درهم صدقة ومن ختم القرآن مرة واحدة كتب الله له مائة ألف ختمة ومن سبح الله تعالى فيها مرة كتب الله له مائة ألف مرة ﴿بغيرها﴾ الى غير ذلك من أعمال البر كذا في مناسك الصاوي ﴿وليوم واحد في حرم الله وأمنه أرجى لك وأفضل من صيام الدهر وقيامه في غيرها من البلدان﴾.

واختلف العلماء ايضا في المجاورة بمكة زادها الله شرفا فذهب الامام مالك والشافعي واحمد بن حنبل وأبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وابن القاسم صاحب مالك رضي الله عنهم الى انها مستحبة كذا قاله القاضي تقي الدين في تاريخه وروى عن الحسن البصري في رسالة ينصح بها اخاله المهاجرة من مكة يأخى ثم اياك والظعن منها شبرا واحدا فان المقام بها سعادة والخروج منها شقاوة وياك ثم اياك والقلق والفجر وعليك بالصبر والصمت والحلم فانك تغلب بهذا الشيطان الرجيم وياك ثم اياك والخروج منها والانتزعاج عنها فانك في خير ارض الله وأحب ارض الله تعالى وأفضلها عنده وأعظمها قدرا واشرفها عند الله نسأل الله أن يوفقنا وياك للخيرات فانه الحنان المنان والاحول والاقوة الابال الله العلي العظيم.

وذهب الامام أبو حنيفة وبعض أصحاب الشافعي الى كراهة المقام بمكة ومنهم ابن رشد ذلك من كلام وقع لمالك حيث سئل هل الحج والجوار أحب اليك أو الحج والرجوع فقال ما كان الناس الا على الحج والرجوع والظاهر انه لا يقتضيهما والله اعلم. وسبب الكراهة عند الامام الاعظم خوف سقوط حرمة بيت الله الشريف في نظره الى أن تذهب من قبله الهيبة بالكلية فيكون بيت الله في نظر القاصر كسائر البيوت والعباد بالله أو نقص الهيبة والحرمة الاولى في نظره كما هو شأن سائر الناس في الأكثر الامن حفظه الله تعالى وحيث كان هو

﴿وروى﴾ من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وأعطى من الحسنات بعدد كل من صلى خلفه أضعافاً وأمنه الله تعالى يوم القيامة من الفرع الأكبر وأمر عز وجل جبريل وميكائيل وجميع الملائكة أن يستغفروا له إلى يوم القيامة

الأكبر من حكم الناس أنيط به حكم الكراهة فاقامة المسلم في وطنه وهو مشتاق إلى مكة باق حرمته في نظره خير له وأسلم من مكانه بمكة من غير احترام لها أو مع نقصان احترامه ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدور على الحاج بعد قضاء النسك بالذرة ويقول يا أهل اليمن بمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم فإنه أبغى الحرمات بيت ربكم في قلوبكم وقال أبو عمر الزجاجة من جاور بالحرم وقلبه متعلق بشيء سوى الله تعالى فقد ظهر خسارته وقال بعض السلف رحمه الله كم من رجل يخرسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به كما قيل :

وكم من بعيد الدار نال مراده ~~من~~ وكم من قريب الدار مات كغيابه

وماذكر من كراهة المجاورة مبنى على ضيق الخلق عن مراعاة حرمة الحرم الشريف وقصورهم عن الوفاء بقيام حق البيت الشريف والأقمن أمكنه الاحتراز عن ذلك وعرف من نفسه القدرة على الوفاء بجمرة بيت الله تعالى وتعظيمه وتوقيره على وجه تبقى معه حرمة بيت الله الشريف وجلاله وهيبته وعظمته في عينه وقلبه كما كان عند دخوله في الحرم الشريف ومشاهدته بيت الله تعالى فالإقامة هي الفضل العظيم والفوز الكبير ولاشك في تضاعف الحسنات بها وأما تضاعف السيئات فأكثر العلماء على عدم تضاعفها ولاشك في تودد الأولياء إليها في الأوقات الفاضلة وورد أنهم يحضرون الجمعة والأوقات الشريفة ويحجون كل عام .
واعلم أنه قد ورد في فضل أهلها أحاديث شهيرة منها ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله لو حان من ياقوتة حراء ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة مائة وثمانون نظرة رحمة ومائة وثمانون عقاب وإن أول من ينظر الله تعالى بالرحمة أهل مكة فمن رآه قائماً صلى غفر له ومن رآه طائفاً غفر له ومن رآه جالساً مستقبل القبلة غفر له ويقول الملائكة وهو أعلم بذلك ربنا لم يتبق إلا النائمون فيقول تبارك وتعالى النائمون حول البيت الحقوهم بهم .

﴿وروى﴾ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ﴿من صلى خلف المقام﴾ أي مقام إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ﴿ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وأعطى من الحسنات بقدر كل من صلى خلفه أضعافاً﴾ مضاعفة ﴿وأمنه الله تعالى يوم القيامة من الفرع الأكبر وأمن﴾ الله ﴿عز وجل جبريل وميكائيل وجميع الملائكة﴾ كذا في رواية وفي أخرى بلفظ وجميع الملائكة ﴿أن يستغفروا له إلى يوم القيامة﴾ كذا في مناسك الصاوي والبناني على الخطاب والمقام عبارة عن الحجر الذي أنزل من الجنة فقام عليه سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعن عبيد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولم يطمس نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال هذا يروى عن ابن عمر رضي الله عنهما موقوفاً .

﴿قائدة﴾ قال بعضهم صلاة واحدة بالمسجد الحرام تفضل ثواب من صلى ببلده فرادى عمر نوح عليه السلام بنحو الضعيف قال فإن انضم لذلك أنواع أخرى من الكمالات عجز الحساب عن حصر ثوابه واختلف العلماء في الصلاة والطواف في المسجد الحرام أيهما أفضل فقال ابن عباس بن مسعود بن جبير وعطاء ومجاهد الصلاة لأهل مكة أفضل وأما لغيرها فالطواف لهم أفضل وقال صاحب الحاروي الطواف أفضل .

﴿وروى﴾ من طاف حول بيت الله سبعا في يوم صائف شديد الحر حاسرا عن رأسه واستلم الحجر الأسود في كل طوفة من غير أن يؤذي أحدا وقل كلامه إلا من ذكر الله كب له بكل قدم يرفعها سبعون ألف حسنة ومحى عنه سبعون ألف سيئة ورفع له سبعون ألف درجة وفضل المشى على الراكب كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴿وروى﴾ من طاف بالبيت خمسين مرة يعني خمسين أسبوعا خرج من ذنوبه كولدته أمه ﴿وروى﴾ أن الحجر الأسود يشهد لمن استلمه وقبله من أهل الدنيا وأنه شافع مشفع وأنه كان أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك ولولا ذلك ما سمى ذو عاهدة إلا شفى

﴿وروى﴾ من طاف حول بيت الله سبعا في يوم صائف أي ﴿شديد الحر حاسرا﴾ أي كاشفا ﴿عن رأسه واستلم الحجر الأسود في كل طوفة من غير أن يؤذي أحدا وقل كلامه إلا من ذكر الله كب له بكل قدم يرفعها سبعون ألف حسنة ومحى عنه سبعون ألف سيئة ورفع له سبعون ألف درجة وفضل المشى﴾ أي في الطواف ﴿على الراكب كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروى﴾ عن أبي عمرو من طاف بالبيت سبعا وصى ركعتين كان كعتق رقبة وروى الترمذي عن ابن عباس ﴿من طاف بالبيت خمسين مرة يعني خمسين أسبوعا﴾ وقد ورد كذلك في رواية الطبراني في الأوسط قال وليس المراد أن يأتي بها متوالية في آن واحد وإنما المراد أن توجد في ضيقة حسنة ولو في عمره كله ﴿خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه﴾ أي فيظهر من جميع الذنوب الصفات قال الترمذي هذا حديث غريب

﴿وروى﴾ في أحاديث أن الحجر الأسود من الجنة وأنه يرفع ينماهم يطوفون به إذا أصبحوا وقد قدوه وأنه يبعث يوم القيامة وله عينان ينصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلم بحق وفي رواية ﴿أن الحجر الأسود يشهد لمن استلمه وقبله من أهل الدنيا وأنه شافع مشفع﴾ سنده حسن كفا في الزواجر وكذلك سندها في الركن اليماني يوم القيامة أعظم من أبي قيس له لسان وشفطان ﴿وأنه كان أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا أهل الشرك ولولا ذلك ما سمى ذو عاهدة﴾ وآفة ﴿الاشفى﴾ وسنده حسن وأنه نزل من السماء فوضع على أبي قيس كأنه مهة أي بالقصر بلورة بضاء فمكث أربعين سنة ثم وضع على قواعد إبراهيم.

وصح وقفه على ابن عمر رضي الله عنهما وهو لا يقال من قبل الرأي وأنه يمين الله في الأرض يصفح بها عباده أي بمنه وبركه ينزلها عليهم إذا استلموه وقبله عمر رضي الله عنه ثم قال اني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى غلاشجه فالتفت الى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ههنا تسكب العيرات وتستجاب الدعوات فقال على بلى يا أمير المؤمنين هو يضر وينفع قال وبما قال بكاب الله عز وجل قال وأين ذلك من كتاب الله عز وجل قال قال الله تعالى وإذا أخذت ربك من بني آدم عن ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا قال فلما خلق الله عز وجل آدم مسح ظهره فأخرج ذرية من ظهره فقررهم أنه الرب وأنهم العبيد ثم كب ميثاقهم في رق وكان هذا الحجر له عيان ولسان فقال له افتح فاك قال فأنعمه ذلك الرق وجعله في هذا الموضع فقال تشهد لمن وافاك بالموافقة يوم القيامة قال فقال عمر أعود بالله أن أعيش في قوم ليست فيهم يا أبا الحسن وفي منير العزم لأبي الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ ان الله لما أخذ من بني آدم ميثاقهم جعله في الحجر.

وقال الطبري في مناسكه وإنما قال عمر ما قال في تقيل الحجر والله اعلم لأن الناس كانوا حذيثي عهد بعبادة الأصنام فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر هو مثل ما كانت العرب تفعله فأراد عمر أن استلامه لا يقصد به الاتظيم لله عز وجل والوقوف عند أمره وان ذلك من شعائر الحج التي أمر الله بتظيمها وان استلامه مخالف لفعل الجاهلية في عبادتهم الأصنام لأنهم كانوا يعتقدون انها

﴿وروي﴾ لا يدخل أحد الكعبة إلا برحمة الله ولا يخرج منها إلا بمغفرة الله عز وجل

تقرهم إلى الله زلفى فنبه عمر على مخالفة هذا الاعتقاد وأنه لا ينبغي أن يعبد إلا من يملك الضرر والنفع وهو الله جل وعلا.

وفي المناسك للمحب الطبري عن ابن عباس مرفوعاً ينزل على هذا البيت كل يوم ليلة عشرون ومائة رحمة ستون منها للطائفين بالبيت وأربعون للعاكفين حول البيت وعشرون للناظرين إلى البيت وفي رواية قال قال ﷺ ينزل على أهل المسجد مسجدة مكة كل يوم عشرون ومائة رحمة الحديث وقال فيه وأربعون للمعلمين ولم يقل للعاكفين قال أخرجهما أبوذر الهردى والأزرقى ولا تضاد بين الروايتين بل يريد بمسجدة مكة البيت ويجوز أن يريد مسجد جماعة وهو الأظهر ويكون المراد بالتزبل على البيت التزبل على أهل المسجد ولهذا أقسمت على أنواع العبادات الكائنة في المسجد وقول ستون للطائفين الخ يحتمل في تأويل القسم بين كل فريق وجهان الأول قسمة الرحمت بينهم على المسمى بالسوية لأعلى العمل بالنظر إلى قلته وكثرته وصورته وما زاد على المسمى فله ثواب من غير هذا الوجه . الوجه الثاني وهو الأظهر قسمتها بينهم على قدر العمل لأن الحديث ورد في سياق الحث والتخفيض وما هذا سبيله لا يستوى فيه الأثني بالأقل والأكثر .

ثم إن الرحمت متنوعة بعضها أعلى من بعض فرحمة يعبرها من المغفرة وأخرى عن الرضا وأخرى عن القرب إلى الله وأخرى عن تبوي مقعد صدق وأخرى عن النجاة من النار هكذا إلى ما لا نهاية له إذ لا معنى للرحمة إلا العطف فتارة يكون باكتساب نعمة وتارة بدفع وكلاهما يتنوعان إلى ما لا نهاية له ومع هذا التنوع كيف يفرض التساوي بين المقل والمكثر والمخلص وغير المخلص والحاضري قبله والساهي والخاشع وغير الخاشع بل ينال كل رحمت الله بقدر علمه وما يناسبه من الأنواع هذا هو الظاهر ثم يحتمل أن يحصل لكل طائف ستون رحمة ويكون ذلك العدد بحسب عمله في ترتيب بأعلى الرحمت وأوسطها وأدناها . ويحتمل أن جميع الستين بين الطائفتين كلهم وأربعين بين المعلمين والعشرين بين الناظرين ويكون القسم بينهم على حسب أعمالهم في العدد . والوصف حتى يشترك الفقير في رحمة واحدة من تلك الرحمت وينفرد الواحد برحمت كثيرة فالتفضيل في الرحمت بين أنواع المتعبدين بأنواع العبادات الثلاث أول دليل على أفضلية الطواف على الصلاة والصلاة على النظر إذا تساوا في الوصف هذا هو المبادر إلى الفهم فنخص به بما ورد فضله من العبادات أو تقول في الطواف نوع من الصلاة ولا ينكر أن بعض الصلوات أفضل من بعض ووجه تفضيل هذا النوع من الصلاة وهو الطواف على غيره من الأنواع ثبوت الإخصية له بمتعلق الثلاثة وهو البيت الحرام والاختفاء بذلك وإنما كانت الصلاة على تنوعها لم تشرع للعبادة والنظر قد يكون عبادة إذا قصد تعبد به وقد لا يكون وذلك إذا لم تقيد به قصد التعبد وكثير من العلماء يذهب في توجيه اختلاف القسم بين الطائفتين والمصلين والمناظرين فإن الرحمت المائة والعشرون قسمت ستة أجزاء فجعل جزء للناظرين وجزآن للمصلين لأن المصلي ناظر في الغالب فجزء للنظر وجزء للصلاة والطائف لما اشتمل على الثلاثة جزء للنظر وجزء للصلاة وجزء للطواف وهذا القائل لا يثبت للطواف أفضلية على الصلاة وما ذكرناه أولى .

﴿وروي﴾ أنه ﴿لا يدخل أحد الكعبة إلا برحمة الله ولا يخرج منها إلا بمغفرة الله عز وجل﴾ وذلك بشرط أن لم يؤذ أحدًا ولا يتأذى هو فإن آذى أو تأذى لم يدخل وهذا مما ينط في كثير من الناس فيزاحمون رحمة شديدة بحيث يؤذى بعضهم بعضاً وربما انكشفت عورة بعضهم أو كثير منهم وربما زاحم المرأة وهي مكشوفة الوجه واليد وهذا كله خطأ يفعل جهلة للناس ويغتر بعضهم ببعض وكيف ينبغي للعاقل أن يرتكب الآذى المحرم ليحصل أمر الوسلم من الآذى لكان سنة وأما مع الآذى فليس بسنة بل حرام وإذا دخل البيت فليكن شأنه الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بحضوع وخشوع مع حضور القلب وليكثر من الدعوات المهمة ولا يشتغل بالنظر إلى ما يليه بل يلزم الأدب

﴿وروى﴾ النظر إلى الكعبة عبادة ومن نظر إلى البيت إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وحشر يوم القيامة من الآمنين ﴿وروى﴾ من مرض بمكة يوما واحدا حرم الله جسده على النار ﴿وروى﴾ ما من أحد يدعو عند الركن الأسود إلا استجيب له وكذلك عند الركن اليماني

وليعلم أنه في أفضل الأرض وقد روى عن عائشة رضي الله عنها قالت عجا للمرء المسلم إذا دخل الكعبة كيف يرفع بصره قبل السقف ليدع ذلك اجلالا لله تعالى واعظاما دخل رسول الله ﷺ الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها .

﴿وروى النظر إلى الكعبة عبادة﴾ هذا قد روى مرفوعا من حديث عائشة أخرجه أبو الشيخ الأجهاني وهو في مصنف ابن أبي شيبة من طرق كثيرة ﴿وقال﴾ كما في رسالة الحسن البصري ﴿من نظر إلى البيت إيمانا واحتسابا﴾ أي طالبا للأجر ﴿غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين﴾ وقال ﷺ كما فيها أيضا من نظر إلى البيت نظرة من غير طواف ولا إفاضة كان عند الله عز وجل أفضل عبادة سنة بغير مكة صائما وقائما وراكعا وساجدا وأخرج الأزرقى عن ابن المسيب من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا خرج من الخطايا كيوم ولدته أمه وابن الجوزي عن أبي السائب والجندی عن ابن المسيب من نظر إلى الكعبة إيمانا وتصديقا تحانت عنه الذنوب كما تحانت الورق من الشجر .

وقد حكى أن امرأة دخلت مكة فجعلت تقول أين بيت ربى أين بيت ربى فقيل لها الآن ترينه فلما لاحت قالوا هذا بيت ربك فأسرعت نحوه وأصغت جنبها بجانب البيت فأرقت دموعا من غلبة الحال عليها قال في شرح ضياء السالك وأشد لسان حالها :

هذه ذراهم وأنت حب محمد ﷺ ما بقاء الحياة في الأجساد

ويروى عن أبي الفضل الجوهري أنه لما دخل الحرام ونظر إلى الكعبة ودخله الطرب قال هذه دار المحبين فأبى المحبوب هذه إسرار القلوب فأبى المشاقون هذه ساعة انهمال الدموع فأبى الباكون ثم شق شقة وأشد هذه دارهم الخ . قال ابن حجر وابن علان ولا مانع من وقوع ذلك من كل منهما .

* تنبيه * قد ورد أنه يستجاب دعاء المسلم عند رؤية الكعبة روى البيهقي والطبراني في معجمة الكبير عن أبي أمامة ؓ قال قال رسول الله ﷺ تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء في أربع مواطن عند التماء الصفوف وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلاة وعند رؤية الكعبة فينبغي للإنسان أن يدعو بما أحب من أمر الدنيا والآخرة والأهم سؤال المغفرة والموت على الإسلام وكتابة حول الموقف ورضوان الله تعالى والنظر إلى وجهه من غير سابقة عذاب ﴿وروى﴾ من مرض بمكة يوما واحدا ﴿أو مع عدم الجزع كما هو ظاهر﴾ حرم الله جسده على النار وروى ما من أحد يدعو عند الركن الأسود الاستجيب له وكذلك عند ركن اليماني ﴿ما ثورا كان الدعاء أو غيره وإن كان المأثور أفضل فأحسن دعاء ما ورد في الكتاب والسنة ثم ما فتح به على العبد أي ألقى على قلبه من غير تصنع فانه أفضل من جميع الدعوات التي لم ترد في الكتاب والسنة . وأخرج الأزرقى في تاريخ مكة عن ابن أ طالب ؓ أنه كان إذا مر بالركن اليماني قال بسم الله والله أكبر السلام على رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر والذل وموافق الخزي في الدنيا والآخرة ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار . وأخرج أيضا عن سعيد بن المسيب أن النبي ﷺ إذا مر بالركن قال ذلك . وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال وكل به سبعون ملكا يعني الركن اليماني فمن قال اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة اللهم آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار قالوا آمين . وأخرج أبو ذر الهروي

﴿وروى﴾ ما على وجه الأرض بلدة يستجاب فيها الدعاء في خمسة عشر موضعا إلا مكة أولها جوف الكعبة والدعاء فيها مستجاب والدعاء عند الحجر الأسود مستجاب والدعاء عند الركن اليماني مستجاب والدعاء تحت الميزان مستجاب والدعاء في الحجر مستجاب والدعاء في الملتزم مستجاب والدعاء خلف المقام مستجاب والدعاء عند بئر زمزم مستجاب والدعاء على الصفا مستجاب والدعاء على المروة مستجاب والدعاء في الموقف مستجاب والدعاء عند مشعر الحرام مستجاب والدعاء عند الجمرات الثلاث مستجاب

في مناسكه عن ابن عباس مرفوعا ما مررت بالركن اليماني الا وعنده ملك ينادي يقول آمين آمين فاذا مررت به فقولوا اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار . ولا تضاد بين الحديثين فان السبعين موكلون به لم يكلفوا قول آمين دائما وانما عند سماع الدعاء والملك كلف أن يقول آمين دائما سواء سمع الدعاء أو لم يسمعه وعلى هذا يحمل ما روى عن ابن عباس من وجه آخر مرفوعا قال : على الركن اليماني ملك موكل به منذ خلق السموات والأرض فاذا مررت به فقولوا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار فإنه يقول آمين آمين أخرجه ابن الجوزي في المثير العزم وإن كان ظاهر لفظه يدل على أن تأمينه عند الدعاء لكنه محتمل لما ذكرناه ويكون التقدير فإنه يقول آمين آمين دائما فيحمل عليه جمعا بين الحديثين وحملهما على معنيين وذكر الغزالي أنه اذا بلغ الحجر الأسود قال اللهم اغفر لي برحمتك وأعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر أخرج أبوذر الهروي عن أبي شعبة قال كنت أطوف مع ابن عمر فاذا حاذى بالركن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير حتى اذا حاذى بالحجر قال اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار فقلت ما سمعتك تريد على هذا فقال ألتست قد شهدت بكلمة الاخلاص وأثبتت على الله تعالى وسأله الخير كله واستعذت به من الشر كله والظاهر من هذا السياق انه يريد بالركن كل ركن فكأنه يستوعب طوافه بذلك الذكر والدعاء . وعن ابن أبي نجيح قال كان أكثر كلام عمر وعبد الرحمن بن عوف في الطواف ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار وعن حبيب بن صهيب قال رأيت عمر بن الخطاب وهو يطوف بالبيت وماله هجيرى الا أن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار أخرجهما الأزرقى وقد جاء عن الحسن وغيره في تفسير الحسنة في الآية أنها في الدنيا هي الطاعة والعبادة وفي الآخرة الجنة وقيل في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الخور العين وقيل في الدنيا التوفيق للخير والصحة والكفاف .

﴿وروى﴾ ما على وجه الأرض بلدة يستجاب فيها الدعاء في خمسة عشر موضعا إلا مكة أولها جوف الكعبة والدعاء فيها مستجاب والدعاء عند الحجر الأسود مستجاب والدعاء عند الركن اليماني مستجاب والدعاء تحت الميزاب مستجاب والدعاء في الحجر بكسر الحاء أى حجر اسمعيل ﴿مستجاب والدعاء في الملتزم مستجاب والدعاء خلف المقام مستجاب والدعاء عند بئر زمزم مستجاب والدعاء على الصفا مستجاب والدعاء على المروة مستجاب والدعاء في الموقف مستجاب والدعاء عند المشعر الحرام مستجاب والدعاء عند الجمرات الثلاث مستجاب﴾

وفي هداية المناسك واعلم أنه انما طلب الدعاء في الطواف لكونه من المواضع الخمسة التي يستجاب فيها الدعاء ثانيها الملتزم ثالثها تحت الميزاب رابعها خلف المقام خامسها عرفة سادسها في المزدلفة سابعها في منى ثامنها عند الجمرة الأولى تاسعها عند الجمرة الثانية عاشرها عند الصفا حادي عشرها عند المروة ثاني عشرها عند زمزم ثالث عشرها عند المشعر رابع عشرها في المسعى

﴿وروي﴾ يحشر الله تعالى من مقبرة مكة سبعين ألف شهيد يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر يشفع كل واحد منهم في سبعين رجلا قليل من هم يا رسول الله فقال الغراء ومن مات في حرم الله تعالى أو حرم رسوله صلى الله عليه وسلم أو مات بين مكة والمدينة حاجا أو معتمرا بعثه الله يوم القيامة من الآمنين ألوان التصلع من ماء زمزم براءة من النفاق * كتب الله الكريم المنان البراءة لنا من النفاق والنيان وقبض أرواحنا في أحد الحرمين وحشرنا في زمرة شهداء حرمه الآمنين وأدخلنا الجنة بغير حساب آمين آيين .

خامس عشرها عند الحطيم ونظمها العلامة الجمهوري بقوله :

قبل الدعاء خلف المقام وزمزم * كسعى طواف والحطيم ومروة

وملتزم جمع ومشعر والصفا * منى وبمزاب وموقف رخصة

وبالجمرة الأولى وثانية لها * ولم يذكروا هذا بحجرة عقبة

وقوله والحطيم قال الزرقاني على الغزوة الحطيم اسم بين الركنين الشامين بالحجر بكسر الحاء وعليه فالامر ظاهر وقيل انه الملتزم اسمان لشيء واحد وهو ما بين الركن والمقام كما في الحزشي والدردير فيكون في كلامه تكرار وتكون المواضع أربعة عشر لاختصاصه عشر وقوله جمع أي مزدلفة وقوله وموقف رحمة أي عرفة كذا في التبان في منسك الخطاب .

﴿وروي﴾ يحشر الله تعالى يوم القيامة ﴿من مقبرة مكة سبعين ألف شهيد يدخلون الجنة بغير الحساب وجوههم كالقمر ليلة البدر﴾ في الاضاء ﴿يشفع كل واحد منهم في سبعين رجلا قليل من هم يا رسول الله فقال﴾ عليه الصلاة والسلام هم ﴿الغراء ومن مات في حرم الله تعالى أو حرم رسوله﴾ أو مات بين مكة والمدينة حاجا أو معتمرا بعثه الله يوم القيامة من الآمنين ﴿وفي رواية لليهمي ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة﴾ ألوان التصلع ﴿من ماء زمزم براءة من النفاق﴾

قال في المنهاج ويسن شرب ماء زمزم لما ورد عن جابر مرفوعا من طاف خلف البيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب ماء زمزم غفرت له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت قال الماوردى يغسل به وجهه وصدره ويصب على رأسه قال الزعفراني ويستحب أن يكثر من شربه حتى يتصلع أي يمتلئ منه ويكره نفسه على ذلك فإن المنافقين كانوا لا يتصلعون منه قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى أنا أشربه لعطش القيامة .

قال وهب رحمه الله تعالى مكتوب في التوراة ان الله تعالى يبعث الى الكعبة سبعين ألف ملك سلاسل من ذهب يتودونها الى الحشر فينادى ملك بالكعبة يا كعبة الله سيرى فتقول حتى أعطى سؤالي فيقال سلى فتقول يا رب شفنى في جيرانى الذين دفنوا حولي من المؤمنين فيقال لها قد اعطيتك سؤالك ثم يقال يا كعبة سيرى فتقول حتى اعطى سؤالي فقال سلى فتقول يا رب عبادك المذنبون الذين جاؤنى من كل فج عميق أسألك أن تؤمنهم من الفزع الاكبر فينادى مناد الا من زار الكعبة فليعزل فيجمعهم الله تعالى حول الكعبة يرض الروحوه ثم يقال يا كعبة الله سيرى فتقول ليك اللهم ليك ثم يمرونها بالسلاسل الى الحشر فأول من يحشر محمد ﷺ فتقول يا محمد اشتغل بمن لم يزرنى واما من زارنى فهو في شفاعتى وقال في كتاب شرفى المصطفى ﷺ ان الكعبة تستأذن ربها في زيارة قبر المصطفى ﷺ فيأذن لها فتقول يا بنى الله لاهتم لثلاثة فاني اشفع لهم من طاف بي ومن خرج ولم يبلغنى ومن اشتهى الوصول بي فلم يجد سيلا .

ثم قال المصنف داعيا لربه ﴿كتب الله الكريم المنان البراءة لنا من النفاق و﴾ من ﴿النيان وقبض﴾ سبحانه وتعالى ﴿أرواحنا في أحد الحرمين﴾ الشرين ﴿وحشرنا﴾ اى جمعنا ﴿في زمرة شهداء حرمه الآمنين وأدخلنا الجنة بغير حساب آمين آمين﴾ يا رب العالمين .

* فصل في حدود الحرمين الشريفين *

اعلم أنه قد أطبق العلماء على تسمية هذين البلدين بالحرمين كما ذكره البخاري في صحيحه والجوهري في صحاحه وذلك لحرمه الصيد وقطع الشجر بهما وعند الشافعية موضع ثالث يسمى حرما وهو جوف فتح الواد وتشديد الجيم وهو واد بطائف ولكن لا يطلق عليه الحرم الاضافا فيقال حرم وح وأما بلد المقدس وبلد الخليل فلا يسميان حرمين واختلف في سبب تحريم مكة فقيل ان آدم عليه السلام لما هبط الى الارض خاف على نفسه من الشيطان فبعث الله ملائكة يحرسونه فوقوا في موضع انصاب الحرم من كل جانب فصار ما بينه وبين موقف الملائكة حرما .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كانت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدخلون الحرم مشاة حفاة . وعنه رضى الله عنهما حج الحواريون فلما بلغوا الحرم مشوا تعظيما له وأول من نصب الحدود للحرم سيدنا ابراهيم عليه السلام ثم قصي وقيل اسمعيل ثم قصي ثم قرش بعد قلعهم لها ثم سيدنا محمد ﷺ عام الفتح ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم معاوية ثم عبد الملك بن مروان ثم المهدي العباس وهؤلاء أظهروا ما حدده سيدنا ابراهيم بعد درسه لأنهم ما أخذوا حدودا من عند أنفسهم كذا في هداية المناسك .

وحد الحرم الملكي من جهة المدينة أربعة أميال والمبدأ من الكعبة وال انتهاء للتعيين المسمى الآن بمساجد عائشة ومن جهة العراق ثمانية أميال للقطع وهو اسم مكان ومن جهة عرفة تسعة أميال الى حد عرفة ومن جهة الجعرانة تسعة أميال أيضا الى موضع سماه النادلي شعب آل عبد الله بن خالد ومن جهة جدة عشرة أميال لآخر الحديبية فهي داخله في الحرم بخلاف الغابات السابقة فانها خارجة عنه ومن جهة اليمن سبعة أميال الى اضواء على وزن نواة وقد نظم بعضهم هذه الحدود بقوله :

سبعة أميال أتى حد الحرم * من عرفات والجعرانة عم
وسبعة من يمين ذي آية * ومن عراق قد أتت ثمانية
وعشرة من جدة وطيبة * أربعة مبدأ تلك الكعبة

وحد الحرم المدني مختلف بالنسبة للصيد والشجر فأما الحرم المدينة يحرم فيه الصيد فهو ما بين الحارار الابع والمدينة والمدينة داخله في حريم الصيد وأما حرما الذي يحرم فيه قطع الشجر فهو يريد من كل جهة مبدأ البريد من طرف البيوت القديمة التي كانت في زمنه صلى الله عليه وسلم .

* تنبيه * ذكر النسفي رحمه الله تعالى ان ابراهيم عليه السلام قال اللهم من حج البيت من شيوخ أمة محمد صلى الله عليه وسلم فشفعني فيه وقال إسماعيل عليه السلام اللهم من حج هذا البيت من شباب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فشفعني فيه وقال إسحق عليه السلام اللهم من حج هذا البيت من كهول أمة محمد صلى الله عليه وسلم فشفعني فيه وقالت سارة اللهم من حج هذا البيت من نساء أمة محمد صلى الله عليه وسلم فشفعني فيها وقالت هاجر اللهم من حج هذا البيت من أرقاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم فشفعني فيه فلذلك أمرنا بالصلاة على ابراهيم وآله في التشهد .

* حكاية * ذكر النسفي أيضا رحمه الله تعالى ان بعض الصالحين حج فلما انصرف من عرفات ذكر انه سمى مميانه فرجع الى عرفات فوجد فيه قرود وخنازير ففرغ منهم فغفل له لا تحف انما نحن ذنوب الحجاج تركونا وانصرفوا طاهرين فأخذ ماله وانصرف متعجبا .

﴿وحكى﴾ الياقنى عن سهل بن عبد الله قال خالط الولي للناس ذل وفردة عز قلما رأيت ولما الله إلا منفردا * وإن عبد الله بن صالح كان رجلا له سابقة وموهبة جزاة وكان يفر من الناس من بلد إلى بلد حتى أتى مكة فطال مقامه فيها فقلت له لدق ظال مقامك بها فقال لي لم لا أقيم بها ولم أربلدا ينزل فيه من الرحمة والبركة أكثر من هذا البلد والملائكة تغدو فيه وتروح انى أرى فيه عجائب كثيرة وأرى الملائكة يطوفون بالبيت على صورة شتى لا يقطعون ذلك ولو قلت كل ما رأيت لصغرت عنه عقول قوم ليسوا له بمؤمنين فقلت

* فوائد * الأولى لما بنى إبراهيم عليه السلام البيت اعانه إسماعيل قال تعالى قد جعلت لكما كزرا ثم أوحى الله تعالى إلى إسماعيل اذهب إلى مكان كذا فادعه فقال يا كز الله أقبل فأقبل الخيل وكانت وحشية فأخذ بنواصيها فأعطاهما الله له ولما عرض الله تعالى على آدم كل شيء قال له اختر من خلقي ما شئت فأختار الخيل فقيل له اخترت عزك وعز ولدك إلى أباد الأبد قال السبكي خلق الله الخيل قبل آدم والذكور قبل الإناث لأن آدم خلق قبل حواء والعزيات قبل البراذين ولحمها حلال عند الأئمة الثلاثة وحرمة أبو حنيفة وخالفه أصحابه.

الثانية كان أبو ذر ذاء يعلف فرسه يده فسل من ذلك فقال سمعت النبي ﷺ يقول ما من أمرئ يتقى لفرسه شغيرا ثم يعلفه عليه إلا كتب الله له بكل حبة حسنة حكاه في مجموع الأحباب وفي حديث آخر من علف مخلة على فرس في سبيل الله كان له حجة مبرورة وعمره مقبلة.

الثالثة قال القرطبي في قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وهي الرمي لما في صحيح مسلم الاوان القوة الرمي ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم قيل هم الجن واختاره الطبري ولأنهم ينفرون من صهيلها وفي الترمذي عن النبي ﷺ خير الخيل الأذهم قال عكرمة وأحبها الإناث لأن بطنها كبر وظهرها عز ولا تقرنوا الجن دارا فيها فرس.

﴿وحكى الياقنى﴾ رحمه الله تعالى في استحباب الجاورة بمكة ما روى ﴿عن﴾ أبى محمد ﴿سهل بن عبد الله﴾ التستري أخذ أئمة القوم لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع وكان صاحب كرامات لقي ذا النون المصري بمكة سنة خروجه إلى الحج توفي كما قيل سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل ثلاث وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى ﴿قال﴾ مخالطة الولي للناس ذل وفردة ﴿بالله﴾ عز قلما رأيت ولما الله ﴿تعالى﴾ إلا منفردا وإن عبد الله بن صالح كان رجلا له سابقة ﴿في العناية الإلهية﴾ وموهبة ﴿من الله تعالى﴾ جزلة ﴿أى عظيمة﴾ وكان يفر من الناس من بلد إلى بلد ﴿آخر﴾ حتى أتى مكة فطال مقامه ﴿بضم الميم أى اقامته﴾ فيها ﴿قال سهل التستري﴾ فقلت له لقد طال مقامك بها فقال ﴿ابن صالح﴾ لى لم ﴿أى لى شيء﴾ لا أقيم بها ولم أربلدا ينزل فيه من الرحمة والبركة ﴿أو الخير الإلهي﴾ أكثر من هذا البلد والملائكة تغدو فيه وتروح ﴿أى تذهب في هذا البلد وترجع وقد يتوهم بعض الناس أن الراح لا يكون إلا في آخر النهار وليس كذلك بل الراح والغدو عند العرب يستعملان في السير أى وقت كان من ليل أو نهار قال الأزهرى وغيره وعليه قوله ﷺ من راح إلى الجمعة في أول النهار فله كذا أى من ذهب ثم قال الأزهرى وأما راحت الأبل فهي رائحة فلا يكون إلا بالعشى إذا أراحها راعيها على أهلها يقال سرحت بالغداة إلى الرعى وراحت بالعشى على أهلها أى رجعت من الرعى إليهم وقال ابن فارس الراح رواح العشى وهو من الزوال إلى الليل ﴿اننى أرى فيه﴾ أى في هذا البلد ﴿عجائب كثيرة وأرى الملائكة يطوفون بالبيت على صور شتى﴾ أى متفرقة على أنواع كثيرة ﴿لا يقطعون ذلك﴾ الطواف بل يلزمون عليه ﴿ولو قلت كل ما رأيت لصغرت عنه عقول قوم ليسوا له بمؤمنين﴾ فقلت له

أسألك بالله إلا ما أخبرتنى بشيء من ذلك فقال ما من ولي لله تعالى صحت ولايته إلا هو يحضر هذا البلد في كل ليلة جمعة لا يتأخر عنه فمقامي ههنا لأجل من أراه منهم ولقد رأيت رجلا يقال له مالك بن القاسم الجبلي وقد جاء وبده غمرة فقلت له انك قريب عهد بالأكل فقال لي أستغفر الله فاني منذ أسبوع لم أكل ولكن أطعمت والدتي وأسرعته لأحق صلاة الفجر وبينه وبين الموضع الذي جاء منه تسعمائة

فرسخ

﴿أسألك بالله إلا ما أخبرتنى بشيء من ذلك﴾ الذي رأته ﴿فقال﴾ بلى أخبرك بما رأيت وهو ﴿ما من ولي لله تعالى صحت ولايته إلا هو يحضر هذا البلد في كل ليلة جمعة لا يتأخر عنه فمقامي ههنا﴾ أي في هذا البلد ﴿لأجل من أراه منهم﴾ أي من هؤلاء الأولياء .
﴿ولقد رأيت رجلا يقال له مالك بن القاسم الجبلي﴾ منسوب إلى جبل اسم لبلد متفرقة من بلاد العجم وراء طبرستان ويقال لها جيلان أيضا وأصلها بالمعجزة كيل وكيلان فعبرت إلى الجيم قاله الفيومي ﴿وقد جاء﴾ إلى هذا البلد ﴿وبده غمرة﴾ أي غيمة بالماء ﴿فقلت له انك قريب عهد بالأكل فقال لي أستغفر الله﴾ العظيم ﴿فاني منذ أسبوع لم أكل ولكن أطعمت والدتي وأسرعته لأحق صلاة الفجر﴾ في هذا المسجد ﴿وبينه﴾ أي ابن صالح ﴿وبين الموضع الذي جاء منه تسعمائة فرسخ﴾ فهل أنت مؤمن بذلك قلت نعم قال الحمد لله الذي أراني مؤمنا موقنا فقد ذكر نحو هذا ابن الجوزي في سير العزم ونقله الزبيدي قال الياضي رحمه الله تعالى وقد رتسعمائة فرسخ وسبع عشرة مرحلة وذلك مسير ثلاثة أشهر وعشرين يوما في مجرد سير النهار دون الليل .

وقد أخبرني بعضهم أنه يرى حول الكعبة الملائكة والأنبياء عليهم السلام وأكثر ما يراهم ليلة الجمعة وكذلك ليلة الاثنين وليلة الخميس وعدد لي جماعة كثيرة من الأنبياء والأولياء وذكر أنه يرى كل واحد منهم في موضع معين يجلس فيه حول الكعبة ويجلس معه أتباعه من أهله وقربائه وأصحابه وذكر أن نبينا ﷺ يجتمع عنده من أولياء الله تعالى خلق لا يحصى أعدادهم إلا الله ولم يجتمع على سائر الأنبياء كذلك وذكر أن إبراهيم وأولاده عليهم الصلاة والسلام يجتمعون ويجلسون بقرب باب الكعبة بجذاء مقامه المعروف وموسى وجماعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بين الركنين اليمانيين وعيسى وجماعة منهم عليهم الصلاة والسلام في جهة الحجر ورأى فيه قبر اسمعيل عليه الصلاة والسلام وجماعة من الملائكة عليهم الصلاة والسلام عند الحجر الأسود ورأى سيد الخلق أجمعين المرسل رحمة للعالمين تاج الأصفياء وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ وعليهم أجمعين جالسا عند الركن اليماني مع أهل بيته وأصحابه وأولياء الله أنه وذكر أنه رأى إبراهيم وعيسى عليهما الصلاة والسلام أكثر الأنبياء محبة لآمة محمد ﷺ وأكثرهم فرحا بفضليهم وأنسهم بهم ورأى في بعض الأنبياء غيرة من فضليهم وذكر أسراراً كثيرة منها ما ذكره يطول ومنها ما لا تحمله بعض العقول قال رحمه الله تعالى ولا تستبعد الغيرة المذكورة فقد كان من غيرة موسى عليه الصلاة والسلام وبكائه ليلة المعراج ما كان والغيرة في الخير محمودة وإنما يذم الحسد وما ذكره عن إبراهيم وعيسى عليهما الصلاة والسلام مناسب لحالهما وكثرة ودعاهما لهذه الأمة يعرف ذلك من له اطلاع على الأخبار والآثار بل يفهم ذلك من القرآن والله سبحانه وتعالى أعلم .

ويقال لا تقرب الشمس من يوم الا يطوف بهذا البيت رجل من الأبدال وهم عند القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بلد اقليم فيه ولاية منهم واحد على قدم الخليل وله الأقليم الأول والثاني على قدم الكليم والثالث على قدم هرون والرابع على قدم ادريس والخامس على قدم يوسف الصديق والسادس على قدم عيسى والسابع على قدم آدم عليهم الصلاة والسلام على ترتيب الأقاليم وهم غارفون بما أودع الله في الكواكب السيارة من الأسرار والحركات والمنازل وغيرها ولهم في الأسماء الصفاء وكل

أقول وقد شاهدت تصديق ذلك من شيخى قطب الزمان شمس دائرة العرفان أبى المكارم زين العابدين بن محمد البكرى متعنا الله بطول بقائه ونفعنا به وبدعائه وحشرنا تحت لوائه وهو ان شيخى كان جالسا في ليلة من ليالى رمضان عام ست وستين وتسعمائة متوجها إلى بيت الله وناظرا إليه وكنت أنا وجماعة من فقرائه وراءه فقام الشيخ عليه السلام على هيئة المتواضع والمتأدب وقمنا معه وما رأينا عروضا عارض للقيام ولا يجيئ أحد إليه ثم جلس بعد ساعة فجلسنا فسالنا بعض خواص أصحابنا الذي كان معنا في ذلك الوقت عن قيام الشيخ رضى الله عنه فقال ان أولياء الله يحضرون بهذا البيت ويحتمون بأولياء الله تعالى وهذا من ذلك أدام الله لنا النفع به في الدارين

واحد بحسب ما يقطعه حقيقة ذلك الاسم الالهى من الشمول والاحاطة ومنه يكون تلقبه وقد اشبعنا الكلام على ذلك في شرحنا على منهاج العابدین للغزالي ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف بالبيت واحد على الأوتاد وهم اربعة في كل زمن لا يزيدون ولا ينقصون قال الشيخ الأكبر قدس سره رأيت منهم رجلا بمدينة يتخل الحناء بالأجرة اسمه ابن جعدون أحدهم يحفظ الله به المشرق وولايته به والآخر المغرب والآخر الجنوب والآخر الشمال ويدبر عنهم بالجبال فحكمهم في العالم حكم الجبال في الأرض وألقاهم في كل زمن عبد الحى وعبد العليم وعبد القادر وعبد الرب واذا انقطع ذلك كان سبب رفع البيت من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرون لها أثرا وهذا اذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد من أفاق البلاد بسبب فساد الطرق ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق أبيض ليس فيه حرف مكتوب ثم ينسخ القرآن ويزال من القلوب فلا تذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى حفظ الأشعار بأنواعها والأغاني وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فيقتل الدجال والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل التي تتوق ولادتها كذا ذكره صاحب القوت وغيره.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى ﴿أقول وقد شاهدت تصديق ذلك﴾ المذكور من كثرة الأولياء الذين يحضرون بيت الله الحرام ﴿من شيخى قطب الزمان شمس دائرة العرفان أبى المكارم زين العابدين محمد البكرى متعنا الله بطول بقائه ونفعنا به وبدعائه وحشرنا﴾ يوم القيامة ﴿تحت لوائه وهو﴾ أى ما شاهدناه من الصديق المذكور ﴿ان شيخى كان جالسا في ليلة من ليالى رمضان﴾ المعظم ﴿عام ست وستين وتسعمائة متوجها الى بيت الله وناظرا إليه﴾ لما ورد في فضل النظر إليه من الأحاديث والآثار ﴿وكنت أنا وجماعة من فقرائه وراءه﴾ أى خلفه ﴿فقام الشيخ﴾ عليه السلام على هيئة المتواضع والمتأدب وقمنا معه وما رأينا عروضا عارض للقيام ولا يجيئ أحد من الناس ﴿إليه ثم جلس بعد ساعة فجلسنا فسالنا بعض خواص أصحابنا الذي كان معنا في ذلك الوقت عن قيام الشيخ﴾ فقال البعض ﴿ان أولياء الله يحضرون بهذا البيت ويحتمون بأولياء الله تعالى وهذا﴾ أى قيام الشيخ ﴿من ذلك﴾ أى إكرام حضورهم ﴿أدام الله لنا النفع﴾ به أى ببركة هذا الشيخ وعلومه ﴿في الدارين﴾ أى في الدنيا والآخرة.

حكى عن الشيخ فتح الموصل رحمه الله تعالى قال رأيت فى البادية غلاما لم يبلغ الحلم يمشى ويحرك شفته فسلمت عليه فرد الجواب فقلت له الى أين يا غلام فقال الى بيت الله الحرام قلت له فبماذا تحرك شفئك قال بالقرآن قلت فانه لم يحرك عليك قلم التكليف قال رأيت الموت يأخذ من هو أصغر منى سنا فقلت خطوك قصير وطريقك بعيد فقال انما على نقل الخطا وعلى الله الابلاغ فقلت أين الزاد والراحلة فقال زادى يقين وراحلتى رجلى قلت أسألك عن الخبز والماء فقال يا عماء رأيت لودعك مخلوق الى منزله أكان يحمل بك أن تحمل معك زادك فقلت لا قال ان سيدى دعا عباده الى يته وأذن لهم فى زيارته فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم وبنى استبحت ذلك فحفظت الأدب معه أفترأه يضيعنى فقلت كلا وحاشا ثم غاب عن عيني فلم أراه الا بمكة فلما رأتى قال يا شيخ أنت

بعيد على ذلك الضعف في اليقين ثم أنشأ يقول:

مالك العالمين ضامن رزقي * فلما ذا أكلت الخطق رزقي
قد قضى لي بما على ومالي * مالكي في قضائه قبل خلقي
صاحب البذل والندی في يساري * ورفيقي في عسرتي حسن صدقي
فكما لا يرد عجزى رزقي * فكذا لا يجر رزقي حدقي

وحكى عن بعض الصالحين رحمه الله تعالى قال حججت سنة من السنين كثيرة الحر والسيموم فلمل كان ذات يوم وقد توسطنا أرض الحجاز انقطعت عن الحجاج فلم أشعر إلا وأنا وحدي في البرية فلاح لي شخص أمامي فأسرعت إليه فلاحقه وإذا به غلام أمرد لا نبات بعارضه كأنه القمر المنير أو الشمس الضاحية وعليه أثر الدلال والترف فقلت له السلام عليك يا غلام فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا إبراهيم فعجبت منه كل العجب ورأيت أمره فلم أتمالك أن قلت له يا سبحان الله من أين عرقتني ولم ترني قبلها فقال لي يا إبراهيم ما جهلت منذ عرفت ولا قطعت من وصلت فقلت له ما الذي أوقفك في هذه البرية في مثل هذه السنة الكثيرة الحر والقيظ فأجابني يا إبراهيم ما أنست بسواه ولا رافقت غيره وأنا منتقطع إليه بالكلية مقر له بالعبودية فقلت له من أين المأكول والمشروب فقال يكمل لي به المحبوب فقلت والله أني خائف عليك لأجل مأكلك فأجابني ودنوه تنحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب وأنشأ يقول:

من ذا يخوفني بالبراء قطعه * إلى الحب وقد قدمت إيمانا
الحب أفلغني والشوق أزعجني * ولا يخاف حب الله أناسا
فلو أجوع فذكر الله يشبعني * ولا أكون بحمد الله عطشانا
وان ضعفت فوجد منه يحملني * من الحجاز إلى أقصى خراسانا
فهل لصغري تكون اليوم تحترني * دع عنك هذا لي قد كان ما كان

قال فقلت له سألتك بالله يا غلام إلا ما أعلمتني بحقيقة عمرك فقال لقد آلت على بأجل الإيمان عندي عمري ثلثا عشرة سنة ثم قال يا إبراهيم ما الذي أهلك إلى ذلك تسألني عن عمري فقد أخبرتك والله لقد أدهشني ما سمعت منك فقال الحمد لله على ما أولانا من نعمة وفضلنا على كثير من عباده المؤمنين تعجبت من حسن وجهه وبه أطلعه وحلاوة منطقه وقلت سبحان الله الخالق المصور فأطرق الغلام رأسه إلى الأرض مغشيا عليه ثم رفع رأسه إلى السماء ينظرني وأنشأ يقول:

ويحي إذا كان الجحيم جزائي * ماذا يحل يهجنى وبهائي
يبلى العذاب بحاسنى وشينها * ويطول منى في الجحيم بكائي
ويقول لي الجبار جل جلاله * يا عبد سؤأت من أعدائي
بارزتنى وعصيت أمرى جاهلا * أنسيت عهدى ثم يوم لقائي
وترى وجوه الطائفين كأنها * بدر بدا في ليلة الظلماء
كشف الحجاب فغابتهم فادهموا * ونسوا نعيمهم وكل رخاء
وكنا هم حلل المهابة والرضا * وحيا لوجوه بنظرة وبهاء

ثم قال يا ابراهيم اعلم ان المنقطع من قطعه الحبيب والمواصل من أخذه من الطاعة بنصيب ولكن أنت المنقطع عن الحاج يا ابراهيم فقلت له نعم أنا ذاك وأنا أسالك بالله الاماد عوت لي ان الحق من سبقني من أصحابي قال فنظرت الغلام قد لمح بطرفه الى السماء وتكلم بكلمة حرك بها شفتيه فعند ذلك لحقني سنة من النوم وأغمى على فلم أفق الا وأنا في وسط الحاج وزميلي يقول لي يا ابراهيم احذر ان تقع عن الراحلة ولم أعرف أصعد الغلام الى السماء أم نزل في الارض فلما وافينا مكة ودخلت الحرام اذا أنا بالغلام وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يبكي ويقول:

تعلقت بالأستار والبيت رزقه * وأنت بما في القلب والسر أعلم

أتيت اليه ماشيا غير راكب * لأنني على صغري محب ميم

هوبك طفلا حيث لا أعرف الهوى * فلا تعذلوني انني متعلم

وان كان حانت الهى منيتي * لعلني بوصل منك أخطى وأغتم

قال فأرخى نفسه ووقع ساجدا وأنظر اليه فأتته فحركه فاذا هو قد قضى نحبه رضى الله تعالى عنه قال فأنسفت عليه كل الأسف ومضيت الى راحلتي وأخذت ثوبا واستعنت بمن يساعدنني عليه حتى أواريه فأتيت اليه فلم أجده فسألت عنه الحاج فلم أجده من قال رأي حيا ولا ميتا فعلمت أنه مستور عن أعين الخلق وأنه لم يره غيري فأتيت الى مكاني وتموت قليلا فرأيت في المنام في موكب عظيم وهو في اوتاهم وعليه من النور والحلال ما لا أحسن أن أصف فقلت له أأنت صاحبى فقال نعم فقلت له أأنت مت قال كان ذلك فقلت له والله لقد طلبتك أن أكفك وأصلى عليك فلم أجده قال يا ابراهيم اعلم أن الذي من بلدي أخرجنى وبجبه سوقنى وعن أهلى غرمنى هو كفى وما أحوجنى فقلت له ما الذي فعل بك الهك بعد ذلك قال أوقفنى بعين يديه وقال لي ما بغيتك فقلت الهى وسيدى أنت بفتى ومنادى فقال لي أنت عبدى حقا حقا ولك عندى أن لا احجب عنك ما تريد فقلت أريد أن تشفعنى في القرن الذي أنا فيه فقال شفعتك فيه ثم انه صافحنى فاستيقظت بعد المصافحة من منامى وأصبحت وقضيت ما كان على من فرائض الحج ونسكه ولم يقر قلبى من ذكر الغلام وتأسفى عليه وسرت في حملة الحج فلم أر أحدا الا ويقول يا ابراهيم لقد أزعجت الناس من طيب رائحة يدك وقال بعض المحدثين لهذا الخبر لم تزل رائحة الطيب يخرج من يد ابراهيم حتى قضى نحبه رحمة الله عليه .

وحكى عن سفيان بن ابراهيم رحمه الله تعالى قال لقيت ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى بمكة في سوق الليل عند مولد النبى ﷺ وهو يبكي فأنجأته الى ناحية من الطريق قال فسلمت عليه ووصلت عنده وقلت له ما هذا البكاء يا أبا اسحق فقال خير فعاودته مرة ثانية وثالثة فلما أطلت عليه السؤال قال لي يا سفيان أنا أخبرتك بخبر تبوح به أم تستر على فقلت له يا أخى قل ما شئت قال اشتهت نفسى سكباجا منذ ثلاثين سنة وأنا أمنعها فلما كان البارحة غلبنى النوم واذا أنا بشاب من أحسن الناس وجها وبه قدح أحضر يعلو منه البخار ورائحة السكباجا فاجمعت همى عنه فقرب منى وقال يا ابراهيم كل فقلت ما أكل شيئا تركه الله عز وجل فقال ولا ان أطعمك الله تعالى قال فما كان لي والله جواب الا البكاء فقال كل يرحمك الله فقلت له قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا الا ما نعلم فقال لي كل عافاك الله فانما تارلنى هذا رضوان وقال لي يا حضرة اذهب بهذا الطعام فاطعمه لنفس ابراهيم ابن أدهم فرحمها الله تعالى على طول خبرها على ما يحملها من منعها على شهواتها ثم قال فوالله عز وجل يطعمها وأنت تمنعها يا ابراهيم انى سمعت الملاءكة يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب ولم يعط فقلت ان كان كذلك فما أنا بين يديك لم أخل بالهد مع الله تعالى واذا بفتى آخر قد ناوله شيئا وقال يا حضرة لقمه فلم يزل يطعمنى يده فاتبته وحلاوة ذلك فى فمى ولون الزعفران فى شفتى قد دخلت زمزم ففلسلت فمى فلا الطعم ذهب ولا أثر

الزعران قال سفيان قلت له فأرني فإذا أثره لم يذهب فقلت يا من يطعم مناع الشهوات إذا صححوا المنع لأنفسهم يا من ألزم قلوب أوليائه التصحيح يا من سقى قلوبهم من شراب محبة أترى لسفيان عندك ذلك قال ثم أخذت يد إبراهيم ورفعتها إلى السماء وقلت اللهم بقدر هذه الكف وقدر صاحبها وحرمة عندك وبالجلود الذي وجد منك يا الله جد على عبدك الفقير إلى فضلك واحسانك برحمتك يا أرحم الراحمين وإن لم يستحق ذلك منك يا رب العالمين .

وحكى عن إبراهيم بن أدهم أيضا رحمه الله تعالى أنه حج إلى بيت الله الحرام فبينما هو في الطواف وإذا بشاب حسن الوجه قد أعجب الناس حسنه وجماله فصار إبراهيم ينظر إليه ويبكى فقال بعض أصحابه أيا الله وأنا إليه راجعون غفلة دخلت على الشيخ بلا شك ثم قال يا سيدي ما هذا النظر الذي يخالطه البكاء فقال له إبراهيم يا أخى اننى عقدت مع الله تعالى عقدا لا أقدر أن أفسخه والا كنت أدنى هذا الفتى منى وأسلم عليه فإنه ولدى وقرة عيني تركه صغيرا وخرجت فارا إلى الله تعالى وها هو قد كبر كما ترى وإنى لاستحقى من الله تعالى أن أدعولشيء خرجت عنه وتركه له عز وجل وأنشد :

ولا عرفت نظرة من عرقته * مدى الدهر الا كان لي حيث أنظر
أغار على طرفي له فكاننى * اذا رام طرفي غيره لست أبصر
ايا منتهى ذخري وسؤلى وعدنى * وذاك في قلبي الى يوم أحشر

ثم قال لي امض وسلم عليه لعلنى أسلمى بسلامك عليه وايرد ناراً على كبدي فأيت الفتى وقلت له بارك الله لأيك فيك فقال يا عم وأين أبى إن أبى قد خرج فارا إلى الله تعالى لستى أراه ولو مرة واحدة وتخرج نفسى عند ذلك هيئات هيئات وخنفه العبرة وقال والله أودلوانى رأيت وأموت فى مكانى ثم بكى وأنشد يقول :

لقد حكى الزمان على حتى * يرانى فى هواك كما ترانى
حييى ان بعدت فان قلبى * على مر الزمان اليك دانى
وان بعدت ديارك عن ديارى * فشخصك ليس يبرح عن عياني
لقد اسكنت حبك فى فؤادى * مكانا ليس يعرفه حنانى
كانك قد ختمت على ضميرى * فغيرك لا يمر على لسانى
ثم قال رجعت إلى إبراهيم وهو ساجد فى المقام وقد بلى الحصى بدموعه وهو يتضرع إلى الله تعالى ويبكى ويقول :

فجرت الخلق طرافي هواكا * وأتيت العيال لكن أراك
فلو قطعنى فى الحب أربا * لما سكن الفؤاد الى سواك

قال قلت له أدع له فقال حجه الله عن مناصبه وأعانه على ما رصيه وحكى عن بعض الصالحين رحمه الله تعالى قال رأيت سمنون فى الطواف وهو تمايل فقبضت على يده وقلت له يا شيخ بموقفك بين يديه الا أخبرتنى بالأمر الذى أوصلك إليه فلما سمع ذلك بذكر الموقف بين يديه سقط مغشيا عليه فلما أفاق أنشد :

ومكتب لج السقام بحسنه * كذا قلبه بين القلوب سقيم
يحق له لومات خوفا * ولوعة * فمواقفه يوم الحساب عظيم

﴿واعلم﴾ أن السيئات تضاعف في مكة كما تضاعف الحسنات فيها على ما روى مجاهد عن ابن عباس والمراد بالمضاعفة زيادة القبح والعذاب ﴿وروى﴾ الثوري عن ابن مسعود ما من رجل بهم سيئة إلا تكب عليه ولو أن رجلا بعدن أين هم أن يقتل رجلا بهذا البيت لأذاقه الله عز وجل من عذاب اليم

ثم قال يا أخي أخذت نفسي بخمس خصال أحكمتها فأما الخصلة الأولى أمت منى ما كان حيا وهو هوى النفس وأحييت منى ما كان ميتا وهو القلب وأما الثانية فاني أحضرت ما كان عنى غائبا وهو حظى من الدار الآخرة وخيبت عنى ما كان عندى حاضرا وهو نصيبى من الدنيا وأما الثالثة فاني أبقيت ما كان فانيا عندى وهو التقى وأفيت ما كان باقيا عندى وهو الهوى وأما الرابعة فاني أت بالأمر الذي منه تسرحشون وفرت من الأمر الذي اليه تسكنون ثم عنى وهو يقول :

روحى اليك بكلها قد أقبلت * لو كان فيك هلاكها ما أقبلت

تبكى عليك تحوفا وتلهفا * حتى يقال من البكاء تقطعت

فانظر إليها نظرة * بتعطف * فلظا لما معها فتمت

ذكر هذه الحكايات أبو محمد الياقنى رحمه الله تعالى فى روايته .

﴿واعلم﴾ أن السيئات تضاعف كما تضاعف الحسنات فيها على ما روى مجاهد عن ابن عباس ﴿رضى الله عنهما﴾ وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال الخطيئة أصيبها بمكة أعز أى أشد وأصعب على من سبعين خطيئة غيرها وسئل أحد هل تكب السيئة أكثر من واحدة فقال لا إلا بمكة لتعظيم البلد وظاهر كلام مجاهد أن السيئة تبلغ فى التضعيف مبلغ الحسنه وهو مائة ألف قاله ابن حجر والمراد بالمضاعفة زيادة القبح والعذاب لا مضاعفة الزيادة فى الحسنات لأن النصوص مصرحة بأن السيئة لأجزاء عليها إلا مثلها لكن ظاهر كلام مجاهد وغيره القول بحقيقة المضاعفة ويجعلون ذلك مستثنى من النصوص لدليل قام عندهم .

﴿وروى﴾ سفيان بن سعيد ﴿الثوري عن﴾ عبد الله ﴿بن مسعود﴾ * ما من رجل بهم سيئة إلا تكب عليه ولو أن رجلا بعدن ﴿يفتحين بلد باليناني وأضيف بانيه فقل عدن﴾ أين ﴿بفتح الهيمزة وسكون الباء الموحدة مع فتح الياء﴾ هم ﴿أى أراد﴾ أن يقتل رجلا بهذا البيت لأذاقه الله عز وجل من عذاب اليم ﴿أخرجه ابن ابى شيبه عن وأكيع عن سفيان عن السدى عن عبد الله﴾ قال من هم بسيئة لم تكب عليه حتى يعملها وإن هم بعدن أين أن يقتل عند المسجد الحرام إذاقه الله من عذاب اليم ثم تلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وقال ابن مسعود * ما من بلد يؤخذ العبد بالنية قبل العمل إلا مكة وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول الاحتكار بمكة من الحاد فى الحرم وهو حبس الطعام إرادة الغلاء وأخرج أبو داود من حديث يعلى بن أمية مرفوعا احتكار الطعام بمكة الحاد بها .

وقيل الطبري عن أهل العلم الحاد فى الحرم القتل والمعاصى وقيل الكذب أيضا من الحاد كذا فى القوت وروى عن ابن عمر أنه أتى ابن الزبير وهو جالس فى الحجر فقال يا ابن الزبير إياك والحاد فى حرم الله فاني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول أنه سيجد فيه رجل من قرش لو وزنت ذنوبه ذنوب الثقلين لوزنتها فانظر أن لا تكون أخرجه أحمد وقال ابن عباس رضى الله عنهما لأن أذنب سبعين ذنبا بركة أحب الى من أن أذنب ذنبا واحدا بمكة وركبة بالضم ممنوعا من الصرف منزل بين مكة والطائف نقله صاحب القوت وروى عن عبد الله بن عمرو أنه كان له فسطاطان أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم فى الحل فستل عن ذلك

وقال جماعة من المفسرين تبع لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن من الظلم الذي يذيق الله صاحبه العذاب الأليم شتم الخادم في الحرم وحكى شيخنا ابن حجر نقبنا الله به أنه وقع لبعض من يعرفه الذي كان على هيئة جملة وفضل تام وتصون بالغ زلة بتقيل امرأة عند الحجر فمسح مسحا كلياً وصار بأثر هيئة وأقبح منظر وأقطع حالة بدنا ودينا وعقلا وكلاما ﴿وحكى﴾ أن بعض الطائفتين نظر إلى امرء أو امرأة فسالت عينه على خده وأن بعضهم وضع يده على امرأة فالتصقتا وعجز الناس عن فكهما حتى دلهم بعض العلماء أنهما يرجعان إلى محل معصيتهما ويستهلان إلى الله ويصدقان في التوبة فعلا ذلك ففرج الله عنهما وقصة اساف وثالثة مشهورة وهي أنهما زنيا في البيت فمسحهما حجرين

فقال كما نحدث أن من الأحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله ولخوف ذلك انتهى بعض الحققين بمكة إلى أنه لم يقض حاجته من البول والغائط في الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم أقام شهراً وما وضع جنبه فيه على الأرض فيقال أن الحجاج في سالف الدهر كانوا إذا قدموا مكة خلعوا نعالهم بذي طوى تعظيماً للحرم وأخرج ابن الحاج في نسكه عن عياش بن ربيعة عن النبي ﷺ قال لا تزال هذه الأمة بخير ما عظمت هذه الحرمة حق تعظيماً لله عز وجل يعني الكعبة والحرم فإن ضيعوا ملكوا .

﴿وقال جماعة من المفسرين تبع لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس﴾ رضى الله عنهما ﴿أن من الظلم الذي يذيق الله صاحبه العذاب الأليم شتم الخادم في الحرم وحكى شيخنا﴾ في زواجه ﴿أنه وقع لبعض من يعرفه الذي كان على هيئة جملة وفضل تام وتصون بالغ زلة بتقيل امرأة عند الحجر﴾ بكسر الحاء على ما حكى لكن ظهرت أثر صديق تلك الحكاية ﴿فمسح مسحا كلياً وصار بأثر هيئة﴾ أى أذلها وأحقرها ﴿وأقبح منظر وأقطع حالة بدنا ودينا وعقلا وكلاما﴾ قال وبلغنى عن بعض من اعرف أيضاً أنه وقعت منه هناة بالمسجد الحرام فعوجل عليها بعقاب شديد في بدنه وفيه أيضاً وكذا وقع ذلك لجماعة بلغنا ذلك عنهم في زمننا ولولا ضيق المقام وخوف الفضيحة وطلب الستر بسطت لأحوالهم ولكن في الإشارة ما يغنى عن العبارة وإنما قصدنا بذلك لأن الإنسان ربما اغتر فظن بما يرى من عدم تعجيل العقوبة الظاهرة أنه لا يعاجل شيء وليس كما ظن بل لا بد لمن تبادى على ذلك أو قدم عليه أننا ان تعجل له العقوبة الظاهرة والباطنة هذا قبل العذاب الآخرة الذي أشار سبحانه وتعالى إلى عظمته عذاب الدنيا أيضاً بقوله سبحانه وتعالى من يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم .

﴿وما يعلمك بشدة قبح المعصية هناك وتعجيل عقابها ولو صغيرة ما﴾ ﴿حكى﴾ العلامة ابن حجر أيضاً ﴿أن بعض الطائفتين نظر إلى امرء أو امرأة فسالت عينه على خده وأن بعضهم﴾ أى بعض الطائفتين ﴿وضع يده على﴾ يد ﴿امرأة فالتصقتا﴾ أى يداهما ﴿وعجز الناس عن فكهما حتى دلهم بعض العلماء أنهما يرجعان إلى محل معصيتهما ويستهلان﴾ أى يتضرعان ﴿إلى الله ويصدقان في التوبة فعلا ذلك﴾ أى الذي أمر به ﴿ففرج الله عنهما وقصة اساف﴾ بكسرة الهمزة وخفة السين المهملة وألف بعدها فاء اسم رجل سمي به صنم على الصفا ﴿وثالثة﴾ بنون وألف يليهما همزة مكسورة اسم امرأة سمي بها صنم على المروة قيل ولذا أنثت ﴿مشهورة وهي أنهما﴾ كانا رجلاً وامراًة ﴿زنيا في البيت﴾ الحرم ﴿فمسحهما الله حجرين﴾ فوضعا عليهما ليعتربهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيماً لصنمين فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية فأنزل الله تعالى أن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما .

قال العلامة ابن حجر ولا يغرنك أنك ترى من يعصى ثم ينظر ولا يعاجل بالعقوبة لأن العاقل لا يتبغى له أن يغفر بنفسه وليس المغفر

فتعوذ بالله من الزلات ونسأله أن يعصمنا من الفتن إلى الممات أنه أكرم كريم وأرحم رحيم

﴿فصل في زيارة قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفضل المدينة النبوية﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي وقال ﷺ من زار قبري وجبت له شفاعتي وقال من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان

لنفسه بمحمود وإن سلم وبما عجل الله لك العقوبة دون غيرك فإنه لا حرج عليه تعالى على أن تعجيل العقوبة قد يكون بما هو أشمغ وأقيح وهو مسخ القلب وبعده عن حضرة الحق بعد هدايته واعراضه بعد إقباله ﴿فتعوذ بالله﴾ سبحانه ﴿من الزلات ونسأله﴾ سبحانه وتعالى ﴿أن يعصمنا من الفتن إلى الممات أنه﴾ تعالى ﴿أكرم كريم وأرحم رحيم﴾ وأنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير.

﴿فصل في﴾ مشروعية ﴿زيارة قبر نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل المدينة النبوية﴾

قال المحقق ابن حجر أعلم وفقني الله وإياك لطاعته وفهم خصوصيات نبيه ﷺ والمبارعة إلى مرضاته أن زيارته ﷺ مشروعة مطلوبة بالكتاب والسنة واجماع الأمة وبالقياض أم الكتاب فقوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لو جدوا الله توأبا رحيما دلت على حث الأمة على الحجى إليه ﷺ والاستغفار عنده واستغفاره لهم وهذا لا ينقطع بموته قال والآية الكريمة وإن وردت في قوم معينين في حال الحياة وبعد الممات ولكن فهم العلماء منها العموم للجائين واستحبوا لمن أتى قبره الشريف ﷺ أن يقرأها مستغفرا لله تعالى وقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ولا شك عند من له أدنى مسكة من ذوق العلم أن من خرج لزيارة رسول الله ﷺ بعد وفاته كزارته في حياته وزيارته في حياته داخله في الآية الكريمة قطعاً فكذلك بعد وفاته بنص الأحاديث الشريفة الآتية.

وأما لسنة فورد فيها أحاديث صحيحة صريحة لأشك فيها إلا من انطمس نور بصيرة فتنها ما ﴿قال رسول الله ﷺ من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي﴾ قال المناوي ومنه أخذ السبكي أنه تسن زيارته حتى النساء وإن كانت زيارة القبور لمن مكروهة وهذا الحديث رواه الطبراني والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما وإسناده وإياه كما في العزيزي وفي رواية صحيح السبكي إسنادهما من حج فزارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي.

﴿و﴾ منها ما ﴿قال رسول الله ﷺ﴾ أي سعى لقبري لأجل زيارة فيه لأن الزيارة ليست للقبر بل لصاحبه ﴿وجبت﴾ أي حقت ولزمت ﴿له شفاعتي﴾ أي شفاعته مخصصة غير شفاعته العامة قال العزيزي رواه ابن عدي والبيهقي عن ابن حجر بإسناد ضعيف وفي رواية كما في هداية الناسك حلت له شفاعتي صححه جماعة من أئمة الحديث والطفن في بعض رواه مردود كما بينه السبكي قال ومن أجودها إسنادا من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي وللدار قطنى بلفظ من جاءني زائرا لا لعمله حاجة إلا زيارتي كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة والمراد بقوله لا لعمله حاجة إلا زيارتي اجتناب قصد ما لا يتعلق بالزيارة أصلا أما ما يتعلق بها من نحو قصد الاعتكاف والمسجد النبوي وشد الرحل للصلاة إليه فيه وكثرة العبادة فيه وزيارة الصحابة رضي الله عنهم وغير ذلك مما يندب للزائر فعله فلا يمنع قصده حصول الشفاعته له.

﴿و﴾ منها ما ﴿قال﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان﴾

أخرجه الديلمي عن ابن عباس.

وقال من حج ولم يزرنى فقد جفاني وقال من زارني بالمدينة محسبا كتبت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة

﴿و﴾ من ذلك ما ﴿قال﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿من حج ولم يزرنى فقد جفاني﴾ قال العراقي رواه ابن عدى والدارقطني في غرائب مالك وابن حبان في الضعفاء والخطيب في الرواة من حديث ابن عمر وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وروى البخاري في تاريخ المدينة من حديث أنس ما من أحد من أمي له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر انتهى وحديث ابن عمر وزواه أيضا الديلمي وعبد الواحد التميمي الحافظ في كتاب جواهر الكلام في الحكم والأحكام من كلام سيد الأنام وقد رد الحافظ السيوطي على ابن الجوزي في إيراد في الموضوعات وقال لم يصب وحديث أنس أخرجه أبو محمد بن عساكر في فضائل المدينة.

﴿وقال﴾ ﴿من زارني بالمدينة﴾ أي في حياته أو بعد مماته ﴿محسبا﴾ أي ناويا بزيارته وجهه الله طالبا ثوابه ﴿كتبت له شهيدا﴾ أي بمزيد الفضل ﴿وشفيعا﴾ أي شفاعاة خاصة به ﴿يوم القيامة﴾ رواه البيهقي عن أنس قال العلقمي بجانبه العلامة الحسن . وفي الباب أحاديث آخر منها عن أنس رضي الله عنه قال لما خرج رسول الله ﷺ من مكة أظلم منها كل شيء ولما دخل المدينة ضاء منها كل شيء فقال رسول الله ﷺ المدينة فيها قبري وبها بيتي وترتي وحق على كل مسلم زيارتها أخرجه أبو داود وابن أبي الدنيا في كتاب القبور حدثنا سعيد بن عثمان الجرجاني حدثنا ابن أبي فديك أخبرني أبو المثني سليمان بن يزيد الكعبي عن أنس فسأته سليمان ضعفه ابن حبان والدارقطني وعن رجل عن آل حاطب رفعه من زارني متعمدا كان في جوارى يوم القيامة الحديث ، أخرجه البيهقي وهو مرسل والرجل المذكور مجهول وزاد عبد الواحد التميمي في جواهر الكلام من زارني إلى المدينة ورواه عن أنس عن أبي هريرة مرفوعا من جاء مسجدى هذا لم يأت إلا بخير يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ظر إلى متاع غيره أخرجه ابن أبي شيبة وابن ماجه والحاكم والبيهقي فهذه الأحاديث إما صريحة وهى الأكثر أو ظاهرة فى تأكد طلب يارته ﷺ حيا وميتا للذكر والأشئ بشرطها من قرب أو بعد .

وأما القياس فقد جاء فى السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور فبزيارة قبر نبينا محمد ﷺ أولى وأجرب وأحق وأعلى بل نسبة بينه وبين غيره وأيضا فقد ثبت أنه ﷺ زار أهل البقيع وشهداء أحد فقبره الشريف أولى لماله من الحق ووجوب التعظيم وليسرت ارته ﷺ إلا لتعظيمه والتبرك به ولينا لنا عظيم الرحمة والبركة بصلاتنا وسلامنا عليه ﷺ عند قبره الشريف بحضرة الملائكة باقين به ﷺ .

وأما الاجماع فقد نقل جماعة من الأئمة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار والمعول فى نقل الخلاف الاجماع انما الخلاف بينهم فى واجبة او مندوبة فقيل واجبة وعليه بعض أئمة المالكية مستدلا على ذلك بقوله ﷺ من حج ولم يزرنى فقد جفاني كما تقدم وجفاؤه إم وقال غير ذلك البعض من المالكية مؤولا له حيث قال قوله من السنن الواجبة أي المؤكدة وقيل مندوبة ندبا أكيدا وعليه الجمهور .

(فان قلت) كيف يحكى الاجماع على مشروعة الزيارة والسفر اليها وطلبها وأحمد بن تيمية من متأخري الحنابلة منكر لمشروعية ككله كما رآه السبكي فى خطه وأطال ابن تيمية فى الاستدلال لذلك بما تمجحه الاسماع وتفرع عنه الطبايع بل زعم حرمة فرها اجماعا وانه لا تنصرف فيه الصلاة وان جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة وتبعه من تأخر عنه من أهل مذهبية (قلت) من هو ابن تيمية حتى ينظر اليه أو يقول فى شيء من أمور عليه وهل هو الا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة ن أظهروا عوارس قطائمه وقبايح أوهامه وغلطاته كالغمر ابن جماعة عبدأضله الله تعالى وأغواه وألبسه رداء الجري وارداه ولقد

وقال لا يصبر على لأواء المدينة وشذتها أحد من أمى الأكت له شفعاً يوم القيامة أو شهيدا وقال من استطاع أن يموت بالمدينة فليست بها فاني أشفع لمن يموت بها نسأل الله الكريم أن يرزقنا شفاعته نبيه والموت في حرمه آمين

تصدي شيخ الاسلام وعالم الانام التقي السبكي قدس الله نوره وضرىحه الرد عليه في تصنيف مستقل فشكر الله مسعاه ووقعه في حق رسول الله ليس بعجيب فانه وقع في حق الله فنسب اليه العظام كقوله ان الله تعالى جهة ويدار رجلا وعينا وغير ذلك من القبايح الشنيعة ولقد كفره كثير من العلماء عامله الله تعالى بعدله وخذل متبعيه الذين نصرُوا ما افترأ على الشريعة الفراء ومن أحسن تلك الردود ما حكاها التسبكي عن بعض الفضلاء وان كان فيه ما فيه ان كون الزبارة قرينة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر.

(فان قلت) كيف هذا التشنيع عليه مع ما تمسك به من قوله ﷺ في الحديث الصحيح لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد فالزبارة خارج عن هذه الثلاثة فليكن منها عنه (قلت) ليس معنى الحديث ما فهم وانما معناه لا تشد الى مسجد لأجل تعظيمه والتقرب بالصلاة فيه الا الى المساجد الثلاثة لتعظيمها بالصلاة فيها وهذا التقدير لا بد منه عند كل أحد ليكون الاستثناء متصلا ولأن شد الرحل الى عرفة لقضاء النسك واجب أجمعا وكذا الجهاد والهجرة من دار الكفر بشرطها وهو طلب العلم سنة أو واجب وقتا جمعوا على جواز شذها للتجارة وخوائج الدنيا فحوائج الآخرة وهو الزبارة للقبر الشريف أولى وما يدل أيضا التأويل الحديث بما ذكره الصريح به في حديث سنده حسن وهو قوله ﷺ لا ينبغي للمصلي أن تشد رحاها الى مسجد ينبغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجد هذا والمسجد الأقصى كذا في هداية الناسك وان انكبه الإقامة بالمدينة والمجاورة بها الى آخر العمر مع مراعات الاحترام له ﷺ ولحيارته فله فضل عظيم فروى مسلم عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا قال المدينة خير لهم وكانوا يعلمون يبدلها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها خيرا منه الحديث وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا يفتح الشام فيخرج من المدينة قوم بأهلهم يسبون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

﴿وقال﴾ ﷺ ﴿لا يصبر على لأواء المدينة شذتها﴾ مرادف لما قبله كما في المصباح للأواء الشدة ﴿أحد من أمى الأكت له شفعاً يوم القيامة أو شهيدا﴾ رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة وسعد وغيرهما وفي هذا الحديث والذي بعده الحث على الصبر على سبكي بها وكراهية الخروج منها قال الطبري قوله شفعاً أو شهيدا ليست أو هنا الشك خلافا لمن ذهب اليه اذ قدر رواه جابر وأبو هريرة وأبو سعيد بن أبي وقاص وأسما بنت عيسى بهذا اللفظ ويبعد اتفاق الكل على الشك بل الظاهر أنه ﷺ قاله كذلك فتكون أو للتقسيم ويمكن أنه ﷺ كان شفعاً لبعض أهل المدينة وشهيدا لبعضهم أما شهيدا للطائفتين شفعاً للعاصين أو شهيدا لمن مات في حياته شفعاً لمن مات بعده أو غير ذلك مما أعلم به وفي تخصيص هذه الشفاعة أو الشهادة تخصيص زائد بزيارة منزلة لهم وقد تكون أو بمعنى الواو وان كانت أو للشك فان كانت اللفظة الصحيحة الشهادة فلا اشكال اذ هي زائدة على الشفاعة المؤخرة وان كانت الشفاعة فاخصاص أهل المدينة بها يدل على أنها شفاعاة أخرى خاصة اما لزيادة الدرجات أو تخفيف الحساب أو غير ذلك .

﴿وقال﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿من استطاع﴾ أي قدر ﴿أن يموت بالمدينة﴾ أن يقيم فيها حتى يدركه الموت ﴿فليست بها﴾ أي فليقم بها حتى يموت فهو تحرص على الإقامة بها لتأتي له أن يموت بها اطلاقاً للمسبب على سببه كما في قوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ﴿فاني أشفع لمن يموت بها﴾ أي أخصه شفاعتي غير العامة زيادة في الكرامة رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان عن ابن عمر قال الترمذي حسن صحيح ﴿نسأل الله الكريم﴾ المنان ﴿أن يرزقنا شفاعته نبيه﴾ ويرزقنا ﴿الموت في حرمه﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿آمين﴾ يا رب العالمين .

﴿وحكى﴾ أبو الحسن الصوفي قال وقف حاتم الأصم على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رب انا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائنين فنوى يا هذا ما أذنا لك في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم الا وقد طهرناك ارجع ومن معك من الزوار مغفورا لكم فان الله عز وجل قد رضى عنك وعن زار قبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فارض اللهم عنا معهم

﴿وحكى أبو الحسن الصوفي﴾ رحمه الله تعالى ﴿قال وقف حاتم الأصم﴾ رحمه الله عليه ﴿على قبر النبي ﷺ فقال يا رب انا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائنين فنوى يا هذا ما أذنا لك في زيارة قبر النبي ﷺ الا وقد طهرناك﴾ من الذنوب ﴿ارجع ومن معك من الزوار مغفورا لكم فان الله عز وجل قد رضى عنك وعن زار قبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم﴾ قال المصنف ﴿فارض اللهم عنا معهم﴾ آمين .

وحكى الياقنى فى روضه عن أبى الخير الاقطع رحمه الله تعالى قال قدمت مدينة رسول الله ﷺ فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقا فتقدمت الى القبر الشريف وسلمت على النبي ﷺ وعلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقلت يا رسول الله لنا ضيفك الليلة وتنجيت وتمت خلف المنبر فرأيت ﷺ فى المنام وأبى بكر رضى الله عنه عن يمينه وعمر رضى الله عنه عن شماله وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه بين يديه فحركنى على رضى الله عنه وقال لى قم فقد جاء رسول الله ﷺ فقممت اليه وقبلت بين عينيه فدفع الى رغيما نأكلت نصفه واتبعت وفى يدي والله نصفه .

* حكاية * كان الشيخ صالح سيدى أحمد الرفاعى يبعث السلام مع الحاج فى كل عام الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فلما نذر الله له بالحج وقف عند القبر الشريف وقال :

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها ✽ تقبل الارض عنى وهى نائين

وهذه توبة الأشياخ قد حضرت ✽ فامد ديميك كى تحظى بها شفاعتى

ظهرت له يد النبي ﷺ فقبلها ولا انكار فى ذلك فان انكار ذلك يؤدى الى سوء الخاتمة والعياذ بالله وان كرمات الأولياء بحق والنبي ﷺ عى فى قبره سميع بصير منعم فى قبره .

قال بعضهم بلغنا أن من وقف عند قبر النبي ﷺ وقرأ هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية ثم قال صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة ويستحب لمن زاره أن يصلى بين القبر الشريف والمنبر فانها روضة من يابض الجنة قبل معناه البقعة تستحق روضة من الجنة وقيل أن تلك البقعة بعينها تكون فى الجنة يوم القيامة قال النووي فى مناسكه ومن حسن ما يقول للواقف بعد الزيارة ما حكاه أصحابنا عن محمد بن عبد الله العنقى مستحسنين له قال جاء أعرابى الى قبر النبي ﷺ لاما حسنا ودعا كذلك ثم قال أبى أنت وأمى يا رسول الله ان الله قد خصك بوحية وأنزل عليك كتابا جمع لك فيه علم الأولين الآخرين وقال وقوله الحق ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله الآية وقد جئت مقرا بالذنوب مستشفعا بك الى ربك ثم قال :

يا خير من دفنت بالتراب أعظمه ✽ فطاب من طيبن القاع والأكرم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه ✽ فيه العفا وفيه الجود والكرم

أنت الرسول الذى ترجى شفاعته ✽ عند الصراط اذا ما زالت القدم

لولاك ما خلقت شمس ولا قمر ✽ ولا نجوم ولا لوح ولا قلم

﴿باب فضل القرآن﴾

أخرج البيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرحمن على سائر خلقه *
والحاكم عن ابن مسعود من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة

صلى عليك . إله الدهر اسمه ﴿فأنت أكرم من أنت له الاسم﴾

ثم ركب راحلته وانصرف قال العتيبي فغلبتني عيناى فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا عتيبي الحق الأعرابي وبشره بأن الله قد غفر له بشفاعتي فاستيقظت فخرجت لطلبه فلم أجده وقد استوفى الكلام على آداب زيارة قبر الشريف حجة الاسلام الغزالي في حياته فانظروا فانه مهم .

﴿خاتمة﴾ قد وردت في فضيلة مسجد المدينة والصلاة فيه أخبار كثيرة منها ما تقدم ذكره ومنها ما روى عن أبي سعيد الخدري ؓ أنه سأل النبي ﷺ عن المسجد الذي أسس على التقوى قال مسجدكم هذا مسجد المدينة أخرجه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان امرأة شكت شكوى فقالت ان شفائي الله تعالى لأخرجن فلاصلين في بيت المقدس فبرئت ثم تجهزت تريد الخروج فجاءت ميمونة زوج النبي ﷺ فأخبرتها ذلك فقالت اجلسي فإلى ما صنعتت وصلى في مسجد رسول الله ﷺ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا مسجد الكعبة أخرجه مسلم وقد روى ذلك من حديث الأرقم بن أبي الأرقم عن النبي ﷺ ولفظه قال قلت يا رسول الله اني أريد أن أخرج إلى بيت المقدس قال فلم قلت الصلاة فيه قال الصلاة هنا أفضل من الصلاة هناك بألف مرة أخرجه ابن الجوزي في مشير العزم وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الحرام فإن رسول الله ﷺ آخر الأنبياء وإن مسجده آخر المساجد وقد روى ذلك من حديث عائشة عن النبي ﷺ قال أنا خاتم الأنبياء ومسجدي آخر المساجد أحق أن يزار وتركب إليه الرواحل أخرجه ابن الجوزي في مشير العزم وعن أنس أن النبي ﷺ قال من صلى في مسجدى أربعين صلاة كتب له براءة من النار وبرائة من العذاب وبرائة من النفاق أخرجه أحمد وقال ابن حبان في التماسيم والأنواع ذكر الخبر الدال على أن الخارج من منزله يريد مسجد المدينة من أى بلد تكب له بكل خطوة حسنة وتحط الأخرى عنه سينة إلى أن يرجع إلى بلده وأخرج فيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال ان من حين يخرج أحدكم من منزله إلى مسجدى فرجل تكب له حسنة ورجل تحط عنه خطيئة حتى يرجع والحديث الأول حجة على من قال المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد قباء وقول ميمونة اللتي نذرت ان تصلى في بيت المقدس حجة لأصحاب الشافعي على أن المكي والمدني ان نذرا الخروج إلى بيت المقدس والصلاة فيه لايلزمهما ذلك لأن مكانهما أفضل والله سبحانه وتعالى اعلم .

﴿باب فضل القرآن﴾ على غيره وتلاوته وتعليمه .

﴿أخرج البيهقي﴾ وأبرع على ﴿عن أبي هريرة﴾ قال قال رسول الله ﷺ فضل القرآن على سائر الكلام أي من الكتب المنقولة والأحاديث القدسية والنبوية بفضلها شيء يسير بالنسبة لفضل القرآن كما أن فضل الخلق بالنسبة لأدنى فضل الله تعالى مثلاً شيء يسير قاله الحنفى ﴿كفضل الرحمن﴾ تعالى ﴿على سائر خلقه﴾ قال العلامة العزيمى وهذا لاينافى أن بعض الأذكار والأدعية قد تكون أفضل من قراءة القرآن في مواضع مخصوصة .

﴿و﴾ أخرج ﴿الحاكم﴾ وابن الضريس والبيهقي ﴿عن ابن مسعود﴾ مرفوعاً ﴿من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة﴾

والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف * وأحمد عن معاذ بن أنس من قرأ القرآن وعمل بما فيه أنبس والداء تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل *

والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف * ورواه ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني في الكبير عن عوف بن مالك الأشجعي مرفوعا بلفظ من قرأ حرفا من القرآن كتب له حسنة لا أقول الم ذلك الكتاب ولكن الألف واللام والميم والذال واللام والكاف وروى البيهقي عنه بلفظ: لا أقول بسم الله ولكن باء وسين وميم ولا أقول الم ولكن الألف واللام . وروى الديلمي عن أنس: من قرأ القرآن كتب له بكل حرف منه عشر حسنة ومن قرأ القرآن كتب له بكل حرف حسنة وحشر في جملة من يقرأ ويرقى وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رجل: يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال: الحال المرغل، قال: وما الحال المرغل؟ قال: الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل . وأخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: يحجى القرآن يوم القيامة فيقول يا رب جله فيلس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلس حلة الكرامة ثم يقول يا رب أرض عنه فيرضى عنه فيقال اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة . فأخرج أيضا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ القرآن فاستظمه فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار .

وأخرج مسلم عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول أبي فأجيب واني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور بكتاب الله واستمسكوا به فحنت على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيته اذكركم الله في أهل بيته . زاد في رواية: كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأ ضل وفي رواية: كتاب الله هو حبل الله من أتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة . وفي رواية الترمذي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الأخرى وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيته لم يفترقا حتى يرثي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما . وأخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ان الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالنبت الحروب . وأخرج البخاري عن عثمان عن النبي ﷺ قال: خيركم من تعلم القرآن وعلمه .

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتنوع فيه وهو عبث شاق له أجران . قوله الماهر بالقرآن يعنى الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة ، وقوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسل من الملائكة سمي بذلك لأنه يسفر برسالات الله إلى أنبيائه . وقيل السفرة الكعبة من الملائكة ، والبررة المطيعون لله تعالى فيما يأمر به ومعنى كونه مع الملائكة أن له منازل في الجنة يكون فيها رفيقا لهم . وقوله يتنوع أى يتردد في تلاوته لضعف حفظه له أجران يعنى يحصل له اجر بسبب القرآن وأجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه أن له اجرا أكثر من الماهر بل الماهر أفضل منه وأكثر اجرا * * * أخرجه أحمد * * * وأبو داود * * * عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه * * * معاذ بن أنس * * * أن رسول الله ﷺ قال: * * * من قرأ القرآن وعمل بما فيه أنبس والداء تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا؟ * * * أى القرآن . وأخرج أبو الليث عن أبي أمامة * * * قال: حرصنا رسول الله ﷺ على تعلم القرآن أخبرنا عن فضله وقال: تعلموا القرآن ثم أخبرنا عن فضله وقال: ان القرآن يأتي أهله يوم القيامة أحوج ما يكون إليه قال: فيقدم على صاحبه بأحسن صورة له

وأحمد عن تميم من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة * والحاكم عن أبي هريرة من قرأ في ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين * والديلمي عن عمرو بن شعيب إذا ختم العبد القرآن صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك * وأبو داود والنسائي عن أنس مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترج ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مروم مثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مرو ولا ريح لها ومثل المجلس الصالح كمثل صاحب المسك أن لم يصبك منه شيء أصابك، من ريحه ومثل المجلس السوء كمثل صاحب الكبر

فيقول: أتعرفني؟ فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا الذي كنت تحبه وتكرمه وكنت تسهر لليلك به وتدأب نهارك يعني من عادتك أن تقرأ نهارك قال: فيقول: لعلك القرآن ثم يقدم على الله فيعطى الملك يمينه والخلد بشماله ويوضع تاج الملك على رأسه ويلبس والداه المسلمان حاليين ما يقوم بهما الدنيا وأضعافها فيقولان: من أين لنا هذا ولم تبلغه أعمالنا؟ فيقال: لهما بفضل ولد كما بقراءة القرآن أعطيتا ذلك. وأخرج ابن أنباري في المصاحف واليهقي وابن عساکر عن أبي أمامة مرفوعاً: من قرأ ثلث القرآن فقد أعطى ثلث النبوة ومن قرأ نصف القرآن أعطى نصف النبوة ومن قرأ ثلثه أعطى ثلثي النبوة ومن قرأ القرآن كله فقد أعطى النبوة كلها غير أنه لا يوحى إليه. وأخرج الحاكم واليهقي عن عبد الله بن عمرو وزفعه: من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد﴾ ومسلم ﴿عن تميم﴾ الدار بإسناد صحيح ﴿من قرأ بمائة آية في ليلة﴾ قال الترمذي يحتمل أن الباء زائدة أو المراد في الصلاة ﴿كُتِبَ لَهُ قَنُوتُ لَيْلَةٍ﴾ أي عبادتها ﴿و﴾ أخرج ﴿الحاكم﴾ عن أبي هريرة ﴿رضي الله عنه﴾ ﴿من قرأ في ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين﴾ أي عن تلاوة القرآن ﴿و﴾ أخرج ﴿الديلمي﴾ عن عمرو بن شعيب ﴿عن أبيه﴾ عن جده عبد الله بن عمرو ﴿إذا ختم العبد القرآن﴾ أي انتهى في قراءته ﴿صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك﴾ أي استغفروا له قال المناوي: يحتمل أن هذا العدد يحضرون عند ختمه والظاهر أن المراد بالعدد الكثير لا التحديد كظاثره، وفي هذا الحديث حث على ختمه ﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود والنسائي﴾ عن أنس: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترج ﴿بضم الهمزة وتشديد الجيم﴾ فأكمة معروفة الواحدة أترجة وفي لغة ضعيفة ترنج قال الأزهرى: والأولى هي التي تكلم بها الفصحاء وارتضاها النحويون كذا قاله الفيومي ﴿ريحها طيب وطعمها طيب﴾ وجرمها كبير ومنظرها حسن وملبسها لين ﴿ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة﴾ بمشاة فوقية ﴿طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة﴾ من حيث الريح لخروج كلام الله تعالى من فيه فأورثه طيب الرائحة في الظاهر والقلب حيث قاله الحنفى ﴿ريحها طيب وطعمها مروم مثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة﴾ جمع حنظل نبت مروونه زائدة وقالوا بعير حنظل وزان تعب يأكل الحنظل ﴿طعمها مرو ولا ريح لها﴾ قال العزيمى المقصود بضرب المثل بيان علو شأن المؤمن وارتفاع عمله وانحطاط شأن الفاجر واحباط عمله. وقال الدميرى: في حياة الحيوان وجه التشبيه أن البيت الذي فيه الأترج لا يدخله الجان كذلك القلب الذي فيه القرآن لا يدخله الشيطان. قال البرماوى في شرح البخارى: لون الأترج يسير الناظرين ويقوى الهضم ويدبغ المعدة ﴿مثل المجلس الصالح كمثل صاحب المسك﴾ أى رواية حامل والمسك بكسرة الميم معروف ﴿أن لم يصبك منه شيء أصابك﴾ من ريحه ﴿مقصوده الإرشاد إلى مجالسة من يتبع بمجالسة في نحو دين أو حسن خلق والتحذير من ضده أفاده العزيمى﴾ ومثل المجلس السوء كمثل صاحب الكبر أى كبر الحداد كما فى رواية والكبر بكسر الكاف بعدها تحية ساكنة معروف حقيقة البناء الذي يركب عليه الزق وهو الذي يتفخ فيه فاطلاق على الزق اسم الكبر مجازاً لجاورته له، وقيل الكبر هو الزق نفسه وأما لبناء فليسمه الكور

إن لم يصبك من شره شيء أصابك من دخانه * وأحمد عن أبي هريرة من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاية من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة * والطبراني عن أنس من علم ابنه القرآن نظراً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن علمه إياه ظاهراً فكلمنا قرأ ابن آية رفع الله به للآب درجة حتى ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن * والدليل عن أبي أمامة حامل القرآن حامل راية الإسلام ومن أكرمه فقد أكرمه الله ومن أهانه فعليه لعنة الله * وأخرج الترمذي والنسائي عن أنس قال : قال صلى الله عليه وسلم عرضت على أجود أنسى حتى القذاة .

﴿إن لم يصبك من شره﴾ وهو ما تطاير من النار ﴿شيء أصابك من دخانه﴾ وفي الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا والترغيب فيمن ينفع بمجالسته فيهما . وأخرج أحمد والشيخان وأصحاب السنن عن أبي موسى الأشعري بلفظ : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل ريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنثلة ليس لها ريح وطعمها مر . وأخرج أبو يعلى عن أبي موسى : مثل المجلس الصالح كمثل صاحب المسك ، وكير الحداد لا يبعد منك من صاحبك المسك إنما تشتره أو تجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد ريحاً خشة . وأخرج أبو داود والحاكم عن أنس : مثل المجلس الصالح كمثل العطاران لم يعطك من عطره أصابك من ريحه . ﴿و﴾ أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿من استمع إلى آية من كتاب الله﴾ أي ضغني إلى قراءتها . قال الحفنى : ضمن استمع معنى صافعه بالي فهو يتعدى بنفسه ﴿كتبت له حسنة مضاعفة﴾ إلى سبعين ضعفاً . ﴿ومن تلاية من كتاب الله كانت له نوراً﴾ يسعى بين يديه فالقراءة أفضل من السماع قاله الحفنى ﴿يوم القيامة﴾ قال العزري في إشارة إلى أن الجهر بالقراءة أفضل ومحلّه إذا لم يخف رياء .

﴿و﴾ أخرج الطبراني عن أنس من علم ﴿ابنائه القرآن نظراً﴾ في المصحف ﴿غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن علمه إياه ظاهراً﴾ أي حفظه على ظهر الغيب ﴿فكلمنا قرأ ابن آية رفع الله بها للآب درجة حتى ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن﴾ وأخرج الدليل عن أبي أمامة حامل القرآن ﴿أي حافظه والعامل به﴾ حامل راية الإسلام ﴿قال الزبيدي فيه استعارة نانه لما كان حاملاً للحجة الظهيرة للإسلام وقمع الكفار كان كحامل الراية في حربهم﴾ ومن أكرمه فقد أكرمه الله ومن أهانه فعليه لعنة الله وقال الفضيل بن عياض حامل القرآن حامل لراية الإسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يستهوى مع من يستهوى ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن واشتغالاً برفع راية الإيمان هكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة الفضيل وأخرجه محمد بن نصر في الصلاة والطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمر بن عاص رفعه ليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه أو يفتضح فيمن يفتضح أو يحد فيمن يحد كمن يغتفر ويصفح لفضل القرآن رواه ابن أبي شيبة مرفوعاً عليه ورواه البيهقي والحاكم بلفظ لا ينبغي لصاحب القرآن أن يحد مع من حد ولا يجهل مع من يجهل وفي جوفه كلام الله ورواه الخطيب عن ابن عمر رفعه لا ينبغي لحامل القرآن أن يحد فيمن يحد ولا يجهل فيمن يجهل ولكنه يغتفر ويصفح لعز القرآن ولذلك قال الفضيل بن عياض وغيره ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلق والمملوك من في معانهم فمن دونهم من الأمراء ورؤساء العشائر وينبغي أن تكون خوائج الخلق كلهم إليه تعظيماً لما حمّله واحتراماً له فانه نعمة جسيمة ومتى احتاج خاملة إلى أهل الدنيا فقد استصغرها عظمه الله ولحمه الوعيد الشديد .

﴿وأخرج الترمذي والنسائي عن أنس﴾ باسناد ضعيف ﴿قال قال رسول الله ﷺ عرضت على أجود أنسى حتى القذاة﴾

يخرجها الرجل من المسجد وعرضت على ذنوب أمي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أويتها رجل ثم نسيها * وأبو داود عن سعيد بن عباد ما من امرئ تعلم القرآن ثم نسيه الا لقي الله يوم القيامة أجزم ﴿وحكى﴾ اليا فعي أن الامام أحمد بن حنبل قال رأيت رب العزة في منى فقلت يا رب بم تقرب إليك المتقربون قال بكلامي فقلت بفهم أو بغير فهم قال بفهم وبغير فهم

بالرفع والذال المعجمة والقصر ما يقع في العين من تراب أو تين أو نسخ ولا بد هنا من تقدير مضاف أي أجور أفعال أمي وأجر اخراج القذاة ويحمل الجر وحتى بمعنى إلى فحينئذ التقدير إلى اخراج القذاة وجوز بعضهم النصب أي حتى رأيت القذاة يخرجها الرجل من المسجد ﴿جيلة مستأنفة للبيان قال ابن رسلان وسمعت من بعض المشايخ انه ينبغي لمن أخرج قذاة من المسجد أو أذى من طريق المسلمين أن يقول عند أخذها لا إله الا الله ليجمع بين أدنى شعب الايمان واعلاها وهي كلمة التوحيد وبين الأقوال والأفعال وان اجتمع القلب مع اللسان كان ذلك أكمل ﴿وعرضت على ذنوب أمي فلم أر ذنبا أعظم من﴾ نسيان ﴿سورة من القرآن وآية﴾ منه ﴿أويتها﴾ بضم الهمزة وفتح المثناة التحتية أو حفظها ﴿رجل﴾ أو غيره من مكلف ﴿ثم نسيها﴾ لأنه نشأ عن تشاغله عنها وعدم الاهتمام بها ولا ينافيه خبر رفع عن أمي الخطأ والنسيان لأن ما هنا في المفرط فالمعدود ذنبا هو التريط .

قال الشيخ ولي الدين العراقي وهذا الحديث ان صح يقتضي ان هذا أكبر الكبائر ولا قائل به وقد يحمل نسيانها على رفضها وبثها كما في قوله تعالى ابتك آياتنا فنسيها وهذا يقتضي الكفر وهو أكبر الكبائر بلا توقف وقد يحمل على الذنوب التي اطلع عليها في ذلك الوقت انتهى قال العلقمي ويحتمل أن المراد بالذنوب التي عرضت الصغائر فيكون نسيان ما أوتيه الانسان من القرآن أعظم الصغائر وعن الولد بن عبد الله أن النبي ﷺ قال عرضت على الذنوب فلم أر فيها شيئا أعظم في حامل القرآن وتاركه وعن طلق بن حبيب أن النبي ﷺ قال من تعلم القرآن ثم نسيه من غير عذر حط له بكل آية درجة وجاء يوم القيامة مجذوما مخصوصا وعن رسول الله ﷺ أنه قال من تعلم القرآن ثم نسيه من غير عذر جاء يوم القيامة أجزم أي مقطوع اليد وعن الضحاك قال ما تعلم القرآن رجل ثم نسيه الا بذنب يعضيه ثم قرأ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن هكذا ذكره أبو الليث .

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود عن سعد بن عباد﴾ ﴿بأسناد حسن﴾ ﴿ما من امرئ تعلم القرآن﴾ وفي رواية يقرأ القرآن أي يحفظه على ظهر قلبه ﴿ثم نسيه الا لقي الله يوم القيامة أجزم﴾ بذا معجمة أي مقطوع اليد أو به داء الجذام وقال الخطابي معناه ما ذهب إليه ابن الاعرابي لقي الله خالي البدين من الخير صفرهما من الثواب .

﴿وحكى﴾ أبو محمد ﴿اليا فعي﴾ وغيره ﴿أن الامام أحمد بن حنبل قال رأيت رب العزة﴾ عز وجل ﴿في منى فقلت يا رب بم تقرب إليك المتقربون﴾ وفي رواية ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك ﴿قال بكلامي﴾ يا أحمد قال ﴿فقلت بفهم أو بغير فهم﴾ قال بفهم وبغير فهم ﴿هكذا نقله ابن الجوزي في مناقب الامام المراد بفهمه كما قاله الزبيدي فهم معانيه ومعرفة أحكامه فيحل جلاله ويحرم حرامه .

وحكى صاحب نزهة المجالس عن أبي بكر السقلافي قال رأيت رب العزة في المنام فأردت أن أسأله عن أفضل الأعمال فاستحييت فقال تريد أن تسألني عن أفضل الأعمال قلت نعم قال قراءة القرآن فأردت أن أسأله بطهارة أو بغير طهارة فاستحييت فقال أتريد أن تسألني بطهارة أو غير طهارة قلت نعم قال بطهارة أو غير طهارة فأردت أن أسأله بصلاة أو غير صلاة فاستحييت فقال أتريد أن تسألني بصلاة أو غير صلاة قلت نعم قال بصلاة أو غير صلاة فأردت أن أسأله بمعربا أو غير معرب فاستحييت فقال أتريد أن

تسألني معرباً أو غير معرب قلت نعم قال معرباً وغير معرب ثم قال أتدري ما للقارئ عتدي قلت لا قال له بالحرف المطلق عشر خسنات وبالمعرب عشرون حسنة أتدري كم الحسنات قلت لا قال ألف رطل والرطل ألف داق والداق ألف درهم والدرهم ألف قيراط والقيراط وزن أحد بضمين جبل مشهور قال العلامة السيوطي في الأتيان المراد بالإعراب معرفة معانيه .

* تنبيه * واختلف هل تجوز الرؤية له تعالى في الدنيا في اليقظة وفي المنام قليل نعم وقيل لا أما الجواز في اليقظة فلأن موسى عليه الصلاة والسلام قال رب أرني أنظر اليك وهو لا يبجل ما يجوز وما يمنع على ربه تعالى والمنع لأن قومه طلبوها فوَقَّبُوا قال تعالى فقالوا ارنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم واعترض هذا بأن عقابهم لعنادهم وتعتهم في طلبها لا لامتناعها وأما المنع في المنام فلأن المرئي فيه خيال ومثال وذلك على القديم محال والحيز قال لاستحالة لذلك في المنام لأن المستحيل التمثيل في الواقع والرؤية المنامية مبنية على حزب من التمثيل والتخييل فيرى من ليس بجسم وصورة ويرى المعاني على صورة الأجسام كالعلم على صورة اللبن .

قال الامام الغزالي في كتابه المسمى بالمظنون به على غير أهله الحق انا نطلق القول بان الله تعالى يرى في المنام كما نطلق القول بان رسول الله ﷺ يرى ولكن من لم يفهم معنى رؤية رسول الله ﷺ كيف يفهم معنى رؤية الله تعالى ولعل العالم الذي طبعه قرب من طبع العوام يفهم ان من رأى النبي ﷺ في المنام فقد رأى حقيقة شخصه المودع في روضة المدينة بان شق القبر وخرج مرتحلاً الى موضع الرؤية ولا شك في جهل من يوهم ذلك فانه قد يرى ألف مرة في ليلة واحدة في وقت واحدة في ألف موضع بأشخاص مختلفة فكيف يتصور شخص واحد في حالة واحدة بصور مختلفة شيخ وشاب طويل وقصير الخ وجوهر النبوة أعنى الروح المقدسة الباقية من النبي ﷺ بعد وفاته منزهة عن اللون والشكل لكن العبد يعرف ذاته بواسطة مثال محسوسة من نور وغيره من الصور الجميلة التي تصلح أن تكون مثالا للجمال الحقيقي المعنوي الذي لا صورة له ويكون ذلك المثال صادقا حقا وواسطة في التعريف فيقول الرائي رأيت الله في المنام لا بمعنى رأيت ذاته كما يقول رأيت النبي ﷺ لا بمعنى اني رأيت ذات روحه او ذات شخصه بل بمعنى أنه رأى مثاله .

فان قيل النبي ﷺ له مثل والله تعالى لا مثل له هذا جهل بالفرق بين المثال والمثال وليس المثال عبارة عن المثال المساوي في جميع الصفات والمثال لا يحتاج فيه الى المساواة فان العقل بمعنى لا يماثله غيره مماثلة ولنا أن نضرب الشمس له مثالا لما بينهما من المناسبة في شيء واحد وهو ان المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف العقولات بالعقل فهذا القدر من المناسبة كاف في المثال ويمثل في النوم السلطان بالشمس والوزير بالقمر والسلطان لا يماثل الشمس بصورته ولا بمعناه ولا الوزير يماثل القمر الا ان السلطان له استعلاء على الكل ويعم أمره الجميع والشمس تناسبه في هذا القمر والقمر واسطة بين الشمس والارض في افاضة النور كما أن الوزير واسطة بين السلطان والريعية في افاضة النور العدل فهذا مثال ليس بمثال وقال الله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كشكاة الآية ولا مماثلة بين نوره وبين الزجاجة والمشكاة وعبر النبي ﷺ عن اللبن في المنام بالاسلام والحبل بالقرآن وأي مماثلة بين اللبن والاسلام وبين الحبل والقرآن الا في مناسبة وهو أن الحبل يمسك به في النجاة واللبن غذاء الحياة الطاهرة والاسلام غذاء الحياة الباطنة فهذه كلها مثال وليست بمثل فذات الله تعالى وذاته ﷺ لا يربان في المنام وان مثالا يعتقد النائم ذات الله تعالى وذات النبي ﷺ يجوز أن يرى وكيف ينكر ذلك مع وجوده في المنامات فان لم يره بنفسه فقد تواتر اليه من جماعة انهم راؤا ذلك انتهى .

قال البطار ثم ان اختلاف رؤيته ﷺ انما هو بحسب اختلاف حال الرائي ظهرت له كما تظهر في المراة ولا يلزم من صحة الرؤية لتعويل عليها في حكم شرعي لاحتمال الخطاء في التحمل وعدم ضبط الرائي .

﴿تنبيهات﴾ أحدها أن تلاوة القرآن أفضل من سائر أنواع الذكر العام الذي لم يخص بوقت أو محل وهي

حكى أن رجلا رأى ﷺ في المنام يقول له إن في المحل الفلاني ركازا ذهب فخذ ولا تخس عليك فوجده فاستقى العلماء فقال العزيز بن عبد السلام أخرج الخمس فانه ثبت بالتواتر وقصة رؤيتك الأحاد.

قال العلامة أبو بكر بن شطا إن رؤية الباري جل وعلا بقوة يجعلها الله في خلقه ولا يشترط فيها مقابلة ولا جهة ولا اتصال أشعة بالمرئي وإن وجد ذلك في رؤية بعض البعض المعتادة في الدنيا ولا غرابة في ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يدرك بالعقل منزها فكذا بالبصر لأن كلاهما مخلوق وإلى ذلك كله أشار العلامة اللقاني في جوهر التوحيد عند ذكر الجائز في حقه تعالى بقوله :

ومنه أن ينظر بالأبصار ✽ لكن بلا كيف ولا انحصار

للمؤمنين إذ بجائز علت ✽ هذا وللمختار دنیا ثبت

أشار إليه أيضا صاحب البدء الأمالى بقوله :

يراه المؤمنون بغير كيف ✽ وأدراك وضرب من مثال

فينسون النعيم إذا رأوه ✽ فإخسران أهل الاعتزال

﴿تنبيهات﴾ أربعة ﴿أحدها﴾ أن تلاوة القرآن أفضل من سائر أنواع الذكر العام الذي لم يخص بوقت أو محل وهي ﴿أي﴾ تلاوة القرآن

﴿نظرا﴾ في المصحف أفضل من القراءة من حفظه أذ يزيد في العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه قال النووي هكذا قاله أصحابنا وهو مشهور عن السلف رضي الله عنهم وهذا ليس على إطلاقه بل إن كان القارئ من حفظه يحصل له من التدبر والتفكير وجمع القلب والبصر أكثر مما يحصل من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل وإن استويا فمن المصحف أفضل وهذا مراد السلف انتهى وقد قيل الختم في المصحف سبع لأن النظر في المصحف أيضا عبادة مطلوبة .

ومن أدلة القراءة في المصحف ما رواه الطبراني فقال حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا رحيمة حدثنا صفوان بن معاوية عن أبي سعيد بن عوف عن أبي الحسن بن عثمان بن عبد الله بن أوش السقني عن جده ﷺ قال قال رسول الله ﷺ قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة وقراءة في المصحف ألفا درجة ورواه ابن عدي في الكامل عن عبد بن محمد بن مسلم عن رحيمة وأبوسعيد مختلف في توثيقه وقال أبو عبيد في فضائل القرآن حدثنا نعيم بن حماد حدثنا بقية عن معاوية بن يحيى عن سليمان بن مسلم عن عبد الله بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ فضل قراءة القرآن نظرا على من يقرأ ظاهرا كفضل الفريضة على النافلة معاوية وسليمان ضعيفان وبقية مدلس وقد عنعن وقال أبو نعيم حدثنا محمد بن المظفر حدثنا الحسن بن جبير الواسطي حدثنا إبراهيم بن جابر حدثنا الحر بن مالك حدثنا شعبة عن أبي اسحق عن أبي اسحق عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف قال لم يروه عن شعبة إلا الحر تفرد به إبراهيم بن جابر وروى ابن البخاري في تاريخه عن أنس رفعه من قرأ القرآن نظرا مع بصره وقد ورد الأمر بإدامة النظر في المصحف قال أبو الحسين بن بشران في فوائده أخبرنا أبو جعفر الرزاز حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا اسحق بن يوسف الأزرق عن سفيان هو الثوري عن غاصم عن زرين حيش عبد الله بن مسعود ﷺ قال قال رسول الله ﷺ أدبوا النظر في المصحف وأخرج أبو عبد عن زيد بن الخطاب عن اسحق الأزرق قال إياه طالب صاحب القوت وخرق عثمان ﷺ مصحفين لكثرة قراءته فيهما انتهى .

نظر وفي الصلاة وبالليل ونصفه الأخير وبين العشاءين وبعد الصبح وفي أفضل الأوقات أفضل ﴿فرع﴾ يسن ترتيبها حتى للأعجمي الذي لا يفهمه وهو الانتقال من حرف إلى حرف آخر بأن بلا وقفة وحرف ترتيل أفضل من حرفي غيره *

وثبت أنه ﷺ لما قل كان يقرأ في المصحف حتى سقط الدم على قوله فسيكفيكم الله وهو السميع العليم وكان كثير من الصحابة رضي الله عنهم يقرؤون المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف فمنهم عثمان ﷺ كما تقدم ومنهم عمر بن الخطاب ﷺ قال أبو عبيد حدثنا حجاج بن محمد حدثنا حماد بن سلمة حدثنا علي بن يزيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن عمر ﷺ أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه وقد روى ذلك عن بعدهم أيضا قال الدارمي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا همام حدثنا ثابت هو البناني قال كان عبد الرحمن بن أبي ليلى إذا صلى الصبح قرأ في المصحف حتى تطلع الشمس وكان ثابت يفعلُه وعبد الرحمن تابعي وهذا الأثر صحيح قاله الزبيدي ودخل بعض فقهاء مصر على الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في السحر وبين يديه المصحف وهو يقرأ فيه فقال له الشافعي شغلكم القرآن أني لأصلي العتمة واضع المصحف بين يدي فما اطبقه حتى الصبح وكان رحمه الله تعالى يحتم في كل يوم وليلة خمسة فاذا جاء رمضان ختم في كل يوم وليلة ختمين .

﴿هو﴾ أفضل القراءة ما كان ﴿في الصلاة﴾ سواء كانت فرضا أو نفلا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة قل له بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمسون وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات كذا نقله الغزالي وهذا قد أخرجه الديلمي من حديث نس مرفوعا وفيه ومن قرأه قاعدا كان له بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة كان له بكل حرف عشر حسنات ومن ستمع إلى كتاب الله كان له بكل حرف حسنة .

﴿هو﴾ أما القراءة في غير الصلاة فأفضلها قراءة ﴿بالليل ونصفه الأخير﴾ منه أفضل من الأول ﴿و﴾ القراءة ﴿بين العشاءين﴾ أي لغرب والعشاء محبوبة وما يدل على أن القراءة بالليل أفضل منها بالنهار ما أخرجه مسلم والأربعة وابن حبان عن عمر بن الخطاب ﷺ فعه من نام عن حربه أو عن شيء منه فقرأ ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه بالليل وقد جاء ذلك صريحا وبكيفية أخر الليل فيما أخرجه مسلم من حديث جابر ﷺ رفعه قال أيكم خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر ليرقد ومن وثق بالقيام من الليل ليوتر من آخر الليل فإن قرأه آخر الليل محضورة وذلك أفضل ﴿و﴾ أما قراءة النهار فأفضلها ما ﴿بعد﴾ صلاة ﴿الصبح﴾ و﴿القراءة﴾ في أفضل الأوقات أفضل ﴿قال النووي﴾ ولا كرامة في القراءة في وقت من الأوقات ولا في أوقات النهي عن الصلاة وأما ما حكاه ابن داود رحمه الله عن معاذ بن رفاعه رحمه الله عن شيخه أنهم كرهوا القراءة بعد العصر وقالوا أنها دراسة يهودي فقير مقبول ولا أصل له بخار من الأيام الجمعة والأثنين والخميس ويوم عرفة ومن الأعشار العشر الأول من ذي الحجة والعشر الأخير من شهر رمضان ومن شهر رمضان .

﴿فرع يسن ترتيبها﴾ أي تلاوة القرآن ﴿حتى للأعجمي الذي لا يفهم﴾ أي الترتيل لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد أثرا في القلب من الهدامة والاستعجال والأعجمي نسبة إلى العجم بفتحين وهو خلاف العرب كما في المصباح قال الله عز وجل ورتل قرآن ترتيلا ﴿وهو الانتقال عن حرف إلى حرف آخر بأن﴾ أي تمهل وعدم إعجال ﴿بلا وقفة وحرف ترتيل أفضل من حرفي غيره﴾ أي أن قراءة حرف واحد بترتيل أفضل من قراءة الحرفين غيره وذلك لأن المقصود من القراءة التفكير والتدبر في معاني يقرأ والترتيل معين له

قال ابن عباس لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله بغير ترتيل قال بعضهم يسن الوقف على رأس كل آية وعليه أبو عمرو والقاري وينبغي أن يكون شأن القارئ الخشوع والتدبر والخضوع

عليه وقد روى عن علي عليه السلام قال لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها وبذلك نعت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ لما سئلت عنها فإذا هي نعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً أي مينة واضحة مفصلة الحروف من التفسير وهو البيان ووصفها لذلك أما أن تقول كانت قراءة كذا أو بالفعل بأن تقرأ كقراءة النبي صلى الله عليه وسلم قيل وظاهر السياق يدل على الثاني قال العراقي رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح انتهى وأخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حزيمة والحاكم والدارقطني وغيرهم عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخرها قطعاً آية آية الحديث والمعنى كما ذكره الزبيدي أن قراءته صلى الله عليه وسلم كانت ترتيلاً لا هذا ولا عجلة بل المفسرة الحروف مستوفية ما تستحقه من مد وغيره لأنه كان يقطعها آية آية.

﴿قال﴾ عبد الله ﴿ابن عباس﴾ رضي الله عنهما ﴿لأن أقرأ سورة﴾ واحدة ﴿أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله بغير ترتيل﴾ وفي القوت قال ابن عباس لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرهما أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذمة وقال أيضاً لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إلي من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهديراً وفي مصنف ابن أبي شيبة عن زيد بن ثابت لأن أقرأ القرآن في شهر أحب إلي من أن أقرأ في خمس عشرة ولأن أقرأ في خمس عشرة أحب إلي من أن أقرأ في عشر ولأن أقرأ في عشر أحب إلي من أن أقرأ في سبع آف واذغو. وسئل مجاهد بن جبير التابعي الجليل رحمه الله عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيامهما واحداً لأن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما في الأجر سواء لأن قيامهما واحد وأفضل الترتيل والتدبر ما كان في صلاة ويقال أن التفكير في الصلاة أفضل منه في غيرها هكذا أورده صاحب القوت وفي النشر اختلف هل الأفضل الترتيل وقلة قراءة أو السرعة مع كثرتها أجاب بعض أئمتنا فقال أن ثواب قراءة الترتيل أجل قدراً وثواب الكثيرة أكثر عدداً لأن بكل حرف عشر حسنات انتهى وقال في شرح المذهب وافقوا على كراهة الإفراط في الإسراع وقالوا قراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزئين في قدر ذلك الزمان بلا ترتيل.

﴿قال بعضهم يسن الوقف على رأس كل آية وعليه﴾ أي جزم على هذا الوقف ﴿أبو عمرو والقاري﴾ رحمه الله وفي الأذكار النووي يستحب للقارئ إذا ابتدأ من وسط السورة أن يتدبر من أول الكلام المرتبط ببعضه ببعض وكذلك إذا وقف وقف على المرتبط وعند انتهاء الكلام ولا يتقيد في الابتداء ولا في الوقف بالأجزاء والأجزاء والاعشار فإن كثيراً منها في وسط الكلام المرتبط بالكلام ولا يتغير الإنسان بكثرة الفاعلين لهذا الذي نهينا عنه من الإبراعى هذه الآداب وأمثل ما قاله السيد الجليل أبو علي الفضيل بن عياض عليه السلام لا تسوحش طرق الهدى لقلة أهلها ولا تنثر بكثرة الهالكين ولهذا المعنى قال العلماء قراءة سورة بكاملها أفضل من قراءة قدرها من سورة طويلة لأنه قد يخفى الارتباط على كثير من الناس أو أكثرهم في بعض الأحوال والمواطن.

﴿وينبغي أن يكون شأن القارئ الخشوع﴾ أي السكون والاطمئنان والاقبال بقلبه ﴿والتدبر﴾ في معاني ما يقرأ ومعنى التدبر النظر في دبر الأمور أي عواقبها وهو قرب من التفكير إلا أن التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب ﴿والخضوع﴾ هو قرب من الخشوع إلا أن الخشوع أكثر ما يستعمل في الصوت والخضوع في الاعتناق.

قال الغزالي وغيره وإذا لم يتمكن من التدبر في الآية لا يتروك فليردد فانه مطلوب إلا أن يكون خلف إمام فانه يمنع من ذلك حينئذ إذا لوبقى المأموم في تدبر آية تلاها الإمام وقد اشتغل الإمام بآية أخرى انتقل عليها كان مسياً في تروده فيها ومثله مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يتابعه عن فهم بقية كلامه وهذا يدل على قصوره في حمله وكذلك إذا كان في تسيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها إمامه أو هو بنفسه فهو وسواس يحترز منه لأنه مأمور إذا كان باتيان ما يناسب فيه من الأذكار والتسيح فقد روى عن عامر بن عبد قيس الزاهد رحمه الله أنه قال يوماً لأصحابه الوسواس يعتريني في الصلاة فقل في أمر الدنيا فقال لأن تختلف في السنة أحب إلي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقف بين يدي ربي عز وجل وإنني كيف أنصرف أي من المقبولين من أهل اليمن أو خلاف ذلك فعند ذلك وسواس مع أنه تفكر في أمر ديني وهو كما قاله فانه يشتغله عن فهم ما هو فيه من أمر الصلاة والشيطان لا يقدّر على مثله إلا بأن يشتغله بفهم ديني لكن يمنعه بذلك من الأفضل وهي دسيسة خفية من الشيطان يدس بها على أكثر السالكين ولما ذكر قول عامر المذكور للحسين البصري رحمه الله قال إن كنتم صادقين عنه في نقله فما اصطنع الله ذلك عندنا .

وروى أن رسول الله ﷺ قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة كذا في القوت قال العراقي رواه أبو ذر الهروي في صحيحه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف انتهى كأنه يشير إلى أنه أخرجه من طريق أبي الشيخ الأصبهاني في كتابه أخلاق النبي ﷺ من طريق روح بن مسافر عن محمد بن الملائكي عن أبيه عن أبي هريرة قال صحبت النبي ﷺ في سفر في ليلة قرأ بسم الله الرحمن الرحيم نبكي حتى سقط قراءها عشرين مرة كل ذلك يبكي حتى يسقط ثم يقول في آخر ذلك لقد خاب من لم يرجع الرحمن الرحيم وإنما ردها تدبره ﷺ في معانيها فانها تتضمن جميع أسرار القرآن فكان له في كل ذلك فهم ومن كل كلمة علم وقام تميم بن أوس الداري ﷺ ليلة هذه الآية أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى قوله وهم لا يظلمون رواه أبو عبيد في الفضائل وابن أبي داود في الشريعة ومحمد بن النصر في قيام الليل والطبراني في الدعاء وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية واستأزوا اليوم أنها لمجرمون كذا في القوت وقد جاء نحو ذلك من ترديد الآيات في الصلاة عن عبد الله بن مسعود وعن عائشة واسماء بنت أبي بكر لصديق رضي الله عنهم .

أما ابن مسعود فأخرج أبو عبيد عن معاذ بن معاذ العبدي عن عبد الله بن عون حدثني رجل من أهل الكوفة قال صلى عبد الله بن مسعود ليلة فذكروا ذلك فقال بعضهم هذا مقام صاحبكم بات هذه الليلة يردد هذه الآية حتى أصبح قال ابن عون بلغني أنها رب ديني علماً وأخرجه ابن أبي داود بسند صحيح عن إبراهيم عن علقمة قال صليت إلى جنب عبد الله فافتح سورة طه فلما بلغ رب ديني علماً قال رب زدني علماً وأما أثر أسماء فقال الإمام أحمد حدثنا ابن عمير حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال خلعت ثعلبي أسماء بنت أبي بكر وهي تقرأ هذه الآية فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم فقمنا فلما طالعنا على ذهبنا إلى السوق ثم رجعت وهي في مكانها وهي تكرر الصلاة وهو موقوف رجاله ثقات من رواية الصحيحين لكن اختلف فيه على هشام أخرجه أبو ليلى ومحمد بن أبي عمران الصوفي وأبو داود جميعاً من طريق أبي معاوية عن هشام فقال عبد الوهاب بن يحيى بن حمزة عن أبيه عن جده أنه أسماء فذكر نحوه ويحتمل أن يكون هشام فيه طريقان وأما أثر عائشة فأخرجه ابن أبي داود من طريق شعبة بن نصاح عن تميم بن محمد بن أبي بكر غدت يوماً على عائشة وهي تصلي الضحى فإذا هي تقرأ هذه الآية فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم . هي تبكي وتردها فقمنا حتى مللت فذهبنا إلى السوق ثم رجعت فإذا هي تردها وتبكي .

إذ هو المقصود والمطلوب وبه تستير القلوب قال أنس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلعبه *

ومما جاء في ذلك في التابعين قال عبد الله بن أحمد في زيادة المسند حدثنا زياد بن أيوب عن علي بن يزيد الصدائي حدثنا عبد الرحمن بن عجلان حدثنا سيرين زهاو وقال بات الربيع بن خثيم ذات ليلة وقام يصلي فمر بهذه الآية أم حسب الذين اجترأوا السيئات إلى قوله ساء ما يحكمون فجعل يرددتها حتى أصبح وقال أبو عبيد حدثنا قدامة أبو محمد عن امرأة من آل عامر بن عبد قيس أن عامر بن عبد قيس قرأ ليلة سورة المؤمنون فلما انتهى إلى هذه الآية وأند رهم يوم الأرفة إذا القلوب لدى الحناجر كاطمين فلم يزل يرددتها حتى أصبح وأخرج محمد بن نصر في قيام الليل من طريق هرون أنه قرأ هذه الآية فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب آيات ربنا فجعل يبكي ويرددها حتى سحر وأخرج ابن أبي داود عن جماعة من التابعين أشياء نحو ذلك وقال بعضهم اني أفتح السورة فيوقني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الصبح وما قضيت منها وكان بعضهم إذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وكان بعضهم يقول كل آية لا أفهمها ولا يكون قلبي فيها لأعدها ثوابا وحكى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله أنه قال اني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا أني أقطع فيها ما جاوزتها إلى غيرها وعن بعض السلف أنه بقى في سورة هود يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لي في كل جمعة ختمه وفي كل شهر ختمه وفي كل سنة ختمه ولي ختمه منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد يعني ختمه القلم والمشاهدة كذا في القوت وذلك بحسب درجة تدبره وتفتيشه واستنباطه للمعاني .

واما يطلب ما ذكر عن الخشوع والتدبر والخضوع ﴿اذ هو﴾ أي المذكور من ذلك ﴿المقصود والمطلوب وبه﴾ أي بما ذكر ﴿تستير القلوب﴾ ودلائله أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر .

ويستحب البكاء والتباكى لمن لا يقدر على البكاء فإن البكاء عند القراءة صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرون للأذان فيكون ويرزدهم خشوعا وفي الصحيحين حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ وفيه إذا عينا تذر فان وقال رسول الله ﷺ أتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال العراقي رواه ابن ماجه عن حديث سعد ابن أبي وقاص باسناد جيد وقال الصالح المروى رحمه الله قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأن البكاء وقال ثابت البناني رحمه الله رأيت في النوم كأنني أقرأ على رسول الله ﷺ القرآن فلما فرغت قال هذه القراءة فأن البكاء نقله صاحب القوت وقال ابن عباس رضي الله عنهما إذا قرأت سجدة فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه نقله صاحب القوت أيضا وزاد فبكاء القلب حزنه وخشيته أي فان لم تبكوا بكاء العلماء عن الفهم فلتحزن قلوبكم على فقد البكاء وليخش كيف لا يوجد فيكم وصف أهل العلم وقد روينا في غرائب التفسير من معنى قوله تعالى وإن من الحجارة لما يتفجر الأنهار قال هي العين الكثيرة البكاء وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء قال هي العين القليلة البكاء وإن منها لما يهبط من خشية الله قال هو بكاء القلب من غير دموع عين وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء وقال رسول الله ﷺ أن القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا رواه أبو يعلى وأبو نعيم من حديث ابن عمر ووجه احضار الحزن أن يتأمل القارئ ما فيه من التهديد والمواعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل قصيره في أوامره وزواجره فيحزن لذلك لا محالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية من الأكدار فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك من أعظم المصائب .

﴿قال أنس بن مالك﴾ ﷺ في ذم تلاوة الغافلين ﴿رب تال للقرآن والقرآن يلعبه﴾ وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعب

وورد في التوراة يا عبدي أما تستحي مني يا تيك كآب بعض اخوانك وانت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتعد لأجله وتقرؤه وتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك منه شيء وهذا كآبى انزله اليك انظر كم فصلت لك من القول وكم كررت عليك فيه لتأمل طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افككت أهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقصد اليك بعض اخوانك فاقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم منكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أو مات اليه ان اكف وها انا ذا مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض عنى بقلبك أجعلتنى أهون عليك من بعض اخوانك تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

نفسه وهو لا يعلم بذلك يقرأ الألفنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه أو غيره الألفنة الله على الكاذبين وهو منهم نقله صاحب القوت وفي هذين القولين تفسير لقول أنس وقال الحسن البصري رحمه الله مخاطبا للقراء أنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه وتقطعون به مراحل وان من كان قبلكم رأوه رسائل أنهم من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار أى بمضمون العمل بما فيها اذا أصبحوا وقال ميسرة الأشجعي الغريب هو القرآن في جوف الفاجر لكونه يحمله استظهارا ولا يعمل بما فيه فهو كالغريب عنده وقال بعض العلماء اذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له مالك ولكلامى وأنت معرض منى دع عنك كلامى ان لم تنب الى وقال ابن مسعود رضي الله عنهما أنزل القرآن عليهم ليعلموا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدكم ليعرأ القرآن من فاتحته الى خاتمه ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جند بن جنادة الغفاري رضي الله عنهم قالوا لقد عشنا دهرا طويلا خذنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتزل السورة على محمد ﷺ فيعلم حلالها وحرامها وأمرها ونهاها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم ند رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمه لا يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده نه فيشره نشر الدقل هكذا نقله صاحب القوت ثم قال لأن المراد والمقصود بالقرآن الاتمار لأوامره ولاتهاء عن زواجره اذ حفظ عدوده مفترض ومسؤل عنه العبد ومعاقب عليه وليس حفظ حروفه فريضة ولا عقاب على العبد اذا لم يحفظ ما وسعه منه .

﴿ وورد في التوراة ﴾ ولفظ القوت وقرأت في سورة الحنين من التوراة ﴿ يا عبدي أما تستحي مني يا تيك كآب ﴾ من ﴿ بعض خواتك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتعد لأجله وتقرؤه وتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك منه شيء وهذا كآبى انزله لك انظر كم فصلت ﴾ أى بينت ﴿ لك ﴾ منه ﴿ من القول وكم كررت عليك فيه لتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه افككت أهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقصد اليك بعض اخوانك فتقبل ﴾ بضم التاء وسكون القاف مع كسر الباء من الاقبال ضد الادبار عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم ﴿ اليك ﴾ منكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أو مات ﴿ أى أشرت ﴾ الىه اكف ﴾ وامنع ﴾ وها انا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض عنى بقلبك أجعلتنى أهون عليك ﴾ أى عندك ﴾ من بعض اخوانك ﴾ كذا نقله صاحب القوت بتمامه ﴿ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنهما ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله الناس ينامون وينهاره اذ الناس يفترون ويحزنه اذ الناس يفرحون ويبكاه اذ الناس يضحكون وبصمته اذ الناس يخوضون ويخشونه اذ من يخالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيا محزونا حكيما سكيما ليئا ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا صخايا ولا حديدا أى احب حدة في الخلق بان يغضب سريرا .

* تنبيه * ينبغي أن يحافظ على تلاوة القرآن ليلا ونهارا سقرا وحضرا وقد كانت للسلف رضي الله عنهم عادات مختلفة في رالذي يحتمل فيه فكان جماعة منهم في كل شهرين خمسة وآخرون في كل شهر خمسة وآخرون في كل عشر ليال خمسة وآخرون في

﴿فائدة﴾ قال في المجموع الاشتغال بحفظ ما زاد على الفاتحة أفضل من صلاة التطوع وأقوى بعض المتأخرين بأن الاشتغال بحفظه أفضل من الاشتغال بفرض الكفاية من سائر العلوم دون فرض العين منها * وثانيها أن نسيان آية أو حرف منه ولو بالاشتغال بما هو أهم منه كعلم العلم العيني كبيرة * وثالثها أنه يجب على من حفظه بعد البلوغ بصفة من إتقان أو توسط أو غيرهما كأن يتوقف فيه أو يكثر غلطه أن ثمانى ليال وآخرين كل سبع ليال وهذا فعل الأكثرين من السلف وآخرون في كل ست ليال وآخرون في خمس وآخرين في أربع وكثيرون في كل ثلاث وكان كثيرون يحتمون في كل يوم ليلة ختم وختم جماعة في كل يوم ليلة ختمين وآخرون في كل يوم ليلة ثلاث ختمات وختم بعضهم في اليوم والليلة ثمانى ختمات أربعاً في الليل وأربعاً في النهار ومن ختم أربعاً في الليل وأربعاً في النهار السيد الجليل ابن الكاتب الصوفي رحمه الله وهذا أكثر ما بلغنا في اليوم والليلة وروى السيد الجليل أحمد الدورقي بإسناده عن منصور بن زاذان بن عباد التابعي رحمه الله أنه كان يحتم القرآن ما بين الظهر والعصر ويحتمه أيضاً فيما بين المغرب والعشاء ويحتمه فيما بين المغرب والعشاء في رمضان ختمين وشيئاً وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل وروى ابن أبي داود بإسناد صحيح أن مجاهد رحمه الله كان يحتم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء وأما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمنهم عثمان بن عفان وعقيم الدار وسعيد بن جبير والمختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان يظهر له بدق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو فصل الحكومات بين المسلمين أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة للمسلمين فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصده ولا فوات كماله ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليست كثر ما يمكنه من غير خروج إلى الحد الملل أو الهذرة في القراءة وقد ذكره جماعة من المتقدمين الختم في كل يوم ليلة ويدل عليه ما روينا بالأسانيد الصحيحة في السنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لا يفته من قرأ القرآن في أقل من ثلاث .

وأما وقت الابتداء والختم فهو إلى خيرة القارئ فإن كان ممن يحتم في الأسبوع مرة فقد كان عثمان رحمه الله يتدئ ليلة الجمعة ويختم ليلة الخميس وقال حجة الاسلام الغزالي في الاحياء الأفضل أن يحتم ختمة بالليل وأخرى بالنهار ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما ويجعل ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما يستقبل أول النهار وآخره وروى ابن أبي داود عن عمرو بن مر التابعي الجليلي رحمه الله قال كانوا يحبون أن يحتموا القرآن من أول الليل أو من أول النهار وعن طلحة بن مصرف التابعي الجليلي قال من ختم القرآن آية ساعة كانت من النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي وآية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وعن مجاهد نحوه وزوينا في مسند الامام الجمع على حفظه وجلاله وإتقانه وبراعته أبي محمد الدرامي رحمه الله عن سعد بن وقاص رحمه الله قال إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وإن وافق آخر الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسي قال الدرامي هذا حسن عن سعد هكذا قاله النووي في أذكاره .

﴿فائدة﴾ قال النووي ﴿في المجموع الاشتغال بحفظ ما زاد على الفاتحة أفضل من صلاة تطوع وأقوى بعض المتأخرين بأن الاشتغال بحفظه﴾ أي ما زاد على الفاتحة ﴿أفضل من الاشتغال بفرض الكفاية من سائر العلوم دون فرض العين منها وثانيها﴾ أي التسهيلات ﴿أن نسيان آية أو حرف منه﴾ أي من القرآن ﴿ولو بالاشتغال بما هو أهم منه كعلم العلم العيني كبيرة وثالثها﴾ أي التسهيلات ﴿أنه﴾ أي الحال والشأن ﴿يجب على من حفظه بعد البلوغ بصفة من إتقان أو توسط أو غيرهما كأن يتوقف فيه أو يكثر غلطه أن

يستمر على تلك الصفة التي حفظه عليها فيحرم عليه نقصها من حافظته * ورابعها أنه يحرم تمزيق ما كتب فيه قرآن عبثاً وبلعه لا أكله ولا شرب نحوه وترك رفعه عن الأرض ومد الرجل إليه ووضع نحو درهم فيه وفي كتب علم شرعى ويندب القيام له كالعلم * وحكى يوسف المالكي أن الإمام أبا بكر بن فورك ما نام في بيت فيه مصحف قط وإذا أراد النوم انتقل عن المكان الذي فيه أعظما لكتاب الله عز وجل .

يستمر على تلك الصفة التي حفظه عليها فيحرم عليه نقصها من حافظته . ورابعها * أي التنبهات * أنه يحرم تمزيق ما كتب فيه قرآن * لأنه ازدراء به * عبثاً * أي لا قصد صيانة .

وعبارة فتاوى ابن حجر تفيد أن المعتمد حرمة التمزيق مطلقاً ونقصها سئل * عن وجد ورقة ملقاة في طريق فيها اسم الله تعالى بالذي يفعل بها فأجاب رحمه الله بقوله قال ابن عبد السلام الأولى غسلها لأن وضعها في الجدار تعرض لسقوطها والاستهانة بها وقيل تجعل في حائط وقيل يفرق حروفها ويلقها ذكره الزركشي فأما كلام ابن عبد السلام فهو متجه لكن مقتضى كلامه جعلها في حائط والذي يتجه خلافه وإن الغسل أفضل فقط وأما التمزيق فقد ذكر الحلبي في منهاجه أنه لا يجوز تمزيق ورقة فيها اسم الله واسم رسوله لما فيه من تفريق الحروف وتفريق الكلمة وفي ذلك ازدراء بالمكبوب .

* و * يحرم * بلعه * أي يلع ما كتب فيه قرآن للملاقاة للنجاسة . وقال ابن قاسم لا يقال إن الملاقاة في الباطن لا تنجس لأنها قول فيه استهان وإن لم ينجس كما لو وضع القرآن على نجس جاف يحرم مع أنه لا ينجس * لا * يحرم * أكله * لأنه لا يصلح إلى الجوف الاوقد زالت صورة الكتابة قاله في النهاية ومثله في التخفة وزاد فيها ولا تنضج ملاقاة الريق لأنه ما دام بمعدنه غير مستقذر * لا شرب نحوه * أي ما عي من القرآن قال الخطيب في شرح المنهاج ولا يكره كتب شيء من القرآن في إماء ليستقى ماؤه للشفاء خلافاً لما وقع لابن عبد السلام في فتاويه من التحريم .

* و * يحرم * ترك رفعه * أي ما كتب فيه قرآن * عن الأرض ومد الرجل إليه * لما فيه من الازدراء وبه قال الخطيب في شرح المنهاج ويحرم الوطء على فراش نقش بالقرآن كما في الأنوار أو بشيء من أسمائه تعالى انتهى وحرمة ذلك ما لم يكن المصحف على مرتفع فإن كان كذلك فلا يحرم * ووضع نحو درهم فيه * أي فيما كتب فيه قرآن وعبارة النهاية ولا يجوز جعل نحو ذهب في كاعد كتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم قال الشبرايملى وغيرها من كل معظم كما ذكره ابن حجر في باب الاستنجاء ومن المعظم ما يقع في المكاتبات ونحوها مما فيه اسم الله واسم رسوله مثلاً فيحرم أهاته بوضع نحو دراهم فيه * و * صفة * في كتب * أي كتابة * علم شرعى * كالتفسير والحديث والفقه * ويندب القيام له * أي المصحف أي قرآن كله أو بعضه قال ابن حجر في التخفة صح أنه * قام للترأة * وكأنه لعلمه بعدم تبدلها . وقال ابن قاسم ينبغي تفسير حيث حرم منه * كالعلم * أي كما يندب القيام للعالم بل أولى ويكره حرق ما كتب عليه القرآن إلا أن قصده به صيانة القرآن فلا يكره كما يؤخذ من كلام ابن عبد السلام وعليه يحمل تحريق عثمان * المصحف ولكن غسله أولى من حرقه .

* وحكى * الشيخ * يوسف المالكي أن الإمام أبا بكر فورك * رحمه الله * وفورك بضم الفاء وسكون الواو وفتح الراء اسم علم وقد ذكرنا بعض ترجمته في سراج الطالبين شرحنا على منهاج العابدين للقرائى فاطلبه فإنه مهم * ما نام في بيت فيه مصحف قط وإذا أراد النوم انتقل عن المكان الذي فيه أعظما لكتاب الله عز وجل * وأكرامه له .

﴿فصل﴾ في فضائل بعض السور والآيات التي ورد فضلها في الأحاديث غير الموضوعات * أخرج عبد الله بن أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله : فاتحة الكتاب تعدل ثلثي القرآن * وأحمد والترمذي عن أبي هريرة والذي نفسي بيده ما أنزل في القرآن ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلاً يعني أم القرآن وأنها السبع المثاني والقرآن العظيم * وأحمد عن أبي أمامة أقرؤوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه أقرؤوا الزهر أو ابن البقرة وآل عمران فانها يأتان كأنهما غمامتان أو غيايتان

﴿فصل في فضائل بعض السور والآيات التي ورد فضلها في الأحاديث غير الموضوعات﴾ أخرج * أي نقل * عبد الله بن أحمد عن ابن عباس * رضي الله عنهما * قال قال رسول الله ﷺ : فاتحة الكتاب * سميت بذلك لافتتاح القرآن بها * تعدل ثلثي القرآن * لا شئاً لها على أكثر مقاصده أي ثواب قراءتها يعدل ثواب قراءة ثلثي القرآن من غير مضاعفة بأن يكون له بكل حرف حسنة واحدة فقط بخلاف من قرأ ثلثي القرآن فله بكل حرف عشر حسنات وكذا يقال في حديث قل هو الله أحد ونحوه هكذا ذكر العلامة الحفني .

﴿و﴾ أخرج * أحمد والترمذي عن أبي هريرة * والذي نفسي بيده ما أنزل في القرآن ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلاً يعني أم القرآن وأنها السبع المثاني والقرآن العظيم * أخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً الحمد لله رب العالمين هي أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الملقب مرفوعاً الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته وسبب تسمية الفاتحة بالسبع المثاني انها سبع آيات بإجماع الأهل العلم .

واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لأنها تنشئ في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لأنها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الأول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة * عن النبي ﷺ قال يقول الله تبارك وتعالى قسمنت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث وقيل سميت مثاني لأن كلماتها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم إياك نعبد وإياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين فكل هذه ألفاظ مثناة وقال الحسن بن الفضل لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون ألف مالك وقال مجاهد لأن الله تعالى استثنى ما وادخرها لهذه الأمة فلم يعطها لغيرهم وقال أبو زيد البلخي لأنها تنشئ أهل الشر عن الشر من قول العرب ثبت عناني وقال ابن الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثاني لأنها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكوته وإذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وانها من أفضل سور القرآن واحدى سورة لا بد وان يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة .

﴿و﴾ أخرج * أحمد * ومسلم * عن أبي أمامة * الباهلي * أقرؤوا القرآن * أي اديبوا على قراءته * فانه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه * أي لقارئه بأن يمثل بصورة يراه الناس كما يجعل الله لأعمال العباد صورة ووزناً لتوضع في الميزان والله على كل شيء قدير فليقبل المؤمن هذا وأمثاله ويعتقد بآيمانه انه ليس للعقل في مثل هذا سبيل * أقرؤوا الزهر أو ابن * أي اللتين يشبهان الزهر في النور لكثرة النور الأحكام الشرعية والأسماء الألوهية فيهما أو لهدايتهما وعظم أجرهما لقارئهما فأخبر أولاً بأن قراءة القرآن من غير تخصيص بسورة منه تكون سبباً للشفاعة ثم أخبر بخصوصيتها * البقرة وآل عمران * بدل من الزهر أو ابن * فانهما يأتان * يوم القيامة أي ثوابهما أو بجسمان * كأنهما غمامتان * أي سحابتان تظللان قارئهما من حر الموقف * أو غيايتان * بفتح الغين المعجمة وتخفيف المثلثين التحيتين قال في النهاية الغيبة كل شيء أظلم الإنسان فوق رأسه من سحابة وغيرها وقال المناوي وهي ما أظلم الإنسان فوقه وأراد به ماله صفاء وضوءه اذ الغيبة ضوء شعاع الشمس ولذلك قال الحفني معناه لهما نور وضياء زيادة على حصول الاستظلال بهما تبلغ بما قبله

أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما أقرؤا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة *
واليهتي عن الصلصال من قرأ سورة البقرة توج بتاج في الجنة * وابن مردويه والشيرازي عن ابن مسعود اعظم آية في كتاب الله آية
الكرسى

لأن غايته أنها يظان كالسحابين وليس فيهما نور (أو كأنهما فرقان) بكسر الفاء وسكون الزاء أي طائفتان (من طير صواف) أي باسقاط أجنحتهما متصلا ببعضهما بعض والمراد أنهما يقيان قارئهما من حر الموقف وليست أولئك ولا للتخير في تشبيه السورتين ولا للتدبير بل هي للتبويب وتقسيم القارئ فالأول لمن يقرؤها ولا يفهم المعنى والثاني للجامع بين التلاوة ودراية المعنى والثالث لمن ضم اليهما التعليم والارشاد قاله العزيزي (تحاجان عن أصحابهما) أي يدفان عنه الجحيم أو الزبانية (أقرؤا سورة البقرة فإن أخذها) أي المواظبة على قراتها والعمل بها (بركة) أي زيادة ونماء (وتركها حسرة) أي تأسف وتلف على ما فاتته من الثواب (ولا يستطيعها البطلة) بالباء والطاء المهملة أي أهل الكسل لا يستطيعون قراءتها ليعودهم الكسل أو المراد بالبطلة السحرة وبه جزم للعزيزي حيث قال لا يستطيعونها البطلة أي السحرة لأنهم عن الحق وأنهم لهم في الباطل أهل البطالة الذين لم يوفقوا لذلك .

(و) أخرج (اليهتي عن الصلصال) بفتح الصادين ابني الدهيس بفتح الدال واللام والميم (من قرأ سورة البقرة توج بتاج في الجنة) قال المناوي لما في حفظها والمواظبة على تلاوتها من المشقة .

(و) أخرج (ابن مردويه) في تفسيره (والشيرازي) في كتاب الاقواب والكفى والهروى في فضائل القرآن كلهم (عن) عبد الله (بن مسعود) (أعظم آية) أي من حيث الذات أي أكثر آيات القرآن ثوابا لقارئها وإن كان غيرها أطول منها والمخاران فضل بعض السور والآيات إنما هو بالنسبة إلى الثواب فقط (في كتاب الله آية الكرسي) قال اليساوي وهذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الإلهية دالة على أن الله تعالى موجد واحد في الألوهية منصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره إذ القيم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزّه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفور ولا يناسب الإشباق ولا يعتريه ما يعتري الإرداخ مالك الملك والملوك ومبدع الأصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده إلا من أذن له العالم وحده بالأشياء جليها وخفيها كليها وحزنها واسع الملك والقدرة ولا يؤده شاق ولا يشغله شأن متعال عما يدركه وهو عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام أعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله له ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلى القدر من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها الصديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ من مضجعه أنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والآيات حوله كذا ذكره العزيزي .

* فوائد * الأول جاء في الحديث من سره أن يملايته خيرا فليقرأ آية الكرسي كثيرا ومن قرأها عقب الوضوء رفع الله له أربعين درجة وخلف من كل حرف ملكا يستغفر لقارئها إلى يوم القيامة وفي حديث آخر من قرأها عند منامه فتح الله عليه أبواب الرحمة إلى الصباح وأعطاه في كل شعرة على جسده مدينة من نور وإن مات من ليلته مات شهيدا وفي حديث آخر من قرأها عند غروب الشمس أربعين مرة كتب الله له أربعين حجة الثانية قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما من قرأ آية الكرسي حين يخرج من بيته وكل الله به سبعين ألف ملك يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وإن مات قبل أن يرجع أعطاه الله ثواب أربعين شهيدا وعن أبي هريرة (عن النبي) قال من خرج من منزله فقرأ آية الكرسي بعث الله إليه سبعين ألف ملك يستغفرون له ويدعون له فإذا رجع إلى

وأعدل آية في القرآن أن الله يأمر بالعدل والإحسان إلى آخرها وأخوف آية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره

منزله ودخل بيته وقرأ آية الكرسي نزع الله الفقر من بين عينيه الثالثة أوحى الله إلى موسى عليه السلام من داوم على قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة أعطيت ثواب الشاكرين وأعمال الصديقين قال ومن يداوم عليها قال لا يداوم عليها إلا نبي أو صديق .

ومن فضائلها أيضا أن من قرأها مائة وسبعين مرة وذلك عدد حروفها مستقيا على قفاه أوفى الله دينه وقال نجم الدين النسفي في التفسير لما نزلت آية الكرسي نزل مع كل آية منها ثمانون ألف ملك ولعله أراد بالآية الكلمة ورأيت في شمس المعارف للبوني عن سليمان الفارسي عن النبي ﷺ من قرأ آية الكرسي هون عليه سكرات الموت وامررت الملائكة ببيت فيه آية الكرسي الاصفقوا ولايت فيه قل هو الله أحدا لا سجدوا ولايت فيه أو آخر الحشر الاجتؤا على ركبهم قال جعفر الصادق من قرأ آية الكرسي مرة واحدة صرف الله عنه ألف مكروه في الدنيا وأسره الفقر وألف مكروه في الآخرة أسره عذاب القبر .

* حكاية * قال الصنبري صاحب النزهة رأيت في بعض الجامع ان شخصا كان يقرأها كل ليلة يحفظ بها غنمه فقرأ بعضها في ليلة فغلبه النوم فلما استيقظ كمل قراءتها فلما أصبح وجد رجلا بين غنمه فسأله فقال كل ليلة أريد أخذ شاة فأري سوراء فجئت ليلة فرأيت في السور طاقة قد دخلت منها وأخذت شاة ثم جئت إلى طاقة فرأيتها قد انسدت ورأيت نظيره قال رجل كمت أخاف للصوم فأمرني علي بن أبي طالب بقوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الخ فقرأتها ثم نسيها فلما كان في أثناء الليل قرأتها فلما أصبحت وجدت للصوم موثوقين في يميني فتأبوا على يدي ببركة الآية وقال نجم الدين النسفي قال جبريل يا محمدان عقرنا من الجن بكبدك فاطرده عنك بآية الكرسي وعن النبي ﷺ لا تقرأ آية الكرسي في مكان فيه شيطان الا خرج منه وفي حديث آخر من قرأها مرة بحى اسمه من ديوان الأشقياء ومن قرأها مرتين كتب اسمه في ديوان السعداء ومن قرأها ثلاث مرات استغفرت له الملائكة ومن قرأها أربع مرات تشفع له الأنبياء ومن قرأها خمس مرات كتب اسمه في ديوان الأبرار ومن قرأها ست مرات استغفرت له الحيان في البحار ووقى شر الشيطان ومن قرأها سبع مرات غلقت أبواب جهنم السبعة ومن قرأها ثمان مرات فتحت له أبواب الجنان الثمانية ومن قرأها تسع مرات كفى هم الدنيا والآخرة ومن قرأها عشر مرات نظر الله إليه ولم يغذبه أبدا .

﴿ وأعدل آية في القرآن أن الله يأمر بالعدل ﴾ أي بالتوسط في الأمور اعتقادا كالتوحيد بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالعباد بأداء الواجبات المتوسط بين البخل والتبذير ﴿ والاحسان ﴾ إلى الخلق أو احسان الطاعات وهو ما يحسب الكمية كالنوافل أو بحسب الكيفية كما قال ﷺ الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه أي تعبد مخلصا في نيتك واقفا في الخضوع آخذا أهبة الحذر إلى ما لا يحصى ﴿ إلى آخرها ﴾ وهو قوله تعالى وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وإيتاء ذى القربى هو الزيادة على الواجب من النوافل هذا في الأوامر أما النواهي فبالفحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية وبالمنكر الانفراط الحاصل من آثار الفضية أو كل محرم شرعا وبالغنى إلى الاستعلاء الفاض عن الوهمية ولهذا قال ابن مسعود ﷺ ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية أخرجه الحاكم في المستدرک . وروى البيهقي في الشعب عن الحسن أنه قرأها يوما ثم وقف فقال : ان الله جمع حكم الخير والشر في آية واحدة فوالله ما ترك العدل والاحسان من طاعة الله شيئا الا جمعه ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغى من تعصية الله شيئا الا جمعه ﴿ وأخوف آية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾ أي يرى ثوابه بشرط عدم الاحباط بأن مات مسلما

ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وأرجى آية في القرآن قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله *

{ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} أي يرى جزاءه أن لم يغفر له {وأرجى آية} أي أعظم رجاء في رحمة تعالى {من القرآن} قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم أي أفرطوا بالخيانة عليها بالأسراف في المعاصي والأصاف في عبادي للشراف فتقضى تخصيصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن {لا تقنطوا من رحمة الله} أي لا تياسوا من مغفرته أولا وتفضل ثانيا أن الله يغفر الذنوب جميعا أي سترها بعفوه ولو بلا توبة إذا نشأ الا لشرك . قال البيضاوي : وتبيده بالتوبة فماعداء الشرك خلاف الظاهر ويدل على إطلاقه فيما عد الشرك قوله تعالى : إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية .

* تحفة * روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول هذه الآية أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكفروا وزنوا فأكفروا انهكوا الحرمات فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد إن الذي تقول وتدعوا إليه لحسن لو تخبرنا بأن كان عملنا ككارة فنزلت " والذين يدعون مع الله الها آخر إلى قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال : يبدل شركهم إيمانا وزناهم إحسانا ونزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أخرجه النسائي عن ابن عباس أيضا قال بعث رسول الله ﷺ إلى وحشى يدعو إلى الإسلام أرسل إليه كيف تدعوني إلى دينك وانت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاما يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله فأنزل الله إلى : الأمن تاب وآمن وعمل عملا صالحا . فقال وحشى : هذا شرط شديد لعلى لأقدر عليه فهل غير ذلك ؟ فأنزل الله تعالى : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . فقال : أراني بعد في شبهة فلا أدري أتغفر لي أم لا ، فأنزل الله تعالى : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشى : نعم ، فجاء وأسلم . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة والوالد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم قتلوا وعذبوا فافتنوا فكنا نقول : لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فأنزل الله تعالى هذه الآية فكذبها عمر بن الخطاب ﷺ ثم بعث بها إلى عياش بن أبي ربيعة والوالد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا جميعا وهاجروا وعن ابن عمر أيضا قال : كنا معاشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أو نقول بس شيء من حسنا تنالوا وهي مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا : ما هذا ي بطل أعمالنا فقال : الكبار والنواخش قال فكنا إذا رأينا من أصحابنا من أصاب شيئا من ذلك خفينا عليه وإن لم يصب منها شيئا حوالة .

* فصل في ذكر أحاديث تتعلق بالآية *

وروى عن ابن مسعود رضي الله عنهما أنه دخل المسجد فإذا قاص يقص وهو يذكر النار والأغلال فقام على رأسه فقال : لم تقنط الناس قرأ : قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا . عن أسماء بنت يزيد قالت : سمعت رسول الله ﷺ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب . روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال : كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل هل له توبة ؟ فأتى راهبا فسأله فقال : هل لي من توبة ؟ قال : لا ، فقتله وجعل يسأل فقال له رجل أنت قربة كذا ، زكك الموت تضرب صدره تحوفا فاختصت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى أن تباعدى وقال : قيسوا ما بينهما فوجد أقرب إلى هذه بشر فغفر له لفظ البخاري ولمسلم قال : فدل على راجب فأتاه فقال له : إن

والحاكم عن أبي ذر إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كثره الذي تحت العرش فتعلموهن وعلموهن شفاءكم وأبناءكم فانها صلاة وقراءة ودعاء * والدارمي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه من قرأ آخر آل عمران في ليلة كتب له قيام ليلة * وأحمد عن معاذ ابن أنس آية العز .

رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال : انه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ قال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان فيها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق أتاه الموت فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله الى هذه أن تقربي والى هذه أن تباعدى وقال : قيسوا ما بينهما فانهما ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهما فقال : قيسوا ما بين الأرضين فالى أيهما كان أدنى فهو له فقياسوا فوجدوه أدنى الى الأرض الذي أراد فقبضته ملائكة الرحمة . وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : كان رجل أسرف على نفسه وفي رواية لم يعمل خيرا قط وفي رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبيته : اذا أنا مت فاحرقوني ثم احنوني ثم دروني في الرح فوالله لن قدر على ربي ليعذبني عذابا ما عذابه أحدا فلما مات فعل به ذلك فأمر الله تعالى الأرض اجمعي ما فيك منه ففعلت فاذا هو قائم فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : خشيتك يا رب ، أو قال : مخافتك فغفر له بذلك . وعنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : كان في بنى اسرائيل رجلان متحابان أحدهما مذهب والآخري في العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول له : اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له : اقصر فقال له : خلني وزبي أصبحت على رقبيا فقال : والله لا يغفر لك الله أو قال : لا يدخلك الجنة فقبض الله أرواحهما فاجتبا عند رب العالمين فقال الرب تبارك وتعالى : للمجتهد أكتب على ما في يدي قادرا . وقال للمذنب : اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر : اذهبوا به الى النار قال أبو هريرة : تكلم والله بكلمة أوبقت دنياه وآخرته أخرجه أبو داود . وعن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل يا ابن آدم انك ما دعوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أتتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني ولا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذي قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها وقراب الأرض بضم القاف هو ما يقارب ملاها ﴿﴾ أخرج ﴿﴾ الحاكم عن أبي ذر ﴿﴾ الفخاري ﴿﴾ ان الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كثره الذي تحت العرش ﴿﴾ قال العلامة الحفنى : ان كان أولهما آمن الرسول فأول الثانية لا يكلف الله نفسا وان كان أولهما كافرا فالثانية آمن الرسول والآخذ بهذا أحوط ، وقد ورد حديث بأن من قرأ من بعد العشاء كتب له ثواب من قام الليل تهجدا وان كان من تهجد بالفصل أكل فينبغي للعاقل أن لا يهمل ذلك ، وتسمية ما ذكر آيتين بحسب العرف في الاصطلاح آيات متعددة ولذا قال صلى الله عليه وسلم ﴿﴾ : فتعلموهن وعلموهن ﴿﴾ ولم يقل فتعلموهما وعلموهما فهو على قوله تعالى : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، هذان خصمان اختصموا ﴿﴾ نساءكم وأبناءكم ﴿﴾ أي وخدمكم وكل من رغب في التعلم ﴿﴾ فانهما ﴿﴾ أي الآيتين ﴿﴾ الصلاة ﴿﴾ أي رحمة عظيمة ﴿﴾ وقرآن ﴿﴾ أي لفظ منزل عليه ﴿﴾ متعبد بتلاوته كغيرهما ﴿﴾ ودعاء ﴿﴾ أي مستملكان على الدعاء وهذا لا ينافي أن غيرهما ما هو مشتمل على الدعاء ﴿﴾ أخرج ﴿﴾ الدارمي عن عثمان بن عفان ﴿﴾ : من قرأ آخر آل عمران في ليلة كتب له قيام ليلة ﴿﴾ أي صلاحها ﴿﴾ أخرج ﴿﴾ أحمد ﴿﴾ والطبراني ﴿﴾ عن معاذ بن أنس آية ﴿﴾ أي علامة ﴿﴾ العز ﴿﴾ أي القوة والشدة والصلابة يعني من العلامة الدالة على قوة إيمان الإنسان وشدة في دين الله ملازمة لتلاوة هذه الآية مع الإذعان لمداومتها ، روى انه عليه الصلاة والسلام

وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية * واليهي عن ابن عباس سورة الكهف تدعى في التوراة الحائلة تحول بين قارنها وبين النار *
مسلم عن أبي الدرداء من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من قنة الدجال * وأحمد والترمذي والنسائي والحاكم عن جابر
بن النبی ﷺ لا ينام حتى يقرأ الم تنزل السجدة وتبارك الذي يده الملك *

ثم إذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية ﴿وقل الحمد﴾ أي الوصف بالجميل ثابت ﴿لله الذي لم يتخذ ولدا﴾ أي لم يسم
حد له من الملائكة ولا من غيرهم ولدا أما الولد فمعلوم فيه لاستحالة والمعنى أنه يستحق الحمد لاتصافه بهذه الصفات الكاملة
﴿الآية﴾ أي اقرأ آخرها وهو لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن ولا من الآخرة تكبيرا ولعظمة هذه الآية ختمت بها التوراة كما رواه
ن جبرير وغيره عن كعب .

* فائدة * يسن قراءة هذه الآية وتعليمها للأهل والعيال ومن لزم على قراءتها صباحا ومساء حصل له من القوة والشدة ما يصير
عززا شديدا .

﴿و﴾ أخرج ﴿اليهقي عن ابن عباس﴾ ﷺ ﴿سورة الكهف تدعى في التوراة الحائلة﴾ أي الحائرة ﴿تحول﴾ أي تحجز علة
تسببها حائلة وهذا الفضل لمن قرأها قراءة ترضى الله تعالى بمراعاة أحكامها وتدبر معانيها ﴿بين قارنها وبين النار﴾ بمعنى أنها تحاجج
تخاصم عنه كما في رواية .

﴿و﴾ أخرج ﴿مسلم﴾ وأحمد والنسائي ﴿عن أبي الدرداء﴾ ﷺ ﴿من قرأ﴾ الآيات العشر الأواخر من سورة الكهف
عصم من قنة الدجال ﴿فمن قرأها وادراك زمته قال الحنفى حفظ من قننه حيث تلا ما ذكره يدر ولو مرة واحدة
وأخرج أحمد والحاكم عن عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ بنى إسرائيل ﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد والترمذي
النسائي والحاكم عن جابر﴾ ﷺ ﴿كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الم تنزل السجدة وتبارك الذي يده الملك﴾ وأخرج عبد في مسنده
عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لرجل ألا أتحدثك بحديث تفرج به قال بلى قال اقرأ تبارك الذي يده الملك وعلمها أهلك وجميع
ذلك وصيان بيتك وخيراتك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخلص يوم القيامة عند ربها لقارنها وتطلب أن ينجيها من عذاب النار
يجريها صاحبها من عذاب القبر وأخرج خلف بن هشام في فضائل القرآن والحاكم وصححه واليهي عن ابن مسعود رضي الله عنهما
ل سورة الملك هي المانعة تمنع من عذاب القبر يؤتى صاحبها في قبره من قبل رأسه فيقول رأسه لا سبيل علي فانه وعى في سورة الملك
يؤتى من قبل رجله فيقول رجله ليس لك علي سبيل أنه كان يقوم بن سورة الملك . وأخرج النسائي عن ابن مسعود رضي الله عنهما قال
﴿قرأ تبارك الذي يده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر وكفى عهد رسول الله ﷺ سعيها المانعة .

وأخرج ابن عساکر في تاريخه بسند ضعيف عن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ ان رجلا مات وليس معه شيء من كتاب الله
تبارك الذي يده الملك فلما وضع في حفرته أتاه الملك فتأثره السورة في وجهه فقال لها انك من كتاب الله وأنا أكره مسألك واني
ملك لك ولا له ولا لنفسى ضرا ولا نفعنا فانطلتى الى الرب تعالى فاشفعى له فنطلق الى الرب فيقول يا رب ان فلانا عبد الي من بين كتابك
فلنسى وتلاي أفمخرقة أنت بالنار ومعذبه وانا في جوفه فان كنت فاعلا ذلك به فامحني من كتاب الله فيقول لأراك وحق لي ان أغضب
نولي اذهبي فقد وهبته لك وشفعتك فيه فتجى فتقير الملك فيخرج كاسف البال لم يحل مخافة الوحشة عليه قال فلما حدث رسول الله
به الصلاة والسلام بهذا الحديث لم يبق صغير ولا كبير ولا حر ولا عبد الا تعلمها وسمها رسول الله ﷺ المنجية قال في الصحيح رجل

والدارمي عن خالد بن معدان قال اقروا المنجية وهي الم تنزل فانه بلغني أن رجلا كان يقرؤها ما يقرأ شيئا غيرها وكان كثيرا الخطايا فنشرت جناحها عليه قالت رب اغفر له فانه كان يكثر قراءتي فشفعها الرب تعالى وقال اكبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة * وقال ايضا انها تجادل عن صاحبها في القبر تقول اللهم ان كنت من كتابك فشفعني فيه وان لم اكن من كتابك فاحني عنه وانما تكون كالطير تجعل جناحها عليه فتشفع له فتمنعه من عذاب القبر * وقال في تبارك مثله * وعن أبي سعيد من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن مرتين وفي رواية البيهقي عن معقل بن يسار من قرأ يس ابتغاء وجه الله غفر له ما تقدم من ذنبه فاقرءوها عند موتكم *

كاسف البال أي نسي الحال وكاسف الوجه أي غابس الوجه وقوله لم يحل منه شيء أي لم يستغف منه فائدة ولا يكلم به الا مع الجحد والزرير بزاي وموحدة وراء الزجر والانهار .

ولخرج أبو عبيدة في فضائله والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود قال ان الميت اذا مات أوقدت نيران حوله مأكلا كل نار ما يليها ان لم يكن له عمل يحول بينه وبينها وان رجلا مات ولم يكن يقرأ من القرآن الا سورة تبارك الملك فأتته من قبل رأسه فقالت انه كان يقراني فأتته من قبل رجله فقالت انه كان يقوم بي فأتته من قبل جوفه فقالت انه كان يغني فأنجيته .
 ﴿و﴾ أخرج ﴿الدارمي عن خالد بن معدان قال اقروا المنجية وهي الم تنزل فانه﴾ الشأن ﴿بلغني أن رجلا كان يقرأها﴾ أي ليس ﴿ما يقرؤها شيئا﴾ من القرآن ﴿غيرها وكان﴾ ذلك الرجل ﴿كثيرا الخطايا فنشرت﴾ المنجية ﴿جناحها عليه فقالت رب اغفر له فانه﴾ أي هذا الرجل ﴿كان يكثر قراءتي فشفعها الرب تعالى﴾ جل وعز للملائكة ﴿اكبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة و﴾ أخرج الدارمي في مسنده خالد بن معدان ﴿قال أيضا﴾ بلغني ﴿انها﴾ أي الم تنزل ﴿تجادل عن صاحبها في القبر تقول اللهم ان كنت من كتابك فشفعني فيه وان لم اكن من كتابك فاحني عنه أي عن كتابك وانما تكون كالطير تجعل جناحها عليه فتشفع له فتمنعه من عذاب القبر وقال﴾ ابن معدان ﴿في﴾ سورة ﴿تبارك﴾ الملك ﴿مثله﴾ أي مثل ما في الم تنزل من منع صاحبه عن العذاب وانجائه منه فكان خالد لا ميت حتى يقرأها هكذا ذكره السيوطي في شرح الصدور .

وفي روضة الراحين للياقبي عن بعض الصالحين من أهل اليمن أنه دفن بعض الموتى فلما انصرف الناس سمع في القبر ضربا ودقا عفيفا ثم خرج من القبر كلب أسود فقال له الشيخ ويحك أي شيء أنت قال أنا عمل الميت فقال هذا الضرب فيك أم فيه قال بل في وجدت عنده سورة يش وأخواتها فحالت بيني وبينه فصرخت وطردت .

﴿و﴾ أخرج البيهقي ﴿عن أبي سعيد﴾ الحذري ﴿من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن مرتين﴾ أي دون يس ﴿وفي رواية البيهقي عن معقل بن يسار من قرأ يس ابتغاء وجه الله﴾ تعالى قال المناوي أي ابتغاء النظر الى وجه الله في الآخرة أي لا للتجاة من النار ولا للفوز بالجنة فان هذا أمر أجل وأعظم من ذلك ﴿غفر له ما تقدم من ذنبه﴾ من الصغائر ﴿فاقرؤها﴾ ندبا ﴿عند موتكم﴾ أي من حضره الموت قال الطيبي الفاء جواب شرط محذوف أي اذا كانت قراءة يس بالآخلاص تمحو الذنوب السالفة فاقرؤها على من شارف الموت حتى يسمعها ويحرقها على قلبه فيغفر له ما سلف انتهى وأخرج البيهقي عن أبي هريرة من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن عشر مرات قال المناوي لا يعارضه ما قبله لاختلاف ذلك باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان وكلاهما خرج جوابا لسائل المتضمن حاله ما أجيب به .

وأبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه من قرأ يس في ليلة أصبح مغفورا له * والبيهقي عن أبي هريرة من قرأ يس كل ليلة غفر له وفي رواية عنه من قرأ يس في يوم وليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له * والدارمي عن عطاء بن أبي رباح قال من قرأ يس في صدر النهار قضيت حوائجه

﴿وخرج﴾ أبو نعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه من قرأ يس في ليلة أصبح مغفورا له ﴿قال المناوي وقياسه أن من قرأها في يوم أمسى مغفورا له أي الصغائر لما تقرر وهو حديث ضعيف كما قاله العزيمي﴾ ﴿وخرج﴾ البيهقي عن أبي هريرة ﴿باسناد ضعيف﴾ ﴿من قرأ يس كل ليلة غفر له وفي رواية عنه﴾ أي عن أبي هريرة ﴿من قرأ يس في يوم وليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له﴾ ﴿الدارمي عن عطاء بن أبي رباح قال من قرأ يس في صدر النهار قضيت حوائجه﴾

واعلم أن هذه السورة جليلة القدر ظهرت بركتها واشتهرت فضيلتها فعليك بتلاوتها فإن فيها عشر بركات ما قرأها جامع الأشنع ولا ظمان إلا روى ولا عريان إلا كسى ولا عازب إلا تزوج ولا خائف إلا آمن ولا مريض إلا برئ ولا مسجون إلا أخرج ولا مسافر إلا أعين على سفره ولا شخص عند ميت إلا خفف الله عنه ولا رجل ضل له ضلالة إلا وجدها ولها خواص كثيرة منها إذا أراد الشخص أن يقضى حاجته عند أمير أو ذي جاه فليقرأها خمسا وعشرين مرة ويدخل على من أراد فانه يعظمه ويقضى حاجته بإذن الله تعالى وإذا قرأت إحدى وأربعين مرة في حاجة قضيت كائنة ما كانت وذكر بعضهم أنها تقرأ عدد المذكور بعد الوضوء وصلاة ركعتين بعد العشاء ويقول القارئ عقب كل مرة يا من يقول للشيء كن فيكون أفعل لي كذا وكذا . . . فانه يحصل إن شاء الله ونقل عن الشاذلي رحمه الله تعالى أن من كان خائفا من جبار أو قرأها وقال بعد قراتها بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الذي لا اله الا هو الحى القيوم باسم الله الذي لا اله الا هو ذو الجلال والإكرام باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم اللهم انى أعوذ بك من فلان بن فلانة ثم دخل عليه فانه يأمن شره .

ومن خواصها كما قال بعضهم ان تقرأها ليلة النصف من شعبان ثلاث مرات الأولى بنية طول العمر الثانية بنية رفع البلاء الثالثة بنية الاستغناء عن الناس ثم تدعو بهذا الدعاء وهو الهى جودك دلتى عليك واحسانك قربنى اليك أشكو اليك ما لا يخفى عليك وأسألك ما لا يحسر عليك اذ علمك بحالى يغنى عن سؤالى يا منجى كرب المكروبين فرج عنى ما أنا فيه لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبناهم من النعم وكذلك نجى المؤمنين اللهم يا ذا المن ولا يمن عليه يا ذا الجلال والإكرام يا ذا الطول والتمام لا اله الا انت ظهر اللاجين وجار المستجيرين ومأمن الخائفين وكثر الطالين اللهم ان كنت كتبني عندك فى أم الكتاب شقيا أو محروما أو مطرودا أو مقرا على فى الرزق فامح اللهم بفضلك شقاوتى وحرمانى وطردى واقار رزقى واثبتنى عندك فى أم الكتاب سعيدا مرزوقا موفقا للخيرات فانك قلت وقولك الحق فى كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب أسألك اللهم بحق تجلى الأعظم فى ليلة النصف من شعبان المكرم الذي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم أن تكشف عنى من البلاء ما أنت به أعلم انك أنت الأعز الأكرم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ومن خواصها ان من كان أسيرا أو خائفا أو مديونا أو قرأها ثلاث مرات أفك وأمن وقضى دينه وقال بعضهم من قرأها أول النهار لم يزل فرحا مسرورا ومن قرأها أول الليل لم يزل كذلك الى الصباح .

* حكاية * ذكر الياقضى رحمه الله عن بعض الأولياء من مدينة زيد أنه قال خرجت مع جنازة قريب المغرب فلما رجع الناس

والبيهقي عن الخليل بن مرة قال الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع يحجى كل حاسم منها يقف على باب من هذه الأبواب يقول اللهم لا تدخل هذا الباب من كان يؤمن بى ويقرونى * وابن ضريس عن الحسن قال من قراء سورة الدخان فى ليلة غفر له ما تقدم من ذنبه * والبيهقي والذيل عن فاطمة رضى الله عنها قارئ الحديد وإذا وقعت والرحمن يدعى فى ملكوت السموات والأرض ساكن الفردوس * والبيهقي عن ابن مسعود من قراء سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا *

ودخل الليل رأيت شخصا فى النوم على صورة كلب دخل القبر ثم خرج منه يلهث أعور العين اليمنى فقلت له ما قصتك فقال أردت قصه الميت سوء فمعتنى عنه سورة يس وأخرجت عيني وقيل لى لو كان يقرأ سورة تبارك لخرجت عينك اليسرى فينبغى للانسان أن يواظب على قراءتهما كل ليلة.

﴿و﴾ أخرج ﴿البيهقي عن الخليل بن مرة﴾ بضم الميم وتشديد الراء هو الضيعى مرسلا ﴿الحواميم﴾ أى السور التى أولها حم حفظها وتلاوتها سبب للبس دياح الجنة وللتعم برياضها كما فى الحديث قيل ومعنى حم اسم من أسماء الله تعالى ولم يثبت ﴿سبع﴾ وأبواب جهنم سبع يحجى كل حاسم منها ﴿يوم القيامة﴾ يقف على باب من هذه الأبواب ﴿السبعة﴾ يقول اللهم لا تدخل هذا الباب من كان يؤمن بى ويقرونى ﴿بالباء لا بالتون﴾ أى يقرأ قراءة مكسبة بى قال الحنفى يقول ذلك على وجه الشفاعة فيه فيشفعها الله والتعير بكان يشعر بأن ذلك للتداوم على قراءتها.

﴿و﴾ أخرج ﴿الترمذي عن أبي هريرة من قرأ حم الدخان فى ليلة﴾ أى ليلة كانت يقفده التفكير ﴿أصبح﴾ أى دخل فى الصباح والحال أنه ﴿يستغفر له سبعون ألف ملك﴾ أى يطلبون له من الله المغفرة والمراد بسبعين الكثير لا التحديد وأخرج النسائي عن أبي هريرة من قرأ حم الدخان فى ليلة الجمعة غفر له وأخرج الطبرانى عن أبي أمامة من قرأ حم الدخان فى ليلة جمعة أو يوم جمعة بنى الله له بيتا فى الجنة. ﴿و﴾ أخرج ﴿ابن الضرس﴾ قال المناوى بفتح المعجمة وشد الراء ﴿عن الحسن﴾ البصرى مرسلا ﴿قال من قرأ سورة الدخان فى ليلة غفر له ما تقدم من ذنبه﴾ قال العزبرى ظاهره يشمل الكبائر انتهى لكن قال المناوى قد علمت غير مرة ان المراد الصغائر فحسب.

وأخرج البيهقي والذيل عن ابن عباس قارئ اقرب أى وجهه بيض يوم القيامة تدعى فى التوراة الميضة تبض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه وأخرج الذيل عن أسماء بنت عيسى قارئى الهاكم الكاثريدعى فى الملكوت مؤدى الشكر ﴿و﴾ أخرج ﴿البيهقي والذيل عن فاطمة﴾ الزهراء ﴿رضى الله عنها قارئ الحديد وإذا وقعت﴾ الواقعة ﴿والرحمن يدعى فى الملكوت السموات والأرض ساكن الفردوس﴾ أى محكوم له بأنه سيسكنها قاله المناوى ﴿و﴾ أخرج ﴿البيهقي عن ابن مسعود﴾ رضى الله عنه ﴿من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا﴾ قال المناوى هذا من الصليب الالهى وينفع لحفظ الصحة وإزالة المرجف وكان ابن مسعود رضى الله عنه يأمر بناته بقراءتها وقال بعضهم روى أن سيدنا عثمان رضى الله عنه عرض عليه شيئا من المال ففكر أن يأخذه فقال له اتق الله على بناتك فقال له ابن مسعود أتخشى عليهن الفقر وقد أمرتهن بقراءة سورة الواقعة وقد سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وقال بعض العلماء من قرأها احدى واربعين مرة فى مجلس واحد قضيت حاجته خصوصا فيما يتعلق بطلب الرزق.

وابن عدى عن أنس علموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى * والترمذي والنسائي عن عرياض بن سارية كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ المسبحات في كل ليلة قبل أن يرقد يقول أن فيهن آية خير من ألف آية قال الحافظ ابن كثير هي قوله هو الأول والآخرة إلى عليم وقال أبي بن كعب أفضل المسبحات سبح اسم ربك الأعلى * والبيهقي عن أبي أمامة من قراءة خواتيم الحشر من ليل أو نهار فقبض في ذلك اليوم أو ليلة فقد أوجب الله له الجنة *

﴿و﴾ أخرج ابن عدى عن أنس علموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى ﴿و﴾ وقد ذكر العلامة أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب الياقوتة له دعاء يدعى به بعد قراءة سورة الواقعة لجلب الرزق مجرب وهو هذا اللهم انى أسألك بمناقد الغر من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وحدك الأعلى وكلما تك التامات كلها واشراف وجهك المنير أن تصلى على سيدنا محمد يحل بها العقد ويفك بها الكرب ويعطى بها الطالب كل ما طلب يا الله يا قديم يا قديم يا وهاب أسألك أن تصلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين انك حميد مجيد اللهم يا بارئ النسم وأمر القلم وخالق الامم ومظهر الموحودات من العدم يا من بيده الخير ورازق الانس والوحش والطير ارزقنى فانت خير الرازقين واقترح لى وانت خير الفاتحين اللهم ان كان رزقى فى السماء فانزله وان كان فى الارض فاخرجه وان كان عسيرا فيسره وان كان سيرا فكنره وان كان كثيرا فبارك لى فيه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فعجله وأوصله الى حيث كنت ولا تتعلنى اليه حيث كان واجعل يدي العليا بالإعطاء ولا تجعل السفلى بالإستعطاء انك توزق من تشاء بغير حساب سيخمل الله بعد عسر يسرا اللهم أنت ربى الأعلى تكلمت لى فى ظلمة الاحشاء وخلقتنى مسلما وأخرجتنى من ظلمة الاحشاء من بين الصلص والقرائب لا أملك لنفسى نقما ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وسع اللهم على فيما رزقنى وبارك لى فيما وهبتنى انك على كل شيء قدير اللهم صب الخير كله علينا وعجله لنا اللهم انى أسألك أن تسخر لى خادما هذه السورة العظيمة حتى يكون عونى لى على سبب رزقى وعلى قضاء حوائجى وأن تسخر لى قلوب عبادك الصالحين وأحبائك وأن تحببنى الى جميع خلقك أجمعين يا أرحم الراحمين اللهم كن لى ولامة محمد أجمعين واغفر لى ذنوبى وذنوب المذنبين اللهم انى أسألك أن تسخر لى أمر رزقى وأن تعصمنى من الحرص والتعب فى طلبه ومن كثرة الهم به ومن الفكر والتدبير فى تحصيله ومن الشح والبخل بعد حصوله اللهم واجعله سببا لاقامة عبوديتك ومشاهدة ربوبتك وتولى أمرى كله بذاتك وكرمك وفصلك ولا تكن لى الى نفسى ولا الى أحد غيرك طرفة عين ولا أقل من ذلك واهدنا الصراط المستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله تصير الأمور ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

﴿و﴾ أخرج الترمذي والنسائي عن العرياض بن سارية كان النبي ﷺ يقرأ المسبحات في كل ليلة قبل أن يرقد ﴿و﴾ أى ينام ﴿و﴾ يقول ان فيهن آية خير من ألف آية قال الحافظ ابن كثير هي ﴿و﴾ أى تلك الآية ﴿و﴾ قوله ﴿و﴾ تعالى ﴿و﴾ هو الاول والآخرة إلى عليم وقال أبي بن كعب أفضل المسبحات سبح اسم ربك الأعلى ﴿و﴾ قال ﷺ من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله عشر حسنات بعد ذلك حرف أنزله الله على إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام كذا ذكره البيضاوى .

﴿و﴾ أخرج ابن عدى و﴿و﴾ البيهقي عن أبي أمامة ﴿و﴾ وضعناه ﴿و﴾ من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار فقبض فى ذلك اليوم أو تلك الليلة فقد أوجب الله له الجنة ﴿و﴾ أى فعل شيئا أوجب له فعله الجنة أى دخلها وأخرج الترمذي وقال حديث غريب عن معقل بن

وأحمد وأبو داود والترمذي والحكم وأبنا عدي وحبان عن أبي هريرة أن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك وفي رواية أبو دود تشفع * والترمذي عن أبي عباس قال ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال هي المانعة هي المنجية تنجية من عذاب الله *

يسار ان رسول الله ﷺ قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي فان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان كذلك

﴿و﴾ أخرج أحمد وأبو داود والترمذي والحكم وأبنا عدي وحبان والنسائي وابن ماجه وهذا حديث صحيح كما قاله العزيمى أن سورة في القرآن ثلاثون آية وفي رواية ما هي الا ثلاثون آية قال الحنفى أى غير البسملة أو ان هذا الحديث قبل نزول البسملة فاندفع ما قيل ان هذا يدل أن البسملة ليست آية من السورة شفعت لرجل كان ملازما على قراءتها فما زالت تسأل الله أن يغفر له حتى غفر له وفي رواية أخرجه من النار وهي تبارك أى سورة تبارك ومعنى تبارك تعالى عن كفة النقائص الذي بيده الملك أى بقضه قدرته التصرف فى كل الأمور قال المناوى وفي الإبهام أولا ثم البيان بقوله وهي تبارك نوع تنجيم وتعظيم لشأنها اذ لو قيل إن سورة تبارك شفعت الخ لم تكن بهذه المثابة والتكثير فى رجل للأفراد أى شفعت لرجل من الرجال وفي رواية أبي داود تشفع وهذا حديث لكل أحد على مواظبة قراءتها لئلا شفاعتها وإثبات الشفاعة لها حقيقة قال الحنفى بأن تجسم فى صورة شخص فلا مانع من ذلك وما جاء فى فضلها ما رواه الديلمى عن النبي ﷺ أنه قال انى لأجد فى كتاب الله سورة هي ثلاثون آية من قراءها عند نومه كتب له بها ثلاثون حسنة وحى عنه ثلاثون سيئة ورفع له ثلاثون درجة وبعث الله اليه ملكا من الملائكة ينسط عليه جناحيه ويحفظه من كل شيء حتى يستيقظ وهي المجادلة تجادل عن صاحبها فى القبر وهي سورة تبارك الملك .

﴿و﴾ أخرج الترمذي وحسنه الحاكم واليهي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها فأتى البعض النبي فأخبره بذلك فقال هي المانعة هي المنجية تنجية من عذاب الله

قال أبو القاسم السعدي فى كتاب الروح هذا تصديق من النبي ﷺ بأن الميت يقرأ فى قبره فان عبد الله أخبره بذلك وصدقه رسول الله ﷺ قال الامام كمال الدين بن الزملكاني فى كتاب العمل المقبول فى زيارة الرسول هذا الحديث واضح الدلالة على أن الميت كان يقرأ فى قبره سورة الملك وقد وقع فى هذه الرواية ذكر أكرام الله ببعض أوليائه بذلك وأكرام بعضهم فى الصلاة وكان يدعو الله فى حياته بذلك فاذا كان من كرامة الله لأوليائه تمكينهم من الطاعة والعبادة فى القبر فالأنبياء بطريق الاولى وقال الحافظ زين الدين بن رجب فى كتاب أهل القبور قد يكرم الله بعض أهل البرزخ بأعمال صالحة فى البرزخ وان لم يحصل له بذلك ثواب لا يتقطاع عمله بالموت لكنه انما يتقى عمله عليه لينعم بذكر الله وطاعته كما تنعم بذلك الملائكة وأهل الجنة فى الجنة وان لم يكن على ذلك ثواب لأن نفس الذكر والطاعة أعظم نعبا عند أهلها من جميع نعيم أهل الدنيا ولذتها فما تنعم المتعمون بمثل ذكر الله وطاعته وروى أبو الحسن بن البراء فى كتاب الروضة عن عبد بن محمد بن منصور حدثنى ابراهيم الحنار قال حفرت قبرا فبنت لبنة فشممت رائحة المسك حتى انفتحت اللبنة فاذا بشيخ جالس فى قبره يقرأ القرآن قال ابن رجب وحدثنى المحدث أبو الحجاج يوسف بن محمد السررى حدثنا شيخنا أبو الحسن

والحاكم عنه وددت أن تبارك الذي يده الملك في قلب كل مؤمن * والترمذي عن أنس من قراء إذا زلزلت عدلت نصف القرآن ومن قراء قل يا أيها الكافرون عدلت ربع القرآن ومن قراء قل هو الله أحد عدلت له بثلاث القرآن *

على بن الحسين السامري خطيب سامرا وكان رجلا صالحا وأراني موضعاً من قبر سامرا فقال هذا الموضع لا تزال تسمع منه سورة تبارك الملك وروى الحافظ أبو بكر الخطيب بسنده عن عيسى بن محمد الطوماري قال رأيت أبا بكر بن مجاهد المقرئ في النوم كأنه يقرأ وكأنني أقول له أنت ميت وتقرأ وكأنه يقول لي كمت أدعو الله في دبر كل صلاة وعند ختم القرآن أن يجعلني بمن يقرأ في قبره فانا أقرأ في قبري وأخرج الحلال في كتاب السنة من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان وفيه ضعف عن أبيه عن عكرمة قال قال ابن عباس المؤمن يعطى مصحفاً في قبره يقرأ فيه وأخرجه ابن البراء في الروضة من طريق حفص بن عمر العدني وفيه ضعف أيضاً عن الحكم بن أبان وروى الحافظ أبو العلاء الحمداني في النوم بعد موته وهو في مدينة جدارتها وجيطانها كب فسئل عن ذلك فقال سألت الله تعالى أن يشغلني بالعلم كما كنت أشغل به فانا أشغل بالعلم في قبري انتهى ما أورده .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن يزيد بن الرقاشي قال بلغني أن المؤمن إذا مات وقبئ عليه شيء من القرآن لم يعلمه بعث الله إليه ملائكة يحفظون به ما بقي عليه منه حتى يعثه الله من قبره وأخرج أيضاً عن الحسن قال بلغني أن المؤمن إذا مات ولم يحفظ القرآن أمر حفظه أن يعلمه القرآن في قبره حتى يعثه الله يوم القيامة مع أهله وأخرج ابن أبي الدنيا وابن مندة عن عطية الصوفي قال بلغني أن العبد إذا لقى الله تعالى ولم يعلم كتابه علمه الله تعالى في قبره حتى يشبهه الله عليه وفي الفردوس للدليلى ولم يسنده ولده من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً مثله ثم وقفت عليه مسنداً في الجزء الأول من فوائد أبي الحسين بن بشران فأخرجه من طريق عطية الصوفي عنه قال قال رسول الله ﷺ من قرأ القرآن ثم مات قبل أن يستظهره أتاه ملك يعلمه في قبره ويلقى الله وقد استظهره وأخرج ابن مندة عن عاصم السقطي قال حفرنا قبر بليخ فننذ في قبر نظرت فإذا شيخ في القبر متوجه إلى القبلة وعليه إزار أخضر وأخضر ما حوله وحجره مصحف وهو يقرأ وأخرج ابن مندة عن أبي التضر النيسابوري الحفاري وكان صالحاً وزعاً قال حفرنا قبراً فانتج في القبر قبر آخر فنظرت فيه فإذا أنا بشاب حسن الوجه حسن الثياب طيب الرائحة جالس مربعة وفي حجره كتاب مكتوب بحضرة أحسن ما رأيت من الخطوط وهو يقرأ القرآن فنظر الشاب إلى فقال أقامت القيامة قلت لا فقال أعد المدرة إلى موضعها فأعدتها إلى موضعها وأخرج أبو نعيم عن مجاهد في قوله تعالى فلا تفزعون قال في القبر وأخرج ابن أبي الدنيا عن بشر بن الحارث قال نعم المنزل لمن اطاع الله .

﴿ وأخرج الحاكم عنه ﴾ أي عن ابن عباس ﴿ وددت أن ﴾ سورة ﴿ تبارك الذي يده الملك في قلب كل مؤمن ﴾ وأخرج الترمذي ﴿ وقال حديث غريب ﴾ عن أنس ﴿ وله عن أبي عباس نحوه وقال فيه غريب ﴾ من قراء إذا زلزلت عدلت نصف القرآن ومن قراء قل يا أيها الكافرون عدلت ربع القرآن ﴿ ووجه كون هذه السورة تعدل ربع القرآن أن القرآن مشتمل على الأمر والنهي وكل واحد منهما ينقسم إلى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك أربعة أقسام وهذه السورة مشتملة على النهي عن عبادة غير الله تعالى وهي من الاعتقاد وذلك من إفعال القلوب فكانت هذه السورة ربع القرآن على هذا التقسيم ﴿ ومن قراء قل هو الله أحد عدلت له بثلاث القرآن ﴾ وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ قل هو الله أحد يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له وكان الرجل يتأله فقال رسول الله ﷺ الذي نفس يده أنها تعدل ثلث القرآن وفي رواية قال قال رسول الله ﷺ لأصحابه أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا أيها يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله أحد الله الصمد ثلث القرآن

والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن يقرأ ألف آية في كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية في كل يوم قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألقام الكاثر * والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ومالك وأحمد والطبراني والبخاري وأبو عبيد عن عشرة من - وأخرج أيضا عن أبي هريرة قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال اقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ قل هو الله أحد الله الصمد حتى ختمها .

وقد ذكروا العلماء رضي الله عنهم في كونه ﷺ جعل سورة الاخلاص تعديل ثلث القرآن أقوالا متناسبة متقاربة ف قيل ان القرآن العزيز لا يعد ثلاثة أقسام وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه أو صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله ﷺ بثلث القرآن لأن منتهى التقديس في أن يكون واحدا في ثلاثة أمور لا يكون فاعلامه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله تعالى لم يلد ولم يولد ولا يكون أحد في درجته وان لم يكن أصلا له ولا فرعاً منه ودل عليه قوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله أحد وجلته وتفصيله هو قولك لا اله الا الله فهذا سر من أسرار القرآن المجيد الذي لا تنهاه أسرارها ولا تنقص عجائبه .

وقال الاسام فخر الدين الرازي لعل الغرض منه أن المقصود الاخص في جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى ولهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن وقال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله قيل معناه ان القرآن على تلاوته أنحاء قصص وأحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله أحد مستحصصة للصفات فهو ثلث القرآن وجزء من ثلاثة أجزاء وقيل معناه ان ثواب قراءتها مرة تضاعف بمقدار ثواب قراءة ثلث القرآن غير تضعيف قوله بمآلها يقال استقلت الشيء وتقلته أي عدته قليلا في بابه ونظرت اليه بعين القلة قيل سميت قل هو الله أحد سورة الاخلاص اما لأنها خالصة لله تعالى في صفته أولان قارئها قد اخلاص الله التوحيد .

ومن فوائد هذه السورة أن الاشتغال بقراءتها بعيد الاشتغال بالله ملازمة الأعراس عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى وبراءته عن كل ما يليق به لأنها مع قصرها جامعة لصفات الأحدية والصدنية والقدسية وعدم النظير .

عن أنس عن النبي ﷺ قال من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد محبت عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين وفي رواية عنه عن النبي ﷺ قال من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه فقرأ قل هو الله أحد مائة مرة فإذا كان يوم القيامة يقول الرب جل جلاله يا عبدى ادخل عن يمينك الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعنه ان رجلا قال يا رسول الله اني أجد هذه السورة قل هو الله أحد قال حبك اياها أدخلك الجنة أخرجه الترمذي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع من رجلا يقرأ قل هو الله أحد الله الصمد فقال رسول الله ﷺ وجبت قلت وما وجبت قال الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح .

﴿ و ﴾ أخرج البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما ﷺ أن يقرأ ألف آية في كل يوم قالوا أي الصحابة رضوان الله عليهم ﷺ ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية في كل يوم قال ﷺ أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألقام الكاثر * وفي نسخة المجلس عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن يقرأ ألف آية في كل يوم قالوا ومن يستطيع ذلك قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألقام الكاثر * رواه الحاكم وعن النبي ﷺ من قرأ ألقام الكاثر بحسبه الله سبحانه وتعالى بالتعظيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كما قرأ ألف آية كذا ذكره البيضاوي .

﴿ و ﴾ أخرج الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ومالك وأحمد والطبراني والبخاري وأبو عبيد عن عشرة من

الصحابة قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن * والعقيلي عن رجاء الغنوي من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرة فكأنما قرأ القرآن أجمع *
وأحمد عن معاذ بن أنس من قرأ قل هو الله أحد عشر مرة بنى الله بيتا في الجنة * واليهقي وابن عدي عن أنس من قرأ قل هو الله أحد
مائة مرة غفر الله له خطيئة خمسين عاما ما اجتنب خصالا أربعا الدماء والأموال والفروج والأشربة * والطبراني عن فيروز من قرأ قل
هو الله أحد مائة مرة في الصلاة أو غيرها كتب الله له براءة من النار اللهم اكب لنا البراءة من النار

الصحابة * وهم أبو سعيد الخدري وقادة وأبو الدرداء وأبو هريرة وأبو أيوب وأبو مسعود الأنصاري وابن مسعود ومعاذ وجابر بن عبد الله
وابن عباس رضي الله عنهم وهو سنو اثر كما قاله العزيز * قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن * وأخرج الطبراني والحاكم عن ابن عمر قل
هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل بأنها الكافرون تعدل ربع القرآن.

* فائدة * لسورة الاخلاص أسماء كثيرة في احاديث متفرقة منها سورة التجريد وسورة التفريد وسورة التوحيد وسورة
الاخلاص وسورة النجاة وسورة الولاية لأن من عرف الله على هذه الوجه فقد والاه وسورة النسبة لأنها وردت جوابا لقول الكفار أنسب
لنا ربك وسورة المعرفة لأن معرفته تعالى لا يتم الا بمعرفتها وسورة الصمد وسورة المانعة لأنها تمنع من فتاني القبر وسورة المحضرة
لأن الملائكة تحضر عند سماعها وسورة النفرة لأن الشيطان ينفر من قراءتها وسورة البراءة لأن قارئها يبرا من الشرك وسورة المذكرة لأنها
تذكر العبد خالص التوحيد وسورة النور وسورة الأمان.

﴿و﴾ أخرج ﴿العقيلي عن رجاء الغنوي﴾ باسناد ضعيف ﴿من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن أجمع﴾ اذ
مدار القرآن على الخبر والانشاء والانشاء أمر ونهى وإباحة والخبر خبر عن الخالق وأسمائه وصفاته وخبر عن خلقه فأخلصت السورة
الخبر عنه وعن أسمائه وصفاته فعدلت ثلثا. ﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد عن معاذ بن أنس﴾ باسناد حسن ﴿من قرأ قل هو الله أحد﴾ حتى
يحميها ﴿عشر مرات بنى الله له بيتا في الجنة﴾ فيبغى الاكثر من تلاوتها ﴿و﴾ أخرج ﴿اليهقي وابن عدي عن أنس﴾ بن مالك
باسناد ضعيف ﴿من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة غفر الله له خطيئة خمسين عاما ما اجتنب خصالا أربعا الدماء والأموال والفروج﴾
الحزمة ﴿والأشربة﴾ المسكرة لأنها أنهات الكبائر ﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني عن فيروز﴾ الديلمي أخت النجاشي باسناد ضعيف ﴿من
قرأ قل هو الله أحد مائة مرة في الصلاة أو غيرها كتب الله له براءة من النار﴾ فلا يدخلها ﴿اللهم اكب لنا البراءة من النار﴾ بحاج نيك
المصطفى المختار عليه أفضل الصلاة والسلام وعن أبي بن كعب ؓ عن النبي ﷺ من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن وكتب له
من الحسنات عدد من آمن وأشرك.

* حكاية * كان بعض الصالحين يزور القبور فأدركه النوم ليلة فرأى الأصوات على قبورهم فسأل منهم هل قامت القيامة قالوا لا
ولكن مر علينا ثاب التثاني منذ عشرين سنة فقرا قل هو الله أحد ثلاثين مرة فجعل ثوابها لنا فنحن نقاسمها من ذلك اليوم فما استوفينا
بعد وعن النبي ﷺ من مر على المقابر فقرا قل هو الله أحد احدى عشرة مرة ثم وهب ثوابها للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات.

* لطيفة * عن أبي سعيد الخراساني كلمة دعا الله عباده اليها قل هو الله أحد فتم المراد للخواص ثم زاد بيانا للأولياء بقوله أحد
ثم بيانا لخواص المؤمنين بقوله الله الصمد ثم زاد بيانا للخلق بقوله لم يلد الى آخرها وقال ابن عطاء بقوله قل هو الله أحد ظهر لك منه التوحيد
بقوله الله الصمد ظهر لك منه المعرفة ولم يلد ظهر لك منه الايمان ولم يولد ظهر لك منه الاسلام ولم يكن له كهوا أحد ظهر لك منه اليقين وقال
أبو علي الدقاق وجدنا أنواع الشوك على ثمانية أنواع على الكثرة والعدد والتعص والتغلب والعلو والمعلول والأشكال والاضداد فتنى

وورد في سورة لم يكن أن الله تعالى يقول لمن قرأها أبشر عدي فوعزتي لأمكن لك في الجنة حتى ترض وفي العاديات أنها تعدل نصف القرآن وفي سورة النصر أنها تعدل ربع القرآن وروى الجويني في تفسيره عن أبان بن أبي عياش قال حضرنا وفاة مورك العجلي فلما سجي وقلنا قد قضى

الكثرة والعدد بقوله الله أحد ونفى النقص والتغلب بقوله الله الصمد ونفى العلة والمعلول بقوله لم يلد ولم يولد ونفى الاشكال والأضداد بقوله ولم يكن له كفو أحد .

* فوائد * الأولى عن عبد الله بن حبيب عن النبي ﷺ أنه قال لي قل فلم أقل شيئا ثم قال قل ثم قلت فما أقول قال قل هو الله أحد والمعوذتين حين تصبح وحين تمشي تكفيك من كل شيء قال الترمذي حديث صحيح الثانية عن عقبة بن عامر ﷺ بينما أنا أسير مع النبي ﷺ إذ غشيتنا ریح مظلمة شديدة فجعل النبي ﷺ يتعوذ بقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وقال يا عقبة تعوذ بهما ولم تقرأ سورة أحب إلى الله ولا أبلغ عنده من أن تقرأ سورة قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فإن استطعت أن لم تقولك في صلاتك فافعل الثالثة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ليس في القرآن سورة أشد غيظا لآلئس من قل يا أيها الكافرون فإنها براءة من الشرك والتوحيد وقال رجل يا نبي الله أوصني قال اقرأ عند منامك قل يا أيها الكافرون فإنها براءة من الشرك .

﴿ وورد في ﴾ فضيلة ﴿سورة لم يكن﴾ الذين كفروا وتسمى سورة البينة حديث ﴿ أن الله تعالى يقول لمن قرأها أبشر عدي فوعزتي لأمكن لك في الجنة حتى ترضى ﴾ وعن النبي ﷺ من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية ميتا وميلا كذا أورده الـيضاي ﴿ و ﴾ ورد ﴿ في ﴾ سورة ﴿ العاديات أنها تعدل نصف القرآن ﴾ وعن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة العاديات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا ذكره الـيضاي ﴿ و ﴾ ورد ﴿ في سورة النصر أنها تعدل ربع القرآن ﴾ وعنه ﷺ من قرأ سورة إذا جاء أعطى من الأجر كمن شهد مع محمد ﷺ يوم فتح مكة شرفها الله تعالى ﴿ وروى الجويني في تفسيره ﴾ وفي الصدور للسيوطي وأخرج جوير في تفسيره ﴿ عن أبان بن أبي عياش قال حضرنا وفاة مورك العجلي ﴾ رحمه الله تعالى وكان من عاش بعد الموت ﴿ فلما سجي ﴾ بالبناء للمفعول أي غطي ثوب ﴿ وقلنا قد قضى ﴾ أجله أي توفي ﴿ رأينا نورا ساطعا ﴾ أي مرتعا ﴿ قد سطع بين عند رأسه ﴾ يقال المصبح سطع ارتفع ﴿ حتى خرق السقف ﴾ أي سقف البيت الذي توفي فيه ﴿ ثم رأينا نورا قد سطع عند رجله مثل الأول ثم رأينا نورا سطع من وسطه فمكثنا ساعة ﴾ أي قطعة من الزمان ﴿ ثم انه ﴾ أي الميت ﴿ انكشف الثوب عن وجهه ﴾ بنفسه ﴿ فقال هل رأيتم شيئا قلنا له نعم وأخبرناه ما رأناه ﴾ من الأنوار ﴿ فقال ﴾ الميت ﴿ تلك ﴾ الأنوار التي رأيت ﴿ سورة السجدة قد كتبت أقرؤها في كل ليلة وكان النور الذي رأيتم عند رأسي أربع عشرة آية من أولها ﴾ أي سورة السجدة ﴿ و ﴾ كان ﴿ النور الذي رأيتم عند رجله أربع عشرة آية من آخرها والنور الذي رأيتم في وسطى آية السجدة بنفسها صعدت تشفع لي وبقيت سورة تبارك تحرسني ثم ﴾ بعد انقضاء الكلام ﴿ قضى ﴾ توفي أيضا وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت في طريق آخر عن مورك العجلي قال عدنا رجلا وقد اغشى عليه فخرج نور من رأسه حتى أتى السقف فحرقه فمضى ثم خرج نور من سرته حتى فعل مثل ذلك ثم خرج نور من رجله حتى فعل مثل ذلك ثم أفاق فقلنا له هل علمت ما كان منك قال نعم أما النور الذي خرج من رأسي فأربع عشرة آية من أول الم تنزل وأما النور الذي خرج من سرتي فآية السجدة وأما النور الذي خرج من رجله فأخر سورة السجدة ذهب يشفع لي وبقيت تبارك عندي تحرسني وكتبت أقرؤها كل ليلة .

رأينا نورا ساطعا قد سطع من عند رأسه حتى خرق السقف ثم رأينا نورا قد سطع عند الرجلين مثل الأول ثم رأينا نورا سطع من وسطه فمكثنا ساعة ثم انه انكشف الثوب عن وجهه فقال هل رأيتم شيئا قلنا له نعم وأخبرناه ما رأيناه فقال تلك سورة السجدة قد كتبت أقرؤها في كل ليلة وكان النور الذي رأيتم عند رأسي أربع عشرة آية من أولها والنور الذي رأيتم عند الرجلين أربع عشرة آية من آخرها والنور الذي رأيتم في وسطى آية السجدة بنفسها صعدة تشفع لي وبقيت سورة تبارك تحرسني ثم قضى ﴿وحكى﴾ الياقنى قال سمعت من بعض الصالحين في بعض بلاد اليمن أنه لما دفن بعض الموتى واصرف الناس سمع في القبر ضرا ودقا عنيقا ثم خرج من القبر كلب أسود فقال له الشيخ ويحك أيش أنت قال أنا عمل الميت فقال هذا الضرب فيك أم فيه قال بل في وجدت عنده سورة يس وأخواتها فحالت بيني وبينه وضربت وطردت نسأل الله المنان أن يجنبنا عذاب القبر

وأخرج ابن أبي الدنيا أيضا وابن سعد من طريق آخر عن ثابت البناني أنه ورجلا آخر دخلا على مطرف بن عبد الله الشخير يعود انه فرجدها بمعنى عليه قال فسطعت منه ثلاثة أنوار نور من رأسه ونور من وسطه ونور من رجله فيها لنا ذلك فلما أفارق قلنا له لقد رأينا شيئا ها لنا قال وما هو فأخبرناه قال ورأيتم ذلك قلنا نعم قال تلك الم السجدة وهي تسع وعشرون آية سطع أولها من رأسي وأوسطها من وسطى وآخرها من رجلتي وقد صعدت تشفع لي وهذه تبارك تحرسني قال فمات رحمه الله تعالى وأخرج أبو نعيم عن ربيع قال كنا أربعة أخوة وكان ربيع أخى أكثرنا صلاة وأكثرنا صياما وأنه توفي فبينما نحن حوله اذ كشف الثوب عن وجهه فقال السلام عليكم قلنا وعليكم السلام أبعد الموت قال نعم اني لقيت أبي بعدكم فليقت ربنا غير غضبان فاستقبلني بروح وريحان واستبرق الألوان أبا القاسم ينظر الصلاة على فعجلوا بني ولا تؤخروني ثم طغى فتمنى الحديث الى عائشة رضي الله عنها فقالت أمانتي سمعت رسول الله ﷺ يقول يتكلم رجل من أمي بعد الموت قال أبو نعيم حديث مشهور وأخرجه البيهقي في الدلائل وقال صريح لاشك في صحته ﴿وحكى﴾ الياقنى ﴿رحمه الله﴾ قال سمعت من بعض الصالحين في بعض بلاد اليمن أنه لما دفن بعض الموتى وانصرف الناس المشيعون له ﴿سمع في القبر ضرا ودقا عنيقا﴾ أي شديدا ﴿ثم خرج من القبر كلب أسود فقال له الشيخ ويحك أيش أنت أي شيء أنت قال﴾ الأسود ﴿أنا عمل الميت فقال﴾ الشيخ ﴿هذا الضرب فيك أم فيه﴾ أي في الميت ﴿قال بل في وجدت عنده سورة يس وأخواتها فحالت﴾ أي تلك السور ﴿بينى وبينه وضربت وطردت﴾ عن إبداء الميت وهذه الحكاية قد ذكرناها قريبا وحكى الياقنى أيضا عن المحب الظهري أحد أئمة الشافعية وهو شارح التنبيه أنه كان مع الشيخ اسمعيل الخضرى بمقبرة زيد قال المحب فقال لي يا محب الدين أتؤمن بكلام الموتى قلت نعم قال ان صاحب هذا القبر يقول لي أنا من حشوا الجنة وحكى أيضا عن الشيخ اسمعيل المذكور أنه مر على بعض مقابر اليمن فبكى بكاء شديدا وعلاه حزن ثم ضحك ضحكا شديدا وعلاه سرور فسل عن ذلك فقال كشف لي عن هذه المقبرة فرأيتهم يذنون فبكيت ثم تضرعت الى الله تعالى فيهم فقبل لي شفعتك فيهم فقالت صاحبة هذا القبر وأنا معهم يا فقيه اسمعيل أنا فلانة المغنية فقلت وأنت معهم فلذلك ضحكك وأخرج ابن أبي الدنيا عن المغيرة بن حبيب ان رجلا روى في منامه قبيل له ما هذه روائح المسك التي تروح في قبرك قال تلك روائح التلاوة والظماء

قال الياقنى رؤية الموتى في خير أو شر نوع من الكشف يظهر الله للأحياء حال الموتى لتبشير أو موعظة أو لمصلحة للميت من اتصال خير اليه أو قضاء دين عليه أو غير ذلك ثم هذه الرؤية قد تكون في النوم وهو الغالب وقد تكون في اليقظة وقت ما يريد الله الحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى ﴿نسأل الله تعالى أن يجنبنا﴾ أي بعدنا ﴿عذاب القبر﴾ أي عذابا في البرزخ الحاضر بين الدنيا والآخرة

والتيان وأن يبرز قنا الحور والجنان بركة القرآن آمين .

﴿باب أذكار الصباح والمساء﴾

﴿أخرج﴾ أحمد عن عبد الرحمن بن غنم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال قبل أن يتصرف ويشتي رجله من صلاة المغرب والصبح لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب الله له بكل واحدة عشر حسنة ومحام عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكانت له حرزا من كل مكروه وحرزا من الشيطان الرجيم ولم يحل لذنب أن يدركه إلا الشرك وكان من أفضل الناس عملا إلا رجلا يفضل به يقول أفضل مما قال وزاد النسائي من قالهن من صلاة العصر أعطى مثل ذلك،

لبعض الأنوار وإن لم يقروا وإنما أضيف للقبول لأنه الغالب ﴿و﴾ عذاب ﴿التيان وأن يبرز قنا الحور﴾ العين ﴿والجنان بركة القرآن﴾ العظيم ﴿آمين﴾ يارب العالمين .

﴿باب أذكار﴾ قال عند ﴿الصباح والمساء﴾

واعلم أن هذا الباب واسع جدا ليس في الكتاب باب أوسع منه وسيدكر المصنف رحمه الله تعالى جملا من مختصراته فمن وافق للعمل بكليةها فهي نعمة وفضل من الله تعالى عليه وطوبى له ومن عجز عن جميعها فليقتصر من مختصراتها على ما شاء ولو كان ذكرا واحدا .

والأصل في هذا الباب من القرآن العزيز قول الله تعالى وسبح بحمده ربك قبل طلوع الفجر وقبل غروبها وقال تعالى وسبح بحمده ربك بالعشي والإبكار وقال تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال قال أهل اللغة الآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدات والعشي يريدون وجهه قال أهل اللغة العشي ما بين زوال الشمس وغروبها وقال تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية وقال تعالى أنا سنخرن الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق .

﴿أخرج﴾ أحمد عن عبد الرحمن بن غنم قال قال رسول الله ﷺ من قال قبل أن يتصرف ويشتي رجله من صلاة المغرب والصبح لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده أي بقدرته ﴿الخير﴾ أي والشر ﴿وهو على كل شيء﴾ شاءه ﴿قدير عشر مرات كتب الله له بكل واحدة عشر حسنة ومحام عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكانت له حرزا﴾ أي حفظا ﴿من كل مكروه وحرزا من الشيطان الرجيم﴾ أي المظروود عن رحمة الله ﴿ولم يحل﴾ أي لم يقع ولم ينزل ﴿لذنب أن يدركه إلا الشرك وكان﴾ القائل ما ذكر ﴿من أفضل الناس عملا إلا رجلا يفضل به يقول أفضل مما قال وزاد النسائي من قالهن﴾ أي تلك الكلمات ﴿عن صلاة العصر أعطى مثل ذلك﴾ المذكور من الحسنات ومحاسنات ورفع الدرجات والحرز من المكروه والشيطان وفي كتاب الترمذي وغيره وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من قال دبر صلاة الصبح وهو ثمان رجله قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب الله له عشر حسنة ومحام عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك في حوز من كل مكروه وحرس من الشيطان ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى قال الترمذي هذا حديث حسن وفي بعض النسخ صحيح وفي سنن أبي داود عن مسلم بن الحارث التيمي الصحابي رضي الله عنه عن رسول

وأحمد والبخاري سيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة، وأبو داود والترمذي كان صلى الله عليه وسلم يقول إذا أصبح اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نموت وبك نحيا وبك نموت واليك النشور وإذا أمسى قال اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير *

الله ﷺ أنه أسر إليه فقال إذا انصرفت عن صلاة المغرب فقل اللهم أجرني من النار سبع مرات فانك إذا قلت ذلك ثم مت من ليلتك كب لك جوار منها وإذا صليت الصبح فقل كذلك إذا مت من يومك كب لك جوار منها وفي مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجه وكتاب ابن السني عن أم سلمة رضى الله عنها قلت كان رسول الله ﷺ إذا صلى الصبح قال اللهم انى أسألك علما نافعا وعملا مقبلا ورزقا طيبا .
 ﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد والبخاري﴾ والنسائي عن شداد بن أوس ﴿سيد الاستغفار﴾ أى أفضل أنواع صيغه قلل الطبى لما كان الدعاء جامعا لمعاني التوبة استغفر له السيد أن يقول العبد ﴿اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك﴾ قال العزيزى أى ما عاهدتك عليه وواعدتك من الإيمان بك وإخلاص الطاعة لك وقال الحنفى قوله عهدك هو أخذ الميثاق بالإيمان فى عالم الذل وقوله ووعدك أى على لسان رسولك من أن من مات مؤمنا دخل الجنة ونعم فيها ﴿ما استطعت﴾ أى مدة دوام استطاعتى وفيه الاعتراف بالعجز عن أداء حقه سبحانه وتعالى والتبرئ من الحول والقوة ﴿تعوذ بك من شر ما صنعت﴾ من الذنوب ﴿أبوء﴾ أى أعترف ﴿لك بنعمتك على وأبوء بذنبي﴾ أى أعترف به وفائدة الاقرار بالذنب ان الاعتراف يمحوا الاقرار كما قيل:

فإن اعتراف المرء بمحوائقرافه محو كما ان انكار الذنوب ذنوب

وورد أن من اعترف بتقصيره نظر الله له نظر رحمة ﴿فاغفر لي﴾ ذنوبى ﴿فانه﴾ أى الشأن ﴿لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها﴾ أى هذه الكلمات ﴿من النهار﴾ أى فيه قال الحنفى أى من الفجر الى غروب الشمس لا الى الزوال فقط ﴿موقنا بها﴾ أى مخلصا قلبه مقصدا بشاها لا شك عنده فى ذلك ﴿فمات من يومه﴾ ذلك ﴿قبل أن يمسي﴾ أى قبل الغروب قال العزيزى ولم يرتكب شيئا من الكبائر بعد قولها ﴿فهو من أهل الجنة﴾ أى ممن استحق دخولها مع السابقين أو بغير عذاب قال الحنفى أى ذلك دليل على أنه يموت مؤمنا ويدخل الجنة وقيل غير ذلك ﴿ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة﴾ بالقيد المذكور بالمعنى المذكور ومن خواصها إذا كتبت وجرعت لمن صعب عليه الموت انطلق لسانه وسهل عليه الموت قاله صاحب نيل المرام:

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود والترمذي﴾ وابن ماجه بالاسانيد الصحيحة عن أبى هريرة ؓ عن النبى ﷺ أنه ﴿كان يقول إذا أصبح﴾ أى دخل فى الصباح ﴿اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا﴾ قال المناوى أى أصبحنا وأمسينا متلبسين بنعمتك أو بحياتك وحفظك ﴿وبك نحيا وبك نموت﴾ أى أحيانا وماتنا بقدرتك لا بقدره غيرك ﴿وإذا أمسى﴾ أى دخل عليه الصلاة والسلام فى المساء ﴿قال اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت﴾ أى يستمر حالنا على هذا فى جميع الأزمان ﴿واليك المصير﴾ أى المرجع قال الغلقمى ونقله العزيزى والصباح عند الغروب من نصف الليل الأخير الى الزوال ثم المساء الى آخر نصف الاول ومن فوائده أنه بشرع ذكر الألفاظ الواردة فى الأذكار المتعلقة بالصباح والمساء اما التى فيها ذكر اليوم والليلة فلا يأتى فيها ذلك اذا أول اليوم شرعا من طلوع الفجر والليلة من غروب الشمس.

وابن السني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به تقول إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث فأصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين * وأبو داود إذا أصبح أحدكم فليقل أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركه وهداه وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما قبله وشر ما بعده ثم إذا أمسى فليقل مثل ذلك * وأبو داود دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال يا أبا أمامة مالي أراك جالسا في غير وقت الصلاة قال موم لزممتي وديون يا رسول الله قال أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنيك دينك قلت بلى يا رسول الله قال قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال فقلت فأذهب الله تعالى همي وقضى عني ديني *

﴿هو﴾ أخرج ﴿ابن السني﴾ وغيره عن أنس بن مالك ؓ قال ﴿قال رسول الله ﷺ لفاطمة﴾ الزهراء ﴿رضي الله عنها﴾ ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به تقول إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث فأصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ﴿أي لا تجعل أمري إلى تدبير قد تحريك جفن العين وهو كناية عن قلة الزمن﴾ ﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود﴾ باسناد لم تضعفه عن ابن مالك الأشعري ؓ أن رسول الله ﷺ قال ﴿إذا أصبح أحدكم فليقل أصبحنا وأصبح﴾ أي صار ﴿الملك لله رب العالمين اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركه وهداه وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما قبله وشر ما بعده ثم إذا أمسى فليقل مثل ذلك﴾ الدعاء المذكور ﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود﴾ عن أبي سعيد الخدري ؓ قال ﴿دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال يا أبا أمامة مالي أراك جالسا﴾ في المسجد ﴿في غير وقت الصلاة قال موم لزممتي وديون يا رسول الله قال﴾ ﴿أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنيك دينك قلت بلى﴾ علمني ﴿يا رسول الله قال﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك﴾ قال الطيبي العوذ الاتجاء إلى الغير والتعلق به وأعوذ لفظ الخبر ومعناه الدعاء فالواو في ذلك تحقيق الطلب كما قيل في غفر الله بلفظ الماضي والباء للاتصاف وهو الصاق معنوي لأنه لا يلتصق شيء بالله تعالى ولا بصفاته لكنه التصاق تخصيص لاخص الرب بالاستعاذة ﴿من الهم﴾ هو الحزن الشديد ﴿والحزن﴾ فمطفه على هذا من عطف العام وقيل مغاير لأن الهم يكون في أمر متوقع والحزن فيما وقع سببه سواء انقطع أي استمر إلى الحال فليس عطف مرادف خلافا لبعضهم ﴿وأعوذ بك من العجز﴾ يسكون الجيم هو عزم القدرة على الخير وقيل ترك ما يجب فعله والتسويق به قال المناوي سلب القوة وتخلف التوفيق ﴿والكسل﴾ أي التاقل والتراخي مما لا ينبغي التاقل عنه ويكون ذلك لعدم انبعاث نفس للخير وقلة الرغبة فيه مع إمكانه وقيل هو من التغير والتواني ﴿وأعوذ بك من الجبن﴾ أي من سلب الشجاعة بأن اتصف بالخوف من الموت فاحجم عن قتال الأعداء هذا هو الجبن ﴿والبخل﴾ هو في الشرع منع الواجب وفي اللغة منع السائل المحتاج عما يفضل عن الحاجة ﴿وأعوذ بك من غلبة الدين﴾ يعني ثقله وشدته وذلك حيث لا قدرة على الوفاء ولا سيما مع المطالبة وقال بعض السلف ما دخل هم الدين قلبا إلا أذهب من العقل ما لا يعود إليه أبدا ﴿وقهر الرجال﴾ من الإضافة للفاعل أي من أن يقهرني الرجال بغير حق وهذا بالنظر إلى أهل الحجاب أما الواصلون فلا يتأثرون به الرجال ويصح أن يكون من الإضافة للمفعول أي من أن أقهر الرجال والمراد بما يترتب على قهر الرجال من نحو عجب وكبر ولا يقهر الرجال الذين على الباطل محمود لا يستأذ منه قاله الحنفى .

﴿قال﴾ أبو أمامة الأنصاري ﴿فقلت﴾ ذلك ﴿فأذهب الله همي﴾ وغنى ﴿وقضى عني ديني﴾ .

وابن السني جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال يا أبا الدرداء قد احترق بيتك فقال ما احترق لم يكن الله عز وجل ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم، وأخرجه من طريق آخر أنه تكرر بحجج رجل إليه يقول أدرك دارك فقد احترقت وهو يقول ما احترقت لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال حين يصبح هذه الكلمات لم يصبه في نفسه ولا أهله ولا ماله شيء يكرمه وقد قلته اليوم ثم قال انهضوا بنا فقام وقاموا معه فاتوها إلى داره وقد احترق ما حولها ولم يصبها شيء * وفي رواية أخرى له من قالها ثم مات دخل الجنة وهو أن رجلا شكك إلى رسول الله ﷺ أنه يصيبه الآفات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل إذا أصبحت

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن السني﴾ عن طلق بن حبيب قال ﴿جاء رجل إلى أبي الدرداء﴾ ﴿فقال يا أبا الدرداء﴾ ﴿قد احترق بيتك فقال ما احترق﴾ ﴿بني﴾ ﴿لم يكن الله عز وجل ليفعل ذلك﴾ ﴿الاحترق﴾ ﴿كلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح﴾ ﴿وقد قلته اليوم فانا على يقين من عدم إصابة الضرر لي وهي هذه﴾ ﴿اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي﴾ ﴿أي شر هواها للخائف الهدى قال ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله أما إذا وافق الهوى الهدى فهو كريد وعسل وقيل الاستعاذة منها لكونها أسرع إجابة إلى داعي الشر من الهوى والشيطان وحاصله مزيد الإعتناء بتطهير النفس فقدم لكمال الصديق أن يفعله ليكون وسيلة لكل كمال يترقى إليه بعد إذ الترقى يتفاوت بحسب تفاوت مراتب ذلك التطهير هكذا ذكره ابن علان ﴿ومن شر كل دابة﴾ ﴿تدب على الأرض ويدخل في هذا جميع بني آدم والحوان لأنهم يذبون على الأرض﴾ ﴿أنت آخذ بناصيتها﴾ ﴿أي أنت مالكها والقادر عليها وأنت تقرها لأن من أخذت بناصيتها فقد قهرته والناصية مقدم الرأس وسمى الشعر الذي عليه ناصية للمجاورة قيل إنما خص الناصية بالذكر لأن العرب يستعمل ذلك كثيرا في كلامهم فاذا وضفوا انسانا بالذلة مع غيره يقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا إذا أسروا أسيرا وارادوا إطلاقه جنزوا ناصيته لينتوا عليه ويعتقدوا بذلك فخرا عليه﴾ ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ ﴿أي أنه على الحق والعدل ولا يضيع عنده معصم ولا ينفوته ظالم فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بعصيانته وقيل معناه إن دين ربي هو الصراط المستقيم وقيل فيه إضمار تقديره إن ربي يحكمكم على صراط مستقيم.

﴿وأخرجه﴾ ﴿ابن السني﴾ ﴿من طريق آخر﴾ ﴿عن رجل من أصحاب النبي ﷺ لم يقل عن أبي الدرداء وفيه﴾ ﴿أن تكرر بحجج رجل إليه﴾ ﴿أي إلى أبي الدرداء﴾ ﴿يقول﴾ ﴿له﴾ ﴿أدرك دارك فقد احترقت وهو يقول ما احترقت﴾ ﴿داري﴾ ﴿لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول من قال حين يصبح هذه الكلمات﴾ ﴿وهي اللهم أنت ربي إلى آخره﴾ ﴿لم يصبه في نفسه ولا أهله ولا ماله شيء يكرمه وقد قلته اليوم ثم قال انهضوا بنا﴾ ﴿أي قوموا﴾ ﴿فقام وقاموا معه فاتوها إلى داره وقد احترق ما حولها ولم يصبها شيء﴾ ﴿وفي رواية أخرى له﴾ ﴿أي لابن السني عن بريدة﴾ ﴿قال قال رسول الله ﷺ﴾ ﴿من قالها﴾ ﴿هذه الكلمات﴾ ﴿ثم مات دخل الجنة وهو﴾ ﴿أي أخرج ابن السني عن ابن عباس رضي الله عنهما﴾ ﴿أن رجلا شكك إلى رسول الله ﷺ أنه يصيبه الآفات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل إذا أصبحت﴾

بسم الله على نفسي ومالي وأهلي فإنه لا يذهب لك شيء فقال له الرجل فذهب عنه الآفات * وسلم وأبو داود أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق لم تضر * وفي رواية ابن ماجه ما ضربه لدغ عقرب حتى أصبح * وأحمد وأبو داود من قال حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً كان حقاً على الله أن يرضيه * وابن السني إذا أصبحت فقل اللهم أنت ربي لا شريك لك أصبحنا وأصبح الملك لله لا شريك له ثلاث مرات وإذا أمسيت فقل مثل ذلك فإنهم يكفرون ما بينهم * والترمذي وأبو داود ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شيء * وفي رواية فجأة بلاء *

أي دخلت في الصباح ﴿ بسم الله على نفسي ومالي وأهلي فإنه ﴾ أي الشأن ﴿ لا يذهب لك شيء ﴾ قال المناوي هذا من الطلب الروحاني المشروط بتقوى الإخلاص وحسن الاعتقاد ﴿ فقال له الرجل فذهب عنه الآفات ﴾ أخرجه ﴿ وسلم وأبو داود ﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿ أما إنك ﴾ أي الرجل الذي لدغته العقرب ﴿ لو قلت حين أمسيت ﴾ أي دخلت في المساء ﴿ أعوذ بكلمات الله ﴾ قال الحنفى المراد بها كل ما ورد في كتابه تعالى أو لسان نبيه ﴿ التامات ﴾ أي التي لا يدخلها نقص ولا عيب كما يدخل كلام الناس وقيل هي التامات الكافيات الشافيات من كل ما يعوذ ﴿ كلها ﴾ وفي رواية اسقاط هذا اللفظ ﴿ من شر ما خلق ﴾ أي من شر خلقه وشرهم ما فعله المكفرون من المعاصي والآثام ومضارة بعضهم بعضاً من ظلم وبغى وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين من الأكل والشهش والدغ والعض كالسباع والحشرات ﴿ لم تضر ﴾ أي لم تلدغك كما هو ظاهر ما في الملقنى فإنه قال قال القرطبي هذا قول الصادق الذي علمنا صدقه دليلاً ونجزة وإني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه ولم يضرني شيء إلى أن أتيتكم فلدغني عقرب بالمهية لئلا تذكر في نفسي فاذا بي قد نسيت أن أعوذ بتلك الكلمات انتهى وقال المناوي لم تضرك بأن ينك وبين كمال تأثيرها بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه ﴿ وفي رواية ابن ماجه ﴾ عن أبي هريرة أيضاً أنه لو قال حين أمسى أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ﴿ ما ضربه لدغ عقرب حتى أصبح ﴾ وسببه كما أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة قال لدغت عقرب رجلاً فلم ينم ليلة فقال أما أنه فذكره .

﴿ و ﴾ أخرجه ﴿ أحمد وأبو داود ﴾ والترمذي والنسائي عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ من قال حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً كان حقاً على الله أن يرضيه ﴾ وقد رواه الحاكم وأبو عبد الله في المستدرک على الصحيحين وقال حديث صحيح الإسناد ووقع في رواية أبي داود وغيره ومحمد رسولاً وفي رواية الترمذي نياً فيستحب أن يجمع الإنسان بينهما فيقول نياً ورسولاً كما ساقه المصنف ولو اقتصر على أحد مما كان عاملاً بالحديث كذا قاله النووي .

﴿ و ﴾ أخرجه ﴿ ابن السني إذا أصبحت فقل اللهم أنت ربي لا شريك لك أصبحنا وأصبح ﴾ أي صار ﴿ الملك لله لا شريك له ثلاث مرات وإذا أمسيت فقل مثل ذلك فإنهم يكفرون ما بينهم ﴾ أخرجه ﴿ الترمذي وأبو داود ﴾ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شيء ﴾ قال للترمذي هذا حديث حسن صحيح هذا اللفظ الترمذي ﴿ وفي رواية ﴾ لأبي داود لم تضربه ﴿ فجأة بلاء ﴾

والترمذي من قال حين يمسي ثلاث مرات أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره حمة تلك الليلة * وأبو داود من قال حين يصبح أو يمسي اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك أعق الله ربه من النار فمن قالها مرتين أعق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثة أعق الله ثلاثة أرباعها من النار فإن قالها أربعا أعق الله تعالى * وابن السني من قال في كل يوم حين يصبح وحين يمسي حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاء الله تعالى ما أمه من أمر الدنيا والآخرة * وابن حبان والحاكم من قال إذا أصبح مائة مرة وإذا أمسى مائة مرة سبحان الله وبحمده غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر وفي رواية أبي داود سبحان الله العظيم وبحمده * والترمذي من قرأ حم المؤمن إلى إله المصير وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي حفظ بهما حتى يصبح * وأبو داود من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى وكذلك تخرجون

﴿و﴾ أخرج الترمذي من قال حين يمسي ثلاث مرات أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره حمة تلك الليلة ﴿و﴾ وقال الفيومي والحمدة سم كل شيء يلدغ أو يسلم وفي المختار وحنة العقب سبها وضرها .
 ﴿و﴾ أخرج أبو داود ﴿و﴾ باسناد جيد لم يضعفه عن أنس ﴿و﴾ أن رسول الله ﷺ قال ﴿من قال حين يصبح أو يمسي اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك ﴿و﴾ أي الملائكة الذين يحملونه ﴿و﴾ أشهد ﴿ملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك أعق الله ربه من النار فمن قالها ﴿و﴾ أي هذه الكلمات ﴿مرتين أعق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثة أعق الله ثلاثة أرباعها من النار فإن قالها أربعا أعق الله تعالى ﴿من النار ﴿و﴾ أخرج ابن السني ﴿عن أبي الدرداء ﴿عن النبي ﷺ ﴿من قال في كل يوم حين يصبح وحين يمسي حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاء الله تعالى ما أمه من أمر الدنيا والآخرة ﴿و﴾ أخرج ابن حبان والحاكم ﴿و﴾ أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن أبي هريرة ﴿من قال إذا أصبح مائة مرة وإذا أمسى مائة مرة سبحان الله وبحمده غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر ﴿و﴾ وفي رواية وإن كانت مثل زبد البحر وهو كتابة عن المبالغة في الكثرة والمراد الصغائر قال العلقمي وسبحان الله معناه تنزيه الله عما يليق به من كل نعمت وهو مضاف للمفعول منصوب بفعل محذوف أي سبحت الله تسيخا فهو واقع موقع المصدر ويجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل أي نزه الله نفسه والمشهور الأول ﴿وفي رواية أبي داود سبحان الله العظيم وبحمده ﴿و﴾ أخرج الترمذي ﴿و﴾ ابن السني باسناد ضعيف عن أبي هريرة ﴿من قال قال رسول الله ﷺ ﴿من قرأ حم المؤمن إلى ﴿قوله ﴿إليه المصير ﴿و﴾ قرأ ﴿آية الكرسي حين يصبح حفظ ﴿بالباء للمفعول أي حفظه الله من الذنوب ﴿بها حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح ﴿و﴾ أخرج أبو داود ﴿عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال ﴿من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى ﴿قوله ﴿وكذلك تخرجون ﴿وفض الآية فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك يخرجون قال نافع بن الأزرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن قال نعم وقرأ هاتين الآيتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقعها .

واعلم أنه إنما خص هذه الأوقات بالسيح لأن أفضل الأعمال أدومها والإنسان لا يتدر أن يصرف جميع أوقاته إلى السبيح لانه محتاج إلى ما يعيشه من مأكل ومشروب وغير ذلك فحفف الله عنه العبادة في غالب الأوقات وأمره بما في أول النهار ووسطه وآخره

أدرك ما فاتته في يومه ذلك ومن قالهن حين يمسي أدرك ما فاتته في ليله * وابن السني عن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال وجها رسول الله ﷺ في سرية فأمرنا أن نقرأ إذا أمسينا وإذا أصبحنا أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون * وهو الترمذي من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة * وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن خبيب قال خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة فطلب النبي ﷺ ليصلي بنا فأدركناه فقال قل فقم أقل شيئا ثم قال قل فقل ثم قال يا رسول الله ما أقول قال قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك من كل شيء .

وفي أول الليل وآخره فإذا صلى العبد ركعتي الفجر فكأنما سبح قدر ساعتين وكذلك باقى الركعات وهى سبع عشرة ركعة مع ركعتي الفجر فإذا صلى الإنسان الصلوات الخمس فى أوقاتها فكأنما سبح الله سبع عشرة ساعة فى جميع الليل والنهار بقی عليه سبع ساعات فى جميع الليل والنهار وهى مقدار النوم والثائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع أوقاته فى التسبيح والعبادة وعنه عليه الصلاة والسلام من سره أن يكال له بالقير الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال من قرأ فسبحان الله حين تمسون الى الثلاث وآخر سورة الضافات دبر كل صلاة كتب له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر الأمطار وورق الأشجار وتراب الأرض فإذا مات أجرى له بكل حرف عشر حسنات فى قبره كذا ذكره البيضاوى وغيره ﴿أدرك﴾ قالهن ﴿ما فاتته في يومه ذلك ومن قالهن حين يمسي أدرك ما فاتته في ليله﴾ وخرج ﴿ابن السني عن محمد بن إبراهيم عن أبيه﴾ ﴿قال وجها﴾ أى بعثنا ﴿رسول الله ﷺ فى سرية﴾ أى قطعة من الجيش سميت بذلك لأنها تسير فى خفية ﴿فأمرنا أن نقرأ إذا أمسينا وإذا أصبحنا﴾ قوله تعالى ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾ أى لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه اللعب كذا خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وإنما خلقتكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ فقرأنا قمنا وسلمنا روى البيهقي سننه عن الحسن بن رجلا مضيا مر به على ابن مسعود فقرأه فى أذنه أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون حتى ختم السورة فقرأ فقال رسول الله ﷺ بماذا رقيت فى أذنه فأخبره فقال رسول الله ﷺ والذي نفسى بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال

﴿وهو﴾ أى وأخرج ابن السني ﴿والترمذي﴾ بإسناد فيه ضعف عن معقل بن يسار ؓ عن النبي ﷺ قال ﴿من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر﴾ وهى قوله عز وجل هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴿وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يصلون﴾ أى يستغفرون ﴿عليه حتى يمسي وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة﴾ وقال الترمذي حديث غريب .

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود والترمذي﴾ والنسائي بالأسانيد الصحيحة ﴿عن عبد الله بن خبيب﴾ بضم الحاء المعجمة ؓ عنه ﴿قال خرجنا فى ليلة مطر وظلمة شديدة فطلب النبي ﷺ ليصلي بنا﴾ وفى رواية لنا ﴿فأدركناه فقال﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿قل فقم أقل شيئا ثم قال قل فقل ثم قال يا رسول الله ما أقول قال﴾ ؓ ﴿قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك من كل شيء﴾ قال الترمذي حديث حسن صحيح .

باب ما يقال عند النوم والاستيقاظ منه

باب ما يقال من السور والأذكار والدعوات

عند ارادة النوم وعند الاستيقاظ أي الاتباه منه أي من النوم .

قال الله تعالى ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الآيات أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان اذا أخذ مضجعه نث في يديه وقرأ بالمعوذات ومسح بها جسده وأخرج أبو داود عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان اذا اودأ ان يرقد وضع يده اليمنى تحت صدره ثم يقول اللهم قن عذابك يوم تبعث عبادك ثلاث مرات وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول اذا أوى الى فراشه اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء خالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن وأعوذ بك من شر كل ذي شر أنت أخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر وفي رواية أبي داود اقض عني الدين واغنني من الفقر وأخرج أبو داود والنسائي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول عند مضجعه اللهم اني أعوذ بك بوجهك الكريم وكلماتك التامات من شر ما أنت أخذ بناصيته اللهم أنت تكشف المغرم والمائم اللهم لا يهزم جنودك ولا يخلف وعده ولا ينفع ذا الجد منك الجد سبحانه اللهم ويحمدك وأخرج مسلم وأبو داود والترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان اذا أوى الى فراشه قلل الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا من لا كافي له ولا مؤذي قال الترمذي حديث حسن صحيح وأخرج أبو داود عن أبي زهير الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان اذا أخذ مضجعه من الليل قال باسم الله وضعت جنبي اللهم اغفر لي ذنبي وأحسن شيطاني وفق رهائي واجعلني في الندي الأعلى قال النووي الندي بفتح النون وكسر الدال وتشديد الياء وروينا عن الإمام أبي سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي رحمه الله في تفسير هذا الحديث قال الندي القوم الجتمعون في مجلس ومثله النادي وجمعه اندية قال يريد بالندي الأعلى الملاء الأعلى من الملائكة .

وأخرج أبو يعلى في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال ألا أدلكم على كلمة تتجركم من الشرك بالله عز وجل تفرقن قل يا أيها الكافرون عند منامكم وأخرج أبو داود والترمذي عن عراب بن سارية رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقرأ بالمسبحات قبل أن يرقد قال الترمذي حديث حسن وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ بنى إسرائيل والزم قال الترمذي حديث حسن وأخرج أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول اذا أخذ مضجعه الحمد لله الذي كفاني وآوانني وأطعمني وسقاني والذي من علي فأفضل والذي أعطاني فأجزل الحمد لله على كل حال اللهم رب كل شيء ومليكه واله كل شيء أعوذ بك من النار وأخرج الترمذي وابن السني عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من مسلم يأوي الى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى حين يأخذ مضجعه الا وكل الله عز وجل به ملكا لا يدع شيئا يقربه ويؤذيه حتى يهب متى هب استاده ضعيف ومعنى هب اتبه وقام .

وأخرج ابن السني عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ان الرجل اذا أوى الى فراشه ابتد رملك وشيطان فقال الملك اللهم احتم بحمير فقال الشيطان احتم بشر فان ذكر الله تعالى ثم نام بات الملك يكلؤه أي يحفظه وأخرج ابن السني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ

﴿أخرج البخاري عن أبي هريرة قال وكنتي رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام وذكر الحديث وقال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فانه

ﷺ من أوى إلى فراشه طاهرا وذكر الله عز وجل حتى يدركه النعاس لم يقلب ساعة من الليل يسأل الله عز وجل فيها خيرا من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وأخرج ابن السني عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال اللهم آمين سمعي وبصري واجعلهما الوارث مني وانصربي على عدوي وأرني عنه ياربى اللهم اني أعوذ بك من غلبة الدين ومن الجوع فانه بس الضحيح قال العلماء معنى اجعلهما الوارث مني أي أبقهما ضحيحتي سليمتي إلى أن أموت وقيل المراد بقاءهما عند الكبر وضعف الأعضاء وباقي الحواس أي اجعلهما وارثي قوة باقي الأعضاء والباقيين بعد هما وقيل المراد بالسمعي وعن ما يسمع والعمل به وبالبصر الاعتبار بما يرى وأخرج ابن السني عن عائشة رضي الله عنها أيضا قالت ما كان رسول الله ﷺ منذ ضحبت بهنام حتى فارق الدنيا حتى ينفذ من الجن والكسل والسامة والبخل وسوء الكبر وسوء المنظر في الأهل والمال وعذاب القبر ومن الشيطان ومشرکه وأخرج ابن السني عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت إذا أرادت النوم تقول اللهم اني أسألك زوايا صالحة صادقة غير كاذبة نافعة غير ضارة وكانت إذا قالت هذا قد عرفوا أنها غير متكلمة بشيء حتى تصبح أو تستيقظ من الليل وروى الامام الحافظ أبو بكر بن أبي دلول باسناده عن علي بن أبي طالب ما كتبت أرى أحدا يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة استناده صحيح على شرط البخاري ومسلم وروى أيضا عن علي ما أرى أحدا يعقل دخل في الإسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسي وعن ابراهيم النخعي قال كانوا يعلمونهم إذا أوتوا إلى فراشهم أن يقرأوا المعوذتين وفي رواية كانوا يستحبون أن يقرأوا هؤلاء السور في كل ليلة ثلاث مرات قل هو الله أحد والمعوذتين استناده صحيح على شرط مسلم.

﴿أخرج البخاري عن أبي هريرة﴾ ﷺ ﴿قال وكنتي رسول الله ﷺ بحفظ زكاة﴾ الفطر من ﴿رمضان فأتاني آت فجعل يحثو﴾ بحاء مهملية أي يأخذ بكفيه ﴿من الطعام﴾ وفي رواية أبي التوكل عن أبي هريرة عند النسائي أنه كان عاملا تمر الصدقة فوجد أثر كلف كأنه قد أخذ منه ولابن الضرس من هذا الوجه فاذا التمر قد أخذ منه ملء كف ﴿وذكر الحديث﴾ إلى آخره ﴿وهو﴾ فآخذته وقلت والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال اني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال فخليت عنه فأصبحت فقال النبي ﷺ يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة قال قلت يا رسول الله شكاك حاجة شديدة وعيالا فرجته فخليت سبيله قال أما أنه قد كذبك وسيعود فعرفت انه سيعود لقول رسول الله ﷺ انه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ دعني فاني محتاج وعلي عيال لأعود فرجته فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ يا أبا هريرة ما فعل أسيرك قلت يا رسول الله شكاك حاجة شديدة وعيالا فرجته فخليت سبيله قال أما أنه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات انك تزعم لا تعود ثم تعود قال دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هي وللحموى ما هن قال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لا اله الا هو الحي القيوم حتى تحتم الآية فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ ما فعل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله زعم انه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال ما هي قلت ﴿قال﴾ لي ﴿إذا أويت﴾ أي أتيت ﴿إلى فراشك﴾ للنوم وأخذت مضجعتك ﴿فاقرأ آية الكرسي﴾ من أولها حتى تحتم الله لا اله الا هو الحي القيوم وقال لي

إل معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي ﷺ صدقك وهو كذوب وذلك شيطان * والشيخان الآتان من سورة البقرة

يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح * وكانوا أحرص شيء على الخير * فقال النبي ﷺ أما انه صدقك * بتخفيف الدال من تقع آية الكرسي ولما ثبت له الصدق أو هم المدح فاستدركه بصيغة تنيد المبالغة في الذم بقوله * وهو ب * في حديث معاذ بن جبل صدق الحديث وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا باهريرة قال لا * قال * عليه الصلاة السلام * ذلك شيطان * من الشياطين أخرجه البخاري في صحيحه فقال وقال عثمان بن الهيثم حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن بريرة وهذا متصل فان محمد بن الهيثم أحد الشيوخ البخاري الذين روى عنهم في صحيحه وأما قول أبي عبد الله الحميدي في الجمع صحيحان البخاري أخرجه تعليقا بغير مقبول فان المذهب الصحيح المختار عند العلماء والذي عليه المحققون أن قول البخاري هو وقال فلان محمول على سماعه منه واتصاله اذا لم يكن مدلسا وكان قد لقيه وهذا من ذلك وإنما المعلق بما أسقط البخاري منه شيخة ريان يقول في مثل هذا الحديث وقال عوف أو قال بمحمد بن سيرين أو أبو هريرة والله أعلم كذا ذكره النووي .

* تنبيه * قال في شرح المشكاة ونكر لفظ الشيطان بعد سبق ذكره منكرا في قوله لا يقربك شيطان ليؤذن بأن الثاني غير الأول لأول مطلق شائع في جنسه والثاني فرد من أفراد ذلك الجنس فلو عرف لأوهم خلاف المقصود لأنه اما أن يشار إلى السابق أو إلى ف والمشهور بين الناس وكلاهما غير مراد من الظاهر أن يقال شيطانا بالنصب لأن السؤال في قوله من تخاطب عن المفعول فعدل إلى الاسمية وشخصه باسم الإشارة كزبد العين ودوام الاحتراز عن كيدته ومكره .

فان قلت فقد ذكر في الصلاة أن النبي ﷺ قال ان شيطانا تقلت على البارحة الحديث وفيه لولا دعوة أخى سليمان لأصبح أبسارية وفي حديث الباب أن أبا هريرة أمسك شيطان الذي رآه أجيب بأن الذي هم به النبي ﷺ أن يوثقه رأس الشياطين الذي لا تمكن منه التمكن من الشياطين فظاهري حينئذ سليمان في تسخيرهم والمراد بالشياطين في حديث أبي هريرة هذا شيطانه صه أو غيره في الجملة فلا يلزم من تمكنه منه استئجاب غيره من الشياطين في ذلك التمكن أو الشيطان الذي هم به النبي ﷺ تبدي له منه التي خلق عليها وكانوا في خدمة سليمان عليه الصلاة والسلام على هيتهم والذي تبدي لأبي هريرة في حديث الباب كان على لأدمين فلم يكن في امساكه مضاهة لملك سليمان وقع لأبي بن كعب عند التثائي وأبي أنس الأنصاري عند الترمذي وأبي أسيد روى وزيد بن ثابت عند ابن أبي الدنيا قصص في ذلك إلا انه ليس فيها ما يشبه قصة أبي هريرة الا قصة معاذ وهو محمول على ذكره بعض شرح البخاري .

* وأخرج * الشيخان * عن ابن مسعود الأنصاري البدرى عقبة بن عمر * قال قال رسول الله ﷺ * الآتان من آخر البقرة * وهما قوله تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير وقوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لما ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا إنما أن نسيئنا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا أصرا كماله على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واغفر لنا واغفر لهما أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفي أخذنا ان ناسينا أو أخطأنا قال لا تؤخذكم قوله ربنا ولا تحمل علينا أصرا قال لا تحمل عليكم قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال

من قرأ بهما في ليلة كفتاه * وهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم مسح على ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات * وأبو داود والترمذي عن نوفل قال قال لي رسول الله ﷺ اقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمها فانها براءة من الشرك أعادها الله من الشرك والنفاق * والترمذي من قال حين يأوي إلى فراشه استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم

لا أحملكم قوله واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين فقال قد سعت عتكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كان معاذ ﷺ إذا ختم سورة البقرة قال آمين ﴿من قرأ بهما في ليلة كفتاه﴾ اختلف العلماء في معنى كفتاه فقيل من الآفات في ليلة وقيل كفتاه من قيام ليلة قال الثوري ويجوز أن يراد الأمران .

وأخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهي في السادسة واليا ينتهي ما يخرج من الأرض ويقبض منها واليا ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فأعطى رسول الله ﷺ ثلاث أعطى الصلوات الخمس وخواتم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمة شيئا المعجيات الذنوب العظام التي توجب مرتكبها النار وأصل الاقتحام الولوح وأخرج أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله ﷺ عنده جبريل عليه السلام إذ سمع نقيضا من فوقه فرج جبريل بصره إلى السماء فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا الملك نزل من السماء إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما ولم يؤت نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لم يقرأ بحرف منهما إلا أعطيه وعن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال الله كتب لنا كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بالفي عام أنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليل يفر بهما شيطان أخرجه الترمذي وقال حديث غريب .

﴿وهما﴾ أي أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ﴿كان رسول الله ﷺ إذا أوى﴾ بالقصر كما في العزيزي وإن كان يستعمل ممدودا أيضا قال تعالى سآوى إلى جبل فأووا إلى الكهف ﴿إلى فراشه﴾ أي دخل فيه ﴿كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما﴾ قال أهل اللغة النفث نفخ لطيف بلا ريق ﴿فقرأ﴾ فيهما ﴿قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم مسح﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿ما استطاع من جسده﴾ الشريف ﴿يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده﴾ قال ابن علان هذا بيان للأفضل من المسح المستطاع فيبدأ بأعلى بدنه فيمسح بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده قال في الحرز فهو كهيئة الفسل المسنون على الوجه الأصح انتهى أي بالنسبة إلى تقديم المقبل من البدن على المدبر منه والآن الجانب اليمنى والشمال يمسح عليهما معا بخلافه في الفسل فيقدم اليمن والمراد غسل الميت أما غسل الحي فيغسل الجانب الأيمن المقبل والمدبر معا ثم الأيسر كذلك ﴿يفعل﴾ ﷺ ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿ثلاث مرات﴾

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود والترمذي عن نوفل﴾ بن فروة الأشجعي ﷺ ﴿قال قال لي رسول الله ﷺ اقرأ﴾ أي ندبا ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ أي سورة التي أولها ذلك ﴿ثم نم على خاتمها﴾ أي اجعلها آخر كلامك بأن لم تتكلم بعدها ﴿فانها﴾ أي السورة المذكورة ﴿براءة من الشرك﴾ أي متضمنة للبراءة من الشرك وهو عبادة الأوثان قال العلامة الحنفى فاذا مات حينئذ مات مسلما خلاصا من أنواع الكفر انتهى ومن خواص هذه السورة كما قال بعضهم أن من قرأها يوم الأحد عند طلوع الشمس عشر مرات وسأل الله حاجته قضيت بإذن الله وسبب هذا الحديث عن نوفل قال قلت يا رسول الله علمني شيئا أقوله عند منامي فذكره وعن جبلة بن حارثة مثله .

وأُتوب إليه ثلاث مرات غفر الله تعالى ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر وإن كانت عدد النجوم وإن كانت عدد رمل عالم وإن كانت عدد أيام الدنيا * وابن حبان والسنن من قال حين يأوي إلى فراشه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر * والشيخان عن علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال له ولقائمة رضي الله عنهما إذا أوتيا إلى فراشكما فسيبحا ثلاثا وثلاثين واحدا ثلاثا وثلاثين

قال المصنف داعيا لربه ﴿ أعادنا الله من الشرك والنفاق ﴾ وأخرج ﴿ الترمذي ﴾ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ﴿ من قال حين يأوي إلى فراشه أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي ﴾ أي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء ﴿ القيوم ﴾ أي الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ﴿ وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله تعالى ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر وإن كانت عدد النجوم وإن كانت عدد رمل عالم ﴾ قال الفيومي ورمل عالم جبل مواصلة يتصل أعلاها بالدناء والدناء يقرب اليمامة وأسفلها بنجد ويتسع اتساعا كثيرا حتى قاله البخاري رمل عالم يحيط بأكثر أرض العرب ﴿ وإن كانت عدد أيام الدنيا ﴾

* تنبيه * معنى قوله لا إله إلا هو تقي الهيئة عن كل ما سواه وإثباتها له سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم إلا زيد فإنه أبلغ من قولك زيد كريم والحي في صفة الله تعالى هو الذي لم يزل موجودا وبالحياة موضوعا لم يحدث له الحياة بعد موت ولا يعثره الموت بعد حياة وسائر الحياء سواء يعثرهم الموت والغدم فكل شيء هالك إلا وجهه ومعنى القيوم قاله بجاهد القائم على كل شيء وتأويله أنه تعالى قائم بتدبير خلقه في إيجادهم وازدحامهم وجميع ما يحتاجون إليه وقيل هو القائم الدائم بلا زوال الموجود الذي يمنع عليه التغيير وقيل هو القائم على كل نفس بما كسبت والقيوم فيقول من القيام وهو نعت للقائم على الشيء *

﴿ وأخرج ﴾ ابن حبان والسنن من قال حين يأوي إلى فراشه لا إله إلا الله ﴿ لا معبود بحق موجود ﴾ ﴿ إلا الله ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ وحده ﴾ بالنصب ﴿ لا شريك له ﴾ في محل نصب حالان من لفظ الجلالة تأويل وحده منفردا والثاني تأكيد أن عظم في كليهما أو تافيس أن خصص وحده بالذات ولا شريك له بالأفعال والصفات ﴿ له الملك وله الحمد ﴾ أي الشاء بالجميل ﴿ وهو على كل شيء قدير ولا حول ﴾ لنا تحول به عن المعصية موجود ﴿ ولا قوة ﴾ لنا فتقوى بها على الطاعات موجودة ﴿ إلا ﴾ وهذا ﴿ بالله ﴾ أي بأعوانه سبحانه ﴿ العلي ﴾ الأعلى أي البالغ في العلو إذا لا رتبة إلا وهي منخطة عن رتبته أو الذي علا عن أن تدرك الخلق ذاته أو تصور صفاته بالكه والحقيقة فهو المرتفع ﴿ العظيم ﴾ في ذاته على كل من سواه فليس لظنمه بداية ولا لكه جلاله نهاية وليست بتعظيم الأغيار رجل قدره عن الحد والمقدار وأظهر معاني العظمة القوة والقدرة فيه إشارة لجنوع صفاته النفسية والمعنوية والقدسية وخط التبد منه قوله ﷺ من تعلم وعلم فذلك يدعى في ملكوت السماء عظيما وإن يستحق نفسه وبذلها بالاقبال والالتقاد لأمره تعالى واجتناب نهييه وقد ذكرنا فضيلة الخوفاة في شرحنا على منهاج العابدين فاطلب فإنه مهم ﴿ سبحانه الله والحمد لله ﴾ وهاتان الكلمتان تملآن لجزان ثوابا كما ورد في الخبر ﴿ ولا إله إلا الله والله أكبر غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ﴾ في الكثرة وروى عليك سبحانه الله ولا إله إلا الله والله أكبر فانهن يحططن الخطايا كما تحط الشجر ورقها أخرجه ابن ماجه قال الحنفى ومثل ذلك الأذكار التي لكثير ذنوب المجلس مثل سبحانه اللهم ومحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

﴿ وأخرج ﴾ الشيخان عن علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال له ولقائمة ﴿ بشه عليه الصلاة والسلام وزوجه علي ﴾ رضي الله عنهما إذا أوتيا إلى فراشكما فسيبحا ثلاثا وثلاثين ﴿ تسبيحة ﴾ واحدا ثلاثا وثلاثين ﴿ تحميدة ﴾

وكبرا أربعاً وثلاثين قال علي عليه السلام ما تركته منذ سمعته منه صلى الله عليه وسلم قيل له إلا ليلة صنفين قال ولا ليلة صنفين والبخاري كان صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه قال باسمك اللهم أحيا وأموت باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أسكت نفسي فارحها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين * والشيخان إذا أتيت مضجعك قوضاً وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم إني أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك ورغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت اللهم فني عذابك يوم تبعث عبادك فإن من مضى على الفطرة وأجعلهن آخر ما تقول

﴿وكبرا أربعاً وثلاثين﴾ تكبيرة قلت لفظ هذا الحديث عن علي أن فاطمة رضى الله عنها أتت النبي ﷺ تسأله خادماً فقال ألا أخيرك ما هو خير منه تسبحين الله عند منامك ثلاثاً وثلاثين وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين وتكبرين الله أربعاً وثلاثين ثم قال سفيان أحداً من أربعاً وثلاثين فما تركها بعد قيل ولا ليلة صنفين قال لا ولا ليلة صنفين روى الشيخان وأبو داود والنسائي وفي رواية للبخاري أن فاطمة رضى الله عنها شكت ما تلقى في يدها من الرحى فأتى النبي ﷺ تسأله خادماً فلم تجده فذكرت ذلك لعائشة رضى الله عنها فلما جاء ﷺ أخبرته قال فجاؤنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت أقوم فقال مكانك فجلس يبتاحني وجدت برد قدميه على صدرى فقال ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم إذا أويتما إلى فراشكما أو أخذنا مضاجعكما فكبرا ثلاثاً وثلاثين وسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمداً ثلاثاً وثلاثين فهذا خير لكما من خادم وعن شعبة عن خالد عن أبي سيرين قال التسيح أربعاً وثلاثين وفي بعض طرق النسائي التحميد أربعاً وثلاثين زاد أبو داود في بعض طرقه قالت رضىت عن الله عز وجل وعن رسول الله ﷺ ﴿قال علي عليه السلام ما تركته﴾ أي الكلام المذكور ﴿منذ سمعته منه﴾ قيل له ﴿أي لعلي﴾ لا ليلة صنفين قال ﴿ولا ليلة صنفين﴾ قال الفيومي وصفين بكسر الصاد مثل الفاء موضع على الفرات من الجانب العربي بطرف الشام وكان هناك وقعة بين علي وبين معاوية وهو فعيل من الصف أو فعيل من الصفون فالنون أصلية على الثاني.

﴿و﴾ أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ قال ﴿كان ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال باسمك اللهم أحيا وأموت باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أسكت نفسي﴾ أي إن أمتها فاغفر لها ولفظ البخاري ﴿فارحها وإن أرسلتها﴾ أي أحياها ﴿فاحفظها﴾ أي صنها عن الوقوع فيما لا يرضيك ﴿بما تحفظ به عبادك الصالحين﴾ أخرج الشيخان ﴿عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ﴾ إذا أتيت مضجعك قوضاً وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم إني أسلمت نفسي إليك ﴿أي جعلت ذاتي طائعة لحكمك متقادة لأمرك﴾ وفوضت أمري إليك ﴿قال في النهاية﴾ أي رددته يقال فوضت إليه وجعله الحاكم فيه قال الحنفى قوله أمرى أي سائر أمورى الظاهرة والباطنة لأنه مفرد مضاف وهو قريب في المعنى بمقابلته ﴿وألجأت ظهري إليك﴾ أي بعد تفويض أمورى التي أنا مفقر إليها بها معاشي وعليها مدار أمرى أسندت ظهري إليك بما يضرني ويؤذي من الأسباب الداخلة والخارجة وخض الظهر لأن العادة جرت أن الإنسان يعتمد بظهوره إلى ما يستند إليه ﴿رغبة ورهبة إليك﴾ أي خوفاً منك ورغبة إليك ﴿لا ملجأ﴾ بالهمزة وقد ترك للأزدواج ﴿ولا منجأ﴾ هذا مقصور لا يمد ولا يهمل إلا بقصد المناسبة للأول أي لا مهرب ولا ملجأ ﴿منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت﴾ يعني القرآن أو كتاب سبق ﴿ونبيك الذي أرسلت﴾ قال المناوي يعني نفسه ﷺ أو المراد كل رسول أرسلت أو هو تعليم لأنه ﴿اللهم فني عذابك يوم تبعث عبادك فإن مضى﴾ من ليلاك ﴿ميت على الفطرة﴾ أي فطرة الإسلام ﴿وأجعلهن آخر ما تقول﴾ هذا لفظ إحدى روايات البخاري وباقي رواياته وروايات مسلم مقاربة لها وفي رواية لأبي داود قال

وابن السني من بات على طهارة ثم مات من ليلة مات شهيدا * وأخرج البخاري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ من النوم قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور * وابن السني ما من رجل ينتبه من نومه فيقول الحمد لله الذي خلق النوم واليقظة الحمد لله الذي بعثني سالما سويا أشهد أن لا إله إلا الله يحيي الموت وهو على كل شيء قدير إلا قال الله تعالى صدق عبيدي * وهو ما من عبد يقول عند رد الله تعالى روحه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير إلا غفر الله تعالى ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر * وأحمد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام إلا والسواك عند رأسه فإذا استيقظ بدأ بالسواك *

لي رسول الله ﷺ إذا أويت إلى فراشك وأنت طاهر فتوسد يمينك ثم ذكر نحوه وفي رواية للنسائي كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه توسد يمينه ثم قال بسم الله فذكره بمعناه .

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن السني﴾ عن أنس بن مالك ﴿من بات﴾ أي نام ﴿على طهارة﴾ من الحدثين والخبث ﴿ثم مات من ليلة﴾ أي فيها ﴿مات شهيدا﴾ أي يكون من شهداء الآخرة بمعنى أن له ثوابا يخصه فينبغي للشخص أن لا ينام الا مطهرا لينال هذا الثواب الجزيل ﴿وأخرج البخاري﴾ في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قالا ﴿كان رسول الله ﷺ﴾ إذا أوى إلى فراشه قال باسمك اللهم أحيا وأموت و ﴿إذا استيقظ﴾ أي ﴿من النوم﴾ قال الحمد لله الذي أحيانا ﴿أي أيقظنا﴾ بعد ما أماتنا ﴿إليه النشور﴾ من القبور للجزاء وأخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انخلت عقدة فان توضأ انخلت عقدة فان ضلى انخلت عقدة كلها فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان هذا لفظ رواية البخاري ورواية مسلم بمعناه وقافية الرأس آخره .

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن السني﴾ عن أبي هريرة ؓ قال قال رسول الله ﷺ ﴿ما من رجل ينتبه من نومه فيقول الحمد لله الذي خلق النوم واليقظة الحمد لله الذي بعثني سالما سويا﴾ أي تام الخلقة ﴿أشهد أن لا إله إلا الله يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ إلا قال الله تعالى صدق عبيدي وهو ﴿أي وأخرج ابن السني عن عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال﴾ ﴿ما من عبد يقول عند رد الله تعالى روحه﴾ يعني عند استيقاظه من نومه ﴿لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير﴾ إلا غفر الله تعالى ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ﴿وأخرج أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا هب من الليل كبر عشرا وحمد عشرا وقال سبحان الله وبحمده عشرا وقال سبحان القدوس عشرا واستغفر عشرا وهلل عشرا ثم قال اللهم اني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة عشرا ثم يفتح الصلاة وقولها هب أي استيقظ وأخرج أيضا عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال لا إله إلا أنت سبحانك اللهم استغفر لك ذنبي وأسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تنزع قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة أنت الوهاب .

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد﴾ ومحمد بن نصر عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿كان رسول الله ﷺ لا ينام الا والسواك عند رأسه﴾ ليسهل تناوله ﴿فإذا استيقظ بدأ بالسواك﴾ عقب استيقاظه لشدة حرصه وأخرج ابن عساکر عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ لا ينام حتى يسق أي يدلك لاسنانه بالسواك .

﴿باب ما يقال في بعض الأحوال﴾

﴿و﴾ أخرج ﴿مسلم﴾ عن عمر ﴿رضي الله عنه﴾ ﴿من نام﴾ يعني غفل ﴿عن حزنه﴾ بكسرة الحاء ما يظنه المرء على نفسه من قراءة أو صلاة من الليل ﴿أو عن شيء منه﴾ أي عن بعض من حزنه ﴿فقرأ ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر﴾ كسب له كأنما قرأه من الليل ﴿يعني من فات حزنه أو بعض منه عن الوقت الذي كان يفعله فيه ففعله في وقت آخر﴾ كسب له من الأجر مثله ما لم يفت لأن تعيين ذلك الوقت بما وظفه لم يكن بتعين الشرع حتى يكون قضاء بتقويته وإنما كان باعتبار فعله فيه وجميع الأوقات بالنسبة إليه سواء فعلى هذا تخصيص الليل بالذكر لأن حزب العابدين يوجد فيه غالبا وأما تخصيص ما بين الفجر والظهر فلأنه وقت متسع قال بعض المحققين لأنه كان من جملة الليل ولهذا يصح نية الصوم فيه أقول صحة النية فيه على الإطلاق ممنوعة بل إنما يصح إذا وجدت نصف اليوم وهو الضحوة الكبرى لمصادفة أكثر اليوم النية لأنه كانت من جملة الليل فإن قلت كاف التشبيه في كأنما يقتضي أن يكون الأجر فيه انقص وليس كذلك قلت هذا من باب التشابه لا التشبيه لأن تعيين ذلك الوقت لم يكن بتعين الشرع حتى يكون التقويت متقضا بوقوعه قضاء ولو كان التعيين بطريق النذر يكون تشبيها كذا في شرح المشارق .

﴿باب ما يقال﴾ من الأذكار والدعوات

﴿ففي بعض الأحوال﴾ من لبس الثوب والخروج من البيت ودخول المسجد والحلاء وغير ذلك.

أخرج ابن السني عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان إذا لبس ثوبا قميصا أو رداء أو عمامة يقول اللهم اني أسألك من خيره وخير ما هو له وأعوذ بك من شره وشر ما هو له ﴿ أخرج ابن السني ﴾ أيضا عن معاذ بن أنس ﷺ ﴿ من لبس ثوبا ﴾ والظاهر ولو لبس غير جديد بدليل هذا أفاده الزبيدي ﴿ فقال الحمد لله الذي كساني هذا ﴾ الثوب ﴿ ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ﴾ غفر الله له ما تقدم من ذنبه ﴿ وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه قال الترمذي حديث حسن صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال بسم الله توكلت على الله اللهم اني أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي هكذا في رواية أبي داود أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل وكذا الباقي بلفظ التوحيد وفي رواية الترمذي أعوذ بك من أن ندل وكذلك نضل ونظلم ونجهل بلفظ الجمع وفي رواية أبي داود ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي إلا رفع طرفه إلى السماء فقال اللهم اني أعوذ بك وفي رواية غيره كان إذا خرج من بيته كما ذكرناه .

وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي وغيره عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قال يعني إذا خرج من بيته باسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقال له كليت ووقيت وهديت وتنحى عنك الشيطان قال الترمذي حديث حسن زاد أبو داود في روايته فيقول يعني الشيطان لشيطان آخر كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى ﴿وهو﴾ أي وأخرج ابن السني ﴿والحاكم﴾ وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ ﴿كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته قال باسم الله التكلان﴾ بالضم أي الاعتماد ﴿على الله لا حول ولا قوة الا بالله﴾ أي لا حيلة ولا قوة الا بيسيره ومشيته .

والشيخان كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث * وأبنا ماجه والسني كان إذا خرج من الخلاء قال الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني * والترمذي كان إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي واقف لي أبواب رحمتك وإذا خرج صلى على محمد وسلم وقال رب اغفر لي ذنوبي واقف لي أبواب فضلك *

﴿و﴾ أخرج ﴿الشيخان﴾ عن أنس ؓ ﴿كان﴾ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ إذا دخل ﴿أي إذا أراد الدخول﴾ الخلاء وهو المكان الذي لا شيء فيه مثل القضاء والمراد مكان قضاء الحاجة ﴿قال اللهم اني أعوذ بك﴾ معنى أعوذ أستجير وأعتصم وأصله أعوذ بوزن أنصر فنقلت حركة الواو الى العين تخفيفاً ومصدراً رعوذ وعياد ومعاذ قال العسقلاني في فتح الباري وكان ؓ يستعيد اظهاراً للعبودية ويجهز بها للتعليم وقد روى المعمرى هذا الحديث بسنده على شرط مسلم بلفظ الأمر قال إذا دخلت الخلاء فقولوا بسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث قلت وأخرج الترمذي في الغلل سبب هذا التعوذ عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال إن هذه الحشوش مختصرة فإذا دخل أحدكم الخلاء فليقل اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث قال في شرح العمدة ومعلوم أن هذه الاستعاذة منه تواضع وتعليم لأمنه كما تقرر والإفهام محفوظ من الجن والإنس كما يدل عليه خبر إلا أن الله أعافاني عليه فأسلم وربطه عقرناً في سارية من سواري المسجد وفيه دليل على مراقبته لربه وحافظته على أوقاته وحالاته واستعاذته عند ما ينبغي أن استعاذ منه ونطقه بما ينبغي أن يتطق به وسكوته عند ما ينبغي السكوت عنده انتهى ﴿من الخبث والخبائث﴾ يقال الخبث بضم الباء وسكوته ولا يصح قول من أنكر الاسكن وأما الخاء فمضمومة بلا خلاف وهو جمع حيث كما ذكره الخطابي وغيره قال البيهقي في المطالع وهو مشكل من جهة أن فعلاً إذا كان وصفاً فلا يجتمع على فعل نحو كرم وبخل انتهى ويمكن أن يدعى أن حيث اسم لذكران الشياطين لا وصف لهم كزغيف وإن ما ذكروه من منع ذلك هو القياس الأكثر وهذه لغة قليلة كما نبه على مثله النووي في شرح مسلم في قول أنس لما سئل عن الأكل قائماً فقال أحبب وأشر قاله ابن علان . وأخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : سترى ما بين عين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكثيف أن يقول باسم الله قال الترمذي أسناده ليس بالقوي لكن الفضائل يحل فيها بالضعف . وأخرج ابن السني عن الحسن وابن عدي وبريدة كان ﷺ إذا دخل الغائط قال : اللهم اني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم . وأخرج ابن السني عن عائشة كان إذا دخل الخلاء قال : اللهم اني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم وإذا خرج قال الحمد لله الذي إذا قنى لذته وأبقى في قوته أذاه .

﴿و﴾ أخرج ﴿أبنا ماجه والسني﴾ عن أنس والنسائي عن أبي ذر ﴿كان إذا خرج من الخلاء﴾ قال الحفنى سمي بذلك من تشبيه الخل باسم شيطان يسكنه ، وقيل لأنه حال عن الناس في غالب الأوقات في غير وقت قضاء الحاجة ومثل الخلاء أي محل البيان لقضاء الحاجة الصحراء إذا أراد قضاء الحاجة فيها ﴿قال﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿الحمد لله الذي أذهب عني الأذى﴾ بإخراج الفضلة ﴿وعافاني﴾ من احتباس ما يؤذي ويضعف الجسد . وأخرج أحمد والأربعة وابن حبان والحاكم عن عائشة بأسانيد صحيحة كان إذا خرج من الغائط قال غفرانك . وأخرج ابن السني عن أنس كان إذا خرج من الغائط قال : الحمد لله الذي أحسن إلى أوله وآخره أي تنازل الغداء أولاً وأخيراً ليدن بما صلح منه ثم بإخراج الفضلة ثانياً .

﴿و﴾ أخرج ﴿الترمذي﴾ عن فاطمة الزهراء ؓ ﴿كان﴾ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال : رب اغفر لي ذنوبي واقف لي أبواب رحمتك وإذا خرج من المسجد صلى على محمد وسلم وقال : رب اغفر لي ذنوبي واقف لي أبواب فضلك *

وأبو داود والترمذي من أكل الطعام وقال الحمد لله الذي أطعني هذا ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه *

طلب المغفرة تشريفاً لأمته ، قال الحنفى : قوله أبواب رحمتك قال ذلك ههنا لأن المسجد محل الرحمة والعبادة بخلاف الخروج فقال أبواب فضلك لأنه محل طلب الرزق غالباً . وأخرج أبو داود عن ابن عمرو بن العاص كان إذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال : إذا قال ابن آدم ذلك حفظ منه سائر اليوم . وأخرج أحمد وابن ماجه والطبرانى عن فاطمة الزهراء كان إذا دخل المسجد يقول باسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لى ذنوبى واقطع لى أبواب رحمتك . وإذا خرج قال : باسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لى ذنوبى واقطع لى أبواب فضلك . وأخرج ابن السنن عن أنس بإسناد حسن كان إذا دخل المسجد قال باسم الله اللهم صل على محمد وأزواج محمد . وأخرج ابن السنن عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال ان أحدكم إذا أراد أن يخرج من المسجد تداعت جنود ابليس واجلبت واجتمعت كما تجتمع النحل على ينسوها فإذا قام أحدكم على باب المسجد فليقل : اللهم انى أعوذ بك من ابليس وجنوده فإنه إذا قالها لم يضره اليسوب . ذكر النحل وقيل أميرها .

﴿ وأخرج ﴾ أبو داود والترمذي ﴿ وابن ماجه عن معاذ بن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ من أكل الطعام وقال : الحمد لله الذي أطعنى هذا الطعام ﴾ ورزقني من غير حول ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ﴾ قال الترمذي حديث حسن . وأخرج البخارى عن أبى أمامة رضى الله عنه ان النبى ﷺ كان إذا رفع مائدة قال : الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا . وفى رواية كان إذا فرغ من طعامه وقال مرة إذا رفع مائدة قال الحمد لله الذى كفانا وأروانا غير مكفى ولا مكفور بفتح الميم وتشديد الياء هذه الرواية الصحيحة الفصيحة ورواه أكثر الرواة بالهمز وهو فاسد من حيث العربية سواء كان من الكفاية أو من كفائت الاناء كما يقال فى متروء من القراءة مقرئ ولا فى مرمى مرمى بالهمز قال صاحب مطالع الانوار فى تفسير هذا الحديث المراد بهذا المذكور كله الطعام واليه يعود الضمير . قال الحربى : فالمكفى الاناء المقلوب للاستغناء عنه كما قال غير مستغنى عنه أو لعدمه ، وقوله غير مكفور أى غير مجحود نعم الله سبحانه وتعالى فيه بل مشكورة غير مستور الاعتراف بها والحمد عليها ، وذهب الخطابى الى أن المراد بهذا الدعاء كله البارئ سبحانه وتعالى وإن الضمير يعود اليه وإن معنى قوله غير مكفى انه يطعم ولا يطعام كان على هذا من الكفاية وإلى هذا ذهب غيره فى تفسير هذا الحديث أى ان الله مستغنى عن معين وظهير قال وقوله لا مودع أى غير متروك الطلب منه والرغبة اليه وهو معنى المستغنى عنه وينصب ربنا على هذا بالاختصاص أو المدح أو بالنداء كأنه قال : يا ربنا اسمع حمدنا ودعاءنا ، ومن رفعه قطعه وجعله خبراً وكذا قیده الاضلى كأنه قال ذلك ربنا أو أنت ربنا ويصح فيه الكسر على البدل من الاسم فى قول الحمد لله وذكر أبو السعادات بن الاشير فى نهاية الغريب نحو هذا الخلاف ومختصراً ، ومن رفع ربنا فعلى الابتداء المؤخر أى ربنا غير مكفى ولا مودع وعلى هذا يرفع غير قال : ويجوز أن يكون الكلام راجعاً الى الحمد كأنه قال حمداً كثيراً غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عن هذا الحمد وقال فى قوله ولا مودع أى غير متروك الطاعة وقيل هو من الوداع واليه يرجع . وأخرج مسلم عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها . وأخرج أبو داود والترمذي عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال : الحمد لله الذى أطعنا وسقانا وجعلنا مسلمين . وأخرج أبو داود والنسائى بالإسناد الصحيح عن أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى رضى الله عنه قال : كان ﷺ إذا أكل أو شرب قال الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجاً . وأخرج والنسائى وابن السنن بإسناد حسن عن عبد الرحمن بن جبير التابعى أنه حدثه

والترمذي والحاكم من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ورفع بها صوته كب الله له ألف ألف حسنة ومحامته ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة * والترمذي من جلس في مجلس وكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك * غفر الله لنا ما تقدم وما تأخر من كبائر ذنوبنا وسيئات أعمالنا

رجل خدم النبي ﷺ ثمانين سنين أنه كان يسمع النبي ﷺ إذا قرب إليه طعاما يقول: بسم الله فإذا فرغ من طعامه قال اللهم أطعمت وسقيت وأغيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت . وأخرج ابن السنن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يقول في الطعام إذا فرغ الحمد لله الذي من علينا وهدانا والذي أشبعنا وأروانا وكل الأحسان أانا . وأخرج أبو داود والترمذي وابن السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ إذا أحدكم طعاما وفي رواية ابن السنن من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ومن سقاه الله تعالى لنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإنه ليس شيء يجزئ من الطعام والشراب غير اللبن قال الترمذي حديث حسن . وأخرج ابن السنن بإسناد ضعيف عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا شرب في الإناء تنفس ثلاثة أنفاس بحمد الله تعالى في كل نفس ويشكره في آخره .

﴿و﴾ أخرج ﴿الترمذي والحاكم﴾ عن عمرو بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿من دخل السوق﴾ أي أراد دخولها ﴿فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ورفع بها﴾ أي بهذه الكلمات ﴿صوته﴾ وفي رواية بحذف هذا اللفظ ﴿كب الله له ألف ألف حسنة ومحامته ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة﴾ ورواه الحاكم وأبو عبد الله في المستدرک على الصحيحين من طرق كثيرة وزاد فيه من بعض طرقه وبني له بيتا في الجنة وفيه من زيادة قال محمد بن واسع في أحد روايته قدمت خراسان فأتيت قتيبة بن مسلم فقلت أتيك بهدية فحدثته بالحديث فكان قتيبة بن مسلم يركب في مركبة حتى يأتي السوق فيقولها ثم يتصرف ورواه الحاكم أيضا من رواية ابن عمر عن النبي ﷺ قال الحاكم وفي الباب عن جابر وأبي هريرة وبريدة الأسلمي وأنس قال وأقر بها من شرائط هذا الكتاب حديث بريرة بغير هذا اللفظ فرواه بإسناده عن بريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق قال: بسم الله اللهم اني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة .

﴿و﴾ أخرج ﴿الترمذي﴾ وغيره عن أبي هريرة ؓ قال قال رسول الله ﷺ ﴿من جلس في مجلس وكثر فيه لفظ﴾ أي اختلاط أصواته ﴿فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك﴾ أي الذي كثر فيه اللفظ ﴿سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك﴾ قال الترمذي حديث حسن صحيح ﴿غفر الله لنا ما تقدم وما تأخر من كبائر ذنوبنا وسيئات أعمالنا﴾ آمين يا رب العالمين .

وأخرج أبو داود وغيره عن أبي هريرة ؓ قال كان رسول الله ﷺ يقول آخره إذا أراد أن يقوم من المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك قل رجل يا رسول الله انك تقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى قال ذلك كفارة لما يكون في المجلس ورواه الحاكم في المستدرک من رواية عائشة رضي الله عنها وقال صحيح الإسناد قوله آخره بهزة مقصورة ويفتح الحاء ومعناه في آخر الأمر . وأخرج أبي نعيم في الحلية عن علي ؓ قال من أحب أن يكمل في الدنيا لا يكمل في الآخرة فليقل في آخر مجلسه أو حين يقوم سبحان

﴿تنبهات﴾ أحدها أنه يسن الأذكار الواردة أول النهار وآخره وعند النوم واليقظة فينبغي لمريد الخير الاعتناء بحفظها ومواظبتها وقد استوفاهما الجلال السيوطي في وظائف اليوم والليلة * وثانيها أن الاشتغال بالذكر الخاص بوقت أو محل بأن ورد الشرع به فيه ولو من طريق ضعيف أفضل من تلاوة القرآن لتخصيص الشارع عليه والذكر الخاص الوارد عن بعض الصحابة كالوارد عنه صلى عليه وسلم * وثالثها أنه ينبغي للذاكر والداعي أن يتدبر ما يذكر ويدعوه ويتأمل معناه قال الأسنوي وغيره من أتى بذكر أو دعاء مأثور غافلا عن معناه المعلوم له لولا الغفلة لا يثاب عليه وقال شيخنا ابن حجر تقدمه الله برحمته في العامي الذي لم يفهم المعنى يحتمل أنه يثاب .

ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

* ثمة * يكره القيام من المجلس قبل أن يذكر الله تعالى قال النووي رحمه الله تعالى رويناه بالأسناد الصحيح في سنن أبي داود وغيره عن أبي بصير قال قال رسول الله ﷺ ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكر الله تعالى فيه الا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة وروينا فيه عن أبي هريرة أيضا عن رسول الله ﷺ من قعد مقعدا لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة . قالت ترة بكسر التاء وتخفيف الراء ومعناه نقص وقيل تبعة ويجوز أن يكون حسرة كما في رواية الأخرى وروينا في كتاب الترمذي عن أبي هريرة أيضا عن النبي ﷺ قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكر الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيهم فيه الا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم قال الترمذي حديث حسن .

﴿تنبهات﴾ ثلاثة ﴿أحدها أنه﴾ أي الشأن ﴿يسن الأذكار الواردة أول النهار وآخره وعند النوم واليقظة فينبغي لمريد الخير الاعتناء﴾ والاعتناء ﴿بحفظها ومواظبتها وقد استوفاهما﴾ أي ذكرها مستوفى ﴿الجلال السيوطي﴾ رحمه الله تعالى ﴿في﴾ كتاب ﴿وظائف اليوم والليلة وثانيها﴾ أي التنبهات ﴿أن الاشتغال بالذكر الخاص بوقت أو محل بأن ورد الشرع به﴾ أي بالذكر ﴿فيه﴾ أي في ذلك الوقت أو المحل ﴿ولو من طريق ضعيف أفضل من تلاوة القرآن لتخصيص الشارع عليه والذكر الخاص﴾ بوقت أو محل ﴿الوارد عن بعض الصحابة﴾ رضوان الله عليهم ﴿كالوارد عنه﴾ وثالثها ﴿أي التنبهات﴾ أنه ﴿أي الشأن﴾ ينبغي للذاكر والداعي أن يتدبر كل منهما ﴿ما يذكر ويدعوه ويتأمل معناه قال الأسنوي وغيره من أتى بذكر أو دعاء مأثور﴾ أي منقول عن النبي ﷺ ﴿غافلا عن معناه المعلوم له لولا الغفلة لا يثاب عليه﴾ وقال شيخنا العلامة ابن حجر تقدمه الله ﴿أي غمره وعمه لأن التغمد في الأصل ادخال السيف في الغمد والمراد منه لازمه وهو التعميم﴾ برحمته ﴿وإحسانه﴾ في العامي الذي لم يفهم المعنى يحتمل أنه يثاب ﴿على ما ذكره أو دعاه﴾ .

* خاتمة * نسأل الله حسننا . اعلم أن المذهب المختار الذي عليه الفقهاء والمحدثون وجهاء العلماء من الطوائف كلها من الخلف والسلف أن الدعاء يستحب قال الله تعالى قال ربكم ادعوني أستجب لكم وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية والآيات في ذلك كثيرة واما الأحاديث الصحيحة فهي أشهر من أن تشهر وأظهر من أن تذكر وفي رسالة القسيري قال رحمه الله تعالى اختلف الناس في أن الأفضل الدعاء أم السكوت والرضا فمنهم من قال الدعاء عبادة لحديث الدعاء هو العبادة ولأن الدعاء اظهار الافتقار الى الله تعالى وقالت طائفة السكوت والجمود تحت جريان الحكم أم والرضا بما سبق به القدر أولى وقال قوم يكون صاحب دعاء بلسانه ورضا بقلبه يأتي بالأمرين جميعا قال القسيري والأولى أن يقال الأوقات تختلف ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب وفي بعضها السكوت أفضل من الدعاء الأدب وانما يعرف ذلك بالوقت اذا وجد في قلبه إشارة الى الدعاء فالدعاء أولى به واذا وجد إشارة

الى السكوت فالتسكوت اتم قال ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه حق فالدعاء أولى وما كان لنفسه فيه حظ فالتسكوت اتم قال ومن شرائط الدعاء أن يكون مطعمه حلالا فلقد قال ﷺ لسعد أطب كتبك تستجاب دعواتك وقد قيل الدعاء مفتاح الحاجة وأستانها التمر الحلال وكان يحيى بن معاذ يقول الهى كيف أدعوك وأنا غاص وكيف لأدعوك وأنت كريم ومن آدابه حضور القلب وأن لا يكون ساهيا فقد روى عن النبي ﷺ قال أن الله لا يستجيب دعاء عبد من قلب لاه وقال بعضهم المراد بالدعاء اظهار الفاقة فالحق سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء .

وقال الامام أبو حامد الغزالي وغيره آداب الدعاء عشرة الآداب الاول أن يترصد الأزمان الشريفة كيوم عرفة وشهر رمضان ويوم الجمعة والثلاث الآخر من الليل ووقت الأسحار قال تعالى وبالأسحار هم يستغفرون فقال ﷺ ينزل الله تعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ويقول عز وجل من يدعوني فاستجب له من سألنى فأعطيته من يستغفرنى فأغفر له رواه مالك والشيخان وغيرهم من حديث أبى هريرة وقيل أن يعقوب عليه الصلاة والسلام إنما قال لبيته سوف أستغفر لكم ربى ليدعولهم فى وقت السحر فقيل أنه قام فى وقت السحر ويدعوا وقام أولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله عز وجل اليه انى قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء بعده قال البيضاوى وهذا أن صح فدل على نبوتهم وأن ماصد رعتهم كان قبل استنباتهم ومن الأوقات الشريفة من السنن أيضا أيام الشريفة ومن الشهور العاشر من المحرم وأول يوم منه وآخر يوم من ذى الحجة ومن الأيام يوم الاثنين وعند زوال الشمس ومن الليالى بين العشاين وجوف الليل فقد وردت فى كل ذلك آثار عن السلف .

الآداب الثانى أن يقتنم الأحوال الشريفة كحالة السجود والتقاء الجيوش ونزول الغيث واقامة الصلاة وبعد ما وجالة رقة القلب .
الآداب الثالث استقبال القبلة فقد ورد أكرم المجالس ما استقبل به القبلة روى عن جابر بن عبد الله الأنصارى أن رسول الله ﷺ أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يدع حتى غرابة الشمس رواه مسلم وغيره ورفع اليدى بحيث يرى يابض ابطيه قال سلمان الفارسى قال رسول الله ﷺ أن ربكم حتى كريم يستحي من عبده اذا رفع يده اليه أن يراه صغرا رواه أبو داود وغيره وقال أبو الدرداء ﷺ ارفعوا هذه الأيدي بالدعاء قبل أن تغل بالاغلال رواه الفريابي فى الذكر وما يتعلق برفع الأيدي ما روى علي ﷺ مرفوعا قال رفع الأيدي من الاستكانة التي قال الله تعالى فما استكنوا لربهم وما يضرعون رواه الحاكم فى المستدرک وقد ذم الله قوما لا يسطون أيديهم فقال ويقبضون أيديهم وجاء فى التفسير لا يرفعونها لينا قال الزركشى فى كتاب الأزهية وأما ما ذكره السهلى فى الروض عن ابن عمر انه رأى قوما يرفعون أيديهم فى الدعاء فقال أو قد رفعوها قطعها الله والله لو كانوا بأعلى شامق ما ازدادوا بذلك من الله قربا فقال الحافظ شمس الدين الذهبى الصحيح عن ابن عمر خلاف هذا قال يحيى بن سعيد الأنصارى عن القاسم قال رأيت ابن عمر رافعا يديه الى منكبيه يدعو عند القاص واسناده كالشمس انتهى

فان قيل اذا كان الحق سبحانه ليس فى جهة ففما معنى رفع الأيدي بالدعاء نحو السماء فالجواب من وجهين ذكرهما الطرطوس أحدهما أنه محل تعبد كاستقبال القبلة فى الصلاة والصاق الجبهة بالأرض فى السجود مع تنزهه تعالى عن محل الميت ومحل السجود فكان السماء قبلة الدعاء وثانيها أنها لما كانت مهبط الرزق والوحي وموضع الرحمة والبركة على أن معنى المطر ينزل منها الى الأرض فيخرج نبات وهى مسكن الملاء الأعلى فاذا قضى الله أمر القاء اليهم فلقونه الى اهل الأرض وكذلك الأعمال ترفع وفيها غير واحد من الأنبياء وفيها الجنة التي هى غاية الامانى فلما كانت معدا لهذه الأمور العظام ومعرفه الفضله والقدر انصرفوا اليها وتوفرت الله والمعنى

عليها قال ولقد أجاب القاضي ابن قريعة لما صلى ذات ليلة في دار الوزير المهلبى وأبو اسحق الصابى يرمقه فأحسن به القاضي فلما سلم قال له مالك ترمقنى يا أخا الصائبة أحببت الى الشريعة الصافية قال بل اخذت عليك شيا قال ما هو قال رايتك ترفع يديك نحو السماء وتخفض بجهتك على الأرض فمطلوبك ابن هو فقال اننا نرفع ايدينا الى مطالع أرزاقنا ونخفض جباهنا على مصارع اجسادنا نستدعى بالأول أرزاقنا ونستدفع بالثانى شر مصارعنا الم تسمع قوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون وقال منها خلقناكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فقال المهلبى ما ظن ان الله خلق فى عصره مثلك انتهى .

فان قلت هل يجوز رفع اليد النجسة فى الدعاء خارج الصلاة قلت قال الرويانى فى البحر فى باب امامة المرأة يحتمل ان يقال يكره من غير حائل ولا يكره مع الحائل كتحريم مسح المصحف يده النجسة وهو على طهارة فتزول لكونها بحائل واذا جاز هذا فيما طريقه التحريم جاز ايضا فيما طريقه الكراهة فى الموضعين لأن المقصود رفع اليد دون الحائل والتعبد بهذا ورد ويخالف من المصحف لأن اليد فيه فى حرمة التعبد كالحائل ولا يجيء القول بالتحريم انتهى .

ولا يستثنى من مسئلة رفع اليدين فى الدعاء خارج الصلاة الا مسئلة واحدة وهى الدعاء فى الخطبة على المنبر فانه يكره للخطيب رفع اليدين فيه ذكره البيهقي فى باب صلاة الجمعة واحتج بحديث مسلم صريح فى ذلك .

ثم ينبغي للداعى أن يمسح يديه وجهه فى آخر الدعاء قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه فى الدعاء لم يرد هما حتى يمسح بهما وجهه رواه الترمذى وقال غريب وروى الحاكم عن ابن عباس مرفوعا اذا سألتم الله فاسألوه ببطون اكفكم ولا تسألوه بظهورهما وامسحوا بهما وجوهكم ويستثنى من ذلك ما يشتد فيه الأمر فى صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم لما استسقى أشار بظهور كفيه الى السماء وهو المراد بالرهب فى قوله تعالى يدعوننا رغبا ورهبا قالوا الرهب بسط الأيدي وظهورهما الى الارض والرغب بسطهما وظهورهما الى السماء واستحب الخطابى كشفهما غير ساتر بثوب أو غطاء .

وجاز رفع البصر الى السماء عند الدعاء وأما النهى الوارد فى حديث مسلم من حديث أبى هريرة فهو خاص فى الصلاة كما لا يخفى على انه ورد فى صحيح مسلم من حديث ابن عباس ما يدل على جواز رفع البصر الى السماء فى حال الدعاء وهو ما رواه عبد بن حميد عن أبى نعيم عن اسمعيل بن مسلم عن أبى المتوكل عنه انه بات فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم فقام من الليل ثم خرج فنظر فى السماء ثم تلا الى آخر الحديث وأخرجه البخارى كذلك قال النواوى فى الأذكار فى باب ما يقول اذا استيقظ من الليل وخرج من بيته يستحب له ان ينظر الى السماء ويقراء الآيات الخواتيم من سورة آل عمران ثبت فى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يفعله الا النظر الى السماء فهو فى صحيح البخارى دون مسلم قال الحافظ بل ثبت ذلك فى مسلم أيضا وروى الطبرانى من حديث أم سلمة رضى الله عنها قالت ما حرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيتى صباحا الا رفع بصره الى السماء وقال الحديث الى آخره .

والأدب الرابع خفض الصوت لما روى ان ابا موسى الأشعرى رضي الله عنه قال قد مناع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس الذين تدعون ليس أصم ولا غائب ان الذين تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم رواه أبو داود وغيره وقالت عائشة رضى الله عنها فى قوله عز وجل ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها أى بدعائك أخرجه الشيخان وقد أثنى الله عز وجل نبيه زكريا عليه الصلاة والسلام حيث قال اذ نادى ربه نداء خفيا وقال عز وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص .

الأدب الخامس أن لا يتكلف السجع وقد فسر به الاعتداء في الدعاء والاول أن يقتصر على الدعوات الماثورة من السنة والسلف الصالح فانه قد يعتدى في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء وقال بعضهم أديع بلسان الذلة والافتقار لبلسان الفصاحة والابتلاء ويقال أن العلماء والأبدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات ويشهد له ما ذكره الله سبحانه وتعالى في آخر سورة البقرة ربنا لا تؤخذنا إلى آخرها فانه لم يخبر في موضع من أدعية عباد الله بأكثر من ذلك قال النووي ومثله قول الله سبحانه وتعالى وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا إلى آخره قال والمختار الذي عليه جمهور العلماء أنه لا حرج في ذلك ولا تركه الزيادة على السبع بل يستحب الأكلار من الدعاء مطلقا .

الأدب السادس التضرع والخشوع والرهبة قال الله تعالى أنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وقال ﷺ إذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه رواه الديلمي في مسند الفردوس .

الأدب السابع أن يحزم بالطلب ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيها ودلائله كثيرة مشهورة قال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه أي من القصور وعدم الاخلاص فان الله عز وجل أجاب دعاء شر المخلوقين إبليس لعنه الله إذ قال رب فأنتظرني إلى يوم يعثون قال أنك من المنتظرين .

الأدب الثامن أن يلج في الدعاء ويكرره ثلاثا ولا يستبطئ الاجابة ويقول دعوت فما أجبت بل يدوم على الدعاء وفي الصحيحين أن الله تعالى يقول أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا دعاني وفي مسند بقي بن مخلد من حديث أبي هريرة مرفوعا اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لتفحات الله فان الله تفحات يصيب بها من يشاء من عباده وقال ﷺ إذا سأل أحدكم ربه مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ منه شيء من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال رواه البيهقي من حديث أبي هريرة وذلك لأن أحوال المؤمن كلها خير وقضاء الله له بالسراء والضراء رحمة ونعمة ولولا كشف له الغطاء لفرح بالضراء أكثر من السراء وهو أعلم بمصالح عباده .

الأدب التاسع أن يفتح الدعاء بذكر الله تعالى وبالصلاة على رسول الله ﷺ بعد الحمد لله تعالى والثناء عليه ويحتمه بذلك كله ايضا قال سلمة بن الأكوع ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء الا استفتح بقول سبحان ربى الأعلى الوهاب رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد وقال أبو سليمان الدراني رحمه الله من أراد أن يسأل الله عز وجل حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ ثم سأل الله حاجته ثم يحتم بالصلاة عليه ﷺ فان الله تعالى يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما وروى في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا سئلت الله عز وجل حاجة فابدأ بالصلاة على فان الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضى احدهما ويرى الأخرى رواه أبو طالب المكي في القوت وقال العراقي لم أخذه مرفوعا وإنما هو موقوف على أبي الدرداء رضي الله عنه قال الزبيدي وهو وإن كان موقوفا فهو شاهد لقول الداداني وما يؤيده أيضا ما أخرجه أبو داود عن فضالة قال سمع النبي ﷺ رجلا يدعوني في صلاته لم يمجده الله ولم يصل على النبي ﷺ فقال عجل هذا ثم دعاه فقال إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعوا بما شاء ورواه النسائي وزاد فسمع النبي ﷺ رجلا يصلي فمجده الله وحمد صلى على النبي ﷺ فقال أديع تحب وسل تعط وما يدل على اجابة الدعاء بعد التحميد ما روى عن أنس قال جئت أم سليم فقالت يا رسول الله علمني كلمات ادعوين فقال تسبحين عشرا وتحمدين عشرا وتكبرين عشرا ثم استأذن حاجتك فانه قد يقول قد فعلت رواه صاحب البصيرة وأخرجه الترمذي عن معاذ سمع النبي ﷺ رجلا يقول يا ذا الجلال والإكرام فقال قد استجيب لك فسل وفي المسند رك عن أبي أمامة رفته ان الله ملكا موكلًا بمن يقول اللهم ارحم الراحمين فمن قالها

﴿باب في أذكار غير مقيدة بوقت﴾

﴿أخرج﴾ الترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ: **«أَنْتُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مُلِكِكُمْ وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِتْقَانِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ثَلَاثًا قَالَ لَهُ الْمَوْلَى أَنْ أَرْحِمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فِئْلٌ وَالْمَعْنَى فِيهِ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ بِالشَّاءِ وَالْعَظِيمِ كَالْأَكْسَرِ الْعَظِيمِ لِلنَّفْسِ فِي تَصَفِيهَا وَاشْرَاقِهَا حَتَّى يَكُونَ الْمَوْهُوبُ أَقْرَبَ إِلَيْهَا فَلِهَذَا قَدِمَ الشَّاءُ عَلَى الدَّعَاءِ .**

الأدب العاشر وهو أهمها والأصل في الإجابة هو التوبت ورد المظالم والاقبال على الله تعالى بكنهه المهمة قال الغزالي وغيره فان قيل فما فائدة الدعاء مع ان القضاء لا مرد له فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء بمعنى ان الله قدر على من يوقع البلاء به عدم الدعاء وقدر على من لم يوقع عليه البلاء وجود الدعاء وشهد لذلك ما أخرجه الترمذي عن ابن أبي حزيمة عن أبيه ان رجلا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت رقي نسترقى بها وداء تداوى به وثقاة تنقيها هل ترد من قدر الله شيأ قال هي من قدر الله قال الحافظ عبد الغنى في درر الاثر حديث حسن ولا يعرف لابن أبي حزيمة سواه والدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس لرد السهم عن حامله وأن الماء سبب لخروج النبات من الأرض وكما أن الترس يدفع السهم فيدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعاجلان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى وقدره أن يطرح النظر إلى الأسباب بأن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى خذوا حذركم وأن لا يستقى الأرض بالمياه بعد بث البذر فيها فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت وان لم يسبق لم ينبت بل بد من ملاحظة الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كمنح البصر في كمال السرعة وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدره لدفعه سبباً وهكذا جرت عادة الله سبحانه في خلقه يرتبط الأسباب بمسبباتها فلا تناقض بين هذين الأمرين عند من انتسحت بصيرته وأكمل بصره بنور التوفيق وساعده الفهم السليم .

ثم في الدعاء من الفوائد ما ذكرناه وهو حضور القلب مع الله عز وجل والافتقار إليه وهما نهاية العبادة والمعرفة ومن الفوائد أيضاً ان الله تعالى يشب على الدعاء وان لم تكن الإجابة لأنه عبادة لقوله ﷺ الدعاء مخ العبادة ومنه كل شيء خالصة والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿باب في﴾ بيان فضيلة ﴿أذكار غير مقيدة بوقت﴾ من الأوقات .

قال الله تعالى ولذكر الله أكبر وقال الله تعالى فاذكروني أذكركم وقال عز وجل فلولا انه كان من المسيحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وقال عز من قائل يسبحون الليل والنهار ولا يفترون ،

﴿أخرج الترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم عن أبي الدرداء﴾ واسمه عويمر ﴿﴾ قال قال رسول الله ﷺ: **«أَلَا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالتَّخْفِيفِ حَرْفِ افْتِاحٍ مَعْنَاهُ التَّنْبِيهُ «أَنْتُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ» أَنْى أَفْضَلُهَا «وَأَزْكَاهَا» أَيْ أَنْمَا هُنَّ مِنْ حَيْثُ الثَّوَابُ الَّذِي يَقَابِلُهَا أَوْ أَظْهَرُهَا مِنْ حَيْثُ كَمَالُ ذَاتِهَا لَا بِالنَّظَرِ لِلثَّوَابِ وَيُؤَيِّدُهُ عَطْفُ وَارْفَعَهَا إِذْ هُوَ عَلَى الْأَوَّلِ تَأْكِيدٌ وَعَلَى الثَّانِي تَأْسِيسٌ وَهُوَ خَيْرٌ مِنَ التَّأْكِيدِ «عِنْدَ مُلِكِكُمْ» أَيْ عِنْدَ رَبِّكُمْ وَمِلِكٌ مُبَالِغَةٌ مَلِكٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى عِنْدَ مُلِكٍ مُقَدَّرٌ وَهُوَ ظَرْفٌ لِمُقَابِلِهِ وَمَا بَعْدَهُ مَعَاوِلٌ لِالْآخِرِ وَعِنْدَ فِي اسْتِثْنَاءٍ هَذَا السِّيَاقُ لِشَرَفِ الرَّتَبَةِ وَعُلُوِّ الدَّرَجَةِ «وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ» أَيْ مَنَازِلِكُمْ فِي الْجَنَّةِ «وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِتْقَانِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ» بِكُسْرِ الرَّاءِ أَيْ الْفِضَّةِ «وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَكُمْ» يَعْنِي الْكُفَّارَ «فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ» أَيْ يَقَاتِلُوهُمْ وَيَقَاتِلُوكُمْ بِسَيْفٍ أَوْ غَيْرِهِ وَلَفْظُ خَيْرٍ قَالَ الطَّبْطَبِيُّ مَجْزُورٌ بِالْمَطْفِ عَلَى خَيْرِ أَعْمَالِكُمْ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى لِأَنَّ الْمَعْنَى أَيْ أَنْتُمْ بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**

قالوا بلى قال ذكر الله * والترمذي والنسائي وابن ماجه وحبان أفضل الذكر لا إله إلا الله * وأحمد ومسلم أحب الكلام إلى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت *

من بذل أموالكم ونفوسكم ﴿ قالوا ﴾ أى الصحابة رضى الله عنهم ﴿ بلى ﴾ أنبأ بذلك ﴿ قال ﴾ ﴿ هو ﴾ ذكر الله ﴿ لان جميع العبادة من الإتقان ومقاتلة العدو وغيرهما وسائل ووسائط يتقرب بها إلى الله والذكر هو المقصود الأعظم وأجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للحدث والجنب والحائض والنفساء وكذلك التسيح والتحميد والتهليل قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : هذا الحديث يدل على أن الثواب لا يرتب على قدر النصب فى جميع العبادات بل قد يأجر الله تعالى على قليل الأعمال أكثر مما يأجر على كثيرها هكذا ذكره العزيمى وقال العلاقة الحنفى قوله ذكر الله فهو أفضل شيء يتقرب به إليه تعالى والاشتغال بالقرآن أفضل لمن يتدبر معانيه فيحصل له بتلاوته الزجر والتطهير أما الملوث بالمعاصى الذي يقرؤه بلسانه فقط فينبغى له الاشتغال بالذكر يظهره من المعاصى وأفضل أنواع الذكر لا اله الا الله أى للنفس الأماره وقول أهل التصوف يطلب ذكر المفرد أعنى الله الله الله وهكذا على النفس اللوامة فإنه ثبت فيها أنه لا اله الا الله حتى يصح كونها تلزم صاحبها على المعاصى فالمناسب لها الذكر المفرد لتلاحظ الذات المقدسة فتنتقل من اللوامة إلى المطمئنة أما الأماره فالمناسب لها الذكر المشتمل على اثبات ونفى وعلامة الأماره كلما فعلت ذنباً أحسبت فعل آخر وهكذا فلا يغتر الإنسان ويصف بقسه بأنها لوامة أو مطمئنة بل يختبرها .

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ الترمذي والنسائي وابن ماجه وحبان ﴾ والحاكم عن جابر قال الترمذي حسن غريب والحاكم صحيح ﴿ أفضل الذكر لا اله الا الله ﴾ لأنها كلمة التوحيد والتوحيد لا يماثل شيء ولأن لها تأثيراً فى تطهير الباطن فيفيد نفي الألوهة بقوله لا اله الا الله ويثبت الوحدة لله تعالى بقوله الا الله ويعود الذكر من ظاهر لسانه إلى باطن قلبه فيتمكن فيه ويستولى على جوارحه ويجد جلاوة هذا من ذاق ولأن الإيمان لا يصح الا بها أى مع محمد رسول الله وليس هذا فيما سواها من الأذكار وبتمام الحديث وأفضل الدعاء الحمد لله قال العزيمى إطلاق الدعاء على الجديد من باب الجواز ولعله جعل أفضل الدعاء من حيث إنه سؤال لطيف يدق مسلكه ومن ذلك قول أمية بن أبى الصلت حين خرج إلى بعض الملوك يطلب نائلة :

إذا أتيت عليك المرثى يوماً * فكفك من تعرضه الشاء

وقيل إنما جعل الحمد أفضل لأن الدعاء عبارة عن ذكر وإن يطلب منه حاجه والحمد لله يشتملها فإن من حمد الله إنما يحمده على نعمه والحمد على النعمة طلب مزيد قال تعالى لنن شكرتم لأزيدنكم ويستفاد من هذا الحديث أن لا اله الا الله أفضل من الحمد لله ذكر .

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ أحمد ومسلم ﴾ عن سمرة بن جندب الفزارى ﴿ أحب الكلام ﴾ أى كلام الخلق فلا يرد أن القرآن أحب ﴿ إلى الله تعالى ﴾ أى عند الله تعالى ﴿ أربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ﴾ قال المناوى لتضمنها تنزيهه تعالى عن كل ما يستحيل عليه ووصفه بكل ما يجب له من أوصاف كماله وانفراده بوحديته وإخصاصه بعظمته وقدمه المفهومين من أكبره ﴿ لا يضرك بأيهن بدأت ﴾ أى فى حيازة ثوابهن لكن الأفضل ترتيبها كما ذكر . وأخرج الشيخان عن أبى هريرة ؓ قال قال رسول الله ﷺ كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وأخرج مسلم عن أبى ذر ؓ قال قال رسول الله ﷺ ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله تعالى أن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده وفى رواية بسئل رسول الله ﷺ أى الكلام أفضل قال ما أظننى الله لملكه أو لعباده سبحان الله وبحمده وأخرج أيضاً عن أبى مالك الأشجعى ؓ قال قال رسول الله ﷺ

وابن ماجه عليكم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فانهم يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها * وابن عدي اكثروا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فانها من كوز الجنة * ومسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عند جويرية رضي الله عنها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد ان اضحى وهي جالسة فقال ما زلت على الحالة التي فارقتك عليها قالت نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته *

الظهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السموات والأرض وأخرج أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر أحب الي مما طلعت عليه الشمس .

وخرج ابن ماجه عن ابي الدرداء رضي الله عنه باسناد حسن عليكم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر أي الزموا هذه الكلمات الباقيات الصالحات فانهم يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها أي يسقطونها وان كثرت الذنوب جدا فذهب جميعا كما يذهب جميع ورق الشجر في الشتاء ولم يبق الا العيدان ومثل ذلك الأذكار التي لتكثير ذنوب المجلس مثل سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب إليك فان زاد من الأذكار زاد خيرا .

وخرج ابن عدي عن أبي هريرة رضي الله عنه باسناد ضعيف أكثروا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فانها أي الحوقلة من كوز الجنة أي قائلها ثواب تقيس مدخر في الجنة فهو كالكنز في كونها تقيس مدخرا لاحتوائها على التوحيد الخفي ومعنى لا حول ولا قوة الا بالله لا تحول للعبد عن معصية الله الأبعضة الله ولا قوة له على الطاعة الا بتوفيق الله وقال النووي هي كلمة استسلام وتقرب وان العبد لا يملك من أمره شيئا وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة في جلب خير الا بإرادة الله وفي الجنة ان رسول الله ﷺ ليلة الاسراء مر على ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال ابراهيم يا محمد مر أمك من أن يكثروا غراس الجنة قال وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله قاله العزيزي وأخرج الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال لي النبي ﷺ ألا أدلك على كثر من كوز الجنة فقلت بلى يا رسول الله قال قل لا حول ولا قوة الا بالله وخرج مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عند جويرية رضي الله عنها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع عليه الصلاة والسلام بعد ان اضحى وهي جالسة فقال ما زلت على الحالة التي فارقتك عليها قالت نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتن وهي سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وفي رواية سبحان الله عدد خلقه سبحان الله رضاء نفسه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله مداد كلماته ولفظه في كتاب الترمذي الا أعلمك كلمات تقولنها سبحان الله عدد خلقه سبحان الله عدد خلقه سبحان الله عدد خلقه سبحان الله رضاء نفسه سبحان الله رضاء نفسه سبحان الله رضاء نفسه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله مداد كلماته سبحان الله مداد كلماته سبحان الله مداد كلماته .

* تنبيه * سئل ابن حجر نفع الله به ما وجه النصب في سبحان الله وبحمده زنة عرشه الى آخره فلجاب رحمه الله تعالى بقوله بتقدير ظرف أي قدر زنة عرشه كما بينه الخطابي وغيره وكذا البواقي ومعنى قوله ومداد كلماته قدر ما يوزنها في العدد والكثرة وعبرة النهاية أي مثل عدد كلماته وقيل قدر ما يوازنها في الكثرة عددا أو وزنا وهذا التمثيل يراد به التقريب انتهى أشار بمثل الى المصدر أو الوصف بقوله وقيل قدر الى الظرف ومعنى قدر رضاء نفسه أي قدر ما يرضيه من قائله فلما حذف الظرف قام المضاف اليه مقامه

والترمذي عن علي عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ ألا أعلمك كلمات إذا أنت قلتهن وعليك مثل عدد الذر خطايا غفر الله لك قل لا إله إلا الله العلي العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله سبحانه الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين *

في إعرابه وقد صرح الأئمة بأن قدر ومثل مقدار تنصب على الظرفية ومن قال أنها منصوبة على المصدر أي عدد تسيحه وتحميده بعد خلقه ومقدار ما يرضيه خالصا وتقل عرشه ومقداره كلماته أو سبحة تسبيحا يساوي خلقه في العدد وزنة عرشه في الثقل ومداد كلماته في المقدار وأما معنى يوجب نفسه فقد أبعد كما بينه الجلال السيوطي لأنه غير مصدر للتسيح بل الفعل من الزنة أي سبحان الله زنة عرشه وهو فاسد إذ ليس المراد إنشاء وزن التسيح بل إنشاء قوله أي أقول سبحان الله قولا كثيرا مقدار زنة عرشه في الكثرة والعظمة ثم إذا قدر في الأخرى وأعدده عدد خلقه كان إنشاء لعدد التسيح وليس المزداد بل المراد قول قولا عدد خلقه على أن ذلك قد يتعذر في رضا نفسه وتقديره رضا نفسه فاسد لعود ضيقه على غير التسيح وهو في زنة وعدد للتسيح فيخل التماسق في الكلمات وعدم فرض التعذر في هذا هو معتذر في مداد كلماته وبما يفسد مصدرية عدد أنه يلزمها عدم فكأنه مصدر على فعل يسكون العين فيجب أن يقال عد بالادغام قال الله تعالى إنما نعدهم عدا وأنه دخل في تقديره الباء على عدد وما بعده فاقضى أنه منصوب بنزع الخافض أو الظرفية لا المصدر إذ الباء لا تدخل عليه قيل التقدير بعدد كعدد خلقه ومقدار زنة عرشه ورضا نفسه أي غير متقطع فاشارة إلى أن الأول مصدر والثاني ظرف والثالث حال والتقدير المستلزم ليساوي كل إعرابا أولى قال في الإرشاد وفرق سبويه بين وزن الجبل وزنة الجبل فمعنى وزنه ناحية توازنه أي تقابله قوت أو بعدت وزنه حذاؤه أي متصلة به وكلاهما مبهم يصل إليه الفعل ويتنصب ظرفا وفي بعض شروح المصاحب زنة عرشه ما يوازنه في المقدار يقال هو زنة الجبل أي حذاءه في الثقل والموازنة توفية أياء إلى تخرج الحديث على الظرفية وجواز نصب عدد على أنه صفة للمصدر ورد بأنه أما صفة للمذكور وهو سبحان الله ويذكر عليه الفصل بينه وبين موصوفه بقوله وتحميده وهو ضعيف أو يمنع على أن سبحان الله علم للتسيح لم يتصرفوا فيه بشيء ففى جواز وصفه وقفة وأما صفة لمقدار أي سبحان الله تسيحا عدد خلقه وهو غير محتاج إليه لأن سبحان الله مصرح به لفظا فلا حاجة لتقدير مصدر آخر لأجل صحة ما ادعى من أنه وصف للمصدر لأن المصدر المذكور منصوب بفعل مقدر آخر فاذا قدر مصدر آخر لزم منه ثلاثة تقادير فعل المصدر الظاهر والمصدر المقدر وفعل له إذا الفعل الواحد لا ينصب مصدرين وأيضا فصحة الكلام توقف على تقدير شيء آخر لأن التسيح ليس نفس العدد ولا الزنة مثلا فيقدر مثل أي مثله في المقدار فراجع في الظرفية خصوصا وقوله رضا نفسه لا يوضح فيه تقدير المثل ولا يصح النصب هنا على الحال لأن التقدير أسخ أي أقول سبحان الله عاد الخلقه وموزونا لكلماته فان جعل حالا من المفاعل نأفاه أن عدد وما بعده جار على سبحان الله أو أن المفعول هنا مطلق والمعهود محيى الحال من المفعول به ويتعذر كونه حالا من المضاف إليه ولا يطرد التقدير المستتر في مدد كلماته فبطلت الحالة كذا في فتاوى الحديثية.

﴿و﴾ أخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك ﴿باعتلى﴾ كلمات ﴿إذا قلتهن غفر الله لك وإن كنت مغفورا لك قال العزيمي أسناده صحيح ورواه الخطيب بلفظ ﴿إذا أنت قلتهن وعليك مثل عدد الذر﴾ بذا المعجمة صغار النمل ﴿خطايا غفرا الله لك﴾ وأسناد ضعيف ﴿قل لا إله إلا الله العلي العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله سبحانه رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين﴾ وهذه كلمات جامعة وحده أولا ثم وصفه بالعلو والمطعة ثانيا ثم وصفه بالحلم والكرم ثم نزهه بالتسيح ثم حمى بالتحديد وأخرد عوامهم أن الحمد لله رب العالمين.

وهو وأحمد والحاكم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك كلمات لو كان عليك مثل جبل ثبير دينا أذهب الله عنك قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عن سواك * والشيخان من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه * والخطيب وأبو نعيم وابن عبد البر من قال في يومه مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين كان له أمانا من الفقر وأمانا من وحشة القبر وفتحت له أبواب الجنة *

وهو * أنى أخرج الترمذي * وأحمد والحاكم عنه * أنى عن علي * قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمك كلمات لو كان عليك مثل جبل ثبير * وهو جبل بين مكة ومنى ويرى من منى وهو على بين الداخل منها إلى مكة وفي الجامع الصغير مثل جبل صير قال المناوي بصاد مهملة فمشتاة تحية جبل لطيف وأما صير بزيادة موحدة فجبل باليمن وليس مرادا هنا ذكره ابن الأثير لكن وقفت على نسخة المؤلف بخطه فرأيت كيب صير بالباء وضبطها بفتح الصاد ذكره العزني * دينا * بفتح الدال والنصب على التمييز * أذهب الله عنك * أنى أعانك على أدائه إلى مستحقه واتذك من مذهبه * قل اللهم بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عن سواك * من الخلقة وهذا قاله * لبعض الصحابة لما شكاهم هم الدين فمن قاله بصدق نية وجد أثره لا جابة وورد عن أنس بن مالك * قال قال رسول الله * من قال يوم الجمعة سبعين مرة اللهم أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عن سواك لم تمض عليه جمعان حتى يغنيه الله تعالى قال ابن عبد الحاكم جبرته فوجدته كذلك وقال الثعالبي وأنا أيضا وقفت على بركته قال ويكون ذلك عقب صلاة الجمعة وأخرج أبو داود عن أبي سعيد الخدري * ألا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله تعالى همك وقضى عنك دينك قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم أنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال .

وهو * أخرج * الشيخان * عن أبي هريرة * أن رسول الله * قال * من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له * وقوله وحده حال مؤكدة وتوول بمفرد لأن الحال لا تكون مغرفة ولا شريك له حال ثانية مؤكدة لمعنى الأولى ولا نافية وشريك مبنى مع لا على الفتح وخبر لا متعلق له * له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير * جملة حالية أيضا ومن منع تعدد الحال جعل لا شريك له حالا من ضمير وحده الموزل بمفرد وكذلك له الملك حال من ضمير الجزور فى له وما بعد ذلك معطوف * فى يوم مائة مرة كانت له عدل * بفتح العين أى مثل ثواب اعتاق * عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا * بكسر الحاء أى حصنا * من الشيطان يومه ذلك * بنصب يوم على الظرفية * حتى يمسي ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه * أخرج * الخطيب وأبو نعيم وابن عبد البر * عن مالك من حديث علي * * من قال فى يومه مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين * كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به الغنى واستقرع به باب الجنة وفيه الفضل بن غانم ضعيف وابن نعيم فى الحلية من قال ذلك فى كل يوم وليلة مائتى مرة لم يسأل الله فيها حاجة الاقضاء وفيه مسلم الخواص وهو ضعيف وقال فيه أظنه عن علي ورواه الشيрази فى القاب من طريق ذى النون المصرى عن مسلم الخواص عن مالك بلفظ * كان له أمانا من الفقر وأمانا من وحشة القبر وفتحت له أبواب الجنة * ورواه الرافع فى تاريخ قزوین من طريق الفضل بن غانم عن مالك بن أنس عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه عن علي قال الفضل بن غانم لو رحل الإنسان فى هذا الحديث إلى خراسان كان قليلا ورواه أبو نعيم فى الحلية عن أبي محمد بن أحمد بن سعيد الواسطى حدثنا اسحق بن زريق حدثنا مسلم الخواص عن مالك بن أنس فساقة سياق الخطيب عن مسلم الخواص عن مالك .

واليهتي ما من مسلم يقف عشية عرفة فيستقبل القبلة بوجهه ثم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة ثم يقرأ قل هو الله أحد مائة مرة ثم يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ابنك حميد مجيد وعلينا معهم مائة مرة الا قال الله تعالى يا ملائكتي ما جزاء عبيدي هذا أشهدكم اني قد غفرت له وشفعته في نفسه ولو سألتني عبيدي هذا الشفعة في أهل الموقف * وروي عن ابن عباس قال الليل والنهار أربع وعشرون ساعة

﴿و﴾ أخرج ﴿اليهتي ما من مسلم يقف عشية عرفة﴾ بالموقف ﴿فيستقبل القبلة بوجهه ثم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة ثم يقرأ قل هو الله أحد مائة مرة ثم يقول اللهم صل على آل ابراهيم انك حميد مجيد﴾ ويخص ابراهيم بالذكر لأن الرحمة والبركة لا يجتمعان في القرآن للنبي غيره قال تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت وانما قلنا في القرآن لأن كل نبي اجتمعت له الرحمة والبركة قطعاً وآل سيدنا محمد بنو هاشم وبنو المطلب وآل ابراهيم اسمعيل وأولادهما ﴿و﴾ صل ﴿علينا﴾ والضمير للمسلم وحده أو هو مع غيره من جميع المسلمين فيه احتمالان والثاني أول ﴿معه﴾ ظرف متعلق بقوله صل أي صل علينا مع صلاتك عليهم أي النبي صلى الله عليه وسلم وآله فتحصل لنا الصلاة تبعاً لهم يقول ذلك ﴿مائة مرة الا قال الله تعالى يا ملائكتي ما جزاء عبيدي هذا﴾ سبختني وهلتني وكبرني وعظمتني وأثنى على وصلى على نبي ﴿أشهدكم﴾ يا ملائكتي ﴿انني قد غفرت له وشفعته في نفسه ولو سألتني عبيدي هذا لشفعته في أهل الموقف﴾ وقال الحب الطبري في المناسك أخبرنا أبو الحسن بن المغيرة اجازة قال أنبأنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلاسي أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه أخبرنا عبيد الله بن أحمد الأزهرى أخبرنا محمد بن علي بن زيد بن مروان حدثنا أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الجصاص حدثنا أبو الحسن محمد بن المنذر حدثنا عبد الله بن عمران حدثنا عبد الرحيم بن زيد العنبي عن الحر بن قيس ومعاوية بن قرة وأبي وائل شقيق بن سلمة عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس في الموقف قول ولا عمل أفضل من هذا الدعاء وأول من ينظر الله اليه صاحب هذا القول اذا وقف بعرفة فيستقبل البيت الحرام بوجهه ويبسط يده كهيئة الداعي ثم يلبي ثلاثاً ويكبر ثلاثاً ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير يقول ذلك مائة مرة ثم يقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم أشهد أن الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علماً يقول ذلك مائة مرة ثم يقول اللهم ان الله هو السميع العليم يقول ذلك ثلاث مرات ثم يقرأ الفاتحة الكتاب ثلاث مرات يبدأ في كل سورة بسم الله الرحمن الرحيم وفي آخر فاتحة يقول كل مرتين آمين ثم يقرأ قل هو الله أحد مائة مرة يقول أوها بسم الله الرحمن الرحيم ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فيقول صلى الله عليه وسلم وعلى آله وعلى آله وعليه للسلام ورحمة الله وبركاته مائة مرة ثم يدعو نفسه ويحجده في الدعاء لوالديه ولقرانه ولاخوانه في الله من المؤمنين والمؤمنات فاذا فرغ من دعائه عاد في مقالته هذه يقول ثلاثاً لا يكون له في الموقف قول ولا عمل حتى يمسي على هذا فاذا أمسى بامس الله به الملائكة يقول أنظروا الى عبيدي استقبل بيني فكبرني وسبختني وحمدني وهلتني وقرأت أحب السورة الى وصلى على نبي أشهدكم اني قد قبلت عمله وأرجبت له أجره وغفرت له ذنبه وشفعته فمن شفع له ولو جمع في أهل الموقف شفعه فيهم ﴿وروي عن ابن عباس﴾ رضي الله عنهما ﴿قال الليل والنهار أربع وعشرون ساعة﴾ فلكنة والساعة الواحدة ثلثون دقيقة وكل درجة ستون دقيقة

وحروف لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفاً فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كفر كل حرف ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب إذا قالها في كل يوم مرة فكيف بمن يكثر من قول لا إله إلا الله ويجعلها شغله إخواني إن كنتم عاصين فقولوا لا إله إلا الله فإنها تكفر الذنوب والعصيان وإن كنتم طائعين فجددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله فإنها تجدد الإيمان وتورث الأمن والأمان والعفو والغفران *

﴿ وحروف لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفاً فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كفر كل حرف ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب إذا قالها في كل يوم مرة فكيف بمن يكثر من قول لا إله إلا الله ويجعلها شغله ﴾ واعلم أن جميع حروفها جوفية إشارة إلى أن الأتيان بها من خالص الجوف وهو القلب وأنه ليس فيها حرف معجم إشارة إلى التجرد عن كل معبود سواه وأن كلماتها سبع وأبواب جهنم سبعة كل كلمة تسد باباً عن قائلها هكذا ذكره صاحب النزمة ﴿ إخواني إن كنتم عاصين فقولوا لا إله إلا الله فإنها تكفر الذنوب والعصيان وإن كنتم طائعين ﴾ الله عز وجل ﴿ فجددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله ﴾ وأكثاره ﴿ فإنها تجدد الإيمان وتورث الأمن والأمان ﴾ من العذاب ﴿ وتورث ﴾ العفو والغفران ﴿ من الله الحنان وإنها تزيد القلب نوراً وهي كالسيف القاطع للنفس الأماره فإنها ترقى الملازم لها إلى أن تكون نفسه لوامة ثم مطمئنة .

وقد وردت في فضل هذه الكلمة الشريفة أخبار كثيرة قال رسول الله ﷺ لأبي هريرة يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الأ شهادة أن لا إله إلا الله فإنها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات السبع وما فيها كانت لا إله إلا الله أرجح من ذلك وقال ﷺ لو جاء قاتل لا إله إلا الله صادقاً بقرب الأَرْضِ ذنوباً لغفر له ذلك وقال ﷺ يا أبا هريرة لئن لموتى شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدماً ما قلت يا رسول الله هذا للموتى فكيف للأحياء قال ﷺ هي أهدم وأهدم وقال ﷺ ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم كأنني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي أهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور وقال ﷺ لقد دخل الجنة بكلمكم الأمن أبي وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله فليل يا رسول الله من الذي يأبى ويشرد عن الله قال من لم يقل لا إله إلا الله فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد وهي كلمة الإخلاص وهي كلمة التقوى وهي كلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة وقال الله عز وجل هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فقيل الإحسان في الدنيا قول لا إله إلا الله وفي الآخرة الجنة وكذا بقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وروى عن عطاء بن أبي رباح قال سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قول الله عز وجل غافر الذنب وقابل التوبة شديد العقاب قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله وقابل التوبة ممن قال لا إله إلا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا إله إلا الله ولذلك قال السمرقندي الواجب على كل إنسان أن يكثر من قول لا إله إلا الله ويسأل الله تعالى في آتاء الليل وأطراف النهار وأن لا ينزع منه الإيمان وهذا القول منه ويحفظ نفسه في المعاصي فإن كثيراً من الناس يقولون هذا القول ثم ينزع منهم في آخر عمرهم بسبب أعمالهم الخبيثة ويخرجون من الدنيا على الكفر فعوذ بالله وأى مصيبة أعظم من هذا إن الرجل كان اسمه من المسلمين في جميع عمره فيبعث يوم القيامة واسمه من الكافرين فهذا هو الحسرة كل الحسرة وليست الحسرة بالذي يخرج من الكيسة أو من بيت النار فيدخل جهنم ولكن الحسرة بالذي يخرج من المسجد فيطرح في النار وذلك كله بسبب أعماله الخبيثة وأرتكابه المحرمات في السرائر فرب رجل وقع في يده شيء من أموال الناس فيقول أنفقها ثم أردها أو استحل منهم فيموت قبل أن يرضى خصمه ورب إنسان وقع منه بينه وبين امرأته حرمة فيقول كيف أدعها وبيننا أولاد فيصير على ذلك فيأتيه الموت وهو على الحرام وربما ينزع منه الإيمان بسبب ذلك فانظر يا أخي واجتهد في إصلاح أمرك قبل أن يأتيك الموت فانك لا تدري متى يأتيك الموت .

أن الرجل ليقول كان من قبلنا من يقول لا اله الا الله فنحن نقول لا اله الا الله قيل له فما يغني عنهم لا اله الا الله قال ينجون بها من النار ويدخلون بها الجنة .

ويقال من حفظ سبع كلمات فهو عند الله شريف وعند الملائكة شريف وغفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زيد البحر ويحد حلاوة الطاعة وتكون حياته ومماته خيرا له أو لما أن يقول عند ابتداء كل شيء بسم الله وثانيها أن يقول بعد الفراغ من كل شيء الحمد لله وثالثها اذا جرى على لسانه لغو أو عمل سوء قل أو كثر يقول بعده استغفر الله ورابعها اذا أراد أن يقول أفعل غدا كذا فيقول على أثره ان شاء الله وخامسها اذا استقبله مكروه يقول لاحول ولا قوة الا بالله على العظيم وسادسها اذا أصابه مصيبة في النفس أو في المال قل أو كثر يقول انا لله وانا اليه راجعون وسابعها لا يزال يجري على لسانه في آتاء الليل وأطراف النهار لا اله الا الله .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبرائيل عليه السلام جاء الى النبي ﷺ يوما فقال يا محمد ان رب يقرئك السلام وهو يقول مالي أراك مغموما حزينا وهو أعلم به قال يا جبريل قد طال تفكيري في أمر أمي يوم القيامة قال يا محمد في أمر أهل الكفر أم في أمر أهل الاسلام قال يا جبريل لا بل في أمر أهل لا اله الا الله قال فأخذ يده حتى أقامه على مقبرة من بنى سلمية فضرب بجناحه الأيمن على قبر ميت فقال قم ياذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله الحمد لله رب العالمين فقال له جبريل عد فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الأيسر على قبر ميت فقال قم ياذن الله فخرج رجل مسود الوجه ازرق العينين وهو يقول واجسرتاه واندماياه واسوأناه فقال له عد فعاد كما كان ثم قال جبريل هكذا يعثون يوم القيامة على ما ماتوا عليه والله أعلم .

﴿ فضيلة الاستغفار ﴾

قال الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاجشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله وقال علقمة بن قيس والأسود بن يزيد رحمهما الله تعالى قال عبد الله بن مسعود ؓ في كتاب الله عز وجل آيات ما أذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل الا غفر الله له الأولى قوله سبحانه وتعالى والذين فعلوا فاجشة أو ظلموا أنفسهم الآية والثانية قوله جل من قائل ومن يعمل سؤا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا وقال تعالى فسيح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وقال تعالى والمستغفرين بالأسحار أخرج الحاكم من حديث ابن مسعود ؓ كان النبي ﷺ يكثر أن يقول سبحانه اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك أنت التواب الرحيم وأخرج أبو نعيم عن حذيفة قال أتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله ان لي لسانا ذريا أي حديدا وسليطا أو فاجشة على أهل قد خشيت أن يدخل النار قال فأين أنت من الاستغفار اني استغفر الله في كل يوم مائة مرة وأخرج الشيخان عن أبي موسى كان ﷺ يقول في الاستغفار اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطيئتي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت مقدم وأنت مؤخر وأنت على كل شيء قدير .

وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكته سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فاذا زاد زادت حتى تغلف قلبه فذلك البران الذي ذكر الله عز وجل في كتابه كلابل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأخرج أحمد عن أبي هريرة مرفوعا ان الله سبحانه وتعالى يرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب أين لي هذه فيقول الله عز وجل باستغفار ولدك لك وأخرج الشيخان والنسائي عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أي عبد

وأخرج البغوي استغفروا ربكم إني استغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة * ومنسليم لكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار * وابن السني من استغفر الله في كل يوم سبعين مرة غفر الله له سبع مائة ذنب وقد خاب عبد وأمة عمل في اليوم والليلة أكثر من سبع مائة ذنب * وأحمد والحاكم من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب

أصاب ذنبا وربما قال أذنب ذنبا فقال رب أذنبت ذنبا وزيما قال أصبت ذنبا فاغفر لي فقال رب علم عبدي أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا فقال رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره فقال علم عبدي أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله وربما قال ثم أصاب ذنبا أو أذنب ذنبا فقال رب أو أذبت أو أصبت آخر فاغفر لي فيقول علم عبدي أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ به غفرت لعبدي ثلاثا فيعمل ما شاء وأخرج أبو داود والترمذي من حديث أبي بكر ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة وأخرج الطبراني والحاكم عن ابن عباس رفعه قال الله تعالى من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئا وأخرج ابن النجار من حديث ابن عباس من قال لا اله الا انت سبحانك عملت شهرا أو ظلمت نفسى فب على انك انت التواب الرحيم غفرت ذنوبه ولو كان فارا من الزحف.

﴿وأخرج البغوي استغفروا ربكم إني استغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة﴾ وأخرج أبو داود والترمذي عن ابن مسعود مرفوعا من قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا صليتم الصبح فأكثروا من الاستغفار فقلنا يا رسول الله علمنا شيئا نستغفر الله تعالى به فقال قولوا اللهم انا نستغفرك وتوب اليك من كل ذنب علمناه أو لم نعلمه في الليل أو نهار فمن واطب عليه فتح الله له بابا من الرزق وغلق عنه بابا من أبواب الفقر كذا في رياض الصالحين.

﴿و﴾ أخرج ﴿مسلم﴾ والديلمي عن علي ﴿لكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار﴾ المقرن بالتوبة ﴿و﴾ أخرج ﴿ابن السني﴾ من استغفر الله في كل يوم سبعين مرة غفر الله له سبع مائة ذنب وقد خاب ﴿وخسر﴾ عبد وأمة عمل في اليوم والليلة أكثر من سبع مائة ذنب و﴿أحمد والحاكم﴾ والبيهقي وغيرهم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ﴿من أكثر من الاستغفار﴾ أي عرفا إذا لم يسئوا حد الكثرة فإن قيس على الصلاة على النبي ﷺ كان حد الكثرة ثلثمائة كما بينوه فيها بذلك والمراد الاستغفار اللفظي أما المقرن بالتوبة فهو في تكثير الكبائر استغفروا ربكم انه كان غفار يرسل السماء الآية ﴿جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب﴾ أي من وجه لا يخطر بباله قال قتادة بن دعامة القرآن يدلكم على دوائكم ودوائكم أما دواؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه العجب بمن يهلك ومعه النجاة قبل ما هي قال الاستغفار وكان يقول ما أهم الله عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خيثم رحمه الله لا يقول أحدكم استغفر الله وأتوب إليه ويكون قوله ذلك ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليعمل اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل الاستغفار بلا قلع توبة الكذاين وذلك لأن الذي يستغفر وهو يعتقد أن يعود إلى ما تاب فهو بذلك الحق فاسق معاقب عليه لأنه كذب على الله فيما قال وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا على الله تعالى وهو لا يعلم أي من استغفر ولم يندم على ما أصاب من ذلك الذنب فكأنه استهزأ على ربه غرورا وهو لا يدري فان الندم توبة كما ورد ذلك في الحديث فاذا لم يجد الندم كان الاستغفار كالغيب وقال أبو عبد الله الوراق رحمه الله لو كان عليك مثل عدد القطر وزيد البحر ذنوبا لحيت بحبك إذا دعوت ربك

﴿وروى﴾ معروف الكرخي عن أنس بن مالك وابن عمر أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب قال فإني لا أطيق ذلك قال فاستغفر الله عز وجل كل يوم بعد صلاة العصر سبعين مرة يغفر الله لك ذنوب سبعين عاماً قال فإن لم تأت على ذنوب سبعين قال يغفر لأقاربك غفر الله لنا ولأقاربنا ﴿وحكى﴾ الياضي عن بعض الصالحين أنه عبد الله عز وجل أربعين سنة فلما كان بعض الليالي أخذته دالة على الله عز وجل فقال إلهي أرني ما قد أعددت لي من الحور العين فما استسم الكلام حتى انشق الحجاب فخرجت منه حورية لو خرجت إلى الدنيا لفتنها فقال لها إنسية أنت فأنشأت تقول :

بهذا الدعاء مخلصاً إن شاء الله تعالى وهو اللهم اني أستغفرك من كل ذنب صدر مني وثبت اليك منه معتقدا بقلب عدم العود إليه ثم عدت فيه بشؤم نفسي وجهلي وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي من بر وخير ثم لم أوف لك به لكمال تقصيري واتباع النفس الأمارة وأستغفرك من كل عمل من أعمال الخير أردت به وجهك خالصاً من غير مخالطة السوي فخلطه غيرك في ذلك العمل وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي لأستعين بها على طاعتك فاستغنت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيت في ضياء النهار وسواد الليل في ملاء أو خلا وسر وعلاية باحليم ويقال أنه استغفار آدم عليه السلام وقيل الخضر عليه السلام :

﴿وروى معروف﴾ بن فيروز ﴿الكرخي﴾ أبو محفوظ من رجال الحلية والرسالة رحمه الله تعالى ﴿عن أنس ابن مالك وابن عمر﴾ رضي الله عنهما ﴿أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب﴾ يحتمل أنه عليه الصلاة والسلام أراد أمره بالأسباب التي توجب حسن الخلق من الكرم والسخاء والحلم والحياء والتواضع واحتمال أذى الغير وكذا الأذى والصنح والعفو وكظم الغيظ والبشر وسائر الأخلاق الجميلة فإن النفس إذا تخلقت بهذه الأخلاق وصارت لها عادة اندفع عنها الغضب عند حصول أسبابه أو أنه أراد أنه لا يعمل بمقتضى الغضب إذا حصل بل يجاهد نفسه على ترك تنفيذه وترك العمل بما يأمر به فإنه إذا ملك الإنسان كان في أسر وتحت أمره ومن ثم قال تعالى ولما سكنت عن موسى الغضب فمن لم يحتمل بما يأمر به غضبه وجاهد نفسه على ذلك اندفع عنه بشر غضبه وبما سكن وذهب عاجلاً فكانه لم يغضب وإلى هذه الإشارة بقوله تعالى وإذا ما غضبوا هم يغفرون والكاظمين الغيظ الآية وروى الشيخان ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وروى مسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا يصبره الرجال قال ليس ذلك ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب فإذا الغضب يجمع الشر كله ومن ثم قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما الغضب مفتاح كل شر وقيل لابن المبارك اجمع لنا حسن الخلق في كلمة قال ترك الغضب وأخرج محمد بن نصر المروزي أن رجلاً أتى النبي ﷺ من قبل وجهه فقال يا رسول الله أي العمل أفضل قال حسن الخلق ثم أتاه عن يمينه وقال له ذلك فقال كذلك ثم عن شماله كذلك ثم عن خلفه فالتفت إليه وقال مالك لا تفقه حسن الخلق هو أن لا تغضب إن استطعت وهو رسل ﴿قال﴾ الرجل ﴿فإني لا أطيق ذلك﴾ أي دفع الغضب ﴿قال﴾ ﷺ ان كتب كذلك ﴿فاستغفر الله عز وجل كل يوم بعد الصلاة العصر سبعين مرة يغفر الله لك ذنوب سبعين عاماً قال فان لم تأت على ذنوب سبعين قال﴾ ﷺ ﴿غفر لأقاربك﴾ قال المصنف رحمه الله ﴿غفر الله لنا ولأقاربنا﴾ آمين يا رب العالمين .

﴿وحكى﴾ أبو محمد عبد الله بن أسعد ﴿الياضي﴾ اليمن رحمه الله تعالى ﴿عن بعض الصالحين﴾ رحمه الله ﴿أنه عبد الله عز وجل أربعين سنة فلما كان بعض الليالي أخذته دالة﴾ أي انبساط ﴿على الله عز وجل فقال إلهي أرني ما قد أعددت لي﴾ في الجنة وأخبرني ما قد أعددت لي ﴿من الحور العين﴾ الحسان ﴿فما استسم الكلام حتى انشق الحجاب فخرجت منه حورية لو خرجت إلى الدنيا لفتنها﴾ أي لفتت من فيها ﴿فقال﴾ بعض الصالحين ﴿لها إنسية أنت﴾ أم جنية ﴿فأنشأت تقول﴾ من بحر الطويل .

شكوت إلى المولى وقد علم الشكوى * وأعطاك ما ترجو وقد كشف البلوى

وأرسلني أنسا إليك وانتي * أناجيك طول الليل لو تسمع التجوى

فقال لها يا جارية لمن أنت قالت أنا لك فقال كم لي مثلك جويرية قالت مائة جويرية ولكل جويرية مائة خادمة ولكل خادمة مائة وصيفة ولكل وصيفة مائة قهرمانة ففرح وقال يا جويرية هل أعطى أحد أكثر مني قالت يا مسكين عطاوك عطاء البطالين الذين يقولون أستغفر الله فيغفر لهم ثم يستغفرون الله عند غروب الشمس فيغفر لهم غفر الله لنا ولوالدينا ولأحبائنا ﴿تنبه﴾ اعلم أن أفضل الذكر لا إله إلا الله وأنه لا يساوي شيء من الأذكار هذا الذكر أصلا كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا اجتمعت المشايخ الشوامخ

﴿شكوت إلى المولى وقد علم الشكوى * وأعطاك ما ترجو وقد كشف البلوى﴾

﴿وأرسلني أنسا إليك وانتي * أناجيك طول الليل لو تسمع التجوى﴾

﴿فقال لها يا جارية لمن أنت قالت أنا لك فقال كم لي مثلك جويرية﴾ كذا في بعض النسخ والصواب جويرية وكذا يقال فيما يأتي كما عبر به في روضه ﴿قالت مائة جويرية ولكل جويرية مائة خادمة ولكل خادمة مائة وصيفة﴾ قال الفيومي الواصف الغلام دون المراهق والوصيفة الجارية كذلك والجمع وصفاء ووصاف مثل كريم وكرماء وكرمة وكرائم ﴿ولكل وصيفة مائة قهرمانة﴾ مؤنث قهرمان وأصله من بلى أمور السلطان كما قال الزبيدي ﴿فرح وقال يا جويرية هل أعطى أحد أكثر مني قالت يا مسكين عطاوك عطاء البطالين الذين يقولون أستغفر الله﴾ العظيم ﴿فيغفر لهم ثم يستغفرون الله عند غروب الشمس فيغفر لهم﴾ ثم أنشأت تقول:

وله خصائص مصطفون لحبه * اختارهم في سالف الأزمان

اختارهم من قبل فطرة خلقه * فهم ودائع حكمة وبيان

نشرت لهم اعلام حب حبيهم * قبايعوا وتناهبوا الأعلاما

ياحسنهم في ظل عرش ملكهم * كل يعود من التجيب زماما

حتى اذا صاروا بحضرة قدسه * كشف الملك حجابهم أكراما

فهم الملوك العارفون برهم * والدائرون ببابه خداما

قال الياقبي: وهذه خمسة آيات قلها وألحقها بهذه الآيات الأربعة.

من عال ياقوت وزاهي جوهر * يعلوه نور يسكنون خيانا

ومع الحسان الحور عين لو بدت * لئلا أنارت بالجمال ظللانا

ولعطرت كل الوجود وزحرفت * ولمات كل بالجمال غراما

ياحسنها بين الجوارى عند ما * تمشى لللقى قادمين كراما

يجزون غرفات بها فوق المنى * ونحية يلقونها وسلاما

﴿غفر الله لنا ولوالدينا ولأحبائنا﴾ آمين

﴿تنبه﴾ اعلم أن أفضل الذكر ﴿لا إله إلا الله﴾ كما سبق في الخبر ﴿لا إله إلا الله وأنه لا يساوي شيء من الأذكار هذا الذكر أصلا كما أخبره النبي

﴿بما سمر من الأخبار﴾ ولهذا ﴿أني ولاجل فضيلة هذا الذكر وعدم مساواة غيره له﴾ اجتمعت ﴿أني أنشدت﴾ المشايخ الشوامخ ﴿أني

قدس الله أرواحهم على اختيار هذه الكلمة الشريفة فعملوا بها في السلوك والتسليك وقالوا ينبغي للمبتدئ أن يقتصر عليها بعد الفرائض والسنن والرواتب من الصلوات فيشغل سائر أوقاته بها إلا ما لا بد منه * قال النووي والصحيح أن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من ذكر القلب وحده

المرتفعات الرتبة * قدس الله أرواحهم على اختيار هذه الكلمة الشريفة فعملوا بها في السلوك والتسليك * للمريدين * وقالوا * أي هؤلاء المشايخ * ينبغي للمبتدئ أن يقتصر عليها بعد * فعل * الفرائض والسنن والرواتب من الصلوات فيشغل سائر أوقاته بها * أي بهذه الكلمة الشريفة * (إلا ما لا بد منه) * كبحوثهم أو فعل واجب آخر مضيق بخشى فوته * قال * الإمام * النووي * رحمه الله تعالى * والصحيح أن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من ذكر القلب وحده * فان اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل.

قال في شرح مسلم نقلًا عن القاضي عياض ذكر ابن جرير الطبري وغيره أنه اختلف السلف في ذكر اللسان والقلب أيهما أفضل قال القاضي عياض وإنما تصور عندي في مجرد الذكر بالقلب تسيحًا وتهليلًا وشبههما ويدل عليه كلامهم لأنهم اختلفوا في الذكر الخفي فذلك لا يقاربه ذكر اللسان فكيف يفاضله والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب وإن كان لاها وإحتج من رجح ذكر القلب بأن عمل اليسير أفضل ومن رجح عمل اللسان قال لأن العمل فيه الأكثر لأنه زاد باستعمال اللسان فاقتضى زيادة أجر قال القاضي واختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب فقيل تكتبه ويحجل الله لهم علامة يعرفون بها وقيل لا يكتبونه لأنه لا يطلع عليه غير الله قال النووي الأصح أنهم يكتبونه وإن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل وأما الذكر باللسان مجردا فهو أضعف الأذكار وفيه فضل عظيم كما جاء في الأحاديث ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظن به الرياء بل يذكرهما جميعاً ويقصده وجهه الله تعالى وقد قال الفضيل إن ترك العمل لأجل الناس رياء ولو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس والاحتراز من طرق ظنونهم الباطلة لانسد عليه أكثر أبواب الخبر وضع على نفسه شيئاً عظيماً من مهمات الدين وليس هذا طريق العارفين .

* تنبيهان * الأول ينبغي أن يكون الذكر على أكمل الصفات فإن كان جالساً في موضع استقبال القبلة وجلس متدلاً مستخسماً بسكينة ووقار مطرقة رأسه ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز ولا كراهة في حقه ولكن إن كان بغير عذر كان تاركاً للأفضل والدليل على عدم الكراهة قول الله تعالى إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويفتكرون في خلق السموات والأرض وثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجرى وأنا حائض فيقرأ القرآن رواه البخارى ومسلم وفى رواية ورأسه فى حجرى وأنا حائض وجاء عن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت انى لأقرأ حزبي وأنا مضطجعة على السرير .

الثانى ينبغي أن يكون الموضع الذي يذكر فيه خالياً نظيفاً فإنه في أحكام الذكر والمذكور ولهذا مدح الذكر في المساجد والمواضع الشريفة كذا قاله النووي وقوله خالياً أى عن كل ما يشغل البال ويحصل من وجوده الاشتغال والوسواس وقوله نظيفاً أى طاهراً من سائر الأدناس فضلاً عن الأنجاس وفيه تنبيه على أن القلب ان الذي هو محل نظر الرب ينبغي أن يكون خالياً عن سكون الأغيار المستعاة بالسوى نظيفاً طاهراً من حجب نجاسة الدنيا ليكون قلبه سليماً فلا يزال في الفيض مقيماً وجاء عن الإمام الجليل أبى ميسرة * قال لا يذكر الله تعالى إلا في مكان طيب ينبغي أيضاً أن يكون معه نظيفاً فإن كان في فيه تغير أزاله بالسواك فإن كان فيه نجاسة أزالها بالغسل بالماء فلو ذكر ولم يغسلها فهو منكروه ولا يحرم .

والصحيح المختار أنه يستحب مد الذكر قوله لا إله إلا الله لما فيه من التدبر فالمراد من الذكر حضور القلب فينبغي أن يكون هو مقصود الذكر فيحرص على تحصيله

واعلم أن الذكر محبوب في جميع الأحوال الألفى الأحوال ورد الشرع باستثنائها فمن ذلك أنه يكره الذكر حالة الجلوس على قضاء الحاجة وفي حالة الجماع وفي حالة الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب وفي القيام في الصلاة بل يشتغل بالقراءة وفي حالة النعاس ولا يكره في الطريق ولا الحمام.

والصحيح المختار أنه ﴿أي الشأن﴾ يستحب مد الذكر قوله لا إله إلا الله ﴿والمراد أن يد في موضع يجوز مده كالف لا ولا يزيد على قدر خمس ألفات فإنه أكثر ما ثبت عنه ﷺ عند القراءة مع تجويز القصر في الأ وأما مده فلحن لا يجوز زيادة على قدر ألف ويسمى مدا طيعيا وكذلك في لفظ الجلالة وصلأ وأما وقفا فيجوز طوله وتوسطه وقصره والأول أولى لكنه قدر ثلاث ألفات ويجب أن تقطع همزة اله وكثيرا ما يلحن فيه بعض العامة فيبدلونها باء ولا يجوز الوقف على اله لأنه يوهم الكفر قال بعضهم بعض الكلمة الطيبة كفر وبعضها إيمان وللاحظ في النفي نفى ما سواه من سائر الأكران والأحوال وفي الاستثناء شهود الله فالكلمة الشريفة جامعة بين التولية والتحلية بالمعجزة ثم بالمهملة والتقدير لا اله موقوف أو معبود أو مطلوب أو مشهود إلا الله بحسب مقامات أهل الذكر وحالات ذوى الفكر ثم لا يلزم من مد الذكر الزرع فإنه قد ينهي عنه بأن شوش على مصل أو نائم كذا نقله العلامة ابن علان عن الحزب الثمين ﴿لما فيه من التدبر﴾ أي تأمل ألفاظ ذكر معناه لتكمل الفائدة الذكر فإن ثواب الذكر موقوف على معرفته ولويوجه بخلاف القرآن قال الستوسنى في شرح عقيدته أم البراهين وقد نص العلماء على أنه لا بد من فهم معناها أى التهيلة والام يتبع بها صاحبها فى الاقتاد من الخلود فى النار انتهى ومثله كما قال ابن علان باقى الأذكار لا بد فى حصول ثوابه من معرفته ولويوجه ﴿فالمراد من الذكر حضور القلب فينبغي أن يكون هو مقصود الذكر فيحرص على تحصيله﴾ بنصب يحرص عطفًا على يكون ويكسر الراء ويجوز فتحها فى القاموس أنه من باب ضرب وإنما طلب منه ذلك ليفوز بأعظم أنواع الذكر وهو الجامع للقلب واللسان.

(فان قلت) فما بال ذكر الله سبحانه وتعالى من خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنتع من جملة العبادات البدنية والمالية مع كثرة المشتقات فيها كما هو ظاهر فاعلم أن تحقيق هذا البحث لا يليق إلا بعلم المكاشفة لحفاء أسره على عقول أهل المعاملة والقدر الذي يليق ويستحب تذكره فى علم المعاملة هو أن تعلم أن المؤثر النافع للذاكر هو الذكر على الدوام بحفظ ما يقنيه من المعرفة استحضارا واحترارا مع حضور القلب فأما الذكر باللسان فقط والقلب لاه غير حاضر فهو قليل الجدوى غير مؤثر فى الذكر وفى الأخبار المروية ما يدل على ذلك فمنها حديث أبى هريرة ؓ وأعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه وواه الترمذي وقال حسن والحاكم وقال حديث مستقيم الإسناد والمراد بالدعاء هنا الذكر وحضور القلب فى لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله عز وجل على الدوام أو فى سائر الأوقات هو المقدم على العبادات كلها بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرتها وللذكر أول وآخر فأوله يوجب الانس بالمذكور والحب فيه ولو تكلفا وآخره يوجب الانس والحب تخلقا وانصباغا ويصدر عنهما المطلبين الأعظم عند السالكين من الذكر هو ذلك الحب والانس لا غير وهذا ان يكونان وسيلتين الى ذكر الروح وهو غلبة حضور الحق على الحضور على الخلق بل الى ذكر السر وهو أن لا يكون له حضور مع غير الحق ولا يكون له خبر عن الكون فان المراد فى بداية الأمر وأول وضع قدمه فى السلوك قد يكون مكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس النفسى والخواطر الشيطانية الى ذكر

الله عز وجل فان وقف للمداومة على هذا التكلف اسره وانغمس في القليه حب المذكور وذهب ذلك التكلف عنه بالكلية ولكن هذا المقام لا يحصل الا بالمداومة على ما أشار له مريه بأن لا يتركه في سائر شأنه وما يعرض له في أثناء ذلك كيفية تخلية فليعرضها كالخط المستقيم فان تخيل هذا المعنى وشغل الخيال بأمر واحد مد للجمعية وقال بعض الأكابر اذا تغيرت شعرة من يدك بواسطة الحال وتأثرت ينبغي لك أن تتبع تلك الشعرة حتى يحصل المعطل كما قال بعضهم الشغل هو عدم الشغل وعدم الشغل هو الشغل .

وسأل الشيخ عبد الكريم العيني حضرة الولي سعد الدين الكاشغري ما الذكر قال لا اله الا الله قال ما هذا ذكر هذا عبادة قال اخذ أنت فقال الذكر أن تعلم أنك لا تقدر على وجدانه ولذا قال الجنيد رحمه الله تعالى الصدق هو أن تجلس ساعة متعطلا عن ملاحظة كل شيء ثم ان مقصود هذه الطائفة مشاهدة الحق في الذكر كأنه يراك ومملكة الحضور سمونها مشاهدة وتكون بالقلب ولا يصدر الاس والحب الا من المداومة على المكابدة والمجاهدة ورياضة النفس وتدريبها والتكلف من ذلك مدة طويلة بحسب همة السالك وقوته ومعرفته حتى يصير التكليف طبعاً مناسباً له لا يترك عنه ويصير حكمه حكم المزاج الذي لا يجد له عنه والسالكون في قطع المغارة على مراتب فمنهم من يقطع ذلك في سنين ومنهم في أربعين وهذا هو الحد الكامل عند السادة الخلوتية ومنهم في عشرين كما وقع لعنة الغلام وثابت البناني ومنهم في عشر ومنهم في أقل من ذلك وقد قلنا ان الصحيح ان ذلك مربوط بهمة السالك وقوة مريه فقد تقع المصلحة في لحظة وتحصل الملاحظة في لحظة وإليه الإشارة بقولهم ما سلم حتى ودع أي ما دخل في أول قدمه حتى ترك ما سوى الله .

وغالب البطء للسالكين انما يحصل من أمرين أحدهما الوقوف مع الموطن الذي أقيم فيه فيكون حاجباً له الى الوصول الى الترقيات الأتري أن العلم أشرف شيء فمن وقف معه حجبته عن الله ورجع الى كونه نعمة أنعم الله بها عليه ولا صعود في حقه ما لم ينزع نفسه عن الوقوف في ذلك الموطن والثاني الإيغال في تحرير أدلة التوحيد على طريقة المتكلمين فلما قام بإطائه أمر ما فناه ووقف مع قوله ليس كمثله شيء ولو علم ان الطريق الى المعرفة الله أسهل الأشياء وأوضحها لاستراح من أول قدم وفرغ الحل ليكون قابلاً للعوام والمعارف وأما أصحاب الفكر فهم الذين شغلوا الحل وصرفوه عن القبول الإلهي بالفكر فيما لا يصح اقتصاصه بالفكر فتأمل ذلك .

وما يؤيد ما ذكرت من بطء السالك تارة في سيره ما ذكره الشيخ الأكبر قدس سره في بعض مخاطباته ما معناه كان الشيخ أبو مدين رحمه الله تعالى بقصد قرب الطريق على المرادين فينتقلهم من هذه الطريق الى الفتح من غير أن يمروا على الملكوت لما فيه من الخطر وتعشق الأنفس به فاذا حصل للعبد تدلى الى العالم فكشفه بالحق تعالى ثم سأل السائل وقال له يا سيدي فهل للشيخ أثر في ذلك قال نعم هو بمنزلة الدليل الذي يقول لك أسالك هذه الجهة فانها أقرب من هذه والسلوك عندها بمنزلة الدائرة وهي درج يعترض السالك الى أن يرقى في جميعها فاذا خالف الأمر على ترتيب فيتعب أو يطول سلوكه فاذا وقع له المعارف اختصر له الطريق أما سمعت إشارة أبي يزيد رحمه الله بقوله وقفت مع المجاهدين فلم أرل معهم قدما ووقفت مع الصائمين والمصلين الى أن عد مقامات كثيرة في ذلك كله يقول فلم أرل معهم قدما فقلت يارب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك فاختصر له الطريق وهي اللفظ كلمة واحضر ما في الباب فلما ترك نفسه قام الحق معه وهذه أقرب الطرق .

ثم اعلم أن المراد بالمكابدة والمجاهدة هو الرياضة المعروفة للسادة الصوفية من الصوم والحلوة وإسالة النفس عن الشهوات المألوفة كما هو الثاني عند الأكثرين في مبدأ السلوك العام ولكن ينبغي أن تعرف أن الرياضة بالوجه المذكور انما اشترطها الحكماء لخلو افكارهم

التلقى عن الروحانيات فان الروحانيات لا تعطيهما أثرهما الانفراغ المحل واستعداده وتوجيهه الى افقهم وأما العارفون بالله تعالى فانهم علموا أن الأشياء كلها تنسبها الى الحق نسبة واحدة فهم يشهدونه سبحانه في كل شيء ولا يحجبهم عنه شيء ولهذا جاءت الشرائع بالأمر العام فثبت كل أحد على أضله اذ لكل نوع منهم أصل الى الحق فانهم ذلك والى ذلك أشار الشيخ شهاب الدين السهروردي في أجوبة أسئلة وردت له من مشايخ خراسان وهوان الخلوة معينة على دفع آفات النفس ومعرفة الزيادة والنقصان وقد يترقى المرید بنفس الشيخ وصحبته من غير أن يجلس في بيت مظلم بل يسرى اليه من باطن الشيخ ما يستغنى به من الخلوة لكن الخلوة تصلح لبعض المریدين غير أنى لأحب للمرید أن يترك الصلاة في جماعة بل يحضر الفرض ويرجع الى خلوته حتى لا تكون خلوته رهبانية وأما من ترك الجماعة وزعم أنه في الخلوة وان خرج يتشوش عليه خاطره وتفرق جميعه فهذا ضال مخطئ نعوذ بالله منه ومن يحسن له ذلك فهو يعين الضلال وابتاع المحال بل ببركة المتابعة وابتغاء فضل الجماعة يعود عليه من الفتح والنور مما فاته في خلوته انتهى .

ثم اذا حصل الأنس بذكر الله عز وجل انقطع من غير الله تعالى وعن نفسه فانها غير الله تعالى وهو المعبر عنه عندهم بالفناء وكل مشهد يعتمد الحق فيه بينك وبينه ذكر الاغيار أو ذكر نفسك وتزعم ان ذلك قرب فليس ذلك بقرب لكنك مجاور غير كائن في المقام فان القرب الهى يذهب الأكوان والأعيان اذا كنت فيه كأننا وتحقيق هذا المقام ان العبد بعد ان بعد الحقائق وبعد المسافات فبعد المسافات يتصور بعد القرب وأما بعد الحقائق فلا يتبدل أبدا فاذا أقامك الحق في مشهد وأشهدك نفسك فأنت في عين البعد لأنك كونه وأين الكون من الحق فينبهما البعد البعيد لكن لك حقيقة المجاورة المعنوية وهى أنه ليس بينك وبينه تعالى أمر زائد كما ليس بين الجوهرين المتجاورين حيز ثالث والله المثل الأعلى ولا يكون في هذا المقام الا المحققون وأما أرباب الأحوال من الصوفية فلهم الفناء عن أنفسهم فالحقق أثبت الرب والبعد وهو المتحقق فاذا اتقى البعد في حق العارف فذلك بالوقت هو صاحب حال لا صاحب تحقيق قاله الزبيدي .

وقال الامام أبو حامد الغزالي وغيره ان كان قد أنس بذكر الله تعالى تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت عائق فكانه يخلى بينه وبين محبوبه فعظمت غيبته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك قال ﷺ ان روح القدس نث في روعى أحب ما أحببت فانك مفارقة اراد به ما يتعلق بالدنيا من الأكوان والألوان فان ذلك يعنى في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فمن تعلقت همه بكون من الأكوان كأننا ما كان فهي مع غير الله فلا بد من دفع ذلك عنها وتعلقها به تعالى وخذه الذي من صفاته البقاء المطلق وأنه ذو الجلال والاكرام وانما تنفى الدنيا بالموت في حقه الى أن تنفى هي نفسها عند بلوغ الكتاب أجله المحتوم وهذا الأنس بالذكر يملأ به العبد بعد موته الى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويرقى من الذكر الى اللقاء وانما عبر عنه بالترقى لان الذكر حجاب عن المذكور بمنزلة الدليل والدليل متى أعطاك المدلول سقط عند تحققك بالمدلول وكذلك الذكر متى كت مع المذكور فلا ذكر وهذا هو اللقاء ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول أنه عدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فانه لم يعدم عدم ما يمنع الذكر بل عدم ما من عالم الدنيا وعالم الملك وعالم الشهادة لا من عالم الملكوت الذي هو الغيب المخص .

وسئل الشيخ الأكبر قدس سره عن قول الغزالي رحمه الله تعالى اذا صار السالك في سماء الدنيا أمن خاطر الشيطان وعصم منه فأجاب ههنا تحقيق يتبع أن يتفطن له وذلك ان القول انما يثبت اذا صار الحد فوق سماء الدنيا اذا مات الإنسان انتقلت نفسه وأما اذا كان في عالم الكشف وكذا كشف السموات فانه يرى فيها بروحانيته فقط وخیاله متصل وللشيطان موازين يعلم بها أين مقام العبد في

ذلك المشهد فيظهر من مناسبات المقام ما يدل عليه الوهم والشبهة فإن كان عند السالك ضعف أخذ عنه وتحقيق بالجهل ونال الشيطان منه عرضه في ذلك الوقت وإن كان عازفاً أو على يد الشيخ محقق فإن تم سلوكاً ثبت به ما جاء به الشيطان ويستوفيه ثم يأخذ منه فيصير مشهد الشيطان مشهداً ملكياً ثابت لا يقدر الشيطان أن يدفعه فيذهب خاسراً خاسئاً ومنهم من أخذ من العدو وما أتى به ويقلب عين ذلك الشبه فيرده خالصاً إبريزاً انتهى .

قالوا وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ القبر اما حفرة من حفر النار أو روضه من رياض الجنة وبقوله ﷺ ارواح الشهداء في حواصل طيور خضراء وبقوله ﷺ لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وسماهم النبي ﷺ بأسماءهم وأسماء آبائهم هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً من القتل والحزنى فأنى وجدت ما وعدنى ربى حقاً من البصر والغلبة فسمع عمر رضي الله عنه قوله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جئنا فقال ﷺ والذي نفسي بيده ما أتم بأجمع كلامي منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيب رواء مسلم وفي صحيحه هذا قوله عليه الصلاة والسلام في المشركين وأما المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ أن ارواحهم في حواصل طيور خضراء معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال تعالى لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية .

ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادات على غيرها لأن المطلوب الأعظم الخاتمة فإن حسنت قبلت الأعمل كلها وتعنى بالخاتمة هنا وداع الدنيا وتركها والقعود على الله عز وجل بكمال همه والقلب مستغرق بالله تعالى منقطع العلائق عن غيره وذلك بمراعاة الانفاس الصاعدة مع الله وهذه أعلى المراتب ودون ذلك من يزاعى ساعاته وأقل العارفين رتبة من يزاعى يومه وذلك أقل الدرجات فهذا معنى الاستغراق بالله فإن قدر عبد على أن يجعل همه كله بعد ضمه عن التشتت مستغرقاً بالله تعالى فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال فإنه قطع الطمع عن نفسه وأهله وماله وولده بل من الدنيا كله فإنه يريد لها حياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك في الشرع ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيها من الفضائل ما لا يحصى ثم إن القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة المرضية فإنه لم يقتل وبقي مدة من الزمان ربما عادت شهوات الدنيا إليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله تعالى فبعد أن كان مؤهلاً للرتبة العلية والحضور مال عنها وتشاغل بالخطوط فذلك دليل حذر لا نعوذ بالله من ذلك ولهذا أعظم خوف أهل المعرفة بالله تعالى من سوء الخاتمة فإن القلب وإن أزم ذكر الله تعالى فهو متقلب فهو إذا لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولذاتها ولا ينفك عن فترة تعثره فاذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل من الدنيا على هذه الحالة فيبقى استلاؤه عليه فيحن بعد الموت إليه ويتمنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة اذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه وأسلم الأحوال من هذا الخطر العظيم خاتم الشهادة في سبيل الله إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال من الغنيمة أو أن يقال شجاع أو غير ذلك كما ورد به الخبر بل محض حب الله تعالى وإعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بأن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الآية ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا إله إلا الله فإنه لا مقصد للشهيد سوى الله عز وجل ولا معبود له سواه وكل مقصود إليه في الحقيقة معبود وكل معبود اله .

وقال مشايخ التتبعين معنى لا إله نفي الألوهية الطبيعية والا الله إثبات المعبود بالحق وقال بعضهم بل يتصور في النفي لا معبود والتوسط يلاحظ لا مقصود والمنتهى لا موجود وما لم ينته السير إلى الله بوضع القدم في السير في الله تكون ملاحظته لا موجود إلا الله

وإذا ذكر الله تعالى وقلبه غافل عنه فهو غير ذاك له بل ناس له بقلبه ومغلق بلسانه فينبغي توبته من ذلك ولزوم الاستغفار منه وقال بعضهم من قال الله وقلبه غافل عن الله فخصمه في الدارين الله وقال القطب المحقق سهل بن عبد الله التستري لا أعرف معصية أقيح منه أعادنا الله من الغفلة في الذكر والصلاة ورزقنا الإخلاص والحضور فيهما

﴿باب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴿أخرج﴾ التيمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا على فإن الصلاة على كرامة لكم وزكاة فمن صلى على صلاة صلى الله عليه عشرا * وأحمد أناني آت من ربي عز وجل

كفرا انتهى نقله الزبيدي وهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا يقصود له سواء ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره في مشيئة الله عز وجل ان شاء أخذه وان شاء عفا عنه ولكن لا يؤمن في حاله الخطر لمخالفة حاله موطنه ولذلك فضل رسول الله ﷺ قول لا اله الا الله على سائر الأذكار وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع مقيدا مع الصدق والإخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الإخلاص مساعدة الحال للمقال فنسأل الله تعالى أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا اله الا الله حالا وذوقا ومشهدا ومقالا وظاهرا وباطنا .

ثم قال المصنف رحمه الله ﴿وإذا ذكر الله تعالى وقلبه غافل عنه فهو غير ذاك له بل﴾ هو ﴿ناس له بقلبه ومغلق بلسانه فينبغي توبته من ذلك﴾ أي غفلة القلب ﴿ولزوم الاستغفار منه وقال بعضهم من قال الله وقلبه غافل فخصمه في الدارين﴾ أي في الدنيا والآخرة ﴿الله﴾ تعالى ﴿وقال القطب المحقق سهل بن عبد الله التستري﴾ رحمه الله تعالى ﴿لا أعرف معصية أقيح﴾ وأقطع ﴿منه﴾ أي من الغفلة عند الذكر ﴿أعادنا الله من الغفلة في الذكر﴾ في ﴿الصلاة ورزقنا الإخلاص والحضور فيهما﴾ أي في الذكر والصلاة .

* خاتمة * ينبغي لمن كان له وظيفة من الذكر في وقت من ليل أو نهار أو عقيب صلاة أو حالة من الأحوال فقاتته أن يتداركها ويأتي بها إذا تمكن منها ولا يهملها فانه إذا اعتاد الملازمة عليها لم يعرضها للتفويت وإذا تساهل في قضائها سهل عليه تضييعها في وقتها وقد ثبت في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب ؓ قال قال رسول الله ﷺ من نام عن حزيه أو عن شيء فقرأ ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل .

﴿باب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم﴾

﴿قال تعالى﴾ ان الله وملائكته يصلون على النبي ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ معنى الصلاة العطف وهو النسبة الى الله تعالى اما ثناؤه على العبد عند الملائكة وهذا هو الأليق في تفسير صلاة الله على أنبيائه واما كمال الرحمة والنسبة الى غيره تعالى الدعاء بخير ويكون الصلاة بمعنى العطف اتضح كل اتضح تعديتها على وانما أكد التمسك دون الصلاة لاستغنائها عن التأكيد بوقوعها من الله وملائكته لدلالة ذلك على أنها من الشرف بمكان .

﴿أخرج التيمي أن رسول الله ﷺ قال صلوا على﴾ ندا وقيل وجوبا كلما ذكرت ﴿فان الصلاة على كرامة لكم وزكاة﴾ أي طهرة وبركة ﴿فمن صلى على﴾ أي طلب ودعوى بزيادة قرب منه تعالى ﴿صلاة﴾ واحدة ﴿صلى الله عليه﴾ بها ﴿عشرا﴾ أي تجلى عليه فوجه عشر رحمت وكلما زاد زاده بلك النسبة ﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد﴾ عن أبي طلحة بن زيد بن سهل الأنصاري ؓ باسناد حسن ﴿أناني آت﴾ أي ملك وفيه اشعار بأنه غير جبريل ﴿من﴾ عند ﴿ربي عز وجل﴾ أي برسالة بأمره

فقال من صلى عليك من أمك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها * والطبراني من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا

﴿ فقال من صلى عليك من أمك صلاة ﴾ قال المناوي أي طلب لك من الله دوام التشريف ومزيد التعظيم ونكرها فيد حصولها بأي لفظ كان لكن لفظ الواردة أفضل وأفضل الوارد المذكور بعد الشاهد ﴿ كتب الله ﴾ أي قدر أو أوجب ﴿ له بها عشر حسنات ﴾ أي ثوابها مضاعفا إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة لأن الصلاة ليست حسنة متعددة ﴿ ومحا ﴾ أي أزال ﴿ عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها ﴾ أي يقول عليك صلاتي على وفق القاعدة وهي أن الجزاء من جنس العمل .

* فائدة * قال ابن عبد البر نقله العلقمي وغيره لا يجوز لأحد إذا ذكر النبي ﷺ أن يقول رحمه الله لأنه قال من صلى على ولم يقل من ترحم على ولا من دعا لي وإن كان معنى الصلاة الرحمة ولكنه خص بهذا اللفظ تعظيما له فلا يعدل عنه إلى غيره ويؤيده قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا انتهى قال أبو القاسم شارح الإرشاد الأنصاري يجوز ذلك مضافا للصلاة ولا يجوز مفردا وفي الذخيرة من كتب الحنفية عن محمد بكرو ذلك لانيهاه النقص لأن الرحمة غالبا إنما تكون بفعل ما يلام عليه انتهى وقول الأعرابي وحديثه في الصحيحين اللهم ارحمني ومحمدا فقد يجاب عنه بأن الدعاء فيه على سبيل التبعة لما قبلها وقوله في حديث أبي الداود كان يقول بين السجدين اللهم اغفر لي وارحمني إلى آخره قال شيخنا قلت لا يرد بهذا على ابن عبد البر حيث منع الدعاء له ﷺ بالمغفرة والرحمة فإن هذا الحديث سبق للتشريع وتعليم الأمة كيف يقولون في هذا الحل من الصلاة مع ما فيه من تواضعه ﷺ لربه وأما نحن فلا ندعيه إلا بلفظ الصلاة التي أمرنا أن ندعوه بها لما فيها من التعظيم والتعظيم والتبجيل اللائق بمنصبه الشريف وقد وافق ابن عبد البر على المنع أبو بكر بن العربي ومن أصحابنا الصيدلاني ونقله الرافعي في الشرح وأقره والنووي في الأذكار كذلك ذكره العزيمى ﴿ و ﴾ أخرج ﴿ الطبراني ﴾ عن أبي طلحة ﴿ من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا ﴾

* تنبيه * سئل الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى ما معنى قوله ﷺ من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا وما معنى صلاة الله على من صلى عليه وما معنى صلواتنا عليه وما معنى استدعائه من أمته الصلاة عليه أي تاح لذلك أم هو شفعة على الأمة فأجاب رحمه الله تعالى بقوله أما صلاة الله على نبيه وعلى المصلين عليه فمعناه إفاضة أنواع الكرامات ولطائف النعم وأما صلواتنا عليه وصلاة الملائكة فهو سؤال وإبتهال في طلب تلك الكرامة ورغبة في إفاضة ما عليه كقول القائل غفر الله له ورحمه فإن ذلك يختص بالرحمة وطلب الغفر بالستر ولذلك تختص الصلاة به ودونه قولك رضى الله عنه فتخص الصلاة بالأنبياء وطلب الرضا بالصحابة والأولياء والعلماء وطلب الرحمة والمغفرة للعوام وأما استدعاؤه الصلاة من أمته فتلاثة أمور أحدها أن الأدعية مؤثرة في استدراار فضل الله ونعمته ورحمته لاسيما في الجمع الكثير كالجمعة وعرفات والجماعات فإن اللهم إذا اجتمعت وانصرفت إلى طلب ما في الامكان وجوده على قرب كالمطر وزرع الوباء وغيره فاض من الفيض الحق بوسائط إلى روحانيات المتراسخين لتدير العالم الأسفل المقضى لتقهرهم وإنما أثرت اللهم لما بين أرواح البشرية والروحانيات العالية من المناسبة الذاتية هذه الأرواح بحانسة تلك الجواهر وإنما يقطع بحانستها التدنس بكدورات الشهوات ولذلك تكون همه القلوب الزاكية الطاهرة أسرع تأثيرا وتكون في حالة التضرع والابتهال أنجح لأن حرقه التضرع تذيب كدورات الشهوات عن القلب في الحال وتصفيه وتكشفه من الظلمة ولذلك ما يخطئ دعاء الجمع ولا يحلو الجمع من قلوب طاهرة يزيدون التعاون تأثيرا وإنما كان يوم الجمعة وقتا يستجاب فيه الدعاء منهم لأن الحال الذين يجتمع فيه على قلوب صافية واحد لا يدرى هو

ومن صلى على عشرين صلى الله عليه مائة ومن صلى على مائة كتب الله له بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكبه يوم القيامة مع الشهداء * وابن عساکر أكثروا الصلاة على فان صلاتكم على مغفرة لذنوبكم واطلبوا الي الدرجة والوسيلة فان وسيلتي عند ربي شفاعة لكم *

لكن الغالب أن اليوم لا يخلو عنه وهو وقت النفحات التي يتعرض لها وربما كان اجتماع الهمم يوم الجمعة عند أسباب الجامعة كابتداء الخطبة وابتداء الصلاة وكانت الصلاة أولى لكن الأولى أن لا يحزم القول بتعين وقته بل بهم وكذلك يتوقع تلك النفحات في الأسفار لصفاء القلوب فاذا كانت الأدعية مؤثرة في استجلاب نواهد الفضل وكان ما وعد رسول الله ﷺ من الخوض ومرتبة الشفاعة وغير ذلك من المقامات المحمودة غير محدود على وجه لا تصور الزيادة فيها فاستبداده من الأدعية استزادة لتلك الكرامات الأمر الثاني ارتباجه كما قال ﷺ اني أناهي بكم الأسم وكما لا يبعد أن يطلع النائم منا على الغيب من أحوال الموتى مع كوننا في هذا العالم المظلم فلا يبعد أن تحصل للأرواح معرفة بما جازى أحوالنا مع أنهم في عالم القدس والصفاء ودار الحيوان ووجه اطلاع النائم على أحوال الموتى واطلاع الموتى على أحوال الناس يطول ذكره الأمر الثالث الشفعة على الأمة فخر بعضهم على ما هو حسنة في حقهم وقرية لهم وانما تضعف الصلاة ليست حسنة واحدة بل حسنات اذ فيها تجديد الايمان بالله أولا ثم بالرسول ثانيا ثم بتعظيمه ثالثا ثم بالعناية بطلب الكرامة له رابعا ثم بتحديد الايمان باليوم الآخر وأنواع الكرامات خامسا ثم بذكر الله سادسا وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ثم بتعظيم الله بنسبتهم اليه سابعا ثم باظهار المودة لهم ثامنا ولم يسأل ﷺ من أمته مودة في القربى ثم الابتهاج والتضرع في الدعاء تاسعا والدعاء مع العبادة ثم بالاقرار عاشرا بأن الأمر كله لله وأن النبي وإن جل قدره فهو محتاج الى رحمة الله عز وجل فهذه عشر حسنات سوى ما ورد الشرع به من أن الحسنة الواحدة بعشر أمثالها وأن السيئة بمثلها فقط وسره ان الجوهر الانساني حنان الى ذلك العالم على خلاف طبعه والحسنة ترقية الى موافقة الطبع والقوة التي تحرك الحجر الى فوق هي نفسها ان استعملت في تحريكه الى أسفل تحرك عشرة أذرع أو زيادة فلماذا كانت الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف .

ومن صلى على عشرين صلى الله عليه مائة ومن صلى على مائة كتب الله له بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار * أي أمر الله جل وعز الملائكة بكتابة ذلك له * وأسكبه * الله سبحانه * يوم القيامة مع الشهداء * أخرجه البيهقي عن أبي هريرة وابن عدي عن أنس بن مالك وسعيد بن منصور عن الحسن البصري وخالد بن معدان مرسلا أكثروا الصلاة على في الليلة القراء واليوم الأزمه فلان صلاتكم تعرض على وأخرج ابن ماجه عن أبي الدرداء أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهد الملائكة وان أحدا ان يصلي على الاعرضت على صلاته حين يفرغ منها قال أبو الدرداء قلت وبعد الموت يا رسول الله قال وبعد الموت ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنسب الله حتى يرزق وأخرج البيهقي عن أبي أمامة * أكثروا من الصلاة على في كل يوم جمعة فان صلاة أنسى تعرض على في كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم منى منزلة وأخرج البيهقي عن أنس أكثروا من الصلاة على في يوم الجمعة والليلة الجمعة فمن فعل ذلك كتب له شهيدا أو شافعا يوم القيامة .

و * أخرجه * ابن عساکر * عن الحسن بن علي رضي الله عنهما * أكثروا الصلاة على * أي في كل وقت لكن في يوم الجمعة وليلتها أكد كذا تقدم * فان صلاتكم على مغفرة لذنوبكم * أي بسبب مغفرتها * واطلبوا الى الدرجة والوسيلة فان وسيلتي عند ربي شفاعة لكم * أي لعصاة المؤمنين منكم يمنع العذاب أو دوامه ولمن دخل الجنة برفع اليد رجاء فيها قاله الثوري فطلب الوسيلة ثمرة

وابن أبي عاصم ألا أخبركم بأجل الناس قالوا بلى يا رسول الله قال من ذكرت عنده فلم يصل على فذلك أجل الناس * والتميزي وابن بشكوال موقوفاً على أبي بكر رضي الله عنه قال الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق للخطايا من الماء للنار والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من عرق الرقاب وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من مهج الأنفس أو من ضرب السيف في سبيل الله * والطبراني من قال جرى الله عنا محمداً بما هو أهله أتعب سبعين ملكاً ألف صباح * وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة تحت ظل الرحمن عز وجل يوم لا ظل إلا ظله قيل من هم يا رسول الله قال من فرج عن مكروب من أمي

فيهما والأول من الشيطان والثاني من الرحمن انتهى . قال العزيمي: ويحتمل بناؤهما للفاعل فليأمل . وأخرج ابن السني عن جابر من ذكرت عنده ولم يصل على فقد شقى قال العلامة الحفني: أي بعد عن منازل المقربين . وأخذ بعضهم بظاهره فأوجب الصلاة عليه عند ذكره . والمعتمد عندنا سن ذلك

﴿ وأخرج ابن أبي عاصم: ألا أخبركم بأجل الناس؟ قالوا: بلى، أخبرنا ﴾ يا رسول الله قال: ﴿ عليه الصلاة والسلام هو ﴾ من ذكرت عنده فلم يصل على فذلك أجل الناس . ﴿ وأخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: البخل من ذكرت عنده فلم يصل على . قال الترمذي عند هذا الحديث يروى عن بعض أهل العلم قال: إذا صلى الرجل على النبي ﷺ مرة في مجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس . وقال الزبيدي وإنما كان ما ذكر بخلاف البخل منع الفضل والامساك عن بذل ما ينبغي بذله شرعاً قال بعضهم في شرح الباب قال بعض الصحابة لرسول الله ﷺ صلاة الله عشرة لمن صلى عليك مرة واحدة هل ذلك لمن كان حاضراً القلب؟ قال: لا بل هو لكل مصل على غافل ويعطيه الله أمثل الجبال والملائكة تدعوله وتستغفله . وأما إذا كان حاضراً القلب وقت الصلاة عليه فلا يعلم قدر ذلك إلا الله تعالى ﴾ ﴿ وأخرج الترميزي وابن بشكوال موقوفاً على أبي بكر ﴾ الصديق ﴾ رضي الله عنه قال: الصلاة على رسول الله ﷺ أحق من أي أذهب للخطايا من أحاق الماء للنار والسلام على النبي ﷺ أفضل من عرق الرقاب وحب رسول الله ﷺ أفضل من بذل مهج الأنفس أي دمه وروحها ﴿ أو من ضرب السيف في سبيل الله ﴾

قال أبو الليث: إذا أردت أن تعرف أن الصلاة على النبي ﷺ أفضل من سائر العبادات فانظر وتذكر في قول الله سبحانه وتعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً . ففي سائر العبادات أمر الله تعالى عباده بها . وأما الصلاة على النبي ﷺ فقد صلى عليه بنفسه أولاً وأمر ملائكته بالصلاة عليه ثم أمر المؤمنين بأن يصلوا عليه فثبت بهذا أن الصلاة على النبي ﷺ أفضل العبادات . وعن أبي بردة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: أربع من الحفاء أن ينزل الرجل وهو قائم وأن يمسخ جبهته قبل أن يفرغ من الصلاة وأن يسمع النداء فلا يشهد مثل ما يشهد المؤذن وإن أذكر عنده فلا يصلي على .

﴿ وأخرج الطبراني ﴾ في الكبير والأوسط ﴾ من قال: جرى الله عنا محمداً بما هو أهله ﴾ من العطايا السنية ﴾ أتعب سبعين ملكاً ﴾ وفي رواية كاتباً ﴾ ألف صباح ﴾ بكتابة ثوابه وهذا كناية عن كثرة ثواب ذلك القائل ﴾ وروي أن النبي ﷺ قال: ثلاثة تحت ظل ﴾ عرش ﴾ الرحمن عز وجل يوم لا ظل إلا ظله ﴾ أي ظل عرشه لما تقرر ﴾ من هم يا رسول الله؟ قال: من فرج ﴾ بتشديد الزاء ﴾ عن مكروب من أمي ﴾ أي كشف الكروب عنه . قال الفيومي: وفرج الله الغم بالتشديد كشفه والاسم الفرج بفتحين وفرجه فرجاً من باب ضرب لغة وقد جمع الشاعر اللغتين فقال:

يا فرج الكروب مسد ولا عساكره * كما يفرج غم الظلمة الملق

ومن أحياسنتي ومن أكثر الصلاة على وعنه صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب .

«ومن أحياسنتي» أي أظهر سنة متروكة بأن نسب في العمل وأشهارها فقد شبه أظهارها بالأحياء بجامع النفع أفاده الحنفى «ومن أكثر الصلاة على» وعنه عليه السلام قال : من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب . قال الحافظ العراقي رواه الطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في الثواب والمستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند ضعيف انتهى . ورواه أيضا أبو القاسم التميمي في الترغيب والخطيب في شرف أصحاب الحديث وابن بشكوال بسند ضعيف وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال ابن كثير أنه لا يصلح وفي لفظ لبعضهم : لم تزل الملائكة تستغفرون له في آخر من كتب في كتابه عليه السلام لم تزل الملائكة تستغفرون له مادام في كتابه . وعن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كتب عني علما فكب معه صلاة على لم يزل في أجر ما قرئ ذلك الكتاب أخرجه الدارقطني وابن بشكوال من طريقه وابن عدي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى على في كتاب لم تزل الصلاة جارية له مادام اسمي في ذلك الكتاب . أخرجه أبو القاسم التميمي في ترغيبه ومحمد بن الحسن الهاشمي . وقال ابن كثير لا يصلح . وقال الذهبي : أحسبه موضوعا وقال الحافظ السخاوي : روى مرفوعا من كلام جعفر الصادق . وقال ابن التيم : وهو الأشبه برويه محمد بن حميد عنه قال : من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب صلت عليه الملائكة غدوة ورواحا مادام اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب نقله السخاوي في القول البدع والكتاب أعم من أن يكون كتاب علم يدرس فيه أو صحيفة يرسلها إلى أخيه . والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أعم من أن يكون بالكتابة أو بالنطق أو بالجمع بينهما وهو الأفضل

وقد ذكر صاحب الدلائل عن بعض الصالحين قال : كان لي جار نساخ فمات فرأيت في المنام فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفرتي فقلت : فبم ؟ فقال : كتبت إذا كتبت اسم محمد صلى الله عليه وسلم في كتاب صليت عليه فأعطاني ربي مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقال بعضهم : كتبت أكتب الحديث وأصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ولا أسلم ، يعني كان يكتب صلى الله عليه وسلم فقط فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي أما تم الصلاة على في كتابك ؟ ، فما كتبت بعد ذلك اسمه الشريف أو وصفه أو خلقا من أخلاقه الأصلية وسلمت في الكتاب فليحذر الكاتب من ذلك ومن الناس من يشير إلى هذه الجملة بالصاذ المقتطوعة وليس بمحمود ومنهم من يكتب صلعم هكذا يشير به إلى الصلاة والسلام وهو أشد منعا وقد رأيت ذلك كثيرا في كتاب العجم والأفضل أن يقول صلى الله عليه وسلم أو يقول : عليه الصلاة والسلام ثم رأيت في القول البدع للحافظ السخاوي قال : وأما الصلاة عليه عند كتابة اسمه صلى الله عليه وسلم وما فيه من الثواب وذم من أغفله ، فاعلم أنه كما تصلى عليه بلسانك فكذلك خط الصلاة عليه بينناك مهما كتبت اسمه الشريف في كتاب فإن لك به أعظم الثواب وهذه الفضيلة يفوز بها تبع الآثار ورواه الأخبار وحملته السنة فيألفها من منة وقد استحسب العلماء أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما كبه . قال ابن الصلاح ينبغي أن يحافظ على كتابة الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذكره ولا يسأم من تكرره ذلك عند تكراره فإن ذلك من أكبر الفوائد التي يتعجلها طلبة الحديث وكتبه ومن أغفل ذلك حرم حظا عظيما وقد رأينا لأهل ذلك منامات صالحة وما يكتبه من ذلك فهو دعاء ينشئه كلام يرويه فلذلك لا يتعبد فيه بالرواية ولا يقتصر فيه على ما في الأصل وكذا الأمر في الثناء على الله سبحانه عند ذكر اسمه نحو عز وجل وتبارك وتعالى ومضاهي ذلك قال ثم لتجنب في إثباتها تقصين من أن يكتبها منقوصة صورة رامت إليها مجرفين أو نحو ذلك يعني كما يفعله الكسبالي والجهلة وعوام الطلبة فيكتبون صورة صلعم بدلا عن صلى الله عليه وسلم والثاني أن يكتبها منقوصة معنى بأن لا يكتب فيها وسلم

«وروى التيمي عن زين العابدين أنه قال علامة أهل السنة كثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم»

وان وجد ذلك في خط بعض المتقدمين ثم قال الحافظ السخاوي: وروى عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة يجيء أصحاب الحديث ومعهم المحابر فيقول الله لهم: أنتم أصحاب الحديث طالماكمم تكبون الصلاة على النبي ﷺ انطلقوا إلى الجنة أخرجه الطبراني عن الدبري عن عبد الرزاق عن معمر بن الزهري عن أنس وأخرجه ابن بشكوال عن طريقه. قال السخاوي: وقد أخرجه الخطيب من طريق محمد بن يوسف بن يعقوب الرقي عن الطبراني بسنده وقال الخطيب: أنه موضوع والحمل فيه على الرقي انتهى. وقد رواه أبو الحسن الروياني في فوائده من طريقه أيضا عن الطبراني لكن قال عن معمر عن قتادة عن أنس ولم ينفرد به الطبراني بل هو في مسند الفردوس من غير طريقه ولفظه: إذا كان يوم القيامة جاء أصحاب الحديث بأيديهم المحابر فيأمر الله جبريل عليه السلام أن يأتيهم فيسألهم من هم؟ فيقولون نحن أصحاب الحديث فيقول الله لهم: ادخلوا الجنة فقد طالماكمم تصلون على النبي ﷺ وأخرجه التميمي باللفظ الأول.

وعن سفيان الثوري قال: لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على النبي ﷺ فإنه يصلي عليه ما دام في ذلك الكتاب صلى الله عليه وسلم أخرجه الخطيب وابن بشكوال وعند الخطيب أيضا من طريقه ابن بشكوال عن سفيان بن عيينة قال حدثنا خلف صاحب الخلقان قال: كان لي صديق يطلب الحديث فمات فرأيت في المنام وعليه ثياب خضر جديد يحول فيها فقلت له: ألسنت كتبت طلب معنى الحديث؟ فما هذا الذي أرى فقال: كتبت أكتب معكم الحديث فلا يروى حديث فيه ذكر النبي ﷺ الا كتبت في أسفله ﷺ فكانني بهذا الذي ترى على صلى الله عليه وسلم. وروى التميمي عن سفيان بن عيينة أيضا قال: كان لي أخ مؤاخ لي فمات فرأيت في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: بماذا؟ قال: كتبت أكتب الحديث فإذا جاء ذكر النبي ﷺ كتبت صلى الله عليه وسلم أنغى بذلك الثواب فغفر لي بذلك. وعن أبي الحسن الميموني قال: رأيت الشيخ أبا علي الحسن بن عيينة في المنام بعد موته وكان على أصابع يديه شيء مكتوب بلون الذهب أو بلون الزعفران فسألته عن ذلك فقلت: يا أبا أساذي أرى على أصابعك شيئا مليحا مكتوبا ما هو؟ قال: يا بني هذا الكسبي صلى الله عليه وسلم في حديث رسول الله ﷺ رواه أبو القاسم التيمي في ترغيبه. وروى الحافظ السلفي في فوائده بسنده إلى أبي عبد الله أحمد بن عطاء المروزي أن يقول سمعت أبا صالح عبد الله بن صالح الصوفي يقول: روى بعض أصحاب الحديث في المنام قتيلا ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، فقلت له: بأي شيء؟ فقال: بصلاتي في كسبي على رسول الله ﷺ كذا ذكره الزبيدي.

«وروى التيمي عن زين العابدين» علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم «أنه قال: علامة أهل السنة الجماعة كثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم». وفي الإتحاف للزبيدي إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية قال الجبائي في حاشيته على شرح العقائد: الاعشاعرة هم أهل السنة والجماعة هذا هو المشهور في ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الأقطار وفي ديار ما وراء النهر يطلق ذلك على الماتريدية أصحاب الإمام أبي منصور وبين طائفتين اختلاف في بعض المسائل كسئلة التكوين وغيرها انتهى. وقال الكسلي في حاشيته عليه المشهور من أهل السنة والجماعة في ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الأقطار هم الاعشاعرة أصحاب أبي الحسن الأشعري أول من خلف أبا علي الجبائي من المعزلة ورجع عن مذهبه إلى السنة أي طريق النبي ﷺ والجماعة أي طريقة الصحابة رضي الله عنهم وفي ديار ما وراء النهر الماتريدية أصحاب أبي

وذكر ابن الجوزي في سلوة الأحرار أن آدم عليه السلام لما رام القرب من حواء طلبت منه المهر فقال يا رب ماذا أعطيها قال يا آدم صل على صفي محمد صلى الله عليه وسلم عشرين مرة ففعل *

منصور الماتريدي تلميذ أبي نصر العياض تلميذ أبي بكر الجورجاني صاحب أبي سليمان الجوزاني صاحب محمد بن الحسن صاحب الإمام أبي حنيفة وبين الظاهرين اختلاف في بعض الأصول كمسئلة التكوين ومسئلة الاستثناء والايان ومسئلة ايمان المقلد والمحققون من الفريقين لا ينسب أحدهما الآخر الى البدعة والضلالة انتهى .

وقال ابن السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب : اعلم أن أهل السنة والجماعة كلهم قد اتفقوا على معتقد واحد فيما يجب ويجوز ويستحيل وإن اختلفوا في الطرق والمبادئ الموصلة لذلك وبالجملة فهم بالاستقراء ثلاث طوائف الأولى أهل الحديث ومعتد مبادهم الأدلة السمعية أعنى الكتابة والسنة والاجماع الثانية أهل النظر العقلي والصناعة الفكرية وهم الأشعرية والحنيفة وشيخ الأشعرية أبو الحسن الأشعري وشيخ الحنيفة أبو منصور الماتريدي وهم متفقون في المبادئ العقلية في كل مطلب يتوقف السمع عليه وفي المبادئ السمعية فيما يدرك العقل جوازه فقط والعقلية والسمعية في غيره واتفقوا في جميع المطالب الاعتقادية الا في مسئلة التكوين ومسئلة التقليد الثالث أهل الوجدان والكشف وهم الصوفية ومبادئهم مبادئ أهل النظر والحديث في البداية والكشف والالهام في النهاية انتهى . ولعلم أن كلام الامامين أبي الحسن وأبي منصور رضى الله عنهما وجزاهما عن الاسلام خيرا لم يبدعا من عندهما رأيا ولم يشقا مذهبا انما هما مقرران لمذاهب السلف مناصلان عما كانت عليه أصحاب رسول الله ﷺ فأحدهما قام بنصرة نصوص مذهب الشافعي وما دلت عليه والثاني قام بنصرة نصوص مذهب أبي حنيفة وما دلت عليه ناظر كل منهما فالانساب اليهما انما هو باعتبار أن كلا منهما عقد على طريق السلف نطقا أو تمسكا وأقام الحجج والبراهين عليه فصار المقدي به في تلك المسالك والدلائل يسمى أشعريا وماتريديا وذكر العزني عبد السلام أن عقيدة الأشعري أجمع عليها الشافعية والمالكية والحنيفة وفضلاء الحنابلة ووافقه على ذلك من أهل عصره السبكي فيما نقله عنه ولده التاج .

«وذكر ابن الجوزي في كتاب «سلوة الأحرار أن آدم عليه السلام لما رام القرب» أي قصده «من حواء» عليها السلام «طلبت منه المهر فقال: يا رب ماذا أعطيها؟ قال: يا رب ما أعطيها آدم صل على صفي محمد ﷺ عشرين مرة ففعل .» آدم عليه السلام ما أمره ربه خلافا لصاحب النزعة حيث قال تقي الدين الكسائي وغيره : لما خلق الله آدم خلق من ضلعه الأيسر حواء وهو في الجنة وأودعها حسن سبعين حورا فصارت حواء بين الخور العين كالقمر بين الكواكب وكان آدم نائما فلما استيقظ مديده اليها فقبل له حتى تودى مهرها قال : وما هو قال : أن تصلي على محمد ثلاث مرات . وقيل حتى تعلمها معالم دينها وكان آدم عليه السلام أودعه الله من الحسن والكمال حتى أن خده الأيمن يغلب شعاع الشمس وكان نور محمد ﷺ في خده الأيمن والأيسر يغلب القمر وكان يوسف عليه السلام فيه فلما نظر آدم في وجه حواء ونظرت حواء في وجه آدم قال : يا حواء ما أرى أن الله تعالى خلق خلقا أحسن منك ومنى فأوحى الله تعالى إلى جبريل : خذ بيد حواء وآدم إلى الفردوس الأعلى واقفح لهما قصرا من القصور ففتح باب قصر من الياقوت الأحمر فيه قبة من الكافور على قوائم الزبرجد في روضة من زعفران ففتح جبريل باب القبة فرأى سريرا من الذهب قوائمه من الدر عليه جارية لها نور وشعاع وعلى رأسها تاج من الذهب مرصع بالجواهر لم ير آدم أحسن منه عليه صورة جميلة فقال آدم : يا رب من هذا الصورة قال فاطمة بنت نبي محمد ﷺ قال : يا رب من يكون بعلا ؟ فقال الله تعالى يا جبريل افتح باب قصر من ياقوت ففتح له فرأى في

وقال كعب الأخبار أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام في بعض ما أوحى إليه يا موسى أتحب أن لا ينالك من عطش يوم القيامة قال إلهي نعم قال فأكثر الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم *

قبة من الكافور فيها سرير من ذهب عليه شاب حسنه كحسن يوسف عليه السلام فقال هذا بعلمها على بن أبي طالب فقال: يا رب هل لهما أولاد؟ فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن يفتح باب قصر من اللؤلؤ ففتح باب قصر من اللؤلؤ فيه قبة من الزبرجد فيها سرير من العنبر عليه صورة الحسن والحسين رضي الله عنهما فرجع آدم إلى موضعه فلما زوج الله تعالى بحواء نشرت عليهما الملائكة نشار الجنة فصار نشر اللوز والنسكرو والزبيب ونحو ذلك جللا ويجوز التقاطه وتركه أولى الا اذا عرف أن الناشر لا يؤثر بعضهم على بعض ولم يقدح التقاط في مرقته ومن أخذه ملكه وان وقع في ثوبه بقصده ويكره أخذه من الهواء ثم أمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن يأتي بفرس من الجنة حليها من مسك وكافور وزعفران لها أجنحة من الجواهر وركبها آدم عليه السلام وركبت حواء على ناقه من نوق الجنة والملائكة عن أيماهما وشماطهما حتى دخلا الجنة عدن وإذا سرير له سبع مائة قائمة من أنواع الجوهر وعلى السرير أربع قبات قبة الرضوان وقبة الغفران وقبة الرحمة وقبة الكرام فنزل آدم وحواء وقد جرى لهما نفواكه من الجنة ثم تحولوا إلى قبة الرحمة وبأدى مناد يا أهل السموات أن الله قد زوج آدم بحواء وقد أتاح لهما وما في الجنة الا هذه الشجرة فلما سبق في علم الله ما سبق هبط آدم من باب التوبة وحواء من باب الرحمة وإبليس من باب اللعنة لعنه الله والحية من باب السخط والطاوس من باب الغضب قال في ربيع الأبرار: جمعت حواء بهابيل وأخته في الجنة وضعتما بغير وخم ولا ألم قبل الأكل من الشجرة وقايل وأخته في الدنيا والله أعلم.

﴿وقال كعب الأخبار﴾ رحمه الله تعالى ﴿أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه الصلاة والسلام في بعض ما أوحى إليه: يا موسى أتحب أن لا ينالك من عطش يوم القيامة؟ قال: إلهي نعم أحب ذلك. قال: فأكثر الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم﴾ وذكر صاحب النزاهة ما نصه قال في رسالة القشيرية: أوحى الله إلى موسى عليه السلام اني جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعت كلامي وعشرة آلاف لسان حتى أجبته وأحب ما تكون إلى اذا أكرت الصلاة على محمد ﷺ وفي غيرها أوحى الله تعالى إلى موسى أتريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن روحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينك وأن لا ينالك عطش يوم القيامة؟ قال نعم. قال: فأكثر من الصلاة على محمد ﷺ ورأيت في الملاذ والاعتصام بالصلاة على محمد والسلام أن موسى عليه السلام ضرب بعصاه البحر عشر مرات فلم يتفلق البحر فأوحى الله إليه يا موسى صل على محمد فصلى على محمد وضربه فانفلق باذن الله. ورأيت في تفسير القرطبي في سورة الأحزاب أن النبي ﷺ قال: ما منكم من أحد يسلم على إذا أنا مت الا جاءني سلامه مع جبريل فيقول: يا محمد هذا فلان بن فلان يقرأ عليك السلام فأقول: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته انتهى. ما ذكره.

﴿حكاية﴾ قال بعض الصالحين خرجت في يوم الريح فقلت: اللهم صلى على محمد عدد أوراق الأشجار وصل على محمد عدد الأزهار والثمار وصل على محمد عدد قطر البحار وصل على محمد عدد رمل القفار وصل على محمد عدد ما في البر والبحار فهتف بي هاتف: أتعتب الحفظة في كتابة ثواب ما قلت إلى آخر الدهر والأعمار واستوحيت من الكريم الغفار جنات عدن فنعم عقيب الدار.

* فوائد * الأولى قال مقاتل: خلق الله تعالى ملكا تحت العرش على رأسه ذؤابة قد أحاطت بالعرش ما من شعرة الا مكبوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله فإذا صلى العبد على النبي ﷺ لم يبق شعرة الا استغفرت له. الثانية حصل لبعض الصالحين حصر بول

﴿وروي﴾ أن مسرفاً من بني إسرائيل لما مات رموا به فأوحى الله لموسى عليه السلام أن غسله وصل عليه فإني قد غفرت له قال يا رب وم ذلك قال إنه فتح التوراة يوماً فوجد فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فقفر له بذلك * وفي شرف المصطفى لأبي سعيد أن عائشة رضي الله عنها كانت تخطط شيئاً في وقت السحر فضلت الإبرة وطفىء السراج فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فأضاء البيت بضوئه صلى الله عليه وسلم ووجدت الإبرة فقالت ما أضوأ وجهك يا رسول الله قال ويل لمن لا يراني قالت ومن لا يراك قال البخيل قالت ومن البخيل قال الذي لا يصلي على إذا سمع باسمي *

فمرأى في منامه الشيخ العارف شهاب الدين فشكا إليه ذلك فقال: أين أنت من الترياق الجرب قل اللهم صل وسلم على روح سيدنا محمد في الأرواح وصل وسلم على قلب سيدنا محمد في القلوب وصل وسلم على جسد سيدنا محمد في الأجساد وصل وسلم على قبر سيدنا محمد في القبور فلما استيقظ أكثر من ذكرها فعافاه الله تعالى. الثالثة قال بعض العارفين: كنت في مركب فعصفت علينا الريح فأشرفنا على الفرق فرأيت النبي ﷺ في منامي فقال: قل لهم يقولون اللهم صل على محمد صلاة تنجيها بها من جميع الأهوال والآفات وتقضي لنا بها جميع الحاجات وتطهر لنا بها من جميع السيئات وترفعنا بها عند أعلى الدرجات وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحيات وبعد الممات فاستيقظت فقلنا ما جميعاً فسكن الريح بأذن الله تعالى. وقال الشبلي رحمه الله تعالى: مات رجل من خيبراني فربأته في المنام فسأله عن حاله فقال: انعقد لساني عند سؤال الملكين فقلت في نفسي: ألسنت مت مسلماً فينما أنا كذلك وإذا شخص قد دخل على وعلمني الجواب فقلت له: من أنت؟ أنا ملك خلقت من كثرة صلاتك على محمد ﷺ.

﴿وروي﴾ أن مسرفاً من بني إسرائيل لما مات رموا به فأوحى الله لموسى عليه السلام أن غسله وصل عليه أي على هذا المسرف ﴿فإني غفرت له قال﴾ موسى ﴿يا رب وما ذلك؟﴾ أي بأي شيء يكون سبباً لغفرانك؟ ﴿قال﴾ عز وجل ﴿إنه فتح التوراة يوماً فوجد فيها اسم محمد ﷺ فصلى عليه فقفر له بذلك﴾ أي بسبب الصلاة على محمد عليه الصلاة والسلام.

﴿وفي﴾ كتاب ﴿شرف المصطفى لأبي سعيد أن عائشة رضي الله عنها كانت تخطط شيئاً في وقت السحر﴾ أي آخر الليل ﴿فضلت﴾ أي ذهبت ﴿الإبرة وطفىء السراج فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فأضاء البيت بضوئه﴾ أي ضوء وجهه ﴿صلى الله عليه وسلم ووجدت الإبرة التي ضللت﴾ فقالت ما أضوأ وجهك يا رسول الله؟ قال: ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ ويل لمن لا يراني قالت: ومن لا يراك؟ قال: البخيل، قال: ومن البخيل؟ قال: ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ الذي لا يصلي على إذا سمع باسمي. والبخيل كثير البخل ولذا لم يقل البخيل وذلك مانع الصدقة سمي بخيلاً في العرف لمنعه الناس من الانتفاع بما له فهذا أولى لأنه بخل على نفسه وحرماً من الثواب العظيم إذ بكل صلاة منا عشر من الله تعالى هكذا أفاده العلامة الحفنى.

* تنبيه * ورد في الخبر أنه قال جبريل: يا محمد ألا أشرك بشاره؟ فقال: ما هي؟ يا حيبي فقال: كل عمل يعمل ابن آدم وكل قول يقوله فهو موقوف بين القبول وعدمه إلا الصلاة عليك فإنها مقبولة من كل أحد ولهذا بالغ العلماء في ذلك فقالوا: تقبل من السارفة والمعاصي ولو في حالة التلبس بالمعصية. وقال سيدي محمد بن يوسف الفاسي رحمه الله تعالى: والصلاة عليه ﷺ وإن كان أمرها عظيمة لكن المصلي عليه حقيقة هو من أتبع السنة ومجر البدعة فمن أتبع السنة فهو مصل عليه ولو لم يتلفظ بها ومن خاد عن الطريق فليس بمصل على التحقيق وإن لم يفتر عنها طريقة عين في السعة والضيق إلا أن بركة صلاته ترجى له. وذكر العلامة الفاسي في شرح الدلائل أن في الصلاة على النبي ﷺ عشر كرمات أحدها صلاة الملك الجبار والثانية شفاعته النبي المختار والثالثة اقتداء باللائكة الأبرار والرابعة

وذكر أبو نعيم في الحلية أن رجلا من بني النبي صلى الله عليه وسلم معه ظبي قد اصطاده فأنطق الله سبحانه الذي أنطق كل شيء الظبي فقال يا رسول الله إن لي أولادا وأنا أروضهم وإنهم الآن جاع فأمر هذا أن يخليني حتى أذهب فأرضع أولادي وأعود قال فإن لم تعودي قالت إن لم أعد فلعنني الله كمن تذكر بين يديه فلا يصلي عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أطلقها وأنا ضامتها فذهبت الظبية ثم عادت فنزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد الله يتركك السلام ويقول وعزتي وجلالي لأنا أرحم بأمك من هذه الظبية بأولادها وأنا أردهم إليك كما رجعت الظبية إليك الحمد لله الذي جعلنا من أمة محمد ﷺ تسليما ﴿نتيه﴾ إن إكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مع السلام مطلوب مرغّب فيها فينبغي الحرص عليه كل حين ولو بأقل الصلاة وهو اللهم صل على محمد وآله وسلم ولا يسمع أحد بعظم فضلها ويتركها إلا متهاون بالدين وتحسينها مطلوب أيضا لما روي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا صليتم على فأحسنوا الصلاة فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض على الحديث والمراد بتحسينها أن يأتي الصلاة بأكملها وأفضلها

مخالفة المنافقين والكفار والخامسة نحو الخطايا والأوزار والسادسة عون على قضاء الحوائج والأوطار والسابعة تنوير الظواهر والاستمرار والثامنة النجاة من در البوار والتاسعة دخول دار القرار والعاشرة سلام الرحيم الغفار.

﴿وذكر أبو نعيم في الحلية أن رجلا من بني النبي صلى الله عليه وسلم معه ظبي قد اصطاده﴾ ذلك الرجل ﴿فأنطق الله سبحانه الذي أنطق كل شيء الظبي فقال يا رسول الله إن لي أولادا وأنا أروضهم وإنهم الآن جاع فأمر هذا﴾ الرجل ﴿أن يخليني حتى أذهب فأرضع أولادي وأعود﴾ إليه ﴿قال﴾ ﴿فإن لم تعودي قالت إن لم أعد فلعنني الله كمن تذكر﴾ بالبناء للمفعول ﴿بين يديه فلا يصلي عليك فقال النبي ﷺ﴾ للرجل الصائد ﴿أطلقها﴾ أي أرسلها ﴿وأنا ضامتها فذهبت الظبية﴾ إلى مكان أولادها فأرضعهم ﴿ثم عادت﴾ إليه ﴿فنزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد الله يتركك السلام ويقول وعزتي وجلالي لأنا أرحم بأمك من﴾ رحمة ﴿هذه الظبية بأولادها وأنا أردهم﴾ أي الأمة ﴿إليك كما رجعت الظبية إليك﴾ وأورده صاحب التزهة بقوله: روى أن النبي ﷺ خرج يوما إلى الصحراء فوجد أعريا قد صاد ظبية فقالت يا نبي الله أسأله أن يخلني سيلى حتى أرضع أولادي وأعود إليه والاكن شرا من ذكرت عنده فلم يصل عليك فأرسلها الأعرابي فجاءت إلى أولادها وقصت عليهم الخبر وأن رسول الله ﷺ ضمنها فقالوا لبنك علينا حرام حتى توفي ضمانه رسول الله ﷺ فجاءت حتى أدخلت رأسها السلسلة فأطلقها الصياد وأسلم.

قال بعضهم: كتبت يوما عند قبر النبي ﷺ وإذا بظبية قد أقبلت ودخلت حتى صارت أمام القبر الشريف وأشارت برأسها كأنها تسلم عليه ثم رجعت على عجزها وتول ظهرها القبر ولا شك أن هذا الظبية من نسل تلك الظبية ثم قال المصنف رحمه الله تعالى ﴿الحمد لله الذي جعلنا من أمة محمد ﷺ تسليما﴾ كثيرا.

نتيه أعلم ﴿أن إكثار الصلاة على النبي ﷺ مع﴾ إكثار ﴿السلام مطلوب مرغّب فيها فينبغي الحرص عليه﴾ أي على الإكثار منها ﴿كل حين﴾ أي زمان ﴿ولو بأقل الصلاة وهو اللهم صل على محمد وآله وسلم ولا يسمع أحد بعظم فضلها ولا يتركها الامتياون بالدين وتحسينها مطلوب أيضا﴾ أي كما أن الإكثار من الصلاة والسلام مطلوب ﴿كما روى﴾ عبد الله ﴿ابن مسعود﴾ رضي الله عنه ﴿عن النبي ﷺ: إذا صليتم على فأحسنوا الصلاة فإنكم لا تدرون لعل ذلك﴾ أي صلاتكم ﴿يعرض على﴾ وكفى بالعبد شرفا وفخرا أن يذكر اسمه بين يديه ﷺ ﴿الحديث﴾ أي اقرأ آخره ﴿والمراد بتحسينها أن يأتي الصلاة بأكملها وأفضلها﴾

ومن ذلك ما رواه الشيخان عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: خرج علينا النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمنا كيف نسلم

فمن أفضل الكيفيات الواردة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأجمعها الكيفية التي استنبطها وجمعها شيخنا ابن حجر نفعا الله به وهي اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزوجه

عليك وكيف نصلى عليك قال قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم انك حميد مجيد . وروى مسلم عن أبي مسعود البدرى رضي الله عنه قال : أنا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعيد بن عباد رضي الله عنه فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك ؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنين أنه لم يسأله ثم قال رسول الله ﷺ قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم . وروى الشيخان عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم انك حميد مجيد ولهذا أشار المصنف بقوله .

﴿فمن أفضل الكيفيات الواردة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأجمعها الكيفية﴾ مبتدأ مؤخر ﴿التي استنبطها﴾ من مجموع الأخبار ﴿وجمعها شيخنا﴾ العلامة ﴿ابن حجر﴾ الهنسي ﴿نفعا الله به﴾ أي بركته وعلومه ﴿وهي﴾ أي الكيفية المذكورة ﴿اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي﴾ هذا من أخص أسمائه ﷺ قال تعالى : الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الآية وأجمع المفسرون على أن المراد بالرسول محمد ﷺ وصفه بكونه رسولا لأنه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالاته وأوامره ونواهيه وشرائعه إليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا أيضا من أعلى المراتب وأشرفها وذلك يدل على أنه رفيع الدرجات عند الله المخبر عنه ثم وصفه بالأمي .

قال ابن عباس هو نبيكم ﷺ كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب . قال الزجاج في معنى الأمي هو الذي على صفة أمة العرب لأن العرب أكثرهم لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب فالنبي ﷺ كان كذلك فهذا وصفه الله تعالى بكونه أميا وصح في الحديث أنه ﷺ قال : نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب . قال أهل التحقيق : وكونه ﷺ أميا من أكبر معجزاته وأعظمها وبيانه أنه ﷺ أتى بهذا الكتاب العظيم الذي عجزت الخلائق فصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك معجزاته وهو قوله تعالى : سنقرئك فلا تنسى . وقيل إنه لو كان يحسن الكتابة ثم أنه أتى بهذا القرآن العظيم لكان منهما لاحتمال أنه كُتِبَ ونقله من غيره فلما كان أميا وأتى بهذا القرآن العظيم الذي فيه علم الأولين والآخرين والمغيبات دل ذلك على كونه معجزة له ﷺ وأيضا فإن الكتابة تعين الإنسان على الاستغفار بالعلوم وتحصيلها ثم أنه أتى بهذه الشريعة الشريفة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب والاستغفار على أحد فدل ذلك على كونه معجزة له ﷺ وقيل معنى الأمي الذي هو منسوب إلى أمه كانه باق على أصل ولادتها وهو وصف كمال في حق النبي ﷺ بل معجزة له دالة كما تقدم قال العلامة البوصيري :

كذلك بالعلم في الأمي معجزة ﷺ في الجاهلية والتأديب في اليم

قال بعضهم : ولما كانت الأمية مرتبطة بالنبوة لم يرد لفظ الأمي في حقه ﷺ إلا مع لفظ الأمي عنه انتهى . وأما في حق غيره ﷺ فهو وصف ذم وتنقص أذ العلم أحد اللسانين وقيل سمي أميا لأنه منسوب إلى أم القرى وهي مكة ﴿وعلى آل محمد وأزواجه﴾ سبق تفسيره الآل في أول الكتاب ،

أسماء المؤمنين وذرية وأهل بيته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد وبارك على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه أسماء المؤمنين وذرية وأهل بيته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد

مجيد

وأما الأزواج جمع زوج يطلق على الذكر والأنثى ويقال لها زوجة بالتاء والمراد بهن هنا نسائه ﷺ الطاهرات المطهرات اللاتي اختارهن الله تعالى لنبيه ﷺ ورضيهن له أزواجا في الدنيا والآخرة استحقن أن يصلى عليهن معه ﷺ وأنزل الله في شأنهن ما أنزل من أنبأهن أجراً مرتين وكونهن لسن كأحد من النساء وهي خديجة الكبرى فسودة فعاشة فحفصة فزنب بنت خزيمة فأم سلمة فزنب بنت جحش فجويرية بنت الحارث فريحانة فأم حبيبة فضية فميمونة فهؤلاء اثنا عشرة جملة من دخل بهن وعقد صلى الله عليه وسلم على سبع ولم يدخل بهن وجاء في رواية من روايات الصلاة وصفهن بالوصف الذي ذكره المصنف بقوله ﴿أسماء المؤمنين﴾ فيخرج بهذا من لم يدخل بها منهن لأن المقيد يقتضي به على المطلق ﴿وذرية وأهل بيته﴾

والذرية بضم المعجمة وتكسر نسل الإنسان من ذكر أو أنثى وقد تخص بالنساء والأطفال من الذري وهو الخلق سقطت همزته لكسرة الاستعمال وقيل من ذر فرق وقيل من الذر وهو النمل الصغير لانهم خلقوا أولاً صغارا وعليهما فلا همزة ويدخل فيهم أولاد البنات الا عند أبي حنيفة ورواية عند أحمد رضي الله عنهما وحل الخلاف في غير أولاد السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وعنهم لإجماعهم على دخولهم في ذرية ﷺ ﴿كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم﴾ وآل إبراهيم إسماعيل وإسحاق وألهم وأهلهم إبراهيم وآله بالذكر لأن الرحمة والبركة لم يجتمعا في القرآن لبنى غيره ﴿في العالمين﴾ متعلق بمخذوف أي وأدم ذلك في العالمين ﴿إنك حميد مجيد﴾ الأول فعل إما بمعنى مفعول لانه حمد نفسه وحمد عبادة أو بمعنى فاعل لانه الحامد انفسه ولاعمال الطاعات من عبادة والثاني من المجد وهو الشرف والرفعة وكرم الذات والفعال التي منها كثرة الإفضال والمعنى إنك أهل الحمد والفعل الجميل والأفضل فأعطينا سؤلنا ولا تحب رجاءنا قاله الفاسي ﴿وبارك على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي﴾ من البركة وهي النمو وزيادة الخير والكرامة وقيل التطهير من العيب وقيل دوام ذلك ومنه بركة الماء لدوامه فيها فمعنى بارك على محمد أعطاه من الخير أوفاء وادم ذكره وشرعته وأكره إتياعه وعرفهم من يمينه وكرامته ان تشفعه ﷺ فيهم وتحلهم دار رضوانك ﴿وعلى آل محمد وأزواجه أسماء المؤمنين وذرية وأهل بيته﴾ أي أعطاهم من الخير وادم لهم ذلك ﴿كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد﴾ أشار بقوله في العالمين إلى إشتهار الصلاة والبركة فيما ذكر وقال الفاسي يحتمل رجوعه لقوله صل وبارك ويحتمل رجوعه لقوله صليت وباركت وخذف نظيره مع فعل الدعاء لدلالة هذا عليه ومعناه تخصه بالصلاة والبركة المطلوبين بين العالمين كما يقول أحب فلانا في الناس أي أحبه خصوصاً من بينهم ويحتمل أن يكون على معنى حصول الصلاة من الله تعالى ومن العالمين كما يقال جاء الأمير في الجيش أي حصل منه الحجن والجيش معه وقيل معناه اظهرت الصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين وكان معناه على هذه الصلاة عليه منتشرة في جميع الخلق كما جعلتها فيهم .

* تنبيه * ولا بأس بزيادة سيدنا قبل محمد بل هي مستحبة كما إعمده في النهاية وصرح به جمع ربه أفتى الحلي لأن فيه الإتيان بما أمرنا به وزيادة الأخبار في الواقع الذي هو أدب فهو أفضل من تركه وإن تردد في أفضلية الاستوى وخير لا تسيدوني في الصلاة . شديد الضعف فلا يعمل به بل باطل لا أصل له كما قال بعض المتأخرين وقالوا الطوسي أنها أي زيادة سيدنا مبطللة للصلاة غلط قلله

وكما يليق بعظيم شرفه وكماله ورضاك عنه وما تحب وترضى له دائما أبدا عدد معلوماتك ومداد كلماتك .

في النهاية فلا يقال تسن مراعاة ويؤخذ من تقرير كما قاله الشبراملسي سن الإتيان بلفظ السيادة في الأذان وهو ظاهر قال لأن المقصود تعظيمه ﷺ بوصف السيادة حيث ذكر لا يقال لم يرد وصفه بالسيادة في الأذان لأننا نقول هنا كذلك وإن طلب وصفه بها للتشريف فهو يقتضى العموم في جميع المواضع التي يذكر فيها اسمه ﷺ .

* فرع * وجه التشبيه المذكور مع ما عرف أن المشبه دون المشبه به وسيدنا محمد ﷺ أفضل من سيدنا إبراهيم وآله واختلفوا فيه على أوجه كثيرة من أحسنها قول الشافعي رضي الله عنه أن التشبيه راجع لآل محمد ﷺ فقط وإن التشبيه قد يكون بالآدون لنكتة كشهريته أو اظهار فضله وهو من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر إذ لم يبق أمة الا عرفت إبراهيم ونبوته ويؤيده خبر مسلم إذ فيه ذكر في العالمين بعد إبراهيم وآله دون نبينا محمد وآله أو المراد تشبيه الأصل بالأصل أو المجموع بالمجموع وما يعزى للشيخ أبي محمد المرجاني أنه قال: سر التسييه بإبراهيم دون موسى عليهما السلام لأنه كان التجلي بالجلال فخر موسى ضعفا والخيل كان التجلي له بالجمال لأن الحجة والخلق من آثار التجلي بالجمال فأمرهم ﷺ أن يصلوا عليه كما صلى على إبراهيم ليسألوا له التجلي بالجمال لا التسوية فيه فيتجلى لكل منهما بحسب مقامه ورتبه عنده .

واعلم أن إبراهيم هو اسم اعجمي ومعناه أب رحيم وهو ابن تارخ الذي هو آزر بن فخور بن شارح بن أرغوبن فالق بن عابر بن سالم بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكون آزر أبا إبراهيم هو الذي نطق به القرآن العزيز . وقيل آزر عنه وهو الذي أجمع عليه أهل الكتاب والعلم يسمى أبا كذا أفاده المحققون . وأما كلام في لفته فكثيرة أشهرها إبراهيم بالآلف والياء بعد الهاء ثم أبراهام بالآلف بعدها وبهنا قرئ في السبعة فالأولى قراءة الجمهور والثانية قراءة هشام عن أبي عامر لكن في مواضع مخصوصة لا في كل القرآن . قال الشاطبي رحمه الله :

وفيها وفي بعض النساء ثلاثة * أو آخر أبراهام لاح وجملا

إلى آخره ثم قال : وجهان فيه لأن ذكوان مهنا *

فأشار باللام من لاح إلى هشام فإنه قرأ أبراهام في ثلاثة وثلاثين موضعا كما بين في الشاطبية ومن لغاته كما ذكره بعض المفسرين إبراهيم بثلاث الهاء وإبرهيم ولن يذكروا أنها قرئ بها .

﴿وكما يليق بعظيم شرفه﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿وكماله ورضاك عنه وما تحب﴾ أي كما تحب له أي صل عليه صلاة تناسب محبتك إياه ﴿وترضى له﴾ أي تقبل له أي تناسب منزله عندك فأنك لا تقبل له إلا ما هو مناسب لذلك فلا تصلي عليه إلا الصلاة التي توافق منزله عندك وتناسبها ﴿دائما﴾ أي مستمرا ﴿أبدا﴾ تأكيد ﴿عدد معلوماتك﴾ أي عده ما أحاط به علمك بما خلقته وأبرزته للوجود أو المراد ما في اللوح المحفوظ من علمه ويحتمل أن يكون على طريق المبالغة في الطلب وإنما احتج إلى تخصيصه ولم يبقى عمومه لكونه معتذرا لأن ما أحاط به العلم لا يمكن فيه العدد فلا بد من التخصيص ليحزى على قاعدة الأمكان العقلي والمخصص في مثل هذا وهو العقل كما في قوله تعالى : خالق كل شيء . فإن العقل يخصه لأننا نذكر به ضرورة أنه تعالى ليس خالقا لذاته ولا لصفاته فالمراد ما عداهما وقد اختلف العلماء في جواز اطلاق الموم عند من لا يؤهم به أو كان سهل التأويل واضح الحمل أو تخصيص بعرف الاستعمال في معنى صحيح ﴿ومداد كلماتك﴾ بكسر الميم هو ما يكتب به ويزاد وقال في المشارق أي قدرها .

ورضا نفسك وزنة عرشك أفضل صلاة وأكملها وأتمها كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون

وقال السيوطي في الدرر النشير في تلخيص نهاية ابن الأثير أي مثل عددها وقيل قدر ما يوازنها في الكثرة بمقياس كيل أو وزن أو عدد أو ما أشبهه من وجود الحصر والتقدير وهذا تمثيل يراد به التقريب لأن الكلام لا يدخل في الكيل والوزن بل في العدد والمداد وهو ما يكثر به ويزاد انتهى . وقال الخطابي : هو مصدر كالمدد يقال مددت الشيء أمده مددا ومدادا وروى سلمة عن الفراء قال : قال الحارثي : يجمعون المدد مدادا فعلى هذا يكون معناه المكيال والمقياس . قال وكلمات لا تنتهي إلى آمد ولا تحدد ولا تحصر بعدد ولكنه ضرب بها المثل ليدل على الكثرة والوفور . وقال في المشارق وقيل يحتمل أن المراد به الأجر على ذلك انتهى . وكلمات الله تعالى قال الامام الفخر : المراد بها عند أصحابنا الألفاظ الدالة على متعلقات علم الله تعالى انتهى . وقيل هي الدالة على حكمه وعجائبه وعدد وما عطف عليه منصوبات على المصدرية أفاده القاسي «ورضا نفسك» أي ذاتك يقال ذات الشيء ونفسه وعينه وما هيته وكله وحقيقته كلها بمعنى واحد ورضى معطوف على عدد والمعنى ما يرضيك في الصلاة على نبيك الكريم عليه الصلاة والسلام «وزنة» بكسر الزاء قال الخطابي : هي ثقل الشيء وزنانه أي هذه الصلاة يوازن ثوابها أو توازن لو قدرت أجساما تقبل الوزن بما ذكر «عرشك» وهو خلق عظيم لله تعالى لا يعلم قدر عظمه وزنانه ثقله أحد غير الله سبحانه وتعالى قاله الخطابي «أفضل صلاة وأكملها وأتمها كلما» ظرف زمان وسرت الظرفية إلى كل لاضافته إلى ما مصدرية أي كل وقت «ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون» والذكر يحتمل أن يكون المراد به القلب وهو الاستحضار وضده النسيان والتغلة ويحتمل أن يكون اللسان

قال حجة الاسلام الغزالي رحمه الله زوى عن أبي الحسن الشاذلي قال : رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت : يا رسول الله هم جوار الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ، فقال صلى الله عليه وسلم : جزى عنى أنه لا يوقف للحساب انتهى . وقال ابن مسدي الحافظ في آخر الجزء الثاني من مسلسلاته سمعت أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن أبي زيد التلمساني وأبا علي الحسن بن الناصري الهروي يقول : كل منهما سمعت أبا عبد الله أحمد بن الحسن بن أحمد الحمدي يقول : سمعت أبا بكر هبة الله بن الفرج الشروطي يقول : سمعت أبا القاسم بن أبي سعيد الحافظ يقول : سمعت أبا مسلم غالب بن علي الرازي يقول : سمعت أبا الحسن يحيى بن الحسين المطلبى بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم يقول : سمعت ابن بنان الأصبهاني يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت : يا رسول الله محمد بن ادريس الشافعي ابن عنك هل خصصه بشيء ؟ قال : نعم ، سألت الله عز وجل أن لا يحاسبه فقلت : بهم يا رسول الله ؟ قال لأنه كان يعطى على صلاة لم يصل على أحد قبله مثله قلت : وما هذه الصلاة يا رسول الله ؟ قال : كان يقول : اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وصل على محمد كلما غفل عنه الغافلون . قال : وقد روى معنى هذه الحكاية عن المزني صاحب الشافعي كما سمعت يوسف بن محمد الصوفي يقول : سمعت أبا طاهر السلفي الحافظ يقول : وساق سنده إلى المزني قال : رأيت الشافعي في المنام بعد موته فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بصلاتي صليتها على النبي ﷺ في كتاب الرسالة وهي : اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون . قال : ويروى هذه القصة بهذه الرواية لعبد الله بن عبد الحكم كما أخبرنا أبو الخطاب بن واجب أخبرنا أبو علي الصدقي أخبرنا أبو عبد الله بن أبي نصر الحميدي أخبرنا أبو القاسم الصيرفي حدثنا علي بن محمد حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال : قال عبد الله بن الحكم : رأيت الشافعي في النوم فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : رحمته وغفر لي وزفقت إلى الجنة كما ترف العروس ونشر على كما ينشر على العروس فقلت : ثم بلغت هذه الحال ؟ فقال :

وسلم تسليماً كذلك وعلينا معهم وقال شيخنا إن هذه الكيفية قد جمعت الوارد في معظم كفيات الشهد التي هي أفضل الكفيات وسائر ما استنبطه العلماء من الكفيات وزادت بزيادة بليغة فلتكن هي الأفضل على الإطلاق وقال العلامة الحافظ الشرجي وغيره إن جميع الأذكار لا تقبل ولا تقبل إلا مع حضور القلب

بقولك في كتابك الرسالة وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعددا غفل عنه الغافلون قال: فلما أصبحت نظرت الرسالة فرأيت الأمر كما رأيته.

﴿وسلم﴾ على من ذكر جملة معطوفة على جملة صل ﴿تسليماً﴾ منصوب على المصدرية مؤكدة لما ذكر ﴿كذلك﴾ أي كلما ذكره وذكره الذاكرون وغفل عن ذكره وذكره الغافلون ﴿و﴾ صل ﴿علينا﴾ يعنى المتكلم أو هو ومن يختص به وعلى كليهما خاص بعد عام على الأول قال عبد الله العربي: يكون جمع الضمير ليجمع بين آداب الدعاء في تعيين النفس بوجه ما والآداب في إجمالها وإدخالها في عمار الجمل الغير فلا يقع لها انفراد تدخل عليها منه داخله العجب اظهار الوصف والاكتفاء والاستبداد بنفسها ﴿بمعهم﴾ فحصل لنا الصلاة بالتبع لهم ومعاد الضمير إما أقرب مذكور وإما جميع ما انسحب عليه حكم العامل من المباشر لعلى وهلم جرا إلى تمام المعطوفات.

﴿وقال شيخنا﴾ العلامة ابن حجر رحمه الله تعالى ﴿إن هذه الكيفية﴾ من الصلاة المذكورة ﴿قد جمعت الوارد في معظم كفيات الشهد التي هي أفضل الكفيات و﴾ جمعت ﴿سائر ما استنبطه العلماء من الكفيات وزادت﴾ هذه الكفيات على ما استنبطه ﴿بزيادة﴾ كثيرة ﴿بليغة﴾ أي فصيحة ﴿فلتكن هي الأفضل على الإطلاق﴾ فعليك بالاكثار منها أما الوجه الشريف بل ومطلقاً لأنك حينئذ تكون آتياً بجميع الكفيات الواردة في صلاة الشهد وزيادات ﴿وقال العلامة الحافظ الشرجي وغيره: إن جميع الأذكار لا تقبل ولا تقبل إلا مع حضور القلب إلا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإنها تقبل مع عدم حضور القلب﴾ وقد تقدم مثل هذا القول عن جبريل عليه السلام وكذا قال أبو سليمان الدارني: كل العمل فيها المقبول والمردود إلا الصلاة على النبي ﷺ فإنها مقبولة غير مردودة انتهى. ومع ذلك هي وسيلة لقبول الدعاء. روى عبد الرزاق والطبراني وابن أبي الدنيا بسند صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنهما قال: إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئاً فليبدأ بحمده والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل فإنه أجدر أن ينجح وأسند ابن شكوال عن عبد الله بن بسر مرفوعاً الدعاء كله محجوب حتى يكون في أوله ثناء على الله عز وجل وصلاة على نبي ﷺ ثم يدعوه فيستجاب لدعائه. وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن أنس والطبراني في الأوسط وأبو الشيخ في الثواب والبيهقي في الشعب عن علي رضي الله عنه موقوفاً ورفع بعضهم كل دعاء محجوب حتى يصلي على محمد وآل محمد. قال المنذرى: والموقوف أصح الفاظهم مقاربة ورواه الترمذي عن أبي قلابة الأسدي عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقوفاً قال: إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصل على نبيك ﷺ. وفي الشفاء حديث: كل دعاء محجوب فإذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء وعزاه أبو محمد جبر لاسحق بن إبراهيم، وفي النصائح له قال ذكر صاحب شرف المصطفى أن الصلاة على النبي ﷺ جناح الدعاء الذي يصعد وتؤمل الإجابة. وقال ابن عطاء الله للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فإن وافق أركانه قوى وإن وافق أجنحته طار في السماء وإن وافق موافقه فاز وإن وافق أسبابه انجح فأركانه حضور القلب والرفة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه عن الأسباب واجتنحه الصدق وموافقته الأسرار وأسبابه الصلاة على النبي ﷺ. وقال أبو عبد الرحمن بن محمد الناسي قدس سره: في سر سؤال الحاجة بالصلاة على النبي ﷺ وسر ذلك والله أعلم ملاحظة

إلا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فانها تقبل مع عدم حضور القلب وقال الشيخ الكبير قطب الدوائر أبو الحسن البكري رضي الله عنه ينبغي للمرء أن لا ينقص صلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمسمائة في كل يوم ولو بأقل الصلاة وقال أبو طالب المكي في قوت القلوب ينبغي أن لا ينقص صلاته عليه عن الثلاثمائة ﴿وحي﴾ أن رجلا خرج وكان يكثر الصلاة على النبي ﷺ في مواقف الحج وأعماله فقيل له لم تشغل بالدعاء المأثور فاعتذر بأنه خرج للحج هو ووالده فمات بالبصرة فكشف عن وجهه فإذا هو صورة حمار فحزن حزنا شديدا ثم أخذته سنة فزأه ﷺ وتعلق به وأقسم ليخبره بقصة والده فقال إنه كان يأكل الزبادي وأكله يقع له ذلك دينا وأخرى ولكنه كان يصلي على كل ليلة عند

واسطته وواسطته وكونه الباب والوسيلة هذا مع المحافظة على ذكره ﷺ مع ذكر الله تعالى بقلوبنا بذكره . وإن لا يغفل عن ذكره مع ذكر ربه عز وجل فامهم . وقال ابن شافع : إذا طلبت من الله شيئا فصل على محمد ﷺ في أول دعائك وآخره فيكون مثلك كمن دخل بتجارته على الباب بين أميرين يحرسانه فهل يتعرض له أحد بل ينسبط جاههما عليه

﴿قال الشيخ﴾ العلامة ﴿الكبير قطب الدوائر أبو الحسن البكري رضي الله عنه ينبغي للمرء أن لا ينقص صلاته على رسول الله ﷺ عن الخمسمائة كل يوم ولو بأقل الصلاة﴾ كقوله اللهم صل على محمد ﴿وقال﴾ الإمام ﴿أبو طالب﴾ محمد بن علي بن عطية الحارثي ﴿المكي في﴾ كتابه ﴿قوت القلوب﴾ إلى لقاء المحبوب ترجمه الخطيب في التاريخ والذهبي في الميزان فقال الزاهد اللواعظ صاحب القوت حدث عن علي بن أحمد المصيص والمفيد وكان مجتهدا في العبادة حدث عنه ابن عبد العزيز الأزجي وغيره . وقال الخطيب : كان من أهل الجبل وشأ بمكة ووعظ ببغداد مات سنة ست وثلاثمائة انتهى . قال الزبيدي : وأخذ عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم وأبي سعيد بن الأعرابي وأبي عثمان المغربي وعنه ولده عمر بن أبي طالب وفي كتاب لطائف المبانئ نقل عن الشاذلي أن كتاب الإحياء يربث العلم وكتاب القوت النور وكان يقول : عليكم بالقوت فإنه قوت وتلقاء كل الصوفية بقبول وأثنا عليه كسيد عيد الحليل القنوي صاحب شعب الإيمان وابن العريف وكان يسخيه السهروردي ديوان الإسلام وأثنى على مؤلفه في عوارفه وابن عباد في رسائله ﴿ينبغي أن لا ينقص صلاته عليه﴾ ﷺ ﴿عن ثلاثمائة﴾ وهذا أقل الأكثر ودونها من القليل ولا يتأفقه ما ورد أن بعض صيغ الصلاة مرة عنه بأربعة عشر الفا لأن ذلك في الحكم وقد يكون كيف المرة الإبراهيمية أكثر من كم ذلك بكثير كذا إفاده العلامة الحفني في خاشية الجامع رحمه الله تعالى .

﴿وحي﴾ عن جماعة من العلماء منهم عبد الواحد بن زيد كما يأتي رحمهم الله تعالى ﴿أن رجلا خرج﴾ إلى بيت الله الحرام ﴿وكان يكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مواقف الحج وأعماله فقيل له : لم﴾ أي لأي شيء ﴿لم تشغل بالدعاء المأثور﴾ أي المأثور عن النبي ﷺ كالسج والتهليل ﴿فاعتذر﴾ الرجل ﴿بأنه خرج للحج هو ووالده فمات﴾ الوالد ﴿بالبصرة فكشف﴾ ولده ﴿عن وجهه﴾ أي وجه الميت ﴿فإذا هو﴾ أي وجهه ﴿صورة حمار﴾ وهو الحيوان المعروف ﴿فحزن حزنا شديدا﴾ لما رآه من صورة أبيه ﴿ثم أخذته سنة﴾ بكسر السين أي نغاس ﴿فزأه﴾ أي رأى الرجل رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم وتعلق به ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ ﴿وأقسم﴾ أي حلف الرجل الله ﴿ليخبره بقصة والده فقال﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿أنه﴾ أي والدك ﴿كان يأكل الزبادي﴾ أن من حكم الله أن يأكله ﴿أي الزبادي﴾ يقع له ذلك ﴿أي صورة حمار﴾ دينا وأخرى ولكنه ﴿أي والدك﴾ كان يصلي على كل ليلة عند إرادة

نومه مائة مرة فلما عرض له ذلك أخبرني به الملك الذي يعرض على أعمال أمي فسألت الله فشفعني فيه فاستيقظ فرأى وجه والده كالبدر ثم لما دفنه سمع هاتفا يقول له سبب العناية التي حفت والدك الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ قالت أن لا أتركها على أي حال كنت في أي مكان كنت

﴿نومه مائة مرة فلما عرض له ذلك﴾ أي صورة الحمار ﴿أخبرني به﴾ أي بحال أبيك المذكور ﴿الملك الذي يعرض على أعمال أمي﴾ فسألت الله ﴿عز وجل﴾ فشفعني فيه ﴿أي قبل الله شفاعتي في أبيك﴾ فاستيقظ الرجل من منامه ﴿فرأى وجه والده كالبدر﴾ أي كالقمر ليلة كماله وسمى به لمبادرته الشمس بالطلوع في ليلته كأنه يجعلها المنيب ﴿ثم لما دفنه سمع﴾ الرجل ﴿هاتفا﴾ أي صوتا لم ير شخصه ﴿يقول له﴾ سبب العناية التي حفت ﴿أي أحاطت﴾ والدك ﴿هي﴾ الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ قالت ﴿أي حلفت﴾ أن لا أتركها ﴿أي الصلاة عليه﴾ على أي حال كنت في أي مكان كنت

وذكر العلامة الجرداني هذه الحكاية عن عبد الواحد بن زيد قال حكى عنه أنه قال : خرجت حاجا إلى بيت الحرام فصحبني رجل في الطريق فكان لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام الا كثيرا من الصلاة على النبي ﷺ فسأله عن ذلك فقال : أخذت بحديث عجيب خرجت مرة أنا ووالدي حاجين إلى بيت الله الحرام فنزلنا منزلا فنمت فإذا بهاتف يهتف بي ويقول : يا فلان قد مات والدك وأسود وجهه فاتبته حزنا مرعوبا فما سمعت فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت ووجهه قد أسود فاشتد امرى لذلك وتغيرت في امره وجلست متفكرا فغلبنى النوم فرأيت كأن عند رأس أبي وعند رجله أربعة سودان معهم اعمدة من حديد وهم يريدون عذابه فينمنا أنا انظر فيما يكون من امر والدي إذا أقبل الرجل حسن الوجه فأشرف من نور وجهه الموضع الذي كما فيه ثم أقبل على السودان فاتهرهم وقال : تخوا عنه ، فتأخى السودان عنه من ساعته وغابوا عني فلم أرهم ثم أقبل على والدي فمسح يده على وجهه فإذا هو أشد بياضا من الثلج والنور على وجهه ثم أقبل على وقال أبيض وجه أبيك وزال عنه السودان فقلت : من أنت فجزاك الله عنا خيرا فقال : أنا محمد رسول الله فقلت : يا رسول الله ما كان السبب في مجيئك إلي ؟ فقال ﷺ أما والدك فكان مسرفا على نفسه الا أنه كان يكثر من الصلاة على فلما نزل به ما نزل استغاث بي وأنا غياث لمن أكثر من الصلاة على فعمت من نومي فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو قد ابيض فأخذت من امره وشرعت في دفنه فما تركت الصلاة على النبي ﷺ بعد ذلك .

وذكرها أيضا العلامة عثمان بن يحيى الميرى في مختصره عن الشيخ أبي حفص عمر بن الحسن النسابوري قال : سمعت الأستاذ الإمام قال : سمعت أبي رحمه الله أنه قال : سمعت رجلا قال : حججت في سنة كذا فرأيت رجلا في الحرم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان في الحرم والبيت وعرفات ومنى فقلت : أيها الرجل لكل مقام مقال فما بالك لا تشغل بالدعاء ولا بالصلاة سوى أنك تصلي على النبي ﷺ قال : ان لي قصة ، فقلت : أخبرني بها قال : خرجت عن خراسان حائجا إلى هذا البيت مع والدي فبلغنا الكوفة فاعمل والدي هناك وتوفي فغطيت بأزار فلما كشفت عن وجهه فإذا صورته كصورة الحمار فحزنت لذلك حزنا شديدا قلت : كيف أظهر للناس هذه الحالة وكيف أقاسى هذه الحنة البائنة عن الأهل والأولاد والمنزل وإن والدي قد صار بهذه الصورة فنعمت ساعة إذ رأيت في منامي كأنه دخل علينا رجل وكشف عن وجه أبي وقال لي : ما هذا الغم العظيم ؟ فقلت : وكيف لا أغتم مع هذه الحنة ؟ فقال : إن الله عز وجل قد أزال عنك هذه الحنة قال : فانتقلت إلى جهة أبي كالقمر الطالع يلوح نورا فقلت له : من أنت بأبي وأمي قال : أنا المصطفى قال : فلزمت طرف رداءه فقلت : بحق الله تعالى إلا ما أخبرتنى بالقصة قال : كان والدك آكل الربا وإن من حكم الله تعالى أن

﴿وحكى﴾ أيضا أنه توفي تاجر عن مال وابنتين وثلاث شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فاقسما المال نصفين وشعرتين وبقيت واحدة فطلب الأكبر قطعها نصفين فأبى الأصغر إجلالا له صلى الله عليه وسلم فقال له الأكبر: أناخذ الثلاث بحظك من المال قال نعم ثم جعل الثلاث في جيبه وصار يخرجها ويشاهد ما يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فمن قرب كثر ماله وفني مال الأكبر ولما توفي الصغير رآه بعض الصالحين ورأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له قل للناس من كانت له إلى الله حاجة فليأت قبر فلان هذا ويسأل الله قضاء حاجته فكان الناس يقصدون قبره حتى بلغ إلى أن كل من مر على قبره راكبا ينزل ويمشي راجلا

من أكل الربا يجعل صورته كصورة الحمار أما في الدنيا وأما في الآخرة وقد جعل الله عز وجل لوالدك في الدنيا ولكن كان من عادته أن يصل على كل ليلة من قبل أن يضطجع مائة مرة فلما عرضت له هذه الحالة جاثني الملك الذي يعرض على أعمال أمي فأخبرني بحالته فسألت الله عز وجل فشفتني فيه .

وحكاها أيضا أبو الليث عن سفيان الثوري قال: كنت أطوف فإذا أنا برجل لا يرفع قدما ولا يضع قدما الا يصل على النبي ﷺ فقلت له: يا هذا انك قد تركت التسبيح والتهليل واقبلت على الصلاة على النبي ﷺ فهل عندك من هذا شيء؟ فقال: من أنت؟ عافاك الله، فقلت: انا سفيان الثوري فقال: لولا انك غريب في أهل زمانك لما أخبرتك عن حالي ولا أطلعك على سرى ثم قال: خرجت انا ووالدي حاجين إلى بيت الله الحرام حتى إذا كنت في بعض المنازل مرض والدي فقمنا لأعجله فينبأنا ذات ليلة عند رأسه إذ مات واسود وجهه فقلت: انا لله وانا إليه راجعون مات والدي فاسود وجهه فجدبت الأزار على وجهه فقلبتني عيناى فتمت فإذا انا برجل لم أر أجمل منه وجهها ولا انظر منه ثوبا ولا اطيب ريحا يرفع قدما ويضع أخرى حتى دنا من والدي فكشف الأزار عن وجهه فمر يده على وجهه فعاد وجهه ابيض ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه فقلت: يا عبد الله من أنت الذي من الله على والدي بك في دار الغربة؟ فقال: انا تعرفني؟ انا محمد بن عبد الله صاحب القرآن انا والدك كان مسرفا على نفسه ولكن كان يكثر الصلاة على فلما نزل به ما نزل استغاث بي وانا غياث لمن يكثر الصلاة على فاتبته فإذا وجهه ابيض . هكذا نقله الشيخ يوسف النبهاني .

﴿وحكى﴾ بالبناء للمفعول ﴿أي﴾ كالحكاية المذكور ﴿أنه توفي تاجر﴾ كثير المال بمدة بلخ ﴿عن مال وابنتين وثلاث شعرات من شعره﴾ فاقسما المال ﴿المتركة﴾ نصفين وشعرتين ﴿فأخذ كل واحد منهما واحدة﴾ وبقيت شعرة واحدة فطلب الأكبر قطعها ﴿أي الشعرة الباقية﴾ نصفين فأبى ﴿الأصغر إجلالا له﴾ وقال: والله هو أجل من ان يقطع شعر النبي ﷺ ﴿فقال له الأكبر: أناخذ الثلاث؟﴾ أي ثلاث شعرات ﴿يحظك من المال﴾ المورث ﴿قال﴾ الأصغر ﴿نعم﴾ أخذت وقبلت بدل ذلك فأخذ الأكبر جميع المال وأخذ ما الأصغر ﴿ثم جعل الثلاث في جيبه﴾ أي طوق قبضه ﴿وصار﴾ الأصغر ﴿يخرجها﴾ أي تلك الثلاث من ذلك الجيب ﴿و﴾ كلما يشاهد ما يصل على النبي ﷺ فمن قرب كثر ماله وفني من يلبس ثياب أي نقد ﴿مال الأكبر﴾ ولما توفي هذا الصغير رآه بعض الصالحين ورأى النبي ﷺ فقال له: أي لبعض الصالحين ﴿قل للناس من كانت له إلى الله حاجة فليأت قبر فلان هذا﴾ ويسأل الله تعالى ﴿قضاء حاجته﴾ فكان الناس ﴿بعد ذلك﴾ يقصدون قبره حتى بلغ في كثر كراماته ﴿إلى أن كل من مر على قبره﴾ أي جانب قبره ﴿راكبا ينزل ويمشي راجلا﴾ هكذا ذكره ابن أبي المبر في مختصره عن أبي حفص التيسابوري . وقال صاحب التزمية بعد قوله: وفني مال الأكبر وصار فقيرا فرأى النبي ﷺ في المنام فشكا إليه حاله فقال: يا محروم زهدت في الشعرات وآثرت عليها الدنيا فاما أخوك فإنه أخذ ما فهو يصل على إذا رآها فجعله الله

سعيداً في الدنيا والآخرة فاستيقظ وجاء إلى أخيه وصار من جملة عياله .

* وحكى * عن الشيخ الإمام أبي حفص عن عمر بن الحسن النيسابوري قال : سمعت من الخطيب القاباني قال : كان رجل يقال له محمد بن فائق قال : فمضيت إلى بغداد وكان هناك رجل مقرئ يقال له أبو بكر بن مجاهد وكان رئيس القراء في بغداد قال : فكما نقرأ عليه يوماً من الأيام إذ دخل عليه شيخ وعليه عمامة رثة وثياب رثة فقام أبو بكر واجلسه مكانه واستجيره عن حاله وحال صيانه فقال له الرجل : قد ولد لي اليوم مولود فقد طلب مني السمن والعسل ولم أملك وزنه قال : فبنت وأنا حزبن القلب فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي : ما هذا الحزن ؟ اذهب إلى علي بن عيسى وزير الخليفة واقترنه مني السلام وقل له بالعلامة التي لا تنام كل ليلة جمعة إلا بعد أن تصلي على كذا وكذا وهذه ليلة الجمعة صليت على سبع مائة مرة فجاءك داع من دار الخليفة ودعاك فمضيت ورجعت وماتت حتى أتممت ألفاً بهذه العلامة سلم إلى هذا الرجل مائة ديناراً قال : فقام أبو بكر بن مجاهد المقرئ مع الشيخ ومضيا إلى علي بن عيسى فقال أبو بكر الوزير : هذا الشيخ رسول من رسول الله ﷺ إليك فقام الوزير وأجله وأعظمه وأجلسه مكانه وقص عليه القصة قال : فأمر القلام بإخراج بدرة مائة دينار وقال : أيها الشيخ صدقت هذا كان سريني وبين الله تعالى فخذ هذه المائة دينار لأنك رسول الله ﷺ علم أنني أصلي عليه ووزن مائة أخرى ، وقال : هذه لما تعبت وجئت إلى هنا وكان يزن مائة ومائة حتى وزن ألف دينار فقال الرجل : أنا لا آخذ إلا ما أمرني رسول الله ﷺ .

* تمة * قال الشيخ أبو جعفر بن وداعة رحمه الله روى في الحديث عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أنه قال : ما من موضع يذكر فيه النبي ﷺ أو يصلى عليه فيه إلا قامت منه رائحة تحرق السموات السبع حتى تنهى إلى العرش يحذر ريحها كل من خلق الله في الأرض إلا الأنس والجن فانهم لو وجدوا ريحها لشغل كل واحد منهم بلذاتها عن معيشته ولا يجد تلك الرائحة ملك ولا خلق من خلق الله تعالى إلا استغفر لأهل المجلس ويكب لهم بعددهم كلهم حسنات ويرفع لهم بعددهم درجات وكان في المجلس واحداً أو مائة ألف يأخذ من الأجر هذا العدد وما عند الله خير وأجل . وفي حديث آخر أنه ما من مجلس صلى فيه على النبي ﷺ إلا تاراج له رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة هذه رائحة مجلس صلى فيه على النبي ﷺ .

قال : وما يلحق بهذا ما حكاه الأستاذ أبو محمد جبر بن هشام عن محمد بن سعيد المطرف الخياط الرجل الصالح قال : كنت جعلت على نفسي كل ليلة عند النوم إذا أويت إلى مضجعي عدداً معلوماً أصليه على النبي ﷺ فإذا أنا في بعض الليالي قد أكملت العدد فأخذتني عياني وكنت ساكناً في غرفة فإذا بالنبي ﷺ قد دخل على من باب الغرفة فأضاءت به نوراً ثم نهض نحوى وقال : هات هذا الغم الذي يكثر الصلاة على أقبلة فكنت أستحي منه أن أقبلة في فيه فاستدرت بوجهي فقبل قى خدي فاتبته فزعا في الجن وأنبت صاحبتي إلى جنبتي وإذا البيت ينفج مسكاً رائحته ﷺ وبقيت رائحة المسك في خدي نحو ثمانية أيام تجدها زوجتي في كل يوم وليلة في خدي انتهى . ثم قال ابن وداعة : وإذا أردت أن تعلم حقيقة هذا القول فانظر إلى قوله ﷺ : ما جلس قوم مجلساً ثم تفرقوا على غير الصلاة على النبي ﷺ إلا تفرقوا على أنف من ريح الجيفة يظهر لك أن الجلوس الذي يذكر فيها النبي ﷺ ويصلى فيها عليه توجد فيها روائح عطرية وتنمو منها نوافح مسكية ولما كان هو ﷺ أطيب الطيبين وأطهر الظاهرين وكان من خصائصه الشريفة التي عجلت له من صفات أهل الجنة أنه كان يمر بموضع ولا يجلس فيه ولا يمس يده أو يجارحة من جوارحه الطاهرة شيء إلا ويبقى فيه رائحة كرائحة المسك حتى لقد كان أصحابه يعرفون الطارق التي يمر عليها ﷺ بذلك أبقي الله له هذه الكرامة فكان ﷺ إذا ذكر في موضع وصلى عليه فيه طاب ذلك الموضع

﴿خاتمة في ذكر معامات﴾ رأى الشبلي رحمه الله في المنام جارا له فقال مرت بي أهوال عظيمة وذلك أنه ارتج على عند السؤال فقلت في نفسي من أين أتى على ألم أنت على الإسلام فتوديت هذه عقوبة إهمالك للناسك في الدنيا فلما هم بي المملكان جال بيني وبينهما رجل جميل طيب الرائحة فذكرتها فذكرني حجتي فذكرتها فقلت له من أنت برحمك الله قال أنا شخص خلقت لكثرة صلاتك على النبي ﷺ وأمرت أن أنصرك في كل كرب * ورات امرأة ولدها بعد موته يعذب فحزنت لذلك وبكت ثم رآته بعد ذلك وهو في النور والرحمة فسأله عن ذلك فقال مر رجل بالمقبرة فصلى على النبي ﷺ وأهدى ثوبها للأموات فحصل نصيب المغفرة * ورأى رجل من أهل شيراز

بذكره ونمت منه روائح طيبة مصلى الله عليه وعلى آله صلاة تطيب مجالس الذكر ويغفر بها عظيم الوزر .

﴿خاتمة﴾ نسال الله حسنهما ﴿في ذكر منامات﴾ . رأى الشبلي رحمه الله ﴿بغدادى المولود والمنشاء وأصله من أسر وشنة صاحب الجند ومن فى عصره وكان شيخ وقته حالا وظرفا وعلما مالكى المذهب عاين سبعا وثمانين سنة ومات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وقبره ببغداد﴾ فى المنام ﴿هو اسم مصدر تام نوما والنوم قال سديد الدين الكارونى هو عبارة عن رجوع الحرارة الفيزية الى الباطن طلب الاتصاح فلذلك يتبعها الروح النفسانية وقواها ليتم ذلك الفعل وقال غيره: النوم حال يعرض للحيوان من استرخاء الدماغ على رطوبة الانجرة المتصاعدة من الجسد الى الرأس بحيث تنف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وذلك أن أنجرة متصاعدة على الدوام من المعدة الى الدماغ فمتى صادفت منه قنورا أو عيا استولت عليه وهو معدن الحس والحركة فيحصل فيه قنور وهو السنة فان عم الاسيلاء حاسة البصر فهو العنوة والنوم الخفيف والتعاس ويكون صاحبه بين النائم واليقظة وان عم جميع الجسد وحل بالقلب وأزال القوت والعقل فهو النوم الثقيل وانما تحصل الرؤيا كما قاله الأستاذ أبو القاسم القشير اذا لم يستغرق النوم الاستشعار ﴿جارا له﴾ قد مات وقال: كيف حالك ﴿فقال﴾: الجار ﴿مرت بي أهوال عظيمة وذلك﴾ أى بيان تلك الأهوال ﴿أنه﴾ أى الحال والشأن ﴿ارتج على﴾ بالبناء للمفعول أى أغلق على لساني فلم اقدر على الجواب فى المختار ارتج الباب أغلقه وأرتج على القارى على ما لم يسم فاعله اذا لم يقدّر على القراءة كأنه أطبق عليه كما يرتجى الباب وكذا ارتج عليه على ما لم يسم فاعله أيضا ﴿عند السؤال﴾ وهو سؤال الملكين فى القبر ﴿فقلت فى نفسي: من أين أتى على ألم أنت على الإسلام فتوديت هذه﴾ أى الأهوال ﴿عقوبة إهمالك للناسك فى الدنيا فلما هم﴾ أى قصد ﴿بي﴾ أى نظرى ﴿المملكان حال﴾ أى حجز ومنع ﴿بينى وبينهما رجل جميل طيب الرائحة فذكرني حجتي فذكرتها﴾ لها ﴿فقلت له﴾ أى للرجل الجميل ﴿من أنت برحمك الله قال: أنا شخص﴾ أى ملك كما فى حكاية أخرى ﴿خلقت لكثرة صلاتك على النبي ﷺ وأمرت أن أنصرك فى كل كرب﴾ وقد تقدم مثل هذا القول وانما أتى المصنف رحمه الله الرؤيا والتي يأتى ذكرها فى الفضائل منبأ لمقتضاها ومترغبا بها لأنها رؤيا حق ليست من أضغاث الأحلام ولا من تلاعب الشيطان وتخزينه وتحديثه ولا من حديث النفس ولا من أحكام الطبائع الأربع ومضمونها فى فضل الصلاة على النبي ﷺ ثابت معلوم من الشريعة ولا سيما من العارف بربه وهو الشبلى فهى من أجزاء النبوة ثم هى رؤيا حقيقة صريحة ليست برؤيا تمثيل فهى محتاجة الى تأويل .

﴿ورأت امرأة ولدها بعد موته يعذب﴾ فى قبره ﴿فحزنت لذلك وبكت ثم رآته بعد ذلك وهو﴾ أى ذلك الولد ﴿فى النور والرحمة فسأله عن ذلك﴾ أى عن تحويله من العذاب الى النور والرحمة ﴿فقال: مر رجل بالمقبرة فصلى على النبي ﷺ وأهدى ثوبها﴾ أى تلك الصلاة ﴿للأموات فحصل نصيب المغفرة﴾ ورأى رجل من أهل شيراز اسم بلد من بلاد فارس كما فى القاموس

أبا العباس أحمد بن منصور عليه حلة وعلى رأسه تاج مكلل بالجواهر فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي وأكرمني وتوحيي وأدخلني الجنة فقال له بماذا قال بكثرة صلاتي على رسول الله ﷺ وكان بعض الصالحين جعل على نفسه عددا معلوما يصلي على النبي ﷺ عند النوم فأخذه عيناه ليلة فرأى النبي ﷺ داخل عليه فاستلأ به نورا فقال هات هذا الفم الذي يكثر الصلاة على أقبلي قال فاستحييت فأدرت له خدي فقبله فاستبته فإذا البيت يفوح مسكا من رائحته ﷺ وبقيت رائحة المسك في قبلته في خدي نحو ثمانية أيام * ورأى بعض الصالحين أبا حفص الكاغدي فقال ما فعل الله بك قال رحمني وغفر لي وأدخلني الجنة فقبل له بماذا قال لما وقفت بين يديه أمر الملائكة فحسبوا ذنوبي وصلاتي على النبي ﷺ فوجدوها أكثر فقال لهم المولى جلت قدرته حسبكم يا ملائكتي لا تحاسبوه واذهبوا به إلى جنتي اللهم أدخلنا الجنة بغير حساب بحاء الشفيع العاقب

أبا العباس أحمد بن منصور عليه حلة وعلى رأسه تاج مكلل ﷺ أي مرصع ﷺ بالجواهر فقال: الرجل ﷺ له، ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وأكرمني وتوحيي ﷺ أي البسني التاج ﷺ وأدخلني الجنة فقال له، بماذا؟ ﷺ أي بأي شيء نلت هذه الكرامات ﷺ قال: بكثرة صلاتي على رسول الله ﷺ وكان بعض الصالحين ﷺ رحمه الله تعالى ﷺ جعل على نفسه عددا معلوما يصلي ﷺ بهذا العدد ﷺ على النبي ﷺ عند النوم فأخذه عيناه ليلة فرأى ﷺ الرجل ﷺ النبي ﷺ داخل عليه فاستلأ به نورا فقال: ﷺ عليه الصلاة والسلام ﷺ له هات هذا الفم الذي يكثر الصلاة على أقبلي قال: فاستحييت فأدرت له خدي فقبله فاستبته ﷺ من نومي ﷺ فإذا البيت يفوح ﷺ أي ينتشر ﷺ مسكا من رائحته ﷺ وبقيت رائحة المسك في قبلته ﷺ في خدي نحو ثمانية أيام ﷺ وقد ذكرنا هذه الحكاية قريبا بإسبط .

ورأى بعض الصالحين ﷺ رحمه الله ﷺ أبا حفص الكاغدي ﷺ بعد موته ﷺ فقال: ما فعل الله بك؟ قال: ﷺ أبو حفص ﷺ رحمه الله ﷺ غفر لي وأدخلني الجنة، فقبل له، بماذا؟ ﷺ أي بأي شيء نلت هذا ﷺ قال: لما وقفت بين يديه ﷺ عز وجل ﷺ أمر ﷺ سبحانه وتعالى ﷺ الملائكة فحسبوا ذنوبي وصلاتي على النبي ﷺ فوجدوها ﷺ أي تلك الصلاة على النبي ﷺ أكثر ﷺ من ذنوبي ﷺ فقال لهم المولى: جلت قدرته حسبكم يا ملائكتي لا تحاسبوه واذهبوا به إلى جنتي ﷺ

قال المصنف رحمه الله تعالى ﷺ اللهم أدخلنا الجنة بغير حساب بحاء الشفيع ﷺ في الخلق وهو مبالغة في شافع والكل من الشفاعة وهي التوسط في قضاء الحاجة أفاده القاسي ﷺ العاقب ﷺ أي الآتي عقب الأنبياء فلا نبى بعده لأن العاقب هو الآخر ومن يعقب غيره ومنه العقب بمعنى الولد وعيسى عليه السلام وإن كان سينزل إلى الأرض في آخر الزمان متصفا بصفة النبوة وقائمة به فلما يدين بشرعة سيدنا محمد ﷺ ويحكم بها ونبوته مقدم على نبوة سيدنا محمد ﷺ قيل وهذا الاسم الذي هو العاقب هو اسمه ﷺ فإذا جاء بحجزة شفاعته خمدت النار وسكنت كما روى أن قوما من حملة القرآن يدخلونها فينسبهم الله تعالى اسم محمد ﷺ حتى يذكرهم جبريل عليه السلام فيذكرونه فتحمدت النار وتنزوى عنهم وقال الشيخ عبد الجليل: على هذا الاسم عاقب كل شيء وعقبه وعاقبه آخره وتقول أيضا: عقب الشيء شدته .

وهذا الاسم من أوصاف النبي ﷺ من أكرم الأوصاف وأعظمها وأدناها على فضله العظيم وذلك أن الله عز وجل خلق الخلق في الدنيا وأرسل إليهم الرسل يدعونهم إلى العاقبة وعقبى الحسنة وإلى كل ما يعقب الخير من أمور الدين والدنيا والآخرة فمن الرسل من لم يقدّر أن يخرج إلى العاقبة أحدا ومنهم من أخرج الرجل الواحد أو الرجلين أو الثلاثة أو التفير اليسير وإنما كثر اتباع من كثر منهم فمهرهم من تبعث العاقب عليه الصلاة والسلام الذي أعقب كل خير فأرجو أن اسمه عقب ذلك وعقب الرجل ماتولد منه من ولد فيبعث عليه السلام

صلى الله عليه وسلم عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون وسلم كذلك .

بعد الأنبياء إلى الأمم مواقة لاسمه فاشتدت به الدعوة وقويت به النبوة كما تقول : عقبته الشيء شددته فهو شدد الأزار وقوى الأمر لأنه العاقب فهو في نفسه يعقب كل خير ففاض معنى اسمه وفعل كل عقبى حسنة وشدد ظهر الأنبياء وأقام أود النبوة كما يجب ، وقول عليه الصلاة والسلام : أنا العاقب الذي ليس بعده نبي ولم يكن بعده نبي قد انتهى في عواقب الخيرات إلى تمامها فحازها وأكملها كلها فلم يبق لأحد موضع مبعث معه ولا ما يبعث فلذلك تظهر عواقب الأمور الأخروية وتقوم عليه وفي يومه لأنه قد آتم هو ذلك وأكملة فانهم وهو العاقب أيضا بمعنى آخر في المقامات وأحوال الأنبياء والأولياء والأملك درجات بعضها فوق بعض فارتقى هو في المقامات كلها يطلب نهايات المقامات وعواقبها حتى جاوز عواقبها فكان هو العاقب بعد ذلك كله وآخوه فدرجة فوق كل درجة ليس بعده أحد إلا الواحد الأحد كذا ذكر العلامة الفاسي ﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾ أي أكرمه غاية الأكرام .

وأثنى المصنف رحمه الله بالجملة الفعلية لأن الأولى والأفضل في صيغ الصلاة أن يؤتى بالفعل إذ هو أبلغ من الاسم لدلالة على تجدد الحدوث وبالماض لكونه أبلغ من المضارع لإفادته الحصول وتحقيقه كقوله تعالى : أتى أمر الله أي قامت القيامة بمعنى تحقق قيامها وليس المقصود من صلاتنا عليه ﷺ الشفاعة لانا لا نصالح للشفاعة لمثله بل التقرب إلى الله بامتثال قوله عز وجل : صلوا عليه وسلموا تسليما وإظهار تعظيمه ﷺ وشكر هدايته لنا من الضلالة لانا لا نقدر على مكافاته إلا بها وقد قال ﷺ من أسدى إليكم معروفا فكافوه فان لم تقدروا فادعوا له .

والصحيح أنه ﷺ يتبع بالصلاة عليه لكن لا ينبغي لنا التصرح بذلك إلا في مقام التعليم فلا ينبغي للمصلي أن يلاحظ ذلك كيف وهو ﷺ الواسطة العظمى في إيصال الخير لنا ولو كان لنا حل كل منبت شعرة لسان يصلي عليه آتاء الليل وأطراف النهار لما قمنا بشعر معشار شكره ﷺ ﴿ عدد ما ذكره ﴾ أي الله أو النبي ﷺ ﴿ الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون وسلم كذلك ﴾ أي كعدد ما ذكر من ذكر الذاكرون وغفلة الغافلين .

* فائدة * تذكر فيها صلاة المنجية فانها كثيرة الفوائد كما يأتي وهي هذه : اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تنجيها بها من جميع الأحوال والآفات وتقضي لنا بها جميع الحاجات وتطهرنا بها من جميع السيئات وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات وتبلغنا بها من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات انتهى . قال الشيخ يوسف النبهاني : نقل في الشرح الدلائل عن الحسن بن علي الأسواني أنه قال : من قال هذه الصلاة في كل مهم وبيلة ألف مرة فرج الله عنه وأدرك مأموله . وعن ابن الفاكهاني عن الشيخ صالح موسى الضرير رحمه الله قال : ركب البحر الملح وقامت علينا ريح قل من ينجو منها من الفرق وضح الناس فغلبتني عيني فغضت فراءيت النبي ﷺ وهو يقول : قل لأهل المركب يقولون ألف مرة اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة تنجيها بها إلى الممات . فاستيقظت واعلمت أهل المركب بالرويا فضلينها بها نحو ثلاثمائة مرة فرج الله عنا انتهى .

وقال سيد محمد افندي عابدين : ذكر العلامة المسند أحمد العطار في ثبوت الصلاة المنجية وقال في آخرها زاد العارف الأكبر يا أرحم الراحمين يا الله قل بغض الأشياخ من قالها في مهم أو نازلة ألف مرة فرج الله تعالى عنه وأدرك مأموله ، ومن أكرز من الطاعون أمن منه ، ومن أكرمتها عند الركوب البحر أمن الفرق ، ومن قرأها خمسمائة مرة نال ما يريد في الحلب والغنى إنشاء الله تعالى وهي بحبوبة صحيحة في جميع ذلك والله تعالى أعلم انتهى . وذكر نحو ذلك الشيخ الصاوي في الشرح ورد الدرديد وتبلا عن السهمودي والملوي ،

﴿باب الشرك الأصغر وهو الرياء﴾

قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أي لا يرائي بفعله * وأخرج أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر وهو الرياء يقول الله يوم القيامة للمرائين إذا جزى الله الناس وقال الشيخ العارف محمد حق أفندي في خزينة الأسرار: اعلم أن الصلاة متنوعة إلى أربعة آلاف وفي رواية إلى اثني عشر ألفا كل منهما مختار جماعة من أهل الشرق والغرب بحسب ما وجدوه رابطة المناسبة بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام وفهموا فيه الخواص والمنافع ووجدوا فيه أسراراً بعضها مشهور بالتجربة والمشاهدة في تفرج الكروب وتحصيل المرغوب كالصلاة المنجية وهي هذه وذكر صيغتها ثم قال: والأفضل أن يقول: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد صلاة تنجيننا إلى آخرها لقوله عليه الصلاة والسلام: إذا صليتم على فعموا فتأثيرها مع ذكر آل أتم وأعم وأكثر وأسرع كذا أو صائني وأجازني بعض المشايخ وأيضا ذكرها الشيخ الأكبر بذكر الآل وقال: إنها كثر من كنوز العرش فإن من دعا بها ألف مرة في جوف الليل لأني حاجة كانت من الحاجات الدنيوية والأخروية قضى الله تعالى حاجته فانه أسرع للإجابة من البرق الخاطف واكثير عظيم وتبراق جسيم فلا بد من اخفائها وسترها من غير أهلها كذا في سر الأسرار وكذا ذكر الشيخ البوني والامام الجزولي خواص الصلاة المنجية وبينوا أسرارها فتركها كي لا تقع في أيدي الجاهلين وتكفيك هذه الإشارة والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿باب ذم الشرك الأصغر وهو الرياء﴾

اعلم وفقك الله تعالى أن الرياء حرام والمرائي ممقوت عند الله وقد شهد بذلك الكتاب والسنة وانعقد عليه اجماع الأمة أما الكتاب فقوله تعالى: فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون وقوله عز وجل: والذين يذكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور. قال مجاهد: هم أهل الرياء. وقال تعالى إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا. فمدح المخلصين من عباده بغير كل ارادة سوى وجه الله تعالى والرياء هو ضده و﴿قال تعالى: ومن كان يرجو لقاء ربه﴾ أي يأمل حسن لقاءه وثوابه ﴿فليعمل عملا صالحا﴾ يرتضيه الله تعالى ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ قال المصنف تبعا لما قاله الخازن ﴿أي لا يرائي بعمله﴾ ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء اعتبر فيه قيد أن أحدهما أن يراد به سبحانه وتعالى والثاني أن يكون مبرا من جهات الشرك جميعها روى ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان من المسلمين من يقاتل وهو يحب أن يرى نكاته فأنزله: فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الآية. وروى ابن المنذر عن طريق ابن جريج عن مجاهد قال: قال رجل: يا رسول الله أعق وأحب أي يرى واتصدق وأحب أن يرى فنزلت: فمن كان يرجو الآية. وروى ابن منذر وأبو نعيم في الصحابة وأبو عساكر من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدق فذكر بخير أرباعه فزاد في ذلك مقالة الناس فنزل في ذلك قوله تعالى: فمن كان يرجو الآية.

﴿و﴾ أما النسبة فقد ﴿أخرج أحمد﴾ والبيهقي في الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله ثقات ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج ﴿عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أخوف ما أخاف﴾ أي من أخوف شيء أخافه ﴿عليكم الشرك الأصغر وهو الرياء﴾ وفي رواية: قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء ﴿يقول الله يوم القيامة للمرائين إذا جزى الله الناس﴾

بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراعون في الدنيا انظروا هل تجدون عندهم جزاء * وابن حبان إن أخوف ما أخاف على أمي الإشراك بالله أما إني لست أقول تعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة خفية * والطبراني إن أدنى الرءاء شرك وأحب العبد إلى الله الاتقياء الأخفاء أي المبالغون في ستر عبادتهم وتنزيهاها عن شوائب الأعراض الفانية والأخلاق الدنية الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا شهدوا أي حضروا لم يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم * وأبو نعيم والدلمي إن الله حرم الجنة على كل مرء * والدلمي ربح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجدها من طلب الدنيا بعمل الآخرة * والطبراني إن في جهنم وادياً تستعبد جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعين مرة أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد ﷺ لحامل كتاب الله وللمصدق في غير ذات الله

﴿وأعمالهم﴾ اذهبوا إلى الذين كنتم تراعون في الدنيا انظروا هل تجدون عندهم جزاء * هذا سياق أحمد واليهيقي وأما سياق حديث الطبراني فلفظه يقال لمن يفعل ذلك إذا جاء الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراعون فاطلبوا ذلك عندهم ورواه ابن مردويه في التفسير من حديث أبي هريرة بنحوه .

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن حبان﴾ وابن ماجه عن شذاد بن أوس ﴿إن أخوف ما أخاف على أمي الإشراك بالله﴾ قيل أشرك أمك من بعدك؟ قال: نعم ﴿أما﴾ بالتخفيف ﴿إني لست أقول تعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً﴾ أي فليس المواد الكفر ﴿ولكن﴾ أقول تعمل ﴿أعمالاً لغير الله﴾ أي الرءاء والسمعة ﴿وشهوة خفية﴾ قال المناوي: للمعاصي يعني يراني أحدهم الناس بترك المعاصي وشهوتها في قلبه مخافة، وقيل الرءاء ما يظهر من العمل والشهوة الخفية حب اطلاع الناس عليه .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ في الكبير وأبو نعيم في الحلية والحاكم من حديث ابن عمر ومعاذ معا ﴿إن أدنى الرءاء شرك﴾ ورواه الحاكم بلفظ: إن السير الرءاء شرك ﴿وأحب العبد إلى الله الاتقياء الأخفاء أي المبالغون في ستر عبادتهم﴾ عن الناس ﴿وتنزيهاها عن شوائب الأعراض الفانية والأخلاق الدنية﴾ أي الحسيسة ﴿الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا شهدوا أي حضروا﴾ أي لم يدعوا و﴿لم يعرفوا﴾ بالبناء للمفعول ﴿أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم﴾ تنجلي عنهم كل قنعة ظلماء وإنما نالوا هذه المرتبة عند الله لأنهم صانوا قلوبهم عن أن يدخلها غير الله أو تتعلق بكون من الأكوام سوى الله فليس لهم جلوس الامع الله فهم بالله قائلون وفي الله ناظرون وإلى راحلون ومنقلبون وعنه ناظرون ومنه آخذون وعليه متوكلون وعنده قائلون فاعلم معروف سواء ولا مشهود إلا بما صانوا نفوسهم فلا تعرفهم نفوسهم فهم في غيايات الغيب المحجوبون وهم صانوا الحق المستخلصون يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق فهذه محاطة هذه الطائفة كما أفاده بعض العارفين .

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو نعيم﴾ في الحلية ﴿والدلمي﴾ في مسند الفردوس عن أبي سعيد ﴿إن الله﴾ تعالى ﴿حرم الجنة﴾ أي دخولها مع السابقين الأولين ﴿على كل مرء﴾ أي قاصد بعبادته ثناء الناس أو أعطائهم له شيئاً من الدنيا وهذا حديث ضعيف كما قاله العزيزي ﴿و﴾ أخرج ﴿الدلمي﴾ في مسند الفردوس عن أبي عباس بإسناد ضعيف ﴿ربح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجدها﴾ أي لا يشتمها مع السابقين وإن كان يشتمها بعد دخوله الجنة ﴿من طلب الدنيا بعمل الآخرة﴾ كأن أظهر التعبد ولبس الصوف ليتوهم الناس صلاحه فيعطى

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾: إن في جهنم وادياً تستعبد جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعين مرة أعد ﴿بالبناء للمفعول أي هي﴾ ﴿ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد ﷺ لحامل كتاب الله وللمصدق في غير ذات الله﴾ وهو طلب المنزلة في قلوب الناس

وللحاج وللخارج في سبيل الله * وهو واليهي من أحسن الصلاة حيث يراه الناس ثم أساءها حيث يخلو تلك استهانة استهان بها ربه * وابن ماجه رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع وزب قائم ليس له من قيامه إلا السهر * والذيلمي إياكم أن تخلطوا طاعة الله بحب ثناء العباد فتخط أعمالكم * ومسلم قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركه وشركه * وسموه إذا كان يوم القيامة أتى بصحف محزنة تنصب بين يدي الله تعالى فيقول الله ملائكة

هو للحاج وللخارج في سبيل الله * أي لأغلاء دينه، وروى في التاريخ: تعوذوا بالله من جب الحزن، قالوا يا رسول الله وما جيب الحزن؟ قال: واد في جهنم تعوذ منه جهنم كل يوم أربعين مرة يدخله القراء المراءون وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء ورواه البيهقي في الشعب مختصراً وفيه قيل ومن سكه قال: المراءون بأعمالهم ورواه ابن عدي وضعفه: إن في جهنم واد يستعبد منه سبعين مرة أعده الله للقراء المراءين بأعمالهم وإن أبغض الخلق إلى الله عالم يزور السلطان

هو * أي وأخرج الطبراني وهو واليهي * وعبد الرزاق وأصحاب السنن الأربعة عن ابن مسعود رضي الله عنه * من أحسن الصلاة حيث يراه الناس ثم أساءها حيث يخلو * بنفسه * فلك * الخصلة * استهانة استهان بها ربه. قال الحنفى: فعل فعلاً مثل فعل من بين الشخص فإن قصد بذلك اهانة المولى حقيقة أي عدم اعتباره كبر.

هو * أخرج ابن ماجه * عن أبي هريرة رضي الله عنه * رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع * والعطش كما في رواية القضاعي وهو: من يفطر من الحرام أو على لحوم الناس أو من لا يحفظ جوارحه عن الآثام والمراد أنه لا ثواب له لفقد شرط حصوله من نحو إخلاص أو خشوع أما الفرض فيسقط طلبه أفاده العزيزي * وزب قائم * أي مجتهد * ليس له من قيامه إلا السهر * كالصلاة في قار مغصوبة أو ثوب مغصوب أو رياء * وسمعة * وأخرج أحمد والطبراني والحاكم: رب قائم خطئه من قيامه السهر ورب صائم خطئه من صيامه الجوع والعطش.

هو * أخرج الذيلمي: إياكم * أي اخذوا * أن تخلطوا طاعة الله بحب ثناء العباد فتخط أعمالكم. * أي ثوابها * هو * أخرج * وابن ماجه عن أبي هريرة * قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك * بإضافة أغنى وجحر الشركاء: قال الحنفى: تسميهم شركاء بحسب زعم من أشرك في عبادته غيره تعالى والا فلا شريك له أصلاً * من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركه وشركه * قال النووي: هكذا وقع في بعض الأصول وشركه وفي بعضها وشركه ومعناه: أنا أغنى عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئاً لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه وبأنتم انتهى. وقال المناوي: المراد بالشرك هنا العمل. وقال العلامة الحنفى قوله تركه وشركه أي منع عمله الذي أشرك فيه فلا أثيبه عليه بل له العقاب. وفي رواية وشركه أي ومتعلق شركه وهو العمل الذي أشرك فيه. وفي رواية أخرى وشركه فلم أنظر إليها نظر رحمة ورواه ابن جرير في تهذيبه والبخاري بلفظ: قال الله عز وجل: من عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فهو كره له وأنا أغنى الشركاء عن الشرك وعند أحمد ومسلم في رواية وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي بلفظ: قال عز وجل: أنه خير الشركاء فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأناب برئ منه وهو الذي أشرك. وأخرج البيهقي من حديث جابر رفعه: يقول الله تعالى: كل من عمل عملاً أرا دبه غيري فأناب برئ. وأخرج البخاري وابن مردويه والبيهقي من حديث الضحاك بن قيس رفعه يقول الله أنا خير شريك فمن أشرك معي أحداً فهو لشركه الحديث.

هو * أخرج * وسموه إذا كان يوم القيامة أتى بصحف محزنة * فيها أعمال العباد * تنصب بين يدي الله تعالى فيقول الله ملائكة:

أقبلوا هذا وألقوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا فيها إلا خيرا فيقول نعم لكن كان لغيري ولا أقبل اليوم إلا ما ابتغي به وجهي * وأحمد
ومسلم إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه أي الله نعمته فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى
استشهدت قال كذبت ولكيك قاتلت ليقال جرى أي شجاع فقد قيل ثم أمر به فيسحب على وجهه حتى ألقي في النار

أقبلوا هذا العمل الذي أخلص صاحبه فيه وألقوا هذا أي عمل عبد أشرك فيه غيره فتقول الملائكة : وعزتك ما رأينا فيها
أي فيك الصنف الأخير فيقول : عز وجل نعم، لكن كان أي قبل هذا لغيري ولا أقبل اليوم أي يوم القيامة إلا ما ابتغي
أي العمل الذي طلب به وجهي . أي ذاتي وفي رواية : إذا كان يوم القيامة يجاء بالأعمال في صحف تحتمة فيقول عز وجل : أقبلوا
هذا وردوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما كتبنا إلا ما عمل فيقول : ان عمله كان لغيري وجهي واني لا أقبل اليوم إلا ما كان لوجهي . وفي
أخرى لابن عساکر والدارقطني يجاء يوم القيامة صحف محتومة فتصيب بين يدي الله تعالى فيقول للملائكة القوا هذا فتقول الملائكة :
وعزتك ما رأينا إلا خيرا فيقول : وهو أعلم ان هذا كان لغيري لا أقبل اليوم من العمل إلا ما كان ابتغي به وجهي . وفي أخرى مرسلة لابن
المبارك : ان الملائكة يرفعون عمل العبد من عباد الله يسكرونه حتى يبلغوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه فيوحى الله اليهم : انكم
حفظت على عمل العبد وأنا رقيب على ما في نفسه ان عبدى هذا لم يخلص لي في عمله فاجعلوه في سجين ويصعدون بعمل العبد
يستقلونه ويحرقونه حتى يبلغوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه فيوحى اليهم : انكم حفظت على عمل عبدى وأنا رقيب على نفسه ان
عبدى هذا اخلص لي عمله فاجعلوه في عليين .

وخرج أحمد ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل
استشهد بالبناء للمفعول أي قتل شهيدا فأتى به فعرفه أي الله تعالى أو الملك بأذن الله تعالى لكن الظاهر الأول نعمته وفي
رواية نعمه يعني عدد نعمة التي أنعمها عليه في الدنيا فعرفها قال الله : فما عملت فيها ؟ قال الرجل : قاتلت فيك أي
في سبيلك لأعلاء كلمتك حتى استشهدت بالبناء للمفعول قال عز وجل : كذبت ولكيك قاتلت ليقال أي لأن يقال
جرى . بفتح الجيم وكسر الراء وبالمد أي شجاع حاذف هكذا قاله النووي فقد قيل يعني تحدث الناس بما أردته ثم أمره
فيسحب بالبناء للمفعول أي يجر على وجهه في المصباح سحبه على الأرض سحبا من باب تقع جررته فانسحب حتى
ألقي أي طرح في النار ورجل تعلم العلم وعلمه للناس وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمته وفي رواية نعمته فعرفها قال :
سبحانه وتعالى فما عملت فيها قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال : كذبت ولكيك تعلمت العلم ليقال هو عالم
وقرأت القرآن ليقال هو قارئ إلا فقد قيل : ذلك ثم أمره فيسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه
وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : الله سبحانه قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق أي
المال فيها أي في تلك السبيل التي تحب ذلك إلا انقبت فيها لك قال : كذبت ولكيك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمره
فيسحب على وجهه ثم ألقي في النار قال أبو هريرة رضي الله عنه : ثم حظ رسول الله ﷺ على فخذى وقال يا أبا هريرة ألك أول شعر
نار جهنم هم يوم القيامة قد دخل راوى هذا الحديث وهو ناقل بن قيس الجري أو سقى الأصبحي كما يأتي على معاوية رضي الله عنه وهو ذا
ذاك أمير الشام وروى له ما سمعه من أبي هريرة فبكى معاوية حتى كادت نفسه تزهق ثم قال : صدق الله إذ قال : من كان يريد الحياة الدنيا
وزينتها الآخرة .

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به ففرقه نعمة ففرقها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكك تعلمت ليقال هو عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به ففرقه نعمة ففرقها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها لك قال كذبت ولكك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار * والطبراني والبيهقي يؤمر بناس يوم القيامة إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نهّدوا أن يصرفوهم عنها لا ينصب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما يرجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تربنا ما أربنا من ثوابك وما أعددت فيها لأولياك كان أهون قال ذلك أردت منكم يا أشقياء كنتم إذا خلوتهم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بأعمالكم خلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجلتم للناس ولم تجلوني وتركم الناس ولم تتركوا لي فالיום أذيقكم العذاب مع ما حرمت من الثواب

قال الزبيدي: أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل قال أخبرنا عبد الله بن سالم أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا علي بن يحيى أخبرنا يوسف بن عبد الله أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ أخبرنا أبو الخير أحمد بن خليل العلاني أخبرنا ولدي محمد بن مشرق أخبرنا علي بن المنير عن الفضل بن سهل عن أحمد المقرئ حدثنا محمد بن العباس بن الفضل حدثنا محمد بن المشي حدثنا جعفر بن عون وعبد الوهاب يعني ابن عطاء قال أخبرنا عبد المالك بن جريح أخبرني يونس بن يوسف عن سليمان يسار قال: تفرق الناس عن أبي هريرة رضي الله عنه فقال له ناقل أخو أهل الشام: يا أبا هريرة حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول أول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل فذكره وقد رواه الترمذي أطول من هذا من رواية شفي أصبحى عن أبي هريرة قال النووي: قوله ﷺ في العازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغیر الله وأدخلهم النار دليل على تغليظ تحريم الرءاء وشدة عقوبته وعلى الحث على وحيوت الاخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى: وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وفيه ان العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين فمن وجود الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصاً.

﴿و﴾ اخرج ﴿الطبراني﴾ وابونعيم ﴿والبيهقي﴾ وابن عساكر وابن النجار عن عدى بن خاتم الطائي ﴿يؤمر بناس﴾ وفي رواية بقية أي جماعة من الناس ﴿يوم القيامة إلى الجنة حتى إذا دنوا﴾ أي قربوا ﴿منها واستشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد﴾. ﴿الله لأهلها﴾ من النعيم ﴿نودوا أن يصرفوهم عنها﴾ أي الجنة ﴿لانصب لهم فيها فيرجعوا بحسرة﴾ وندامة ﴿ما﴾ نافية ﴿يرجع الأولون والآخرون بمثلها﴾ أي الحسرة ﴿فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تربنا ما أربنا من ثوابك وما أعددت فيها﴾ أي في الجنة ﴿لأولياك كان﴾ دخول النار ﴿أهون﴾ من ذلك ﴿قال﴾ الله عز وجل ﴿ذلك﴾ المذكور من أراءكم الجنة وصرفكم عنها بعد ذلك ﴿أردت منكم يا أشقياء كنتم إذا خلوتهم﴾ عن الناس ﴿بارزتموني﴾ أي أظهرتموني ﴿بالعظائم﴾ من المعاصي ﴿وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين﴾ أي خاضعين وسواضمين ﴿تراؤن الناس بأعمالكم خلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس﴾ أي حقهم ﴿ولم تهابوني وأجلتم الناس﴾ أي عظمتوهم ﴿ولم تجلوني﴾ أي لم تعظموني ﴿وتركم﴾ سوء فعلكم ﴿لناس﴾ أي لأجلهم ﴿ولم تتركوا لي فالיום أذيقكم العذاب مع ما حرمت من الثواب﴾ أي من الثواب ﴿العظيم﴾ وفي رواية فالיום أذيقكم أليم عذاباً مع ما حرمت من جزيل ثوابي.

«وروى الذهبي قال رجل رسول الله ﷺ فقال ما النجاة غدا قال صلى الله عليه وسلم أن لا تخادع الله قال وكيف تخادع الله قال أن تعمل بما أمرك الله ورسوله وترد به غير وجهه فأتقوا الرباء فإنه الشرك بالله وإن المرأني يتأدي عليه يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء ياكافريا فاجريا غادريا خاسرا ضل عملك وبطل أجرك فلا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممن تعمل له يا مخادع

وأخرج الديلمي: أن بعض العباد إلى الله من كان ثوابه خيرا من عمله أن تكون ثيابه ثياب الأنبياء وعمله عمل الجبارين. وأخرج أبو عبد الرحمن السلمي والديلمي: أخذوا الشهوتين الصوف والحزن أشد الناس عذابا يوم القيامة من يرى الناس أن فيه خيرا ولا خير فيه. وأخرج أبو نعيم أن الله حرم الجنة على كل مرء. وأخرج الديلمي أن الأرض لتعج إلى الله من الذين يلبسون الصوف رياء. وأخرج ابن عدي: إذا تزين القوم بالآخرة وتجهلوا الدنيا فالتار مأواهم. وأخرج الطبراني: من رأى بالله لغير الله فقد برئ من الله. وأخرج أيضا: من قام مقام رياء وسمعة فانه في مقت الله حتى يجلس. وأخرج أحمد والترمذي: من يرأى يرأى الله به ومن يسمع يسمع الله به وهو بتشديد الميم أي من يظهر عمله للناس رياء يسمع الله به أي يفضحه يوم القيامة ومعنى رأى رأى الله به أي من أظهر للناس العمل الصالح يعظم عندهم وليس هو كذلك رأى الله به أي أظهر سريره على رؤوس الخلائق. وأخرج الديلمي: أن الرجل يعمل عملا سرا فيكتبه الله عنده سرا فلا يزال به الشيطان حتى يتكلم به فيمحي من السر ويكتب علانية فان عادتك الثانية محي من السر والعلانية وكب رياء. وأخرج أبو داود بسند صحيح: من تعلم علما مما يتقى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة أي ربحها الطيب. وأخرج الحاكم والبيهقي: ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسخ الشرك الخفى أن يقوم الرجل يعمل لمكان الرجل. وأخرج البيهقي: أيها الناس إياكم وشرك السرائر أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس إليه فذلك شرك السرائر وفي رواية له: إياكم وشرك السرائر أن يتم ركوعها وسجودها لما يلحظه من الحدق والنظر فذلك شرك السرائر. وأخرج أيضا: ما من عبد يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء الا سمع الله به على رؤوس الخلائق يوم الجمعة أي يوم القيامة لأن فيه الجمع الأعظم. وأخرج الديلمي: من تزين للناس بما يعلم الله عنه ذلك سبأ الله عز وجل. وأخرج الحاكم: من تها للناس بقوله ولباسه وخالف ذلك في أعماله فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين. وأخرج الطيالسي وأحمد والطبراني والحاكم والبيهقي: من صلى وهو يرأى فقد أشرك ومن تصدق ويرأى فقد أشرك. وأخرج أحمد وابن سعد يعقوب بن سفيان والبخاري وابن السكن والباوردي وابن منده وابن بافع والطبراني وأبو نعيم وسعيد بن منصور: من قام بخطبة لا يلمس بها الأرياء وسمعة أوقفه الله يوم القيامة موقف رياء وسمعة. وأخرج الطبراني وأبو نعيم: من يسمع يسمع الله به ومن يرأى يرأى الله به ومن كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له لسانين في النار يوم القيامة. وأخرج أبو نعيم لا يسمع الله من مسمع ولا من مرأى ولا لاه ولا لعب. وأخرج الديلمي: إذا كان يوم القيامة نادى مناد يسمع أهل الجمع أي الذين يعبدون للناس قوموا واخذوا أجوركم ممن عملتم له فاني لا أقبل عملا خالطه شيء من الدنيا وأهلها.

«وروى الذهبي قال رجل رسول الله ﷺ فقال ما النجاة غدا؟» أي في الآخرة «قال ﷺ أن لا تخادع الله قال وكيف تخادع الله؟ قال: عليه الصلاة والسلام» أن تعمل بما أمرك الله ورسوله وترد به أي بما تعمل به غير وجهه الله أي غير ذاته تعالى «فاتقوا الرباء أي اجتنبوا» فإنه الشرك بالله وإن المرأني يتأدي عليه يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء» وهي «يا كافريا فاجريا غادريا خاسرا ضل عملك وبطل أجرك فلا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممن تعمل له يا مخادع» أورده أبو الليث السمرقندي بإسناده إلى جيلة اليحصبي قال: كذا في غزاة مع عبد الملك بن مروان فصحبته ورجل

﴿تبيين﴾ أحدهما

مسهارا لا ينام من الليل الا أقله مكثنا أياما لا نعرفه ثم عرفناه فاذا هو رجل من أصحاب رسول الله ﷺ وكان فيما حدثنا ان قائلا من المسلمين قال : يا رسول الله فيم النجاة غدا ؟ قال : أن لا تخادع الله قال : وكيف تخادع الله ؟ قال : أن تعمل بما أمرك الله وتريد به غير وجهه الله واتقوا الرياء فإنه الشرك بالله وإن المرأى ينادى يوم القيامة بأربعة أشياء يا كافر يا فاجر يا خاسر ضل عملك وبطل أجرك فلا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممن كنت يعمل له يا مخادع قال : قلت له : بالله الذي لا اله الا هو أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ فقال : والله الذي لا اله الا هو انى سمعته من رسول الله ﷺ الا أن أكونى أخطأت شيئا لم أكن أتعمده ثم قرأ : ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم .

واعلم ان اجماع الأمة على تحريم الرياء هو واضح بعد ما علمت ما جاء فيه من النصوص القطعية والأحاديث الصحيحة ومن ثم تطابقت كلمات الأئمة على ذمه واطبقت الأمة على تحريمه وتعظيم ثمه . وقد قال عمر رضى الله عنه لمن رآه يطأ طى رقبته : ارفع رقبك ليس الخشوع فى الرقاب وإنما الخشوع فى القلب . ورأى أبو أمامة رجلا يركب فى المسجد فى سجوده فقال : أنت لو كان هذا فى بيتك . أشار بذلك الى أنه يخاف عليه من الرياء فاما اذا كان فى خوف بينه فلا يطلع عليه أحد الا الله . وقال على كرم الله وجهه للمرأى ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان فى الناس ويمزج فى العمل اذا اتنى عليه وينقص اذا دم . وقال رجل لعبادة بن الصامت رضى الله عنه أقاتل بسيفى فى سبيل الله أريد به وجهه الله تعالى ومحمدة الناس قال : لا شيء لك فساله ثلاث مرة عن ذلك فيقول لا شيء لك ان الله تعالى يقول : أنا أغنى الشركاء عن الشرك الحديث . وقد دم غير واحد من السلف من يقول هذا الوجه الله ووجهه فلان فان الله تعالى لا شريك له . وقال قتادة : اذا رأتى العبد يقول الله تعالى : عبدى يستهزئ بى . وقال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه : ما صدق الله تعالى من أراد أن يستهزئ . وقال محمد بن الحنفية : كل ما لا يتغنى به وجهه الله مضمحل . وقال الفضيل رضى الله عنه : ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والاخلص ان يعافيك الله منهما . وقال أيضا : كانوا يراؤن بما يعملون وصاروا اليوم يراؤن بما لا يعملون . وقال بعض الحكماء : مثل من يعمل رياء وسمعة كمثل من ملاكيسة حبسى ثم دخل السوق ليشتري به فاذا فتحه بين يدي البائع اقتضح وضرب به وجهه فلم يحصل له به منفعة سوى قول الناس ما ملاكيسة ولا يعطى به شيئا فكذلك من عمل للرباء والسمعة لا منفعة له فى عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له فى الآخرة قال تعالى : وقد منال ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا . أى الأعمال التى قصد بها غير الله تعالى يبطل ثوابها وصارت كالهباء المنثور وهو الغبار الذى يرى فى شعاع الشمس . وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : المرأى يريد أن يغلب قد رآه الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الارباء فلا بد لقلوب المؤمنين أن تعرفه . وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال : ان أحدا يصطنع المعروف يجب أن يحمد ويؤجر فقال له : أحب أن تمقت ؟ قال : لا ، فاذا عملت لله فاحلصه .

﴿تبيين أحدهما﴾ ان الرياء بكسر الراء ممدودا مشتق من الرؤية وهى النظر بحاسة البصر ورأى الشخص رؤية والسمعة بالضم مشتقة من السماع وقد سمعه وسمع له سمعا وسماعا والعمل ان كان اظهاره للناس قصدا لأن يروه فيظنوا به خيرا أو سمعوا به خيرا فسمعة بالمقصود فى كل منهما رؤية الخلق وسماعهم غفلة عن الخالق وعناية عنه هذا ما تقتضيه اللغة وقد أشار إليه الغزالي بقوله : وإنما الرياء أصله طلب المنزلة فى قلوب الناس بايرائهم خصال الخير الا ان الحياء والمنزلة تطالب فى القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العبادات بطلب المنزلة فى القلوب بالعبادات واظهارها للناس ولذا قال المصنف رحمه الله

أن الرياء المذموم إرادة العامل بعبادته غير وجه الله تعالى كأن يقصد اطلاع الناس على عبادته حتى يحصل له نحو مال أو ثناء

﴿إن الرياء مذموم﴾ أي حده ﴿إرادة العامل بعبادته غير وجه الله تعالى﴾ فالمرائي على صفة اسم الفاعل هو العابد يراني الناس بعبادته والمرائي له على صفة اسم المفعول هم الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم والمرائي به هو اسم الخصال التي قصد المرائي اظهارها لهم والرياء هو قصده اظهار ذلك ولا يقع غالبا الا عن غفلة عن الخالق وعبادته عنه وذلك ﴿كان يقصد اطلاع الناس حتى يحصل له﴾ منهم ﴿نحو مال﴾ أو جاه ﴿أو ثناء﴾ اما باظهار رموز وصفرة وتشعث شعر وبذاذة هيئة وخفض صوت وغمض جفن ايها الملبدة اجتهاده في العبادة وحزنه وقلة أكله وعدم مبالاته بأمر نفسه لاشتغاله عنها بالأهم وتوالي صومه وسهره واعراضه عن الدنيا وأهلها وما درى المخدول انه حينئذ اقبح من اذلم كالمكاسين وقطاع السبيل وامثالهم لأنهم معترفون بذنوبهم ولا غرور لهم في الدنيا بخلاف ذلك المخدول المسقوت واما باظهار زى الصالحين كاطراق الرأس في المشي والجد في الحركة وبقاء أثر السجود على الوجه ولبس الصوف وخشن الثياب وتقصيرها وغير ذلك ايها ما بانه من العلماء . وما درى المخادع ان كل ما وصل اليه لأجل هذا التليس حرام عليه قبوله فان قبله كان فاسقا لأكله أموال الناس بالباطل واما بالوعظ والتذكير واظهار حفظ السنن ولقاء المشايخ واتقان العلوم وغير ذلك من الطرق الكثيرة اذ القول بالرياء كثير وأنواعه لا تنحصر واما بنحو تطويل أركان الصلاة وتحيتها واظهار التخشوع فيها وكذا الصوم والحج وغيرهما من العبادات وأنواع الرياء بالأعمال لا تنحصر وربما كان المرائي من شدة حرصه على احكام الرياء واتقانه تألف ويتعود ذلك بفعله في خلوته ليكن ذلك خلقا له في الملا لالخوف من الله تعالى والحياء منه واما بالأصحاب والزائرين والمخالطين كمن يطلب من عالم أو أمير أو صالح أن يأتي اليه لزيارته ايها المرفعة وتبرك الأكابر به كمن يذكر انه لقي شيوخا كثيرا افتخارا بهم وترفعا بذلك على غيره فهذه مجامع أبواب الرياء الحامل اينارها على طلب نحو الجاه والمنزلة واشتهار الصوت حتى تنطق الألسن بالثناء عليه .

واعلم انه حيث أطلق الرياء على لسان حملة الشرع فالمراد به المذموم مرصده ثم ان لم يقصد غير الرياء فعبادته باطلة ولته لم يحصل له من السوء غير ذلك بل عليه عظيم الأثم وقيح الذم كما علم ذلك من الآيات والأحاديث السابقة والمعنى في تحريمه وكونه شركا أن فيه استهزاء بالحق تعالى كما برزت الاشارة اليه في الأحاديث ومن ثم قال قتادة كما مر اذا راني العبد قال الله تعالى انظروا اليه كيف يستهزئ بي ويوضحه ان أخذ خدام الملك القاتنين في خدمته لو كان قاصدا بوقوفه فيها لملاحظة أمة أو امرئ للملك كان ذلك عند كل من له أدنى منسكة من استهزاء بذلك الملك لأنه لم يقصد تقربا اليه بوجه مع ايها ما أنه على غاية من القرب وحينئذ فأى استحقار واستهزاء على قصدك عبادة ربك مثلك عاجزا عن نفسه من سائر الوجوه فضلا عنك ومع ذلك فقصدك ايها متبرعا بعبادتك ينبئ عن اعتقادك فيه انه أقدر على تحصيل اغراضك من الله تعالى فرفعت العبد الضعيف العاجز على مولاك القوى القادر ومن ثم كان الرياء من كبائر الكبائر الملهكتين ولهذا سماه رسول الله ﷺ الشرك الأصغر وفيه أيضا تليس على الخلق لا يهامة لهم انه مخلص مطيع لله تعالى وهو بخلاف ذلك بل التليس في الدنيا حرام أيضا حتى لو قضى دين انسان ليخيل اليه أو الى غيره أنه متبرع حتى يعتقد واستخاوته أثم به كباقي من التليس وتملك القلوب في الخداع والمكر .

(فان قلت) قد تفرز وجه كون الرياء الشرك الأصغر فما وجه افتراقه من الشرك الأكبر ؟ (قلت) يتضح ذلك بمثال هو المصلى حتى يقول الناس انه صالح مثلا يكون رباؤه سببا بمثاله على العمل لكنه في خلال ذلك العمل تارة يقصد به تعظيم الله تعالى وتارة لا يقصد به شيئا وفي كل منهما لا يصدر منه مكر بخلاف الشرك الأكبر فانه لا يحصل في هذا الا اذا قصد بالسجود مثلا تعظيم غير الله تعالى فعلم

وقد اختلف حجة الإسلام الغزالي وسلاطان العلماء عز الدين بن عبد السلام فيمن قصد بعمله الرياء والعبادة فقال الغزالي إن غلب باعث الدنيا فلا ثواب له أو باعث الآخرة فالثواب له وإن تساوى تساقطا فلا ثواب أيضا وقال ابن عبد السلام لا ثواب مطلقا ورجحه الزركشي للأخبار الصحيحة كخبر من عمل عملا أشرك فيه غيري فانا بريء منه هو للذي أشرك *

أن المرائي إنما نشأ له ذلك الشرك بواسطة أنه عظم قدر المخلوق عنده حتى حمله ذلك العظم على أن يركع ويسجد فكان ذلك المخلوق هو المعظم بالسجود من وجهه وهذا هو عين الشرك الخفي لا الجلي وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الأمن خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العبد الضعيف العاخر يملك من معاشه ومنافعه أكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه إليهم عن الله تعالى فأقبل يستحل قلبهم فيكفه تعالى إليهم في الدنيا والآخرة كما مر في الأحاديث: اذهبوا به إلى الذين كنتم تراءون فاطلبوا ذلك عندهم وهم لا يملكون لأنفسهم شيئا سيما في الآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون الأمن أتى الله بقلب سليم يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا أن وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور.

وقد يطلق الرياء على أمر مباح وهو طلب نحو الجاه والتوقير بغير عبادة كأن يقصد بزيئة لباسه الشاء عليه بالظافة والجمالة ونحو ذلك وقس على ذلك ما أشبهه من كل يحمل وترين وتكرم لأجل الناس كالانفاق على الأغنياء لا في معرض العبادة والصدقة بل ليقال إنه سخى ووجه عدم حرمة هذا النوع أنه ليس فيه ما مر في الحرم من التليس بالدين والاستهزاء برب العالمين وقد كان رسول الله ﷺ إذا أراد الخروج صوى عمامته وشعره ونظر وجهه في المرأة فقالت عائشة رضي الله عنها أو تفعل ذلك يا رسول الله فقال: نعم، إن الله يحب من العبد أن يزين لأخوانه إذا خرج إليهم. نعم، هذا منه ﷺ عبادة مؤكدة لأنه مأمور بدعوة الخلق واستحالة قلوبهم ما أمكنه اذلوسقط من أعينهم لا عرضوا عنه فلزمه أن يظهر لهم من محاسن أحواله لئلا يزدروه فيعرضوا عنه لا امتداد أعين عامة الخلق إلى الظواهر دون السرائر فهذا قصده ﷺ وفيه قرينة عظيمة ويجري ذلك في العلماء ونحوهم إذا قصد بتحسين هياتهم نحو ذلك،

﴿وقد اختلف حجة الإسلام﴾ وبركة الأنام الإمام أبو حامد ﴿الغزالي﴾ قد ذكرنا بعض ترجمته في شرحنا على منهاج العابدین ﴿وسلاطان العلماء عز الدين عبد السلام﴾ وقد ذكرنا بعض ترجمته في الباب الغسل رضي الله عنهما ﴿فمن قصد بعمله الرياء والعبادة فقال الغزالي: إن غلب باعث الدنيا﴾ على باعث الآخرة ﴿فلا ثواب له أو﴾ غلب ﴿باعث الآخرة﴾ على باعث الدنيا ﴿فالثواب له وإن تساوى﴾ أي الباعثان ﴿تساقطا فلا ثواب أيضا﴾ أي كما أنه تساقط البعثان عند تساويهما ﴿وقال ابن عبد السلام لا ثواب مطلقا﴾ سواء غلب باعث الآخرة أم لا فهو عنده كالرياء ﴿ورجحه﴾ أي هذا القول ﴿الزركشي للأخبار الصحيحة﴾ السابقة ﴿كخبر من عمل عملا أشرك فيه غيري فانا بريء منه هو للذي أشرك﴾ رواه مسلم واليهي وغيرهما وأول الغزالي الحديث على ما إذا استوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح وصرح كلام الغزالي أن الرياء ولو محرما لا يمنع أصل الثواب عنده إذا كان باعث العبادة أغلب ومن ثم قال لو كان اطلاع الناس مقويا نشاطه ولو قلام يترك العبادة ولو انفرد قصد الرياء لما أقدم فالذي نظنه والعلم عند الله تعالى أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب انتهى. وقد يتأفیه قوله قبل ذلك إذا قصد الأجر والمحمدة جميعا في صدقه وصلاته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ومانقلناه عن سعيد ابن المسيب وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما يدل على أنه لا ثواب له أصلا انتهى. وبهذا يترجح كلام ابن عبد السلام والحاصل أن الذي يتجه ترجيحه في ذلك أنه متى كان صاحب القصد العبادة رياء مباحا لم يقتض اسقاط ثوابها من أصله بل

وثانيهما أن العبد إذا عقد عبادته على الإخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فإن كان بعد إتمام العمل لم يؤثر فيه لأنه تم على الإخلاص فإن تكلف إظهاره والتحدث به قصد الرياء قال الغزالي فهذا خوف وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحبط العمل ثم قال الأقيس أنه مثاب على عمله الذي انقضى ومعاقب على مراآته بطاعة الله ولو بعد فراغه منها

يثاب على مقدار قصده العبادة وإن ضعف أورياء محرما اقتضى سقوطه من أصله كما دلت عليه الأحاديث الكثيرة السابقة وقوله تعالى: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. قد لا يعكز على ذلك لأن تنصيره بقصده المحرم أوجب سقوط الأجر فلم يبق له ذرة من خير فلم تشمل الآية كذا ذكره العلامة ابن حجر في زواجره،

﴿وثانيهما﴾ أي التبيين ﴿إن العبد إذا عقد عبادته على الإخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فإن كان﴾ وزود الرياء ﴿وبعد إتمام العمل لم يؤثر فيه﴾ أي في العمل ﴿لأنه تم على﴾ نعت ﴿الإخلاص﴾ فإن تكلف إظهاره والتحدث به قصد الرياء قال الغزالي فهذا خوف وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحبط العمل ذلك سألما عن شوب الرياء فلا ينطفئ عليه أثر ما طرأ مكذبا حب إليه جماعة من العارفين هذا أن لم يكلف ما يأتي فقد روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول: قرأت البارحة البقرة فقال: ذلك حظه منها. وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال لرجل قال له: صمت الدهر يا رسول الله قال له: ما صمت ولا أفطرت. وقال بعضهم: إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله ﷺ في هذا القول وعن ابن مسعود في قول السابق استدلالا على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن أظهر منه التحدث به ﴿ثم﴾ استبعد الغزالي أن يكون ذلك الظارئي مبطلا لثواب العمل ﴿قال الأقيس﴾ من القولين أن يقال ﴿أنه مثاب على عمله الذي انقضى ومعاقب على مراآته بطاعة الله ولو بعد فراغه منها﴾ بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء في أثناءها فإنه يحبطها بل يفسدها إن تمحض قصد الرياء فإن لم يتمحض لكنه غلب حتى انغمز قصد القرية فيه فهذا يتردد في إفساده والاحسن عندنا أن هذا القدر إذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وإنما انضاف إليه سرور باطلاع الناس فلا يفسد عمله لبقاء أصل النية الباعثة عليه والحاملة على إتمامه بخلاف ما لو عرض له ما لولا الناس لقطع صلاته مثلا فإنه يفسدها فيعيد لها إن كانت فرضا والأخبار الواردة في الرياء محمولة على ما إذا لم يرد بالعمل الإلحاق وأما ما ورد في الشراكة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساويا لعقد الثواب أو غلب منه أما إذا كان ضعيفا بالاضافة إليه فلا يحبط بالكلية ثواب العمل ولا ينبغي أن يفسد الصلاة.

ولو قارن الرياء ابتداء عقد الرياء مثلا واستمر إلى أن سلم فلا خلاف أنه يقضى بصلاته فإن ندم عليه أثناءها واستغفر فقالت طائفة هي لم تنفقد فيسألفها وقالت فرقة: يلفو جميع ما فعله إلا التحريم فيتم عليه. وقالت فرقة: لا يلزمه شيء بل يثبتها لأن النظر إلى الخواتيم كما لو ابتداء بالإخلاص وختم بالرياء فإن عمله يفسد والقولان الأخيران خارجان عن قياس الفقه جدا خصوصا أولهما وكذا القول بأنه إذا ختم بالإخلاص صح لأن الرياء يندح في النية والذي يستقيم على قياس الفقه أن يقال إن كان باعته هو مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب واستال الأمر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولم يرأى الناس شحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصل لأجل الناس فهذه صلاة لانية فيها إذ النية عبارة عن إجابة باعث الدين وههنا لا باعث إلا إجابة فإن ما إذا كان بحيث لولا الناس أيضا لكان يصل لأن الله ظهر له الرغبة في الحمد أيضا فاجتمع فيه الباعثان باعث الثواب وباعث الحمد فإن كان في نحو صدقة فقد عصى بإجابة باعث الرياء وأطاع بإجابة باعث الثواب قال الله تعالى: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره

ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره : فله بمقتضى هذه الآية ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفساد ولا يحبط أحد هما الآخر والصلاة النافلة كالصدقة فيما ذكر ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والاقداء به باطل وإن ظهر أن قصده الرياء وأظهر حسن قراءته تحسنا للظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضا بطوعه فتصح باعتبار ذلك القصد صلاته والاقداء به وإن اقترن به قصد آخر هو عاص به هذا حكم الصلاة الطوع فاما إذا كان في فرض فاجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل بنفسه إذا انفرد وإنما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا الاسقط الواجب عنه لأن الإيجاب لم ينتهض باعثا في حقه بمجرد واستقلاله فان استقل كل منهما بحيث لو عدم باعث الرياء أدى الفرض ولو عدم باعث الفرض انشأ صلاة للرياء فهذا محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل أن يقال الواجب صلاة خالصة عن شوب الرياء لوجه الله تعالى ولم توجد .

ويحتمل أن يقال الواجب امتثال الأمر باعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مقصوبة فاته وإن كان عاصيا بايقاع الصلاة في الدار المقصوب فاته مطيع بأصل الصلاة ومستقط للفرض عن نفسه ولو كان الرياء في نحو المبادرة إلى الصلاة دون ذاتها وذلك مثل بادر بالصلاة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا بنفسه لآخر إلى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يستدعي صلاة لأجل الرياء فهذه مما يقطع على صحة صلاته وسقوط الفرض به لأن باعث أصل الصلاة من حيث أنها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تغير الوقت هذا الذي ذكرناه في رياء باعث على العمل وحاصل عليه فاما مجرد السرور باطلاع الناس إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل تأثيرا ينافي فيبعد أن يفسد الصلاة فهذا ما نراه لاثنا بقانون الفقه والمسألة من أصلها غامضة من حيث أن الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا مثل الحرث المحاسبى وصاحب القوت وغيرهما لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب من شوائب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بأدنى الخواطر الطارئة وما ذكرناه من التفضيل هو الاقصد والاعدل فيما نراه والعلم عند الله تعالى فيه والله الموفق .

* تنبيه * الرياء ينقسم إلى درجات متفاوتة في القبح فأقبحها الرياء في الإيمان وهو شأن المنافقين الذين أكثر الله من ذمهم في كتابه العزيز وتوعدهم بقوله : ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار . وهؤلاء قلوا من بعد زمن الصحابة رضي الله عنهم نعم، كثر من هو مثلمهم في القبح كالمعتدين للبدع المكفرة كإنكار الحشر أو علم الله تعالى بالجزئيات واعتقاد الاباحة المطلقة مع اظهارهم خلاف ذلك فليس وراء قبح أحوال هؤلاء شيء ويليه المراءون بأصول العبادات الواجبة كأن يعتاد تركها في الخلوة ويفعلها في الملاء خوف الملامة وهذا أيضا عظيم عند الله تعالى لابنائه على غاية الجهل وإدائه إلى أعلى أنواع المقت ويليه المراءون بالنوافل كأن يعتاد ذلك فيها وحدها خوف الاستنقاص بعدم فعلها في الملاء وإثارة الكسل وعدم الرغبة في ثوابها في الخلوة ويليه المراءون بأوصاف العبادات كحسينتها وإطالة أركانها وإظهار التخشع فيها واستكمال سائر مكملاتها في الملاء والافتقار في الخلوة على أدنى واجباتها خوف إثارة ما ذكر في النوافل فهذا محظور أيضا لأن فيه كالذي قبله تقديم المخلوق على الخالق وقد يكيد الشيطان فاعله فيزن له أنه إنما يفعل ذلك صيانة لهم عن الوقوع فيه ولو صدق لصان نفسه عن قوائ تلك الكمالات بما يفعله في خلوته فذلك قرآن أحواله على أن باعث ذلك ليس إلا النظر إلى الخلوة رجاء محمدتهم لأصياتهم وللمرائي لأجله درجات أيضا فأقبحها أن يقصد التمكن من معصية كمن يظهر الورع والزهد حتى يعرف به فيولى المناصب والوصايا وتودع عنده الأموال أو يفوض إليه تفرقة الصدقات وقصده بكل ذلك الحياطة فيه وكن يذكر أو يعطى أو يعلم أو يتعلم للظفر بامرأة أو غلام فهؤلاء أقبح المرائين عند الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم بمعصية ووصلته إلى فسقهم وتسوء عاقبتهم ويليه من يتهم بمعصية أو خيانة

﴿وحكى﴾ أن رجلاً أضاف سفيان الثوري وأصحابه فقال لأهله هاتوا الطبق الذي آتيت به في الحجة الأولى بل في الثانية فقال سفيان الثوري هو مسكين أفسد بهذا حجته عافانا الله من الرياء *

فيظهر الطاعة والصدقة قصد تلك التهمة ويلها أن يقصد نيل حظ مباح من نحو مال أو نكاح أو غيرهما من حظوظ الدنيا ويلها أن يقصد باظهار عبادته وورعه وتحشعه ونحو ذلك أن لا يحقر وينظر اليه بين التقص أو أن يعد من جملة الصالحين وفي الخلوة لا يفعل شيئاً من ذلك ومن ذلك أن يترك اظهار المنظر في يوم يسن صومه خشية أن يظن به انه لا اعتناء له بالتواضع فهذه أصول درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين. قال الغزالي: وجميعهم تحت مقت الله تعالى وغضبه وهو من أشد المهلكات.

﴿و﴾ ذكر الامام أبو حامد الغزالي أنه ﴿حكى أن رجلاً أضاف﴾ أطعم على طريق الضيافة ﴿سفيان﴾ بن سعيد الثوري رحمه الله تعالى ﴿وأصحابه فقال﴾ الرجل ﴿لأهله هاتوا﴾ أي أعطوا ﴿الطبق﴾ وهو ماء يحمل فيه الطعام ﴿لا﴾ تعطوا الطبق ﴿الذي آتيت﴾ أنا ﴿به﴾ أي بالطبق ﴿في الحجة الأولى﴾ إلى مكة المكرمة ﴿بل﴾ هاتوا الطبق الذي آتيت أنا به ﴿في﴾ الحجة الثانية ﴿لأنى حججت مرتين﴾ فقال سفيان الثوري هو ﴿أي هذا الرجل﴾ مسكين ﴿أي شخص لا شيء له من العلم قد﴾ أفسد على نفسه ﴿بهذا﴾ الذي قاله ﴿حجته عافانا الله من الرياء﴾ وذلك لأن هذا المسكين يقول: ماذا ذكر فرحاً وسروراً. باطلاع سفيان وأصحابه على حجته ومعرفتهم بذلك وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح منه السرور ولولا التفات القلب إلى الناس لظهر سروره عند اطلاعهم فلقد كان الرياء مستكناً في القلب امتسكاً بالنار في الحجر فظهر منه اطلاع الخلق أثر السرور كما صرح به الغزالي.

﴿فان قلت﴾ فيما نرى أحداً ينفك السرور إذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم فيقول أولاً كل سرور فليس بمذموم بل السرور منتقسم إلى محمود وإلى مذموم فأما المحمود فأربعة أقسام.

الأول أن يكون قصده إخفاء الطاعة والاخلاص لله تعالى ولكن لما أطلع عليه الخلق علم أن الله أراد اطلاعهم عليه وأظهر الجميل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظرة إليه والطافه فانه يسر الطاعة والمعصية ثم الله يسر عليه المعصية ويظهر طاعة ولاطف أعظم من ستر القبيح عليه وأظهر الجميل فيكون نظره بحميد نظر الله له وحسن عنايته له لا يحمده الناس ويقام المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى: قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا فإِنَّه كان من قبيل مفرح به ولكن ليس لكل واحد لم يخبر نفسه وعلم رسائسها أن يقول أنه مقبول عند الله ففيه خطر عظيم زلت بسببه أقدام خلق كثير.

الثاني أن يستدل باظهار الله تعالى الجميل ستره القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل به في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ: ما ستر الله عبداً دنبا من ذنوبه في الدنيا بأن يفضحه الا ستره عليه في الآخرة فلا يفضحه على رؤس الأشهاد رواه مسلم من حديث أبي هريرة فيكون الأول فرحاً بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا الثاني التفات إلى المستقبل وقد يجتمعان معاً في مؤمن فيكون سبباً لمزيد فرحه ولكن بشرط أنه إذا صدر منه القبيح فرطاً من غير تصميم العزم عليه ثم ستره الله تعالى عليه ندم وأحسن توبته فهذا الذي يرجى له الستر في الآخرة وأما من ستره الله عليه ذلك وهو مصمم على الوقوع فيه أو العود إليه فليس له في الآخرة نصيب وربما يفضحه الله في جوف يته فليحذر السالك من ذلك.

الثالث أما أن يظن رغبة المطلاعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العلانية بما أظهر أخراً وأجر السرية بقصده أولاً ومن اقتدى به في الطاعة فله مثل أجر المتقين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء كما ورد في الخبر وتوقع ذلك

والترمذي الشريك أخفى في أمي من ديب النمل على الصفا وورد أنه عليه السلام قال لأبي بكر رضي الله عنه الشريك أخفى من ديب النمل وسألك على شيء إذا فعلته أذهب الله عنك صغار الشريك وكباره تقول اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم ثلث مرات جدير بأن يكون سبب السرور فإن ظهور مخايل الرجح لذيذ وموجب للسرور لاحالة.

الرابع أن يحمد المظلمون على طاعته فيفرح بطاعته لله في مدحهم ومحبهم للمطيع ويميل قلوبهم إلى الطاعة ويقسم ذلك منهم ويسره ذلك ولا يحمد عليه بهاذ الرابع فرح بحسن إيمان عباد الله ولكن للشيطان في هذا تغريبات وتلبسات لذلك قلنا توجد معه الإخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمد هم إياه ومهما رأى نفسه تستقل حمد هم غيره في مجلسه فاعلم أنه لا إخلاص حينئذ. وأما المذموم وهو الخامس فهو أن يكون فرحه لقيام منزله في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالأكرام في مضاده حين يصدر وموارده حين يرد فهذا مكروه مذموم كذا ذكره الغزالي وغيره وبما تقرر علم أن في كم العمل فائدة الإخلاص والنجاة في الرياء وفي إظهاره فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء وقد أثنى الله على التكليم فقال عز وجل: أن تبدوا الصدقات فنعما هي، وإن تحفوها وتقوها الفقراء فهو خير لكم. لكنه مدح الأسرار لسلامته من الآفة العظيمة التي قل من يسلم منها وقد مدح الإظهار فيما يعتذر الأسرار فيه كالغزو والحج والجمعة والجماعة فالإظهار المبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه شائبة رياء.

والخلاصة أنه متى خلس العمل من تلك الشوائب ولم يكن في إظهاره إيذاء لأحد فإن كان فيه حمل الناس على الاقتداء أو التأسى به في فعله ذلك الخير والمبادرة إليه لكونه من العلماء والصلحاء والذين تبادر الكافة إلى الاقتداء بهم فالإظهار أفضل لأنه مقام الأنبياء ووراثهم ولا يخصون إلا بالأكمل ولأن نفعه متعد ولقوله عليه السلام: من من سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. وإن اخل بشرط ذلك فالأسرار أفضل وعلى هذا التفصيل يحمل إطلاق من أطلق أفضلية الأسرار نعم، مرتبة الإظهار الفاضل منزلة قدم للعباد والعلماء فانهم يشبهون بالأقوياء في الإظهار ولا تقوى قلوبهم على الإخلاص فتجسط أجورهم بالرياء والتفنن لذلك غامض وعلامة الحق فيه أن قام به مع علمه من نفسه أن غيره لو قام به مثله من أقرانه لم يثابره كان مخلصا وإن لم يعلم من نفسه ذلك كان مرآيا إذ لا ملاحظة نظره للخلق لما أثر نفسه على غيره فليحذر العبد خدع النفس فانها خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات والخطار فالسلامة الإخفاء والإظهار للتحدث بالعمل بعد فراغه بل هذا أشد خطرا من جهة أنه قد يجري على اللسان زيادة أو مبالغة والنفس لذة في إظهار الدعاوى وأهون من جهة أن الرياء به لا يحنط ماضى خالضا

﴿وخرج﴾ الترمذي الشريك أخفى في أمي من ديب النمل على الصفا أي على الحجر الأملس. وأخرج أحمد والطبراني إياها الناس اتقوا الشريك فإنه أخفى من ديب النمل قالوا: وكيف تقيه يا رسول الله؟ قال: قولوا اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه. ﴿وورد﴾ في رواية عليه السلام قال لأبي بكر رضي الله عنه: الشريك أخفى من ديب النمل أي سيره يسير إلينا ﴿وسألك على شيء إذا فعلته أذهب الله عنك صغار الشريك وكباره تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم ثلث مرات﴾ هذه الكلمات ﴿ثلاث مرات﴾ وفي أخرى عند الترمذي عن ابن جريج بلاغا بأنا بكر الشريك فيكم أخفى من ديب النمل أن من الشريك أن يقول الرجل ما شاء الله وشئت ومن التذ أن يقول الرجل: لولا فلان لقتلني فلان، أفلا أدلك على ما يذهب الله به عنك صغار الشريك وكباره تقول كل يوم ثلاث مرات اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم.

* تنبيه * مر في هذا الخبر ان من الرياء ما هو أخفى من ذيب النمل وهذا هو الذي يزل فيه فحول العلماء فضلا عن العباد الجهلاء بأفات النفوس وغوايل القلوب وبيان ذلك ان الرياء اما جلى وهو ما يحمل على العمل ويبعث عليه واما أخفى وهو ما لا يحمل عليه لكنه يخفف مشقة كمن يعتاد التهجّد في كل ليلة ويثقل عليه لكنه اذا نزل ضيف أو اطلع عليه أحد نشط له وخف عليه ومع ذلك هو انما يعمل لله ولولا رجاء الثواب لما صلى واما راء ذلك انه يتجّد وان لم يطلع عليه أحد وأخفى من هذا ما لا يحمل على تسهيل وتخفيف ومع ذلك عنده رياء كان في قلبه ككمن النار في الحجر لا يمكن اطلاق عليه الا بالعلامات وأجلى علاماته انه يسره اطلاق الناس على طاعته وعبادته فرب عبد مخلص في عمله يكره الرياء ويذمه فلا يكون عنده شيء يحمل على العمل ابتداء ولا دواما ولكنه اذا اطلع الناس عليه سر ذلك وارتاح له ورج ذلك عن قلبه شدة العبادة عليه وهذا السرور يدل على رياء أخفى اذ لولا التفات القلب للناس لما ظهر سروره عند اطلاقهم مع عدم كراهته له حرك ما كان ساكنا وصار غذاء للعرق الخفى من الرياء وجيند يحمل على تكلف سبب الاطلاق عليه ولو بالتعرض أو نحوه كاظهار التحول وخفض الصوت وبيس الشفتين وغلبة النعاس الدال على طول التهجّد وأخفى من ذلك أن يحتفى لا يريد الاطلاق عليه ولا يسره ولكنه يجب أن يبدأ بالسلام والتعظيم وأن يقابل بمزيد الثناء والمبادرة الى حوائجه وأن يسامح في معاملته وأن يوسع له المكان اذا أقبل ومضى قصر أحد ذلك ثقل على قلبه لعظمة طاعته التي اخفاها عند نفسه تطلب أن يحترم في مقابلتها حتى لو فرض انها لم تفعل تلك الطاعات لما كانت تطلب ذلك الاحترام ومهما لم يكن وجود الطاعة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله تعالى ولم يكن خاليا عن شوب خفى من الرياء أخفى من ذيب النمل . قال الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله : وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه الا الصديقون . وعن علي كرم الله وجهه انه قال : ان الله عز وجل يقول للبراء يوم القيامة : ألم تكن يرخص عليكم الشعر ألم تكونوا تبدون بالسلام ألم تكن تقضى لكم الحوائج . في الحديث لأجر لكم قد استوفيت أجوركم . ومن ثم لم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفى يشهدون ذلك في محادثة النفس عن أعمالهم الصالحات يحرسون على اخفائها ما يحرس الناس عن اخفاء خواصهم كل ذلك رجاء أن يخلص عملهم فيجازيهم الله في القيامة على ملائمتهم الخلاق اذ علموا ان الله لا يقبل في القيامة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيامة وانه لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وكل من وجد في نفسه فرقا بين اطلاق الصغار والجانين واطلاق غيرهم على عباداته فعنده شوب من الرياء اذ لو علم ان الله هو النافع الضار القادر على كل شيء وغيره هو العاجز عن كل شيء لا يستوى عنده الصغار وغيرهم ولم تتأثر نفسه بحضور كبيرهم ولا صغيرهم .

* مسئلتان * الاولى اعلم أن كثيرين ربما يتركون الطاعات خوفا من الرياء وليس ذلك بمحمود مطلقا فان الأعمال اما لازمة بالبدن لاتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلاة والصوم والحج فان كان باعث الابتداء فيها رؤية الناس وحدها فهذا محض معصية فيجب تركه ولا رخصة فيها على هذه الكيفية وان كان باعث التقرب الى الله تعالى لكن عرض الرياء عند عقدها بشرع فيها وبجاهد نفسه في دفع ذلك العارض وكذا لو عرض في أثناءها فيرد نفسه للاخلاص قهرا حتى يتمها فان الشيطان يدعوك أولا الى الترك فاذا عصيته وعزمت وشرعت دعائك للبراء فاذا أعرضت عنه وجاهدته الى أن فرغت ندمك حينئذ وقال لك : أنت مرء لا ينفعك الله بهذا العمل شيئا حتى تترك العود الى مثل ذلك العمل فيحصل غرضه منك فكمن منه على حذر فانه لا مسكر منه والزم قلبك الحياء من الله تعالى اذا أوجد فيك اعتماديا على العمل فلم تتركه بل جاهدت نفسك في الاخلاص فيه ولم تقتر بمكاييد عدوك وعدو أيك آدم عليه الصلاة والسلام واما تعلية بالخلق وهذه تعظم فيها الآفة والاختار فأعظمهما الخلقة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والافتاء ثم اتفاق المال فمن لا تستعمله

الدنيا ولا يستغزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم واعرض عن الدنيا وأهلها جملة ولا يتحرك الالحق ولا يستكن الإله هو الذي استحق أن يكون من أهل الولايات الدينية والأخروية ومن فقد فيه شرط من ذلك فالولايات باسمها المذكور عليه ضرر أي ضرر فليمسك عنها ولا يغير فإن نفسه تسول له العدل فيها والقيام بحقوقها وعدم الميل إلى شوائب الرياء والطمع فإنها كاذبة في ذلك فليحذر منها فإنه لا أذعنها من الجاه والولايات فرما حملتها بحجة ذلك على هلاكها ومن ثم استأذن رجل عمر عليه السلام أن يعظ الناس إذا قرع من صلاة الصبح فمنعه فقال: تمنعني من نصيح الناس فقال: أخشى أن تنفخ حتى تبلغ الثريا فينبغي أن لا يغير الإنسان بما جاء في فضائل الذكر بالله والعلم لأن خطره عظيم ولست بأمر أحدا بتركه إذ ليس في نفسه آفة في إظهاره بالتصدي له وعظا وقرأ وافتأ، وفي رواية ولا يترك التصدي له ما دام يجد في نفسه باعثاديا وإن مزج بشيء من رياء بل تأمر به مع مجاهدة نفسه على الاخلاص والتزهد عن خطرات الرياء فضلا عن شوائبه.

فالأمر ثلاثة الولايات وهي أعظمها آفة فليتركها الضعفاء رأسا والصلوات ونحوها فلا ينبغي أن يتركها الضعفاء ولا الأقوياء ولكن يجاهدون في دفع شوائب الرياء عنها والتصدي للعلوم وهي مرتبة وسطى بين تينك المرتبتين لكنهما بالولايات أشبه وإلى الآفات أقرب فليحذر منها وفي حق الضعيف أسلم وبقيت مرتبة رابعة وهي جمع المال وانفاقه فمن العلماء من فضله على الاشتغال بالذكر والتوافل ومنهم من عكس والحق أن فيه آفات عظيمة كطلب الثناء واستجلاب القلوب وتميز النفس بالاعطاء فمن خلص من تلك الآفات فالجمع والاتفاق أفضل لما فيه من وصل المتقطعين وكفاية المستحقين والتقرب بربهم إلى رب العالمين ومن لم يخلص منهما فالأولى له ملازمة العبادات واستقراغ الوسع فيما لها من الأدب والمكالمات ومن علامات اخلاص العالم في علمه أنه لو ظهر من هوا حسن منه وعظا واغرز منه علينا والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم، لا بأس بالفتنة وهو أن ينبغي لنفسه مثل علمه وأنه لو حضر الأكابر مجلسه لم يغير كلامه بل يكون ناظر للخلق كلهم بعين واحدة وأن لا يجب اتباع الناس له في الطرقات.

(المسئلة الثانية) قد بان وظهور لك بما سبق من الآيات والأحاديث وكلام الأئمة أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله واللعن والطرود وأنه من كباثر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بأن يجتهد ويشمر كل موقف عن ساق الجد في إزالته بالمجاهدة وتحمل المشاق الشديدة والمكابدة لقوة الشهوات إذ لا ينفع أحد عن الاحتياج لذلك الأمن من رزق قلبا سليما تقيا خالصا عن شوائب ملاحظة الأغراض والمخلوقين ومستغرقا دائما في شهود رب العالمين وقليل ما هم والافئال الخلق إنما طبع عليه أذ الصبي يخلق ضعيف العقل ممد العين للخلق كثير الطمع يتصنع لبغض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويترسخ ذلك في نفسه وإذا كمل عقله ووقف لاتباع الحق رأى ذلك مرضا مهلكا فاحتاج إلى دواء يزيله ويقطع عروقه باستئصال أصوله من لذة المحمدة والجاه والطمع فيما في أيدي الناس وذلك الدواء النافع هو أن يعرض عن رغبته في كل ذلك لما فيه من المضرة وفوات صلاح القلب وحرمان التوفيق في الحال والمنزلة الرفيعة في الآخرة والعقاب العظيم والمقت الشديد والحزى الظاهر حيث يغادر على رؤس الخلائق ويقال للمرائي يا فاجر يا غادر يا مرائي وما استحييت إذا استريت بطاعة الله تعالى عرض الحياة الدنيا راقبت لقلوب العباد واستهزأت بنظر الله تعالى وطاعته وتحببت إلى العباد بالتبغض إلى الله تعالى وترينت لهم بالشين عند الله تعالى وتقربت إليهم بالبعد من الله تعالى ولو لم يكن في الرياء إلا احباط عبادة واحدة لكفى في شؤنه وضرره فقد يحتاج الإنسان في الآخرة إلى عبادة ترجح بها كفة حسناته والأذهب به إلى النار ومن طلب رضا الخلق في سخط الله تعالى سخط عليه واسخطهم عليه أيضا على أن رضاهم غاية لا تدرك وما ارضى قوما إلا أغضب آخرين ثم أي غرض له في مدحهم وإيثاره على ذم الله وغضبه مع أن مدحهم لا يفيد نفعًا ولا يدفع عنه ضرا وإنما ذلك لله وحده فهو المستحق لأن يقصد وحده أذ هو المسخر للقلوب

بالمع والاعطاء والأرزاق ولا مغطى ولا ضار ولا نافع الا هو عز وجل ولا يخلو الطامع في الخلق من الذل والخيبة أو من المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله تعالى بوجاء كاذبة ووهم فاسد قد يصب وقد يخطى على أنهم لو اطلعوا على ما في قلبه من الرياء لطرده ومقتوه وذموه واحرموه ومن نظر لذلك بعين البصيرة فترت رغبته للخلق وأقبل على الصدق فهذا دواء علمى وثم دواء عملى وهو أن يتعوذ اخفاء العبادات كاخفاء الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله تعالى واطلاعه عليه ولا تنازع نفسه الى طلب علم غير الله تعالى به ويكلف الاخفاء كذلك وان شق ابتداء لكن من صبر مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وأمد الله تعالى فيه من فضله ما يكون سببا لرقبه ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فمن العبد المجاهدة وقرع باب الكريم ومن الله تعالى الهداية والفتح ان الله لا يضيع أجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما قاله العلامة ابن حجر والله أعلم .

(خاتمة في فضيلة الاخلاص والنية وما يتعلق بها)

لما تكلمنا على هذه الكبيرة العظيمة وما يتعلق بها مما يحتاج الخلق اليه وبسطنا الكلام في ذلك بالنسبة الى موضع هذا الكتاب وان كان في نفسه بالنسبة الى اتساع كلام العلماء في الرياء وتوابعه لاسيما الاخياء مختصرا جدا أردنا أن يحتم الكلام فيها بذكر شيء من الآيات والأحاديث الدالة على مدح الاخلاص وثواب المخلصين وما أعد الله لهم ليكون ذلك باعثا للخلق على تحري الاخلاص ومباعدة الرياء اذ الأشياء لا تعرف كمالا وضده الا باضدادها قال الله تعالى : وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة . وقال الله تعالى : ألا الله الدين الخالص . وقال الله تعالى في وصف أولئك مخلصين : الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله . وقال عز وجل : فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا . نزلت فيمن يعمل لله ومحبا أن يحمده عليه . وقال تعالى : ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعمله الله . وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجه الله . والمراد بتلك الارادة هي النية .

أخرج الشيخان انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه . وأخرج أيضا ينزو جيش الكعبة فاذا كانوا بيداء من الارض يخسف بأولهم وآخرهم قلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم ؟ فقال : يحشرون على نياتهم . وأخرج أيضا من رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء ، أى ذلك يكون في سبيل الله ؟ فقال ﷺ : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله . وأخرج الطبراني : نية المؤمن خير من عمله وعمل المباق خير من نيته وكل يعمل على نيته فاذا عمل المؤمن عملا نارا في قلبه نور . وأخرج الترمذي والحكيم أفضل العمل النية الصادقة . وأخرج ابن المبارك : ان الله تعالى يعطى الد نية الآخرة وأبى أن يعطى الآخرة على نية الدنيا . وأخرج الد يلمى : النية الحسنة تدخل صاحبها الجنة . وأخرج الخطيب : النية الصادقة معلمة بالعرش فاذا صدق العبد نية تحرك العرش فيغفر له . وأخرج مسلم العجب ان ناسا من أمى يؤمنون البيت للرجل من قرش أى وهو المهدي قد لجأ بالبيت حتى اذا كانوا بالبيداء خستهم بهم فهم المستنصر والمجور وابن السبيل بهل يكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شيء يعثمهم الله على نياتهم . وأخرج أحمد والبخاري : اذا نزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم يبعثون على نياتهم .

وأخرج ابن أبي الدنيا والحاكم : أخلص دينك يكلك القليل من العمل . وأخرج الدارقطني : اخلصوا أعمالكم لله فان الله لا يقبل الا ما أخلص له . وأخرج الد يلمى : يا أيها الناس اخلصوا أعمالكم لله فان الله لا يقبل من الأعمال الا ما أخلص له ، ولا تقولوا هذا لله وللرحم

وأخرج الطبراني: أن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه . وأخرج: أيضا اخلصوا عبادة الله وأقيموا خمسكم وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم وصوموا شهركم وحجوا بيت ربكم تدخلوا جنة ربكم . وأخرج ابن عدي والديلمي: اعمل لوجه واحد أي لله وحده يكلك الوجوه كلها . وأخرج ابن ماجه: الأعمال كالوعاء إذا طاب أسفله طاب أعلاه ، وأخرج ابن عساکر أن الأعمال بخواتمها كالوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله . وفي رواية صحيحة: أن ما بقى من الدنيا بلاء وقتة إنما مثل أعتال أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله . وأخرج النسائي: أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه . وأخرج مسلم وابن ماجه: أن الله لا ينظر إلى ضرورك وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم . وأخرج ابن ماجه: أن العبد إذا صلى في العلانية فأحسن وصلى في السر فأحسن ، قال الله تعالى: هذا عبيد حقا . وأخرج الرافعي: إذا صلى العبد في العلانية فأحسن وصلى في السر فأحسن ، قال الله تبارك وتعالى: أي أحسن عبيدي . وأخرج أبو يعلى: تمام البر أن تعمل في السر عمل العلانية صلاة الرجل تطوعا حيث يرد الناس الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمسا وعشرين . وأخرج ابن الميالك ترسلا: طوبى للمخلصين أولئك مضايح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلمات .

وأخرج ابن حبان: ما تقرب العبد بشيء أفضل من سجود خفي . وأخرج أيضا ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعل بنفسك إذا خلوت . وأخرج أبو نعيم: من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه . وأخرج أبو داود: من أراد منكم أن لا يحول بينه وبين قلبه أحد فليقل . وأخرج الديلمي: السر أفضل من العلانية والعلانية لمن أراد الاقتداء . وفي رواية: ولمن أراد الاقتداء العلانية أفضل . وأخرج البخاري وأبو يعلى وابن حبان والحاكم: لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله كائنا ما كان . وأخرج الحاكم: من أحسن بينه وبين الله كفاء الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح سريره أصلح الله علانيته . وأخرج الطبراني: ما أسر عبد سريره إلا ألبسه الله رداءها أن خيرا فخير وإن شرا فشر . وأخرج أبو نعيم: من كانت له سريرة صالحة أوسنة أظهر الله تعالى عليه منها رداء يعرف به . وأخرج الترمذي والحاكم: هل تدرون من المؤمن المؤمن من لا يموت حتى يملأ الله مسامعه بما يحب ولو أن عبدا اتقى في جوف بيت إلى سبعين بيتا على كل بيت باب من حديد ألبسه الله رداء عمله حتى يتحدث الناس به ويزيدون قالوا: كيف يزيدون؟ قال: إن اتقى لو يستطيع أن يزيد في سره ل زاد وكذلك الفاجر يتحدث الناس بفجوره ويزيدون لأنه لو يستطيع أن يزيد في فجوره ل زاد . وأخرج ابن جرير: والذي نفس محمد بيده ما عمل أحد قط سرا إلا ألبسه الله رداء علانيته أن خيرا فخير وإن شرا فشر . ولما كان الإخلاص نعمة من النعم وفعلا من أفعاله والعبد آلة ومحل لما يريد عليه من مولاه لا من نفسه كثرت أقاويل السلف الصالحين رضى الله عنهم في حده فوجب بيان ذلك .

(بيان أقاويل الشيخ في الإخلاص)

وسبب اختلافهم اما بالنظر إلى اختلاف مقاماتهم وأحوالهم واما بالنظر إلى اختلاف أقوال السائلين واما بالنظر إلى تنوع درجات الإخلاص . قال القشيري: الإخلاص أفراد الحق في الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنع المخلوق أو أكساب محمدا عند الناس أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب به إلى الله تعالى ويصح أن يقال الإخلاص التوقي عن ملاحظة الأشخاص . وقال أبو يعقوب السوسى رحمه الله تعالى: الإخلاص فقد رؤية الإخلاص فإن من شاهد في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص وما ذكره إشارة إلى تصفية العنل عن العجب بالفعل فإن الالتفات إلى الإخلاص

وسئل بعض الأئمة من المخلص فقال الذي يكتم حسنة كما يكتم سيئة وسئل آخر ما غاية الإخلاص قال أن لا تحب محبة الناس

والنظر إليه والسكون به عجب وهو من جملة الآفات والمخلص ما صفا عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة وقال أبو محمد سهل التستري رحمه الله: الإخلاص أن يكون السكون العبد وحركاته لله تعالى. وهذه كلمة جامعة محيط بالعرض وفي معناه قول إبراهيم بن أدهم: الإخلاص صدق النية مع الله تعالى أي في حركاته وسكناته فإن الحركة والسكون اللذين هما أصلا الأفعال هما من الأعمال التي يسأل عنها فيحتاج إلى صدق النية فيهما فليجعل جميع ذلك لله تعالى فيه بعقد واحد على مراتب من المقامات عنده إماما حبا لله واجلالا له وإما خوفا منه أو رجاء له أو لأجل ما أمره به فينوي وأداء للقرائن أو لما ندبه فينوي المسا رعة إلى الخير أو فيما أبح له فتكون نيته في ذلك صلاح قلبه وإسكان نفسه واستقامة حاله.

قال صاحب القوت: والنية عند قوم الإخلاص بعينه وعند آخرين الصدق وعند الجملة أنها صحة النية وحسن القصد وهي عند الجماعة من أعمال القلوب مقدمة في الأعمال وأول كل عمل وقد قال الله تعالى: اذكروا الله ذكرا كثيرا قيل في التفسير خالصا سمي الخالص كثيرا وهو ما خلصت فيه النية لوجه الله تعالى ووصف ذكر المنافقين بالقلة فقال: يراون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا. يعني غير خالص انتهى. ويقرب من إبراهيم قول ذي النون رحمه الله تعالى حين سئل عن الإخلاص فقال: الإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه والصبر عليه والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه والمداومة عليه ثقله القشيري فين الصدق والإخلاص تلازم فمن أخلص في مقام وصدق في سلوكه وصبر عليه حتى أحكمه ثقله الله إلى ما فوقه. وسئل الجنيدي عن الصدق والإخلاص فقال: بينهما فرق الصدق أصل والإخلاص فرع والصدق أصل كل شيء، والإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في الأعمال والأعمال لا تكون مقبولة إلا بهما وقال القشيري: سمعت أبا علي الدقاق يقول: الإخلاص عن ملاحظة الخلق والصدق التنتي عن مطالعة النفس فالمخلص لارضاء له والصديق لإعجاب له انتهى. وما ذكره هو أو في مراتب الإخلاص والصدق فإن أعلاهما أن لا يسكن العبد إلى عمله وحسنه وإن كان صحيحا وبراء فضلا من ربه وقيل لسهل رحمه الله: أي شيء أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص لأنه ليس فيه نصيب ثقله القشيري. وذلك لأن الغالب على عملها أن يكون لغرض ديني أو دنيوي وما ذكره مختص بحال المرید السالك فأما من كملت معرفته بمولاه اضمحلت لديه الأغراض فهو إنما يلتذ بالقرب. وقال أبو محمد ربيع بن أحمد البغدادي: الإخلاص في العمل هو أن لا يزيد صاحبه عوضا في الدارين، وهذا إشارة إلى أن حظوظ النفس آفة آجلا وعاجلا والعابد لأجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة من أكل وشرب ونكاح وغير ذلك معلوم في عمله بل الحقيقة أن لا يراد بالعمل الأوجه لله تعالى فقط ولا يمر به شيء من الحظوظ وهو إشارة إلى إخلاص الصديقين وهو الإخلاص المطلق والإخلاص الكامل ويعبر عنه أيضا بإخلاص الإخلاص فأما من يعمل لرجاء دخول الجنة وخوف اقترام النار فهو مخلص مقيد بالإضافة إلى الحظوظ العاجلة في الدنيا والافه في طلب حظ البطن والفرج في الآخرة وإنما المطلوب الحق لذوى الالباب هو وجه الله فقط وإلى الإشارة في الخبر وعلمون لذوى الالباب. وقال أبو عثمان النيسابوري: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، وهذا إشارة إلى آفة الرياء فقط. وقال الخاسبي رحمه الله: الإخلاص هو إخراج الخلق عن معاملة الرب وهذا إشارة إلى مجرد الرياء وكذلك قول إبراهيم الخواص رحمه الله: من شرب من كأس الرئاسة فقد خرج عن إخلاص العبودية

﴿وسئل بعض الأئمة: من المخلص؟﴾ فقال: ﴿هو الذي يكتم حسنة كما يكتم سيئة﴾ وهذا إشارة إلى مجرد الاخفاء. ويقال أيضا: إن هذا أخذ للمخلص العمل للإخلاص ﴿وسئل آخر: ما غاية الإخلاص؟﴾ قال: ﴿أن لا تحب محبة الناس﴾. كما روي في

الخبر لكل حق حقيقة وما بلغ عبيد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب أن لا يحمدا على شيء من عمل الله عز وجل. وهذا أيضا تعرض لتلك الرياء وإنما خصه بالذكر دون غيره من الآفات لأنه أقوى الأسباب المشوشة للاخلاص ففي الخبرة أخوف من أخاف على أمي الرياء والشهوة الخفية قيل حب الدنيا ، وقيل العمل لأجل أن يوحى العبد ويحمدا ، وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحفظ كلها ، وهذا هو البيان الكامل فإن دوام المراقبة يستدعي الاستغراق في العبودية والمستغرق فيها لا يلتفت في سائر أحواله الا الى الله تعالى ونسيان في الحفظ يستدعي عدم الرؤية في إخلاصه فصار بذلك جانبا المعاني الاخلاص كلها والأقارب في هذا كثيرة.

واعلم أن الاخلاص شرط في سائر العبادات وهو معنى قوله تعالى: وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين. وقوله تعالى: اياك نعبد لأن رؤية المنه لله تعالى واجبة للنعمة وليس لها حقيقة الا التبري من الحول والقوة والرجوع الى الله تعالى بالفقر والفاقة وطلب الاستعانة وهو معنى ما أمرنا به بقوله تعالى: واياك نستعين. ولا نعمة لله على عبده أفضل من الايمان به والعمل لأجله فهذا وجه وجوب الاخلاص في سائر العبادات.

وأما وجه استجابها في سائر التقلبات فإن العبد البار لا يتحرك الا لسيده لأن القوة التي يتحرك بها مكسبة من تقديرة نعمة سيده لأن حقيقة العبد أن لا يملك من نفسه ولا لنفسه شيئا اذ هو خالقه ورازقه وعليه توليه ان أحسن لحكمة الكرم وله أن يعاقبه ان أساء فما أوضح هذا وما أعزه في القلوب علما وحالا وعملا ولأجل عزته أوجب الله تعالى تكريره على الستة وقلوبنا في اليوم واليلة سبع عشر مرة لتخلص له أعمالنا وتعتمد عليه في جميع أحوالنا. قال الغزالي: أن حقيقة الاخلاص تخلص العمل عن شوائب أي من الرياء والحفظ كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواء انتهى. وهذا هو اخلاص العوام وقال القشيري: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا عبد الرحمن المغربي يقول: الاخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا اخلاص العوام واخلاص الخواص ما يجري عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد انتهى. وكأنه يشير الى كمال الاخلاص ولا يقدر عليه الا بعد استغراق حب قلبه فرجع جميع المباحات عنده كالأدوية لا يتناول منها الا الضرورة ولأجل كمال الاخلاص بأصله شق على الناس علمه وعمله فصار حديث الاخلاص عند المتقنه كالاستغراب وهو شرط في صحة أعمالهم.

* تنبيه * اعلم أن كمال الاخلاص هو أن لا يلتفت العبد في سائر أحواله الا الى الله تعالى عادة أو عبادة وأن يكون وجود الناس عنده كعدمهم لأن وجودهم مجازي لاحقيقة اذ لا قوام لهم بنفوسهم انما الوجود الثابت الحقيقي هو الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم الذي قامت ذاته بذاته وكل شيء سواء قائم به ومستند الى قدرته فان عجز عن هذا المقام فليكن وجودهم كوجود البهائم بمعنى أنها لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ولا غطاء ولا مدحا ولا ذما فتسفر في مشاهدة الخلق بين أن يشهده رئيس أو بهيمة في عبادة من عباداته فلا يخلو إخلاصه عن نقصان بحسب قوة النظر في جهة قلبه عن الله تعالى أو ضعفها ولهذا كان المخلصون على خطر عظيم وكانت أعمالهم أعمال المفرين فمن رزق هذه الحالة فتقصاتها بالنظر اليها والاعتماد عليها هذا ما يتعلق بكمال الاخلاص.

وبالجملة فالباعث على الفعل اما أن يكون روحانيا فقط وهو الاخلاص أو شيطانيا فقط وهو الرياء أو مركبا وهو ثلاثة أقسام لأنه لا يخلو اما أن يكونا سواء أو الرحاني أقوى أو شيطاني أقوى فاذا كان الباعث روحانيا فقط ولا يتصور الا من يحب الله مشتهر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق حب الدنيا في قلبه قرار فلا يبق في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لأنه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في

﴿وحكى﴾ الشيخ شرف الدين يونس في مختصر الإحياء أن من أخلص لله في العمل وإن لم ينو ظهرت آثار بركته عليه وعلى عقبه إلى يوم القيامة كما قيل لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض جاءته وحوش الفلاة تسلم عليه وتزوره فكان يدعو لكل جنس بما يليق به فجاءت طائفة من الطباء فدعاهن ومسح على ظهورهن فظهر فيهن نوافج المسك فلما رأى بواقيها ذلك قالوا من أين هذا لكن قلنا زرنا صفى آدم فدعانا لمسح على ظهورنا فمضى الباقي إليه فدعاهن ومسح على ظهورهن فلم يظهر لهن من ذلك شيء فقالوا قد فعلنا كما فعلتم فلم نر شيئا مما حصل لكم فقالوا أتمم كان عملكم لتناولوا كما نال إخوانكم وأولئك كان عملهن من غير شوب فظهر ذلك في نسلهم وعقبهم إلى يوم القيامة اللهم ارزقنا الإخلاص واجعلنا من المخلصين

جميع حركاته وسكاناته فلونام مثلا حتى يريح نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه وإذا كان الباعث شيطانيا فقط لا يتصور الأمن بحب للنفس والدنيا مستغرق لهم بها حيث لم يبق لحب الله في قلبه مقر فتكسب أفعاله تلك الصفة فلا يسلم له شيء من عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك إلا نادرا وإذا استوى الباعثان يتعارضان فيتناقصان فيصير العمل لاله ولا عليه، وأما من غلب أحد الطرفين فيه فيحيط منه بما سواي الآخر وتبقى الزيادة موجبة أثرها للاتق بها. ثم قال المصنف رحمه الله تعالى.

﴿وحكى الشيخ﴾ الإمام شرف الدين يونس في مختصر الإحياء قال الزيدى: أول من اختصره أخوالا إمام أبو حامد الغزالي وهو أبو الفتح أحمد بن محمد الغزالي توفي بقزوين سنة ٥٢٠ وسماه لباب الإحياء ثم اختصره أحمد بن موسى الموصلي المتوفى سنة ٦٢٢ ثم محمد بن سعيد اليمنى ومحي بن أبي الخير اليمنى ومحمد بن عمر بن عثمان البلخي وسماه عين العلم وعبد الوهاب بن علي الخطيب المزاغي وسماه لباب الإحياء ألفه في بيت المقدس والشمس محمد بن علي بن جعفر العجلواني المشهور بالبلخي وهو شيخ خاتمه سعيد السعداء بمصر سنة ٨٢٠ قال الحافظ السخاوي: وهو أحسن المختصرات والجلال السيوطي الحافظ وآخرون ﴿أن من أخلص لله في العمل وإن لم ينو﴾ ظهور ما يأتي ﴿ظهرت آثار بركته عليه وعلى عقبه﴾ أي نسله ﴿إلى يوم القيامة﴾ كما قيل لما أهبط آدم عليه السلام ﴿أنى أنزل من الجنة﴾ إلى الأرض جاءته وحوش الفلاة ﴿جمع وحش ما لا يستأنس من دواب البر﴾ قال الفيومي: والفلاة الأرض التي لا ماء فيها والجمع فلان مثل حصا وخصى وجمع الجمع أفلاء مثل سبب وأسباب ﴿تسلم عليه وتزوره﴾ فكان آدم عليه الصلاة والسلام ﴿يدعو لكل جنس بما يليق به فجاءت طائفة من الطباء فدعاهن ومسح على ظهورهن فظهر فيهن نوافج المسك﴾ أي روائحه وعظائمه في المصباح نفحة نفجا عظمت منه نافحة المسك لنفسها وهي عزية ويقال النافحة كل شيء يبدو بمجده ﴿فلما رأى بواقيها ذلك﴾ المذكور من نوافج المسك ﴿قالوا﴾ هؤلاء البواقي من الوحوش ﴿من أين هذا لكن﴾ أيها الطباء ﴿قلنا زرنا صفى الله آدم﴾ عليه السلام ﴿فدعانا لمسح على ظهورنا فمضى الباقي﴾ أي البواقي وأل للجنسية ﴿إليه﴾ أي إلى آدم عليه السلام ﴿فدعاهن﴾ أي للبواقي ﴿ومسح على ظهورهن فلم يظهر لهن من ذلك﴾ أي من دعاءهن ومسح ظهورنا ﴿شيء﴾ من روائح المسك ﴿قالوا﴾ أي هؤلاء البواقي للطباء ﴿قد فعلنا كما فعلتم فلم نر شيئا مما حصل لكم﴾ من نوافج المسك ﴿قالوا﴾ أي هؤلاء الطباء ﴿أتمم كان عملكم لتناولوا﴾ كما نال إخوانكم ﴿يعنون أنفسهم﴾ وأولئك كان عملهن من غير شوب ﴿من شوائب الأغراض بل يخلصون عملهم﴾ فظهر ذلك ﴿أي مانسا من اخلاصهم وهي النوافج المذكورة﴾ في نسلهم وعقبهم ﴿مما بعثي واحد﴾ إلى يوم القيامة اللهم ارزقنا الإخلاص واجعلنا من المخلصين ﴿آمين يا رب العالمين﴾.

* خاتمة * نسال الله حسنهما يذكر ما يتعلق بالاخلاص قال السيوطي نقلا عن القرطبي وجزم به الزبيدي في قوله ﷺ : وإنما لكل امرئ ما نوى بعد قوله إنما الأعمال بالنيات تحقيق لاشتراط النية والاخلاص في الأعمال، قال العراقي : فجعله للتأكيد ولا شك ان التأسيس أولى منه وقال الزركشي : قدره العز بن عبد السلام وإنما يحصل لكل امرئ ثواب العمل الذي نواه قال وبهذا التقدير تكون الجملة الأولى لبيان ما يترتب عليها من الثواب في الدار الآخرة . وقال الطيبي فهم من الأولى ان الأعمال لا تكون محسوبة ومسقطه الا اذا كانت مقرونة بالنيات ومن الثانية ان النيات انما تكون مقبولة اذا كانت مقرونة بالاخلاص فالأول قصر المسند اليه والثاني عكسه . وقال العباد الاسنوي في كتابه حياة القلوب : الفرق بين النية والاخلاص ان النية تتعلق بفعل العبادة وأما اخلاص من النية في العبادة فينتقل باضافة العبادة الى الله تعالى ويكتفي في اخلاص العبادة أن يقدم عنه انه مهما فعلة من العبادة انما يفعله الله خالصا فيجزئه هذا الاخلاص الحكيم من أول العمل الى آخره والأولى أن يأتي في أول كل فعل بنية الاخلاص فيه كما يأتي بذلك في نية العبادة مثل الصلاة وتشيع الجنائز والاخلاص الحكيم والحقيقي مشروط فيه عدم طرق ما يناقضه كما في نية العبادة .

وأخرج ابن ابي الدنيا في الاخلاص والدينوري في المجالسة عن عمر رضى الله عنه قال : من خلصت نيته ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس . وأخرج البيهقي في الشعب عن يونس بن عبد الأعلى قال : قال الشافعي : يا أبا موسى لو جهدت كل الجهد على أن ترضى الناس كلهم فلا سنيل لك فاذا كان كذلك فاخلص عملك ونيك الله تعالى . وأخرج عن سهل بن عبد الله قال : اطلبوا من السر النية بالاخلاص ومن العلانية الفعل بالافتداء وغير ذلك مغالط . وقال أحمد بن أوفى الحواري : سمعت أبا سليمان يقول : اذا أخلص العبد انقطع عنه كثرة الوسواس والربا .

وقال صاحب القوت : سميت سورة قل هو الله أحد سورة الاخلاص لأنها خالصة في ذكر صفات الله تعالى وحده لا يختلط بذكر الجنة ونار ولا وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهى ولذلك قيل سورة التوحيد اذ لا شريك فيما سواه ومن الهمة الله اخلاص النية وزاده معرفة الاخلاص أخرجه ذلك الى الحرب من النار ليخلص له معاملته لأنه ينظر بعين اليقين واذا ليس ينفعه شيء بينه وبين الله عز وجل لا شريك له فيه لسواه وهذا المعنى هو الذي أخرج طائفة من الأبدال الى الكهوف تخليا من أبناء الدنيا لخالص أعمالهم من النظر اليهم فهم وان فارقوا فضائل الأعمال من صلاة الجماعة وغيرها فقد تقرر عندهم ان اجتناب معصية واحدة عندهم أفضل من ذلك والجاهل بالله تعالى يعمل من طلب الفضائل ولا يبالي بسير الذنوب وفيها بعد عن الله عز وجل وليس ذلك طريق المقربين وقال بعضهم : انما أبعد القلب من الله تعالى مظاهر أعمال الجوارح بغير مواطاة من القلب بصحة القصد يعني بذلك الاخلاص بها لأجل الله تعالى قال : وأصبح الأعمال وأخلص ما كان الله تعالى هو الأول في أولها ومع العامل في أوسطها وللعبد عنده فيها والله هو الآخر عند آخرها بعد ذلك ولا يتظاهر بها ولا يظا عوضا عنها من الكبير الأكبر بل يشتغل بذكر مولاه عنها قال : ومن الناقص الشبهة للفضائل الملتبسة على الافاضل وهي منكشفة للعلماء بالله عز وجل .

روى أن رجلين تواخيا في الله عز وجل بعد رفع عيسى عليه السلام الى السماء فترهب أحدهما واسمه سرجس ولزم أخ الآخر الجماعة والمساجد ومحاطة الناس وكان اعلم منه بالله عز وجل وكان يلقي اخاه سرجس فيقول : يا أخى ان هذا الأمر الذي دخلت فيه بدعة ان عليك فيه رعاية لا تقوم بحقتها وانه ليس لله فيها رضا فلو دخلت معي في الجماعة وكان ذلك لله عز وجل رة وأصبحت السنة وكان المترهب يعرض عنه ولا يعبا برأيه ويقول : له انك قدر كمت الى الدنيا وأنست بالخلق فلما أعياه قال له : ما جا

﴿باب الكبر والعجب﴾

فترك عندى الليلة حتى يتين لك، ففعل فقدم اليه فرحين شواهما وقال له: تعالى حتى نجعل هذين الفرخين قاضين بيننا فأبنا كان على الحق ظهر أمره قال: يقضيان بيننا قال: حتى يدعوا الله كل واحد منا فمن كانت سيرته وهديه أحب الى الله تعالى يبعث بدعائه هذين الفرخين حتى يطيرا حين قال: نعم، قال: فادع فدعا الراهب فقال: اللهم ان كان هذا الأمر الذي دخلت فيه أريد به رضاك أقرب الى الحق مما يدعوني اليه أخى هذا فابعث هذين الفرخين لى قال: فلم يحب فقال الآخر: اللهم ان كان هذا الأمر الذي تمسكت به وخلقت فيه هذا وأصحابه أقرب الى الحق وأرضاء عندك مما يدعوني اليه أخى من الاعتزال والفرق للجماعة فابعث لى الفرخين فصارا حين وطارا باذن الله تعالى فعلم الآخر أن ذلك ليس فيه لله رضا فرجع الى الجماعة والمساجد قال: ومن التباس الفضائل العالية ترك العبد حاله فى مقامه طلبا للفضيلة ليزداد بها قرينة الى الله فيتغلب عليه ويهلك.

فالعالم عند العلماء فى علم خير من الخيرين فسبق اليه قبل فوته وعلم شر الخيرين فأعرض عنه لئلا يشغله عن الأخير منهما وعلم أيضا شر خيرا الشرين ففعله اذا اضطر اليه وأبلى به وعلم شر الشرين فأمعن فى الحرب بنه وهذا من دقائق العلوم.

وقال المنصور: المداواة على العمل حتى يخلص أشد من العمل. وقال عبد العزيز بن أبى رواد: أدركتهم فى العمل الصالح فاذا بلغوه وقع عليهم الهم أتبطل منهم أم لا. وقال مالك بن دينار: الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل. وقال البناجى: للعمل أربع خصال لا يتم الا بهن معرفة الله عز وجل ومعرفة الحق والاخلاص به والعمل على النية فأى عمل كان قبل هذه الأربع لم ينفع. وقال عبد الرحمن بن سريج: من قام الى شيء من الخير لا يريد به الا الله عز وجل ثم عرض له من يريد أن يرأيه بذلك أعطاه الله عز وجل بالأصل ووضع عنه الفرع ومن قام الى شيء من الخير لا يريد به الا المראה ثم ذكره بذلك فجعل آخر ذلك لله عز وجل أعطاه الله الفرع ووضع عنه الأصل كأنه حسب له ذلك توبة والتوبة مكفرة لما سلف. قال: وقد يلبس التكلف بالاخلاص واظهار العلم بظهور التزين به، قال الثورى: زين نفسك بالعلم ولا تزين به أى ادبها لله تعالى لتكون زينا فى أولائه ولا تزين به عند الناس ليمدحوك عليه.

وقد يلبس الأخبار بالاختبار فالأخبار ما كان عن حاجته وتطرق به الى الله عز وجل والاختبار ما زاد فى الشهرة وكان سلما لك الى الخلق كاللباس ستر الغورة من الثياب الفاخر منها للنعمة والكثير من الأسباب وقد يتطوع العبد بعمل يضع به فرضا واحكام الفرض لحوز السلامة هو الفضل وقد روى: اذا دعى أحدكم الى طعام فان كان مفطرا فليقل انى صائم فأمره باظهار عمله وهو يعلم ان الاخفاء أفضل ولكن اظهار عمله من حيث لا يؤثر فى قلب أخيه وجدا أفضل من اخفائه لنفسه مع تأثير ذلك فى قلب أخيه لتفضيل العمل على الأعمال اذا الأعمال موقوفة على العامل فانما يعطى الثواب على قدر العامل لا على قدر العمل لتضعيف الجزاء لمن يشاء على غيره فى العمل الواحد فدل أن المؤمن أفضل من العمل والكراهة عن قلب أخيك باظهار عمالك هو خير لك من اخفاء العمل مع وحد أخيك عليك لأن أخاك اذا دعاك الى طعام صنعه لك فلم تجبه ولم تتعذر اليه شئ ذلك عليه ان كان صادقا فى دعائك والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿باب ذم الكبر والعجب﴾

اعلم أنه قد ذم الله الكبر فى مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى: سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق. وقال تعالى: كذلك يطبع الله على قلب متكبر جبار. وقال تعالى: واستغفروا وخاب كل جبار عبيد. وقال تعالى: ان الله

قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين قال أبو حيان علق الله حصول الدار الآخرة على مجرد عدم إرادة العلو فكيف بمن باشر وقال ولا فساداً بذكر لا يدل على أن كلا منهما مقصود لا مجموعهما * وعن علي كرم الله وجهه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها * وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأمانى وعن عمر ابن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض * وأخرج مسلم وأبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من خردل من إيمان ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبه من خردل من كفر * وابن عساكر إياكم والكبر فان إبليس حمله الكبر أن لا يسجد لآدم وإياكم والحرص فلن آدم عليه السلام حمله الحرص على أن أكل من الشجرة

لا يحب المتكبرين . وقال تعالى: لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا . وقال تعالى: ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين . و ﴿ قال تعالى: تلك الدار الآخرة ﴾ أى الجنة ﴿ نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ﴾ أى استكباراً عن الإيمان وقيل علواً واستطالة على الناس وتهاونا بهم وقيل يطلبون الشرف والمزند ذى السلطان . وعن علي رضي الله عنه أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل المقدرة ﴿ ولا فساداً ﴾ أى عملاً بالمعاصي أو قتل النفس أو دعاء إلى عبادة غير الله ولم يعلق الموعود بترك العلوى والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال تعالى: ولا تركوا إلى الذين ظلموا . فعلق الوعيد بالركون قاله النسفي ﴿ والعاقبة ﴾ أى العاقبة المحمودة ﴿ للمتقين ﴾ أى لمن اتقى عقاب الله بأداء أوامره واجتناب نواهيه وقيل عاقبة المتقين الجنة .

﴿ قال أبو حيان: ﴾ رحمه الله ﴿ علق الله حصول الدار الآخرة على مجرد عدم إرادة العلو فكيف بمن باشر ﴾ ذلك ﴿ وقال ﴾ سبحانه وتعالى ﴿ ولا فساداً بذكر ﴾ لفظة ﴿ لا يدل ﴾ هذا ﴿ على أن كلا ﴾ أى كل واحد ﴿ منهما ﴾ أى من العلوى والفساد ﴿ مقصود لا مجموعهما . وعن علي كرم الله وجهه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله ﴾ أن سيرها الذي على ظهر القدم ﴿ أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل ﴾ الرجل ﴿ تحتها ﴾ أى هذه الآية ﴿ وعن الفضيل ﴾ بن عياض رحمه الله تعالى ﴿ أنه قرأها ثم قال: ذهبت الأمانى ﴾ مهنا ﴿ وعن عمر بن عبد العزيز ﴾ رحمه الله ﴿ أنه كان يرددها ﴾ أى تلك الآية ﴿ حتى قبض . ﴾ أى توفي هكذا نقل هذه الأقوال الثلاثة أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي في تفسيره .

﴿ وأخرج مسلم وأبو داود ﴾ والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود وغيره ﴿ عن رسول الله ﷺ لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة ﴾ أى وزن نملة صغيرة ﴿ من خردل من إيمان ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبه من خردل من كفر . ﴾ وفى القاموس الخردل حب شجرة معروف مسخن ملطف جاذب قالع للبلغم ملين هاضم نافع للنفوس والنساء والبرص ودخانه يطرد الحيات وماؤه يسكن وجع الآذان تقطيرا ومسحوقه على الفرس الوجع غاية انتهى . ويسمى عند أهل الملايو بيجى ساوى كما صرح به المروى .

﴿ وأخرج ﴾ ابن عساكر ﴿ فى تاريخه عن ابن مسعود ﴾ إياكم والكبر ﴿ أى أحذروه ﴾ فان إبليس ﴿ اللعين ﴾ حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم ﴿ فكان من الكافرين ﴾ وإياكم والحرص ﴿ وهو شدة الكد والانهماك فى الطلب ﴾ فان آدم عليه السلام حمله الحرص على أن أكل من الشجرة ﴿ فأخرج من الجنة فانه حرص على الخلد فى الجنة فأكل منها بغير إذن ربه طمعا فيه فالحرص على الخلد أظلم عليه فلما انكشف عنه ظلمته لقال كيف أظفر بالخلد فيها مع أكلى منها بغير إذن ربي ففى ذلك الوقت حصلت الغفلة منه تهاجت فى النفس شهوة الخلد فيها فوجد العدو فرصه فخدعه حتى صدغه فجرى ما جرى . قال الخواص الأنبياء قلوبهم صافية سادحة لا

وإياكم والحسد فإن بني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً فمن أصل كل خطيئة * والنسائي والترمذي يحشر المكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس يعلوهم نار الأتار يسقون من عصارة أهل النار من طينة الخبال * وفي رواية يسقون من طينة الخبال وهو عصارة أهل النار * وأبو الشيخ شرار أمي المعجب بدينه المرائي بعمله المخاضم بحجة الرءاء شرك * وأبو نعيم من حمد نفسه على عمل صالح فقد ضل شكره وحبط عمله *

توهم أن أحداً يكذب ولا يخلف كاذباً فلذلك صدق من قال له أدلك على شجرة الخلد خرصاً على عدم خروجه من حضرة ربه الخاصة ونسى النهي السابق وانكشف له سر تنفيذ قدار ربه فيه فطلب بأكله من الشجرة المدح عند ربه فكانت السقطة في استعجاله بالأكل من غير إذن صريح فلذلك وصفه الله تعالى بأنه كان ظلوماً جهولاً حيث اختار لنفسه خالة يكون عليها دون أن يتولى الحق تعالى ذلك ولذلك قال تعالى: خلق الإنسان من عجل وكان الإنسان عجولاً * وإياكم والحسد فإن ابن آدم * قابيل * وهابيل * إنما قتل أحدهما * أي قابيل * صاحبه * هابيل * حسداً * قال البيضاوي أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأم الآخر فسخط قابيل لأن توأمه كانت أجمل فقال لهما آدم قرا قربانا فمن أيهما قبل يزوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فأزاد قابيل سخطاً وفعل ما فعل * فمن * أي الكبر والحرص والحسد * أصل كل خطيئة * وجميع الخطايا تنشأ عنها .

﴿و﴾ أخرج * النسائي والترمذي * واللفظ له وقال حديث حسن * يحشر المكبرين يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس * بضم الموحدة وفتح اللام وآخره سين مهملة * يعلوهم نار الأتار * هو جمع نار * يسقون من عصارة أهل النار من طينة الخبال * بفتح المعجمة فالموحدة * وفي رواية يسقون من طينة الخبال وهو عصارة أهل النار * أي بما يسيل من أجسادهم بعد ذوبانها من القيح والصدید .

﴿و﴾ أخرج * أبو الشيخ : شرار أمي المعجب بدينه المرائي بعمله المخاضم بحجة الرءاء شرك . و * أخرج * أبو نعيم من : حمد نفسه على عمل صالح فقد ضل شكره * أي ذهب * وحبط عمله * وأخرج الديلمي : أن الله ينفذ البذخين الفرحين المرحين . وأخرج أبو بكر بن لال وعبد الغني بن سعد وابن عدي : اجتنبوا الكبر فإن العبد لا يزال يتكبر حتى يقول تعالى : اكبوا عبدى هذا في الجبارين . وأخرج الترمذي وحسنه : لا يزال العبد يذهب بنفسه أي يرتفع ويتكبر حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم . وأخرج أبو دود والحاكم : الكبر من بطر الحق وغنط الناس . وأخرج الحاكم : سيصيب أمي داء الأمم الأشر والبطر والكثرة والتشاحن في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغى . وأخرج مسلم والنسائي : ثلاثة لا يكلم الله يوم القيامة ولا يذكهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعاتل أي فقير متكبر . وأخرج النسائي وابن حبان في صحيحه : أربعة ينفذهم الله البيع الحلاف والفقير المختال والشيخ الزاني والإمام الجائر . وأخرج البزار بإسناد جديد : ثلاثة لا يدخلون الجنة الشيخ الزاني والإمام الكذاب والعاتل الزهواي المعجب بنفسه المتكبر . وأخرج الطبراني : لا يدخل الجنة مسكين متكبر ولا شيخ زان ولا منان على الله بعمله . وأخرج أحمد والشيخان وأصحاب السنن الأربعة : من جر ثوبه خيلاً لم ينظر الله إليه يوم القيامة . وأخرج الديلمي أن العجب يحبط عمل سبعين سنة . وأخرج الطبراني : لو كان العجب رجلاً لكان رجل سوء . وروى أحمد بسند رواه رواية الصحيح واليهي في شعب الإيمان من طريقه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمرو على المروة متحدثاً ثم مضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يسكى قالوا : وما يسكى يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : هذا يعني عبد الله بن عمرو وزعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : من كان في قلبه

وقال رسول الله ﷺ إن في النار ثوابت يجعل فيها المتكبرون فيغلق عليهم * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار * وقال صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلي نظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام * وقال أبو الدرداء لا يزال العبد يزاد من الله بعد ما مشى خلقه * وقال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام يوما للجن والإنس والطير والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة في السموات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم

مقال حبة من خردل من كبرأكبه الله في النار .

﴿وقال رسول الله ﷺ: إن في النار ثوابت﴾ جمع ثابوت ﴿يجعل فيها المتكبرون فيغلق عليهم﴾ قال العراقي : رواه البيهقي في الشعب من حديث أنس وقال : فيقل مكان فيغلق وفيه أبان بن عباس وهو ضعيف ﴿وقال رسول الله ﷺ: من أحب أن يتمثل له الرجال﴾ قال عياض يتصبون له ﴿قياما فليتبوأ مقعده من النار﴾ أمر بمعنى الخبر كأنه قال من أحب ذلك وجب له أن ينزل منزلة من النار وحق له ذلك . قال الطبري ونقله العلقمي عن شيخه هذا الخبر إنما فيه نهى من يقام له عن السرور بذلك لا تقوم له أكرما . وقال ابن قتيبة : معناه من أراد أن يقوم الرجال على رأسه كما يقام بين يدي ملوك الأعاجم وليس المراد به نهى الرجل عن القيام لأخيه إذا سلم عليه ، ووجه النووي ما قاله الطبري فقال الأصح والأولى بل الذي لأحاجة إلى ما سواء ان معناه زجر المكلف أن يحب قيام الناس له ، قال : وليس فيه تعرض للقيام بنهي ولا غيره وهذا متفق عليه ، قال : والمنهى عنه محبة القيام فلو لم يحظر بياله فقاموا له فلا يؤم عليه وإن أحب ارتكب التحريم سواء قاموا له أم لم يقوموا وقدم ابن القيم في كلام ابن قتيبة بأن سياق الحديث يدل على خلاف ذلك لأن معاوية إنما روى الحديث حين خرج فقاموا له تعظيما له ولأن ذلك لا يقال له القيام للرجل وإنما هو القيام على رأس الرجل أو عند الرجل وقال الحنفى : قوله من أحب أن يتمثل له الرجل الخ فالمدحوم محب ذلك سواء قاموا له أولا ومن لم يحب ذلك فلا بأس عليه وإن قاموا له فمن كان عالما وأحب أن يقوم له الناس دخل في ذلك الوعيد وإن كان المطلوب لهم القيام تعظيما للعلم فإن لم يحب ذلك فلا بأس عليه وأما ما فعله بعض الصوفية من قيام المرادين بين أيديهم ولا يجلسون إلا باذنهم فذلك لقصد هم تطهيرهم وقمع أنفسهم ولذا إذا علموا طهارة نفسه وكما له أمره بالجلوس في حضرتهم وإذا قدم عليهم قاموا له ومشوا له خطوات والأعمال بالنيات انتهى . وهذا الحديث رواه أحمد وابن ماجه والترمذي عن معاوية واسناده صحيح وأوله عن أبي مجاز قال : خرج معاوية على ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر : اجلس فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول من أحب فذكره ﴿وقال ﷺ: من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار﴾ أي ممن يستحق دخولها ﴿فلي نظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام﴾ زابت هذا الحديث في الأحياء موقوفا على على رضي الله عنه ومعناه في المرفوع قبل هذا ﴿وقال أبو الدرداء﴾ رضي الله عنه ﴿لا يزال العبد يزاد من الله بعد ما مشى﴾ بالبناء للمفعول ﴿خلق﴾ أخرج أبو نعيم في الحلية عن إبراهيم بن عبد الله حد ثنا محمد بن اسحق حد ثنا قتيبة بن سعيد حد ثنا بكر بن مضر عن عبيد الله بن زحر عن الهيثمة بن خالد عن سليمان بن عفر قال لقينا كريب بن أبي برمة راكبا ووراءه غلام له فقال سمعت أبا الدراء يقول فذكره .

﴿وقال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام يوما﴾ من الأيام ﴿للجن والإنس والطير والبهائم اخرجوا فخرج﴾ سليمان عليه السلام وفي لفظ فخرجوا ﴿في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة في السموات﴾ الرجل محركة الصوت ﴿ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا﴾ أي هاتفا ﴿لو كان في قلب صاحبكم﴾ يعني سليمان عليه الصلاة

مقال ذرة من كبر الخسفت به أبعد مما رفعته * ومثل سليمان عليه السلام عن السينة التي لا ينفع معها حسنة فقال الكبر

والسلام ﴿مقال ذرة من كبر الخسفت به أبعد مما رفعته. ومثل سليمان عليه السلام﴾ هكذا سليمان تبع النسخة الزاخر وكذا في الأحياء والصواب سلمان الفارسي رضي الله عنه كما قاله الزبيدي ﴿عن السينة التي لا ينفع معها حسنة فقال الكبر﴾ ونظر الحسن البصري إلى أمير يمشي متبحراً فقال: أف أف لشامخ بأفقه ثاب عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه أي حقيق أين تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها فسمع فجاء معذراً فقال لا تعذر إلى وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى: ولا تمشي في الأرض مرحاً إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا. وقال محمد بن واسع حين كان ولده يحتال في مشيته فقال له: أنت رى مانت أما لك فاشترتها بمائتي درهم وأما برك فلا أكر الله في المسلمين مثله. ورأى مطرف المهلب يتبختر في جبة خز فقال: يا عبد الله إن هذه مشية يفضها الله ورسوله، فقال له المهلب: أما تعرفني؟ فقال: بلى أعرفك أولك نظفة مذرة وآخرك جيفة قدرة وانت بيتي ذلك تحمل القدرة فترك المهلب مشيته تلك.

* تنبيه * الكبر اما على الله تعالى وهو أفحش أنواع الكبر ككبر فرعون ونمروذ حيث استنكها أن يكون عبد من له تعالى وإذ عيا الربوبية قال تعالى: إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين. لن يستنكف المسيح الآية. واما على رسول الله بأن يمنع من انقياد له تكبرا وجهلا وعنادا كما حكى الله ذلك عن كنان مكة وغيرهم من الأمم واما على العباد بأن يستعظم نفسه ويحتقر غيره ويزدرجه فيأبى على القياد له أو يرفع عليه ويأنف من مساواته وهذا وإن كان دون الأولين إلا أنه عظيم أثمه أيضا لأن الكبرياء والعظمة إنما تليقان بالملك القادر القوى المتيقن دون العبد العاجز الضعيف فتكبره فيه منازعة لله في صفة لا تليق بحاله فهو كعبد أخذ تاج ملك وجلس على سريره فما أعظم استحقاقه للمقت وأقرب استعجاله للخرى ومن ثم قال تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة أزاري فمن نازعني فهنا قصته أي لأنهما من صفاته الخاصة به تعالى فالمنازع فيهما منازع في بعض صفاته تعالى وأيضا فالتكبر على عباده لا يليق إلا به تعالى فمن تكبر عليهم فقد جنى عليه إذ من استذل خواص غلمان الملك منازع له في بعض أمره وإن لم يبلغ قبح من أراد الجلوس على سريره ومن لازم هذا الكبر بنوعيه مخالفة أوامر الحق لأن المتكبر ومنه المتجاذلون في مسائل الدين بالهوى والتعصب تأبى نفسه في قبول ما سمعه من غيره وإن اتضح سبيله بل يدعو لكبره إلى المبالغة في تزيغته وإظهار إبطاله فهو على حد قوله عز وجل: وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبس المهملاد.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كفى بالمرئى أثما إذا قيل له اتق الله أن يقول عليك بنفسك وقال ﴿لرجل﴾: كل يمينك فقال: متكبرا لا أستطيع فشلت يده فلم يرفعها بعد فاذا ن التكبر على الخلق يدعو إلى التكبر على الخالق ألا ترى أن إبليس لما تكبر على آدم عليه السلام وحسده بقوله أنا خير منه، جره ذلك إلى التكبر على الله لمخالفة أمره فهلك هلاكاً مؤبداً ومن ثم جعل ﴿من علامة الكبر بطر الحق﴾ أي رده وغبط الناس أي احتقارهم وازدرائهم.

ثم الحامل على الكبر هو اعتقاد كمال تميزه على غيره بعلم أو عمل أو نسب أو مال أو جمال أو قوة أو كثرة اتباع فالتكبر أسرع إلى العلماء الذين لم يمتحنوا نور التوفيق منه إلى غيرهم لأن الواحد منهم يرى غيره بالنسبة إليه كالبهيمة فيقصر في حقوقه التي طلبها الشارع منه كالسلام والعبادة والبشر ويطلب منه أن لا يحل شيء من حقوقه لمحبة الترفع عليه وفاعل ذلك أجهل الجاهلين لأنه جهل مقدار نفسه وربه وخطر الخاتمة وعكس الموضع إذ من شأن العلم أن يوجب مزيد الخوف والتواضع لعظم حجة الله عليه بالقلم وتقديره في شكر

﴿وروي﴾ أن خليعا من بني إسرائيل جلس إلى عابد ينتفع به فأنف من مجالسته وطرده فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أنه غفر للخليع وأحبط عمل العابد فالجاهل العاصي إذا تواضع وذل هيبته وخوفاته فقد أطاع فهو أطوع من العالم المتكبر والعابد المعجب * وقال الغزالي كل من رأى نفسه خيرا من أحد من خلق الله فهو متكبر * وقال حمدون من ظن أن نفسه خيرا من فرعون فقد أظهر الكبر أعادنا الله من الكبر وحمانا من العجب

نعمة لكن سبب ذلك أن علمه ما يرجع إلى الدنيا أولاته لم يخلص النية فيه فخاض فيه على غير وجهه فاتج له تلك القناص وكذلك العلماء الذين ظهرت عليهم سيما الصالحين يسرع اليهم الكبر لكن الناس يزددون اليهم بقضاء ما ربهم والمبالغة في أكرامهم فيرون حينئذ أنهم أرفع وأحق بأن يكون الناس دونهم لعدم وصولهم إلى صور أعمالهم وما دروا أن ذلك ربما يكون سببا لتسلبهم ﴿ور﴾ ذلك كما ﴿وروي أن﴾ رجلا كان ﴿خليعا﴾ أي فاجرا لكثرة فساده وفجوره كأنه خلع عذاره ﴿من بني إسرائيل جلس إلى عابد﴾ وكان على رأس العابد غمامة تظله أكرمه الله بها و﴿ينتفع﴾ الخليع ﴿به﴾ أي العابد ويقول في نفسه أنا خليع بنى إسرائيل وقا جرهم وهذا عابد بنى إسرائيل وصالحهم فلو جلست إليه لعل الله يرحمي ببركة جلوسى إليه فجلس إليه فقال العابد: أنا عابد بنى إسرائيل وهذا خليعهم فكيف يجلس إلي ﴿فأنف من مجالسته﴾ أي تكبر وتزه عنها ولم يحب تقربه إليه ﴿وطرده﴾ وقال له: تم عنى ﴿فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أنه﴾ تعالى ﴿غفر للخليع وأحبط عمل العابد﴾ وفى رواية فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأثما العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفى رواية أخرى: فتحولت الغمامة إلى رأس الخليع.

وقال أبو نعيم فى ترجمة بكر بن عبد الله المزنى قال: كان الرجل من بنى إسرائيل إذا بلغ المبلغ فنشئ فى الناس تظله غمامة قال: فمر رجل قد أظلمه غمامة على رجل فأعظمه لما رآه لما أتاه الله عز وجل قال: فاحتره صاحب الغمامة أو قال: كلمة نحوها قال: فأمرت أن تحول من رأسه إلى رأس الذي عظم أمر الله عز وجل انتهى. وهذا يعرفك أن الله تعالى إنما يريد من العبد قلوبهم.

﴿فالجاهل العاصي إذا تواضع وذل هيبته وخوفاته فقد أطاع﴾ الله بقلبه ﴿فهو أطوع﴾ أى أكثر طاعة ﴿من العالم المتكبر والعابد المعجب﴾ بمبادته وكذلك روى أن رجلا من بنى إسرائيل أتى عبدا من العباد فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال العابد ارفع رجلك عن رقبتي فوالله لا يغفر لك، فأوحى الله إليه: أيها المثال أى الخائف على بل أنت لا يغفر الله لك. وكذلك قال الحسن البصرى رحمه الله: صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب مطرز الخبز أى صاحب الخزيد لصاحب الصوف ويرى الفضل له لنفسه فهذا معنى قول الحسن ﴿وقال﴾ الإمام أبو حامد حجة الاسلام ﴿الغزالي﴾: كل من رأى نفسه خيرا من أحد من خلق الله فهو متكبر وقال ﴿أبو صالح﴾ حمدون ﴿بن أحمد بن عمارة القصار النيسابورى﴾ صاحب سليمان الباروسى وأبا تراب النخشبى مات سنة احدى وسبعين ومائتين ﴿من ظن أن نفسه خيرا من﴾ نفس ﴿فرعون فقد أظهر الكبر﴾ نقله القشيرى فى الرسالة ﴿أعادنا الله من الكبر وحمانا من العجب﴾

واعلم أنه قد ينتهى الحق ببعض العباد إلى أنه إذا أدى يوعد مؤذيه ويقول: سترون ما يحل به وقد قتل جماعة الانبياء وماتوا من غير أن يماجلوا بعقاب فى الدنيا بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه فى الدنيا ولا فى الآخرة ثم الجاهل المغرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد اتقى له بما لا ينتم لأنبيائه ولعله فى مفت الله بأعجابه وكبره وإذا علمت ما ذكر اتضح لك كبر البقية من ذوى الأموال والجاه وغيرهما فالمتكبر بالنسب قد يرى من ليس كسبه مثل عبده وكذا بالجمال وأكثر ما يجرى بين النساء ونحوهن وكذا بالمال هو شاهد بين

أرباب الدنيا من المناصب والمناجر وغيرهما وكذا بالاتباع والجند وأكثر بما يجري بالملك وما يهيج الكبر ويسعثره العجب والحقد والحسد والرياء إذ التكبر خلق باطن لأنه استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وموجبه الحقيقي هو العجب وحده وأما غير العجب مما ذكرنا فانما هو سبب للتكبر الظاهر لأن باعته على التكبر عليه هو الحقد والحسد وعلى غيره هو الرياء ..

ثم اعلم انه يتعين على كل انسان اراد الاخلاص من ورطة الكبر وثمرته القبيحة اذ هو من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وازاله فرض عين وهي لا يمكن بمجرد التمسك بل بمعالجة استعمال أدوية النافعة في ازالته عن أصله فيلزم عليه أن يعرف نفسه حق المعرفة بأن يتأمل ما أشار الله تعالى الى بدايته من أذل الأشياء وأحقرها واقدرها وهو التراب ثم المنى ووسطه من التأمل لاكتساب العلوم والمعارف وخياره المناصب والمراتب ونهايته من الزوال والفناء والعود الى مثل بدايته ثم أعادته الى ذلك الموقف الأكبر ثم الى الجنة أو الى النار ومن أظهر ما أشار لكل ذلك قوله تعالى: قتل الإنسان ما أكفره، من أي شيء خلقه فقد ره ثم السيل يسره ثم أماته فاقبره ثم إذا شاء أشتره كلاما يقضى ما أمره فلينظر الإنسان على طعامه الى آخر السورة وقوله تعالى: هل أتى على الإنسان حين من الدهر الآيات فمن تأمل ذلك ونظائره وما أشارت إليه الآيات علم أنه أذل وأحقر من كل ذليل وحقير وأنه لا يليق به الا الذلة والتواضع وأن يعرف ربه سبحانه وتعالى ليعلم أنه لا يليق العظمة والكبرياء إلا به تعالى بخلاف نفسه فإنه لا يليق فرع لحظة واحدة فكيف البيطر والخيلاء بعد ان ظهر له مبتدأ أمره ووسطه ولو ظهر له آخره والعياذ بالله ربما اختار أن يكون بهيمة ولو كلبا سيما ان كان علم الله أنه من أهل النار ولو رأى من أهل الدنيا صورة من صور أهل النار لصعقوا من قبورها وماتوا من تنهاتها فمن هذا عاقبته إلا ان يعفو الله عنه وهو على شك في العفو فكيف يتكبر ويرى نفسه شيئا وأى عبد لم يذنب ذنبا يستحق به عقوبة الله إلا ان يعفو الله الكريم بفضلته ومن يتأمل ما ذكرناه حقيقة التأمل زال عنه النظر الى علمه وعمله ومنصبه وجاهه وماله وفر الى الله من كل شيء وتواضع له وعلم أنه أحقر وأذل من كل شيء كيف وهو يجوز ان يكون عند الله شفيعا ..

ومما يظهر التكبر الكامن في النفس ويعلم به من سرك له نفسه انها منزهة عنه ان يناظر في مسئلة مع بعض أقرانه ويظهر الحق على يد صاحبه فان اطمأن لقبوله وأعلن بشكره وفصله وأنه ظهر الحق على يده وكان كذلك مع كل مناظر ظهرت القرائن على براءته من الكبر وان اخل شرط من ذلك فهو كامن فيه فعليه علاجه بالتفكير فيما مر ونحوه الى أن تنقطع عروقه من نفسه بأن يقدم أقرانه على نفسه في المجالس ونحوها لكن على وجه لا يظن به فيه انه أظهر تواضعا والا كان يترك صفهم ويجلس معهم كما كان ذلك من الكبر وبأن يجب دعوة الفقير ويحادثه ويخالسه ويمر في الأسواق لحاجته وحاجات الفقراء والمنقطعين وبأن يحمل حاجته وحاجة غيره فان ذلك براءة من الكبر كما في الحديث ويسمى ذلك عنده في الخلاء وبحضرة الملا والا فهو متكبر أو مرء وكل ذلك من أمراض القلوب وعلاها المهلكة لما ان لم يتدارك وقد أهمل الناس طبعها واشتغلوا بطب الأجساد مع انه لا سلامة في الآخرة الا من أتى الله بقلب سليم أي من الشرك أو بما سوى الله ..

وقد مر في الأحاديث ذم العجب وأنه من المهلكات ومن ثم ذمه الله تعالى بقوله: ويوم حين اذ أعجبكم كثرتم فلم تغن عنكم شيئا. ويقولون: وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا. فقد يعجب الانسان بعمله وهو مصيب فيه أو يخطئ وقال ابن مسعود: الهلاك في اثنتين القنوط والعجب لأن القنوط آس من نفع الأعمال ومن لازم ذلك تركها المعجب ويرى انه ساعد وظفر بمراذه فلا يحتاج لعمل ومن ثم قال تعالى: فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى. ومن تزكية النفس اعتقادها بارة وهو معنى العجب. وقال مطرف بن عبد الله رحمه الله: لأن آيت نانا وأصبح أخب من أن آيت قائما وأصبح معجبا وتقدم حديث الله ﷺ قال: لو لم تدنوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك

العجب . فجعل العجب أكبر الذنوب لكونه يورث الغرور بالعمل فلا يوقف للتوبة بخلاف غيره من المعاصي ولأن العجب يصرف وجه العبد عن الله والذنب يصرفه إليه ولأن العجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به على ربه ولأن العجب ينتج الاستكبار والذنب ينتج الاضطراب والافتقار وخير أوصاف العبد اضطرابه وافتقاره إلى ربه وفي الحديث دلالة على أن العبد لا يتبعه الخطيئة عن الله وإنما يبعده الاحرار والاستكبار والاعراض بل قد يكون الذنب سبب الوصلة بينه وبين ربه ولقد أطال بشر بن منصور رحمه الله الصلاة فقال بعد سلامه لمن خلفه ينظر فقطن له لا يعجبك ما رأيت مني فان ابليس لعنه الله قد عبد الله مع الملائكة مدة طويلة ثم صار إلى ما صار إليه فلا ينبغي للانسان ان يغتر بالعمل أو يسلك به مسلك الإعجاب . وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا ؟ قالت : اذا ظن انه محسن وقد قال تعالى : لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى . والمن على المصدق عليه تيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب لأنه لو لم يعجب به لما عده عظيما .

فظهر بهذا أن العجب مذموم جدا وأن له آفات كثيرة منها تولد الكبر عنه كما مر فتكون آفات الكبر آفات العجب لأنه الأصل هذا مع العباد وأما مع الله عز وجل فهو ينسئ الذنوب لظنه انه لا يؤاخذ بها فلا يتدارك ورطاتها ولا يتصل من مدامها ويورث استعظام عبادته وعن على الله تعالى بفعلها فيعنى عن تقدر آفاتا فيضيع كل سعيه أو أكثره لاذ العمل ما لم يتق من الشوائب لا ينفع وإنما يحمل على تنقيته منها الخوف والمعجب عزته نفسه برأية فأمن مكروه وعقابه وعد ان له على الله حقا بعمله فزكى نفسه واعجب برأيه وعقله وعلمه ولم تظمن نفسه أن يرجع لغيره في علم ولا عمل فلا يسمع نصحا ولا وعظا لنظرة إلى غيره بعين الاحتقار فعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كمال في خذ ذاته لكثرة ما دام خائفا من سلبه من أصله فهو غير معجب به وكذا لو فرح به من حيث انه نعمة من الله تعالى أنعم بها عليه بخلاف ما اذا فرح به من حيث أنه كمال متصف به منع قطع نظره عن نسبه إلى الله تعالى فان هذا العجب فهو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان اضافتها إلى الله تعالى فان ضم لذلك توقعه جزاء عليها لاعتقاده أن له عند الله حقا وأنه منه بمكان سمي مدلا فالادلال أخص من العجب وقد علم مما مر الفرق بين الكبر والعجب وايضا حه ان الكبر اما باطن وهو خلق في النفس واسم الكبر بهذا أحق واما ظاهر وهو أعمال تصدر من الجوارح وهى ثمرات ذلك الخلق وعند ظهورها يقال له تكبر وعند عدمها يقال في نفسه كبر فالأصل هو خلق النفس الذي هو الاستعواج والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فهو يستدعى متكبرا عليه ومتكبرا به وبهذا فارق العجب فانه لا يستدعى غير المعجب به حتى لو فرض افتراءه دائما أمكن أن يقع منه العجب دون الكبر ومجرد استعظام الشيء لا يقتضى التكبر الا ان كان ثم من يرى أنه فوقه ثم اذا بان لك ما ذكر تبين عليك علاج العجب وعلاج كل علة انما يكون بضدها وعلة العجب الجهل الخض كما علم بما تقدم في حده وشفاها النظر إلى ما لا ينكره أحد وهو ان الله تعالى هو المقدر لك على نحو العلم والعمل والمنعم عليك بالتوفيق إلى حيازته ويجعلك ذا نسب أو مال أو جاه فكيف يعجب بما ليس إليه ولا منه وكونه محل ذلك لا يجدى شيئا لأن المحل لا مدخل له في اليجاد والتحصيل وكونه سببا فيه تزول ملاحظته له اذا تأمل ان الأسباب لا تأثير لها وإنما التأثير لجوده والمنعم بها فينبغى أن لا يكون اعجابه الا بما أسدى إليه الحق وأجره عليه وآثره به دون غيره من مزايا جوده وكرامه مع عدم سابقة استحقاق منه لذلك .

فان قال لولا ما علم في من صفة محسودة باطنه لما أثرني بذلك قيل له وتلك الصفات أيضا من خلقه وانعامه على أن من انطوى علم خاتمته وعاقبته عن نفسه كيف يسوغ له عجب بأى نوع فرض من أنواعه فانه لا أعبد من ابليس ولا أعلم من بلعام بن باعوراء في زمنه ولا أقرب ولا أشفق من أبى طالب على نبينا ﷺ ولا أشرف من الجنة ومكة وقد علمت ما وقع لأولئك من سوء الخاتمة والعياذ بالله وما وقع

﴿خاتمة في ذم الخيلاء وفضل التواضع﴾ أخرج البخاري بينما رجل من كان قبلكم يجر أزاره من الخيلاء فخسف به فهو يتجملجل في الأرض إلى يوم القيامة *

لآدم في الجنة ولكفار حكمة فيها فاحذر أن تعجب وتغر بنسب أو علم أو محل أو غير ذلك هذا كله أن كنت معجبا بحق فكيف وكثيرا ما يقع الاعجاب بباطل قال تعالى أفمن زين سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقد أخبر ﷺ أن هذا يغلب في هذه الأمة اذ جميع أهل البدع والضلال انما أصرروا عليها لعجبهم بأرائهم الفاسدة وبذلك أهلكت الأمم السابقة لما افرقوا فرقا وأعجب كل منهم برأيه قال تعالى كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أن ما نمدهم من مال وبين نسايع لهم في الخيرات بل لا يشعرون أي أن ذلك ربما كان مقنا واستدراجا قال عز وجل سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم أن كيدى متين والله أعلم

﴿خاتمة﴾ نسأل الله حسنهما ﴿في ذم الخيلاء﴾ بضم الخاء وحكى كسرهما في المحكم وغيره والياء مفتوحة بمدودا قال النووي: قال العلماء الخيلاء والمخيلة والبطر والزهو والتبخر كلها بمعنى واحد وهو حرام ويقال: خال الرجل خالا واختال اختيالا إذا تكبر وهو رجل خال أي متكبر وصاحب خال أي صاحب كبراهته . قال العراقي في شرح الترمذي: وكأنه مأخوذ من التخیل إلى الظن وهو أن يخيل له أنه بصفة عظيمة بلباسه لذلك اللباس أو لغير ذلك ﴿وفضل التواضع﴾ وهو تفاعل من الوضع بمعنى الخشوع والذل والفرق بين التواضع والضعفة أن التواضع رضا الإنسان بمنزلة دون ما تستحقه منزلته والضعفة وضع الإنسان نفسه بمحل يزرى به والفرق بين التواضع والخشوع أن التواضع يعتبر بالأخلاق والأفعال الظاهرة والباطنة والخشوع يقال باعتبار أفعال الجوارح ولذلك قيل إذا تواضع القلب خشعت الجوارح قاله الراغب . وقال ابن القيم: الفرق بين التواضع والمهانة أن التواضع يتولد من بين علمه بالله وصفاته ومحبته وإجلاله وبين معرفته بنفسه ونقصها وعيوب عمله وآفاتا فيتولد من ذلك خلق هو التواضع وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة للخلق والمهانة الدناءة والحسنة وابتدال النفس في نيل حظوظها كواضع الفاعل للمفعول به .

﴿وأخرج البخاري﴾ عن أبي هريرة ؓ ﴿بينما﴾ وسألها بينا في كون كل منهما طرفا يضاف للجملة الاسمية والفعلية ومعناه بين أوقات كذا لأن بين تقضى شيئين فصاعدا وأصلهما بين التي هي ظرف زمان زيدت عليها الألف لتكفيها عن عملها الذي هو الخفض كما زيدت عليها ما لذلك وما بعدهما مرفوع بالابتداء ﴿رجل من كان قبلكم يجر أزاره من الخيلاء فخسف به فهو يتجملجل﴾ أي يتحرك وينزل مضطربا قاله الخليل ﴿في الأرض إلى يوم القيامة﴾ وأخرج مسلم من طريق همام عن أبي هريرة ومن طريق أبي الزناد عن أعرج عن أبي هريرة وأخرجه من طريق أبي الرفع عن أبي هريرة بلفظ أن رجلا من كان قبلكم يتبخر في حلة الحديث .

وفي الحديث فوائد الأولى قد يحتمل على رواية بينما رجل يمشی إلى آخره أن هذا الرجل من هذه الأمة فأخبر النبي ﷺ بأنه سيقع لهذا وقيل بل هو أخبار عن قبل هذه الأمة . قال عياض: وهذا أظهر . وقال النووي: وهذا هو الصحيح وهو معنى ادخال البخاري له في ذكر بني اسرائيل قال الولي العراقي: قد صرح به في رواية مسلم المقدمة حيث قال فيها أن رجلا من كان قبلكم . وروى أبو يعلى الموصلي في مسنده عن كريب قال: كنت أقود ابن عباس في زقاق أبي لبب فقال: يا كريب بلغنا مكان كذا قلت: أنت عنده الآن فقال: حدثني العباس بن عبد المطلب قال: بينما أنا مع رسول الله ﷺ في هذا الموضع إذ قيل رجل يتبخر بين يدي وينظر عطفيه قد أعجبته نفسه إذ خسف الله به الأرض في هذا الموطن فهو يتجملجل فيها إلى يوم القيامة وأخرجه أيضا من طريق الزبيد عن محمد بن زياد . وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي جري الهجيمي بلفظ: أن رجلا من كان قبلكم لبس برده فتبخر فيها فنظر الله إليه من فوق عرشه

وأحمد من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقى الله وهو عليه غضبان * ومسلم إن الله لا ينظر إلى من يحز إزاره بطرا

فمقته فأمر الأرض فأخذته فهو يتجلجل فأحذرك مقت الله عز وجل . وروى ابن عساكر : أن رجلا في الجاهلية جعل يتختر وعليه حلة قد لبسها فأمر الله عز وجل الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة هكذا أورده السيوطي في المعجم الكبير ولم يذكر أصحابه ويض له فليحور ولعله أبو هريرة .

الثانية قال أبو العباس القرطبي : البردان الرداء والأزار وهذا على طريقة ثنية العزيرين والقمرين انتهى . قال الولي العراقي وفي تعيينه أن البردين أزار ورداء ونظر وقوله أنه كالعمرين والقمرين مردود لأن ذلك فيه تغليب وهذا لا تغليب فيه بل كل من مفرد به يرد لو قيل للرداء أو الأزار أو أزارا أو ردا أن كان من باب التغليب .

والثالثة قال أبو العباس القرطبي : أعجاب الرجل بنفسه هو ملاحظته لما بعين الكمال والاستحسان مع نسيان منة الله فإن رفعها على غيره واحقره فهو الكبر المذموم .

الرابعة قال القرطبي : يفيد هذا الحديث ترك الأمن من تعجيل المؤخذ على الذنوب وإن عجب المرء بنفسه وثوبه وهيته حرام وكيرة .

والخامسة في قوله برداء الأزار والرداء والقميص والسراويل والجبة والقباء وغير ذلك مما يسمو ثوبا وفي صحيح البخاري عن شعبة قلت لحارب : أذكر أزارا قال : ما خض أزارا ولا قميصا .

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ أحمد ﴾ وغيره عن ابن عمر ﴿ من تعظم في نفسه ﴾ أي تكبر ﴿ واختال في مشيته ﴾ بكسر الميم أي يتختر وأعجب بنفسه فيها ﴿ لقى الله وهو عليه غضبان ﴾ فإن شاء غذبه وإن شاء عفا والكلام في الاختيال في غير الحرب أما فيها فمطلوب وإنما لقبه وهو عليه غضبان لأنه نازعه في حصص صفته الكبرياء رداؤه كما في الخبر . قال الحنفى : قوله من تعظم في نفسه أي عد نفسه عظيما لكونه عالما أو صالحا أو غنيا مثلا فقال : أنا خير من هذا . ويلزم من ذلك التكبر في المشي فقوله واختال عطف اللازم فالرفق لا يرى أنه خير من أحد .

﴿ و ﴾ أخرج ﴿ مسلم ﴾ عن أبي هريرة ﴿ أن الله لا ينظر إلى من يحز إزاره ﴾ أي يسبله إلى تحت كعبه ﴿ بطرا ﴾ أي الكبر والخيلاء ومعنى لا ينظر الله إليه أي لا يرحمه ولا ينظر إليه نظر رحمة ونظره سبحانه لعباده رحمة لهم ولطفة لهم فعبّر عن المعنى بالنظر لأن من نظر إلى متواضع رحمه ومن نظر إلى متكبر مقته فالنظر إليه اقتضى الرحمة أو المقت والأسبال يكون في الأزار والقميص والعمامة وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه بإسناد حسن عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ قال : الأسبال في الأزار والقميص والعمامة من جرس خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة . وأما الرواية التي فيها ذكر الأزار وحده كما في صحيح مسلم تقدم أننا فخرجت على الغالب من لباس العوب وهو الأزار . وحكى النووي في شرح مسلم عن محمد بن جرير الطبري وغيره أن ذكر الأزار وحده كان عامة لباسهم وحكم القميص وغيره حكمه واجمع العلماء على جواز أسبال الأزار للنساء وقد صح عن النبي ﷺ الاذن لمن في أرشاء ذيولهن ذراعا .

(فإن قلت) ما المراد بأسبال العمامة هل هو جرها على الأرض كالثوب أو المراد المبالغة في تطويل عذبتها بحيث يخرج عن المعتاد ؟ قال العراقي في شرح الترمذي : هو محل نظر والظاهر أنه إذا لم يكن جرها على الأرض معهودا مستعملا ، فالمراد الثاني وأنه في كل

لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قيل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسن قال إن الله جميل يحب الجمال *

شيء بحسبه وهو يختص ذلك بجزء الذبول أو يعتدى إلى غيرها كالأكام إذا خرجت عن المعتاد . قال العراقي في الشرح المذكور : لا شك في تناول التحريم لما سن الأرض منها للخلاء ، ولو قيل بتحريم ما زاد على المعتاد لم يكن بعيدا فقد كان كم رسول الله ﷺ إلى الرسخ وكذلك فعل على في قميص اشتراه لنفسه ولكن حدث للناس اصطلاح بطولها فان كان ذلك على سبيل الخلاء فهو داخل في النهي وإن كان على طريق العوائد المتجددة من غير خلاء فالظاهر عدم التحريم . وحكى العياض عن العلماء أنه يكره كل ما زاد على الحاجة والمعتاد في اللباس من الطول والسعة وهذا الوعيد يقتضي أن ذلك كبيرة ، وقد نقل عن القرطبي أنه قال : العجب كبيرة والكبيرة عجب وزيادة . وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال : بينما رجل يصلي مسبلا أزاره فقال له رسول الله ﷺ : اذهب فتوضأ فذهب فتوضأ ثم جاء فقال : اذهب فتوضأ فقال له رجل : يا رسول الله مالك أمرته أن يتوضأ ؟ ثم سكت عنه قال : أنه كان يصلي وهو مسبل أزاره إن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل . وفي الأوسط للطبراني من حديث جابر : خرج علينا رسول الله ﷺ فذكر حديثا فيه فان رجع الجنة لتوحد من ميسرة ألف عام وأنه لا يجد لها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا حمار أزاره خيلاء إنما الكبرياء لله رب العالمين ، والتقييد بالخلاء في الحديث السابق يخرج ما إذا جبر بغير هذا القصد ويتقضى أنه لا تحريم فيه . قال النووي في شرح مسلم : طواهر الحديث في تقييدها بالجر خلاء يدل على أن التحريم مخصوص بالخلاء وهكذا نص الشافعي عليه . وأما قدر المستحب فنصف الساقين والجائز بلا كراهة ما تحته إلى الكعنين وما تحتهما فهو ممنوع تحريم والافتنع تنزيهه وأما الأحاديث المطلقة بأن ما تحت الكعنين فالمراد بها ما كان للخلاء لأنه مطلق فوجب حملها على المقيّد وبالجملة يكره كل ما زاد على الحاجة المعتادة في اللباس من الطول أو السعة .

* تنبيه * يستثنى من جزأ الأزار ما إذا كان حالة القتال فيجوز كما ورد ذلك في الخبر أن فيه اعزاز الإسلام وظهوره واحتمار عدوه وغيظه بخلاف ما فيه احتقار المسلمين وغيظهم والاستعلاء عليهم والظاهر أيضا جوازه بلا كراهة دفعا لضرورة يحصل له كان يكون تحت كعبه جراح أو حكة ونحو ذلك أن لم ينظها تؤذيه الحوام كالذباب ونحوه بالجلوس عليها ولا يجد ما يستترها به إلا أزاره . أو رداؤه أو قيصه فقد أذن ﷺ لزينب بن عوف في لبس قميص الحرير من حكة كانت بهما ولكعب في حلق رأسه وهو محرم لما آذاه القمل مع تحريم لبس الحرير لغير عارض وتحريم حلق رأس للتحريم وهذا كما يجوز كشف العورة للثداوي وغير ذلك من الأسباب المبيحة للرخص ذكره العراقي في شرح الترمذي .

(وإن قلت) في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ﴾ وفي رواية فقال رجل : ﴿ إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا ﴾ قال ﷺ : ﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾ ﴿ إن الله جميل يحب الجمال ﴾ الكبر بطر الحق وغمط الناس ومعنى بطر الحق دفعه وزده على قائله وغمط الناس احتقارهم فالجاء لثوبه فوق الكعنين مظهر التجميل بذلك معجبا بحسن ملبسه ونضارة روثه لم يتكبر عن قبول الحق ولم يحتقر أحدا فكيف جعل كبره مذموما .

(قلت) الذم إنما وزد فيمن فعل ذلك كبرا بأن فعله غير قابل للتصحيح النبوية ولا مكثرا بالتأديب الإلهي أو محتقرا على صفته التي رآها حسنة بصحبة فان لم يوجد واحد من الأمرين وإنما أعجبه روثه غفلا عن نعمة الله تعالى فهو العجب فان استحضر مع استحسانه لمحبته وأعجابه الملبوسة نعمة الله عليه بذلك وخضع لها فليس هذا كبرا ولا أعجبا ولم يرد في الحديث ذمه والله أعلم .

وأخرج ابن أبي الدنيا التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا برفعكم الله والفعول لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا بعرزكم الله والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا برحمكم الله عز وجل * والترمذي والحاكم من ترك اللباس تواضعاً لله تعالى وهو يقدر عليه دعاء الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخبر من أي حلال الإيمان شاء يلبسها * والبيهقي والخطيب البادي بالسلام برئى من الكبر * وأبو نعيم تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبار الله وتخرجوا من الكبر * والطبراني إن من التواضع لله تعالى الرضا بالدون من شرف المجالس * والبيهقي ما استكبر من أكل معه خادمه وركب الحمار والأسواق واعتقل الشاة فحلبها * وهو من حمل سلعة فقد برئى من الكبر *

﴿وأخرج ابن أبي الدنيا﴾ في ذم الغضب عن محمد بن عمير العبدى بإسناد ضعيف ﴿التواضع﴾ قال العلقي : من الضعة بكسر الصاد المعجمة وهى الهوان والمراد بالتواضع اظهار التزل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه وقيل من فوقه لفضله وقيل هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض عن الحكيم من الحاكم وقيل هوان تخضع للحق وتنقاد له وتقبله بمن قاله صغيراً أو كبيراً شرفاً أو وضعاً حراً أو عبداً ذكراً أو غيره نظراً للقول لا للقاتل فهو انما يتواضع للحق ويتقاد له وقيل هو أن لا يرى لنفسه مقاماً ولا حالاً لا يفضل بهما غيره ولا يرى أن فى الخلق من هو شر منه هكذا ذكره العزنى ﴿لا يزيد العبد إلا رفعة﴾ فى الدنيا والآخرة لأنه به يعظم فى القلوب وترتفع منزلته فى النفوس ﴿تواضعوا برفعكم الله﴾ تعالى فى الدنيا بوضع القبول فى القلوب وفى الآخرة بتكثير الأجور ﴿والفعول﴾ عمن فعل معك ذنباً ﴿لا يزيد العبد إلا عزاً﴾ لأن من عرف بالعفوساد وعظم فى الصدور ﴿فاعفوا بعرزكم الله﴾ فى الدارين ﴿والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة﴾ بمعنى أنه يبارك فيه ويتدفق عنه الهلكات ﴿فتصدقوا برحمكم الله عز وجل﴾ أى يضاعف رحمته .

﴿وأخرج﴾ الترمذي والحاكم ﴿عن معاذ بن أنس﴾ من ترك اللباس ﴿قال المناوى﴾ أى ترك لبس الثياب الحسانات المرتفعة القيمة ﴿تواضعوا لله تعالى وهو يقدر عليه دعاء الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق﴾ أى يشهره بين الناس ويباهى به ﴿حتى يخبر من أي حلال الإيمان شاء يلبسها﴾ ومنه أخذ السهروردي أن لبس الخلقان والمرقات أفضل .

﴿وأخرج﴾ البيهقي والخطيب ﴿فى الجامع عن ابن مسعود﴾ البادى بالسلام برئى من الكبر ﴿بكسر الكاف وسكون الموحدة أى التعاطف﴾ قال بعضهم : الكبر والتكبر والاستكبار الفاظ متقاربة . ﴿وأخرج﴾ أبو نعيم ﴿فى الحلية عن ابن عمر﴾ بإسناد ضعيف كما قاله العزنى ﴿تواضعوا﴾ للناس بلين الجانب ﴿وجالسوا المساكين﴾ والفقراء ﴿تكونوا من كبار الله﴾ أى الكبر أو عند الذين يفيض عليهم رحمته ، قال الحنفى : ولا كبير إلا من كان كبيراً عنده تعالى بالطاعة أما كبراء الدنيا فهم محترون عنده سبحانه وتعالى ﴿وتخرجوا من الكبر﴾ أى يزول عنكم التكبر فإن من تواضع لله رفعه الله ﴿وأخرج﴾ الطبراني إن من التواضع أى لأجل عظمة الله ﴿الله تعالى الرضا بالدون﴾ أى بالحقير ﴿من شرف المجالس﴾ وأخرج البيهقي والبخارى فى الأدب عن أبى هريرة ؓ ما استكبر من أكل معه خادمه وركب الحمار ﴿لا سيما إذا كان عرباناً والسين والتاء زائدان أى ما تكبر من فعل ما ذكر ففعل ذلك تدل على التواضع وعدم الكبر﴾ بالأسواق واحتقل الشاة فحلبها ﴿ولما أوتى المصطفى ﷺ من التواضع ما لم يوت أحد كان يفعل ذلك كثيراً﴾ وهو ﴿أى وأخرج البيهقي عن أبى أمامة بإسناد ضعيف﴾ من حمل ﴿من السوق﴾ سلعة ﴿قال المناوى﴾ قوله بكسر السين أى بضاعته وقال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى بفتح السين وأما بالكسر فاسم للخراج وقال الحنفى قوله سلعة وأولى إذا حمل سلعة غيره من السوق للين أو بالعكس وفيه حيث على التواضع وتعاطى شؤنه بنفسه ﴿فقد برئى من الكبر﴾ بكسر فسكون لما فيه من التواضع وطرح النفس .

وقال عروة بن الزبير رأيت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وعلى عاتقه قرية ماء فقلت يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا فقال لما أتاني الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسي نخوة فأحببت أن أكسرها ومضى بالقرية إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها في إناها * ورؤى أبو هريرة وهو أمير المدينة على ظهره حزمة حطب وهو يقول طرقتوا الأمير * وقيل لأبي يزيد متى يكون الرجل متواضعا فقال إذا لم ير لنفسه مكانا ولا حالا ولا ير أن في الخلق من هو شر منه * وقال إبراهيم بن شيان الشرف في التواضع والعز في التقوى والحربة في القناعة

وقال عروة بن الزبير: رأيت عمر بن الخطاب صلى الله عليه وسلم وعلى عاتقه قرية ماء فقلت: يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا * أي حمل قرية على عاتقك وقد كفيت ذلك * فقال * عمر اني * لما أتاني الوفود سامعين مطيعين * لقول * دخلت نفسي نخوة * أي عظمت وتكبر * فأحببت أن أكسرها * بما رأيته مني من حمل القرية * ومضى بالقرية إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها * أي صبها * عمر * في إناها * أي تلك المرأة. هكذا نقله القشيري في الرسالة وعن أصبغ بن نباتة قال: كأتى أنظر إلى عمر * معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الأسواق حتى دخل رحله أخرجه الذهبي في مناقب عمر.

وقال بعضهم: رأيت عليا * قد اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحقه فقلت له: أحمل عنك يا أمير المؤمنين * فقال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل وقال علي * لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله. وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلاله من خشب إلى الحمام فيغتسل به ولا يأنف من ذلك تواضعا لله تعالى. وقال ثعلبة بن أبي مالك: رأيت أبا هريرة * أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة بالمدينة لمرwan بن الحكم فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك فقلت: أصلحك الله تكفى هذا فقال: أوسع الطريق والحزنة عليه أخرجه أبو نعيم في الحلية * وقال القشيري في الرسالة: سمعت أبا جاثم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول: * رؤى أبو هريرة وهو أمير المدينة * وعلى ظهره حزمة حطب وهو يقول * للناس * طرقتوا الأمير * أي أوسعوا الطريق له * وقيل لأبي يزيد * طيفور بن عيسى البسطامي قدس سره * متى يكون الرجل متواضعا * كاملا * فقال: إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا ير أن في الخلق من هو شر منه. * أورده القشيري في الرسالة فان ظن أن فيهم من هو شر منه فهو متكبر لكونه رأى لنفسه قدرا وقد اختلفت إشارات الشيخ في الفرق بين الحال والمقام، والضابط الفارق بينهما أن الحال سموها لا تحوله والمقام مقاما لشبته واستقراره وقد يكون الشيء بعينه حالا ثم يصير مقاما. وقال بعضهم: المقامات مكاسب والأحوال مواهب. وقال بعضهم: الأحوال مواجيد والمقامات الطرق المواجيد. وقال بعضهم: الأحوال موارث الأعمال. وقيل ما من الله والمقام ما من العبد. وقد أطال الكلام فيه صاحب العوارف في آخر كتابه فراجع * وقال * أبو اسحق * إبراهيم بن شيان * القزويني شيخ وقته صاحب عبد الله المغربي والخواص وغيرهما * الشرف في التواضع والعز في التقوى والحربة في القناعة * أورده القشيري في الرسالة قال: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله يقول: سمعت إبراهيم بن شيان يقول الشرف في التواضع والعز في التقوى والحربة في القناعة انتهى.

* فرع * القناعة هي الاكتفاء بما تندفع به الحاجة من مأكل وملبس وغيرهما وهي مد وحة ومطلوبة قال تعالى: من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة. قال كبير من أهل التفسير: الحياة الطيبة في الدنيا القناعة. قال أبو بكر المرازقي: العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسوية وأمر الآخرة بالحرص والتعجيل وأمر الدين بالعلم والاجتهاد. وقال أبو عبد الله بن خفيف: القناعة ترك الشرف إلى المنقود والاستثناء بالموجود. وقيل في معنى قوله تعالى: ليرزقنهم رزقا حسنا. يعني القناعة. وقال محمد

﴿وحكى﴾ بعضهم رأيت عند الصفا رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان يعنفون الناس ثم رأته ببغداد حافيا حاسرا طويل الشعر فقلت له ما فعل الله بك قال ترفعت في موضع يتواضع الناس فيه فوضعني حيث يترفع الناس اللهم ارزقنا التواضع وارفعنا به مكانا عليا .

ابن علي الترمذي : القناعة رضا النفس بما قسم لها من الرزق ويقال : القناعة الاكتفاء بالموجود وزوال الطمع فيما ليس بجاصل . وقال لأبي يزيد : هم وصلت الى ما وصلت فقال : جمعت أسباب الدنيا فربطتها بحبل القناعة ووضعتها في منبعيق الصدق ورميت بها في بحر اليأس فاسترحت . وفي الزبور القانع غنى وإن كان جافا . وقيل وضع الله تعالى خمسة أشياء في خمسة مواضع العز في الطاعة والذل في المعصية والهيبة في قيام الليل والحكمة في البطن الخالي والغنى في القناعة . وقال ذو النون المصري : من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه . وقيل من قنع استراح من الشغل واستطال على الكل . وقال الكثاني : من ناع الحرص بالقناعة ظفر بالعز والمروة . وقيل من تبع عيانه ما في أيدي الناس طال حزنه .

﴿وحكى بعضهم﴾ قال الزبيدي : هو أبو زيد عمر بن شبة بفتح المعجمة وتشديد الموحدة ابن عبيدة بن زيد النميري بالتصغير البصري نزيل بغداد صدوق له تصانيف مات سنة اثنين وقد جاوز التسعين روى له ابن ماجه قال رحمه الله كتبت بمكة بين الصفا والمروة ﴿رأيت عند الصفا رجلا﴾ من عمال الخليفة ﴿راكبا بغلة وبين يديه غلمان﴾ وإذا هم ﴿يعنفون الناس﴾ ويطردونهم من بين يديه لأجله قال ﴿ثم رأته﴾ أي ذلك الرجل ﴿ببغداد﴾ بعد أن دخلت فيها فكنت على الجسر الذي على نهر دجلة الفارق بين الشرقية والغربية ﴿حافيا﴾ رجله ﴿حاسرا﴾ رأسه ﴿طويل الشعر﴾ أشعث يسأل الناس فجعلت أنظر اليه متعجبا من حاله فقال لي : مالك تنظر الي ؟ فقلت له : شبهتك برجل رأته بمكة ووصفت له الصفة فقال : أنا ذلك الرجل ﴿فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال﴾ الرجل اني ﴿ترفعت﴾ أي تكبرت ﴿ففي موضع﴾ يعني مكة ﴿يتواضع الناس فيه فوضعني﴾ الله ﴿حيث يترفع الناس﴾ يعني في بغداد حيث تم عليه الخليفة لما وصل اليه وسلبه جميع ما هو فيه وصار فقيرا يسأل الناس أورده القشيري في الرسالة مختصرا بلفظ وقال بعضهم : رأيت انسانا في الطواف يعنفون الناس لأجله عن الطواف ثم رأته بعد ذلك بمدة على جسر بغداد يسأل الناس شيئا فتعجبت منه فقال لي : أنا تكبرت في موضع يتواضع الناس هناك فابتلاني الله تعالى بالتذل في موضع يتواضع الناس فيه انتهى .

وحكى ان الملك الأشرف قايتباي سنة حجه دخل باب السلام راكبا على هيئة والأمرء بين يديه ولم يجاسر أحد أن يقول له انزل عن الفرس مهابة منه فيمنما هو كذلك اذ لقت رجل الفرس فوق السلطان على الأرض وسقطت عمامته ولم يتناول العمامة ولم يضعها على رأسه ودخل الرم وهو مكشوف الرأس متذلا متواضعا لأنه تنبه على اساءة أدبه في دخوله راكبا فتواضع وطاف هكذا حاسر الرأس وعد ذلك في مناقبه رحمه الله تعالى ﴿اللهم ارزقنا التواضع وارفعنا به مكانا عليا﴾ .

* ثمة * روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : اذا رأيتم المتواضعين من أمي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وضغار . قال العراقي : حديث غريب ، والمعنى ان المتكبر اذا تواضعت له تمادى في تبه واذا تكبرت عليه يمكن أن يتبه ومن ثم قال الشافعي ما تكبر على متكبر مرتين . وقال الزهري : التجبر على أبناء الدنيا أوثق عرى الايمان . وفي بعد الآثا راتكبر على المتكبر صدقة ويؤيده حديث ركب المصري مرفوعا : طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في غير مسكنة .

وقال الشيخ الأكبر قدس سره : الخضوع واجب في كل حال الى الله باطنا وظاهرا فاذا اتفق أن يقام في موطن فالأولى فيه ظهور عزة الايمان وجبروته وعظمته لعز المؤمن وعظمته وجبروته ويظهر في المؤمن من الأتفة والجبروت ما يناقض الخضوع والذلة فالأولى

﴿باب الحقد والحسد﴾

قال الله تعالى أم يحسدون الناس

أظهار ما يقتضيه ذلك الموطن احكاما فافعل بمقتضاها تكن حليما انتهى . وإذا تواضع كل انسان على قدر معرفته بره عز وجل ومعرفته بنفسه قوت معرفته بره وبه يكمل له مقام التواضع . وقيل التواضع نعمة لا يحسد عليها . والكبر حنة والعز في التواضع ، فمن طلبه في الكبر لم يجد . وذلك لأن الحسد لا يكون الا على النعم المعروفة للحاسد ، والتواضع أكثر الناس لا يعدونه نعمة بل مذلة وقلة همة . وقال ابن المبارك التكبر على الأغنياء والتواضع للفقراء . وقال الشيخ الاسلام زكريا : الغرض منه التنفير عن التواضع للأغنياء لديانهم والا فالتكبر مذموم لكل أحد فقيرا كان أو غنيا والتواضع محمود لكل أحد فالمدحوم منه التواضع للأغنياء لديانهم وللفقراء لفقيرهم والمحمود التواضع لله سواء كان مع الأغنياء أم الفقراء .

وعن أبي الفتح بن شخروف قال : رأيت علي بن أبي طالب عليه السلام في المنام فقلت له : يا أبا الحسن عظمي فقال لي : ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء . رغبة منهم في ثبوت الله تعالى وأحسن من ذلك نية الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله تعالى . وقال أبو علي الجورجاني : النفس معجونة بالكسر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة ، وإذا أراد الله به خيرا طلق به في ذلك فإذا حاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصر الله تعالى فأطفأها وإذا حاجت في نفسه نار الحسد أدركها النصيحة مع توفيق الله عز وجل وإذا حاجت في نفسه نار الحرص أدركها القناعة مع عون الله تعالى والله أعلم .

﴿باب﴾ ذم ﴿الحقد والحسد﴾

اعلم أن الحسد من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فان الانسان اذا غضب حقد وإذا حقد حسد وقد قالوا في تعريف الحقد هو الانطواء على العداوة والبغضاء ، وأما الحسد فقد قال الراغب هو تمنى زوال نعمة على مستحق لها وربما كان معه سعي في ازالها وفي الصحاح انه تمنى زوال نعمة المحسود اليك وعليه جرى ابن الأثير في النهاية حيث قال : ان الحسد أن يرى لأخيه نعمة يتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه فاتفقوا على أن الحسد تمنى زوال نعمة الغير وشرط الراغب كون الغير مستحقا والصحاح كون الحاسد يتمنى انقلاب النعمة اليه فالحاسد يعاند المقادير الالهية ويطلب وضع الحق في غير موضعه أو زواله عن موضعه فهو عاص بهذا الاعتبار ثم للحسد من الفروع الذميمة مما لا تكاد يحصى

وقد ورد في ذم الحسد آيات وأخبار كثيرة قال عز وجل : ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم . وقال تعالى : ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء . فأخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة الايمان حسدا . وقال تعالى : ولا يحسدون في صدورهم حاجة مما آوتوا . أي لا يمتصق به صدورهم ولا يشتمون من رؤية ما آتاهم الله منه فأنشئ الله عليهم بعدم الحسد وهو عدم ضيق الصدور من رؤية النعمة وهو قال الله تعالى ﴿ في معرض الإنكار على أهل الكتاب ﴾ أم يحسدون الناس ﴿ أي بل يحسدون وإنما قدرت أم هنا ببل لأن المراد اثبات الحسد لهم لا الاستقحام عنه لا بالإنكار ولا بغيره وإذا كان هذا المراد تعين أن يكون التقدير بل يحسدون ويشهد ذلك قوله تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا الآية وقد سبق قريبا ليقال الإنكار يتضمن الإثبات وزيادة لانا نقول تلك الزيادة لا دليل عليها بل ولا يقتضيها التام فظهر أن الأظهر في أم هنا أن معناها بل فقط وقوله يحسدون دلالة على أن المضارع حقيقة في الحال لأنه أطلق في يحسدون وازيد الحال لأنهم كانوا حاسدين في وقت وقوع اللفظ عليهم ولم يرد أنهم

على ما آتاهم الله من فضله . وأخرج ابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب * يحسدون في المستقبل وإذا أطلق أزيد الحال كان حقيقة لأن الأصل في الإطلاق الحقيقة وهذا عند التحقيق خلاف من يدعى صلاحية الحال والاستقبال كابن مالك لأنه يجعله موضوعا للقدر المشترك لأن يقال التواطؤ يقع على أفراد الحقيقة

قال التاج السبكي في قواعده : وأنا أقول بالفصل في ذلك في المشكل وتساوى الأفراد وفي الآية دلالة على أن مفهوم العموم من باب الكلية لا من باب الكل لأنه تعالى قد ذمهم على الحسد فأما أن يكون الحسد المذموم حلية الحسد من حيث هو أو الحسد من حيث العموم بمعنى أن كل واحد مذموم على الحسد القائم به من غير نظر إلى القائم بغيره قال : فتعين أن يكون الحكم ثابتا لكل فرد اثباتا وسلبا غير موقوف فيه إلى غيره بنفى ولا اثبات وفي الآية أيضا دليل جواز التكليف بما لا يطاق لأنه تعالى لا مهم على الحسد وهو أن يقوم بالحسد لا يتقدر على دفعه ونظيرها : أقبل ولا تحف . ولا يقال إنما ذم على تعاطي أسبابه للاجماع على أن الحسد في نفسه مذموم ولأن البخل والحسد سيان وكونهما مما لا يطاق وقد ذمهم على البخل قبل ذلك في قوله عز وجل : أم لهم نصيب من الملك الآية وكذلك في قوله تعالى : الذين يخلون والبخل والحسد مشتركان في أن صاحبهما يريد منع النعمة عن الغير ثم يتميز البخل بعدم دفع ذي النعمة شيئا والحسد بمنى أن يعطى أحد سواه شيئا وفي الآية أيضا دلالة على أن الحسد حرام ثم يختلف باختلاف الحسود فإن كان نية فهو ككر والافلايتهي إلى الكفر .

فان قلت : ما وجه دلالة على التحريم ؟ قلت : التوعد عليه في قوله تعالى : وكفى بهم سعييرا . مع سياق التوذن بذلك وفي التوعد كناية فانه كائن في التحريم .

فان قلت : فما وجه دلالة على مطلق الحسد انما هو في حسد هم النبي ﷺ على ما سيذكر من أن المراد بالناس النبي ﷺ ، قلت : قوله يحسدون الناس فانه دال على أن العلة في الذم للحسد على الآيات من الفضل وهذا شامل لكل محسود على نعمة أويتها من فضل الله وفيها دلالة على صحة إطلاق اسم الجميع وإرادة الواحد لأن المراد بالناس النبي ﷺ كما ورد عن ذلك عن ابن عباس والشافعي والأكثرين وتقرير ذلك انه لو لم يرد بالناس بعض المؤمنين وأراد كلهم لناقض قوله انهم لم يحسدون آل ابراهيم لكنه لا يناقضه لاستحالة الناقض على كلام الله فدل على أنه أراد البعض وما هو الا محمد ﷺ لأن القائل قائلان قائل بأن المراد جميع المؤمنين وقائل بأن المراد النبي ﷺ والأول مندفع بأن مدعيه يدعى زيادة الأصل والأصل عدمها لأن هذا اللفظ قد ثبت انه استعمل في الخصوص فليحتمل على التيقن وعلى ما رواه الدليل فثبت الثاني وقد كان يمكن يقال ان المراد بالناس آل النبي ﷺ كما في آل ابراهيم والمعنى انهم يحسدون آل النبي لكونه بعث من أنفسهم ويكون النبي ﷺ هو الفضل الذي أوتيه أهله وخسدا عليه ولكن هذا القول لم يرد من قال به ﴿على ما آتاهم الله من فضله﴾ من النبوة والرسالة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم وتام الآية : فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ، فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا .

﴿وأخرج ابن ماجه﴾ من حديث أنس وأبو داود من حديث أبي هريرة ﴿عن النبي صلى الله عليه وسلم﴾ أنه قال : ﴿الحسد﴾ أي المذموم وهو تسخط قضاء الله والاعتراض عليه ﴿بأكل الحسنات﴾ قال الطبري : الأكل هنا استعارة لعدم القبول وان حسناته مردودة عليه وليست بآية في ديوان عمله الصالح حتى تحبط ﴿كما تأكل النار الحطب﴾ فتعديه وتمحوه وذلك لأن الحسد اعتراض على الله فيما لا عذر للعبد فيه لأنه لا تنصرة نعمة الله على عبده والله لا يعيب ولا يضع الشيء في غير محله فكانه نسب ربه للجهل والسفه ولم يرض

والديلمي الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل * والطبراني ليس مني ذو حسد ولا نعمة ولا كهانة ولا أنا منه * والحاكم والديلمي إن إبليس يقول ابغوا من بني آدم البغي والحسد فإنهما يعدلان عند الله الشرك * وأحمد والترمذي دب إليكم داء الأثم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم * وأخرج البيهقي أن الله يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم عليه * وابن زنجويه تعرض أعمال بني آدم على الله كل يوم اثنين وخميس فيرحم الله المسترحمين ويغفر للمستغفرين ثم يذر أهل الحقد بحقدهم . وروى فعل المعروف بقي مصارع السوء .

بقضائه فلذلك ردت حسناته من ديوان الأعمال وعند ابن ماجه والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار والصلاة نور المؤمن والصوم جنة من النار مسنده ضعيف وأخرجه الخطيب مسنده حسن . (و) أخرج (الديلمي) عن معاوية بن حيدة (الحسد) أي المذموم (يفسد الإيمان) أي يفسد حسنات المؤمن (كما يفسد الصبر) بكسر الباء في الأشهر وهو الدواء المر (العسل) (و) أخرج (الطبراني) عن عبد الله بن بسر بضم الموحدة وسكون الهيملة (ليس مني) أي من أهل سنتي (ذو حسد ولا نعمة) أي نقل للكلام بين الناس على وجه الفساد (ولا كهانة) الكاهن الذي يخبر بالمغيبات (ولا أنا منه) قال المناوي: تمامه عند بخرجه ثم تلا رسول الله ﷺ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما كسبوا الآية .

(و) أخرج (الحاكم والديلمي) أن إبليس يقول (ابغوا) أي اطلبوا (من بني آدم البغي) أي الظالم (والحسد) فإنهما يعدلان عند الله الشرك . (و) أخرج (أحمد والترمذي) والضياء المقدسي عن الزبير بن العوام (دب) أي سرى (إليكم) يقال دب على العرض فهو خاص بالأجسام ودب إليه المرض في المعاني أي سرى إليه فيه تجور (داء الأثم) قبلكم الحسد والبغضاء (و) يدل من داء الأثم والبغضاء (هي الحالقة) قالوا وما الحالقة قال (حالقة الدين لا حالقة الشعر) أي الخصلة التي شأنها أن تحلوا أي تهلك وتساصل الذين كما يتساصل موسى الشعر (والذي نفس محمد بيده) أي بقدرته وتصريفه (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا) بالله بما علم بحج الرسول به ضرورة (ولا تؤمنوا) إيماناً كاملاً (حتى تحابوا) بحذف إحدى التائين وتشديد الموحدة أي يحب بعضكم بعضاً (أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم) أي أحب بعضكم بعضاً قالوا: أخبرنا قال (أفشوا السلام بينكم) بفتح الهمزة فهو بما يذهب البغضاء ويورث الحب وكذا البشر في الوجه .

(و) وأخرج البيهقي: أن الله يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم عليه . (و) حتى يرجعوا عما هم عليه . (و) أخرج (ابن زنجويه) تعرض أعمال بني آدم على الله كل يوم اثنين وخميس فيرحم الله المسترحمين ويغفر للمستغفرين ثم يذر (أهل الحقد بحقدهم) (و) أخرج مسلم: تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس ويغفر لكل عبد مؤمن إلا عبداً بينه وبين أخيه شحناء يقال أتركوا هذين حتى يقبلا . وأخرج الطبراني: تعرض أعمال على الله تعالى يوم الاثنين والخميس فيغفر الله للمذنبين إلا ما كان من متأحين أو قاطع رحم (و) روى فعل المعروف (أي ما عرف شرعاً بأن كان مطلوباً في الشرع ومعروفاً عند أهله بأن كان مما يثاب عليه) أي يحفظ (مصارع السوء) من الصرع وهو الوقوع في الهلكة أخرج (الحاكم) عن أنس بلفظ ضائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأخرج (الطبراني) عن أنس سلمة ضائع المعروف تقي مصارع السوء والصدقة حفيظة تطفى غضب الرب وصلة الرحم .

ووعظ بعض الأئمة بعض الأمراء فقال إياك والكبر فإنه أول ذنب عصي الله تعالى به ثم قرأ وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم

زيادة في العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة. وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف. وأخرج الخطيب عن ابن عمر وابن النجار عن علي: اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى غير أهله وإن أصبت أهله أي أصبت الذي ينبغي اصطناع المعروف فإن لم تصب أهله كتبت أنت أهله لأنه تعالى أنشئ على فاعل المعروف مع أمير الكافر بقبوله ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتما وأسيرا فما لك بمن فعله مع موحد ولهذا قال بعضهم: لا يزهديك في المعروف كثران من كفر فإنه يشكره عليه من لم تصنعه معه.

قال العلامة المناوي: قال بعضهم: وقع لوالى البخارى وكان ظالما طاغيا رأى كلبا جرب في يوم يرد يرتعد فأمر بعض خدمه بعمله ليسته وجعله بمحل حار واطعمه وسقاه قليل له في نومه: كتبت كلبا فوهبناك لكلب فأصبح فمات فكان له مشهد عظيم لشقيقته على كلب وأين المسلم من الكلب فافعل خيرا ولا تبال فيمن لم يكن أهله واطلب الفضائل لأعيانها وارفض الرذائل لأعيانها واجعل الخلق تبعا ولا تنف مع ذمهم ولا حمد هم لكن قدم الأولى فالأولى أن أردت أن تكون من الحكماء المتأدين بأداب الله تعالى

﴿ووعظ بعض الأئمة﴾ وهو عون بن عبد الله بن مسعود الهذلي المكي عابد ثقة روى مسلم والأربعة مات قبل العشرين ومائة ﴿بعض الأمراء﴾ وهو المفضل بن المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق السكي أبو غسان البصري صدوق من مشاهير الأمراء روى له أبو دلوود والنسائي وولده المهلب يكنى أبا سعيد بصرى من ثقات الأمراء وله رواية مرسله قال أبو اسحق السبيعي: ما رأيت أميرا أفضل منه مات سنة اثنتين وثلاثين وخلف ثلاثة وعشرين ذكرا وروى له أبو داود والترمذي والنسائي وكان يومئذ بواسط بمدينة بالعراق احتلها الحجاج وكان عاملا عليها من طرف أخيه يزيد بن المهلب وكان أخوه يزيد واليا على البصرة بل على العراق جميعه فلما كان سنة اثنتين ومائة تذب يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك في جيش كثيف إلى قتال يزيد بن المهلب إذ بلغه أنه دعا الناس إلى نفسه والتقى يوم الجمعة فقتل يزيد ومن معه من أخوته وأولادهم وعدتهم ثمانية وعشرين إنسانا إلا المفضل فان ابنه اختال عليه بأن قال الأمير يعني يزيد قد مضى ويقول لك اتبعني فانصرف عند ذلك ولما عرف الخبر انكر على ابنه فعله وشد عليه بالسيف وقال: ما أراك إلا أن تفضح شيئا مثلي وكان معاوية بن يزيد إذ ذاك بواسط فأخذ عيال أبيه ونقله وانحدر إلى البصرة ولحق بهم المفضل ومن معه واجتمع بها آل المهلب وانفذ مسلمة بن عبد الملك مالك بن أحوز المازني في طلب من هرب من آل المهلب وأمره بقتل كل من بلغه منهم فقتل المفضل بن المهلب وسائر ولد المهلب الباقيين ولم يدع بالغا منهم الا قتله ﴿فقال﴾ بعض الأئمة اني أريد أن أعطيك بشيء فقال بعض الأمراء: ما ذاك؟ ﴿فقال﴾ إياك والكبر ﴿أي أحذره واجتنبه﴾ فإنه أول ذنب عصي الله تعالى به ﴿وعن ابن مسعود رفعه﴾ إياكم والكبر فإن ابليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم وإياكم والحرص فإن آدم حمله الحرص على أكل الشجرة وإياكم والحسد فإن ابني آدم قتل أحدهما صاحبه حسدا فهن أصل كل خطيئة أخرجه القشيري في الرسالة وابن عساكر في التاريخ من حديثه ﴿ثم قرأ﴾ بعض الأئمة قوله تعالى: ﴿وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ قيل هذا الخطاب كان مع الملائكة الذين كانوا سكان الأرض وأصبح خطاب مع جميع الملائكة بدليل قوله تعالى فسجد الملائكة لهم أجمعين إلا ابليس.

* تنبيه * سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض وقيل لأنه آدم اللون وكنيته أبو محمد وقيل أبو البشر وصفة خلقه عليه السلام قال وهب بن منبه: لما أراد الله أن يخلق آدم أوحى إلى الأرض اني خالق منك خلقة منهم من يطعنني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني أدخلته

فسجدوا

الجنة ومن عصاني أدخلته النار ، قالت الأرض : أتخلق مني خلقا يكون للنار ؟ قال : نعم ، فبكت الأرض فاتفجرت منها العيون إلى يوم القيامة فبعث الله إليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها فلما أتاها ليقبض منها قالت : أعوذ بعزة الله الذي أرسلك إلى أن لا تأخذ مني شيئا فرجع جبريل إلى مكانه وقال : يا رب استعاذت بك مني فكرهت أن أقدم عليها فقال الله تعالى لمكائيل انطلق فأتني بقبضة منها فلما أتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت لجبريل فارجع إلى ربك فقال : ما قالت له ، فقال لعزرائيل : انطلق فأتني بقبضة من الأرض فلما أتاها قالت له الأرض أعوذ بعزة الله الذي أرسلك أن لا تأخذ مني شيئا فقال : وأنا أعوذ بعزته أن أعصى له أمرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها إلى السماء فساله ربه عز وجل وهو أعلم بما صنع فأخبره بما قالت له الأرض وبما ورد عليها فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لأخلقن مما جئت خلقا ولا سلطانك على قبض أرواحهم لقلة رحمتك ، ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في النار ثم تركها ما شاء الله ثم أخرجها فبعثها طينا لازبا مدة ثم جاء مستنونا مدة ثم صلصا لا ثم جعلها جسدا وألقاه على باب الجنة فكانت الملائكة ينجبون من صورته لأنهم لم يكونوا رأوا مثله وكان إبليس يمر عليه ويقول : لا مر ما خلق هذا ونظر إليه فاذا هو أجوف فقال : هذا خلق لا يتمالك وقال يوما للملائكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون ؟ فقالوا : نطع ربنا ولا نعصيه ، فقال إبليس في نفسه لن فضل علي لأعصيه ولن فضلت عليه لأهلكه .

فلما أراد الله تعالى أن ينفخ فيه الروح أمرها أن تدخل في جسد آدم فنظرت ورأت مدخلا ضيقا فقالت : يا رب كيف أدخل هذا الجسد ؟ قال الله عز وجل لها : أدخليه كرها وستخرجين منه كرها فدخلت في يافوخه فوصلت إلى عينيه فجعل ينظر إلى سائر جسده طينا فسارت إلى أن وصلت منخره فقطس فلما بلغت لسانه فقال : الحمد لله رب العالمين وهي أول كلمة قالها فناداه الله تعالى رحمك ربك يا أبا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الزوج إلى الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى : خلق الإنسان من عجل فلما بلغت إلى الساقين والقدمين استوى قائما يشرا سبوا لحنا ودما وعظاما وعروقا وعصبا واحشاء وكسى لباسا من ظفر يزداد جسده جمالا وحسنا كل يوم وجعل في جسده تسعة أبواب سبعة في رأسه وهي الأذنان سمع بهما والمتخوران يشم بهما والعينان يبصر بهما والقم فيه اللسان يتكلم به والاسنان يطحن بها ما يأكله ويجد لذة المطعومات بها وبأين في أسفل جسده وهما القبل والذبر يخرج منهما ثقل طعامه وشرا به وجعل عقله في دماغه وفكره وصرامته في قلبه وشرفه في كليته وغضبه في كبده ورغبته في رثته وضحكته في طحاله وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم وينصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزة بالحياء .

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وطوله ستون ذراعا ثم قال : اذهب فسلم على أولئك نمر من الملائكة فاستمع ما يحويك فانها تحييك وتحية ذريتك فقال : السلام عليكم فقال : السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم قال : فلم يزل الخلق ينقص الآن . وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لما صور الله آدم تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطوف به ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه لا يتمالك . وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والنهل والحزن والخيث والطيب أخرجه الترمذي وأبو داود رضي الله عنهما فسجدوا ﷻ أي الملائكة وفي هذا السجود قولان أحدهما كان لآدم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجهة على الأرض وإنما هو الانحناء وكان السجود تحية وتعظيما لا سجود عبادة

الإبليس وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أسكنه الله الجنة عرضها السموات والأرض

كسجود أخوة يوسف له في قوله تعالى: وخروا له سجدا فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام وفي سجد الملائكة لآدم معنى الطاعة لله تعالى والاستئصال لآدم. والقول الثاني أن آدم كان كالقبة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة في تفضيل الأنبياء على الملائكة ﴿إلا إبليس﴾ سمي به لأنه ابليس من رحمة الله أي ينس وكان اسمه عزازيل بالسرانية وبالعرية الحارث غلما عصى غير اسمه فسمي إبليس وغيث صورته.

قال ابن عباس ؓ: كان إبليس من الملائكة بدليل أنه استثناء منهم لأن الأصل أن الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه ولهذا قال: ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك. وقوله كان من الجن معناه صار من الجن، كقوله فكان من المغربين. وقيل الاستثناء منقطع لأنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص وهو قول الحسن وقادة ولأنه خلق من نار والملائكة خلقوا من النور ولأنه أبى وعصى واستكبر والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ولا يستكبرون عن عبادته ولأنه قال: أفستجدونه وذريته أولياء من دوني ولا تسجد للملائكة وهو الأصح لأن الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناء منهم بقوله: أبى واستكبر وكان من الكافرين أي في علم الله تعالى أنه وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته. روى مسلم عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله وفي رواية يا ويلاء أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار.

ثم قال بعض الأئمة: ﴿وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أسكنه الله الجنة عرضها السموات والأرض﴾ أي كمرضهما لا أفتسهما والمراد سعتها وإنما خص العرض للمبالغة لأن الطول في العادة يكون أكثر من العرض يقول هذه صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة بالنسبة والبسط فتشبهت بأوسع شيء علمه الناس وذلك لوجعلت السموات والأرض طبعا طبعا ثم وصل البعض ببعض حتى يكون طبعا واحداً كان ذلك مثل عرض الجنة وأما طولها فلا يعلمه إلا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول العرب: بلاد عرضة أي واسعة عظيمة قال الشاعر:

كان بلاد الله وهي عرضة على الخائف المطلوب كفة حابل

والأصل فيه أن ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة. وروى أن هرقل ملك الروم أرسل إلى النبي ﷺ أنك كنت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار قيل معناه والله أعلم بذلك أنه إذا أراد الضلك حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفلى. وروى طارق بن شهاب أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب ؓ عنده أصحابه فقالوا: أرايتم قولكم وجنة عرضها السموات والأرض فأين النار؟ فقال عمر بن الخطاب: أرايتم إذا جاء الليل فأين يكون النهار وإذا جاء النهار فأين يكون الليل؟ فقالوا: لمثلها في التوراة. ومعناه حيث يشاء الله تعالى.

فإن قلت: قال الله تعالى: وفي السماء رزقكم وما توعدون. وأراد بالذي وعدنا به الجنة ومذهب أهل السنة أنها في السموات وإذا كانت الجنة في السموات فكيف يكون عرضها السموات والأرض؟ قلت: المراد من قولنا أنها في السموات أنها فوق السموات وتحت العرش كما سئل أنس بن مالك عن الجنة أفى السماء هي أم في الأرض؟ فقال: أي أرض وسماء تسع الجنة قيل له فأين هي؟ قال: فوق السموات وتحت العرش وقد وصف رسول الله ﷺ الفردوس فقال: وستفها عرش الرحمن وقال قتادة كانوا يرون أن الجنة

وقال كل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فمن حرصه أكل منها فأخرجه الله من الجنة ثم قرأ أمبطل منها جميعا الآية وإياك والحسد فإنه حمل ابن آدم على أن قتل أخاه حين حسده ثم قرأ

فوق السموات السبع وإن جهنم تحت الأرض السبع وقيل أن باب الجنة في السماء وعرضها كعرض السموات والأرض .

﴿وقال﴾ الله عز وجل لآدم ﴿كل منها﴾ أي ثمار الجنة ﴿إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها﴾ قيل إنما وقع هذا النهي عن جنس الشجرة مخصوصة . قال ابن عباس رضي الله عنهما هي السنبلة وقيل الكرمة وقيل هي الشجرة التين وقيل الكافور وقيل شجرة الحنطة والأولى أن لاتعين من غير قاطع لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقال العصام : رأيت في بعض التفسير أنها شجرة العلم فكنت في التأمل في تحقيقه برهة من الزمان حتى رأيت ليلة أني ذهب بي إلى السماء ثم ذهب بي إلى سماء سماء والاقى فيه نينا نيا حتى انتهت في سماء أن هناك آدم عليه الصلاة والسلام فلقية فسألته عن شجرة العلم الذي نهى أن يقرب منه قال : كان ساعني في معرفته تعالى مشاهدته ومنعت عن التوجه إليه بدون المشاهدة مكثيا بالعلم فمرة اكتفيت بالعلم فعوتبت وأخرجت عن الجنة انتهى ﴿فمن حرصه أكل منها﴾ فأخرجه الله من الجنة ﴿مع زوجته حواء﴾ بوسوس ابليس اللعين وذلك أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فتمتعه الخزنة فأتى الحية فكانت صديقة لابليس وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة في فيها فأدخلته ومنزت به على الخزنة وهم لا يعلمون . وقيل إنما رأهما على باب الجنة لأنهما كان يخرجان منها وكان ابليس يقرب الباب فوسوس لهما وذلك أن آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم قال : لو أن خالدا فاعتم ذلك الشيطان منه وأناه من قبل الخلد .

وقيل لما دخل الجنة وقف على آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه ابليس فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من نوح فقالا : ما يبكيك ؟ قال : أبكي عليكما لأنكما تموتان فتقارقان ما اتما فيه من النعمة فوقع ذلك في انفسهما واعتما ومضى ابليس ثم أتاهما بعد ذلك وقال : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ؟ فأبى أن يقبل منه فقا سمهما بالله أني لكما لمن الناصحين فاغترا وماظنا أن أحدا يحلف بالله كذبا . فبادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم تناولت ادهم فأكل منها . قال ابراهيم بن ادهم : أو رثنا تلك الأكلة حزنا طويلا . قال ابن عباس رضي الله عنهما : قال الله تعالى : يا آدم ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة ؟ قال : بلى يارب وعزتك ولكن ماظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال : فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لاتنال العيش فيها الا نكدا فأهبط من الجنة وأمر على صنعة الحديد وأمر بالحراث فحراث وزرع وسقى حتى اذا بلغ واشتد حصده ثم درسه ثم زراه ثم طخته ثم عجنه وخبزه ثم أكله فلم يلفه حتى بلغ منه الجهد . وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن آدم لما أكل من الشجرة التي نهى عنها قال الله تعالى : يا آدم ما حملك على ما صنعت ؟ قال : يارب زينته لي حواء قال : فأتى أعقبها أن لا تحمل الاكرها ولا تضع الاكرها ودينها في الشهر مرتين فرت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك والرنة الصوت فلما أكلتا من الشجرة تها قتت عنهما ثيابهما وبدت سواتهما وأخرجتا من الجنة ﴿ثم قرأ أمبطل منها﴾ أي من الجنة ﴿جميعا﴾ قيل الخطاب لآدم ومعه ذريته وابليس ومعه ذريته فصيح قوله أمبطل لاشتغال كل واحد من الجنسين على الكثرة . وقيل الخطاب لآدم وحواء لأنهما أصل البشر فجعلنا كأنهما البشر فحوطبا بلفظ الجمع بعضكم لبعض عدو ﴿الآية﴾ أي اقرأ تمانها وهو قوله تعالى : بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا . وهبط آدم سرورته من أرض الهند يقال له نود وأجبط حواء بمجدة وابليس بالابلة من اعمال البصرة والحية بأصبيان .

﴿وإياك والحسد فإنه حمل ابن آدم على أن قتل أخاه حين حسده ثم قرأ﴾ بعض الأئمة قوله تعالى :

واتل عليهم نبا ابني آدم بالحق إذ قرأ قرأنا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لا قلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين وقيل كان السبب في قتله أن زوجة المقتول هابيل كانت أجمل من زوجة القاتل قابيل فحسده عليها حتى قتله ﴿وحكى﴾ أن بعض الصالحاء كان يجلس بجانب ملك ينصحه ويقول له أحسن إلى الحسن بإحسانه فان المسمى سنكفيه إساءته فحسده على قرنه من الملك بعض الجهلة وعمل الحيلة على قتله فسمى به للملك فقال له إنه يزعم أنك أنجز وأماره ذلك

﴿واتل عليهم نبا ابني آدم﴾ أي اذكر لقومك وأخبرهم خبر ابني آدم وهما هابيل وقابل في قول جمهور المفسرين وقيل عن الحسن والضاحك أن ابني آدم للذين قرأ القرآن ما كانا ابني آدم لصلبه وإنما كانا رجلين من بني إسرائيل ويدل عليه قوله تعالى في آخر القصة . من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس الآية .

والصحيح ما ذهب إليه جمهور المفسرين لأن الله تعالى قال في آخر الآية : فبعث الله غرابا يبحث في الأرض . لأن القاتل جهل ما يصنع المقتول حتى تعلم من فعل الغراب ﴿بالحق﴾ أي أخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لأنه من عند الله وموافقا لما في الكتب المقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر هو تبيين الحسد لأن المشركن وأهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله ﷺ ﴿اذقرا قرأنا﴾ ظرف لنبا أو حال منه والقرآن اسم لما يتقرب به إلى الله عز وجل من صدقة أو ذبيحة أو نسك أو غير ذلك مما يتقرب به . قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اربا قمح وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمي ﴿فتقبل من أحدهما﴾ يعني هابيل ﴿ولم يتقبل من الآخر﴾ يعني قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قرآنه فأضر لأخيه الحسد إلى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم فأتى قابيل هابيل وهو في غنمه ﴿قال﴾ قابيل له هابيل ﴿لا قلنك قال﴾ هابيل ولم يقتلني قال قابيل : لأن الله تقبل قرآنك ورد قرآنني وتريد أن تنكح اختي الحسنة وأنكح أختك الذميمة فيتحدث الناس بأنك خير مني ويفخر ولدك على ولدي فقال هابيل : وما ذنبي ؟ ﴿انما يتقبل الله من المتقين﴾ يعني أن حصول التقوى بشرط في قبول الأعمال فذلك كان أحدا القرآنيين مقبولا دون الآخر ولأن التقوى من أعمال القلوب وكان قد أضر في قلبه الحسد لأخيه على تقبل قرآنه وتوعده بالقتل فقال له : انما أوتيت من قبل نفسك لا بسلاحها من لباس التقوى وإنما يتقبل الله من المتقين فأجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل أن يكون خطابا للنبي ﷺ فكانه بين النبي ﷺ أنه انما يتقبل قرآنه لأنه لم يكن متقيا وإنما يتقبل الله من المتقين

﴿وقيل كان السبب في قتله أن زوجة المقتول هابيل﴾ بدل لما قبله ﴿كانت أجمل من زوجة القاتل قابيل فحسده عليها﴾ أي لأجل تلك الزوجة الجميلة ﴿حتى قتله﴾ أورده النسفي في تفسيره قال روى أنه أوحى الله تعالى إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة هابيل أجمل واسمها مليا فحسده عليها أخوه وسخط فقال لها آدم قرأ قرآننا فمن أيكما قبل يزوجها فتقبل قرآن هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل .

﴿وحكى﴾ عن بكر بن عبد الله المزني رحمه الله ﴿أن بعض الصالحاء كان يجلس بجانب ملك ينصحه ويقول له﴾ أيها الملك ﴿أحسن إلى الحسن بإحسانه فان المسمى سنكفيه إساءته فحسده على قرنه﴾ أي بعض الصالحاء ﴿من الملك بعض الجهلة وعمل الحيلة﴾ وهي كما قال الفيومي الخدق في تدبير الأمور وهو قلب الفكر حتى يهدي إلى المقصود ﴿على قتله فسمى﴾ أي الرجل الجاهل ﴿به﴾ أي بالرجل الصالح ﴿للملك فقال له انه﴾ أي أن هذا الذي يقوم بهذا لك ويقول ما يقول ﴿يزعم أنك أنجز﴾ وهو الذي فسد ربح فنه فقال له الملك ﴿كيف يصح ذلك عندي قال﴾ أمارة ذلك ﴿أي علامة صحة زعمه ذلك﴾

أنتك إذا قربت منه يضع يده على أنفه ثلاثاً يشم رائحة البحر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج فدعا الرجل لمنزله وأطعمه ثوماً فخرج الرجل من عنده وجاء للملك وقال مثل قوله السابق أحسن إلى المحسن إلى آخره كما دته فقال له الملك أدن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلاناً إلا قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجانزة أو صلة فكذب له بخطه لبعض عماله إذا أتاك صاحب كتابي هذا فاذهب واسلخه واحش جلد تبناً وابعث به إلى فأخذ الكتاب وخرج فلقبه الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه مني فقال هو لك فأخذه ومضى إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك قال إن الكتاب ليس هو لي الله الله في أمري حتى أراجع الملك قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذهب وسلخه وحشا جلد تبناً وبعث به ثم عاد الرجل إلى الملك كما دته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعل الكتاب قال لقيني فلان واستوهبه مني فدفعته له فقال الملك إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أنجز قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على أنفك وفيك قال أظعنني ثوماً فكرهت أن تشبه قال صدقت أرجع إلى مكانك فقد لقيت السيء إساءته

﴿ أنتك إذا قربت منه يضع يده على أنفه ثلاثاً يشم رائحة البحر ﴾ منك ﴿ فقال ﴾ الملك ﴿ له ﴾ أي للرجل الساعي ﴿ انصرف حتى أنظر ﴾ صحة ذلك ﴿ فخرج ﴾ الساعي من عند الملك ﴿ فدعا ﴾ أي الساعي ﴿ الرجل ﴾ الصالح ﴿ لمنزله وأطعمه ﴾ طعاماً كان أكثر خلطه ﴿ ثوماً فخرج الرجل من عنده ﴾ أي الساعي ﴿ وجاء للملك وقال مثل قوله السابق ﴾ وهو ﴿ أحسن إلى المحسن إلى آخره ﴾ أي بإحسانه فإن السيء سكت به أسأته ﴿ كما دته فقال له ﴾ أي الرجل ﴿ الملك أدن مني فدنا ﴾ الرجل ﴿ منه ﴾ أي من الملك ﴿ فوضع يده ﴾ أي الرجل ﴿ على فيه ﴾ أي فمه ﴿ مخافة أن يشم الملك ﴾ منه ﴿ ريح الثوم فقال الملك في نفسه ﴾ بعد أن رأى حال ذلك الرجل ﴿ ما أرى ﴾ أي ما أظن ﴿ فلاناً ﴾ وهو الرجل الساعي المذكور ﴿ إلا قد صدق ﴾ في قوله ﴿ وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجانزة أو صلة ﴾ أي عطية ﴿ فكذب ﴾ الملك ﴿ له ﴾ كتاباً ﴿ بخطه لبعض عماله إذا أتاك ﴾ أي العامل ﴿ صاحب ﴾ أي حامل ﴿ كتابي هذا ﴾ الذي حمليه ﴿ فاذهب واسلخه ﴾ يقال سلخت الشاة سلخاً من باب قتل وضرب ﴿ بعد حصول السلخ ﴾ احش جلد تبناً ﴿ في المصباح التبن ساق الزرع بعد دياسه ﴾ وابعث ﴿ أي أرسل ﴾ به ﴿ أي بجلده الحشوي تبناً ﴾ إلى فأخذ ﴿ الرجل الصالح ﴾ الكتاب وخرج من عند الملك ﴿ فلقبه ﴾ الرجل ﴿ الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب ﴾ الذي حمليه ﴿ قال ﴾ الصالح ﴿ هذا ﴾ خط الملك لي بصلة ﴿ وإنما قال ذلك اعتماداً على عادة الملك بأنه لا يكتب بخطه إلا بتلك الصلة ﴾ فقال ﴿ الساعي ﴾ هبه ﴿ أي هذا الكتاب ﴾ لي فقال : هو لك فأخذه ومضى ﴿ الساعي ﴾ إلى العامل فقال العامل ﴿ للذي حمليه بعد قراءة الكتاب ﴾ في كتابك ﴿ أنني أمرت ﴾ أن أذبحك وأسلخك ﴿ وأحشى جلدك تبناً وارسله إلى الملك ﴾ قال ﴿ ذلك الحامل ﴾ إن الكتاب ليس هو لي ﴿ اتق ﴾ الله ﴿ اتق ﴾ الله في أمري حتى أراجع الملك قال ﴿ العامل ﴾ ليس لكتاب الملك مراجعة فذهب ﴿ العامل ﴾ وسلخه وحشا جلد تبناً ﴿ كما أمره الملك بذلك ﴾ وبعث به إلى الملك ﴿ ثم عاد الرجل ﴾ الصالح ﴿ إلى الملك كما دته وقال مثل قوله ﴾ الأول أحسن إلى المحسن بإحسانه إلى آخره ﴿ فعجب الملك وقال ما فعل الكتاب ﴾ قال : لقيني فلان واستوهبه ﴿ الكتاب ﴾ مني فدفعته له فقال الملك إنه ﴿ أي الرجل الذي سلخ جلد ﴾ ذكر لي أنك تزعم أنني أنجز قال ﴿ الصالح ﴾ ما قلت ذلك ﴿ أي أنك أنجز ﴾ قال ﴿ الملك ﴾ فلم ﴿ أي لأى شيء ﴾ وضعت يدك على أنفك وفيك ؟ ﴿ أي فكذب ﴾ قال : أظعنني ﴿ الذي ذكر طعاماً أكثر خلطه ﴾ ثوماً فكرهت أن تشبه قال ﴿ الملك ﴾ صدقت أرجع إلى مكانك فقد لقيت السيء إساءته .

فأتملوا رحمكم الله شؤم الحسد وما جبر إليه اللهم طهر قلوبنا من الحسد والحقد ﴿وحكى﴾ أبو نعيم عن يحيى الجعاني قال كنت في مجلس سفيان بن عيينة فاجتمع عليه ألف إنسان أو يزيدون أو ينقصون فالتفت في آخر مجلسه إلى رجل كان عن يمينه فقال قم حدث القوم حديث الحية فقال الرجل أسندوني فأسندناه وسالت جفون عيينة ثم قال ألا فاسمعوا وعوا حدثني أبي عن جدي أن رجلا كان يغزو بمحمد بن حمير وكان له ورع يصوم النهار ويقوم الليل فخرج ذات يوم يتصيد إذ عرضت له حية فقالت يا محمد بن حمير أجرتني أجارك الله قال لها ممن قالت من عدو وقد ظلمني قال لها وأين عدوك قالت له من ورائي قال لها ومن أي أمة أنت قالت من أمة محمد ﷺ قال فتحت ردائي وقلت ادخلي فيه قالت يراني عدوي فشلت طمري فقلت ادخلي بين طمري ويطني قالت يراني عدوي فقلت لها فما الذي أصنع بك قالت إن أردت اصطناع المعروف فافتح لي فاك حتى أنساب فيه قلت أخشى أن تقتليني قالت لا والله ما أقتلك الله شاهد على

وفي رواية فقد كلاك المسى أساءته أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا محمد بن حمزة حدثنا علي بن سهل حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن بكر بن عبد الله قال : كان فيمن قبلكم ملك وكان له حاجب يقربه ويدينه وكان هذا الحاجب يقول : أيها الملك أحسن إلى الحسن ودع المسي تكفه أساءته قال : فحسده رجل على قربه من الملك أن هذا الحاجب عدو ويحبر الناس أنك أنجر قال : وكيف لي بأن أعلم ذلك ؟ قال : إذا دخل يدينه تكلمه فانه يقبض على أنه قال : فذهب الساعي فدع الحاجب إلى دعوته واتخذ مرقعة وأكر فيها الثوم فلما كان من الغد دخل الحاجب فأدناه الملك يكلمه بشيء فقبض على فيه فقال له تبه فدعا بالدواة وكب له كتابا وختمه وقال : اذهب بهذا إلى فلان وكانت حائزته مائة ألف فلما ان خرج استقبله الساعي فقال : أي شيء هذا قال : قد دفعه إلى الملك فاستوبه فأخذ الكتاب وقرأ فلما ان فتحوا الكتاب دعوا بالذبا حين قال : اتقوا الله يا قوم فان هذا غلط وقع على وعادوا الملك فقالوا : لا يهيا لنا معاودة الملك وكان في الكتاب إذا أناكم حامل كتابي هذا فاذبحوا واسلخوا جلده واحشوه بالبر ووجهه إلى فذبحوه وسلخوا جلده ووجهه له فلما ان رآه الملك تعجب فقال تعال وحدثني واصدقني لم إذا أدنيك قبضت على انقله فقال : أيها الملك ان هذا دعاني إلى دعوته واتخذ مرقعة وأكر فيها الثوم واطعمني فلما دناني الملك قلت : يتأذى الملك برح الثوم فقال ارجع إلى مكانك وقل ما كتبت نقوله ووصله بمال عظيم او كما ذكره ﴿فأتملوا رحمكم الله شؤم الحسد وما جبر إليه﴾ من أنواع المفاسد ﴿اللهم طهر قلوبنا من الحسد والحقد ..﴾

وحكى أبو نعيم عن يحيى الجعاني قال : كنت بمجلس سفيان بن عيينة فاجتمع عليه ألف إنسان أو يزيدون أو ينقصون فالتفت ابن عيينة ﴿ففي آخر مجلسه إلى رجل كان عن يمينه فقال : قم حدث القوم حديث الحية ، فقال الرجل : أسندوني فأسندناه وسالت عيينة ثم قال : ﴿الرجل﴾ ﴿ألا فاسمعوا﴾ يا قومي هذا الحديث بأذانكم ﴿وعوا﴾ أي احفظوه بقلوبكم ﴿حدثني أبي عن جدي أن رجلا كان يعرف﴾ بن الناس ﴿بمحمد بن حمير وكان له ورع يصوم النهار ويقوم الليل﴾ وكان يستل بالقبض ﴿فخرج ذات يوم يتصيد إذ عرضت له حية فقالت : يا محمد بن حمير أجرتني أجارك الله قال لها ممن قالت من عدو وقد ظلمني قال لها : وأين عدوك ؟ قالت من ورائي قال لها : ومن أي أمة أنت ؟ قالت : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال : فتحت ردائي وقلت ادخلي فيه﴾ أي في الردائي ﴿قالت : يراني عدوي فشلت طمري﴾ أي خطه خياطة خفيفة والطمر الثوب بالخلق والجمع اطمار مثل حمل وأحمال ﴿قالت : يراني عدوي فقلت لها : فما الذي أصنع بك ؟ قالت : ان أردت اصطناع المعروف فافتح لي فاك حتى أنساب﴾ في الله أنساب الحية أنسابا وأنساب الماء جرى بنفسه ﴿فيه﴾ أي في فمك ﴿قلت : أخشى أن تقتليني قالت لا والله ما أقتلك الله شاهد :

بذلك وملأه وأنبأه وحمله عرشه وسكان سمواته إن أنا قتلتك قال محمد بن حمير فتحت في فانسابت فيه ثم مضيت فعارضني رجل معه صمصامة فقال لي يا محمد قلت وما تشاء قال لقيت عدوي قلت ومن عدوك قال حية قلت اللهم لا واستغفرت ربي من قولي لا مائة مرة ثم مضيت قليلا فأخرجت رأسها من في وقالت انظر مضى هذا العدو فالتفت فلم أر أحدا قلت لم أر أحدا إن أردت أن تخرجني فأخرجني فقالت الآن يا محمد اختر واحدة من اثنتين إما أن أقتك كبذك وإما أن أثقب فؤادك فأدعك بلا روح فقلت سبحان الله أين العهد الذي عهدت إلي واليمين الذي حلفت ما أسرع ما نسيته قالت يا محمد لم نسيته العداوة التي كانت بيني وبين أهلك آدم حيث أخرجه من الجنة على أي شيء أردت اصطناع المعروف مع غير أهله قلت لها ولابد أن تقتليني قالت لا بد من ذلك قلت فأهمليني حتى أسير إلى تحت هذا الجبل فأهد لنفسى موضعا قالت شأنك قال محمد فمضيت أريد الجبل وقد أيست من الحياة فرفعت طرفي إلى السماء وقلت يا لطيف يا لطيف الطف بي بلطفك الخفي يا لطيف بالقدرة التي استويت بها على العرش فلم يعرف العرش أين مستقرك منه إلا كنيته هذه الحية ثم مضيت فعرضني رجل طيب الرائحة نقي البدن قال لي سلام عليكم فقلت وعليك السلام يا أخي قال مالي أراك تغير لونك قلت من عدو قد ظلمني قال وابن عدوك قلت في جوفى قال لي افتح فاك فتحت فمى فوضع فيه مثل ورقة زيتونة خضراء ثم قال امضغ وابلع فمضغت وبلعت فلم ألبث سيرا إلا مقص بطني وذارت في بطني فزمت بها من أسفل قطعة قطعة فتعلقت بالرجل فقلت

بذلك وملأه وأنبأه وحمله عرشه وسكان سمواته إن أنا قتلتك قال محمد بن حمير فتحت في فانسابت فيه أي في فمى ثم مضيت فعارضني رجل معه صمصامة بفتح الصادين بينهما ميم ساكنة يعني نخرة كما أفاده الجرداني فقال الرجل لي يا محمد قلت وما تشاء قال لقيت عدوي قلت ومن عدوك قال حية قلت اللهم لا واستغفرت ربي من قولي مائة مرة وقد علمت أين هي ثم مضيت قليلا فأخرجت الحية رأسها من في أي من فمى وقالت انظر يا ابن حمير مضى هذا العدو فالتفت فلم أر أحدا قلت لم أر أحدا إن أردت أن تخرجني فأخرجني فقالت الآن يا محمد اختر واحدة من اثنتين إما أن أقتك كبذك^(١) وإما أن أثقب فؤادك بلا روح فقلت سبحان الله أين العهد الذي عهدت إلي واليمين الذي حلفت ما أسرع ما نسيته قالت يا محمد لم أي لآى شيء نسيته العداوة التي كانت بيني وبين أهلك آدم عليه الصلاة والسلام حيث أخرجه من الجنة على أي شيء أردت اصطناع المعروف مع غير أهله قلت لها ولابد أن تقتليني قالت لا بد من ذلك القل قلت لها فأهمليني حتى أسير إلى تحت هذا الجبل فأهد لنفسى موضعا قالت الزم شأنك قال محمد فمضيت أريد الجبل وقد أيست من الحياة فرفعت طرفي إلى السماء فقلت يا لطيف أي يا محسن الذي توصل للمنافع برفق وقيل هو خالق اللطف يلطف بعباده من حيث لا يعلمون يا لطيف الطف بي بلطفك الخفي يا لطيف يا قدير أسألك بالقدرة التي استويت بها على العرش استواء يليق بعظمتك فلم يعرف العرش أين مستقرك منه يا حكيم يا علي يا عظيم يا حي يا قيوم يا الله لا ما كنيته هذه الحية ثم مضيت فعرضني رجل صبيح الوجه طيب الرائحة نقي البدن من الدرن قال لي سلام عليكم فقلت وعليك السلام يا أخي قال مالي أراك تغير لونك قلت من عدو قد ظلمني قال وابن عدوك قلت في جوفى قال لي افتح فاك فتحت فمى فوضع فيه مثل ورقة زيتونة خضراء ثم قال امضغ وابلع فمضغت وبلعت فلم ألبث سيرا إلا مقص أي وجع فقلت قال القيومى المقص وجع في الأمعاء ودارت الحية في بطني فزمت بها من أسفل قطعة قطعة فتعلقت بالرجل فقلت

١. الكبذ من الأمعاء معروفة وهي أثني وقال الفراء: وتذكر وتوث ويجوز التخفيف بكسر الكاف وسكون الباء والجمع أكباد وكبود قليلا

له من أنت الذي من الله على بك فضحك ثم قال ألا تعرفني قلت اللهم لا قال يا محمد بن حيرانه لما كان بينك وبين الحية ما كان ودعوت بذلك الدعاء ضجعت ملائكة السموات السبع إلى الله عز وجل فقال وعزتي وجلالي رأيت بعيني كل ما فعلت الحية بعبدى وأمرني الله سبحانه وتعالى إليك وأنا يقال لي المعروف مستقري في السماء الرابعة أن انطلق إلى الجنة وخذ ورقة خضراء والحق بها عبدى محمد بن حوير يا محمد عليك باصطناع المعروف بقي مصارع السوء وأنه وإن ضيعه المصطنع إليه لم يضع عند الله عز وجل .

له من أنت الذي من الله على بك ؟ فضحك الرجل ثم قال : ألا تعرفني ؟ قالت : اللهم لا تعرفك قال : يا محمد بن حوير أنه لما كان بينك وبين الحية ما كان من ارادة الحية قتلك ودعوت بذلك الدعاء ضجعت أى صحت ملائكة السموات السبع إلى الله عز وجل فقال : وعزتي وجلالي رأيت بعيني كل ما فعلت الحية بعبدى وأمرني الله سبحانه وتعالى بالحق إليك وأنا يقال لي المعروف مستقري في السماء الرابعة أن انطلق إلى الجنة وخذ ورقة خضراء والحق أى ادرك بها عبدى محمد بن حوير يا محمد عليك أى الزم باصطناع المعروف بقي مصارع السوء وأنه وإن ضيعه أى المعروف المصطنع إليه لم يضع عند الله عز وجل . وأورد الجرداني هذه الحكاية في شرحه على نيل المرام .

* فرع * قال الجرداني : ومن المعروف الاصلاح بين الناس فقد ثبت بالآيات والأحاديث ان الاصلاح بينهم من أفضل القربات وعن الحسن عنه عليه السلام أنه قال : أفضل الناس عند الله تعالى يوم القيامة المصلحون بين الناس . وفي الحديث الحسن : أفضل الصدقة اصلاح ذات البين بالفتح أى العداوة والبغضاء يعنى اصلاح الفساد بين القوم وازالة الفتنة .

* حكاية * كان فى بنى اسرائيل رجل صالح له امرأة صالحة تتزقطننا ببيعه كل يوم بدرهم فينق نصفه عليهما ويشترى بنصفه قطننا فترأى يوما رجلين يقتلان فى السوق ويتشتمان فقال : ما شأنكما فقال أحدهما : لى على هذا درهم ولا يعطينيه فقال : لا تشتا ودفع الدرهم الى صاحب الحق فلما رجع قالت امرأته : لم تحمل الطعام والقطن ؟ فحكى لها فدعت له بالبركة واشت عليه وجمعت القطن الذي طار فى الدار واسود فغزله فلم يشتره أحد فرجع حزينا فمر على سمالك عنده سمكة مشنة لم يقبلها أحد فقال له السمالك ما لى أراك حزينا فحكى له فقال : بعتك هذه السمكة بهذا الغزل فشقت زوجته بطنها فاذا فيها لؤلؤة فى صدف فذهب بها الى رجل فقومها بأربعين ألف درهم وقال : أنت ضعيف من أين لك هذه ؟ فقال : رزقنى الله بها فرق له وبعته الى آخر فقومها بشائين ألف درهم وقال : من أين لك هذه وأنت ضعيف ؟ فقال : رزقنى الله بها فرجته وبعته الى آخر فباعها له بمائة وعشرين ألف درهم فذهب بها الى امرأته فأثامها سائل فقالا : ما لنا كثير نعطيه نصفه فدفعه له نصفه فذهب السائل ورجع بالمال وقال : لست سائلا وإنما أنا ملك من ملائكة السماء السابعة بعثنى الله تعالى اليكما وهو يقول شكرا ثماني فى الشدة والرخاء جميعا وأعطينكما ذلك جزاء للصالح للرجل الذي يقال صاحبه بالدرهم ولكما جزاؤه الجنة والله سبحانه وتعالى أعلم .

* تنبيه * أعلم أن مراتب الحسد هي اما محبة زوال نعمة الغير وان لم ينتقل للحاسد وهذا غاية الحسد أو مع انتقالها اليه أو انتقالها اليه والا أحب زوالها ثلاثى عليه أولا محبة زوالها وهذا الأخير هو المعنوع من الحسد ان كان فى الدنيا والمطلوب ان كان فى الدين ولا شك ان الحسد من أمراض القلوب العظيمة وأمراض القلوب لا تدوى الا بالعلم فالعلم النافع لمرض الحسد ان تعرف أنه يضردى ودنيا ولا يضرد الحسود لادنيا ولا دنيا اذ لا تزول نعمة بحسد قط ولا لم يبق نعمة على أحد حتى الايمان لأن الكفار يحبون زواله عن أهله وه منفع بحسدك دنيا لانه مظلوم من جهتك سيما أن أبرزت حسدك الى الخارج بالغبية وهك السر وغيرهما من أنواع الايذاء فهذه هدا

﴿باب الغضب﴾

تهدي إليه حسناتك بسببها حتى تلقى الله يوم القيامة مغلسا محروما من النعم كما حرمت منها في الدنيا ومتى انكشف غشاء بصيرتك وزين قلبك وتأملت ذلك ولم تكن عدو نفسك ولا صديق عدوك أمرحت عن الحسد أصلا حذرا من أن تكون قد وقعت به في ورطة عظيمة وهي أنك قد سخطت قضاء الله وكرهت قسمة الله وعدله وهذه جناية أئى جناية على حضرة التوحيد وتأهيك بها جناية على الدين وكيف لا وأنت قد فارقت بذلك الأنبياء والأولياء والعلماء العاملين في حبهم وصول الخير لعباد الله وشاركت إبليس والشياطين في محبتهم للمؤمنين البلاء وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسناتك كما تأكل النار الحطب هذا مع ما ينضم لذلك من ضررك الديوى بوالى الهم والنعم عليك كلما رأيت محسودك يزايد في النعم وأنت تنافس فيها فان هذا من جملة آفات حسدك فانت دائما في غاية الحزن والغم وضيق الصدر وتشعب القلب فلو فرض أنك لم تؤمن ببغث ولا حساب لكان من الحزم ترك الحسد حتى تسلم من هذه العقوبات الديوية الناجزة قبل العقوبات الأخروية فظهر أنك عدو نفسك وصديق عدوك اد تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتقم به عدوك فيهما وصوت مذموما عند الخلق والخالق شقيا جالالاً ومالاً.

وأما العمل النافع لذلك المرض فهو أن تكلف نفسك أن تصنع بالمحسود ضد ما اقتضاه حسدك فتبدل الذم المدح والتكبر عليه بالتواضع له ومنع ادخال رفق عليه بزيادة الارفاق به وهكذا في هذا يضعف داء الحسد وكلما زادت من ذلك زاد تنافس الحسد الى أن يتعدم فافهم تسلم وامثل تقنم ولا شك أن كل أحد يبغض من آذاه طبعاً فلا يستوى عنده حسن حاله وسوء غالباً وهذا ينزع الشيطان النفس الى حسده فان طاعته حتى أظهرت الحسد بقول أو فعل اختيارى أو أبطنته بأن أخيب زوال نعمته فهي عاصية بحسدها اذ معصية الحسد بالقلب فحسبت مظلمة متعلقة بالخلق فلا يشترط في التوبة منها استحلال المحسود لأنها أمر باطن لا يطلع عليه الا الله تعالى فمنى كلفت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترسخ فيه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك نمت نفسك على ما في طبعها كانت تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع وحينئذ تكون قد أذيت الواجب ولا يدخل تحت اختيارك غالباً أكثر من هذا.

فأما تغيير الطبع الى أن يستوى عنده المؤذى والحسن ويكون فرجه بينهما وغمه بليتهما سواء فأنمر بأباه الطبع ما لم يستغرق في محبة الله تعالى ويشغل بها الى أن يرى الخلق كلهم بعين واحدة وهي عين الرحمة ويتقدير حصول هذه الحالة لا بدوم بل تكون كالبرق ثم يعود القلب الى طبعه والشيطان الى منازعته بالوسوسة ومهما قابل ذلك بكراهته بقلبه فقد أدى ما كلفه وقد ذهب قوم الى أنه لا يائتم ما دام الحسد لم يظهر على بخوارجه لخبر ثلاث لا يحلف منهن مؤمن وله منهن مخرج مخرجه من الحسد أن لا يقض وهذا ضعيف أو شاذ بل الصواب حرمة مطلقاً وبحمل الخبر ان صح على أنه يكره ذلك ديناً وعقلاً في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وهذه الكراهة تمنعه من البغى والأداء وقد مرت الأخبار الصحيحة في دم كل حاسد وأثمه والحسد ليس حقيقته الا في القلب وكيف يسوغ لأحد أن يجوز محبة آسائه مسلم واشتغال قلبه عليها من غير كراهة منه لذلك.

﴿باب ذم الغضب﴾

قال الله تعالى : اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين الآية . ذم الكفار بما تظاهروا به في عدم دخوله مع المؤمنين مكمن الحمية الصادرة عن الغضب والتهور بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة أى الثبات والوقار .

﴿أخرج﴾ البيهقي وابن عساكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يا معاوية إياك والغضب فإن الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل * والخراطيني إياكم والبغضاء فإنها الحاقلة * وابن شاهين يقول الله ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب ولا أحقك فيمن أحق * والحاكم إن الغضب ميسم من نار جهنم يضعه الله على نياط أحدكم ألا ترى أنه إذا غضبت احمرت عينه وارتد وجهه واتمخت أوداجه * والترمذي للنار باب لا يدخله إلا من شفى غيظه بسخط الله * والطبراني من دفع غضبه دفع الله عنه عذابه *

وأخرج ابن عساكر: الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار والماء يطفى النار فإذا غضب أحدكم فليغتسل. وأخرج ابن أبي الدنيا: اجتنب الغضب. وأخرج ابن عدي: إذا غضب أحدكم فقال: أعوذ بالله سكن غضبه. وأخرج أحمد: إذا غضب أحدكم فليستك. وأخرج الخرائطي: إذا غضبت فاجلس. وأخرج أحمد وأبو داود وابن حبان: إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب والا فليضطجع. وأخرج أبو الشيخ: الغضب من الشيطان فإذا وجد أحدكم قائما فليجلس فإن وجد جالسا فليضطجع. وأخرج الديلمي: إذا غضبت فاقعد فإن لم يذهب عنك فليضطجع فإنه سيذهب. وأخرج أحمد والبخاري والترمذي وأبو علي: أن غير واحد من الصحابة قال: يا رسول الله أوصني قال: لا تغضب قال: لا تغضب. وفي رواية لا تغضب فإن الغضب مفسدة. وفي أخرى: قلت يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال: لا تغضب. وفي أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما قلت لرسول الله ﷺ: قل لي قولا وأقلل لعلني أعقله قال: لا تغضب فأعيدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلى لا تغضب وأخرج الطبراني: لا تغضب ولك الجنة. وأخرج الخرائطي عن أم هانئ قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأخرج ابن مصلح الفتن.

﴿أخرج البيهقي﴾ في الشعب من رواية يزيد بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف ﴿وابن عساكر﴾ في التاريخ ﴿عن رسول الله ﷺ أنه قال: يا معاوية﴾ بن حميدة ﴿إياك والغضب فإن الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر﴾ يفتح الصاد وكسر الموحدة دواء معروف ﴿العسل و﴾ أخرج الخرائطي: إياكم والبغضاء فإنها الحاقلة. ﴿أي المزالة للشواب كما يزيل موسى الشعر.

وأخرج الديلمي قال: من ذكرني حين يغضب ذكرته حين أغضب ولا أحقك فيمن أحق و﴿أخرج﴾ ابن شاهين يقول الله: ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب ولا أحقك فيمن أحق و﴿أخرج﴾ الحكم ﴿الترمذي﴾ أن الغضب ميسم بكسر الميم أي مكوة وهي أثر الوسم والوسم أثر الكلى والجمع مواسم ومياسم ﴿من نار جهنم يضعه الله على نياط أحدكم﴾ أي عرق قلبه قال الفيومي: والنياط بالكسر عرق متصل بالقلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه ﴿ألا ترى أنه إذا غضب احمرت عينه وارتد﴾ أي تغير ﴿وجهه واتمخت أوداجه﴾ جمع ورج يفتح الدال والكسر لغة وهو عرق غليظ في العنق و﴿أخرج﴾ الترمذي ﴿في نوادره عن ابن عباس رضي الله عنهما﴾ للنار باب لا يدخله ^(١) ﴿ألا من شفى غيظه بسخط الله﴾ بارتكاب ما حرم الله. قال الحفني: كان غضب من شخص فلم يشف غيظه إلا بكونه يضربه أو ينسبه فاذا أمكن نفسه من ذلك كان له ذلك الوعيد.

﴿و﴾ أخرج الطبراني ﴿من حديث أنس وضعفه المنذري﴾ من دفع غضبه ﴿أي لم يعمل بمقتضاه﴾ دفع الله عنه عذابه ﴿مكافأة له على دفع غيظه وقهر نفسه لله وتوكله﴾ كما في الجامع الصغير ومن حفظ لسانه ستر الله عورته.

وأحمد وأبو داود إن الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما يطفأ بالماء النار فإذا غضب أحدكم فليتوضأ * والطبراني لو يقول أحدكم إذا غضب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه غيظه

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد وأبو داود﴾ عن عطية السعدي ﴿إن الغضب من الشيطان﴾ أي هو المحرك له الباعث عليه بالقاء الوسوسة في قلب آدمي ليعديه ﴿و﴾ أن ﴿الشيطان﴾ أي إبليس ﴿خلق من النار﴾ بالبناء للمفعول أي خلقه الله من النار لأنه من الجان الذي قال الله فيهم: وخلق الجان من نار. وكانوا سكان الأرض قبل آدم عليه السلام وكان إبليس أعبدهم فلما عصى الله تعالى ترك السجود لآدم جعله الله شيطانا. ﴿وإنما يطفأ بالماء النار فإذا غضب أحدكم فليتوضأ﴾ أي وضوء للصلاة وإن كان على وضوء وروى في الحديث المار الأمر بالاعتسال على الحالة الشديدة التي يكون الغضب فيها أقوى وأغلب من الحالة التي أمر فيها بالوضوء. قال العلامة الحنفى: قوله أن الغضب من الشيطان لا ينافى هذا قول إمامنا الشافعى رحمه الله: من استغضب أى طلب اغضابه فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى أى طلب رضاه على من استحق الرضا فلم يرض فهو جبار لأنه محمول على ما إذا ترك الغضب المحمود لشدة حلمه فهو مذموم كان تكلم شخص فى عرضه أو أراد أخذ ماله أو هتك حريمه فلم يغضب لشدة حلمه فهو مذموم والغضب حينئذ محمود كالغضب بسبب فعل المعاصى.

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ لو يقول أحدكم إذا غضب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه غيظه وقال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام يا بنى آياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم. وقال عكرمة فى قوله تعالى وسيدا وحسورا. السيد الذي لا يغلبه الغضب. وقال يحيى لعيسى عليهما السلام: لا تغضب قال: لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر قال: لا تقن ما لا قال: هذا عيسى. وقال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك أن تثب وثبة فتقع فى النار. وعن ذى القرنين أنه لقي ملكا من الملائكة فقال: علمنى علما أراد به إيمانا وقينا قال: لا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكبه بالتوادة وآياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت خطك وكنت سهلا لنا للقرب والبعيد ولا تكن جبارا عتيدا. وقال جعفر بن محمد رضى الله عنهما: الغضب مفتاح كل شر. وقال بعض الأنصار: رأس الجحيم الحدة وقائدة الغضب ومن رضى بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الأحمق سعادة. وقال مجاهد: قال إبليس ما أعجزنى بنو آدم فلم يعجزونى فى ثلاث إذا سكر أحدكم أخذنا مجرمته فقدناه حيث نشاء وعمل لنا بما أحببنا وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم وإذا بخل بما فى يده متينا بما لا يقدر عليه. وقال ابن مسعود رحمه الله: انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طعمه وما علمك بحلمه إذا لم يغضب وما علمك بأمانته إذا لم يطعم. وكب عمر عبد العزيز إلى عامله: لا تعاقب عند غضبك بل أحبسه فإذا هك غضبك عاقبه بقدر ذنبه ولا تتجاوز به خمسة عشر سوطا واعظ له قرشى فاطرق طويلًا ثم قال: أردت أن يستغزى الشيطان لعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله منى غدا. وقال بعضهم: أقل الناس غضبا أعظمهم فإن كان الدنيا كان دهاء للآخرة كان علما وحكما. كان عمر رضي الله عنه يقول فى خطبته: أفلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب. وقال بعضهم: من أطلع شهوته وغضبه قاداه إلى النار. وقال الحسن: من علامات المسلم قوة فى دين وحزم فى إيمان وفى يقين وعلم فى حلم وكس فى رفق وإعطاء فى حق وقصد فى غنى وتحمل فى فاقة وإحسان فى قدرة وصبر فى شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمع به الحمية ولا تغلبه شهوته ولا يفضحه بطنه ولا يستخفه جرمه يضر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبدى ولا يسرف ولا يفتقر إذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه فى غناء

﴿وروي﴾ أن بعض الصحابة حمله الغضب على أن ارتد عن الإسلام ومات كافرا قاتل شر الغضب وما يحمل عليه والعباد بالله * وعن وهب بن منبه أن راهبا في صومعة أراد الشيطان أن يضلّه فعجز عنه فناداه ليفتح له فسكت فقال إن ذهبت ندمت فسكت فقال أنا المسيح فأجابه وقال إن كنت المسيح فما أصنع بك أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئنا اليوم بغير ذلك لم يقبله منك فأخبره أنه شيطان جاء ليضلّه فلم يستطع ثم قال له سلني عما شئت أخبرك قال ما أريد أن أسألك عن شيء فولي الشيطان مدبرا فقال له الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم قال الحدة إن الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة

والثامن منه في رخاء . وقال وهب بن منبه : المكفر أربعة أركان الغضب والشهوة والخرق والطمع .
﴿و﴾ يزيد ما ﴿روى أن بعض الصحابة حمله الغضب على أن ارتد﴾ أي رجع ﴿عن الإسلام ومات كافرا قاتل شر الغضب وما يحمل عليه﴾ من الارتداد وغيره ﴿والعباد بالله﴾ من ذلك . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد قال : لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف عمل فجمع الناس فقال : من يقبل لي بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام منهم رجل شاب قال : نعم فردهم من ذلك اليوم وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل وقال : أنا فاستخلفه قال فجعل ابليس يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم ذلك فقال دعوني وإياه ثم أتاه في صورة شيخ كبير فقير فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل ولا النهار الا تلك التومة فدق الباب فقال من هذا ؟ قال : شيخ كبير مظلوم قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه ويطول في قصته حتى حضره وقت الرواح وذهبت القائلة وقال : اذا زحمت فأتني آخذ لك بحمقك فانطلق وراح وكان في مجلسه فجعل ينتظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام فلما كان الغد ورجع الى القائلة وأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال مثل ما قال في الاولى واعتذره عن الجحى وفعل ذلك ثلاث مرات ثم انه رأى كوة في البيت فسور منها فاذا هو في البيت فاذا هو يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل فقام الى الباب فاذا هو مغلق واذا الرجل معه في البيت فقال له : من أين أتيت ؟ فأخبره فعرف انه عدو الله وقال له أعيش في كل شيء ففعلت ما ترى لأغضبك فسمه الله ذا الكلل لأنه تكفل بأمر فوفى به .

﴿وعن وهب بن منبه﴾ رحمه الله تعالى ﴿أن راهبا﴾ كان ﴿في صومعته﴾ يتعبد فيها ﴿أراد الشيطان أن يضلّه فعجز عنه﴾ أي عن اضلاله ﴿ف﴾ جاءه حتى ﴿ناداه﴾ فقال : افتح لي ﴿ليفتح له فسكت﴾ الراهب ولم يجبه ﴿فقال﴾ الشيطان افتح فأتني ﴿ان ذهبت﴾ عنك ﴿ندمت﴾ على عدم فتحك ﴿فسكت﴾ الراهب ولم يلتفت اليه ﴿فقال﴾ الشيطان ﴿أنا المسيح﴾ أي عيسى عليه السلام ﴿فأجابه وقال﴾ : ان كنت المسيح فما أصنع بك ؟ أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئنا اليوم بغير ذلك ﴿أي بغير ما أمرتنا به ووعدتنا بما ذكر﴾ لم يقبله ﴿أي غير ذلك﴾ منك فأخبره أنه شيطان جاء ليضلّه فلم يستطع ﴿أي فقال﴾ اتى شيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع ﴿ثم قال﴾ الشيطان ﴿له﴾ أي الراهب ﴿سلني عما شئت أخبرك قال﴾ الراهب ﴿ما أريد أن أسألك عن شيء فولي الشيطان﴾ أي أعرض عنه حال كونه ﴿مدبرا فقال له الراهب﴾ : ألا تسمع قال : ﴿الشيطان﴾ بلى ﴿نسمع﴾ قال : أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم قال ﴿الشيطان﴾ الحدة ﴿أي سرعة الغضب﴾ ان الرجل إذا كان حديدا ﴿أي سريع الغضب في المختار الحدة ما يعتري الانسان من النوق والغضب﴾ قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة .

قال أبو نعيم : في الحلية حدثنا أبو بكر الأجرى حدثنا عبد الله بن محمد العطشي حدثنا ابراهيم بن الجعيد حدثني محمد بن

أعاذنا الله من شر الشيطان وشركه

الحسين حدثنا بشر بن أبان حدثني الحسن بن عبيد الله بن مسلم القرشي عن وهب بن منبه أن راهبا تخلى في صومعته في زمن المسيح عليه السلام فأراد أن ابليس بكل ديرة فلم يقدر عليه فأتاه تشبها بالمسيح فناداه : أيها الراهب أشرف علي أكلك فقال : انطلق لشأنك فليست رادا ما مضى من عمري فقال : أشرف علي فانا المسيح قال : فإن كنت المسيح فما اليك من حاجة أليس قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة انطلق لشأنك فلا حاجة لي بك قال فانطلق اللعين عنه وتركه . وحدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن ابراهيم حدثنا محمد بن سهل حدثنا اسمعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول : ان ابليس أتاه راهبا في صومعته فاستفتح عليه فقال : من أنت ؟ قال : أنا المسيح فقال الراهب : والله لن كنت ابليس لأخلوك ولن كنت المسيح ما عسيت اني أصنع بك اليوم لقد بلغت رسالة ربك وقبيلنا عندك وشرعت لنا الدين ونحن عليه فاذهب فليست بمأخوك قال له : صدقت أنا ابليس ولا أريد ضلالتك بعد اليوم ابدا فسلني عما بدا لك أخبرك به قال : وأنت صادق قال : لا تسألني عن شيء الا صدقتك به قال : فأخبرني أي أخلاق بني آدم أوثق في أنفسكم أن تضلوه بها ؟ قال : ثلاثة أشياء الشح والحدة والسكر . وأخرج أيضا من طريق أخرى قصة تشبهها وهي من طريق بكار من عبد الله : سمعت وهبا يقول : كان رجل عابدا أراه الشيطان من قبل الشهوة والرغبة والغضب فلم يستطع له شيئا فساق القصة وفي آخرها قال له الشيطان : أفلا تسألني عما أضل به بني آدم ؟ قال : بلى قال : فأخبرني ما أوثق ما في نفسك أن تضلهم به ؟ فقال : ثلاثة أخلاق من لم يستطع شيء منها غلبناه بالشح والحدة والسكر فإن الرجل إذا كان شحيحا قللنا ماله في عينه وزيناه في أموال الناس وإذا كان حديدا تداورناه بيننا كما يداور الصبيان الكرة ولو كان يحى الموتى بدعوته لم يئأس منه فإن ما يئس يهدمه لنا بكلمة وإذا سكر اقتدناه الى كل سوء كما يتقاد من أخذ العنزة بأذنائها حيث شاء **﴿ أعاذنا الله من شر الشيطان وشركه ﴾** بكسر الشين أي نهييه * تنبيه * قد مر في أحاديث الغضب السابقة ما يدل على أن الله تعالى خلق الغضب من نار وعرزه في الانسان وعجته بطيته فهما قصد في غرض من أغراضه واشتعلت فيه تلك النار الى أن يغلى منها دم قلبه ثم تنتشر في بقية عروق البدن فيرتفع الى أعاليه كما يرتفع الماء المغلى فينصب الدم بعد انبساطه الى الوجه وتحمّر الوجهة والعين والبشرة لصفائها بحكي لوما وراءها من حمرة الدم هذا ان استشعر القدرة على من غضب عليه والافان غضبت على من قوته أشد من قوته وكان معه يأمن من الانتقام انقبض دمه من ظاهر جلده الى جوف قلبه وصار خوفا فيه فيصفر لونه أو من مساويه وشك من قدرته على الانتقام منه تردد دمه بين الانقباض والانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب فعلم ان قوة الغضب تحلها القلب وان معناها غلبان دمه لطلب الانتقام وان هذه القوة انما تروحه عند ثورانها الى دفع مؤذ قبل وقوعه والتشفي والانتقام بعده فالانتقام هو لذتها ثم ان التعريط فيها بانعدادها أو ضعفها مذموم جدا لانعدام الحمية والغيرة حيث قد ومن لاغيرة له ولا مروءة لا يأنهل لشيء من أنواع الكمال يوحه من الوجوه لأنه بالنساء بل بحشرات الحيوان أشبه وهذا هو معنى قول الشافعي **﴿ من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرض فلم يرض فهو شيطان ﴾** وقد وصف الله تعالى الصاحبة رضوان الله عليهم بالشدة والحمية فقال تعالى : أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين ، أشداء على الكفار رحماء بينهم ، يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم . وثمرة التعريط في ذلك قلة الألفة مما يوقف منه من التعرض للحرم كالأخت والزوجة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس وهذه كلها قبائح ومذام ولو لم يكن من ثمراتها الا قلة الغيرة وخبرثة الطبع . وقد قال **﴿ أعجبون من غيرة سعد أنا أغير منه والله أغير مني ومن غيرة علي أن حرّم الفواحش ﴾**

وأخرج أحمد والشيخان والترمذي: لأحد أعير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل. وأخرج البيهقي: إن الغيرة من الإيمان. وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه: إن من الغيرة ما يحب الله تعالى ومنها ما يبغض الله وإن من الخلاء ما يحب الله ومنها ما يبغض الله فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الربة وأما الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ربة وأما الخلاء التي يحبها الله فأخبال الرجل في القتال وأخباله عند الصدقة وأما الخلاء التي يبغض الله فأخبال الرجل في البغي والفجور. وأخرج الطبراني: إن الله تعالى يحب من عباده الغيور إن الله تعالى يغار للمسلم فليغر. وأخرج الشيخان والترمذي: إن الله تعالى يغار وإن المؤمن يغار وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه وأما الإفراط في تلك القوة فهو مذموم جدا أيضا وذلك بأن يغلب عليه حتى يخرج عن سياسة العقل والدين لا يبقى له معها فكر ولا بصيرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطرب ومهما اشتدت نار الغضب واشتعلت أعنت صاحبه وأصبته عن كل موعظة بل لا ترتده الموعظة الاستقبال لا نظاء نور عقله ومحوه حالا بدخان الغضب الصاعد إلى الدماغ الذي هو معد الفكر وربما يتعدى إلى معادن الحس فيظلم بصره حتى لا يرى شيئا إلا أسود بل ربما زاد اشتعال ناره حتى تغنى رطوبة القلب التي بها حياته فيموت صاحبه غيظا ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون كما تقدم وشدة رعدة الأطراف وخروج الأفعال عن الانتظام واضطراب الحركة والكلام حتى يمرى الزبد على الأشداق وتشد حمرة الأشداق وتقلب المناخر وتستحيل الخلق ولو يرى الغضبان في حال غضبه صورة نفسه لسكن غضبه حياء من قبح صورته وقبح باطنه أعظم من ظاهره فهو عنوان الباطن إذ قبح ذلك إنما نشأ عن قبح هذا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن.

هذا أثره في الجسد. وأما أثره في اللسان فإطلاقه بالقباح كاللشتم والفحش وغيرهما مما يستحق منه ذو العقل مطلقا وقائله عند قور غضبه على أنه لا ينتظم كلامه وأما أثره في الأعضاء فالضرب فما فوقه إلى القتل عند التمكن فإن عجز عن التشفى رجع غضبه عليه فمزق ثوبه وضرب نفسه وغيره حتى الحيوان والجماد بالكسر وغيره وعدا عدوا وربما سقط وعجز عن الحركة مثل الفشية لشدة استيلاء الغضب عليه وأما أثره في القلب فالخقد على المغضوب عليه وحسده وإظهار الشماتة بمساءته والحزن بسروره والعزم على إفشائه سره وهتك ستره والاستهزاء به وغير ذلك من القباح.

وأما الكمال المطلق فهو اعتدال تلك القوة بأن لم يكن فيها تفرط ولا إفراط وإنما تكون طوع العقل والدين فتنبعث حيث وجبت الحمية وتنطفئ حيث حسن الحلم وهذا هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده والوسط الذي مدحه النبي ﷺ بقوله: خير الأمور أوسطها فمن أفرط أو فرط فليعالج نفسه إلى وصولها إلى هذا الصراط المستقيم أو إلى القرب ولم تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ولا ينبغي لمن عجز عن الاتيان بالخير كله أن يأتي بالشر كله فإن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض والله تعالى من فضله يعطي كل عامل ما أمله ويسر ما توجّه إليه.

واعلم أن محل ذم الغضب أن كان باطلاً والا فهو محمود ومن ثم كان ﷺ لا يبغض إلا الله. وأخرج الشيخان أن رجلا قال: يا رسول الله انى لا تأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب في موعظته يومئذ فقال: يا أيها الناس إن منكم منفرين فابكم أم الثامن فليوحز فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة قال أنس: رأى رسول الله ﷺ نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى روى في وجهه الغضب فقام فحكها يده وقال: إن أحدكم إذا قام في صلاته فانه يتأخر به أو قال

ان ربه بينه وبين القبلة فلا يزيق أحدكم قبل القبلة ولكن عن يساره أو تحت قدمه أو في غير المسجد ثم أخذ طرف رداءه فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض وقال: أو يفعل هكذا .

(فصل) ظن قوم ان الرضاة تزيد الغضب بالكلية وآخرون انه لا يقبل العلاج أصلا . قال الامام أبو حامد الغزالي : والحق ما سنده واصله ان الانسان ما دام يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو من الغضب ثم المحبوب كان ضروريا كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن فلا بد من الغضب لأجل تقويته وان كان غير ضروري كالجاء والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم والمال الكثير أمكن عدم الغضب عليه بالزهد ونحوه وان صار محبوبا بالعادة والجهل بمقاصد الأمور وأكثر غضب الناس على هذا القسم أو ضروريا في حق بعض الناس ككتب العلماء والأت المحترفين وهذا القسم لا يفضي لقواته الا المضطر اليه بخلاف غيره اذا علم ذلك فالقسم الأول لا يؤثر الرضاة في زواله بالكلية لأنه قضية الطبع بل في استعماله على حد يستحسنه الشرع والعقل وذلك يمكن بالمجاهدة وتكليف التحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا وكذلك القسم الثالث لأن من هو ضروري في حقه بمنزلة المضطر الى الغضب على قواته فلا يمكن بالمجاهدة زواله نظير ما مر في الذي قبله . وأما القسم الثاني فيمكن بالمجاهدة زواله بالكلية لا يمكن اخراجه من القلب لعدم اضطرابه اليه والملاحظة ان وطن الانسان الحقيقي القبر ومستقره الآخرة وانما الدنيا محل تزوده بقدر ضرورة وما وراء ذلك وبال عليه في وطنه ومستقره فليرزق فيها ما احبها من قلبه نعم وصول الرضاة الى قلع أصل هذا نادر جدا وتأمل قوله ﷺ: اللهم انما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فانما مسلم بسببه أو لعنه أو ضرته فاجعلها منى صلاة عليه وزكاة وقرية تقر به بها اليك يوم القيامة . وقال عمر بن العاص: يا رسول الله أكب عنك ما قلت في الغضب والرضا فقال ﷺ: أكب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا حق وأشار عليه الصلاة والسلام الى لسانه ولم يقل اني لا أغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق أي لا أعمل بموجب الغضب . قال على كرم الله وجهه: كان ﷺ لا يغضب للدين فاذا غضب للحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى يتصور له .

والحاصل ان أعظم الطرق في الخلاص من الغضب محو حب الدنيا عن القلب بمعرفة آفات غوائلها وأعظم الطرق في الوقوع في ورطته الزهو والعجب والمزاج والهزل والهزء والتعير والمارة والمضارة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه فهذه بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من ازالها بالمجاهدة والرضاة الى أن يتخلى بأضدادها * تمة * من الأحاديث ما يعلم به دواء الغضب ومزيله بعد هيجانه ومزجه الى العلم والعمل فالعلم بأن يتفكر فيما سيحوي في فضل كظم الغيظ وفي العفو والحلم والاحتمال فانه حينئذ يرغب فيما أعده الله له من الثواب فيزول ما عنده وما يضطره الى الهوان والعذاب ومن ثم لما أمر عمر رضي الله عنه بضرب رجل قرأ عليه : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل . فقرأها عمر وتأملها فخلاه وكان وفاقا عند كتاب الله لا يتجاوزوه وناسى به عمر بن عبد العزيز خفيه في هذا فأمر بضرب رجل ثم قرأ : والكاظمين الغيظ فأمر بإطلاقه وبأن يتأمل أن قدرة الله عليه أعظم من قدرته هو فربما لو أمضى غضبه أمضى الله عليه غضبه فهو أرحم ما يكون للعفو يوم القيامة ومن ثم جاء كما مر : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرني حين أغضب فلا أحبك فيمن أحق وبأن يحذر نفسه عاقبة الانتقام من تسلط المنتقم منه على عرضة واظهار معايبه والشتمات بمصائبه وغير ذلك من مكاييد الاعداء فهذه غوائل دنيوية ينبغي أن لا يقطع نظره عنها وبأن يتفكر في قبح صورته عند غضبه مع قبح الغضب عند نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضار ومشابهة الحليم للأنبياء والأولياء ويتأمل ما بعده بين الشبهين وبأن لا يصفى الى وسوسة الشيطان المهيجة لغضبه ويتأمل ان هذا دون عذاب الله وانتقامه المفرعين

﴿خاتمة﴾ في فضل كظم الغيظ والعفو *

على الغضب والانتقام اذا غضبان يود جريان الشيء على وفق مراده دون مراد الله ومن وقع في هذه الورطة لا يأنس غضب الله وعذابه بما هو اعظم من غضبه وانتقامه .

هذا ما يتعلق بالعلم . وأما العمل فبان يستعيز بالله من الشيطان الرجيم يأخذ بأف نفسه ويقول : اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن . لحديث فيه ثم ليجلس ثم يضطجع ليقرب من الأرض التي خلق منها حتى يعرف حرارة أصله وذل نفسه وليسكن عن الحركة الناشئ عنها حرارة الناشئ عنها الغضب كما في حديث : ان الغضب جمره توقد في القلب ألم تروا الى اتفاح أوداجه وحره عينيّه فاذا أخذ أحدكم من ذلك شيئاً فليجلس وان كان جالساً فليتم فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغسل فان النار لا يطفئها الا الماء . وفي حديث آخر : اذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فان الغضب من النار . وفي رواية : ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ . وفي رواية : اذا غضب فاسكت . وفي أخرى : ألا ان الغضب جمره في قلب ابن آدم ألا تروا الى جمره عينيّه واتفاح أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليصبر خده بالأرض . قال الغزالي : وكان هذا إشارة الى السجود وتمكين أعز الأجزاء من أذل المواضع وهو التراب لتشت شعيرة النفس الذل فتزول به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب واستنشع عمر بماء عند غضبه وقال : ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب . ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحر ولا أسود الا أن تفضله بالعلم ثم قال : اذا غضبت فان كنت قائماً فاقعد وان كنت قاعداً فاتكئ وان كنت متكئاً فاضطجع والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿خاتمة﴾ نسأل الله حسناتها ﴿في﴾ ذكر ﴿فضل كظم الغيظ والعفو﴾ والصنع والحلم والرحمة والحب في الله تعالى . قال تعالى : والكاملين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین . ولا تستوی الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وليعفوا وليصنعوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم . واخفض جناحك للمؤمنين . ولو كنت ظناً غليظ القلب لانقضوا من حولك . والآيات في ذلك كثيرة معلومة .

وأخرج الشيخان : ان الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ، يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ما خير رسول الله ﷺ من أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثماً كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط في شيء الا أن تنتهك حرمة الله عز وجل فينتقم الله عز وجل . وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يا رسول الله يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال : لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على بن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال : ان الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال : يا محمد ان الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربي اليك لتأمرني بما شئت فان شئت أظنبت عليهم الاخشين فقلت : بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا شريك به شيئاً قال ابن مسعود : كآني أنظر الى رسول الله ﷺ يحكي نيا من الأنبياء وقد ضرب قومه فادموه وهو يمسيح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون . ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب .

أخرج أبو داود وابن أبي الدنيا من كظم غيظا وهو يقدر على انتأذه ملا الله قلبه أمنا وإيمانا * وابن عساکر وحببت محبة الله على من أغضب فحلم * وابن السني ما أضيف

وأخرج مسلم: أن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة إن الله رقيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف. وما لا يعطى على ما سواه إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه يحرم الرفق يحرم الخير كله، أن الله عز وجل كذب الإنسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليح ذبيحته. ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط يده ولا امرأة ولا غادما إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله عز وجل فينتقم الله عز وجل. قال أبو هريرة قال رجل: يا رسول الله إن لي قرابة أصلمهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسبونني وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال له النبي ﷺ: لن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملأ أي الرماد الحار ولا يزال معك من الله عز وجل ظهير عليهم ما دمت على ذلك.

وأخرج البخاري: أن الخويصرة لما بال في المسجد قام الناس إليه ليقعوا فيه فقال صلى الله عليه وسلم: دعوه وأرقوه على بوله سجلا أي بفتح المهملة وسكون الجيم من ماء أو قال ذنوبا أي بفتح المعجمة وكلاهما الدلو المملئة ماء وإنما بعثتم مبسرين ولم تبعثوا معسرين. وأخرج أحمد والبخاري في الأدب وابن سعد وأبو يعلى والبعقوي وابن حبان عن الأشج وأسمه المتذر بن عامر: أن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة. وأخرج مسلم والترمذي عن ابن عباس ومسلم عن أبي سعيد وأحمد والطبراني وأبو دلود والبيهقي عن أم ابان عن جدما وأخرج الطبراني عن ابن عمر والترمذي وأبو نعيم عن جويرية أن فيه لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة. وأخرج الباوردى أشج: أن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله. وأخرج الطبراني فيك خصلتان يحبهما الله الأناة والتؤدة. وأخرج أبو نعيم: أن الرجل يدرك بالحلم درجة الهائم القائم وأنه ليكب جبارا ولا يملك الأهل بيته. وأخرج البيهقي: ليس من لم يعاشر بالمعروف من لابه له من معاشرته حتى يجعل الله له من ذلك مخرجا. وأخرج أحمد والطبراني: ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ كظلمها ابتغاء وجه الله. وأخرج ابن ماجه: ما من جرعة أعظم أجرا عند الله من جرعة غيظ كظلمها عبد ابتغاء وجه الله. وأخرج ابن أبي الدنيا ما جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ كظلمها عبد إلا ملا الله جوفه إيمانا.

و (أخرج أبو داود وابن أبي الدنيا) عن أبي هريرة بإسناد حسن (من كظم غيظا) أي كف عن امضائه قال الحفنى بأن لم يعمل بمقتضى غضبه من ضرب ونحوه (وهو يقدر على انتأذه ملا الله قلبه أمنا وإيمانا) قال المناوي: لأنه قهر النفس الأمارة بالسوء فاتبجلت ظلمة قلبه فأملأ يقينا وإيمانا. وأخرج أبو داود: من كظم غيظا وهو يقدر على انتأذه ملا الله قلبه أمنا وإيمانا ومن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا كسا الله حلة الكرامة ومن توج الله توجه الله تاج الملك. وأخرج أصحاب السنن الأربعة: من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفعه دعاء الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين يزوجها منها ما شاء. وأخرج ابن أبي الدنيا: من كف غيظه ستر الله عورته.

(و) (أخرج ابن عساکر) عن عائشة (وحببت محبة الله) تفضلا منه وأكراما إذا لا يحب عليه شيء (على من أغضب) بالبناء للمفعول (فحلم) أي قلم وأخذ على من أغضبه. قال المناوي وهذا في الغضب لغير الله. وأخرج ابن عدى أبي الرفعة عند الله تحلم عن جهل عليك وتعطى من حرمك (و) (أخرج ابن السني: ما أضيف) أي ما جمع كما في رواية الطبراني عن علي

شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم * وابن شاهين ما أعز الله بجمل قط وما أذل مجمل قط ولا نقصت صدقة شيئاً من مال قط *
والترمذي ألا أخبركم بمن يحرم عليه النار قلنا بلى يا رسول الله قال تحرم على كل قريب هين لين سهل * والخطيب الحلم سيد في الدنيا
وسيد في الآخرة كاد الحليم أن يكون نيا * وقال أنس كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية
فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة
جذبه ثم قال

«شيء إلى شيء أفضل من» إضافة «حلم إلى علم» وذلك لأن الحلم سعة الأخلاق وإذا كان هناك علم ولم يكن هنا حلم ساء خلقه
وتكبر بعلمه لأن للعلم جلاوة ولكل جلاوة شرة فإذا ضاقت أخلاقه لم ينفع بعلمه قالوا : وإذا من جوامع الكلم أفاده العزيزي «و» أخرج
«ابن شاهين» عن ابن مسعود «ما أعز الله بجمل قط وما أذل مجمل قط ولا نقصت صدقة شيئاً من مال قط» أي بل تزيد في الدنيا
بالبركة وودع المفسدات عنه وفي الآخرة بالأجر .

«و» أخرج «الترمذي» وحسنه والطبراني عن ابن مسعود وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله «ألا أخبركم بمن يحرم عليه النار»
أي دخول جهنم يوم القيامة «قلنا بلى» أخبرنا «ما رسول الله قال» «يحرم على كل قريب» إلى الناس «هين» مخففاً من الهوان بفتح
الهاء الساكنة والوقار «لين» مخفف لين بالتشديد من اللين ضد الخشونة . قال ابن الأعرابي العرب تمدح بالهين واللين مخففين وتذم بهما
مقلين «سهل» قال المناوي : يقضى حوائجهم وينقاد للشارع في أمره وفيه .

«و» أخرج «الخطيب» عن أنس بإسناد ضعيف «الحليم» أي الذي يضبط نفسه عند هيجان الغضب «سيد في الدنيا»
قال الحنفى : ما لم يترتب على الحلم فوات مروءة أو فوات دين والا فهو مذموم لأنه من وضع الشيء في غير محله «وسيد في الآخرة» لأنه
تعالى يأنى على من هذه صفة في عدة مواضع من كتابه قال الحسن : ما يحل الله عباده شيئاً أفضل من الحلم «كاد الحليم» أي قرب «أن
يكون نيا» . وأخرج الديلمي : غريبان كلمة حكمة من سفيه وكلمة سفيه من حليم فاغفروها فإنه لا حليم الا ذو عشرة ولا حكيم الا ذو
تجربة . وأخرج السكري : لا حليم الا ذواتة ولا عليم الا ذو عشرة ولا حكيم الا ذو تجربة .

* تنبيه * قال النووي : اثبات أن مع كاد جائز ولكنه قليل ولذلك لم تقع في القرآن لكن عدم وقوعه فيه لا يمنع من استعماله قياساً
* لطيفة * قال المناوي في شرحه : قد ألفز أبو العلاء المعري في لفظة كاد فقال :

أنجو هذا العصر ما هي لفظة * حرت في لسان جرهم وثمود

إذا ما نقت والله أعلم أثبت * وإن أثبت قامت مقام وجود

قال الشهاب الحجازي : فلم أر أحداً أجاب فقلت :

لقد كاد هذا اللغز يصدي فكرتي * وما كدت أشفى علي بورود

وهذا جواب يرتضيه ذو والنهى * وممتنع عن فهم كل بليد

«وقال أنس» بن مالك «كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني» منسوب إلى نجران موضع بين الحجاز واليمن
«غليظ الحاشية» فأدركه أعرابي فجذبه بردائه «عليه الصلاة والسلام» جذبة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم
«و» وفي رواية صفحة عنق رسول الله «وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذبه ثم قال» : الأعرابي

يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت وضحك ثم أمر له ببطء ﴿وَحَكِي﴾ اليافعي أن الشيخ أبا عثمان الحيري اجتاز بسكة وقت الهاجرة فالتقى عليه رماد من سطح فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم في الملقى فقال أبو عثمان لا تقولوا شيئا من استحق أن تصب عليه النار فصولح على الرماد لم يجز أن يغضب ﴿وَحَكِي﴾ أيضا أنه كان لبعض النساء شاة فراها على ثلاث قوائم قال من فعل هذا بها فقال غلام له أنا فقال لا تغمك بها فقال لا بل لأغن من أمرك بها اذهب فانت حر ﴿وَحَكِي﴾ أيضا أنه قيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الخلق فقال من قيس بن عاصم المنذري قيل وما بلغ لك من خلقه قال بينما هو جالس في داره إذ جاءت خادمة له بشواء فسقط من يدها على ابن له فمات فذهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله.

﴿وَحَكِي﴾ محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت وضحك ﴿أَيُّ تَبَسُّمٍ﴾ ﴿ثُمَّ أَمْرٌ لَهُ بِعَطَاءٍ﴾ رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَفِيهِ احْتِمَالُ الْجَاهِلِينَ وَالْأَعْرَاضِ عَنْ مَقَابِلَتِهِمْ وَدَفْعِ السَّبِّ بِالْحُسْنَةِ وَاعْطَاءِ مَنْ يَأْتِي قَلْبَهُ وَالْعَفْوُ عَنْ مَرْتَكِبِ كَبِيرَةٍ لَا حُدَّ فِيهَا بِجَهْلِهِ وَإِبَاحَةِ الضَّحْكَ عِنْدَ الْأُمُورِ الَّتِي تَعَجِبُ فِيهَا فِي الْعَادَةِ.

﴿وَحَكِي﴾ الإمام ﴿يَا فَعْيُ أَنْ الشَّيْخَ أَبَا عَثْمَانَ﴾ سعد بن اسماعيل ﴿الحيري﴾ المقيم بنيسابور صاحب شاة الكرمانى يحيى بن معاذ الرازي ثم ورد نيسابور مع شاة الكرمانى على أبي حفص الحداد وأقام عنده وتخرج به وزوجه أبو حفص ابنته ماتت سنة ثمان وتسعين ومائتين ﴿اجتاز﴾ أى مر يوما ﴿بسكة﴾ من سكك نيسابور ﴿وقت الهاجرة﴾ أى شدة الحر ﴿فالتقى﴾ أى طرح ﴿عليه﴾ رماد من سطح فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم في الملقى فقال أبو عثمان ﴿لِمَ﴾ ﴿لَا تَقُولُوا شَيْئًا مِنْ اسْتَحَقَّ أَنْ تَصُبَّ عَلَيْهِ النَّارَ فَصُورَ﴾ على الرماد لم يجز أن يغضب. ﴿هَذَا نَظَرُ الْعَارِفِينَ بِاللَّهِ حَيْثُ جَعَلَ صَبَّ الرَّمَادِ عَلَيْهِ مُصَالِحَةً عَنِ النَّارِ الَّتِي كَانَ يَسْتَحْتَمُ وَهَذَا أَيْضًا غَايَةٌ مِنْ سَعَةِ الْخَلْقِ.

﴿وَحَكِي﴾ اليافعي ﴿أَيْضًا﴾ أى كما حكى ما تقدم ﴿أَنَّهُ كَانَ لِبَعْضِ النَّسَاكِ﴾ جمع ناسك بمعنى عابد ﴿شَاةً فَرَأَاهَا عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ قَالَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟﴾ الذى رأى من قطع إحدى قوائم هذه الشاة ﴿بِهَا فَقَالَ غُلَامٌ لَهُ أَنَا﴾ فعلنا ذلك ﴿فَقَالَ النَّاسِكُ﴾ ﴿لِمَ﴾ أى لأي شيء فعلته؟ ﴿قَالَ لَا غَمَّكَ﴾ أى لأجل أن اغمك وأحزنك ﴿بِهَا فَقَالَ: لَا، بَلْ لَأَغْنِي مِنْ أَمْرِكَ بِهَا﴾ يعنى الشيطان ﴿اذهب فانت حر﴾ لوجه الله.

﴿وَحَكِي﴾ اليافعي ﴿أَيْضًا﴾ أى كما تقدم ﴿أَنَّهُ قِيلَ لِلْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ﴾ بن معاوية التميمي البصري وهو لقب له واسمه الضحاك وقيل ضحرو وكان مشهورا بالحلم مات سنة سبع وستين بالكوفة روى له الجماعة ﴿مَنْ تَعَلَّمَتِ الْخَلْقُ﴾ أى حسنه ﴿فَقَالَ﴾ تعلمت ﴿مَنْ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ﴾ بن سنان بن خالد ﴿المنذري﴾ المتقري التميمي الصحابي رضى الله عنه مشهورا بالحلم نزل البصرة ﴿قِيلَ وَمَا بَلَغَ لَكَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَ﴾ الأحنف ﴿بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دَارِهِ إِذْ جَاءَتْ خَادِمَةٌ لَهُ بِشَوَاءٍ﴾ بالمد فعال بمعنى مفعول يعنى سفوف عليه شواء ﴿فَسَقَطَ مِنْ يَدِهَا عَلَى ابْنٍ لَهُ فَمَاتَ﴾ الابن ﴿فَذَهَشَتِ الْجَارِيَةُ﴾ أى ذهب عقلها وتحيرت خوفا من سيدها ﴿فَقَالَ﴾ ابن عاصم ﴿لَا رُوعَ﴾ أى لا خوف ﴿عَلَيْكَ أَنْتَ حُرَّةٌ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ فكذا نقله الغزالي.

وأخرج الطبراني: من لا يرحم من في الأرض لا يرحم من في السماء أى عزه وسلطانه من لا يرحم لا يرحم ومن لا يفرغ لا يفرغ له ومن لا ييب عليه إنما يرحم الله من عباده الرحماء ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا وليس منا من غشا ولا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه البركة في كثيرنا فمن لم يرحم صغيرنا ويحلى كثيرنا فليس منا.

سأل الكريم أن يطهر قلوبنا من الذنوب الباطنة ويرزقنا الأخلاق الحسنة آمين .

﴿باب الغيبة﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن

وأخرج الدولابي وأبو نعيم وابن عساكر: خاب وخسر عبد لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر . وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم: الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء زاد الثلاثة المتأخرون: والرحم سجنة من الرحمن أي لفظها مشتق من اسمه الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله . وأخرج أحمد وأبو نعيم والبيهقي: أرحموا واغفروا ترحموا واغفروا يغفر لكم . وأخرج مسلم لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلا استره الله يوم القيامة . وأخرج ابن ماجه: من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في يته . وأخرج أحمد والطبراني والبيهقي وابن عدي: أشكر الناس لله أشكرهم للناس . وأخرج الترمذي خصلتان من كانتا فيه كبه الله شاكرا صابرا ومن لم تكونا فيه لم يكبه الله شاكرا ولا صابرا من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقدى به ونظر في دنياء إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه كبه الله شاكرا صابرا ومن نظر في دينه إلى من هو دونه ونظر دنياء إلى من هو فوقه فأسف على ما فاتته منه لم يكبه الله شاكرا ولا صابرا وأخرج أحمد والطبراني: انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم . وأخرج التيهي بعث بمدارة الناس رأس العقل المدارة وأهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة . وأخرج ابن حبان والطبراني والبيهقي: مداراة الناس صدقة . وأخرج الديلمي: أن الله امرني بمدارة الناس كما امرني بأقبة الفرائض . وأخرج ابن أبي الدنيا: رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس وأهل المعروف في الدنيا أهل التكبر في الآخرة وأهل التكبر في الدنيا أهل التكب في الآخرة . وأخرج أحمد: من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدّر على أن ينصره أذله الله على رؤس الأشهاد يوم القيامة . وأخرج مسلم: أن الله عز وجل يقول يوم القيامة: أين المحابون لجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي . وأخرج الترمذي وحسنه: المتحابون لجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النيون والشهداء . وأخرج مالك سننه صحيح قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبة للمخابن في المتجالسين في المتزاوئين في . وفي الحديث الصحيح: إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه . نسأل الله الكريم أن يطهر قلوبنا من الذنوب الباطنة و﴿أن يرزقنا الأخلاق الحسنة﴾ ونبعدنا عن الأخلاق السيئة ﴿آمين﴾ يا رب العالمين .

﴿باب ذم الغيبة﴾ بكسر الغين

﴿قال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويقدمهما إلى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي إلى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ شيئا لهما فلما قدما قال له: ما صنعت شيئا قال: لأغلبني عيناي فغمت قال له: انطلق إلى رسول الله ﷺ فاطلب لنا منته طعاما فجاء سلمان إلى رسول الله ﷺ وسأله طعاما فقال رسول الله ﷺ: انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له أن كان عنده فضل طعام وأدم فليعطك وكان أسامة خازن رسول الله ﷺ على رحله فأتاه فقال: ما عندي شيء فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالا: كان عند أسامة ولكن محل فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قال: لو بعثناه إلى برسميحة لثأر ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ

إن بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحى أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم *

صلى الله عليه وسلم فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما: مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا: والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال: ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسماء فأنزل الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعني أن يظن بأهل الخير سوءا نهى الله المؤمن من أن يظن بأخيه المؤمن شرا. وقيل هو أن يسمع من أخيه المسلم كلاما لا يريد به سوءا أو يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيراه أخوه المسلم فيظن شرا لأن بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا وفي نفس الأمر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا أو يكون الرائي مخطئا فأما أهل السوء والفسق والمجاهرون بذلك فلنا أن نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم فإن بعض الظن اثم.

قال سيفيان الثوري: الظن ظنان أحدهما اثم وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو أن يظن ولا يتكلم به وقيل الظن أنواع فمعه واجب ومأمور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب إليه وهو الظن الحسن بالأخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء بالأخ المسلم.

﴿ولا تجسسوا﴾ أي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن السور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ماستره الله منها. وأخرج الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إياكم والظن لأن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تباذروا وكروا عباد الله إخوانا كما أمركم المسلم إخوانا المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير إلى صدره بحسب امرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم. التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر ومنه الجاسوس والحاء هو الاستماع إلى حديث الغير وقيل معناهما واحد وهو طلب الأخبار. قوله ولا تنافسوا أي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من أسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمنى زوال النعمة عن صاحبها قوله ولا تباذروا أي لا يعطى كل واحد منكم دبره وفاقه فيعرض عنه ويهجره. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفيض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله. قال نافع: ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب. وعن زيد بن وهب قال: أتى ابن مسعود ف قيل له: هذا فلان تنظر لحية حراما فقال عبد الله: أنا قد نهينا عن التجسس ولكن أن يظهر علينا شيء نأخذ به أخرجه أبو داود وله عن عقبة بن عامر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا مؤودة.

﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ أي ولا يذكر بعضكم بعضا في غيبته ﴿أيحى أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات منها الاستهزام المقرر واسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق الحجة بما هو في كراهة وتمثيل الاغتيال بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله ﴿فكرهتموه﴾ تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى إن صح ذلك أعرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يملككم انكار كراهته واتصاب ميتا على الحال من اللحم أو الأخ ﴿واتقوا الله﴾ أي في أمر الغيبة واجتناب نواهيها ﴿إن الله تواب﴾ أي متجاوز لمن تاب من الغيبة ﴿رحيم﴾ في قبول التوبة.

أخرج البيهقي والطبراني وأبو الشيخ وابن أبي الدنيا عن جابر وأبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا قيل له كيف قال إن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه * وأبو يعلى أتدرون أربى الربا عند الله قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم ثم قرأ رسول الله عليه وسلم والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً * ومسلم وأبو داود أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه

﴿أخرج البيهقي والطبراني وأبو الشيخ﴾ الأصماني ﴿وابن أبي الدنيا عن جابر﴾ بن عبد الله ﴿وأبي سعيد﴾ الخذري باسناد ضعيف ﴿قالا﴾ قال رسول الله ﷺ: إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا ﴿أى من أثم في بعض الوجوه﴾ قيل له كيف؟ قال: ﴿ان الرجل قد يزني ويتوب﴾ فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه. ﴿وقد لا يغفر له وقد يموت فيعذر استجلاله وفيه دليل على أنه لا يغفر له إلا بعد اعلامه واستجلاله﴾ فان تعذر أو تعسر استغفر لصاحبها. قال الحنفى: نقلا عن شيخه واستحلال الميت أن يقول: اللهم اغفر له وله فرما يحصل الاستحلال لذلك. وأخرج الشيخان عن أبي بكر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في خطبته في حجة الوداع: إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. وأخرج مسلم: كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله. وأخرج البزار بسند قوى من أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه وهو قتي بعض نسخ أبي داود أنه قال: إن من الكبائر استطالة الرجل في عرض رجل مسلم بغير حق الحديث. وأخرج ابن أبي الدنيا: الربا سبعون حوبا أى بضم المهملة إثما وأسرها ككباح الرجل أمه وأربى الربا عرض الرجل المسلم.

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو يعلى﴾ بسند صحيح ﴿أتدرون﴾ أى تعلمون ﴿أربى الربا عند الله قالوا﴾ أى الصحابة رضوان الله عليهم ﴿الله ورسوله أعلم قال﴾ ﷺ ﴿فان أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم﴾ بأن يتناول منه أكثر مما يستحقه على ما قيل له وأكثر مما رخص له فيه ولذلك مثله بالربا وعده من عداة ثم فضله على جميع أفرادها لأنه أكثر مضرة وأشد فسادا فان العرض شرعا وعقلا أعز على النفس من المال وأعظم منه خطرا ولذلك أوجب الشارع بالمجاهرة بهتك الأرض ما لم يوجب بنهب الأموال أفاده الزيدى ﴿ثم قرأ رسول الله عليه سلم﴾ قوله تعالى ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ أى من غير أن عملوا ما أوجب إذا هم وقيل يقعون فيهم ويرومهم بغير جرم ﴿فقد احتملوا﴾ أى تحملوا ﴿بهتاناً﴾ أى كذبا عظيما ﴿وإثماً مبيناً﴾ أى ظاهرا. وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال: إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم من عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زينة يزنيها الرجل وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم. وأخرج الطبراني: الربا اثنتان وسبعون بابا أدناها مثل إتيان الرجل أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه. وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي: إن الربا نيف وسبعون بابا أهولهن بابا من الربا مثل من أتى أمه في الإسلام ودرهم ربا أشد من خمس وثلاثين زينة وأشد الربا وأربى الربا وأخبت الربا انتهاك عرض المسلم وانتهاك حرمة.

﴿و﴾ أخرج ﴿مسلم وأبو داود﴾ وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة ﴿أتدرون﴾ أى هل تدرون كما في رواية ﴿ما الغيبة؟ قالوا﴾ الله ورسوله أعلم قال: ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ ﴿ذكرك أخاك﴾ أى في الإسلام ولومن غير نسب ﴿بما يكره﴾ لو بلغه ﴿قيل﴾ يا رسول الله ﴿أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟﴾ أى وجد فيه ﴿قال﴾ إن كان فيه ﴿أى في أخيك

ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته * وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت للنبي ﷺ حسبك من صفة كذا وكذا تعنى قصرها قال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أي لانتبه وغيث ريحه * وابن أبي الدنيا عن سمية قالت قلت لامرأة مرة وأنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذه لطويلة الذيل فقال القطي القطي أي ارمي ما في فيك فلفظت مضغعة أي قطعة من لحم *

﴿ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه﴾ ما تقول ﴿فقد بهته﴾ قال ابن أبي الدنيا حدثنا يحيى بن أيوب حدثنا أسماعيل بن جعفر أخبرني العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: هل تدرون فساق كسياق المصنف ورواه أبو داود مختصراً فقال: الغيبة أن تذكر أخاك بما يكره. وأخرج عبد الله بن حميد والحرانطي في مساوي الأخلاق عن المطلب بن حنطب قال: قال رسول الله ﷺ: إن الغيبة أن تذكر المرء بما فيه فقل إنما كنا نرى أن تذكره بما ليس فيه قال: ذلك البهتان وأخرج ابن المنذر عن الضحاك قال: الغيبة أن تذكر أخاك بما يشينه وتعنيه بما فيه فإن أثبت كذبت عليه فذلك البهتان. وأخرج عبد بن حميد عن عون بن عبد الله قال: إذا قلت للرجل ما فيه فقد اغتبته وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهته. وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سألت عن الغيبة فأخبرتها أنها أصبحت يوم الجمعة وغدا رسول الله ﷺ إلى الصلاة وأنها جارتان لها من نساء فاعتابتا وضحكتا برجال ونساء فلم تترجا على حديثهما من الغيبة حتى أقبل النبي ﷺ منصرفاً من الصلاة فلما سمعنا صوته سكنا فلما قام بباب البيت القى طرف رده على أنه ثم قال: إن أخرجنا فاستقيا ثم تطهرا بالماء فخرجت أم سلمة فقأت لحماً كثيراً قد أصل فلما رأت كثرة اللحم تذكرت أحدث لحم أكلته فوجدته في أولي جمعتين مبتنا فساها ما قأت فأخبرته فقال: ذاك لحمه طلبت تأكلينه فلا تعودى أنت ولا صاحبك فيما تكلمتا فيه من الغيبة وأخبرتها صاحبها أنها قأت مثل الذي قأت من اللحم. وسئل ابن عمر عن الغيبة فقال أن تقول بما فيه والبهتان أن تقول بما ليس فيه أخرجه ابن أبي الدنيا وقال ابن مسعود: الغيبة أن تذكر من أخيك ما تعلم فيه وإذا قلت ما ليس فيه فذلك البهتان أخرجه ابن أبي الدنيا وقال هشام بن حسان: الغيبة أن تقول للرجل ما هو فيه بما يكره.

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود﴾ والترمذي وقال حديث حسن صحيح والبيهقي ﴿عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ حسبك من صفة كذا وكذا﴾ قال بعض الرواة ﴿تعنى﴾ أي تريد عائشة ﴿قصرها﴾ أي صفة ﴿قال﴾ ﷺ ﴿لقد قلت﴾ يا عائشة ﴿كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته﴾ أي لانتبه وغيث ريحه ﴿قالت: وحكيت له إنساناً فقال: ما أحب أني حكيت إنساناً وإن لي كذا وكذا﴾. وأخرج أبو داود عن سمية عن عائشة رضي الله عنها أنه أعل بعير لصفية بنت حيى وعند زينب فضل ظهر فقال رسول الله ﷺ لزيب: اعطياها بعيراً فقالت: أنا أعطى تلك اليهودية فغضب رسول الله ﷺ فحجرها ذال الحجة والحرم وبعض صفر.

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن أبي الدنيا﴾ عن سمية قالت: قلت لامرأة حرة وأنا عند رسول الله ﷺ: إن هذه لطويلة الذيل ﴿أي طرف ثوبها الذي يلي الأرض﴾ فقال: القطي القطي أي ارمي ما في فيك ﴿أي فمك﴾ فلفظت مضغعة ﴿وفى رواية بضغعة﴾ أي قطعة من لحم وأخرج أبو داود والطحايسى وابن أبي الدنيا والبيهقي عن أنس ﷺ قال: أمر النبي ﷺ الناس بصوم يوم وقال: لا يظفر أحد منكم حتى اذن له فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يحىء فيقول: يا رسول الله انى ظلت صائماً فاذن لي فافطر فيأذن له ويحىء الرجل فيقول ذلك فيأذن له حتى جاء رجل فقال: يا رسول الله فأتان من أهلك ظلتا صائمتين وإنهما يستحيان أن يأتياك فاذن لهما فلتطرا فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه فقال: إنهما لم يصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحم الناس أذهب فبرهما إن كانتا صائمتين فلتبأ فرجع إليهما فأخبرهما فاستمأتا فقأت واحدة علقه من دم فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال والذي نفسي بيده ولو بقيتا في

وأبو الشيخ من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه يوم القيامة فيقال له كلكم ميتا كما أكلته حيا فياكله ويكلمه ويضج *

بطونها لاكلتهما النار ورواه أحمد وابن أبي الدنيا والبيهقي أيضا من رواية رجل لم يسم عن عبيد مولى رسول الله ﷺ بنحوه إلا أن أحمد قال فقال لأحدهما قبيء فقامت قيحا ودما وصديدا ولحما حتى ملأت نصف القدح ثم قال : للأخرى قبيء فقامت من قيح ودم وصديد ولحم عيط وغيره حتى ملأت القدح ثم قال : ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احدهما الى الأخرى فجعلتا تأكلان من لحوم الناس .

وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كما عند النبي ﷺ فقام رجل فقالوا : يا رسول الله ما أعجز أو قالوا : ما أضيف فلانا فقال ﷺ اغتسم صاحبكم وأكلتم لحمة . وأخرج الطبراني : ان رجلا قام من عند النبي ﷺ فرأوا في قيامه عجزا فقالوا : ما أعجز فلانا فقال ﷺ : أكلتم أخاكم واعتسموه . وأخرج الاصبهاني بسند حسن : ذكروا عند النبي ﷺ رجلا فقالوا : لا يأكل حتى يطعم ولا يرحل حتى يرحل له فقال ﷺ : اعتسموه قالوا : يا رسول الله انما حدثنا بما فيه قال : حسبك اذا ذكرت أخاك بما فيه . وأخرج ابن أبي شيبة والطبراني واللفظ له ورواته رواة الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كما عند النبي ﷺ فقام رجل فوقع فيه رجل من بعده فقال ﷺ : تخل فقال : ومم أتخل ما أكلت لحما قال : انك أكلت لحم أخيك . وأخرج ابن أبي الدنيا والطبراني بإسناد لين وأبو نعيم : أربعة يؤذون أهل الطلوع على ما بهم من الأذى يسعون ما بين الحميم والحميم يدعون بالويل والشبور يقول بعض أهل النار لبعض : ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى قال : فخرج مفلوق عليه تابوت من جمر ورجل يجر أمعاء ورجل يسيل فوه قيحا ودما ورجل يأكل لحمة فقال لصاحب التابوت : ما بال لا بعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول : ان لا بعد كان يبالي أين أصاب البول منه ثم يقال للذي يسيل فوه قيحا ودما ما بال لا بعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول : ان لا بعد كان ينظر الى كلمة فيستلذها كما يستلذ الرفث ثم يقال للذي يأكل لحمة ما بال لا بعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول ان لا بعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة .

﴿و﴾ أخرج أبو يعلى والطبراني و﴿أبو الشيخ﴾ الاصبهاني ﴿من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه يوم القيامة فيقال له كلكم﴾ أي كل لحم أخيك ﴿ميتا كما أكلته﴾ في الدنيا ﴿حيا فياكله ويكلمه﴾ أي يعبس ويقبض وجهه من الكراهة ﴿ويضج﴾ بالمعجمة وفي رواية ويصيح وهما متقاربان والأولى أبلغ لاشعارها بزيادة الفزع والقلق . وأخرج أبو الشيخ وغيره عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما موقوفا عليه أنه مر على بقل ميت فقال لبعض أصحابه لأن يأكل الرجل من هذا حتى يملأ بطنه خير له من أن يأكل لحم رجل مسلم . وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء الأسلمي الى رسول الله ﷺ يشهد على نفسه بالزنا أربع شهادات يقول : أتيت امرأة حراما وفي كل ذلك يعرض عنه رسول الله ﷺ فذكر الحديث الى أن قال : فما تريد بهذا القول ؟ قال اريد أن تظهرني فأمربه رسول الله ﷺ أن يرحم فيرحم فسمع رسول الله ﷺ رجلين من الأنصار يقول احدهما لصاحبه : انظروا الى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى يرحم رجم الكلب قال : فسبكت رسول الله ﷺ عنهما ثم سار ساعة فمر بحيفة حمار شائل برجليه فقال أين فلان وفلان فقالا : نحن يا رسول الله فقال لهما : كلا من جيفة هذا الحمار فقالا : يا رسول الله غفر الله لك من يأكل من هذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : ما نلتما من عرض هذا الرجل أنما أشد من هذه الجيفة فوالذي نفسي بيده انه الآن في أنهار الجنة ينغمس فيها .

وابن أبي الدنيا من اغتیب عنده أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أذله الله في الدنيا والآخرة * وأحمد عن جابر بن عبد الله قال كما مع النبي ﷺ فارفعت ریح مننة فقال ﷺ أترون ما هذه الریح هذه ریح الذين یفتابون المؤمنین * وهو عن ابن عباس قال ليلة أسرى بنی الله ﷺ نظر فی النار فإذا قوم یأكلون الجیف قال من هؤلاء یا جبریل قال هؤلاء الذين یأكلون لحوم الناس * وقال الحسن والله للغبیة أسرع فسادا فی دین المؤمن من الأكلة فی الجسد * قال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عیوب صاحبك فاذكر عیوبك وقيل یؤتی العبد يوم القيامة كتابه ولا یرى فیة حسنة فیقول ابن صلاتی وصیامی وطاعنی فیقال ذهب عملك كله باغیابك الناس * وقيل للحسن البصري أن فلانا اغتابك فبعث إليه طبق حلوی وقال بلغنی أنك أهدیت إلى حسنائك فكافأتك

﴿وخرج﴾ ابن أبي الدنيا ﴿فی كتاب ذم الغيبة عن أنس وضعفه المنذری﴾ من اغتیب عنده أخوه المسلم فلم ينصره ﴿ونصره منع الغتاب من ذلك فان لم یستطع فلیقم من مجلسه فمضى علم الشیخ ان هذا المجلس فیة غیبه ولم یقدر على تغییرها ووجب علیه مفارقتها ولا یكفیه عدم سماعه لها لانه مجلس منكر فوجب مفارقتها﴾ وهو یستطیع نصره أذله الله فی الدنيا والآخرة ﴿بسبب تركه نصر أخیه أى زجره من اغتابه ومنعه من غیبه بنحو قوله هذا حرام عليك اتق الله﴾ وأخرج أبو داود : ولما عرج بنی مررت بقوم لهم أظفار من نحاس یمشون وجوههم وصدورهم فقلت : من هؤلاء یا جبریل ؟ قال هؤلاء الذين یأكلون لحوم الناس ویقعون فی اعراضهم . وأخرج الیهقی موصولا ومرسلا : لما عرج بنی مررت برجال تقرض جلودهم بمقاریض من نار فقلت : من هؤلاء یا جبریل ؟ قال : الذين یترنون للزينة قال : ثم مررت یحب منن الریح فسمعت فیة أصواتا شديدة فقلت : من هؤلاء یا جبریل ؟ قال : نساء كن یتزین للزينة ویفعلن ما لا یجیل لهن ثم مررت على نساء ورجال معلقین بشیء فقلت : من هؤلاء یا جبریل ؟ فقال : هؤلاء الهمازون والمازون وذلك قوله عز وجل : ویل لكل همزة لمزة .

﴿وخرج﴾ أحمد ﴿بسند صحیح﴾ عن جابر بن عبد الله ﷺ ﴿قال : كما مع النبی ﷺ فارفعت ریح مننة فقال ﷺ أترون﴾ وفى رواية أن تدرون ﴿ما هذه الریح ؟ هذه ریح الذين یفتابون المؤمنین . وهو﴾ أى وأخرج أحمد بسند صحیح الاختلفا فی وثقة کثیرون ﴿عن ابن عباس﴾ رضى الله عنهما ﴿قال : ليلة أسرى بنی الله ﷺ نظر فی النار فإذا قوم یأكلون الجیف قال﴾ : ﴿علیه الصلاة والسلام﴾ ﴿من هؤلاء یا جبریل﴾ : قال : هؤلاء الذين یأكلون لحوم الناس ﴿ورأى رجلا أحمر أزرق جدا قال : من هذا یا جبریل ؟ قال هذا عاقر الناقة .

﴿وقال الحسن﴾ البصری رحمه الله تعالى ﴿والله للغبیة أسرع فسادا فی دین المؤمن من الأكلة فی الجسد﴾ رواه ابن أبی الدیاع عن محمد بن أبی خاتم الأزدری . حدثنا داود بن المخبر حدثنا الربیع بن صییح قال سمعت الحسن یقول : والله للغبیة فذکره ﴿قال ابن عباس﴾ رضى الله عنهما ﴿إذا أردت أن تذكر عیوب صاحبك فاذكر عیوبك﴾ رواه ابن أبی الدیة عن أحمد بن جمیل أنبأنا عبد الله بن المبارك عن اسرائیل عن أبی یحی عن مجاهد عن ابن عباس قال : إذا أردت فذکره ﴿وقيل یؤتی العبد يوم القيامة كتابه﴾ أى كتاب عمله ﴿ولا یرى فیة حسنة فیقول﴾ : ابن صلاتی وصیامی وطاعنی فیقال ذهب عملك كله باغیابك الناس ﴿هكذا نقله القشیری فی الرسالة وأخرجه الاصبهانی بلفظ﴾ ان الرجل لیؤتی كتابه منشورا فیقول : یارب فاین حسنات کذا وكذا عملتها لیست فی صحیفتى فیقول له : محبت باغیابك الناس ﴿وقيل للحسن البصری﴾ رحمه الله تعالى ﴿ان فلانا اغتابك فبعث إليه﴾ الحسن ﴿طبق حلوی﴾ وفى رواية رطباً على طبق ﴿وقال بلغنی أنك أهدیت إلى حسنائك فكافأتك﴾ نقله القشیری فی الرسالة وفى رواية فأردت أن أكافئك علیها

﴿وحكى﴾ القشيري عن أبي جعفر البلخي قال إنه كان عندنا شاب من أهل بلخ وكان يجتهد ويتعبد إلا أنه كان يغتاب الناس ويقول فلان كذا وكذا قرأته يوما عند المخنثين الغاسلين فخرج من عندهم فقلت يا فلان ما حالك فقال تلك الواقعة في الناس أو قعنى إلى هذا ابتليت بمخنث من هؤلاء وأنا هوذا أخذهم من أجله وتلك الأحوال كلها قد ذهبت عني فادع الله لي لعل الله يرحمي ﴿وحكى﴾ اليافعي عن الجنيد أنه قال كنت جالسا في مسجد الشونيزية أنظر جنازة أصلى عليها فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت في نفسي لو عمل هذا عملا يصون به نفسه عن المسألة كان أجمل به فلما انصرفت إلى منزلي وكان لي شيء من الأوراد بالليل من البكاء والصلاة وغير ذلك فتقل على جميع أورادي فسهوت وأنا قاعد فغلبنى النوم فرأيت ذلك الفقير حتى جيء به على خوان كالشاة المشوية فقيل لي كل لحمه فقد اغتبه وكشف لي الحال فقلت ما اغتبه وإنما قلت في نفسي شيئا فقيل لي ما أنت ممن يرضى منك مثل هذا فاذهب واستحل منه فلما أصبحت لم أزل في طلبه حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء عند تردد الماء أوراقي من البقل مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فرد علي وقال تعود يا أبا القاسم قلت لا قال اذهب غفر الله لنا ولك

فاعذرني فاني لا أقدر أن أكافك على التيام هكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية . وقال بعضهم لو كنت أغتاب أحدا لا اغتبت أمة .
 ﴿وحكى﴾ القشيري عن الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي طاهر أسفرانين ﴿عن أبي جعفر البلخي﴾ نسبة إلى البلخ قابعة خراسان ويقال هي في وسط الأقليم ﴿قال انه كان عندنا شاب من أهل بلخ وكان يجتهد ويتعبد إلا انه كان أبدا﴾ يغتاب الناس ويقول: فلان كذا و﴿فلان كذا قرأته يوما عند المخنثين الغاسلين فخرج من عندهم فقلت: يا فلان ما حالك؟﴾ وما سببك أنك قد وقعت في هذا المكان ﴿فقال﴾ الشاب ﴿تلك الواقعة﴾ والغيبة ﴿في الناس أو قعنى إلى هذا﴾ الذي رأيت مني ﴿ابتليت بمخنث من هؤلاء﴾ المخنثين ﴿وأنا هوذا أخذهم من أجله﴾ أي ذلك المخنث ﴿وتلك الأحوال﴾ من الاجتهاد في العبادة وغيره ﴿كلها قد ذهبت عني فادع الله لي لعل الله يرحمي وحكى﴾ الإمام ﴿اليافعي﴾ في روضه ﴿عن﴾ أبي القاسم ﴿الجنيد﴾ قدس الله سره ﴿انه قال﴾: كنت جالسا في مسجد الشونيزية أنظر جنازة أصلى عليها ﴿وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة﴾ فرأيت فقيرا عليه أثر النسك ﴿أي العبادة﴾ يسأل الناس فقلت في نفسي: لو عمل هذا الفقير ﴿عملا يصون به نفسه عن المسئلة﴾ أي سؤال الناس ﴿كان أجمل﴾ وأحسن ﴿به فلما انصرفت إلى منزلي وكان لي شيء من الأوراد بالليل من البكاء والصلاة وغير ذلك فتقل على جميع الأوراد فسهوت﴾ أي فلم أتم قال الفيومي: السهر عدم النوم في الليل كله أو بعضه يقال سهوت الليل كله أو بعضه إذا لم ينم فيه ﴿وأنا قاعد فغلبنى النوم فرأيت ذلك الفقير حتى جيء به على خوان ممدود والخوان ما يؤكل عليه وفيه ثلاث لغات كسر الحاء وهي الأكثر وضعا حكاها ابن السكيت واخوان بهمزة مكسورة حكاها ابن فارس وجمع الأولى في الكثرة خؤن والأصل بضمين مثل كتاب وكب لكن بساكن تخفيفا وفي القلة أخوة وجمع الثالثة اخاون ويجوز في المضموم في القلة أخوة أيضا كغراب وأخربة ﴿كالشاة المشوية فقيل لي كل لحمه﴾ أي هذا الفقير ﴿فقد اغتبه وكشف لي الحال فقلت: ما اغتبه وإنما قلت في نفسي شيئا﴾ وهو قوله في نفسه لو عمل هذا إلى آخره ﴿فقيل لي ما أنت ممن يرضى﴾ بالبناء للمفعول ﴿منك مثل هذا﴾ القول ﴿فاذهب واستحل منه﴾ أي من الفقير المغتاب ﴿فلما أصبحت﴾ أي دخلت في الصباح ﴿لم أزل﴾ أتردد ﴿في طلبه حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء عند تردد الماء أوراقي من البقل مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فرد علي﴾ السلام ﴿وقال﴾ لي هل ﴿تعود﴾ إلى غيبتى ﴿يا أبا القاسم؟﴾ قلت: لا، ﴿أعوذ إلى ذلك بل استحل منك ما صدر مني مما ذكر﴾ قال: اذهب غفر الله لنا ولك. ﴿رضى الله عنهم وتعتنا بهم آمين﴾

﴿نتبيه﴾ إن الغيبة حرام إجماعاً بل قال كثيرون إنها كبيرة وقد نقل القرطبي المفسر وغيره الإجماع على أنها من الكبائر لما فيها من الوعيد الشديد لكن حمله بعضهم على غيبة أهل العلم وحمله القرآن وكذا استماعها والسكوت عليها مع القدرة على دفعها ﴿واعلم﴾ وأورده القشيري قال: سمعت حمزة بن يوسف السهمي يقول: سمعت أبا طاهر محمد بن أسيد الدقي يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: قال الجنيد كنت جالسا فذكره بنحوه.

﴿* نتبيه *﴾ ﴿إن الغيبة حرام إجماعاً بل قال كثيرون إنها كبيرة﴾ ويوافقه كلام جماعة من الأصحاب ﴿وقد نقل القرطبي المفسر وغيره الإجماع على أنها من الكبائر لما فيها من الوعيد الشديد﴾ قال ابن حجر ولم أر من صرح بأنها من الصغائر غير الغزالي وصاحب العدة ﴿لكن حمله بعضهم على غيبة أهل العلم وحمله القرآن وكذا استماعها والسكوت عليها﴾ رضا بها ﴿مع القدرة على دفعها واعلم﴾ أن الأصل في الغيبة الحرمة وقد تجب أو تباح لغرض صحيح شرعي لا يتوصل إليه إلا بها .
وتنحصر في ستة أبواب الأول المتظلم فلن ظلم أن يشكولن يظن أن له قدرة على إزالة ظلمه أو تخفيفه . الثاني الاستعانة على تغيير المنكر بذكره لمن يظن قدرته على إزالته بنحو فلان يعمل كذا فإزجره عنه بقصد التوصل إلى إزالة المنكر وإلا كان غيبة محرمة مالم يكن الفاعل مجاهراً لما يأتي . والثالث الاستفتاء بأن يقول: لفت ظلمي بكذا فلان فهل يجوز له وما طرقت في خلاصتي منه أو تحصيل حقي أو نحو ذلك والأفضل أن يهيمه فيقول: ما تقول في شخص أو زوج كان من أمره كذا للحصول الغرض به وإنما جاز الصريح باسمه مع ذلك لأن المفتي قد يدرك من تعيينه معنى لا يدركه مع ابهامه فكان في التعيين نوع مصلحة ولما يأتي في خبر هند زوج أبي سفيان رضي الله عنهما . الرابع تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم كجرح الرواة والشهود والمصنفين والمتصدين لاقاء أو اقراء مع عدم أهلية أو مع نحو فسق أو بدعة وهم دعاة إليها ولو سرا فيجوز إجماعاً بل يجب وكان يشير وإن يستشير على مرير تزويج أو مخالطة لغيره في أمر ديني أو دنيوي وقد علم في ذلك الغير قبيحا منفرا كفسق أو بدعة أو طمع أو غير ذلك كفتور في الزوج لما يأتي في معاوية رضي الله عنه بترك تزويجه أو مخالطته ثم إن اكتفى بنحو لا يصلح لك لم يزد عليه وإن توقف على ذكر غيب ذكره ولا تجوز الزيادة عليه أو عين اقتصر عليهما وهكذا الآن ذلك كإباحة الميتة للمضطر فلا يجوز تناول شيء منها إلا بقدر الضرورة نعم الشرط أن يقصد بذلك بذل النصيحة لوجه الله تعالى دون حظ الآخر وكثيرا ما يفعل الإنسان عن ذلك فيلبس عليه الشيطان ويحمله على التكلم به حينئذ لانصحا ويزن له أنه نصح وخبر ومن هذا أن يعلم من ذي ولاية قادحا فيها كفسق أو تغفل فيجب ذكره ذلك لمن له قدرة على عزله وتولية غيره أو على نصحه وحثه على الاستقامة . والخامس أن يتجاهر بنفسه أو بدعته كالمكاسين وشرية الخمر ظاهرا وذوى الولايات الباطلة فيجوز ذكرهم بما تجاهر به دون غيره فيحرم ذكرهم بغير آخر الآن يكون له سبب آخر مما مر قال الأذرع في أذكار النووي: بما يباح من الغيبة أن يكون مجاهرا بنفسه أو بدعته كالتجبر بشرب الخمر ومضادة الناس وأخذ المكس وجناية الأموال ظلما فيجوز ذكره بما تجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب انتهى . وهو متابع في ذلك للغزالي وفي الجواز لا لغرض شرعي نظرا . السادس التعريف بنحو لقب كالأعور والاعمش والأصم والأقرع فيجوز وإن أمكن تعريفه به على جهة التعريف لا التقيص والأولى بغيره أن سهل .

وأكثر هذه الأسباب الستة مجمع عليه ويدل لها من السنة أحاديث صحيحة مشهورة كالذي استأذن عليه ﷺ فقال: اتذنوا له بشئ آخر العشرة متفق عليه . احتج به البخاري في جواز غيبة أهل الفساد وأهل الرب وروى البخاري خبر ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا . قال الليث: كانا منافقين مما مخرمة بن نوفل بن عبد مناف القرشي وعيينة بن حصن الفزاري قالت فاطمة بنت

أن حد الغيبة المحرمة أن تذكر ولو بنحو إشارة وكناية حتى بالقلب غيرك الغائب المحصور المعين للسامع حيا كان أو ميتا بما يكره عرفا أن يذكر به ممن هو فيه بحضرته أو غيبته

فيسر رضي الله عنها: أثبت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله إن أبا جهم ومعاوية خطباني فقال رسول الله ﷺ: أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه متفق عليه. وفي رواية لمسلم: وأما أبو جهم فضراب للنساء وبه يرد تفسير الأول بأنه كناية من كثرة أسفاره ولما قال عبد الله بن المنافق اللعين في سفر أصاب الناس فيه شدة لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا. وقال ابن رجبنا إلى المدينة ليخرجنا الأعز منها الأذل. أتى زيد بن أرقم رضي الله عنه رسول الله ﷺ وأخبره بذلك فأرسل إلى ابن أبي فاجتهد في اليمين أنه ما فعل فقالوا: كذب زيد رسول الله ﷺ فاشتد عليه حتى أنزل الله تعالى تصديقه في سورة المنافقين ثم دعاهم ﷺ ليستغفروا لهم فلووا رؤسهم متفق عليه. وقالت هند امرأة أبي سفيان رضي الله عنهما للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم قال: خذي ما يكفيك وولديك بالمعروف متفق عليه.

وعلم من خبر مسلم السابق مع ما صرح به الأئمة ﷺ أن حد الغيبة المحرمة أن تذكر ولو بنحو إشارة وكناية حتى بالقلب غيرك الغائب المحصور ﷻ سواء كان مسلما أو ذميا ﷻ المعين للسامع حيا كان أو ميتا بما يكره عرفا أن يذكر به ممن هو فيه بحضرته أو غيبته ﷻ والتعير بالأنف في ذلك الخبر كآية للعطف والتذكير بالسبب الباعث على أن الترك متأكد في حق المسلم أكثر لأنه أشرف وأعظم حرمة وسواء في ذلك بما يكرهه في بدنه كاحول أو قصير أو أسود أو ضدها أو في نسبه كابوه هندی أو أسكاف أو نحوهما بما يكرهه كيف كان أو في خلقه كسبي الخلق عاجز ضعيف أو فعله الديني ككذاب أو متهاون بالصلاة أو لا يحسنها أو عاق لوالديه أو لا يعطي الزكاة أو لا يؤدبها لمستحقها أو الدينوي كليل الأدب أو لا يرى لأخذ حقا على نفسه أو كثير الأكل أو النوم أو ثوبه كطويل الذيل قصيره أو وسخه أو داره كقليلة المرافق أو دابته كجموح أو ولده كليل التربية أو زوجته ككثيرة الخروج أو عجوز أو تحكم عليه أو قليلة النظافة أو خادمه كآبق أو غير ذلك من كل ما يعلم أنه يكرهه لو بلغه.

وقال قوم لا غيبة في الدين لأنه ذم من ذمه الله تعالى ولأنه ﷺ ذكر له كثيرة عبادة امرأة وأنها تؤذي جيرانها فقال: هي في النار وعن امرأة أنها بخيلة فقال: فما خيرها. قال الإمام أبو حنيفة الغزالي في الأحياء: وهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى معرفة الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص ولا يحتاج إلى ذلك في غير محله ﷺ والدليل عليه إجماع الأمة أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو معتاب لأنه داخل فيما ذكره ﷺ في حد الغيبة ومرفى الأحاديث أنه ﷺ قال لمن قال عن امرأة أنها قصيرة وعن رجل ما أعجزه إن ذلك غيبة. قال الحسن: وذكر الغير غيبة أو بهتان أو افك وكل ذلك في كتاب الله تعالى فالغيبة أن تقول ما فيه والبهتان ما ليس فيه والافك أن تقول ما بلغك وما تقر من أنه لا فرق في الغيبة بين أن تكون في غيبة المغتاب أو بحضرته هو المعتمد.

وفي الخادم ومن المتهم ضابط الغيبة هل هي ذكر المساوي في الغيبة ما يقتضيه اسمها أو لا فرق بين الغيبة والحضور وقد دار هذا السؤال بين جماعة ثم رأيت ابن فورك ذكر في مشكل القرآن في تفسير الحجرات ضابطا حسنا فقال: الغيبة ذكر الغير بظهر الغيب وكذا قال سليم الرازي في تفسير الغيبة أن تذكر الإنسان من خلفه وإن كان فيه انتهى. وفي الحكم لا تكون إلا من ورائه ووجدت بخط الإمام تقي الدين بن دقيق العيد أنه روى بسنده إلى النبي ﷺ قال: ما كرهت أن يواجه به أخاك فهو غيبة وخصصها القفال في فتاويه بالصفات التي لا تدم شرعا بخلاف نحو الزنا فيجوز ذكره لقوله ﷺ اذكروا الفاسق بما فيه يحذره الناس غير أن المستحق السر حيث لا غرض ولا

كجرحه أو أخبار مخالطه فيلزم بيانه انتهى . وما ذكره من الحواز في الأولى لا لغرض شرعي ضعيف لا يوافق عليه والحديث المذكور ضعيف . وقال أحمد منكر وقال البيهقي : ليس بشيء فان صح حمل على فاجر معن بفجوره وبأتى بشهادة أو يعتمد عليه فيحتاج الى بيان حاله الى أن يقع الاعتماد عليه انتهى . وهذا الذي حمله البيهقي عليه متعين ونقل عن شيخه الحاكم انه غير صحيح وأورده بلفظ : ليس للفاسق غيبة ويقضى عليه عموم خبر مسلم الذي فيه حد الغيبة بانها ذكر كأكأاك بما يكرهه وقد اجتمعت الأمة على أنها ذكره بما يكره وبه جاء الحديث وهذا كله يرد ما قاله القفال وبما يبيح الغيبة أن يكون متجاهرا بالفسق بحيث لا يستنكف أن يذكر به كالبحث والمكاس ومصادر الناس فلا اثم بذكر ما يتظاهر به للخير بسند ضعيف : من القى جلباب الحياء فلا غيبة له .

وسئل الغزالي في فتاويه عن غيبة الكافر فقال : هي حق المسلم محدورة لثلاث علل الإيذاء وتنقيص خلق الله فان الله خالق لأفعال العباد وتضيع الوقت بما لا يعنى قال : والأولى تقتضى التحريم . والثانية الكرامة . والثالثة خلاف الأولى وأما الذمى فكالمسلم فيما يرجع الى المنع من الإيذاء لأن الشريعة عصم عرضه ودمه وماله قال في الخادم والأولى هي الصواب وقد روى ابن حبان في صحيحه ان النبي ﷺ قال : من سمع يهوديا أو نصرانيا فله النار ومعنى سمعه أسمع بما يؤذيه ولا كلام بعد هذا أى لظهور دلالة على الحرمة . قال الغزالي : أما الحرى فليس بمحرم على الأولى ويكره على الثانية والثالثة وأما المبتدع فان كره فكالحرى والافكالمسلم وأما ذكره بدعته فليس مكروها . وقال ابن المنذر في قوله ﷺ : ذكر كأكأاك بما يكره فيه دليل على من ليس أكأاك من اليهودى والنصارى أو سائر اهل الملل أو من أخرجه بدعة ابتداعها الى غير دين الاسلام لا غيبة له انتهى . قال في الخادم وهذا قد ينازع فيه ما قالوه فى السوم على صوم أخيه ونحوه انتهى . والمنازعة واضحة فالوجه بل الصواب تحريم غيبة الذمى كما تقرر أولا .

وقد يفهم من حد السابق للغيبة انها تختص باللسان وليس كذلك لأن علة تحريمها الإيذاء بتفهم الغير نقصان المغتاب وهذا موجود حيث افهمت الغير ما يكرهه المغتاب ولو بالتعرض أو الفعل أو الإشارة أو الأيماء أو الغمز أو الرمز أو الكتابة . قال النووي : بلا خلاف وكذا سائر ما يتوصل به الى فهم المقصود كان يمضى مشية فهو غيبة بل هو أعظم من الغيبة كما قال الغزالي لأنه أبلغ فى التصوير والتهميم وأمكن للقلب وذكر المصنف شخصا معينا ورد كلامه غيبة إلا أن يعتز به أحد الأسباب الستة المبيحة لها وقد مرت ومنها قولك فعل كذا بعض من مر بنا اليوم اذا فهم منه المخاطب معينا ولو بقرينة خفية والام يحرم كما فى الأحياء وغيره .

فان قلت : يتنافى قولهم تحريم الغيبة بالقلب أيضا فلا عبرة بفهم المخاطب قلت : الغيبة بالقلب هي أن تظن به سوء وتصميم عليه بقلبك من غير أن يستند فى ذلك الى مسوغ شرعى فهذا هو الذي يتعين أن يكون مرادهم بالغيبة بالقلب وأما مجرد الحكاية من مبهمة لمخاطبك ولكنه معين عندك فليس فيه ذلك الاعتقاد والتصميم فافترقا .

ومن أخبت أنواع الغيبة ما يقع لبعض المرائين من أنه يذكر عنده انسان فيقول : الحمد لله ما الذي ابتلانا بمبتلة الحياء أو بالدخول على السلاطين وليس قصده بذلك إلا أن يفهم عيب الغير وقد يزيد خبئه فيقدم مدحه حتى يظهر تنصله من الغيبة فيقول : كان يجتهدا فى العبادة أو العلم لكنه فتر وأملتى بما ابتلينا به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ذم غيره والمدح بالشبه بالصالحين فى ذم نفوسهم فيجمع بين ثلاث قواحش الغيبة والرياء وتركية النفس بل أربعة لأنه يظن بحمله انه مع ذلك من الصالحين المتعفين عن الغيبة ومشوء ذلك الجهل فان من تعبد على جهل لغيب به الشيطان وضحك عليه وسخر به فأحبط عمله وضع تعبته وأرداه الى درجات البوار والضلال . ومن ذلك أن يقول ساعنى ما وقع لصديقنا من كذا نسأل الله أن يشبهه وهو كاذب وطردى الجاهل ان الله مطلع على خبث ضميره

وانه قد تعرض بذلك لعل الله أعظم مما تعرض الجهل اذا جاهره ومن ذلك الاصغاء للمغتاب على جهة التعجب ليزداد نشاطه في الغيبة وما درى الجاهل ان التصديق بالغيبة غيبة بل الساكت عليها شرك المغتاب فلا يخرج عن الشراكة الا أن ينكر بلسانه والا أن يخوض في كلام آخر فان عجز فبقوله ويلزمه مفارقة المجلس بالضرورة ولا ينفعه أن يقول بلسانه اسكت وقلبه مشته لاستمراره ولا أن يشير بنحو يده ومرف في الحديث أن من اغتاب عنده أخوه المسلم فاستطاع نصره فنصره نصره الله في الدنيا والاخرة وان لم ينصره أذله الله في الدنيا والاخرة وموت أخبار أخرى بنحو ذلك .

واعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة اما تشفى الغيظ بذكر مساوي من أغضبك وقد لا يشفيه ذلك فيحقق الغضب في باطنه ويصير حقدًا ثابتًا فيكون سببًا دائمًا لذكر المساوي والحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة . واما موافقة الاخوان وحاملتهم بالاسترسال معهم فيما هم فيه أو إبداء نظير ما أبدوه خشية ان لو سكت أو أنكروا استقلوه ونفروا عنه ويظن بحمله أن هذا من الجاملة من الصحبة بل قد يغضب بعضهم أظهار المساومة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر المساوي والعيوب فيهلك . واما أن يستشير من غيره أنه يريد تنقيصه أو الشهادة عليه عند كبير فيسبقه بذكر مساويه عند ذلك الكبير ليستقطه من عينه وربما روج كذبه بأن يبدأ بذكر الصديق من عيوبه ثم يدرج للغير ليستشهد بصدقه في ذلك أنه صادق في الكل . واما أن يتسب على قبيح فيتبرأ منه بأن فاعله هو فلان وكان من حقه التبري منه بنفسه عن نفسه من غير ذكر فاعله وقد يمدح عذره بأن فلانًا شريكه فيه وهو قبيح أيضا واما التصنع وإرادة رفعة نفسه وحفض غيره كفلاني جاهل أو فهمه ريك تدريحا الى اظهار فضل نفسه بسلامته عن تلك النقائص واما الحسد لئلا الناس عليه ومحبتهم له فيريد أن يشبههم عنه بالقدح فيه حتى تنزل عنه نعمة ثناء الناص والمحبتهم واما اللعب والهزل فيذكر عن غيره ما يضحك الناس به واما السخرية والاستهزاء به في غيبته كقول في حضرته تحقيرا له هذه هي الأسباب العامة .

وبقيت أسباب خاصة هي اشترؤا حيث كان يتعجب ذو دين من منكرو فيقول ما أعجب ما رأيت من فلان فهو وان صدق في تعجبه عن المنكر لكن كان حقه أن لا يعين فلانًا بذكر اسمه لأنه صار به مغتابا آثما من حيث لا يدري ومن ذلك عجيب من فلان كيف يحب أمه وهي قبيحة كيف يقرأ على فلان الجاهل وكان يقيم بما ابتلى به فيقول مسكين ساء نى بلواه بكذا فهو وان صدق في اغتمامه له لكن كان من حقه أن لا يذكر اسمه فغبه ورحمه ولكنه ساقه الى شر من حيث لا يدري ان ذلك ممكن دون ذكر اسمه فبهجه الشيطان على ذكر اسمه ليبتل به ثواب اغتمامه وترحمه وكان يغضب الله من أجل مفارقة غيره لمنكر فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف ولا يظهره على غيره وان يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلاثة مما يغمض دركها عن العلماء فضلا عن العوام لظنهم ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرحص في الغيبة الأعذار السابقة فقط وانه لا شيء منها هنا .

* مهمة * يتعين عليك معرفة علاج الغيبة وهو اما اجمال بأن تعلم انك قد تعرضت بها لسخط الله تعالى وعقوبته كما دلت عليه الآية والأخبار التي قدمناها وأيضا فهي تحبط حسناتك لما في خبر مسلم في المغلس من أنه تؤخذ حسناته الى أن تقضى فان بقي عليه شيء وضع عليه من سيئات خصمه ومن المعلوم أن من زادت حسناته كان من أهل الجنة أو سيئاته كان من أهل النار فان استويا فنزعت الأعراف كما جاء في حديث فاحذر أن تكون الغيبة سببا لفناء حسناتك وزيادة سيئاتك فتكون من أهل النار قال ﷺ . والله ما النار في اليأس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد وروى ان رجلا قال للحسن : بلغني انك تقتابني فقال : ما بلغ من قدرك عندي اني

أحكمت حسناتي فبهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في الغيبة لم يطلق لسانه بها خوفاً من ذلك .

ومما ينفعك أيضاً أنك تدبر في عيوبك وتجتهد في الطهارة منها لدخول تحت ما روى عنه ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ويشهد أني رسول الله فليستعه به وليك على خطيئته ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً ليغم أو ليسكت عن شر فيسلم وتستحي من أن تدم غيرك بما أنت متلبس به أو ينظيره فإن كان أمراً خلقياً فالذم له ذم للخالق إذ من ذم صانعه ذم صانعها قال رجل لحكيم : يا قبيح الوجه فقال : ما كان خلق وجهي إلي فأجسده فإن لم تجد لك عيباً وهو بعيد فأشكر الله إذ تفضل عليك بالنزاهة عن العيوب وينفعك أيضاً أن تعلم أن تأذي غيرك بالغيبة كأذيك بها فكيف ترضى لغيرك ما تأذي به وإن تنظر في باعث الغيبة فتقطع من أصله إذ علاج العلة إنما يكون بقطع سببها وإذا استحضرت البواعث عليها السابقة ظهر لك السعي في قطعها كان تستحضر في الغضب أنك إن أمضيت غضبك فيه بغيبة أمضى الله غضبه فيك لاستحفاً فك بنهيه وبحراءك على وعيده . وفي حديث أن للجهنم باباً لا يدخله إلا من شقى غيظه بمعصية الله تعالى وفي المرافقة أنك إذا أَرْضِيتَ المخلوقين بغضب الله عاجلك بعقوبته إذ لا أغير من الله تعالى وفي الحسد أنك جمعت بين خسار الدنيا بحسدك له على نعمته وكونك معذبا بالحسد والآخرة لأنك نصرت به أهدأ حسناً لك إليه أو طرح سيئاته عليك فصرت صديقه وعدو نفسك فجمعت إلى خبيث حسدك جهل حماقتك وربما كان ذلك منك سبب انتشار فضله كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة ﷺ طويت أتاح لها لسان جسد

طويت أي أخفيت وأتاح ساق وقد روي قصد المباهاة وتركبة النفس أنك بما ذكرته فيه أبطلت فضلك عند الله وأنت لست على ثقة من اعتقاد الناس فيك بل ربما مقوك إذا عرفوك بذلك الأعراض وقبح الأغراض فقد بعث ما عند الله بيننا بما عند المخلوق العاجز وهما في الاستهزاء أنك إذا خزيت غيرك عند الناس فقد خزيت نفسك عند الله وشأن ما بينهما وعلاج بقية البواعث ظاهر بما تقرر فلا حاجة للإطالة به وقد سبق أن الغيبة بالقلب حرام وبيان معناه ويوافقه في الأحياء بيان تحريم الغيبة بالقلب .

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول ولست أعني به الاعتقاد القلب وحكمه على غيره بالسوء فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك أيضاً معفو عنه أن تظن والظن عبارة عما تركز إليه النفس ويميل إليه القلب قال الله تعالى : اجتنبوا كثيراً من الظن أن بعض الظن اثم . وسبب تحريمه أن أسباب القلوب لا يعلمها إلاعلام الغيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سواً إلا إذا انكشف لك بعبادة لا تحتمل التأويل فعندك لا يمكنك أن لا تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ثم وقع في قلبك فإن الشيطان يلقي عليك فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفاسق وقد قال الله تعالى أول سورة تلك الآية : إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآية ولا تغر بخیلة فساد إذا احتل خلافتها لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره ولكن لا يجوز لك تصديقه ومن ثم لم تجز استئثار برائحة الخمر لا مكان أنها من غيرها وتأمل خبر أن الله حرم من المسلم دمه وماله . وإن تظن به السوء فعلم منه أنه لا يسوغ لك ظن السوء به إلا ما يسوغ لك أخذ ماله من يقين مشاهدة أوينة عادلة والافعال في دفع الظن عنك ما أمكنك لاحتمال الخير والشر .

وأما سوء الظن المحققة له أن يتغير قلبك عليه عما كان فتفر عنه وتستقله وتفر عن مراعاته وفي الخبر : ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحققة وأن لا يحقق مقتضاه في نفسه بعد القلب بتغييره إلى الثمرة والكراهة ولا يفعل الجوارح بأعمالها بموجبه والشيطان قد يقدر على القلب بأدنى خيلة مساءة الناس ويلقي إليه أن هذا من مزبد فطنتك وسرعة تنبهك وأن المؤمن ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناظر بنور الشيطان وظلمته وإذا أخبرك عدل فملت إلى تصديقه أو تكذيبه كنت جانباً على أحدهما

ويجب على من اغتاب أن يبادر إلى التوبة بشروطها فيقطع ويندم ويستغفر للمغتاب إن لم يعلم بها. وإلا استحلها منها فإن تعذر لموته أو تقسره لغيبته استغفر الله له ولنفسه ولا يكفى تحليل وارثه.

باعتقاد السوء في المخبر عنه أو الكذب في المخبر فعليك أن تبحث هل هناك منهمة في المخبر بنحو عداوة بينهما فإن وجدتها فتوقف وأبق المخبر عنه على ما كان عندك من عدم الظن السوء ولا تصنع لمن دأبه الكلام في الناس مطلقا وينبغي لك أن ورد عليك خاطر السوء بمسلم أن تبادر بالدعاء له بالخير فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة حاله ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة ظاهرة فانصححه في السر قاصدا تحليصه من الاتهم مظهرًا لحزنك على ما أصابه كما تحزن لو أصيبك لتجمع بين أجر الوعظ وأجر الهم والاعانة له على دينه.

ومن ثمرات سوء الظن التجسس فإن القلب لا يتقنع بالظن بل يطلب اليقين فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى: ولا تجسسوا. فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة وهي قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن أن بعض الظن أثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا. فقدم ذكر سوء الظن ثم أتبعه ثمراته ثم ذكر الغيبة ومعنى التجسس أن لا يترك عبدا لله تحت ستر الله فيوصل إلى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه.

﴿ويجب على من اغتاب أن يبادر إلى التوبة بشروطها﴾ وهي اقلاع عن المعصية وعزم أن لا يعود إليها وخروج عن ظلامه آدمي من مال أو غيره وإلى ذلك أشار المصنف بقوله. ﴿فيقطع ويندم﴾ خوفا من الله سبحانه وتعالى ﴿ويستغفر للمغتاب إن لم يعلم بها﴾ أي بالغيبة ﴿والا﴾ أي وإن علم بها ﴿استحلها منها﴾ ليحلها فيخرج عن مظلمته. وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى يكفيه الاستغفار عن الاستحلال واحتج بخبر كفارة من اغتبه أن تستغفره. وقال مجاهد: كفارة أكل لحم أخيك أن تشئ عليه وتدعوله بخير. وقال أبو حازم: من اغتاب أخاه فليستغفر له فإن ذلك كفارة كذلك. وقال ابن المبارك: إذا اغتاب رجل رجلا فلا يخبره ولكن يستغفر له. وعن محبوب بن موسى قال: سألت علي بن بكار عن رجل اغتبه ثم ندمت قال: لا تخبره فتقرى قلبه ولكن ادع له واثق عليه حتى تمحو السيئات بالحسنات ويؤيده قوله تعالى: ادفع بالتي هي أحسن السيئة قال ابن حجر الهيتمي: والأصح أنه لا بد من الاستحلال وزعم أن العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال مردود بأنه وجب في العرض جدا القذف قيل بل في الأحاديث الصحيحة الأمر بالاستحلال من المظالم قبل يوم لا درهم فيه ولا دينار وإنما هي حسنات الظالم تؤخذ للمظلوم وسيئات المظلوم تطرح على الظالم فتمن على الاستحلال نعم، الغائب والميت ينبغي أن يكرر لهما من الاستغفار والدعاء وإلى هذا أشار بقوله.

﴿فإن تعذر﴾ الاستحلال ﴿لموته﴾ أي للمغتاب ﴿أو تقسره لغيبته﴾ البعيدة ﴿استغفر الله له﴾ أي للمغتاب في مقابلة غيبته له ﴿استغفر لنفسه﴾ أي عن المعصية الصادرة منه وهي الغيبة وذلك بأن يقول: اللهم اغفر لنا وله قال ابن قاسم: فإن استغفر الله ثم بلغته فهل يكفى الاستغفار أم لا والأوجه أنه يكفى ﴿ولا يكفى تحليل وارثه﴾ أي المغتاب وهذا ذكره الحنطلي وغيره وأقرهم في الروضة. قال فيها: وأفتى الحنطلي بأن الغيبة إذا لم تبلغ المغتاب كناه الندم والاستغفار وجزم به ابن الصنائع حيث قال: إنما يحتاج لاستحلال المغتاب إذا علم لما دخله من الضرر والغم بخلاف ما إذا لم يعلم فلا فائدة في إعلامه لتأذيه فليتب قاذبا تاب اغناء عن ذلك نعم، إن كان انتقصه عند قوم رجع إليهم وأعلمهم أن ذلك لم يكن حقيقة انتهى. وتبعها كثيرون منهم النووي واختاره ابن الصلاح في فتاويه وغيره. قال الزركشي: وهو المختار وحكاها ابن عبد البر عن ابن المبارك وخديث كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبه تقول اللهم اغفر له

وله . فيه ضعيف كما قاله السيدي وقال ابن الصلاح : هو وان لم يعرف له اسناد معتبه ثابت بالكتاب والسنة قال الله تعالى : ان الحسنات يذهبن السيئات . وقال عليه السلام : واتبع السيئة الحسنة تمحها . وحديث حذيفة لما اشكى اليه عليه السلام ضرب اللسان على أهله قال : أين أنت من الاستغفار انتهى . واعترض بأنه صح ما يعارضه وهو قوله عليه السلام لعائشة في تلك المرأة قد اغتبتها وقوله من كانت له عند أخيه مظلمة فليستحله اليوم . وبأنه لو اجزأ الاستغفار هنا لأجزأ في أخذ المال وقد يجاب بمنع المعارضة بأن يحمل هذا على أنه أمر بالافضل أو بما يحوثر الذنب بالكلية على النور بخلاف الأول فإنه ليس كذلك وبوضوح الفرق بين الغيبة وأخذ المال ومن ثم وجهوا القول بأنها صغيرة مع عظيم ما ورد فيها من الوعيد بأن عموم ابتلاء الناس بها اقتضى المسامحة بكونها صغيرة لئلا يلزم تنسيق الناس كلهم الا الفذ النادر منهم وهذا خرج عظيم فلأجله خفف فيها بذلك فلم تكن كالأموال حتى تقاس بها فيما ذكره المعترض وإنما يجب اعلام ذو الحق المكلف بغيره ببقى حقه وان سامح وقتل ابن الشيرى عن القاضي أنه لو أظهر الاعتذار بلسانه حتى طاب قلب خصمه كفاء . وعن هاشم أنه لو أظهر بلسانه دون باطنه لم يكفه ثم قال : والحق أنه لو لم يخلص فيه كان ذنبا فيما بينه وبين الله تعالى والأظهر بقاء مطالبة خصمه له في الآخرة لأنه لو علم عدم اخلاصه في اعتذاره لتأذى فيه وما ذكره صرح به الامام فقال : عليه أن يخلص في الاعتذار هو قول النفس عند أصحابنا والعبارة ترجمة عنها فان لم يخلص فهو ذنب فيما بينه وبين الله تعالى ويحمل ان يبقى لخصمه عليه مطالبة في الآخرة لأنه لو علم أنه غير مخلص لما رخص به انتهى .

هذا كله في غيبة اللسان فغيبه القلب لا يجب الاخبار بها على قياس ما صححه النووي في الحسد ونظر فيه الأذرعى وقتل القاضي عن بعض القدرة انه يجب الاعتذار الى المقدوف مثلاً ان ظن انه علم ليزيل غمه والا فلا لأن القصد بالاعتذار ازالة الغم وهذا يجده قال القاضي وهذا باطل لأن علة وجوب الاعتذار عن الذنب كونه اساءة لا كونه موجبا لغمه اذ لو سرق درهمان مال سلطان وعلم أنه لا يغبه لزمه الاعتذار اليه لكونه اساءة كما يلزمه لو أخذه من فقير يعظم أسفه بفقد نعم ، لا يبعد أن يجب هنا من الاعتذار أشد مما وجب منه ثم وكذا لو سرق مالا ثم رده لحله ولم يشعر ماله فيلزمه الاعتذار اليه لكونه اساءة وظلما له ولو كان كما ادعاه هذا القائل لسقط وجوب الاعتذار اليه انتهى . ملخصا وما ذكره في السرقة خالفه فيه غيره فقال : من سرق مالا ورده لا يلزمه أن يخبر بأنه أخذه سرقة بل الأولى أن يستر نفسه ومر عن الحنطلى وغيره أنه لا اعتبار بتحليل الورثة ووافقهم القاضي الحسين في تعليقه والحق به كل ما ليس فيه حد فان كان فيه حد كالتدفع اعتبر تحليله وفي الروضة حكاية وجهين في أنه هل يكفي الاستحلال من الغيبة المجهولة والذي رجحه في الأذكار أنه لا بد من معرفتها لأن الانسان قد يسمح عن غيبة دون غيبة وكلام الحلبي وغيره يقتضى الجزم بالصحة لأن من يسمح بالغف من غير كشف فقد وطن نفسه عليه ويوافق قول النووي في الروضة أيضا وأما الحديث : أيسجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم كان اذا خرج من بيته قال : انى قد تصدقت بعرض على الناس فمعناه لا أطلب مظلمتى لا فى الدنيا ولا فى الآخرة . وهذا ينفع فى اسقاط مظلمة كانت موجودة قبل الإبراء فأما حديث بعده فلا بد من إبراء جديد بعدها انتهى ففى عبارتها هذه تصرح السقوط مع الجهل بالمبراء منه الواقع من قبل فيوافق قضية كلام الحلبي .

وقال فى الاحياء : يستحل ممن تعرض له بلسانه أو أذى قلبه بفعل من أفعاله فان غاب أو مات فقد فات أمره ولا يدرك الا بكثرة الحسنات لتؤخذ عوضا فى القيامة ويجب أن يفضل له الا أن يكون الفضيل مضرا له كذكر عيوبه يخفيها فانه يستحل منه مبهنا ثم تبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبرها بمظلمة الميت أو الغائب انتهى . وأوجب العبادى فى الحسد الاخبار كالغيبه واستبعده الرافعى

﴿باب التهمة﴾

قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين همار شاء بنعيم

وصوب النووي انه لا يجب بل ولا يستحب قال: ولو قيل يكره لم يبعد قال الأذرعى وهو كما قال ونص الشافعى رحمه الله يفهمه أو يشبه الحرمة إذا غلب على ظنه انه لا يحلله وانه يتولد منه عداوة وحقد وأذى للمخير وكذا لو شك فان النفس الزكية نادرة وإن غلب على ظنه انه لن أخبره حلله من غير ضرورة يتولد منه لزمه اخباره ليخرج من ظلامته يقين انتهى ملخصا .

* خاتمة * قال الفزالي وغيره فان قلت: فالتحليل هل يجب أم لا؟، فأقول: لا، لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكمه مستحب وسبيل المعتذر أن يبالغ الشاء عليه بما لم يخرج به الى حد الكذب ويبالغ في التردد اليه بما لم يخرج به الى حد التلق ويلزم ذلك حتى يطيب قلبه فانه ربما لا يطيب قلبه بمرة واحدة أو اثنتين فان لم يطيب قلبه مع ذلك كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له في صحيفته يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض السلف يقول: لأحلل من اغتابني وقال سعيد بن المسيب: لا أحلل من ظلمني . وقال ابن سيرين: انى لم أحرما عليها فأحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كثرت لأحلل ما حرم الله أبدا . فان قلت فما معنى قول النبي ﷺ ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرم الله تعالى غير ممكن وهو الذي فهمه سعيد بن المسيب وابن سيرين كما اقتضاه قولهما السابق فنقول: المراد به جعله في حل يعنى العفو عن المظلمة لينقلب حرامه بمنزلة الحلال المباح له لان ينقلب الحرام حلالا كما يدل له ظاهر اللفظ وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة فمن جوزه فقد أحل ما حرمه الله تعالى وأما بعد الغيبة فمعناه لا أعفو عنه .

فان قلت فما معنى قول النبي ﷺ: أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم كان اذا خرج من بيته قال: اللهم انى قد تصدقت بعرض على الناس . فكيف تصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا تنفذ صدقة فما معنى الحث عليه واخبار رجاله للأصحاب فنقول: معناه انى لا أطلب مظلمة في القيامة منه ولا أخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلمة عنه لأنه عفو قبل الوجوب الا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم فان رجع وخصم كان القياس كسائر الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء بان من أباح القذف لا يستطحق حقه من حد القذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجلالة فالعفو أفضل قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى: اذا جئت الأمم بين يدي الله نودوا ليعم من كان أجبره على الله فلا يقوم الا العافون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . فقال النبي ﷺ: يا جبريل ما هذا العفو؟ فقال: ان الله تعالى يأمرك أن تعفو عن ظلمك وتصل من ظلمك وتعطى من حرمك والله أعلم .

﴿باب التهمة﴾

﴿قال الله تعالى: ولا تطع كل حلاف﴾ أى كثير الحلف بالباطل ﴿مهين﴾ أى ضعيف حقير ذليل وقيل هو من المهانة وهى قلة الرأى والتميز وقال ابن عباس: كذاب وهو قريب من الأول لأن الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة، وقيل هو الأسود بن عبد يغوث وقيل هو الأخنس بن شريك . ﴿هماز﴾ أى مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن واللعيب وقيل هو الذي يغمر بأخيه في المجلس ﴿مشاء بنعيم﴾ أى فتان يسعى بالتهمة ليشند بين الناس وتقام الآية مناع للخير معند أثيم عتل من بعد ذلك زينهم . وقال الله تعالى ويل لكل همزة لمزة: قيل الهمزة التمام . وقال تعالى: حمالة الحطب . قيل انها نامة حمالة للحديث .

﴿وأخرج﴾ الشيخان عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام * والطبراني ليس مني ذو حسد ولا نعمة ولا كهانة ولا أنا منه * وأحمد خيار أمي الذين إذا رزوا ذكر الله وشرار أمي المشافون بالنعمة المفرقون بين الأجابة الباغون البراءة العنت * وابن حبان في صحيحه ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين فإن إفساد ذات البين هي الخالقة وصحة الترمذي ثم قال ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم هي الخالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين ﴿وروي﴾ كعب أنه أصاب بني إسرائيل فحط فاستسقى موسى عليه الصلاة والسلام مرات فما أجيب فأوحى الله إليه أني لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام قد أصر على النعمة فقال من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى أنها كم عن النعمة وأكون نماما فتابوا بأجمعهم فسقوا *

وقال تعالى: فخاتهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قبل كانت امرأة لوط تخبر بالضيافان وامرأة نوح تخبرانه مجنون .. ﴿أخرج الشيخان عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة نمام﴾ وفي حديث آخر: لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام ﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ عن عبد الله بن بسر ﴿ليس مني ذو حسد ولا نعمة﴾ وهي نقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد ﴿ولا كهانة﴾ الكاهن الذي يخبر بالمغيبات ﴿ولا أنا منه﴾ قال المناوي تمامه عند نخرجه ثم تلا رسول الله ﷺ: والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا الآية. ﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد﴾ عن عبد الرحمن بن غنم بفتح المعجمة وسكون التون بإسناد صحيح ﴿خيار أمي الذين إذا رزوا﴾ بالبناء للمفعول أي إذا رآهم الناس ﴿ذكر الله﴾ برؤيتهم لما يعلوهم من حسن السمات ونور الصلاح ﴿وشرار أمي المشافون بالنعمة المفرقون بين الأجابة الباغون﴾ أي الطالبون ﴿البراءة﴾ جمع برىء ﴿العنت﴾ أي المشقة والمعنى أنهم يتهنون أشخاصا بنحو السرقة والزنا والحال أنهم براء من ذلك فيطلبون لهم المشقة.

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن حبان في صحيحه﴾ وأحمد وأبو داود والترمذي عن أبي الدرداء ﴿ألا أخبركم بأفضل﴾ أي بدرجة هي أفضل ﴿من درجة الصيام والصلاة والصدقة﴾ أي المستمرات أو الكثيرة ﴿قالوا: بلى﴾ أخبرنا يا رسول الله ﴿قال﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿إصلاح ذات البين﴾ قال ابن رسلان: أي إصلاح أحوال الذين يعني ما بينكم من الأحوال حتى يكون أحوالكم أحوال صحة وألفة واتفاق، وقيل إصلاح ذات البين هو إصلاح الفساد والفتن التي تكون بين القوم واستكان الفتنة الناتجة بين القوم أو بين اثنين فالإصلاح إذ ذاك واجب وجوب كناية مهملة رجد إليه سيلا ويحتمل الإصلاح بمواساة الإخوان والمحاجين ومساعدتهم بما رزقه الله تعالى ﴿فإن إفساد ذات البين هي الخالقة﴾ قال في النهاية هي الخصلة التي من شأنها أن تحلق أي تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموصى الشعر ﴿وصححه الترمذي ثم قال﴾ أي الترمذي ﴿ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم﴾ أنه قال ﴿هي الخالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين﴾ وفي خبر: أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها برئ بشيئه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيامة في النار حتى يأتي بتعاذما قال.

﴿وروي كعب﴾ الأخبار ﴿أنه أصاب بني إسرائيل فحط﴾ أي قلة مطر ﴿فاستسقى موسى عليه الصلاة والسلام مرات فعلا﴾ أجيب فأوحى الله إليه أني لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام قد أصر ﴿أي أقام﴾ على النعمة فقال ﴿موسى يارب﴾ من هو حتى نخرجه من بيننا فقال: يا موسى أنها كم عن النعمة وأكون نماما فتابوا بأجمعهم فسقوا ﴿كذا ذكره الغزالي﴾

وقال عبد الله بن المبارك إن ولد الزنا لا يكتم الحديث فعدم كنه المستلزم للمشي بالنسيئة دليل أن فاعل ذلك ولد الزنا، وقيل عمل النمام أضرم من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة ﴿وحكي﴾ أنه نودي على بيع عبد ليس فيه عيب إلا أنه نمام فاشتراه من استخف هذا العيب فلم يمكث عنده أباما حتى تم لزوجه أنه يريد الزوج بفكر أو التسري وأمرها أن تتخذ الموسى وتحلق به شعرات من حلقة يسحره بها فصدمته وعزمت على ذلك فجاء إليه ونم له عنها أنها اتخذت لها موسى وتريد ذبحك الليلة فتناوم لترى ذلك فصدمته فتناوم فجاءت لتحلق فقال صدق الغلام فلما أهوت إلى حلقة أخذ الموسى منها وذبحها فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك النمام

﴿وقال عبد الله بن المبارك﴾ رحمه الله تعالى ﴿إن ولد الزنا لا يكتم الحديث فعدم كنه المستلزم للمشي بالنسيئة دليل على أن فاعل ذلك ولد الزنا﴾ استنباطا من قوله تعالى: عتل بعد ذلك زنيم. والزنيم هو الدعي وكون أن الزنيم هو الدعي أخرجه عبد بن حميد وابن عساکر عن ابن عباس وأشد قول الشاعر:

زنيم تداعاه الرجال زيادة  كما زيد في عرض الأديم أكارعه

وأخرج ابن الأنباري في الوقف والابتداء عن عكرمة أنه سئل عن الزنيم فقال: هو ولد الزنا وأشد قول الشاعر:

زنيم ليس يعرف من أبوه  بقى الأم فى حسب ليم

وأخرج ابن عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد قال: زنيم ملحق في النسب زعم ابن عباس وأخرج عبد بن حميد عن سعيد بن المسيب قال: الزنيم هو الملحق في القوم ليس منهم. وروى عن ابن عباس قال: العتل الزنيم الذي يمشى بين الناس بالنسيئة أخرجه عبد بن حميد ذكره الزبيدي. وزار بعض السلف أخوه فتم له عن صديقه فقال له: يا أخى أطلت الغيبة وجئت بثلاث جنائيات بغضب إلى أخى وشغلت قلبى بسببه واتهمت نفسك الأمينة، وقيل من أخبرك يشتم غيرك لك فهو الشاتم لك. وجاء رجل إلى علي بن الحسين رضى الله عنهما فتم له عن شخص فقال: اذهب بنا إليه فذهب معه وهو يرى أنه يتنصر لنفسه فلما وصل إليه قال: يا أخى إن كان ما قلت في حقنا يفر الله لي وإن كان ما قلت في باطلا يفر الله لك ﴿وقيل عمل النمام أضرم﴾ أى أكثر ضررا ﴿من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة﴾ والخيال ﴿وعمل النمام بالمواجهة﴾ والمعاينة. ﴿و﴾ على الجملة فشر النمام عظيم ينبغي أن يتوقى منه.

﴿حكي﴾ أنه نودي على بيع عبد ليس فيه عيب إلا أنه نمام فاشتراه من استخف هذا العيب الذي هو النسيئة ﴿فلم يمكث﴾ الغلام ﴿عنده﴾ أى عند المشتري ﴿أباما حتى تم لزوجه﴾ أى المشتري وقال لها ﴿أنه﴾ أى أن زوجها لا يحبك وهو ﴿يريد الزوج بفكر أو التسري﴾ عليك ﴿وأمرها﴾ أى أمر الغلام زوجة مولاه ﴿أن تتخذ الموسى﴾ وهى آلة الحديد ﴿و﴾ أن ﴿تحلق به﴾ أى بالموسى ﴿شعرات من حلقة يسحره بها﴾ فيحبها ﴿فصدمته﴾ أى صدمت المرأة قول هذا الغلام ﴿وعزمت على ذلك﴾ أى على حلق تلك الشعرات ﴿فجاء﴾ الغلام ﴿إليه﴾ إلى مولاه ﴿ونم له عنها أنها اتخذت لها﴾ وأخذت ﴿موسى وتريد ذبحك الليلة فتناوم لترى ذلك﴾ أى ما أرادته من ذبحك ﴿فتناوم فجاءت لتحلق﴾ تلك الشعرات ﴿فقال﴾ فى نفسه ﴿صدق الغلام﴾ فيما قاله ﴿فلما أهوت﴾ أيدها ﴿إلى حلقة﴾ أى حلق زوجها ﴿أخذ﴾ ذلك الزوج ﴿الموسى منها وذبحها فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه﴾ أى زوجها ﴿فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك النمام﴾. أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق حماد بن سلمة عن حميد وهو الطويل فقال: حدثنا إبراهيم أبو اسحق حدثني يزيد بن عوف حدثنا حماد بن سلمة عن حميد أن رجلا ساوم بعيد فقال مولاه: انى أبرأ اليك من النسيئة

﴿وحكى﴾ أيضا أن رجلا ماتت أخته فلما دفنت سقط من جيبه في قبرها ذهب كان معه فرجع ليلا ونش القبر فوجده ممثلا نارا فرجع إلى أمه فقال لها أخبريني ما كانت تفعل أختي من المنكر فقالت له لا أعرف منكرا إلا أنها كانت تخرج ليلا فتسمع على أبواب الجيران ما يقولون وتتم به فيقع بذلك بينهم فتنة فقال هو ذلك وأخبرها بالحال عافانا الله من ذلك بمنه ﴿تنبيه﴾ قال الحافظ المنذري اجتمعت الأئمة على تحريم النسيمة وأنها من أعظم الذنوب عند الله عز وجل وقد اتفق العلماء على أنها من الكبائر وهي نقل كلام الناس إلى بعض على وجه الإفساد بينهم

فقال: نعم، أنت بريء منها قال: فاشتره فجعل يقول لمولاه: أن امرأتك تبغى وتفعل وأنها تريد أن تقتلك ويقول للمرأة: إن زوجك يريد أن يزوج عليك ويسرى عليك فإن أردت أن أعطف عليك فلا تزوج عليك ولا تسرى فخذى الموسى واحلقتي شعرة من قناه إذا نام وقال للزوج: أنها تريد أن تقتلك إذا نمت قال: فذهب فتناوم لها وجاءت بموسى لتحلق شعرة من حلقه فأخذ بيدها فقتلها فجاء أهلها فاستعدوا عليه فقتلوه.

قال ابن حجر ولقد أشار تعالى إلى قبح تصديق النمام وعظيم الشر المترتب على ذلك بقوله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين. عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه آمين. ﴿وحكى أيضا﴾ أي كالتى تقدمت ﴿أن رجلا ماتت أخته فلما دفنت سقط من جيبه في قبرها ذهب كان معه فرجع﴾ الرجل ﴿ليلا ونش القبر فوجده﴾ أي قبرها ﴿ممثلا نارا فرجع إلى أمه فقال لها: أخبريني ما كانت تفعل أختي من المنكر فقالت له: لا أعرف منكرا إلا أنها كانت تخرج ليلا فتسمع على أبواب الجيران ما يقولون وتتم به فيقع بذلك﴾ أي بما تتم ﴿بينهم فتنة فقال﴾ أخوها ﴿هو﴾ أي المنكر ﴿ذلك﴾ أي تتم به ﴿وأخبرها﴾ أي أمه ﴿بالحال﴾ أي بحالها في قبرها ﴿عافانا الله من ذلك بمنه﴾ آمين. وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن عذاب القبر من ثلاثة من الغيبة والنسيمة والبول وإياكم وذلك. وأخرج عن قتادة قال: عذاب القبر ثلاثة ثلاث ثلث من الغيبة وثلث من النسيمة وثلث من البول وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال: انهما يعذبان في كبر أي أمر شاق عليهما لرفعاه بلى أنه كبير أي كيان الذنوب أما أحدهما فكان يمشى بالنسيمة وأما الآخر فكان لا يستمر من بوله متق عليه وهذا اللفظ روايات البخاري.

* تنبيه ﴿قال الحافظ المنذري: اجتمعت الأئمة على تحريم النسيمة وأنها من أعظم الذنوب عند الله عز وجل﴾ وخبر: وما يعذبان في كبر أجابوا عنه بأجوبة منها في كبر تركه والاحتراز عنه أو ليس كبيرا في اعتقادكم كما قال تعالى: وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم. أو المراد أنه ليس أكبر الكبائر ودل على ذلك قوله في خبر البخاري السابق بلى أنه كبير كما تقرر ﴿وقد اتفق العلماء على أنها﴾ أي النسيمة ﴿من الكبائر﴾ وبه صرح الحديث الصحيح السابق بقوله: بلى أنه كبير كما مر.

واعلم أن اسم النسيمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى القول فيه كما تقول: فلان يكلمك بكذا وكذا واشتقاقه من ثم الحديث مما من باب قتل وضرب إذا سعى به لبوق فتنة أو وحشة فالرجل يتم تسمية بالمصدر ونما مبالغة والاسم النسيمة ﴿و﴾ لذلك قالوا في تعريفها ﴿هني نقل كلام الناس﴾ بعضهم ﴿إلى بعض على وجه الإفساد بينهم﴾ قال في الإحياء: هذا هو الأكثر ولا يختص بذلك بل هي كشف ما يكره كشفه سواء أكرهه المنقول فيه أو إليه أو ثالث وسواء كان كشفه بقول أو كتابة أو رمز أو إيماء وسواء في المنقول كونه فعلا أو قولا أو عينا أو نقصا في القول عنه أو غيره فحقيقة النسيمة إفشاء السر وهيك السر عما يكره كشفه وحينئذ ينبغي

أما نقل الكلام نصيحة للمتقول إليه فواجب

السكوت عن حكاية كل شيء شوهه من أحوال الناس إلا ما في حكايته وقع لمسلم أو دفع ضرر كمالو رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به بخلاف ما لو رأى من يخفى مال نفسه فذكره فهو نسيمة وإفساء للسرفان كان ما ينم به نقصاً أو عيباً في الممكن عنه فهو غيبة ونسيمة انتهى

قال ابن حجر وما ذكره أن أراد بكونه نسيمة أنه كيرة في سائر الأحوال التي ذكرها ففيه باطلاقة نظر ظاهر لأن ما فسروا به النسيمة لا يخفى أن وجه كونه كيرة ما فيه من الإفساد المترتب عليه من المضار والمقاسد مالا يخفى والحكم على ما هو كذلك بأنه كيرة ظاهر جلي وليس في معناه بل ولا قريباً منه مجرد الأخبار بشيء عن يكره كشفه من غير أن يترتب عليه ضرر ولا هو عيب ولا نقص فالذي يتجه في هذا أنه وإن سلم للغزالي تسميته نسيمة لا يكون كيرة ويؤيده أنه نفسه شرط في كونه غيبة كونه عيباً ونقصاً حيث قال فإن كان ما ينم به نقصاً إلى آخره فاذن لم توجد الغيبة الأمع كونه نقصاً فالنسيمة الأتبع من الغيبة ينبغي أن لا توجد بوصف كونها كيرة إلا إذا كان فيما ينم به مفسدة تقارب مفسدة الإفساد التي صرحوا بها فتأمل ذلك فإني لم أر من نبه عليه وإنما يشغلون كلام الغزالي ولا يتعرضون لما فيه مما نهت عليه نعم من قال بأن الغيبة كيرة مطلقاً ينبغي أنه لا يشترط في النسيمة إلا أن يكون فيها مفسدة كفسدة الغيبة وإن لم تصل إلى مفسدة الإفساد بين الناس ﴿أما نقل الكلام نصيحة﴾ وإرادة للخير ﴿للمتقول إليه فواجب﴾

واعلم أن الباعث على النسيمة إما إرادة السوء للمحكى عنه أو اظهار الحب للمحكى له أو التفرج بالخطوض في الفضول وعلاجها بنحو ما مر في الغيبة ثم على من حملت إليه النسيمة كفلان قال فيك أو عمل في حقك كذا سنة أمور الأول أن لا يصدق فيها يحكيه فيكذبه ولا يقبل منه قوله فإن قبول القول السوء أشد من القول السوء وذلك لأن التمام فاسق لا يقبل قوله وهو مردود الشهادة بنص القرآن قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . نزلت هذه الآية في الوليد بن عتبة بن أبي معيط كان بغته رسول الله ﷺ ليعقب صدقات بني المصطلق فلما ابصروه اقبلوا نحوه فهاهم وكان بينه وبينهم سحناء في الجاهلية فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره أنهم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد وأمره أن يثبت ولا يعجل فأخبر أنهم متمسكون بالاسلام وسمع أذانهم وصلاتهم فرجع فأخبر الخبر فنزلت . قال الحسن : فوالله لئن كانت نزلت في هؤلاء القوم خاصة لمرسلة إلى يوم القيامة ما نسخها شيء هكذا ذكره الزبيدي . الثاني أن ينهأ عن العود لمثل هذا القبيح ديناً ودنياً قال تعالى : وأمر بالمعروف وانه عن المنكر . والنسيمة من المنكرات فيجب عليه نهيه عنها . الثالث أن يغضبه في الله أن لم يظهر له التوبة . الرابع أن لا يظن بالمتقول عنه سواء لأنه لم يتحقق أن ما نقل إليه عنه صدر عنه لقوله تعالى : اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم . وهذا الذي ظنه في أخيه من جملة الظنون التي يلزم مرتكبه الاثم . الخامس أن لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث حتى يتحقق اتباعاً لقوله تعالى : ولا تجسسوا . السادس أن لا يرضى لنفسه ما نهى التمام عنه فلا يحكي نسيمة فيقول : قد حكى لي فلان كذا فانه يكون غاماً ومغتاباً واتباعاً عنه نهى وقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لمن نم له شيئاً ان شئت نظرنا في أمرك فان كذبت فانت من أهل هذه الآية : ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان صدقت فمن أهل هذه الآية : مشاء بنميم . وان شئت عفونا عنك فقال : العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً .

وعاتب سليمان بن عبد الملك من نم عليه بحضرة الزهري فانكر الرجل فقال له : من أخبرني صادق فقال الزهري : التمام لا يكون

﴿خاتمة﴾ أخرج الشيخان يحدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه * والطبراني ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار * وهو والأصبهاني من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار

صادقا فقال سليمان: صدقت اذهب أيها الرجل بسلام فقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: من ثم لك ثم عليك وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغي أن يبغي ولا يؤمن ولا يوثق بصداقه وكيف لا يبغي وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والنذف والجنابة والغفل والحسد والافساد بين الناس والحديعة وهو بمن سعى في قطع ما أمره الله به أن يوصل ويفسد في الأرض. قال تعالى: إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيعون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب اليم. والنام منهم ومن التسمية السعاية لأنها إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت سعاية وذكر السعاية عند بعض الصالحين فقال: ما ظنكم يقوم بمحمد الصدق من كل طائفة من الناس إلا منهم. وقال مصعب بن الزبير: نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فأخبر به كمن قبله واجازة فاتقوا الساعي فلو كان صديقا في قوله لكان ليما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر الغورة. وقال لقمان لابنه: يا بني أوصيك بمخاض أن تمسكت بهن لم تزل سيذا أسط حاتمك للقريب والبعيد. وأمسك جهلك عن الكريم والقيم واحفظ أخوانك وصل أقاربك وأسهم من قبول قول ساع أو سماع ما يريد فسادك ويروم خداعك وليكن أخوانك من إذا فارقهم وفارقوك لم تعبه ولم يعيوك.

﴿خاتمة﴾ نسال الله حسنهما في كلام ذي اللسانين وهو ذو الوجهين الذي لا يكون عند الله وجهيهما ﴿أخرج الشيخان﴾ وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يحدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ويحدون خيار الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية و﴿يحدون شر﴾ وفي رواية من شر ﴿الناس﴾ عند الله يوم القيامة ﴿ذا الوجهين﴾ وفسره بأنه ﴿الذي﴾ يشبه المنافق ﴿يأتي هؤلاء﴾ القوم ﴿بوجه و﴾ يأتي ﴿هؤلاء بوجه﴾ فيكون عند الناس بكلام وعند أعدائهم بضده مذبين بين ذلك من السعي في الأرض بالفساد.

وقال القرطبي: إنما كان ذو الوجهين شر الناس لأن حاله حال المنافق إذ هو متعلق بالباطل والكذب يدخل بين الناس الفساد. وقال النووي: هو الذي يأتي في كل طائفة بما يرضيها فيظهر لها أنه منها ويخالف لضدها وصنيعه نفاق مخض وكذب وخداع وتحيل على الإطلاع على الأسرار وهي مباحة محرمة قال: فأما من يقصد بذلك الإصلاح بين الطائفتين فمحمود وقال غيره: الفرق بينهما أن المذموم من يزن لكل طائفة عملها ويمسح عند الأخرى ويذم كل طائفة عند الأخرى والمحمود أن يأتي كل طائفة بما فيه صلاح الأخرى ويعتذر لكل واحدة عن الأخرى وينقل إليها ما أمكنه من الجميل ويستتر القبيح، وأخرج البخاري عن محمد بن زيد أن ناسا قالوا لجدد عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنا لندخل على سلطاننا فنقول بخلاف ما تكلم إذا خرجنا من عنده فقال: كأننا هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ.

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ في الأوسط عن سعد بن أبي وقاص ﴿ذو الوجهين في الدنيا﴾ وهو الذي يأتي كل طائفة بما يحب ويظهر لها أنه منها ويخالف لضدها صنعة وخداعا على حد قوله تعالى: وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم. ﴿يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار﴾ جزاء له على إفساده. وأخرج أبو داود وابن حبان في صحيحه: من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانا من نار ﴿وهو﴾ أي وأخرج الطبراني وابن أبي الدنيا ﴿والأصبهاني﴾ وغيرهم ﴿من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار﴾ معناه أنه لما كان يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه على وجه الإفساد جعل له لسانين من نار كما كان في الدنيا له لسان عند كل طائفة قاله العلقمي.

وقال الغزالي ذو اللسانين من يتردد بين متعادين ويحكم كلاماً يوافقه وقل من يتردد بين متعادين إلا هو بهذه الصفة وهذا عين النفاق والعياذ بالخلق.

﴿وقال﴾ حجة الاسلام أبو حامد ﴿الغزالي﴾ ذو اللسانين من يتردد بين متعادين ويحكم كلاماً يوافقه ﴿وفي رواية﴾ ﴿وقل من يتردد بين متعادين إلا هو بهذه الصفة وهذا عين النفاق﴾ انتهى ﴿والعياذ بالخلق﴾ من سوء الأخلاق وعن أبي هريرة ؓ خبر يتحدثون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحدوث هؤلاء وفي رواية يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه. وقال أبو هريرة ؓ لا ينبغي لأحد منكم أن يكون أميناً عند الله تعالى. وقال ابن مسعود ؓ: لا يمكن أحدكم أمانة قالوا: وما الأمانة؟ قال: يجري مع كل ربح وقال الغزالي: اتفقوا على أن ملاقاته الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها ثم قال: فإن قلت: فيما ذا يصير ذالسانين وما حد ذلك؟ فأقول: إذا دخل على متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صديقاً فيه لم يكن منافقاً ولا ذالسانين فإن الواحد قد يصادق متعادين ولكن صدقة ضعيفة لا تنتهي إلا إذا اخوة أذلو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الأعداء نعم، لو نقل كلام كل واحد إلى الأخرى فهو ذو اللسانين وذلك شر من التسمية لأنه يصير غاماً بمجرد نقله من أحد الجانبين فإذا نقل من كل منهما فقد زاد على التسمية وإن لم ينقل كلاماً ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهو ذالسانين أيضاً وكذا إذا وعد كلاهما بأنه ينصره أو أثنى على كل في معاداته أو على أحدهما مع ذمه له إذا خرج من عنده فهو ذالسانين في كل ذلك وقد مر عن أبي عمر أن الشاء على الأمير في حضرته وذمه في غيبته نفاق ومحلله أن استغنى عن الدخول على الأمير والثناء عليه ولا عبرة بوجاهته منه مالا أوجاها فإذا دخل لمضرورة فأحد هما وأثنى فهو منافق وهذا معنى حديث حب المال والجاء نباتان النفاق في القلب كما ثبت الماء البعل أي لأنه يروج إلى الدخول على الأمراء ومزاعاتهم ومرواتهم فإن اضطر للدخول لنحو تخليص ضعيف لا يرجي خلاصه بدون ذلك وخاف من عدم الشاء فهو معذور فإن اتقاء الشر جائز.

قال أبو الدرداء: أنا لكثير أي نضحك في وجوه أقوام وإن قلوبنا تلعنهم. وقالت عائشة رضي الله عنها: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: ائذنوا له فبئس رجل العشير هو ثم لما دخل الآن له القول فلما خرج قلت: يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم أنت له القول فقال: يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد في الأقبال وفي الكشر والتبسم. فأما الشاء فهو كذب صريح فلا يجوز الاضطرورة أو حاجة أو إكراه عليه بخصوصه ومن النفاق أن تسمع باطلا فتقره بنحو تصديق أو تقرير كتحريك الرأس اظهاراً لذلك بل يلزمه أن ينكر يده ثم لسانه ثم قلبه وهذا أضعف الإيمان نسأل الله التوفيق.

﴿باب الكذب﴾

قال الله تعالى ألعنة الله على الكاذبين ﴿وأخرج﴾ أحمد والشيخان والأربعة وغيرهم عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة بلغت التواتر قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار * والشيخان عليهما بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وما يزال العبد يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا * وهما أربع من كن فيه كان منافقا خالصا

﴿باب الكذب﴾

الذي فيه ضرر وسيأتي معنى الكذب ﴿قال الله تعالى: ألعنة الله على الكاذبين:﴾ وأخرج أحمد والشيخان والأربعة وهم الترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو داود ﴿وغيرهم﴾ كمسلم والحاكم والطبراني وغيرهم ﴿عن جماعة من الصحابة﴾ مثل علي بن أبي طالب وأنس بن مالك وأبي هريرة وجابر وابن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم ﴿من طرق﴾ أي روايات كثيرة بلغت التواتر قالوا ﴿أي هؤلاء الجماعة﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ﴿قال المناوي:﴾ قال الكذب عليه ﷺ كبيرة اجتماعا حتى في التعيب والترهيب والاتفات لمن شك قلبه العزيزي.

﴿و﴾ أخرج الشيخان وأحمد والترمذي عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿عليكم بالصدق﴾ أي الزموا الأخبار بما يطابق الواقع ﴿فإن الصدق يهدي إلى البر﴾ بكسر الباء أي العمل الصالح فإن شأن من يتحرى الصدق أن يكون موافقا لعمل الخير ﴿و﴾ أن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل ﴿أي الإنسان﴾ يصدق ويتحرى الصدق ﴿أي يجتهد فيه﴾ حتى يكتب عند الله صديقا ﴿أي يكتبه في اللوح المحفوظ يشهر بين الملائكة هذا الوصف قاله الحنفى﴾ وإياكم والكذب ﴿أي احذروه﴾ فإن الكذب يهدي إلى الفجور ﴿أي الانبعاث في المعاصي﴾ ﴿و﴾ أن الفجور يهدي إلى النار وما يزال العبد يكتذب ﴿يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا﴾ أي يحكم له بذلك ويستحق الوصف والمراد اظهار ذلك لحلقه بكتابته في اللوح وبالقائه في القلوب وعلى السنة.

﴿وهما﴾ أي وأخرج الشيخان وغيرهما كأحمد وأبي داود عن ابن عمرو وابن العاص ﴿أربع﴾ أي أربع خصال أربع مبتدأ خبره ﴿من كن﴾ أي اجتمع فيه ﴿قال العلقمي:﴾ فإن قيل ظاهر حديث آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان زواه الشيخان وغيرهما يقتضي الخصر فيها فكيف جاء في هذا الحديث بلفظ أربع ؟، وأقول: ليس بين الحديثين تعارض لأنه لا يلزم من عدة الخصلة المذمومة الدالة على كمال النفاق كونها علامة على النفاق لاحتمال أن تكون العلامات الدالة على أصل النفاق والخصلة الزائدة إذا أضيفت إلى ذلك كمل بها خلوص النفاق على أن في رواية عند مسلم من علامات المنافق ثلاث وكذا عند الطبراني وإذا حمل اللفظ الأول على هذا المبرور السؤال فيكون قد أخبر بعض العلامات في وقت وبعضها في وقت آخر. وقال القرطبي والنووي: حصل من مجموع الروايتين خمس خصال لأنها تواردا على الكذب في الحديث والحجاة في الأمانة وزاد الأول الخلف في الوعد والثاني الغدر في المعاهدة والفجور في الخصومة ﴿وكان منافقا خالصا﴾ قال العلقمي أي في هذه الخصال فقط لا في غيرها أو شديد الشبه في المنافقين ووصفه بالخلوص بزيادة قول من قال إن المراد بالنفاق العملي لا الإيماني أو بالنفاق العرفي لا الشرعي لأن الخلوص بهذين المعنيين لا يستلزم الكفر الملقى بالدرك الأسفل من النار.

ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر * وأحمد وأبو الشيخ إياكم والكذب فإن الكذب بجانب للإيمان * والترمذي وأبو نعيم إذا كذب العبد كذبة تباعد عنه الملك ميلا من تن ما جاء به * والحاكم كفى بالمرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع وكفى بالمرء من الشح أن يقول آخذ حتى لا أترك منه شيئا *

قال الحنفى : قوله منافقا أى نفاق عمل بأن يخفى الصفات الذميمة غير الكفر ويظهر الصفات الجميلة كأن يظهر أنه يصلى ويصوم والحال أنه تارك لذلك باطنا ويحتمل أن المراد نفاق الكفر ومعنى خالصا حينئذ أنه لا ميل له للإسلام أصلا ويكون قصده ﷺ بذلك تنبيه أصحابه على حال المنافقين الموجودين فى زمنه ﷺ ولم يصرح بأسمائهم لعلهم بأن بعضهم سيئوب لتأليفهم أو للستر عليهم كما هو عادته ﷺ كقوله ما بال أقوام يشترطون الى آخر الحديث ولم يقل ما بال فلان أو قصد ﷺ تنبيه الأمة مطلقا بمعنى أن من وجد فيه تلك الخصلة كانت دليلا وعلامة على أنه منغوض له تعالى ﴿ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها﴾ أى الى أن يتركها ﴿إذا حدث بكذب﴾ بالتحريف أى أخبر بخلاف الواقع ﴿وإذا وعد﴾ قال المناوى : أى أخبر بخير فى المستقبل وقال العلقمى : والوعد يستعمل فى الخير والشر يقال وعدته خيرا ووعدته شرا فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا فى الخبر الوعد والعدة وفى الشر الإبعاد والوعيد قال الشاعر :
وانى إذا وعدته أو وعدته * لمخلف إعادى ومنجز موعدى

﴿أخلف﴾ أى لم يف بوعدته قال الحنفى : فإن نوى الخلف وقت الوعد حرم فإن لم ينو ولم يف لعذره فلا يلام أصلا وإن لم ينو وترك الوفاء لغير عذر فلا إثم أيضا لكنه لا ينبغي ﴿وإذا عاهد غدر﴾ أى نقض العهد وترك الوفاء فيما عاهد عليه قال الحنفى : يطلق العهد على المباينة على نصرة الاسلام وقمع الكفار وعلى الحلف على أى شيء كان ﴿وإذا خاصم فجر﴾ أى مال فى الخصومة عن الحق واقتحم الباطل قال المناوى : ومقصود الحديث الزجر عن هذه الخصال على أكد وجه وأبلغ لأنه بين أن هذه الأمور طلائع النفاق واعلامه ﴿و﴾ أخرج أحمد وأبو الشيخ فى التوبى وابن لال فى مكارم الأخلاق عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ﴿إياكم والكذب﴾ أى احذروه واجتنبوه ﴿فإن الكذب بجانب للإيمان﴾ أى مناف لكماله فهو من الذنوب الصغائر وإن لم يرتب عليه ضياع حق فإن ترتب عليه ذلك فهو كبيرة . وأخرج أبو داود وغيره كبريت خيلانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت له كاذب . وأخرج أبو يعلى والطبرانى وابن حبان فى صحيحه والبيهقى : ألا ان الكذب يسود الوجه والتميمة عذاب القبر . وأخرج الأصبهاني : بر الوالدين يزيد فى العمر والكذب ينقص الرزق والدعاء يرد القضاء .

﴿و﴾ أخرج الترمذي وقال حسن ﴿وأبو نعيم﴾ كلاهما عن ابن عمر رضى الله عنهما ﴿إذا كذب العبد﴾ الإنسان ﴿كذبة تباعد عنه الملك﴾ قال المناوى : يحتمل أن آل جنسية ويحتمل أنها عهدية والمعهود الحافظ ﴿ميلا﴾ وهو منتهى مد البصر ﴿من تن ما جاء به﴾ أى الكاذب من الكذب كبا عده من تن ماله ربح كرهة كرم بل أولى قال الحنفى : قوله من تن الخ لأن الله تعالى لما خلق التين فى الاجرام كالفانط خلقه فى المعانى وكان مالك بن دينار ﷺ يقول : لو شتم الناس تن ذنوبى كما أشتمها أنا لم يقرب منى أحد وقد ظهر تن فى مجلسه صلى الله عليه وسلم فقال : هل تدررون ذلك ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : هذا تن غيبة أغبتها شخص لصاحبه . ﴿و﴾ أخرج الحاكم فى أبي أمامة ﷺ ﴿كفى بالمرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع وكفى بالمرء من الشح﴾ أى أشد البخل ﴿أن يقول﴾ لمن له عليه دين ﴿آخذ حتى لا أترك منه شيئا﴾ فيه الحث على المسامحة فى المعاملة حيث جعل المضايقة فيها من الشح فينبغى إسقاط البعض عن الدين رفقا به

وأحمد وأبو داود ويلى للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويلى له ويلى له * وأحمد وخمس ليس لمن كفارة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت المؤمن والفرار من الزحف وعين صابرة يقطع بها مالا بغير حق * والبخاري من تحلم بحلم لم يره كف أن يعقد بين شعيرتين ولى يفعل ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة * وأحمد وابن أبي الدنيا من قال لصبي تعال هالك ثم لم يعطه فهي كذبة * وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ما اطلع على أحد من ذلك بشيء فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه أحدث توبة

﴿وخرج﴾ أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن معاوية بن حيدة ﴿ويلى﴾ أى تحسر وهلك أو واد فى جهنم للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم لأن ذلك سبب فى موت قلبهم كما قاله العنقى ﴿ويلى له ويلى له﴾ كرهه أيذا بشدة هلكه
﴿وخرج﴾ أحمد وأبو الشيخ فى التوبخ عن أبي هريرة بأستاد حسن ﴿خمس ليس لمن كفارة الشرك بالله وقتل النفس﴾ المتصومة ﴿بغير حق وبهت المؤمن﴾ أى إيقاعه فى البهتان والحيرة وفى رواية نهى ﴿والفرار من الزحف﴾ حيث لا يجوز ﴿وعين صابرة يقطع بها مالا﴾ لغيره ﴿بغير حق﴾ وهو القوم والعبد بمعنى الحس وهذا فى غير الشرك بالله محمول على الزجر والتنفير أو على من استحل

﴿وخرج﴾ البخاري وغيره ﴿من تحلم﴾ بالتشديد ﴿باحلم﴾ أى طلب الحلم بأن ادعى أنه حلم حلما أى رأى رؤيا ﴿لم يره﴾ أى ذلك الحلم يعنى أنه كاذب فى دعواه أنه رأى ذلك فى منامه ﴿كف﴾ يوم القيامة ﴿أن يعقد بين شعيرتين﴾ بكسر العين ثنية شعيرة ﴿ولن يفعل﴾ أى لن يعقد بينهما كما فى رواية وذلك ليطول عذابه لأن عقد طرفى الشعيرة مستحيل قال الطبراني وبقوله العلقمى : إنما اشتد الوعيد على الكذب فى المنام مع أن الكذب فى اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه إذ قد يكون شهادة فى قتل أو حيا أو أخذ مال لأن الكذب فى المنام كذب على الله أنه أراه ما لم يره والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين وإنما كان الكذب فى المنام كذبا على الله لحديث الرؤيا جزء من النبوة وما كان من أجزاء النبوة فهو كذب على الله تعالى ﴿ومن استمع﴾ أى أصغى إلى حديث قوم وهم له كارهون أى يكرهون سماعه حديثهم فيحرم ما لم يكن مراده بالاستماع إزالة منكر ﴿صب﴾ بضم المهملة وتشديد الموحدة ﴿فى أذنيه الآنك يوم القيامة﴾ قال العلقمى : هذا جزء من جنس العمل والآنك بالمد وضم النون بعدها كاف الرصاص المذاب . وقيل هو خالص الرصاص الأبيض . وقيل الأسود والآنك وزنه أفعل ولم يحج مفرد على هذا البناء الا هذا اللفظ وأشد وقيل وزن الآنك فاعل لأنفعل قال المناوى والجملة اخبار أو دعاء مكذا ذكره العزيزى .

﴿وخرج﴾ أحمد وابن أبي الدنيا عن الزهرى عن أبي هريرة رضى الله عنه ولم يسمع منه عن رسول الله ﷺ أنه قال : ﴿من قال لصبي تعال هالك﴾ أى خذ ﴿ثم لم يعطه فهي﴾ أى تلك المقالة ﴿كذبة﴾ وقال عبد الله بن عامر : جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبي صغير فقالت أمى يا عبد الله تعال حتى أعطيك فقال ﷺ : وماذا أردت أن تعطيه قالت : تمرا فقال : اما لك لوم فعلى لكبت عليك كذبة رواه أبو داود والبيهقى . ﴿وخرج﴾ أحمد وابن حبان والبخاري واللفظ له ﴿عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ما اطلع على أحد من ذلك﴾ الكذب ﴿بشيء فيخرج من قلبه﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿حتى يعلم أنه﴾ أى الكاذب ﴿أحدث توبة﴾ ولفظ ابن حبان فى صحيحه عنها قالت : ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب ولقد كان الرجل يكذب عنده الكذبة فما يزال فى نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث فيها توبة .

﴿وحكى﴾ الياضي عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن مقاتل قال كنت عند الشيخ عبد القادر رحمه الله وتبعنا به فسأله سائل علام بنيت أمرك قال على الصدق وما كذبت قط قال رضي الله عنه كنت صغيرا في بلادنا فخرجت في يوم عرفة وتبعته بقرة خراثة فالتفت إلى بقرة وقالت يا عبد القادر ما لهذا خلقت وما بهذا أمرت فرجعت فرعا إلى دارنا وصعدت سطح الدار فرأيت الناس واقفين بعرفات فجلت إلى أمي فقلت لها هيني الله عز وجل واندني لي في المسير إلى بغداد أشغل بالعلم وأزور الصالحين فسألني عن سبب ذلك فأخبرتها بخبري فبككت أمي وقامت إلى ثمانين دينارا أورثها أبي فتركت لأخي أربعين دينارا وحاطت في دلقي تحت إبطي أربعين دينارا وأذنت لي بالمسير وعاهدتني على الصدق في كل أحوالي وخرجت مودعا وقالت ولدي اذهب قد ودعك الله عز وجل فهذا وجه لا أراه إلى يوم القيامة وسرت مع قافلة صغيرة تطلب بغداد فلما تجاوزنا همدان وكنا بأرض كذا وكذا بلاد سماها خرج علينا ستون فارسا فأخذوا القافلة ولم يعرض لي أحدهم فأجاز بي أحدهم وقال لي يا فقير ما معك فقلت له أربعون دينارا فقال

وأخرج الحاكم وصححه عنها قالت : ما كان شيء أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب وما جربه رسول الله ﷺ من أحد وإن قل فيخرج له من نفسه حتى يجد له توبة .

﴿وحكى﴾ الشيخ أبو محمد الياضي عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن مقاتل قال : كنت عند الشيخ عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست الجيلاني رحمه الله وتبعناه فسأله سائل ﴿وهو الشيخ محمد بن قائد الاوانى رحمه الله تعالى كفاي القلاد﴾ علام ﴿أني على أي شيء﴾ بنيت أمرك ؟ قال : ﴿بنيت أمرى﴾ على الصدق وما كذبت قط ﴿ثم﴾ قال رضي الله عنه : كنت صغيرا في بلادنا فخرجت إلى السواد ﴿في يوم عرفة﴾ وهو تاسع ذي الحجة ﴿وتبعته بقرة خراثة فالتفت إلى بقرة وقالت : يا عبد القادر ما لهذا خلقت وما بهذا أمرت﴾ وهذا من جملة كراماته رضي الله عنه ﴿فرجعت فرعا إلى دارنا وصعدت سطح الدار﴾ أي إلى سطحها ﴿فرأيت الناس واقفين بعرفات فجلت إلى أمي﴾ وهي أم الخير فاطمة بنت الشيخ عبد الله الصومعي الحسين الزاهد من جملة مشايخ جيلان وزوساء زهادهم وكان لها حظ وافر من الخير والصلاح نقل عنها أنها كانت تقول لما وضعت ابني عبد القادر كان لا يرضع ثديه في نهار رمضان وغم على الناس هلال رمضان فأتوني عنه فقلت لهم لم يلتم اليوم ثديا ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان واشتهر ذلك ببلاد جيلان أنه ولد للأشراف ولد لا يرضع في نهار رمضان وقيل أن أمه حملت به وهي بنت ستين سنة ويقال لا تحمل لستين سنة الأقرب شهية ولا تحمل الخمسين الأعربية ﴿فقلت لها هيني الله عز وجل واندني لي في المسير إلى بغداد﴾ بلد معروف ﴿أشغل بالعلم﴾ أي بطلبه ﴿وأزور الصالحين فسألني عن سبب ذلك﴾ ما أريده مما ذكر ﴿فأخبرتها بخبري فبككت أمي وقامت إلى ثمانين دينارا أورثها أبي فتركت لأخي أربعين دينارا وحاطت في دلقي﴾ وهو كم القميص كما أفاده بعض الشيخ ﴿تحت إبطي أربعين دينارا وأذنت لي بالمسير وعاهدتني على الصدق في كل أحوالي وخرجت مودعا وقالت : ولدي اذهب قد ودعك الله عز وجل﴾ وفي القلاد : خرجت مودعا لي وقالت : يا ولدي اذهب فقد خرجت عنك الله عز وجل ﴿فهذا وجه لا أراه إلى يوم القيامة وسرت مع قافلة صغيرة تطلب بغداد فلما تجاوزنا همدان﴾ بفتح الميم بلد من عراق العجم قال ابن الكلبي : سمي باسم بانيه همدان بن الفلوح بن سام بن نوح ﴿وكنا بأرض كذا وكذا بلاد سماها﴾ وعبارة القلاد وكان بأرض ريك ﴿خرج علينا ستون فارسا فأخذوا القافلة ولم يعرض لي أحدهم فأجاز بي﴾ أي أمر ﴿بي أحدهم وقال لي : يا فقير ما معك ؟ فقلت له : أربعون دينارا فقال﴾ ذلك الأحد

وأن هي قلت مخاطبة في دلي تحت إبطي وظن أني استهزأت به فتركي وانصرف ومربي آخر وقل مثل ما قال الأول فأجبه بجواب الأول وتركي وانصرف وتواليا عند مقدمهم فأخبراه بما سمعاه مني فقال على به فأتى بي إليه وإذا هم على تل يقسمون أموال القافلة فقالوا لي ما معك فقلت لهم أربعون دينارا فقالوا وأن هي قلت مخاطبة في دلي تحت إبطي فأمر بدلي ففتح فوجد فيه الأربعين دينارا فقال لي ما حملك على الاعتراف قلت إن أمي عاهدتني على الصدق وأنا لا أخون عهدا فبكى المقدم وقال أنت لا تخن عهد أمك وأنا لي كذا وكذا سنة أخون عهد ربي فتاب على يدي فقال أصحابه له أنت كمت مقدمنا في قطع الطريق وأنت الآن مقدمنا في التوبة فتابوا كلهم على يدي وردوا على القافلة ما أخذوا منهم فهو أول من تاب على يدي فنعنا الله بركه وحشرنا في زمرة ﴿تبيينه﴾ الكذب عند أهل السنة هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء أعلم ذلك وتعمد أم لا وأما العلم والتعمد فأنما هما شرطان للإثم والاعتقاد بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء أعلم ذلك وتعمد أم لا وأما العلم والتعمد فأنما هما شرطان للإثم

﴿وأن هي ؟ قلت : مخاطبة في دلي تحت إبطي وظن أني استهزأت به فتركي وانصرف ومربي آخر وقال مثل ما قال الأول فأجبه بجواب الأول وتركي وانصرف وتواليا عند مقدمهم فأخبراه بما سمعاه مني فقال ﴿المقدم ﴿على﴾ أي انتنى ﴿به﴾ أي بذلك الفقير ﴿فأتى بي إليه وإذا هم على تل يقسمون﴾ بينهم ﴿أموال القافلة فقالوا لي : ما معك ؟ فقلت لهم﴾ معنى ﴿أربعون دينارا فقالوا : وأن هي ؟ فقلت : مخاطبة في دلي تحت إبطي فأمر بدلي ففتح فوجد فيه أربعون دينارا فقال﴾ ذلك المقدم ﴿لي : ما حملك على الاعتراف ؟ قلت : إن أمي عاهدتني على الصدق﴾ في كل أحوال ﴿وأنا لا أخون عهدا فبكى المقدم وقال : أنت لا تخن عهد أمك وأنا لي كذا وكذا سنة أخون عهد ربي فتاب﴾ المقدم ﴿على يدي فقال أصحابه له : أنت كمت مقدمنا في قطع الطريق وأنت الآن﴾ أي في زمان الحاضر ﴿مقدمنا في التوبة فتابوا﴾ أي هؤلاء القطاع ﴿كلهم على يدي وردوا على القافلة ما أخذوا منهم فهو﴾ وفي القائله فهم ﴿أول من تاب على يدي فنعنا الله بركه وحشرنا﴾ أي جمعنا ﴿في زمرة﴾ أي في جماعة آمين يا رب العالمين .

* تبيينه * ﴿الكذب عند أهل السنة هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء أعلم ذلك وتعمد﴾ . ﴿أم لا وأما العلم والتعمد فأنما هما شرطان للإثم﴾ وأما المعزلة فقيده بالعلم به فعلى مذهب أهل السنة من أخبر بشيء على خلاف ما هو عليه وهو يظنه كذلك فهو كاذب فليس باثم فيقيد كونه صغيرة أو كبيرة بالعلم والعلم وحينئذ فلا فرق بين قليله وكثيره كما صرح به الشافعي في الرسالة لكن الكذبة الواحدة الخالية عن الحد والضرر لا توجب الفسق كما صرح به الشيخان في باب الرهن ولهذا لو تخاصم في شيء ثم شهدا في حادثة قبلت شهادتهما وإن كان أحدهما كاذبا في ذلك التخاصم ذكره الرافعي هناك في أثناء تعليل وحل ذلك أن خلت عن الضرر والحد فقد قال الأذرعى : قد تكون الكذبة الواحدة كبيرة وذكر في البحر حديثا مرسلاته عنه بطل شهادة رجل في كذبة كذبها .

﴿واعلم انه﴾ أي الكذب ﴿قد يباح وقد يجب﴾ قال أبو بكر بن الأنباري ونقله الزبيدي : الكذب ينقسم إلى خمسة أقسام أحدها تعبير الحاكم ما يسمع بقوله لا يعلم نقله ورواية ، وهذا القسم هو الذي يؤثم ويهضم المروءة . والثاني هو أن يقول قولا يشبه الكذب والمنكلم به لا يقصد الإلحاق ومنه الخبر كذب أبي ثلاث كذبات في قوله : انى سقيم ، وفي قوله : بل فعله كبيرهم هذا ، وفي قوله : سارة أختي قاتول هذا القول أى قال قولا يشبه الكذب وهو صادق في الكلمات الثلاث يقال كذب بمعنى أخطأ . والرابع يقال كذب الرجل بمعنى بطل أمره ومارجاه ومنه قول الشاعر :

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها * مغالبة نادام للسيف قائم

فالقابط أن كل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب وحده
فمباح إن أيج تحصيل ذلك المقصود وواجب إن وجب تحصيل ذلك كما لو رأى معصوما اختفى من ظالم يريد قتله أو إيذائه فالكذب هنا
واجب لو جوب عصمة دم المعصوم وكذا لو سأل ظالم عن ودعة يريد أخذها فيجب إنكارها وإن كذب بل لو استخلف جاز له الحلف
ويورى والا حث ولزمه الكفارة وقيل يلزم الحلف ومهما كان لا يتم مقصود حرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه أو
إرضاء زوجته إلا بالكذب فيه

أى كذبكم أم لكم وتطل قد يركم . والخامس يطلق الكذب ويراد به الاعزاء ومطالبة المخاطب بلزوم الشيء المذكور فغلب المضاف إليه
على المضاف . قال عمر رضى الله عنه : كذب عليكم الحج معناه الزموا الحج .

﴿فالقابط﴾ كما قاله الغزالي وغيره ﴿أن كل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه
حرام﴾ قولا واحدا ﴿وإن أمكن التوصل إليه بالكذب وحده﴾ دون الصدق ﴿والكذب فيه حينئذ مباح﴾ إن أيج تحصيل ذلك
المقصود وواجب إن وجب تحصيل ذلك المقصود ﴿كما لو رأى معصوما اختفى من ظالم يريد قتله أو إيذائه﴾ أو أخذ ماله أو هلك
عرضه وكذا فى الشتر على عورة أخيه إذا سئل ﴿فالكذب هنا واجب لو جوب عصمة دم المعصوم﴾ وكذا عصمة ماله وعرضه ويدل
على ذلك ما أخرجه ابن أبى الدنيا فقال : حدثنا أحمد بن منيع حدثنا ابن علية عن سوار بن عبد الله قال نبئت أن ميمون بن مهران قال
وعنده رجل من قراء أهل الشام أن الكذب فى بعض المواطن خير من الصدق فقال الشامي لا الصدق فى كل موطن خير قال أريت لو
رأيت رجلا يسعى وآخر تبعه بالسيف فدخل دارا فاتمى اليك فقال : رأيت الرجل ما كنت قائلا قال : كنت أقول لا ، فقال : فهو ذاك
﴿وكذا﴾ يجب الكذب ﴿لو سأل ظالم عن ودعة يريد أخذها فيجب إنكارها وإن كذب بل لو استخلف﴾ الظالم ﴿جاز له الحلف﴾
على الإنكار ﴿ويورى﴾ أى يأتى بالتورية فى حلفه وذلك بأن يقصد غير ما يحلف عليه كأن يقصد بالثوب فى قوله : والله ما عندى ثوب
الرجوع من ثاب إذا رجع وبالقميص فى قوله : ما عندى قميص غشاء القلب وهى واجبة عليه تخليصا من الكذب إن أمكنه
وعرفها والأفلا أقاده بعض الحقيقين ﴿والا﴾ أى وإن لم يأت بالتورية ﴿حنت ولزمه الكفارة وقيل يلزم الحلف﴾ وهذا ضعيف والأصح عدم
وجوبه قاله ابن حجر ، وإذا لم ينكر تلك الودعة ولم يمتنع من اعلام الظالم بها جهده ضمن إذا أخذها منه لأنه تسبب فى ضياعها ﴿ومهما
كان﴾ أى الحال والشأن ﴿لا يتم مقصود حرب﴾ مع العدو ﴿أو لا يتم إصلاح ذات البين﴾ أى الحالة الواقعة بين القوم من الفتنة
والخصومة ﴿أو استمالة قلب المجنى عليه أو إرضاء زوجته إلا بالكذب فيه﴾ أى فيما ذكر أى فالكذب حينئذ مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز
عنه ما أمكنه لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يداعى ويتسبب إلى ما يستغنى عنه وإلى ما يقتصر على حد الضرورة فكان
الكذب حراما فى الأصل الا لضرورة عارضة ،

فالذي يدل على الاستثناء والاحراج عن حد الحرمة ما روى عن أم كلثوم قالت : ما سمعت رسول الله ﷺ يبرخص فى شيء من
الكذب الا فى ثلاث مواطن الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يقول القول فى الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها
رواه مسلم وغيره وقالت أيضا قال رسول الله ﷺ : ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال : خيرا أو نبى خيرا بتحفيف الميم وتشديد ها أى
رفع خيرا رواه أحمد وغيره . وقالت أسماء بنت يزيد : إن رسول الله ﷺ قال : كل الكذب يكذب على ابن آدم الا ثلاث خصال رجل
كذب على امرأته ليرضيها أو رجل كذب فى خديعة حرب أو رجل كذب بين امرأتين مسلمين ليصلح بينهما رواه أحمد وهو عند الترمذي

فمباح. ولو سأله السلطان عن فاحشة وقعت منه سرا كرتا أو شرب خمر فله أن يكذب ويقول ما فعلت ذلك وله أن ينكر أيضا سر أخيه
وحيث جاز الكذب فهل يشترط التورية أو يجوز مطلقا قال شيخنا ابن حجر والذي يتجه عدم وجوب التورية مطلقا * قال الغزالي
والأحسن أن يورى وهي أن يطلق لفظا وهو ظاهر في معنى وهو يريد معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ كما قال النخعي إذا بلغ إنسانا عنك
شيء قلته فقل الله يعلم ما فعلت من ذلك من شيء يفهم السامع النفي ومقصوده بما أنها بمعنى الذي

مختصرا وحسنه وعن النواص بن سميان الكلابي قال: قال رسول الله ﷺ: ما لي أراكم تهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل
الكذب يكتب على ابن آدم لاحالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شخنة فيصلح بينهما أو يحدث
امرأته يرضيها رواء أبو بكر بن لال في منكرهم الأخلاق فهذه الحصال الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها له حكمها
في أن يستثنى من التحريم إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره من أخوانه المسلمين ﴿فمباح﴾.

﴿ولو سأله السلطان عن فاحشة وقعت منه سرا كرتا أو شرب خمر فله أن يكذب ويقول ما فعلت ذلك﴾ أي ما ذكره من
الفاحشة بأن يقول ما زنت ولا شربت. قال رسول الله ﷺ: من ارتكب شيئا من هذه القاذورات جمع قاذورة وهي كل قول أو فعل
يستقش ويسقيج وقيل المراد هنا الفاحشة فليستر بستر الله ولتب إلى الله فانه من يبدلنا صفحته نقم عليه كتاب الله رواء الحاكم من
حديث ابن عمر وذلك لأن اظهار الفاحشة فاحشة أخرى بل أعظم من الأولى فللرجل أن يحفظ دمه عن السفك وماله عن السلب الذي
يؤخذ ظلما وعدوانا وعرضه عن الحيك بلسانه وإن كان كاذبا في قوله ﴿وله أن ينكر أيضا﴾ أي كما انكر ما تقدم من الفاحشة ﴿سر
أخيه﴾ إذا سئل عنه ولا يقر ولا ينفيه. قال الغزالي بعد ذكر ذلك: ينبغي أن يقابل مفسدة الكذب بالمفسدة المترتبة على الصدق فإن
كانت مفسدة الصدق أشد فله الكذب وإن كان بالعكس أو شك حرم الكذب وإن تعلق بنفسه استحباب أن لا يكذب وإن تعلق بغيره لم
يجز المسامحة لحق غيره والجزم تركه حيث أبيع وليس من الكذب المحرم ما اعتيد من المبالغة كجسك ألف مرة لأن المراد تفهيم المبالغة لا
المرات فإن لم يكن جاء الأمر واحدة فهو كاذب انتهى ملخصا. قال العلامة ابن حجر وما قاله في المبالغة يدل له الخبر الصحيح أما أبو
جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه ومعلوم انه يضعها كثيرا قال الزركشي في الخادم ﴿وحيث جاز الكذب فهل يشترط التورية أو يجوز
مطلقا﴾ من غير تورية يتجه تخريج خلاف فيه مما إذا أكره على الطلاق وقدر على التورية هل يشترط أن ينوي غيره؟، والأصح لا،
ويحمل غيره لأن ذلك يرجع إلى النية وحدها وهذا يرجع إلى اللفظ أي أن المباح هل هو التصريح أو التعريض فإن في المعارض مندوحة
عن الكذب انتهى كلام الخادم ﴿قال شيخنا﴾ العلامة ﴿ابن حجر﴾ الهيمى رحمه الله تعالى ﴿والذي يتجه عدم وجوب التورية
مطلقا﴾ لأن العذر الجوز للكذب جواز لترك التورية لما فيها من الحرج. ﴿قال﴾ الإمام أبو حامد ﴿الغزالي﴾ رحمه الله تعالى مصرحا
بما قدمته عنه ﴿والأحسن أن يورى وهي أن يطلق لفظا وهو ظاهر في معنى وهو يريد معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ﴾ لكنه خلاف
ظاهره ﴿كما قال﴾ إبراهيم ﴿النخعي﴾ رحمه الله تعالى ﴿إذا بلغ إنسانا عنك شيء قلته﴾ فكرمت أن تكذب ﴿فقل الله يعلم ما فعلت
من ذلك من شيء يفهم السامع النفي﴾ فيكون قوله ما حرف نفى عند المستمع فيفهم من قوله انه لم يقله ﴿ومقصوده﴾ أي القائل ﴿بما أنها﴾
أما موصولة ﴿بمعنى الذي﴾ أو استفهامية وفي كل منهما الإيهام وكذا لو قال: الله يعلم ما قلته وهو أخصر من الأول. وكان إبراهيم
النخعي إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار قال للجارية: قولي له اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس هنا كيلا يكون كذبا. وكان
عامر الشعبي إذا طلب في البيت وهو يكره أن يخرج إليه ويقول للجارية: صفني أصبعك فيها وقولي ليس هنا.

وهو مباح إن دعت إليه حاجة ولا فمكروه وحرام إن توصل به إلى باطل أو دفع حق * قال الشافعي رحمه الله ومن الكذب الخفي أن يروي الإنسان خبراً عن لا يعرف صدقه من كذبه حشرنا الله في زمرة الصديقين وأوليائه المقربين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وفي رواية كان يخط بأصبعه دائرة في الحائط ويقول : قل له ما هو في الدار ويريد به جمع دائرة من ذلك قول سعيد بن جبير حين أراد الحجاج قتله وقد قال له : ما تقول في قال : قاسط عادل فقال الحاضرون : ما أحسن ما قال ظنوا أنه وصفه بالقسط والعدل قال الحجاج : يا جهلة سماني مشركاً ظالماً ثم تلا : وأما القاسطون الآية وقوله ثم الذين كفروا ببرهم يعدلون . وقصد رجل باب المأمون فقال : قولوا أحمد النبي بالباب فاستحضره وهدده فقال : أنا أحمد النبي أنت لا تحمده فضحك وقضى حاجته . ومن أحسن المعارض ما رواه الحسن بن سفيان والديلمي من حديث أبي هريرة قال : ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ناقة أبي بكر وقال : يا أبا بكر ول الناس غنى فانه لا ينبغي للنبي أن يكذب فجعل الناس يسألونه من أنت ؟ قال : ناع يستنى قالوا : ومن وراءك ؟ قال : ماء يهديني ﴿ وهو ﴾ أي المذكور من التورية ﴿ مباح ﴾ إن دعت إليه حاجة والآن ؟ أي وإن لم تدع إليه حاجة ﴿ فمكروه وحرام إن توصل به إلى باطل أو دفع حق . قال الشافعي رضي الله عنه ﴾ في الرسالة ﴿ ومن الكذب ﴾ الكذب ﴿ الخفي ﴾ وهو ﴿ أن يروي الإنسان خبراً عن لا يعرف صدقه من كذبه ﴾ قال الصيوفي شارحها : لأن النفس تسكن إلى خبر الشقة فيصدق في حديثه ويكون ذلك الخبر كاذباً فيكون شريكاً له في الكذاب قال : وتظيره الرياء الشرك الخفي انتهى هكذا ذكره في الزوج ﴿ حشرنا الله في زمرة الصديقين وأوليائه المقربين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ آمين يارب العالمين .

* ثمة * الاستعارة مرتبة من هذا القسم من الكذب في المبالغة ولكنها ليست يكذب فإن علماء البيان قد حققوا ذلك بالبرهان وقالوا : الاستعارة تفارق الكذب من وجهين أحدهما البناء على التأويل وثانيهما نصب الدليل من القرينة على إرادة خلاف الظاهر نحو : رأيت أسداً في الحمام ولكن عليك الاحتياط في مثل هذا الكلام قاله الزبيدي والله أعلم .

﴿باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر﴾

قال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر * قال الغزالي أفهمت الآية أن من هجرهما خرج من المؤمنين * وقال القرطبي جعلهما الله فرقا بين المؤمنين والمنافقين * وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان *

﴿باب وجوب الأمر بالمعروف﴾

وهو ما قبله العقل ووافقه كرم الطبع ﴿والنهي عن المنكر﴾ وهو ما ليس فيه رضا الله تعالى من قول أو فعل . والدليل على وجوب ذلك بعد اجماع الأمة عليه اشارات العقول السليمة آيات القرآنية والأخبار النبوية والآثار المنقولة عن الأصحاب والأئمة ومن بعدهم . أما الآيات فقد قال الله تعالى : ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أولئك هم المفلحون ففي هذه الآية بيان الإيجاب فإن قوله تعالى ولكن أمر ظاهره الإيجاب كما هو المتبادر من صيغ الأمر المؤكدة باللام وفيها بيان أن الفلاح منوط به اذ خص وقال : وأولئك هم المفلحون أي لاغيرهم وفيها بيان أن الأمر بالمعروف فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا قام به الأمة سقط الفرض عن الآخرين الذين يقوموا إذ لم يقل كونوا كلكم أمروا بالمعروف بل قال ولكن منكم أمة ومن للتبعض فاذن مهما قام به واحد من القوم أو جماعة منهم سقط الحرج عن الآخرين واخص الفلاح بالقائمين به المباشرين له بتنفيذه واجرائه وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون فلم يعم به أحد منهم عم الحرج كافة القادرين عليه لا بحالة . وقال تعالى : ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين . فلم يشهد لهم بالصالح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿قال الله تعالى : والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ قال الإمام الغزالي : أفهمت هذه ﴿الآية أن من هجرهما﴾ أي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿خرج من﴾ هؤلاء ﴿المؤمنين﴾ المنعوتين في هذه ﴿وقال القرطبي : جعلهما الله فرقا بين المؤمنين والمنافقين﴾ وقال عز وجل : وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان . فترك الإنكار تعاون على الأثم وقال تعالى : لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . وهذا غاية التشديد ونهاية التهديد إذ علق استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر . وقال تعالى : تأمرون الناس بالبر وتسنون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون . وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبرمقا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون إلى غير ذلك . ﴿وقال القرطبي : أما الأخبار فمنها ما﴾ أخرج مسلم ﴿والطبراني وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وغيرهم﴾ عن أبي سعيد الخدري ﴿رضي الله عنه﴾ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى من رأى علم ﴿منكم﴾ معشر المسلمين ﴿منكرا﴾ أي شيئا قبحه الشرع فعلا أو قولا ﴿فليغيره بيده﴾ وجوبا إن استطاع ﴿فإن لم يستطع﴾ فليغيره بيده ﴿فبلسانه﴾ أي فليغيره بلسانه كاستهانة وتوبيخ ﴿فإن لم يستطع﴾ فليغيره بلسانه بأن خاف ضررا ﴿فبقلبه﴾ أي فالواجب إنكاره بقلبه بأن يكبره به ويعزم على تغييره إن قدر ﴿وذلك﴾ أي الإنكار بالقلب ﴿أضعف الإيمان﴾ قال المناوي : أي خصاله فالمراد به الإسلام أو آثاره وثمراته وذلك لأن هذا التغيير ليس من الإيمان الذي هو التصديق القلبي .

والبزار الإسلام ثمانية أسهم الإسلام أي الشهادة ثمان سهم والصلاة سهم والزكاة سهم والصوم سهم وحج البيت سهم والأمر بالمعروف سهم
والنهي عن المنكر سهم والجهاد في سبيل الله سهم وقد خاب من لا سهم له * والأصهباني لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها وترد عنهم
العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها قالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها قال يظهر العمل بمعاصي الله فلا ينكر ولا يغير * وهو أيضا
أيها الناس مروا بالمعروف وانها عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل أن تستغفروا فلا يغفر لكم إن الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر لا يدفع رزقا ولا يقرب أجلا والأخبار من اليهود والرهبان من التصاري لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله
على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء * وأبو داود والترمذي أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر * ورزين إن الرجل يتعلق بالرجل
يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول له مالك إلي وما بيني وبينك معرفة فيقول كنت تراني على الخطأ والمنكر ولا تنهاني * والشيخان

﴿و﴾ منها ما أخرج ﴿البزار﴾: الإسلام ثمانية أسهم الإسلام في الشهادة ثمان سهم والصلاة سهم والزكاة سهم والصوم سهم وحج البيت
سهم والأمر بالمعروف سهم والنهي عن المنكر سهم والجهاد في سبيل الله ﴿أي لأعلاء دينه﴾ سهم وقد خاب ﴿من لا سهم له﴾.
﴿و﴾ منها ما أخرجه ﴿الأصهباني﴾ لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها قالوا: يا رسول الله وما
الاستخفاف بحقها؟ قال ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ يظهر العمل بمعاصي الله فلا ينكر ولا يغير. ﴿و﴾ من ذلك ما أخرج ﴿هو﴾ أي
أصهباني ﴿أيضا﴾ أي كما تقدم ﴿أيها الناس مروا بالمعروف وانها عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم وقبل أن تستغفروا فلا
يغفر لكم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع رزقا ولا يقرب أجلا﴾ وهو مدة حلول الموت ﴿والأخبار من اليهود والرهبان من
التصاري لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء﴾. وأخرج أبو داود: إذا عملت الخطيئة
في الأرض كان من شهدها وكرهها وفي رواية فأنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها. وأخرج ابن أبي
الدنيا من حديث أبي هريرة: من حضر معصية فكرها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنما حضرها ومعنى هذا الحديث
كما قاله الغزالي: أن يحضر لحاجة داعية أو يتق جرم أن يكون له علم بذلك فأما الحضور قصدا فممنوع. ﴿و﴾
أخرج ﴿أبو داود والترمذي﴾ وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري والطبراني والبيهقي عن أبي أمامة وأحمد والنسائي عن طارق بن
شهاب ﴿أفضل الجهاد﴾ أي أفضله بدليل رواية الترمذي: من أعظم الجهاد والمراد به المعنى اللغوي وهو ارتكاب المشاق إذا الجهاد شرعا
قال الكفار ﴿كلمة حق﴾ بالإضافة ودونها والمراد بالكلمة ما أفاد أنها بالمعروف وأنها عن المنكر من لفظ أو في معناه ككتابة ونحوها
﴿عند سلطان جائر﴾ أي ظالم وإنما كان ذلك أفضل الجهاد لأن من جاهد العدو كان مترددا بين رجاء وخوف لا يدري هل يغلب
أو يغلب وصاحب السلطان مقهور في يده فهو إذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلقي وأهدف نفسه للهلاك فصار ذلك أفضل
أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف.

﴿و﴾ أخرج ﴿رزين﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كما نسمع ﴿إن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه﴾ في
الدنيا ﴿فيقول له: مالك﴾ أي أي شيء لك؟ ﴿إني﴾ أي نتج عني واذهب ﴿وما بيني وبينك معرفة فيقول﴾ الرجل الذي يتعلق ﴿كنت
تراني على الخطأ و﴾ على ﴿المنكر ولا تنهاني﴾. ﴿و﴾ أخرج ﴿الشيخان﴾ عن أبي سعيد: إياكم والجلوس بالطرقات قالوا:
يا رسول الله ما لنا بد من مجالستنا تحدث فيها، قال: فإذا أيسم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا: وما حقه؟ قال: غض البصر وكف
الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون يا فلان ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول قد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه * واليهمني أوحى الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها فقال يا رب إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين فقال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتغير في ساعة قط

وأخرج الشيخان عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه﴾ وفي رواية أفتاب بطنه أي تخرج أمعاؤه واحد ما قتب بكسر القاف ﴿فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: يا فلان ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول: ﴿بلى﴾ قد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه﴾ واني سمعته يعنى النبي ﷺ يقول: مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاهم بمقاريض من نار قلت: من هؤلاء يا جبريل قال: خطباء أمك الذين يقولون ما لا يفعلون . وأخرج ابن أبي الدنيا وابن حبان في صحيحه واللفظ له واليهمني: رأيت أسري بي رجلا لا تقرض شفاهم بمقاريض من نار قلت: من هؤلاء يا جبريل فقال: الخطباء أمك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يملكون الكتاب أفلا يعلمون زاد ابن أبي الدنيا في رواية كلما قرضت عادت ، وفي أخرى لليهمني ويقرؤن كتاب الله ولا يعملون به وأخرج ابن حبان في صحيحه: يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع في عينه .

﴿و﴾ أخرج الطبراني في الأسطو ﴿اليهمني﴾ في الشعبي وضعفه العزاقى وقال المحفوظ من قول مالك بن دينار ﴿أوحى الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها﴾ أي معهم ﴿فقال: يا رب إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين فقال﴾ عز وجل ﴿اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتغير في﴾ أي لم يتغير غضبا لأجل ﴿ساعة قط﴾ في القانوس ومعوجه غيره غيظا فتمعرو به معرة بالضم للون يضرب إلى الحمرة والمعمور المقطب غضبا . وأخرج أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والنسائي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس انكم تقرؤن هذه الآية: يا أيها الذين آمنوا لا يضركم من ضل إذا اهتديتم واني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا به يديه أو شكوا فيهم الله بعقاب من عنده . ولفظ النسائي: اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان الناس أو القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عهم الله بعقاب وفي رواية لأبي داود: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدر من على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا أن يوشك أن يعهم الله بعقاب . قال ابن حجر: ومن أفتج البدع ان بعض الجهلية إذا أمر بالمعروف أو نهى عن منكر يقول قال الله تعالى: عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم . وما علم الجاهل بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ان من فعل ذلك أرفأ ثم معصيته بآثم تغييره القرآن برأيه وهو من الكبائر وانما معنى الآية عليكم أنفسكم بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه ابن المسيب وفيها أقوال أخرى . وقال أبو عبيدة ليس لنا آية جمعت بين الناسخ والمنسوخ سواها . وقال غيره: الناسخ إذا اهتديتم إذا هدى هنا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأما الآثار فمنها ما قد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لتأمرن بالمعروف وتنهين عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجلكم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتصورون فلا تتصرون وتستغفرون فلا يغفروا لكم . وسئل حذيفة رضي الله عنه عن ميت الأحياء فقال: الذي لا ينكر المنكر يده ولا يلسانه ولا بقلبه . وقال بلال بن سعد: ان المعصية إذا أخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا علنت ولم تغير اضرت بالعامه . وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يأتي الغنم ثم قد عندهم أي ترك الدخول عليهم

﴿تنبيه﴾ اعلم أن الأمر بواجبات الشرع والنهي عن محرماته واجب على كل مكلف من حُرِّ وقَرَنَ وذكر وأُنْثَى ولو غير مسموع القول وجوب كفاية وقد يكون فرض عين كما إذا كان بمحل لا يعلمه غيره أو لا يقدر عليه غيره وأنه ينكر باليد ثم إن عجزاً فباللسان.

ف قيل له : لو أتيتهم فلعلمهم يحدون في أنفسهم تأثيراً لكلامك ، فقال : أَرَب ان تكلمت ان يروا ان الذي بي غير الذي بي وان سكت رهنبت ان آثم . وهذا يدل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فعليه أن يبعد عن ذلك الموضع ليستريح عنه حتى لا يجري بمشهد منه . وقال سهل بن عبد الله : أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتكررها ، وتشوش الزمان فهو بمن قام الله تعالى في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية في حقّه . وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله تعالى : ألا تأمر وتنهى فقال : ان قوماً أمروا ونهوا فكفروا وذلك انهم لم يبصروا على ما أصابوا . وقيل لسفيان الثوري رحمه الله تعالى : ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال : إذا نبتق البحر رأى حاجاً واشتد هيجانه فمن يقدر أن يسكنه . فقد ظهر بهذه الأدلة من الكتاب والسنة والآثار أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على المسلمين وان فرضه لا يسقط مع القدرة الأبقام قائم به كما أشار إليه المصنف بقوله :

﴿تنبيه﴾ ﴿اعلم أن﴾ المراد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿الأمر بواجبات الشرع والنهي عن محرماته﴾ كما قاله الشيخان وهذا ﴿واجب على كل مكلف﴾ أي بالغ عاقل ﴿من حُرِّ وقَرَنَ وذكر وأُنْثَى ولو غير مسموع القول﴾ ومحل وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن لا يخاف متعاطيهما على نفسه أو ماله أو عضوه أو بضعه أو مفسدة أكثر من مفسدة المنكر الواقع أو يغلب على ظنه أن المرتكب يزيد فيما هو فيه عبادة فان فقد شرط من ذلك سقط الوجوب ولا يختص ذلك بمسموع القول بل يجب على من ذكر أن يأمر وينهى وان علم بالعادة أنه لا يقدر لعموم الخبر ولا يشترط فيه أن يكون ممثلاً بما أمر به محتجباً ما ينهى عنه بل عليه أن يأمر وينهى نفسه وغيره فان اختل أحدهما لم يسقط الآخر فاذا فعله ولم يمثل المخاطب فلا عيب بعد ذلك على الفاعل لكونه أدى ما عليه وانما عليه الأمر والنهي لا القبول ولكن كان وجوبه ﴿وجوب كفاية وقد يكون فرض عين﴾ وذلك ﴿كما إذا كان بمحل لا يعلمه غيره أو لا يقدر عليه غيره﴾ ثم فرض الكفاية كما تقدم هو الذي إذا قام به واحد حاز ثوابه واسقط الحرج عن الباقي ومن ثم قال جمع : أنه أفضل من فرض العين لتعدى نفعه نعم ، محل سقوطه عن الغير ان علم بقيام غيره به والا لم يسقط عنه كثره واجبا عمدا بالنسبة لظنه والمدار في الاثم عليه لا على نفس الأمر ألا ترى ان من وطئ امرأة يظنها أجنبية وهي زوجته آثم كآثم الزنا وفي عكسه لا اثم عليه .

﴿و﴾ اعلم أيضاً ﴿أنه ينكر باليد ثم ان عجز﴾ عن الإنكار يده ولم يستطع بها بأن خشى الحاق ضرر بدينه أو أخذ مال له وليس من العجز وعدم الاستطاعة مجرد الهيبة وعلى ذلك حمل خبر الترمذي وغيره : ألا لا يفتعن رجلا هيبة الناس أن يقول الحق اذا علمه ﴿فباللسان﴾ أي بالقول الذي يرجى نفعه من نحو صالح أو استغاثه أو استعانة بغيره بأن يأمره بنحو ذلك وتوبيخ وتذكير بالله تعالى وأليم عقابه مع لين أو أغلاظ بحسب ما يكون اتنع وقد يبلغ بالرفق والسياسة ما لا يبلغ بالسيف والرياسة ولذا قال بعض العلماء : من رأى غورة أحد في الحمام ينبغي له أن يكون انكاره عليه بهذه الصفة وهي أن يقول له : استر سترك الله وقد روى ان رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر شرب الخمر بالشام فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكذب له : حم تنزل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوبة شديد العقاب ، ذي الطول لا إله الا هو اليه المصير . فترك الرجل الخمر وتاب منها . ونحكي التاج السبكي عن أبيه أنه كان يجتمع بعض الأمراء وكان الأمير يلزم الحرير فقال : يا أمير بكم الذراع من هذا فقال : بدینار ، فقال : في الصوف ما يساوي كل ذراع منه

فلو قدر واحد باليد وآخر باللسان تعين على الأول إلا أن يكون الرجوع لذي اللسان أقرب أو أنه يرجع له ظاهرا وباطنا ولا يرجع لذي اليد إلا ظاهرا فقط فيتعين على ذي اللسان فعله أن يغيره بكل وجه أمكه فلا يكفى الوعظ من أمكه إزالته باليد ولا كراهة القلب لمن قدر على النهي باللسان فإن عجز عن الإنكار باللسان أو لم يقدر ويقدر على التعيس والهجر والنظر شذرا لزمه ذلك ولا يكفيه إنكار القلب دنايتم وبما ليكك وخدمك بشاركونك في لبس الحرير ولا يلبق بشهامتك أن يساووك فاعدل إلى الصوف فإنه أعلى وأعلى مع ما فيه من السلامة من العقاب الأخرى فاستحسن كلامه ولو قال له ابتداء هذا حرام لم يقدر.

﴿فلو قدر واحد باليد وآخر باللسان تعين على الأول إلا أن يكون الرجوع لذي اللسان أقرب﴾ أي من الرجوع لذي اليد ﴿أو أنه يرجع له ظاهرا وباطنا ولا يرجع لذي اليد إلا ظاهرا فقط فتعين على ذي اللسان﴾ حينئذ ﴿ف﴾ يجب ﴿عليه أن يغيره﴾ أي المنكر ﴿بكل وجه أمكه فلا يكفى الوعظ من أمكه إزالته باليد ولا كراهة القلب لمن قدر على النهي باللسان﴾ ويرقق في التغير بمن يخاف شربه وبالجاهل فإن ذلك نادى إلى قبول قوله وإزالة المنكر ومن ثم أن يكون متولى ذلك من أهل الصلاح والفضل وقد قال الأمام الشافعي رضي الله عنه: من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه. ويستعين عليه بغيره أن لم يخف فتنة من اظهار سلاح وحرب ولم يمكنه الاستقلال فإن عجز عن اليد واللسان رفعه للوالى فإن عجز أنكره بقلبه وليس لآمر ولا ناهي تجسس ولا بحث ولا اقحام دار فإن أخبره ثقة بمن اختل بمحرم فيه انتهاك حرمة نفوت تداركها كان أخبره أن رجلا خلا بامرأة ليزني بها أو شخص ليقته لزم أن يقتحم له الدار وإن تجسس ولو علم به كان سمع صوت الملامى أو القينات أو السكارى دخل وكسر الملامى وأخرج نحو القينات ولا يجوز كشف ذيل فاسق فأخت من تحته رائحة الخمر قال بعضهم: وكذا لو علم تحته عودا ونحوه انتهى. وفيه نظر ظاهر بل ظاهر كلامهم أنه إذا علم تحته عودا أخرجه وكسره لكن وجوب كسر نحوالة لم يتصلها لتعود كما كانت قبل الصنعة فإن رضا وأحرقها ضمن ما فوق المشروع إلا أن تعذر المشروع وإذا أمكن الاحتساب الزام بالكه كسره فيبغى أن يأمر به ولا يباشره لفسر الوقوف على المشروع. وأعلم أن التجسس هو كل أمر إذا فشت عنه ثقل على صاحبه علمك به.

﴿فإن عجز عن الإنكار باللسان أو لم يقدر ويقدر على التعيس﴾ أي تطيب الوجه في المصباح عيس من باب ضرب عبوسا قطب وجهه فهو عباس ﴿والهجن﴾ أي الترك والأعراض ﴿والنظر شذرا﴾ بفتح الشين وسكون الزاى وهو نظر الغضب ان يؤخر العين أو هو النظر عن يمين وشمال أو هو نظر فيه الأعراض كما في قاموس أفاده بعضهم ﴿لزمه ذلك﴾ المذكور من التعيس وما بعده ﴿ولا يكفيه إنكار القلب﴾ فإن لم يعظ ويتذكر وعلم منه إمرار خشن عليه الكلام وسبه بلا فحش كإفساد جاهل بالحق يا من لا يخاف الله وليحذر أن يغضب فيبغى إنكاره لتصرة نفسه أو بسترسل لما يحرم فينقلب الثواب عقابا هذا كله فيما لا ينكر باليد أما ما ينكر بها كخمر غير محترمة وكسر آله الله وتحريمه من حلى ذهب أو حرير وإخراج نحو جنب وأكل متق وذى نجس ينضح من مسجد فلا يكفى غير الإنكار باليد فيجره برجله أو يمين أن عجز وليتوق في نحو ارقعة الخمر وكسر آله الله الكسر الفاحشة إلا إذا لم ترق إلا به أو يخشى أن الفساق يدكره ويمنعونه فيفعل ما لا بد منه ولو بحرق وغرق وللإمام ذلك مطلقا زجرا أو تنزيها وله فيمن لم يكف بخشن الكلام أن يضربه به بتحريمه فإن لم يكف إلا بشهر سلاح منه وحده أو مع جماعة ففعلوا لكن باذن الأمام على المعتد. وقال الغزالي: لا يحتاج لادنه قيل هو الأقيس كما يجوز قتل فاسق بناضل عن فسقه ونحو السلطان يوعظ ثم يخشن له أن لم يخش ضرره وله ذلك وإن أدى إلى قتله للحديث الصحيح: أفضل الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله ولورأى بهيمة تلف مال غيره لزمه كلها أن لم يخف ومن وجده

ولا يسقط الإنكار بالقلب عن مكلف أصلاً إذ هو كراهة المعصية وهو واجب على كل مكلف بل ذهب جماعة منهم أحمد بن حنبل أن ترك الإنكار بالقلب كفر والعياذ بالله

يريد قطع طرف نفسه منعه وإن أدى إلى قتله لأن الفرض حسم سبيل المعاصي ما أمكن لا حفظ نفسه وطرفه وكذا يمنع وإن أدى إلى قتل من رآه يريد اتلاف ماله أو يريد حليته وينكر على امرأة يعلم فسقها إذا رآها تزنت وخرجت ليلاً وعلى من عرف بقطع الطريق إذا وقف فيه سلاحه وبأمر الولد أبويه وبهاهما برفق لا تخوف ونحوه إلا أن اضطرابه ولو منعه الاشتغال بالإنكار من كسب قوته تركه حتى يحصل قوته وقوت مومنه ودينه دون ما زاد على ذلك كذا في الزواجر

ولا يسقط الإنكار بالقلب عن مكلف أصلاً إذ هو كراهة المعصية وهو واجب على كل مكلف بل ذهب جماعة منهم أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ﴿أن ترك الإنكار بالقلب كفر والعياذ بالله﴾ لخبر: وذلك أضعف الإيمان وفي رواية وهو أضعف الإيمان وليس وراء ذلك من الإيمان حبة من خردل ولكن ذلك أضعفه لم يبق وراء هذه المرتبة مرتبة أخرى ومنه يستفاد أن عدم إنكار القلب للمسلم دليل على ذهاب الإيمان منه ومن ثم قال ابن مسعود: هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر لأن ذلك فرض لا يسقط عن أحد بحال والرضاء به من أقبح الحرمات.

قال النووي رحمه الله تعالى: وقد ضيع الإنكار من أزمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الأزمنة إلا رسوم قليلة جداً وهو باب عظيم وبه قوام الأمر وملاكه وإذا كثرت الخبث عم العقاب الصالح والطالح وإذا لم يأخذوا على أيدي الظالم يوشك أن يعظم الله تعالى عقابه كما في الأخبار فينبغي لطالب الآخرة والساعي في رضا الله تعالى أن يعتني بهذا الباب فإن نعمة عظيم ولا يهاب من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإنه تعالى قال: ولنصرن الله من نصره. والأجزر على قدر النصب ولا يحجب نحو صديق فإن حق الصديق أن ينصح صديقه ويهديه إلى مصالح آخرته ويتخذ من مضارها ويسعى في عمارة آخرته وإن نقصت ديناه بخلاف العدو فإنه الذي يسعى في فساد الآخرة وإن حصل به صورة تقع ديني ولهذا كانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أولياء المؤمنين وإبليس لعنة الله تعالى عدوهم وبما تساهل فيه الناس أنهم يرون من بيع المعيب ولا يمتنونه للمشتري ولا ينكرونه على البائع وهم مسئولون عنه وقد نص العلماء على أنه يجب على كل من علم ذلك أن ينكر على البائع ويعرف المشتري وإنما أطلقت الكلام في هذا الباب لعظم فائدته وكثرة الحاجة وكونه من أعظم قواعد الإسلام انتهى ملخصاً. قال ابن حجر: وهو حسن نافع لكن أين الآن من يقبل النصيحة وقد اتبع الهوى وغلب الشخ وأعجب كل ذي رأي برأيه فانا لله وإنا إليه راجعون.

قال ابن الفاكهاني وأعجب ما في زماننا أن الذين يظن بهم العلم والذين كما يتعين عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ملتبسون به حتى يجب إنكارها عليهم شرعاً ولقد أحسن من قال:

بالمخ يصله ما يخشى تغيره * فكيف بالمخ ان حلت به الغير

وقال آخر: هذا الزمان الذي كنا نحذره * في قول كعب وفي قول ابن مسعود

دهره الحق مردود بأجمعه * والجور فيه حقيقاً غير مردود.

إن دام هذا ولم يحدث له غير * لم يك ميت ولم يفرج بمولود

اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين وأولئك المقربين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون آمين يا رب العالمين .

﴿اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين﴾ وهم القانعون بحقوق الله عباده ﴿وأولئك المقربين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾

اللهم وإذا أردت بالناس سوء فتنة فاقبضنا إليك غير مقوتين واحفظ علينا الإيمان إلى أن تلقاك وأنت راض عنا بكرمك أنك أنت رؤوف رحيم وهاب كريم ﴿آمين يا رب العالمين﴾ .

* حاتمة * وعلى الإمام أن ينصب محسبا بأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن كان لا يختصان به لأن كلمته اتقد فيتعين عليه ذلك دون غيره بالولاية ولا يجوز له على الأصح أن يحمل الناس على مذهبه مجتهدا كان أو مقلدا فلم يزل الخلاف بين الصحابة والتابعين في الفروع ولا ينكر أحد على غيره مجتهدا فيه وإنما ينكرون ما يخالف نصا أو إجماعا أو قياسا جليا ويأمر المسلمون بالمحافظة على الفرائض والسنن ولا يعترض عليهم في التأخير أول الوقت لاختلاف العلماء فيه ويأمر بما يعم نفعه كعمارة سور البلد ومؤنة المحتاجين ويجب ذلك من بيت المال فإن لم يكن فيه شيء أو منع ظلما لزم كل من له قدرة على ذلك من الأغنياء وينهى الموسر عن مطلق ذاته أن يستعداه الغريم عليه وينكر على من وقف مع امرأة بشارع غير مطروق بالدخول إليها ويقول له : إن كانت محرما لك فصنها عن مواقف التهم وإن كانت أجنبية فخفف الله تعالى من الخلوة بها فانها محرمة ويأمر الأولياء بالانكاح الأكفاء والنساء بإبقاء العدد والسيادة بالرفق بالممالك وأصحاب البهائم بتعهد ما والرفق بها وينكر على من أسرف في جهرية أو عكس أو زاد في الأذان أو نقص ولا ينكر في حقوق الأديين قبل استعداد ذي الحق عليه ولا يجبس ولا يضرب للدين وينكر على القضاة أن احتجبوا على الخصوم أو قصرُوا في النظر في أمورهم وعلى أئمة المساجد المطروقة أن طولوا في الصلاة للاتباع ويمنع الخلوة من معاملة النساء . قال الأئمة ويجب انكار الصغيرة كالكبيرة بل لو لم يكن الفعل معصية لخصوص الفاعل وجب انكار كما لو رأى غير مكلف يزني أو يشرب الخمر فإنه يلزمه منعه من ذلك وليس بعد انقضاء المعصية إلا الوعظ بل يسن الستر وفي شرح مسلم : من عرف بالفساد سجن كشفه ورفعته إلى الحاكم إن لم يخف مفسدة ومن علم بمنكر سيوجد كان سميع من النساء أنه عازم على نحو شرب خمر أو زنا عدا وعظه فقط فإن أدرك ذلك منه بقرائن دون السماع حرم وعظه لتضمنه أساءة الظن بالمسلم كذا قيل وفي حرمة الوعظ نظر بل إنما تنبه الحرمة أن سجل عليه في وعظه بفسق أو نحوه ومن خلا بأجنبية أو وقف لينظر أجنبية ينكر عليه باليد ثم اللسان لتحقيق المعصية منه والله أعلم .

﴿باب الكسب﴾

﴿باب فضل الكسب﴾ والحث عليه في الكتاب والسنة

أما في الكتاب فقوله تعالى: وجعلنا النهار معاشاً. فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى: وجعلنا لكم فيها معاشاً قليلاً ما تشكرون. فجعلها سبحانه وتعالى نعمة وطلباً لشكر عليها ولا يكون الشكر الا في مقابلة النعمة. وقال عز وجل: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم: أنى رزقا كما نقل عن ابن عباس. وقال عز وجل: وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله. الى ما يحصلون من الراح في أسفارهم وتجارتهم ومثل ذلك قوله تعالى: فاتشرون في الأرض وابتغوا من فضل الله. وقوله تعالى: فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه. وقوله تعالى: انفقوا من طيبات ما كسبتم. وغير ذلك مما هو موجود في القرآن.

وأما في الأخبار فقد أخرج الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية: من الذنب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة. وأخرج أبو الشيخ في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة: من طلب الدنيا حلالاً يتعفاً عن المسئلة وسعيها على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله ووجهه كالقمر أى من حسن جماله وكمال مثاله وكان ﷺ جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا: لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال ﷺ: لا تقولوا هذا فإنه ان كان يسعى لنفسه ليكفها عن المسئلة ويعنيها عن الثامن فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او على ذرية ضعفاء ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان هكذا أورد صاحب القوت. وأخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة. وأخرج ابن عساكر من حديث ابن عمر: سئل رسول الله ﷺ عن أطيب الكسب قال: عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور. وأخرج أحمد وغيره من حديث أبي هريرة: خير الكسب كسب العامل اذا نضح. ومعنى قوله اذا نضح أى بان عمل عمل اثنان واحسان متجنباً للفش وأفا بحق الصنعة غير ملتفت الى مقدار الأجر وبذلك يحصل الخير والبركة ويتقيضه يحصل الشر والوبال قاله الزيدى. وأخرج أبو نعيم من حديث أبي أمامة أن روح القدس نثث في روعه ان نفساً لم تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحتمل أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصيته فان الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته.

قال الطيبى ونقله الزيدى الاستبطاء بمعنى الإبطاء والسين فيه للمبالغة وفيه ان الرزق مقدر مقسوم لا بد من وصوله الى العبد لكنه اذا سعى وطلب على وجه مشروع وصف بأنه حلال واذا طلب بوجه غير مشروع فهو حرام فقوله ما عنده اشارة الى أن الرزق كله من عند الله الحلال والحرام. وقوله ان يطلبه بمعصية الله اشارة الى أن ما عند الله اذا طلب بمعصية سمي حراماً. وقوله الا بطاعته اشارة الى أن ما عند الله اذا طلب بطاعته مباح وسمى حلال وفيه دليل ظاهر لأهل السنة ان الحرام سمي رزقاً والكل من عند الله خلافاً للمعتزلة.

وأخرج البخارى من حديث أبي هريرة: والذي نفسى بيده لأن يأخذ أحد حبله ثم يذهب الى الجبل فيحطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس. وفي لفظه: خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه. قال الزيدى: وليست خير هنا أفعل تفضيل بل من قيل أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وفي الحديث الحث على التعفف وتفضيل السبب على البطالة وجمهور المحققين كابن جرير واتباعه على أن السبب لا ينافى التوكل حيث كان الاعتماد على الله لا على السبب فان احتاج ولم يقدر على الكسب الاثاق جاز السؤال بشرط أن لا يذل نفسه ولا يبلح ولا يوذى المسؤل فان فقد شرط منها حرام اتفاقاً وقد روى ابن جرير في تهذيبه من حديث

أخرج أحمد والطبراني عن أبي بردة بن دينار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الكسب بيع مبرور وعمل الرجل يده * واليهقي عن معاذ بن معاذ إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا وإذا اتهموا لم يخونوا وإذا وعدوا لم يخلفوا وإذا اشتروا لم يذموا وإذا باعوا لم يظروا وإذا كان عليهم لم يعطوا وإذا كان لهم لم يعسروا * وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة *

أبي هريرة: لا يفتح أحد على نفسه باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي الجبل فيخطب على ظهره فيبيع فيأكل خبز له من أن يسأل الناس معط أو مانع .

و أخرج أحمد والطبراني عن أبي بردة بن دينار عن الانصاري قال: قال رسول الله ﷺ: أفضل الكسب بيع مبرور أي لا غش فيه ولا خيانة وهو عمل الرجل يده خص الرجل لأنه محترف غالب لاخراج غيره واليد لكون مدوالة العمل بها وظاهر الحديث استواء التجارة المعبر عنها بالبيع المبرور والصناعة المعبر عنها بعمل الرجل يده وليس مراداً لما يأتي في تنبيه المصنف أن أفضل المكاسب التجارة . قال بعض المحققين: الزراعة ثم الصناعة ثم التجارة .

و أخرج الیهقي عن معاذ بن جبل قال المناوي: باسناد ضعيف وقال غيره: حديث حسن «أن أطيب الكسب» أي من أطيبه «كسب التجار» جمع تاجر وهو مقلب المال لغرض الربح وأفضل من ذلك عمل اليد كالتجار والحياطين وأفضل منهما الزراعة وأفضل الجميع سهم الغنمة كذا قاله العلامة الحفنى «الذين إذا حدثوا» أي أخبروا عن ثمن السلعة ونحوه كشتراء بعرض وأجل «لم يكذبوا» أي في أخبارهم للمشتري «وإذا اتهموا» أي اتهمهم المشتري في أخباره بما قام عليه أو أنه لا عيب فيه «لم يخونوا» أي فيما اتهموا عليه في ذلك «وإذا وعدوا» أي بنحو وفاء دين التجارة «لم يخلفوا» أي بلا عذر «وإذا اشتروا» أي سلعة «لم يذموا» أي لم يذموا كان يقول: هذه رديئة لم يشتريها أحد لأجل تقليل ثمنها أما إذا ظهر بها عيب فذمها لذلك العيب ليردها فلا بأس به «وإذا باعوا لم يظروا» بضم المثناة التحتية وسكون الطاء من اطراء أي لم يجاوزوا في مدح ما باعوه الحد وفي القاموس اطراء أحسن الثناء الحسن . وقال العلقمي: الاطراء مجاورة الحد في المدح والكذب فيه «وإذا كان عليهم» أي حق سببه التجارة أو غيرها وإن كان الملام للمقام الأول «لم يعطوا» بفتح أوله وضم الثالثة أي صاحبه به بل يدفعونه اليه عند الاستحقاق وإن عاجلوا الوقت به كان أمداً والمطل السوف «وإذا كان لهم» أي حق على غيرهم «لم يعسروا» بالتشديد أي لم يضيّقوا على المدينين حيث لا عذر . قال في المصباح: عسرت الغريم أعسره من باب قتل وفي لغة من باب ضرب طلب منه الدين على عسرة انتهى . وقال في الدر كاصله والعسر ضد اليسر وهو الضيق والشدة والصعوبة .

و أخرج ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر قال الحاكم صحيح واعترض ذكره العزيزي . قال العراقي اعترضه ابن القطان وهو من رواية كثير بن مشام وهو وإن خرج له مسلم ضعفه أبو خاتم وغيره انتهى . وقال الزبيدي: ومن روى له أحد الشيخين فقد جاوز القنطرة ولا يسمع فيه لوم لائم «التاجر الأمين» أي المأمون «الصدوق» أي نحو الأخبار بثن السلعة وغيرها فذلك بما يزيد البركة في التجارة كما وقع للجلال الخليل فإنه كان يبيع الأقمشة من بعد العصر إلى المغرب فقط وبيع أكثر من جيرانه الذين يبيعون طول النهار وكان يقول: هذا علي بكذا ولا أبيع إلا بكذا وفيه عيب كذا «المسلم» يحشر مع الشهداء يوم القيامة «لجميعه للصدق والشهادة بالحق والنصح للخلق واستئصال الأمر المترجعه عليه من قبل الشارع ومحل الذم في أهل الحياة .

والأصبهاني والديلمي عن أنس التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة * وسعيد بن منصور عن نعيم بن عبد الرحمن مرسلات تسعة
 أعشار الرزق في التجارة والعشر في المواشي * والطبراني عن ابن عمر لو أذن الله تعالى في التجارة لأهل الجنة لا تجزوا في البز والطر *
 والخطيب عن أبي هريرة عليك بالبز فإن صاحب البز يعجبه أن يكون الناس بخير وفي خصب * وأبنا ماجه وخيان يا معشر التجار إن
 التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق * والطبراني عن ابن عباس من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفورا له ،
 ﴿ وأخرج ﴿ الأصبهاني ﴾ في ترغيبه ﴿ والديلمي ﴾ في مسند الفردوس ﴿ عن أنس ﴾ بن مالك ﴿ التاجر الصدوق ﴾ يظله الله
 ﴿ تحت ظل العرش ﴾ يحتمل أنه كناية عن كونه في وقاية الله من العذاب ويحتمل أنه على حقيقة ﴿ يوم القيامة ﴾ وأخرج الترمذي والحاكم
 من حديث أبي سعيد قال الترمذي : حسن التاجر الصدوق الأمين يحشر مع النبيين والصدوقين والشهداء .

قال الترمذي : في نوادر الأصول بعد أن أخرجه إنما لحق بدرجةهم لأنه احتضى بقلبه من النية والصدقية والشهادة فالنبوة
 انكشاف النطاء والصدقية استواء سريرة القلب بعلانية الأركان والشهادة احتساب المرء بنفسه على الله فيكون عنده على جد الأمانة
 في جميع ما وضع عنده وقال الطيبي قوله مع النبيين بعد قوله التاجر الصدوق حكم مرتب على الوصف المناسب من قوله ومن يطعم الله
 والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم وذلك أن اسم الإشارة يشعر بأن ما بعده جدير بما قبله لا تضافه باطاعة الله وإنما ناسب
 الوصف الحكم لأن الصدوق بناء مبالغة من الصدق كالصديق وإنما يستحقه التاجر إذا كثر تعاطيه الصدق لأن الائناء ليسوا غير أئناء
 الله على عباده فلا غرو من اتصف بهذين الوصفين أن ينخرط في زمرتهم وقليل ما هم انتهى .

﴿ وأخرج ﴿ سعيد بن منصور ﴾ في سننه ﴿ عن نعيم بن عبد الرحمن ﴾ الأزدي ويحيى بن جابر الطائي ﴿ مرسلات ﴾ ورجاله
 ثقات ويحيى الطائي هو تابعي خلافا لمن قال صحابي بدليل قوله مرسلات لو كان صحابيا لكان متصلا قاله الحفنى ﴿ تسعة أعشار الرزق
 في التجارة ﴾ أي في الحضرة أو السفر ﴿ والعشر في المواشي ﴾ أي سبب ما يحصل منها من نتاج وصوف ولين ونحو ذلك والقصد من هذا
 الحديث الإعلام بكثرة الرزق من التجارة عن غيرها وليس المراد منه حصر الرزق في هذين السببين إذ من أسبابه الصناعة والغزو وليس
 في هذا الحديث تعرض لأفضل طرق الكسب وأفضلها سهم المغازي ثم الزراعة ثم الصناعة ثم التجارة هكذا قاله العلامة الحفنى .
 ﴿ وأخرج ﴿ الطبراني عن ابن عمر ﴾ رضي الله عنهما بأسناد ضعيف كما قاله العزري ﴿ لو أذن الله تعالى في التجارة لأهل
 الجنة لا تجزوا في البز ﴾ قال العلقمي قلا عن المصباح البز بالفتح قيل نوع من الثياب وقيل الثياب خاصة من أمتعة البيت وقيل أمتعة التاجر
 من الثياب ورجل بزاز والحرفة البزازة بالكسر ﴿ العطر ﴾ بالكسر فهما أفضل ما يتجر فيه . ﴿ وأخرج ﴿ الخطيب عن أبي هريرة ﴾
 رضي الله عنه ﴿ عليك بالبز ﴾ فتح الموحدة كما تقدم أي اتجر فيه ﴿ فإن صاحب البز يعجبه أن يكون الناس بخير وفي خصب ﴾ بكسر
 المعجمة وسكون المهملة أي النماء والبركة وكسرة العشب والكلا يقال أخصب الله الموضع أنبت فيه العشب والكلا لأن الناس إذا كانوا
 كذلك انبسطت أيديهم بشراء الكسوة لعلهم بخلاف المتجر في القوت يعجبه أن يكون الناس في جذب لبيع ما عنده بشئ فمال وسببه
 كما في الكيرانه سأل رجل النبي ﷺ ثم تأمرني أن اتجر فذكره .

﴿ وأخرج ﴿ أبنا ماجه وخيان : يا معشر التجار إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق ﴾ . ﴿ وأخرج ﴿
 الطبراني عن ابن عباس ﴾ رضي الله عنهما بأسناد ضعيف كما قاله العزري ﴿ من أمسى ﴾ أي دخل في المساء ﴿ كالا ﴾ أي
 تعباً ﴿ من عمل يديه ﴾ في اكسابه لنفسه وعياله من حلال ﴿ أمسى مغفورا له ﴾ .

وأحمد والبخاري عن المقداد ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده * وأحمد وابن ماجه عن عقبة بن المنذر إن موسى عليه السلام أجر نفسه ثمانى سنتين أو عشرة على عفة فرجه وطعام بطنه * والخطيب وابن عساكر عن سهل بن سعد عمل الأبرار من الرجال الحياطة وعمل الأبرار من النساء المغزل * وأحمد وابن ماجه عن عائشة إذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد والبخاري عن المقداد﴾ بن معديكرب ﴿ما أكل أحد﴾ من بنى آدم كما زاده الاستيعاب ﴿طعاما﴾ قط ﴿خيرا﴾ قال المناوى: بالنصب أى أكلا خيرا وبالرفع أى هو خير انتهى . والظاهر أنه نعت طعاما ولا يضر الفضل بين الصفة والموصوف بالظرف ﴿من أن يأكل من عمل يده﴾ أى من طعام أكسبه بعمل يده وتام الحديث كما فى الجامع الصغير للسيوطى وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده . وقال شارحه: وفى الحديث أن التكسب لا يندح فى التوكل . قال العلقمى: والذي يظهر أن الذي كان يعمل داود يده هو نسج الدروع وبيعها ولا يأكل إلا من ثمن ذلك مع كونه كان من كبار الملوك . قال تعالى وشددنا ملكه

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد وابن ماجه عن عقبة بن المنذر: أن موسى﴾ بن عمران ﴿عليه السلام أجر نفسه﴾ لشعيب عليه السلام لأجل رعى الغنم ﴿ثمانى سنتين أو عشرة على عفة فرجه وطعام بطنه﴾ . وذلك قوله تعالى: إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجورني ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين . قال ذلك بنى وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ والله على ما نقول وكيل . والتزوج على رعى الغنم جائز بالإجماع لأنه من باب القيام بأمر الزوجية فلا مناقضة . روى البخارى عن سعيد بن جبير قال: سألنى يهودى من أهل الحيرة أى الأجلين قضى موسى قلت: لا أدرى حتى أقدم على خير العرب فأنسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال: قضى أكثرهما وأطيهما لأن رسول الله إذا قال فعل . وروى عن أبى ذر مرفوعا: إذا سئلت أى الأجلين قضى فقل خيرهما وأبرهما وإذا سئلت أى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهى التى خلت فقلت: يابست أسنانه فزوج صغرها وقضى أوفاهما . وقال وهب: أنكحه الكبرى .

وروى شاذ بن أور عن مرفوعا: بكى شعيب النبى ﷺ حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فقال الله له: ما هذا البكاء أشوقا إلى الجنة أم خوفا من النار؟ فقال: يا رب ولكن شوقا إلى لقائك فأوحى الله إليه أن يكن ذلك فهنيا لك لقائى يا شعيب لذلك أخذ منك كليمى موسى ولما تعاقد هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنه أن تعطى موسى عصاه يدق بها السباع عن غنمه . قيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه فتوارثها الأنبياء وكان لا يأخذها غير بنى الأكلة فصارت من آدم إلى نوح ثم إلى إبراهيم حتى وصلت إلى شعيب فأعطاهم موسى . وقيل إن شعيبا أراد أن يجازى موسى على حسن رعيه أكراما له وصلة لابنه فقال له: إني قد وهبت لك من ولد أغنامى كل أبلق وبلقاء بهذه السنة فأوحى الله تعالى إلى موسى فى النوم أن اضرب بعصاك الماء ثم أسبق الأغنام منه ففعل ذلك فما أخطأت واحدة الأوضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب أن هذا رزق ساق الله إلى موسى وإمراته فوفى له بشرطه وأعطاه الأغنام .

﴿و﴾ أخرج تمام و﴿الخطيب﴾ وابن لال و﴿ابن عساكر عن سهل بن سعد﴾ وهذا حديث ضعيف ﴿وعمل الأبرار﴾ جمع بار وهو المطيع ﴿من الرجال﴾ لفظ رواية الخطيب من رجال أمى ﴿الحياطة﴾ أى خياطة الثوب ﴿وعمل الأبرار من النساء المغزل﴾ بكسر الميم وفتح الزاى أى الغزل بالمغزل . ﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد وابن ماجه عن عائشة﴾ رضى الله عنها ﴿إذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه﴾ أى جعل له سببا بعلناه لتحصيل الرزق ﴿فلا يدعه﴾ أى لا يتركه ويعدل لغيره بل لازمه

حتى يتغير له ﴿خاتمة﴾ أخرج الطبراني عن المقداد إذا كان في آخر الزمان لا بد للناس فيها من الدراهم والدنانير يقيم الرجل بها دينه ودينه * وابن عساكر عن أنس ليس بخيركم من ترك دينه وآخرته ولا آخرته لدينه حتى يصيب منهما جميعا فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة ولا تكونوا كالأعلى الناس ﴿تنبيه﴾ أفضل المكاسب التجارة وقال بعض المحققين أفضلها الزراعة ثم الصناعة ثم التجارة

﴿حتى يتغير له﴾ بمعنى حتى يتغير عليه لأنه من بورك له بشيء فيلزمه . قال المناوي : وفي رواية يتنكر له فإذا صار كذلك فليحول لغيره فإن أسباب الرزق كثيرة انتهى . وورد في حديث : البلاد بلاد الله والخلق عباد الله في نسخة عيال فأنى موضع رأيت فيه رفقا فأقم واحمد الله تعالى .

* خاتمة * ﴿أخرج الطبراني عن المقداد﴾ بن معاذ بن عمرو ﴿إذا كان﴾ أي وجد في ﴿آخر الزمان﴾ قال الحنفى : المراد به بعد زمن الصحابة رضى الله عنهم وفيه إشارة إلى قلة الخير بعدهم أكثر من قلته في زمنهم أما في أول الزمان وهو من الصحابة والتابعين وتابعهم فلو خرد الخير لأحاجة للمال بل إذا انقطع الشخص للعبادة يجد من يقوم به ﴿لا بد للناس فيها﴾ أي في تلك المدة أو تلك الأزمنة وفي بعض النسخ فلا بد بآيات الفاء ﴿من الدراهم والدنانير﴾ المراد بالدراهم القطع الفضة لخصوص الدراهم الشرعية فشملت الفضة المتعامل بها الآن ولتكثر المتعامل بها قديما على الدنانير قاله الحنفى ﴿يقيم الرجل بها دينه ودينه﴾ قال المناوي أي بالمال قوامها فمن أحب المال أحب الدين فهو من المصيين انتهى . وقال بعضهم : المعنى حفظ ما يحتاج إليه حينئذ وبمحصله لأجل أن يقيم الشخص به دينه وهذا حديث ضعيف كما ذكره العزري .

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن عساكر عن أنس﴾ رضى الله عنه ﴿ليس بخيركم من ترك دينه وآخرته ولا﴾ من ترك ﴿آخرته لدينه﴾ ولكن خيركم من سعى في طلب ما يكفيه من الحلال وقام بما عليه من حق ذي الجلال ﴿حتى يصيب منهما جميعا﴾ فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة ﴿لمن وفقه الله فاعملوا لدينكم وآخرتكم﴾ ولا تكونوا كالأعلى عيالاً وثقلاً ﴿على الناس﴾ فأرجع الناس من جعل دينه مزرعة للآخرة وأخسرهم من شغله دينه عن الآخرة وهذا الحديث يفيد كما قاله الحنفى أن تحصيل الدنيا ليس بمذموم حيث لم تشغله عن الآخرة بل محمود حيث اعانتهم على الآخرة كاطعام الجائع واكساء العارى فيطلب التكسب لأجل ذلك .

* تنبيه * ﴿أفضل المكاسب التجارة﴾ لأن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يكسبون بها ﴿وقال بعض المحققين أفضلها الزراعة﴾ لأنها أقرب إلى التوكل ولأنها أعم نفعا ولأن الحاجة إليه أعم وفيها عمل باليد أيضا ولأنه لا بد في العادة أن يؤكل منها بغير عوض فيحصل له أجر وإن لم يكن ممن يعمل يده بل يعمل غلامه وأجرأوه فالتكسب بها أفضل ﴿ثم الصناعة﴾ لأن التكسب فيها يحصل بكسب اليدين ﴿ثم التجارة﴾ لما مر قريبا .

﴿فصل﴾ أركان البيع عاقدان ومعتود عليه وصيغة وشرط فيها لفظ يدل على الإيجاب والقبول كبتك وملكتك

﴿فصل﴾ في البيع المكتسب على كل حال يحتاج إلى علم الكسب الذي به يعرف ما يكسبه وكيف يكسب ونهما حصل لنفسه علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة على التفصيل فيقبحها وما شذ منه واقف من الفروع المشكلة منها فيقع على سبب اشكالها فيتوقف فيها إلى أن يسأل ذوي المعرفة عنها فانه إذا لم يعلم سبب الفساد بعلم اجمالي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال: لا أقدم العلم في شيء من ذلك ولكني أصبر زمانا من العمر إلى أن تقع لي الواقعة فعندها أتعلم هذا العلم واشتغل به واستفتى علماء الوقت فيما أتوقف فيقال له: وم تعلم وقوع الواقعة ومهما لم تعلم جمل مفسدات العقود فانه يستمر في التصرفات على ما جرت به العادة ويظنها صحيحة مباحة وقد دخلها الفساد المانع عن الصحة وهو لا يدري فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليميزه المباح عن المحظور وموضع الاشكال عن موضع الوضوح ولذا روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يطوف في سوق المدينة ويضرب بعض التجار بالدرّة ويقول: لا يبيع في سوقنا هذا الا من يتبعه في معاملاته والأكل الربا شاء أم أبى أي يقع فيه بحيث لا يدري وهذا القول أورده صاحب القوت وأورده الاسماعيلي والذهبي وكلاهما في مناقب عمر رضي الله عنه. وثبت ذلك البيع بالكتاب والسنة والاجماع. أما الكتاب فقوله تعالى: وأحل الله البيع. وأما السنة فنحو ما روى عن رفيع بن خديج: أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أطيب الكسب فقال: عمل الرجل يده وكل بيع مبرور. وروى أنه صلى الله عليه وسلم باع قدحا وحلسا وكانوا يتبايعون فأقرهم عليه وأما الاجماع فان الأمة أجمعت على جوازه وانه أحد أسباب الملك وله ثلاثة أركان أشار المصنف إليها بقوله:

﴿أركان البيع﴾ أي أجزاء ماهية التي لا يتوحد إلا بها بخلاف الشروط قال صاحب الاقليد: البيع مصدر مفرد على بابيه ويجمع لاختلاف أنواعه واشتقاقه من مد الباع انتهى. وقال الحراني: البيع رغبة المالك عما في يده إلى ما في يد غيره. والشراء رغبة المستملك فيما في يد غيره معاوضة بما في يده بما رغب عنه فذلك كل شار بائع. وقال صاحب المصباح: أصله مبادلة مال بمال يقولون: بيع راجح وبيع خاسر وذلك حقيقة في وصف الأعيان لكنه أطلق على العقد مجازا لأنه سبب التملك والتملك وقولهم صح البيع أو بطل ونحوه أي صيغة البيع لكن كما حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وهو مذكر أسند الفعل إليه بلفظ التذكير والبيع من الاضداد مثل الشراء ويطلق على كل من العاقدين أنه بائع مشتري لكن إذا أطلق البائع فالتبادر للذهن باذل السلعة ومن أحسن ما وسم به البيع انه تملك على مالية أو منفعة مباحة على التأيد بعوض مالي ﴿عاقدان﴾ أي البائع والمشتري ﴿ومعتود عليه﴾ وهو المال المقصود نقله من ذمة أحد العاقدين إلى ذمة الآخر ثمنا كان أو مشمنا وهو ما قام مقام الثمن وجملة ما قيل في الثمن والمثنى ثلاثة أقوال أحدها أن الثمن ما ألصق به الباء ويحكي هذا عن القفال. والثاني أن الثمن هو النقد والمثنى ما يقابل على اختلاف الروحين. والثالث هو الأصح أن الثمن هو النقد والمثنى ما يقابله فان لم يكن في العقد نقد أو كان العوضان تقدين فالثمن ما ألصق به الباء والمثنى ما يقابله ولو باع أحد التقدين بالآخر فعلى وجه الثاني لا ثمن فيه، ولو باع عرضا بعرض فعلى الثاني لا ثمن فيه وإنما صحت مقايضة ﴿وصيغة﴾ وهي الإيجاب من جهة البائع والقبول من جهة المشتري.

﴿وشرط فيها﴾ أي في الصيغة ﴿لفظ يدل على الإيجاب والقبول﴾ قال الغزالي: اعتبارا للدلالة على الرضا الباطن انتهى. قال الرافعي: يريد به أن المقصود الأصلي هو الرضا فلا يكون واحد منهما أكلاما مال الآخر بالباطل بل يكونان ناجزين عن تراض إلا أن الرضا أمر باطن يعسر الوقوف عليه فيط الحكم باللفظ الظاهر والإيجاب ﴿كبتك﴾ ذا بكذا ﴿وملكك﴾ أشار بكاف الخطاب في

وهو لك ووهبك بكذا وكاشتريت هذا وتملكك ورضيت وقبلت بكذا بلا تحلل فصل طويل بينهما ولا كلام أجنبي وإن قل وينعقد بالكفاية كخذه وجعله لك بكذا

بعثك وملكك كما قاله الأسنوي إلى أن إسناد البيع إلى المخاطب لابد منه ولو كان ثانيا من غيره وهو كذلك حتى لو لم يستند إلى آخر كما يقع في كثير من الأوقات كأن يقول المشتري بعث هذا بعشرة مثلاً فيقول البائع بعث أو اسنده إلى غيره كما لو قال : بعث موكلك فقبل فانه لا يصح بخلاف النكاح فانه يصح بذلك بل لا يصح إلا به ثم قال رحمه الله في نعم : ولو قال المتوسط : بعث هذا بكذا فقال : نعم أو بعث ثم قال للمشتري : اشتريت بكذا ، فقال : نعم أو اشتريت صح ونقله عن الرافعي ثم قضية إطلاق المصنف اشتراط الإيجاب والقبول أي ولو في حق ولي الطفل وهو كذلك ، وقيل بك في أحد اللفظين ، وقيل بك في النية . قال الأسنوي وهو قوي لأن اللفظ إنما اعتبر ليدل على الرضا ولم يتقدم به ﴿و﴾ الإيجاب ﴿هولك﴾ بكذا ﴿ووهبك﴾ هذا ﴿بكذا﴾ وقوله بكذا هو كنية عن العوض ﴿و﴾ القبول ﴿كاشتريت هذا﴾ بكذا ﴿وتملكك ورضيت وقبلت﴾ هذا ﴿بكذا﴾ ومن ألفاظه أيضا ابتعت وصارفت وتوليت واشتركت وكذا بعث ونعم ولفظ الهبة ومنها فعلت في جواب اشترى مني . قال السبكي : ولو قال بعني فقال : فعلت أو نعم فكقوله بعثك انتهى . وقال الرافعي : في النكاح لو قال : بعثك بألف ، فقال : نعم ، صح البيع . وفي شرح البهجة خلافة لكونه لم يطلع عليه بل تبع ما أشعر به ظاهر من البهجة قاله الشيخ عميرة .

وشرط صحة الإيجاب والقبول كونهما ﴿بلا تحلل فصل طويل﴾ بسكوت ولو سهوا أو جهلا كما في الفاتحة على المعتمد والطويل هو ما أشعر به عراضه عن القبول كما في شرح المذهب : قال البيهقي : المعتمد أنه بقدر ما يتطعم القراءة في الفاتحة وهو الزائد على سكة النفس بخلاف الستير فانه لا يضر إلا من عالم عامد قصد به القطع كما قاله القليوبي ﴿بينهما﴾ أي يقع الفصل الطويل بين لفظيهما غالبا والا فالخط والاشارة كذلك وكذا المعاظة على القبول بها ﴿ولا﴾ تحلل ﴿كلام﴾ وهو ما تبطل به الصلاة من الكثير مطلقا أو نحو حرف منهم فأكثر من عامد عالم . نعم ، لا يضر قداء وأنا بغيره أو نحو ما يزيد قد قبلت وسواء كان الكلام من الموجب أو القابل ، ومنه التعليق إلا ان شئت من الأول بعد تمام صيغته على المعتمد وكذا ان كان ملكي فقد بعثك لأن فيه بمعنى اذ وفي كلام العلامة ابن قاسم ان اشارة الآخرس كالكلام المذكور وتوزع فيه .

* تنبيه * ينبغي أنه لا يضر الكلام من المكاتب لتحو غائب مطلقا ولا من المكتوب اليه الا بعد وجوب فورية القبول عليه ﴿أجنبي﴾ عن العقد بأن لم يكن من مقتضاته ولا من مصالحه ولا من مستحباته ولو بحسب الأصل فلا تضر الخطبة كالحمد لله إلى آخره وإن لم تستحب بينهما كما في النكاح ﴿وإن قل﴾ أي الكلام الأجنبي فانه يضر . نعم ، يقتصر اليسير لئسيان أو جهل عذر فيه .

﴿وينعقد﴾ البيع ﴿بالكتابة﴾ مع النية ﴿كخذه﴾ أي المبيع ﴿وجعله لك بكذا﴾ قال الرافعي في شرح الوجيز : كل تصرف يشتغل به الشخص كالطلاق والعاق والبراء فينعقد بالكتابات مع النية انعقاده بالصراح وما يشتغل به الشخص بل يقتصر إلى الإيجاب والقبول فهو على ضربين أحدهما ما يقتصر إلى الأشهاد كالنكاح وكبيع الوكيل اذا شرط الموكل عليه الأشهاد فهذا لا ينعقد بالكتابة لأن الشهود لا يطلعون على العقود والنيات والأشهاد على العقد لابد منه . والثاني لا يقتصر فهو أيضا على ضربين أحدهما ما يقبل لمقصوده التعليق بالأغراض كالكتابة والخلع فينعقد بالكتابة مع النية . والثاني ما لا يقبل كالبيع والإجارة وغيرهما وفي انعقاد هذه التصرفات بالكتابة مع النية وجهان أحدهما لا ينعقد إلا بالمخاطب الذي لا يدري بما خوطب وأظهرهما أنه ينعقد كما في الكتابة والخلع . وقال الامام الحرمين : والخلاف في أن البيع ونحوه هل ينعقد بالكتابة مع النية مفروض فيما اذا انعدمت قرائن الأحوال . فاما اذا توفرت وأفادت التقاهم

لا بمعاطاة لكن اختار النووي كجمع من الانعقاد بكل ما بعده الناس يعا عرفا

فيجب القطع بالصحة وفي البيع المقيد بالشهاد ، ذكر المصنف يعنى الغزالي في الوسيط أن الظاهر انعقاده عند توفر القرائن . قال شارحه محمد بن يحيى تلميذ المصنف بعد قوله : وعندى انه يكفى به وان لم يتوفيه الايجاب هذا انما يوضح بينه وبين الله تعالى أما في الظاهر فلا بد من لفظ صريح ينزعان اليه عند الخصام . ومن فروع هذه المسئلة لو كتب الى غائب بالبيع ونحوه فالشرط أن يقبل المكتوب اليه كما لو اطلع على الكتاب على الأصح ليقترن القبول بالايجاب بحسب الامكان واختاره المصنف في الفتاوى . قال : واذا قبل المكتوب اليه ثبت خيار المجلس مادام في مجلس القبول ويناد خيار الكاتب أيضا الى أن يتقطع خيار المكتوب اليه حتى لو علم أنه رجع عن الايجاب قبل مفارقة المكتوب اليه بمجلسه صح رجوعه ولم ينعقد البيع انتهى .

وحكم الكتابة على القرطاس والرق واللوح والارض والنقش على الحجر والخشب واحد ولا عبرة برسم الأحرف على الماء والهواء . ولو قال : بعت دارى من فلان وهو غائب فلما بلغه الخبر قال : قبلت ، ينعقد البيع لأن النطق أقوى من الكتابة . وقال أبو حنيفة : لا ينعقد ، نعم لو قال : بعت من فلان وارسل اليه رسولا بذلك فأنجزه فقبل انعقد كما لو كتب (لا) ينعقد البيع عند الشافعى (بمعاطاة) بالفعل دون التلفظ باللسان لأن الأفعال لادلالة لها بالوضع وقصود الناس فيها تختلف (لكن اختار النووي كجمع متقدمين) منهم المتولى والبقوى كما في الأسمى (الانعقاد بكل ما بعده الناس يعا عرفا) لأنه لم يثبت اشتراط لفظ فيرجع للعرف سائر الألفاظ المطلقة وذلك كالخبز واللحم دون نحو الدواب والأراض فعلى الأول المقبوض بها كالمقبوض بالبيع القاسد فيجب على كل ان يرد ما أخذ على الآخر أن يقي أو بدله ان تلف وصورتهما أن يتفق البائع والمشتري على الثمن والمشتري هو يدفع الثمن له سواء كان مع مكتوبتها أو مع وجود لفظ ايجاب أو قبول من أحدهما أو مع وجود لفظ منهما لكن لامن الألفاظ المتقدمة كما قاله الشيرازى .

* تنبيه * اعلم أن البيع عند أبى حنيفة قد يكون بالفعل أما القول فهو المسمى بالايجاب والقبول عند الفقهاء وأما المبادلة بالفعل فهي التعاطى ويسمى هذا بيع المعاطاة وبيع المراوضة وهو جائز عند أبى حنيفة وأصحابه ولا فرق بين أن يكون البيع خسيسا أو قيسا وقول الغزالي في الأحياء وانعقد عند أبى حنيفة ان كان في المحقرات هو مخرج على قول والمذهب الأول . قال الزنلى في شرح الكثر : ويلزم البيع بتعاطى ولا فرق بين أن يكون البيع خسيسا أو قيسا . وزعم الكرخى أنه ينعقد به في شيء خسيس لجزأان العادة ولا ينعقد في النفيس لعدمها والصحيح الأول لأن جواز البيع باعتبار الرضا لا بصورة اللفظ ووجه التراضى من الجانبين فوجب أن يجوز انتهى . وقال الكاسانى في البدائع : وأما المبادلة بالفعل فهي التعاطى ويسمى بيع المراوضة وهذا عندنا . وقال الشافعى : لا يجوز بالتعاطى . وذكر القدورى يجوز في الأشياء الخسيسة ولا يجوز في الأشياء النفيسة وزاوية الجواز في الأصل مطلقة عن هذا التفصيل وهى الصحيحة لأن البيع في اللغة والشرع اسم المبادلة وحقيقة المبادلة بالتعاطى وهو الأخذ والإعطاء . ولما قول البيع والشراء دليل عليهما والدليل عليه قوله تعالى : الا أن تكون تجارة عن تراض منكم . والتجارة عبارة عن جعل الشيء للغير ببدل وهو تفسير التعاطى . وقال تعالى : أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم . اطلق اسم التجارة على تبادل ليس فيه قول البيع . وقال تعالى : ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . سمي مبادلة الجنة بالقتل في سبيل الله اشتراء وبيعا . وقال تعالى في الآخر الآية : فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به . وان لم يجز لفظ البيع واذا ثبت أن حقيقة المبادلة بالتعاطى هو الأخذ والإعطاء فهذا يوجد في الأشياء الخسيسة والنفيسة جميعا ولأن التعاطى فى كل ذلك بيع فكان جائزا انتهى .

وفي العاقدين تكليف واختيار

ثم اختلفوا فيما يتم به البيع التعاطي ، قيل يتم بالوضع من الجانبين وأشار محمد أن يكفي تسليم المبيع وقد ظهر مما أوردناه أن أصل مذهب أبي حنيفة في بيع المعاوضة عدم التفرق بين المحقر والنفس . وقال ابن هبيرة في الانصاح : واختلفوا في البيع هل يتعقد بالمعاوضة ؟ فقال أبو حنيفة في إحدى روايته والشافعي وأحمد في إحدى روايته : لا يتعقد . وقال مالك : يتعقد . وعن أبي حنيفة وأحمد مثله ، وهذا في الأشياء كلها على الإطلاق انتهى . والمقصود من سياقه كلامه الآخر لكن قوله فقال أبو حنيفة : لا يتعقد مخالف لما في كتب مذهبه وإن عنده كما يتم البيع بالقول يتم بالفعل قولاً واحداً قائل . وأما الرافعي فقد نسب الفرق بين الخسيس والنفس في بيع المعاوضة لأبي حنيفة مطلقاً تبعاً للفرزالي كما في الأحياء والوجيز . قال الرافعي : لأن أبا حنيفة يجعلها بيعاً في المحقرات التي جرت العادة فيها بالإكفاء بالأخذ والإعطاء وفيه ما قد عرفت سابقاً فيكون مخرجاً على وجه في المذاهب خرجه أبو الحسن الكرخي وأظن الإمام أبا جعفر القنبري تبعه في ذلك .

* تنبيه * آخر . قال الرافعي : مثلوا المحقرات بالتافه من البقل والرطل من الخبز وهل من ضابط سمعت والدي رحمه الله أو غيره : يحكي ضابطها بما دون نصاب السرقة والأشبه الرجوع فيه إلى العادة فما يعتاد فيه الاقتصار على المعاوضة بيعاً فليس فيه التحريم ولهذا قال صاحب التمهيد معبراً عن التحريم ما جرت العادة فيه بالمعاوضة فهي بيع فيه ومالا كالدواب والجواري والعقار فلا هكذا ذكره الزبيدي .

﴿ و ﴾ شرط ﴿ في العاقدين ﴾ أي البائع والمشتري ﴿ تكليف ﴾ فلا يصح بيع صبي وإن قصد اختياره به ولا بيع مجنون ومجور عليه بسفه ولو بغبطة ﴿ واختيار ﴾ فلا يصح بيع مكروه لآية : ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل . ولخبر : إنما البيع عن تراض إلا بيع مكروه بحق : كالمستع من أداء الحق عند الحاكم فيكرهه على البيع ونحوه كالشراء لما أسلم إليه فيه فيصح لأنه إكراه بحق والايعة مال المكروه له فيصح قاله القاضي كظيره في الطلاق لأنه أبلغ في الإذن ويصح بيع المعادر بفتح الدال من جهة ظالم بأن باع ماله لدفع الأذى الذي ناله لأنه إكراه فيه ومقصود من صادرة تحصيل المال من أي وجه كان .

* فروع * لو أنلف الصبي أو تلف عنده ما ابتاع أو ما اقترض من رشيد وأقبضه له لم يضمن في الظاهر لأن المقبض هو المضيع لماله أما في الباطن فيغرم بعد البلوغ نص عليه في الأم في باب الإقرار أو من صبي مثله ولم ياذن الوليان ضمن كل منهما ما قبض من الآخر وإن كان ذلك باذن الولين فالضمان عليهما فقط لوجود التسليط منهما وعلى البائع للصبي رد الثمن الذي قبضه منه إلى وليه فلو رده إلى الصبي ولو باذن الولي وهو ملك للصبي لم يبرأ منه أو للولي وقد أذن برئ منه . قال الزركشي ومحل قولنا لا يبرأ بالدفع للصبي باذن وليه ما إذا لم يكن في مصلحة تتعلق ببدنه من مأكول ومشروب وملبس ونحوها فإن كان برئ وإن قال شخص لمن له عنده ودعة أوله عليه دين سلم إلى الصبي ودعنى أو قدر دين الذي عليك أو ألقهما في البحر فاستل برئ من الدفعة لأنه استل أمره في حقه المتعين لامن الدين لأن ما في الذمة لا يتعين إلا قبض صحيح ولم يوجد وفي معنى الدفعة كل ما هو متعين كعقار ومغصوب والسفيه في جميع ما ذكر كالصبي ولو أوصل صبي هدية إلى غيره وقال : هذه من زيد مثلاً وأخبر بالاذن بالدخول إلى دار أو غيره لم يعمل بجبره مع ما يفيد العلم أو الظن من قرينة أو من قوله لاعتماد السلف عليه في ذلك حينئذ .

وإسلام من يشتري له ما كتب فيه القرآن ولو آية وإن أثبت لغير الدراسة أو كتب علم شرعي أو رقيق مسلم أمرته وعدم حرابة من يشتري له آلة حرب كترس ودرع وخيل وفي المعقود عليه طهارته فيبيع نجس العين باطل وإن أمكن طهره بالاستحالة.

﴿و﴾ شرط ﴿اسلام من يشتري له ما كتب فيه القرآن﴾ قال السيد البكري: ومثله الحديث ولو ضيعا فيما يظهر انتهى. لكن استنع الماوردى فى الحاوى من الحاق كتب الحديث والفقه بالمصحف وقال: ان بيعها من الكافر صحيح لاحتالة وهل يؤمر بإزالة الملك عنها فيه وجهان، قال التواوى فى زيادات الروضة: الخلاف فى بيع المصحف والفقه إنما هو فى صحة العقد مع أنه حرام بلاخلاف ﴿ولو آية﴾ عبارة غيره وإن قل وهو صادق بالآية وما دونها ولو حرفا ﴿وإن أثبت﴾ أى الآية ﴿لغير الدراسة﴾ كما قاله ابن حجر ﴿أو﴾ يشتري له ﴿كتب علم شرعى﴾ قال السبكي: تعظيما للعلم الشرعى وهذا يفيد كما قاله ابنه الشيخ تاج الدين جواز التملك الكافر كتب علم غير شرعية وينبغي المنع من تملك ما يتعلق منها بالشرع ككتب النحو واللغة وفيما قاله نظر ﴿أو﴾ يشتري له ﴿رقيق مسلم﴾ لا يعق عليه وذلك لما فى ملك الكافر للمسلم من الأدلال وقد قال الله تعالى: ولم يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا. وخرج بقولنا لا يعق عليه ما إذا كان يعق عليه بالشراء كآبيه أو ابنه فإنه يصح لاتقاء أدلاله بعدم استرقاء ملكه ﴿أو﴾ رقيق ﴿مرتد﴾ لبقاء علة الاسلام فيه وفى تمكن الكافر منه ازالة لها وهذا ما صححه فى المجموع لكن الذى فى الروضة وأصلها صحة بيع المرتد للكافر.

* تنبيه * للكافر استجار المسلم حرا أو رقيقا وله استجار مصحف ونحوه إذ لا يثبت له على شيء منها تسليط تام وإنما يستوفى منفعة بعوض وقد أخرج على رضى الله عنه نفسه لكافر. قال الزركشى: ويضغى أن يكون محل ذلك فى غير الاعمال الممتهنة أما الممتهنة كازاحة فاذوراته فيمنع قطعها وله ارتهان الرقيق المسلم وارتهان مصحف لأنه مجرى استيثاق وترفع يده عنهما فيوضعان عند عدل.

* فرع * قال السبكي وغيره: والصواب أنه لا يجوز ابداع المصحف عند الكافر وكذا كتب العلم لأنه لا يؤمن من افسادها والاعارة مثله وقد أفتى الشيخ عز الدين بمنع دفع المصحف الى من يجلده وقال: لا يدفع المصحف والتفسير وكتب الحديث الى كافر لا يرجى اسلامه وينكر على فاعله.

﴿و﴾ يشترط ايضا ﴿عدم حرابة من يشتري له آلة حرب﴾ هى هذا كل نافع فى الحرب ﴿كترس﴾ وهو المسمى بالدرقة وبالحنة إذا كان من جلد كما فى المصباح ﴿ودرع﴾ أى درع الحديد ﴿ورمح﴾ وخيل ﴿بخلاف غير آلة الحرب﴾ فيصح بيعه للحربى ولو كان ذلك الغير مما تنأتى آلة الحرب منه كالحديد إذ لا يتعين جعله عدة حرب فإن ظن جعله ذلك حرم ويصح بيع تلك الآلة للذمى ومثله للباغى وقاطع الطريق لسهولة أمرهما.

﴿و﴾ شرط ﴿فى المعقود عليه﴾ مبيعا كان أو ثمنا شروط الأول ﴿طهارته﴾ يدخل فيه المانع الواقع فيه ما لا تنفس له سائلة فيصح بيعه ولكن ثبت للمشتري الخيار لأن النفوس تعاف أكله وشمل ما لو غلب على ظنه طهارته بالاجتهاد وعلم من هذا الشرطان من اشتبه عليه مذكاه ومية أو ماء وبول لم يحز ان يبيع أحدهما بالاجتهاد ﴿فيبيع نجس العين﴾ كخمر وكنب وخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما ﴿باطل وإن أمكن طهره بالاستحالة﴾ كجلد ميتة وذلك لخبر الصحيحين أنه لا يبيح عن ثمن الكلب وفى حديث جابر مرفوعا: إن الله عز وجل حرم بيع الخمر والميتة والأصنام والخنزير وقس بها ما فى معناها. قال الزبيدى: ولا فرق بين أن يكون الكلب معلما أو غير معلم وبهذا قال أحمد وعن أبى حنيفة رحمه الله تجوز بيع الكلب إلا أن يكون عقورا ففيه روايتان وعن أصحاب مالك اختلاف فيه منهم

وكذا من نجس لا يطهر بالفعل ويجوز نحو الصدقة بالمتنجس أو اقتناء الكلب لنحو حراسة وتربية الزرع بنجس والتنع فيبطل بيع ما لا ينفع كحيتي نحو حنطة أو زبيب ويحرم أخذ حبة وخلال من حق غيره ويجب ردهما وكفر مستحله

من لم يجوزه ومنهم من جوز الكلب المأذون في أساكه ﴿وكذا من نجس لا يطهر بالفعل﴾ أي لا يمكن تطهيره أصلاً أو يمكن لا بالفعل وذلك كالخل واللبن والصنغ والآجر المعجون بالزبل اذهب في معنى نجس العين .

وحل عدم صحة بيع ما ذكر إذا كان استقلالاً أما تبعاً فيصح كبيع دار مبنية بأجر مخلوط بسرجين أو طين كذلك أو أرض مسجدة بذلك ولا يجوز بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تؤكل مما يتحلب من شحمها ولحمها وإن كان يصلح للاستصباح أو طلاء السفن وذلك في أظهر الوجهين ولا بأس ببيع الدهن الطاهر الذي نجس بوقوع نجاسة أو موت فأرة فيه فإنه يجوز الاتقاع به في غير الأكل وهو في عينه ليس بنجس وكذلك لا بأس ببيع الفز فإنه أصل حيوان ينتفع به وتشبهه بالبيض وهو أصل حيوان أولى من تشبهه بالروث ويجوز بيع فأرة المسك ويقضى بطهارتها إذا انفصلت من الظبية في حالة الحياة .

﴿ويجوز نحو الصدقة بالمتنجس﴾ كالدمن للاستصباح به مثلاً على إرادة نقل اليد لالتملك كالصدقة الهبة والوصية ونحوهما . قاله في الاسنى ﴿أو اقتناء الكلب لنحو حراسة﴾ أي لنحو الماشية كزرع ودرب ونفسه في حضر أو سفر لا قبل شراء الماشية ونحوها فلا يجوز اقتناؤه لغير مالكها ليحفظها به إذا ملكها ولا لغير صياد ليصطاد به إذا أراد كما صرح به في الروضة والجموع ولا يجوز اقتناء الخنزير مطلقاً ولا يجوز اقتناء الفهد كالقرد والفيل وغيرهما ويجوز تربية الجر والذي يتوقع تعليمه لما ذكر من الصيد وحفظ الماشية ونحوهما وذكر في النهاية ما يقتضيه الجر وبثليث الجيم ولد الكلب والسبع ذكره الجوهري ﴿و﴾ يجوز ﴿تربية الزرع بنجس﴾ كالزبل عبارة الروضة ويجوز اقتناء السرجين وتربية الزرع به لكن يكره .

﴿و﴾ الشرط الثاني ﴿التنع﴾ أي الاتقاع به شرعاً ولو في المال كاللحش الصغير ﴿فيبطل بيع ما لا ينفع﴾ كالخمار الزم لأنه لا يعد ما لا يأخذ المال في مقابله تمتع للنهي عن إضاعة المال وعدم تنفعه .

ولخلو الشيء عن المنفعة سببان أحدهما القلة ﴿كحيتي نحو حنطة أو زبيب﴾ فإن ذلك القدر لا يعد ما لا لا يبدل في مقابله المال ولا ينظر إلى ظهور الاتقاع إذا ضم هذا القدر إلى أمثاله ولا فرق في ذلك بين زمن الرخص والغلاء ﴿و﴾ مع هذا ﴿يحرم أخذ حبة وخلال﴾ قال الفيومي : والحلال مثل كآب القود ويخلل به الثوب والأسنان ﴿من حق غيره ويجب ردهما﴾ فإن تلقا فلا ضمان إذا لمالية وعن القفال أنه يضمن مثلها ﴿وكفر مستحله﴾ وما نقل عن الشافعي رضي الله عنه من أنه يجوز أخذ الحلال والخلائين من خشب الغير يحمل على علمه برضا مالكة . قال الشيخ الاسلام في شرح الروض : والسبب الثاني الحسة كاللحشرات والفأرة والنمل والحية والعقرب ولا عبرة بما يذكر من منافعها في الخواص لأنها لا تعد ما لا لا يعلق فيجوز بيعه لمنفعة استصاص الدم وبيع غير الجوارح المعلمة من السباع والطير بما لا ينفع فيه كالأسد والذئب والحداة والغراب غير المأكول باطل ولا ينظر لمنفعة الجلد بعد الموت ولا لمنفعة الريش في النبل ولا لاقتناء الملوك لبعضها للهيبة والسياسة ويصح بيع ما ينتفع به من الجوارح وغيرها كالقهد للصيد والفيل للقتال والقرد للحراسة والنحل للعسل والعندليب والطاووس للأس بصوته أي العندليب ولونه أي الطاووس كذا في الروض وشرحه ويجوز بيع الهرة قاله الغزالي لأنها ينتفع بها وقد وصى الشارع عليها وعدّها من الطوافات علينا وأما ما روي من النهي عن ثمن الهرة فقال القفال : أراد الهرة الوحشية وليس فيه منفعة استئناس ولا غيره .

ولا يصح بيع السم إلا إن تقع قليله كالأفيون والولاية على المعتقد عليه بملك أو غيره فيبطل بيع المرء مال غيره فضولاً وإن أجازته المالك وقدرة تسليم المبيع

﴿ولا يصح﴾ بل يحرم ﴿بيع السم﴾ أن قتل كثيره وقليله ﴿الأن تقع قليله﴾ وقل كثيره ﴿كالأفيون﴾ السقمونيا

* فروع * آلات الملاهي والصور لا يصح بيعها ولو كانت ذهباً أو فضة إذ لا تقع بها شرعاً ولأنها على هيئتها لا يقصد منها غير المعصية وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم بيع الأصنام ورواه الشيخان ويصح بيع جارية الغناء وكبش النطاح وديك الهراش ولو زاد الثمن لذلك قصد أم لا لأن المقصود أصالة الحيوان ويصح أيضاً بيع آية الذهب والفضة لأنهما المقصودان ولا يشكّل بما مر من منع بيع آلات الملاهي والصور المتخذة منهما لأن آيتهما يباح استعمالهما للحاجة بخلاف تلك ويصح أيضاً بيع الماء والحجر والتراب ولو كان الماء عند النهر والحجر عند الجبل والتراب عند الصحراء لظهور المنفعة فيها ولا يتدح في ذلك إمكان تحصيل مثلها بلا تعب ولا مؤنة ويصح لبن الآدميات لأنه طاهر مستمتع به فأشبهه ابن الشاة ومثله ابن الآدميين بناء على طهارته .

﴿و﴾ الشرط الثالث ﴿الولاية﴾ للعاقدة ﴿على المعتقد عليه بملك أو غيره﴾ من نيابة أو ولاية كولاية الأب والوصى والقاضي والظافر يعني جنس حقه والمثلقت لما يخاف تلفه ﴿فيبطل بيع المرء مال غيره فضولاً﴾ أي ليس مالكا ولا وكلاً ولا ولياً ﴿وإن أجازته المالك﴾ وهذا مبني على الجديد هنا أنه إذا باع مال غير بغير إذن وولاية يكون لاغياً لخبر: أنه ﷺ قال للحكيم بن حزام: لا تبع ما ليس عندك رواه الترمذي وصححه والخبر: لا إطلاق الا فيما تملك ولا عتق الا في ما تملك ولا بيع الا فيما تملك رواه أبو داود بإسناد صحيح والقديم أنه ينعقد موقفاً على إجازة المالك إن أجازته نفذ والا لئلا لما روى أنه ﷺ دفع ديناراً إلى عوزة البارقي ليشترى به شاة فاشترى به شاتين وباع أحدهما بدينار وجاء بشاة ودینار فقال النبي ﷺ: بارك الله لك في صفقة يمينك والاستدلال أنه ناع الشاة الثانية بغير إذن النبي ﷺ ثم أنه أجازته ولأنه عقد له بحيز في الحال فينعقد موقفاً كالوصية ومشى المصنف وكذا الغزالي في الأحياء على القول الجديد حيث قال فيه: ولا يجوز أن يشتري من غير المالك انتظاراً للإذن من المالك بل لو رضى بعد ذلك وجب استئناف العقد ولا ينبغي أن يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الوالد مال الولد ولا من الولد مال الوالد اعتماداً على أنه لو عرف لرضى به فإنه إذا لم يكن الرضا مقدماً لم يصح البيع انتهى . وبما يؤيد القول الجديد أن بيع الآبق غير صحيح مع كونه مملوكاً له لعدم القدرة على التسليم فيبيع ما لا يملك ولا قدرة على تسليمه أولى أن لا يصح .

وبما له تعلق بهذه المسئلة أن الفضولي لو اشترى لغيره شيئاً نظر أن اشترى بعين ماله ففيه القولان وإن اشترى في الذمة نظر أن أطلق ونوى كونه للغير فعلى الجديد يقع عن المباشر وعلى القديم يتوقف على الإجازة فإن رد نفذ في حقه ومذهب مالك كالقول الجديد وعند أحمد روايتان كالقولين ومذهب أبي حنيفة كالقديم في البيع وأما في الشراء فقد قال في صورة شراء المطلق يقع عن جهة العاقد ومن مسائل هذا الفصل لو غصب أموالاً باعها وتصرف في أثمانها مرة بعد أخرى ففيه القولان أصحهما البطلان والثاني للمالك أن يحجزها ويأخذ الحاصل منها وعلى هذا الخلاف يبين الخلاف في أن القاصب إذا ربح في المال المنصوب يكون الربح له أو للمالك ففي مسائل هذا الفصل لو باع مال الله على ظن أنه حبي فهو في فضولي فبان أنه كان يومئذ ميتاً وإن المبيع ملك العاقد ففيه قولان أصحهما أن البيع صحيح لصدوره من المالك . والثاني أنه باطل لأن هذا العقد وإن كان متجزاً في الصورة فهو في المعنى متعلق وقد ضعف هذا القول .

﴿و﴾ الشرط الرابع ﴿قدرة تسليم المبيع﴾ بالنسبة للبائع وتسليم الثمن بالنسبة للمشتري حساً وشرعاً ليوثق بحصول البعوض

فلا يصح بيع مغصوب لغير قادر على اتزاعه وآبق وضال وإن عرف مكانه ولا بيع السمسك في بركة واسعة بحيث يحتاج أخذه منها إلى كثير كلفة والعلم به فيع أحد نحو الثوبين باطل

ويخرج عن بيع الفرر المنهى عنه في خبر مسلم قال الماوردي: والفرر ما تردد بين متضادين أغلبهما أخوفهما وقيل ما انطوت عنا عاقبه ﴿فلا يصح بيع مغصوب لغير قادر على اتزاعه﴾ أي أخذه من الغاصب الذي غصبه ﴿و﴾ لا بيع ﴿آبق﴾ للعجز عن تسليمها حالا .
﴿فائدة﴾ قال الثعالبي: لا يقال للعبد آبق إلا إذا كان ذهابه من غير خوف ولا كراهة في العمل ولا فهو هارب . قال الأذرعى:
لكن الفقهاء يطلقونه عليهما ﴿و﴾ لا بيع ﴿ضال وإن عرف مكانه﴾ أي سواء عرف مكانه أو لم يعرف لأنه غير مقدور على تسليمه في الحال هذا هو المشهور . قال الأئمة: ولا يشترط في الحكم بالبطلان اليأس من التسليم بل يكفي ظهور التعذر واحسن بعض الأصحاب فقال: إذا عرف مكانه وعرف أنه يتصل إليه إذا رام الوصول فليس له حكم الآبق .

﴿ولا﴾ يصح ﴿بيع السمسك في بركة واسعة﴾ قال الفيومي: وبركة الماء المعروفة والجمع برك مثل سدره وسدر . وقال غيره:
والبركة كالخوض قيل سميت بذلك لإقامة الماء فيها فكل شيء ثبت وقام فقد برك ﴿بحيث يحتاج أخذه منها إلى كثير كلفة﴾ أي تعب لعدم قدرة تسليمه لا أن سهل تحصيله ولم يمنع الماء رزقه فيصح بيعه وبيع الحمام في البرج على التفصيل المذكور في البركة ولو باعها وهي طائفة اعتمادا على عادة عودها بالليل ففيه وجهان أصحهما عند الإمام الصحة كبيع العبد المبعوث في شغل وأظهرهما ما ذكره الغزالي في المحيز المنع وبه قال الأكثرون: إذا لا قدرة في الحال وعودها غير موثق به إذ ليس له عقل باعث والله أعلم .

﴿تنبيه﴾ لا يجوز بيع الجنين في البطن وعصب الفحل وكذلك بيع الصوف على ظهور الحيوان واللين في الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاف غير المبيع بالمبيع والمعجوز عن تسليمه شرعا كالمرهون والموقوف والمتولد فلا يصح بيعها أيضا وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد دون الأم لأن تسليمه يفرق بينهما وهو حرام فلا يصح التفرق بينهما بالمبيع .

﴿و﴾ الشرط الخامس للمعقود عليه ثنا أو مشنا ﴿العلم﴾ أي علم العاقدين ﴿به﴾ أي بالمعقود عليه لا من كل وجه بل بالعين في المعين والقدر والصفة فيما في الذمة للنهي عن بيع الفرر .

أما العلم بالعين فبان يشير إليه بعينه ﴿فبيع أحد نحو الثوبين باطل﴾ لأن المبيع غير متعين وكذلك لو قال: بعت عبيدي هؤلاء إلا واحدا ولم يعين المستثنى لأن المبيع غير معلوم ولا فرق بين أن يقول على أن يختار أيهم شئت أو لا يقول ولا إذا قال ذلك بين أن يقدر زمان الاختيار أو لا يقدر . وعن أبي حنيفة أنه لو قال: بعتك أحد عبيدي أو عبيدي الثلاثة على أن تختار من شئت في ثلاثة وما دونها يصح العقد وأغرب المتولي فحكى عن القديم قولاً مثله ووجهه بأن الشرع أثبت الخيار في هذه المدة بين العوضين ليختار هذا الفسخ أو هذا الامضاء فجاز أن يثبت له الخيار بين عبيدين وكما تقدر نهاية ما يقدر به من الأعيان بثلاثة . قال الرافعي: ولا يخفى ضعف هذا التوجيه ووجه المذهب القياس على ما إذا زاد العبيد على ثلاثة ولم يجعل له الاختيار أو زاده على ثلث أو فرض ذلك في الثياب والدواب وغير العبيد من الأعيان وعلى النكاح فانه لو قال: انكحتك إحدى ابنتي أو بناتي لا يصح النكاح فلو لم يكن له إلا عبد واحد فحضر في جماعة من العبيد . وقال السيد: بعتك عبيدي من هؤلاء والمشتري يراهم ولا يعرف عين عبده فحكمه حكم بيع الغائب قاله في التهمة . فقال صاحب التهذيب: عندى هذا البيع باطل لأن المبيع غير متعين وهو الصحيح . وأما العلم بالقدر فانما يحصل بالكيل أو الوزن أو النظر إليه ،

ورؤية المتعاقدين ما عقد على عينه فبيع ما لم يره أحدهما والشراء باطل وإن بالغ في وصفه وكذا رهنه وإجارته وهبه

اعلم أن المبيع قد يكون في الذمة وقد يكون معينا والأول السلم والثاني هو المشهور باسم البيع والثمن فيها جميعا قد يكون في الذمة وكان يشترط في السلم التسليم في مجلس العقد وقد يكون معينا فما كان في الذمة من العوضين لا بد من أن يكون معلوم القدر فلو قال : بعك هذا الثوب أو هذا الفرس بما يباع به فلان ثوبه أو فرسه وهما لا يدريان ذلك أو أحدهما فهو باطل لأنه غرر يسهل الاجتناب عنه ولو قال : بعك ملء هذا البيت حنطة أو برنة هذه الصنجة ذهباً فهو باطل إذا لم تكن الصنجة معلومة ولو قال : بعك بمائة دينار إلا عشرة دراهم لم يصح إلا أن يعلما قيمة الدينار بالدراهم . قال النووي : ينبغي أن يكفى علمهما بالقيمة بل يشترط منه قصد هما استثناء القيمة ، وذكر صاحب المستظهرى فيما إذا يعلما حال العقد قيمة الدينار بالدراهم ثم علم في الحال طريقين أصحهما لا يصح . والثاني على وجهين انتهى .

(تنبيه) ولما قدمنا أن العلم بمقدار العوض لا بد منه إذا كان في الذمة احتجنا إلى بيان مسئلة وهي كالمستثناة من هذه وهي أنه لو قال : بعك هذه الصبرة كل صاع بدرهم يصح العقد وإن كانت الصبرة مجهولة الصيعان وقدر الثمن مجهولا وبه قال مالك وأحمد وكذا الحكم . لو قال : هذه الأرض أو هذا الثوب كل ذراع بدرهم أو هذه الأغنام كل واحدة بدینار وقال أبو حنيفة : إذا كانت الحملة مجهولة صح البيع في مسئلة الصبرة وفي قفيزة واحدة ودون الباقي وفي مسئلة الأرض والثوب لا يصح في شيء وهذا ما حكاه ابن كج عن أبي الحسين في الصور كلها ووجه الصحة أن الصبرة مشاهدة والمشاهدة كافية للصحة ولا يضر الجهل بمبلغ الثمن لأن تفصيله معلوم والغرر يرتفع به فإنه يعلم أقصى ما ينتهي إليه الصبرة وقد رغب فيها على شرط كل صاع بدرهم كم كانت . ولو قال : بعك عشرة من هؤلاء الأغنام بكذا لم يصح وإن علم عدد جملة بخلاف مثله في الصبرة والأرض والثوب لأن قيمة الشاة تختلف فلا يدري كم العشرة من الجملة كذا ذكره في التهذيب ونقله الزبيدي وحزم به . وأما العلم بالصفة فيحصل بالرؤية في الأعيان كما أشار إليه المصنف بقوله :

﴿و﴾ الشرط السادس ﴿رؤية المتعاقدين ما عقد على عينه فبيع ما﴾ أى معین غائب ﴿لم يره أحدهما﴾ مثله ﴿الشراء﴾ أى الشراء الغائب عن الرؤية ﴿باطل﴾ للغرر المنهى عنه ﴿وإن بالغ﴾ كل منهما ﴿في وصفه﴾ وذلك لأن الملاحظ في اشتراط الرؤية الاحاطة بما لم تحط به العبارة من دقيق الأوصاف التي يقصر التعبير عن تحقيقها وإيضاحها للذهن ومن ثم ورد ليس الخبر كالعيان بكسر العين ﴿وكذا رهنه وإجارته﴾ من غير رؤية المتعاقدين ﴿وهبه﴾ .

اعلم أن في بيع الأعيان الغائبة والحاضرة التي لم ترقولین قال في القديم وفي الإملاء أنه صحيح وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم : من اشترى ما لم يره فله الخيار إذا أراه . ومعلوم أن الخيار إنما يثبت في العقود الصحيحة ولأنه عقد معاوضة فلم يكن من شرطه رؤية المعقود عليه كالنكاح وقال في الأم والبوطى لا يصح وهو اختيار المزني ووجهه بيع غرر وقد نهى عنه ولأنه بيع مجهول الصفة عند العاقد حال العقد فلم يصح بيعه ويشتهر القول الأول بالقديم والثاني بالجديد واختلفوا في محلها على طريقين أصحهما عند ابن الصباغ وصاحب التمه وغيرهما أن القولين مطردان في المبيع الذي لم يره المتبايعان كلاهما وفيما لم يره أحدهما والثاني أن القولين فيما إذا شاهده البائع دون المشتري أما إذا لم يشاهده البائع فالبيع باطل قولاً واحداً ومنهم من جعل البيع أولى بصحة لأن البائع معرض عن الملك والمشتري محصل له فهو أجدر بالاحتياط وهذا يوجب خروج طريقة ثالثة وهو القطع بالصحة إذا رآه المشتري وتخصيص فيما إذا لم يره .

(تنبيه) ان لم يجز شراء الغائب وبيعه لم يجز بيع الأعمى وشراؤه فان جوزناه فوجهان اظهرهما انه لا يجوز أيضا والثاني انه يجوز ويقام وصف غيره له مقام رؤيته كما تقوم الإشارة مقام النطق في حق الآخرس وبهذا قال مالك وأبو حنيفة وأحمد .

(خاتمة) لو اشترى ما رآه قبل العقد نظر ان كان مما لا يتغير غالبا كالأراخي والأواني والحديد والنحاس ونحوها أو كان لا يتغير في المدة المتخللة للرؤية صح العقد بحصول العلم الذي هو المقصود وبه قال الغزالي وقال الأنماطي : لا يصح لأن ما كان شرطا في العقد ينبغي ان يوجد عنده كالعقد على التسليم في البيع والشهادة في النكاح والمذهب الأول واحتج الأصطخري على الأنماطي في المسئلة فقال : أرأيت لو كان في يده خاتم فأراه غيره حتى نظر إلى جميعه ثم عطاها بكفه ثم باعه منه فهل يصح قال : لا ، قال : أرأيت لو دخل دارا ونظر إلى جميع جوانبها وأعاليلها ثم خرج منها واشتراها هل يصح قال : لا ، قال : أرأيت لو دخل أرضا ونظر إلى جميعها ثم وقف في ناحية منها واشتراها هل يصح ؟ فتوقف فيه ولو ارتكبه لكان مانعا بيع الاراض والضباع التي لا تشهد دفعة واحدة وانه خلاف الاجماع ثم إذا صححتنا الشراء فان وجدته كما رأى أولا فلا خيار له وان وجدته متغيرا فقد حكى الغزالي فيه وجهين في الوسيط احدهما انه يتبين بطلان العقد لتبين انتفاء المعرفة واصحهما وهو الذي أورده الجمهور انه لا يتبين ذلك لبقاء العقد في الأصل على الظن الغالب ولكن له الخيار قال الإمام في النهاية : وليس المعنى بتغير تنبيه فان خيار الغيب لا يختص بهذه الصورة ولكن الرؤية بمثابة الشرط في الصفات الكائنة عند الرؤية فكل ما قامت منها فهو بمثابة ما لو تبين الخلف في الشرط وان كان المبيع مما يتغير في مثل تلك المدة غالبا كما إذا رأى ما يتسارع إليه القناد من الأطعمة ثم اشتراه بعد مدة صالحة فالبيع باطل وان مضت مدة تحتل ان يتغير فيها ويحتمل ان لا يتغير أو كان المبيع حيوانا فيه وجهان احدهما انه لا يصح البيع لما فيه من الغرر ويحكى هذا عن المزني وابن أبي هريرة واصحهما الصحة لأن الظاهر بقاؤه بحاله فان وجدته متغيرا فله الخيار وإذا اختلفا فقال البائع : هو بحاله وقال المشتري : بل تغير فوجهان احدهما ان القول قول البائع لأن الأصل عدم التغير واستمرار العقد واظهرهما ان القول قول المشتري مع يمينه لأن البائع يدعى عليه الإطلاع على المبيع في هذه الصورة والرضا به وهو ينكره فاشبه ما إذا ادعى الإطلاع على الغيب وانكر المشتري .

ومن فروع المسئلة إذا رأى الشيء دون بعض نظر ان كان مما يستدل برؤية بعضه على الباقي صح البيع كما إذا رأى ظاهر الصبرة من الحنطة والشعير لأن الغالب ان أجزاءها لا تختلف ويعرف جملتها برؤية ظاهرها ثم لا خيار له إذا رأى باطنه إلا إذا اختلف باطنه وظاهره وفي التمه ان أبان سهل الصعلوكي حكى قولاً عن الشافعي انه لا تكفي رؤية ظاهر الصبرة بل لابد من تقلبها ليعرف حال باطنها أيضا وهكذا حكاه أبو الحسن العبادي عن الصعلوكي نفسه وقال : انما ألجأ إليه ضرورة نظر والمذهب المشهور هو الأول وفي معنى الحنطة والشعير صبرة الجوز والدقيق واللوز لان الظاهر استواء ظاهرها وباطنها ولو كان شيء منها في وعاء فرأى أعلاه أو رأى أعلى السمن والخل وسائر المائعات في ظروفها كفى وكذا لو كانت الحنطة في بيت وهو مملوء منها فرأى بعضها في الكوة أو الباب ان عرفت سعة البيت وعمقه والا فلا وكذا حكم الحمد في الجمدة ولا تكفي رؤية صبرة البطيخ والرمان والسفرجل لأنها تباع في العادة عددا وتختلف اختلافا بينا فلا بد من رؤية واحد واحد وكذا لا يكفي في بيع السلة من العناب والخوخ ونحوهما برؤية الأعلى لكثرة الاختلاف فيها وعن الضيمري حكاية خلاف في القطن في العود انه تكفي رؤية أعلاه ام لابد من رؤية جميعه قال : والأشبه عندي انه كحوضرة السم ومن فروع هذا الفصل الثوب المطوى وصحائفه ونشره واختار الفسخ وكان لطيه مؤنة ولم يحسن طيه لزم المشتري مؤنة الطي انتهى ثم إذا نشرت فما كان صفيقا كالدجاج المتفوش فلا بد من رؤية كلا وجهيه وما كان رقيقا لا يختلف وجهاه كالكراس تكفي رؤية احد وجهيه في الصحيح من الوجهين .

﴿فصل في الربا﴾

قال الله تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس

ثم اعلم ان الشيء اذا كان مما يتبدل برؤية بعضه على الباقي نظر ان كان المرئي صوانا للباقي فكثير الربا والبعض كفى رؤيته وان كان معظم المقصود مستورا لان صلاحه ببقائه فيه وكذا لو اشترى الجوز واللوز في القشرة السفلى ولا يصح بيع اللب وحده فيها لان تسليه لا يمكن الا بكسر القشر وفيه تغيير عين المبيع وصرح النووي في فتاويه ببيع الفقاع بضم وتشديد شراب الزبيب وقال : ولا كراهة فيه لمشقة رؤيته ولان بقاءه في الكوز من مصلحته انتهى . وقال الرافعي : وذكره أبو الحسن العبادي ان الفقاع يفتح رأسه وينظر فيه بقدر الامكان حتى يصح بيعه والغزالي اطلق المسامحة في الاحياء فيما اظن . قال النووي قلت الأصح قول الغزالي والله اعلم .

ثم اعلم ان الرؤية في كل شيء على حسب ما يليق به ففى شراء الدار لا بد من رؤية السقف والجدران والسطح داخلا وخارجا وفي الحمام من رؤية المستحم والبالوعة وفي البستان من رؤية الأشجار ومسابل الماء وفي شراء العبد لا بد من رؤية الوجه والأطراف الا العورة وفي باقي البدن وجهان أظهرهما أنه لا بد من رؤيته وفي الجارية وجوه الأصح أنها كالعبد وفي الدواب لا بد من رؤية مقدمها ومؤخرها وقوائمها وتحت السرج والأكاف والجل وفي شراء الكلب لا بد من قلب الأوراق ورؤية جميعها والله أعلم .

﴿فصل في الربا﴾

وهو في اللغة الفضل والزيادة وهو مقصور على المشهور وبشي ربا بالواو وعلى الأصل وقد يقال ربا على التحقير وينسب اليه على لفظه فيقال ربوي قاله أبو عبيدة وزاد المطرزي فقال الفتح في النسبة خطأ وربا الشيء ربوا إذا زاد ومنه الربوة للمكان المرتفع عن الأرض وفي الشرع عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما وهو ثلاثة أنواع ربا الفضل وهو البيع مع زيادة أحد العوضين على الآخر وربا اليد وهو البيع مع تأخير قبضهما أو قبض أحدهما وربا النساء وهو البيع لأجل وزاد المتولى ربا القرض المشروط فيه جرتع ويمكن عوده لربا الفضل قاله الزركشي وكل منهما محرم بالكتاب والسنة والاجماع .

﴿قال الله تعالى الذين يأكلون الربا﴾ أي يعاملون به وإنما خص الأكل لأنه معظم الأمر المقصود من المال لان المال لا يؤكل وإنما يصرف في المأكول ثم يؤكل ﴿لا يقومون﴾ اذا بعثوا من قبورهم ﴿الا كما يقوم﴾ أي مثل قيام ﴿الذي يتخبطه الشيطان﴾ أي يصرفه وأصل الخطب الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط للتي تضرب الأرض بقوائمها وتطأ الناس بأحفافها ومنه قولهم يخبط خطب عشواء للرجل الذي يتصرف في الأمور على غير اعتداء وتميز وتدير وتخطبه الشيطان اذا مسه بحبل وجنون ﴿من المس﴾ أي من أجل مسه له أو من جهة الجنون فاذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسروعين من قبورهم هم الأكلة الربا فانهم كلما قاموا سقطوا على وجوههم وظهورهم كما أن المصروع يحصل له ذلك وسر ذلك أنهم لما أكلوا هذا الحرام السحت بوجه المكر والخداع ومحاربة الله ورسوله ربا في بطونهم وزاد حتى أقبلها فلذلك عجزوا عن النهوض مع الناس وصاروا كلما أرادوا الاسراع مع الناس ونهضوا سقطوا على ذلك الوجه القبيح وتحلفوا عنهم ومنعهم من النهوض مع الناس وصرخوا كلما سقطوا وتحلفوا أكلتهم وزاد عذابهم بها فجمع الله عليهم في الذهاب الى الموقف عذابين عظيمين ذلك التخطب ليمتازوا ويشتهروا بين أهل الموقف كما قال قتادة : أكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا وذلك علم لأكلة الموقف فيكون فيه على ذلك التخطب ليمتازوا ويشتهروا بين أهل الموقف كما قال قتادة : أكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا وذلك علم لأكلة

ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا

الربا يعرفهم به أهل الموقف ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا﴾ أى ذلك الذي نزل بهم من العذاب يقولهم هذا أو استحللهم إياه وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حل ماله على غيره مطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدنى فى الأجل حتى أزيدك فى المال فيفعلان ذلك وكانوا يقولون: سواء علينا الزيادة فى أول البيع بالرجح أو عند الحل لأجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ أى وأحل الله لكم الأرباح فى التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة فى الأموال لأجل تأخير الأجل وذلك لأن الله تعالى خلق الخلق فهم عبيده وهو يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لأحد أن يعترض عليه فى شيء مما أحل أو حرم وإنما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وأمره ونهيه.

وذكر بعض العلماء والفرق بين البيع والربا فقال إذا باع ثوبا يساوى عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضي على هذا المقابل صار كل واحد منها مقابلا للآخر فى المالة عندهما فلم يكن أخذ من صاحبه شيئا بغير عوض. أما إذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن أن يقال أن العوض هو الامهال فى مدة الأجل لأن الامهال ليس مالا أو شيئا يشار إليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين.

﴿فمن جاءه موعظة من ربه﴾ أى فمن بلغه وعظ من الله تعالى وزجر كالتنبيه عن الربا وإنما ذكر الفعل لأن تأنيده غير حقيقى فجاز تذكره وذلك لأن الوعظ والموعظة شيء واحد ﴿فانتهى﴾ أى رجع عما كان عليه من أخذ الربا فوراً عقب الموعظة ﴿فله ما سلف﴾ أى ما سبق مما أخذه بالربا قبل نزول آية تحريمه لأنه حينئذ لم يكن مكلفاً به بخلافه بعد نزولها فإن من تاب منه يلزمه رد جميع ما أخذه بالربا وإن فرض أنه لم يعلم التحريم لبعده عن العلماء لأنه تعاظم وقت التكليف به والجهل الذي يعذر به صاحبه إنما يؤثر فى رفع الائم دون الغرامات ونحوها من الأموال ﴿وأمره إلى الله﴾ أى بعد النهي أن شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وإن شاء خذله حتى يعود إلى أكل الربا وقيل معناه وأمره إلى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس إليه من أمره شيء وقيل أن الآية فيمن يعتد بتحريم أكل الربا ثم يأكله فأمره إلى الله تعالى أن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ﴿ومن عاد﴾ أى أكل بعد التحريم مستحلاله ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ لأنهم بالاستحلال صاروا كافرين لأن من أحل ما حرم الله عز وجل فهو كافر فله استحقاق الخلود وبهذا تبين أنه لا تعلق للمعتزلة بهذه الآية فى تحليل الفساق قاله النسفى فى مدارك التنزيل.

﴿وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا﴾ قال الحازن قيل نزلت فى العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما وكانا قد أسلفا فى الثمر فلما كان وقت الحد لهما قال صاحب الثمر لهما إن أنتم أخذتما حقهما لم يبق لى ما يكفى عبالى فهل لكما أن تأخذ النصف وتؤخر النصف وأضعف لكما ففعلتا فلما حل الأجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبى ﷺ فنهاهما وأنزل الله هذه الآية فسمعوا وأطاعوا وأخذ رؤس أموالهما. وقيل نزلت فى العباس وخالد بن الوليد رضى الله عنهما وكانا شركين فى الجاهلية يسلفان فى الربا إلى بنى عمرو بن عمير ناس من ثيف فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة فى الربا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال النبى ﷺ فى حجة الوداع فيما رواه جابر من أفراد مسلم الأكل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دماننا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مستوضعا فى بنى سعد فقتله هزبل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضع كله.

إن كنتم مؤمنين فإن لم تعملوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله أي في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فيجب على حكام الشريعة إذا علموا من شخص تعاطى الربا أن يعزروه بالحبس وغيره إلا أن يتوب فإن كانت له شوكة ولم يقدروا عليه إلا بنصب حرب نصبوا آلة الحرب والقتال كما قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة

وقيل نزلت في أربعة أخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد البيل وخبيب وربيع بن عمرو بن عامر بن عوف الثقفي كانوا يدعون بني المغيرة بن عبد الله بن عامر بن مخزوم وكانوا يرون فلما ظهر النبي ﷺ على الطائف أسلم هؤلاء الأخوة بنو عمرو الثقفي وطلبوا رباهم من بني المغيرة فقال بنو المغيرة والله ما نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا إلى عتاب بن أسيد رضي الله عنه وكان عمل رسول الله ﷺ على مكة فكذب عتاب إلى النبي ﷺ بقضية الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . أي خافوا الله فيما أمركم به واتموا عما نهاكم عنه وذروا أي واتركوا ما بقي من الربا والمعنى واتركوا طلب ما بقي لكم ما فضل على رؤس أموالكم ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ بقلوبكم فإن دليله امتثال ما أمرتم به ﴿ فإن لم تفعلوا ﴾ أي لم تتركوا ما بقي من الربا بعد تحريمه ﴿ فاذنوا ﴾ قرئ بكسر الذال والمد على وزن آمنوا ومعناه فاعلموا غيركم أنه حرب الله ورسوله وقرئ فاذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا أتم وابتنوا ﴿ بحرب من الله ورسوله ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يقال لأكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب . قال أهل المعاني حرب الله النار وحرب رسوله السيف .

واختلفوا في معنى هذه الحاربة ف قيل المراد بها المبالغة في الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك أن من أصر على أكل الربا وعلم به الإمام قبض عليه وأجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس إلى أن تظهر منه التوبة وإن كان أكل الربا ناشوكة وصاحب عسكر حاربه الإمام كما يحاربه القبة الباغية . قال ابن عباس من كان مقيما على أكل الربا لا ينزع عنه فحق على إمام المسلمين أن يستيبه فإن نزع أي تاب والاضرب عنقه وإلى القول الثاني أشار المصنف بقوله تبعنا لصاحب الزواجر ﴿ أي ﴾ ومن حاربه الله ورسوله لا يفلح أبدا ثم المراد بذلك الحرب ﴿ في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فيجب على حكام الشريعة إذا علموا من شخص تعاطى الربا أن يعزروه بالحبس وغيره إلا أن يتوب فإن كانت له ﴾ أي لمعاطى الربا ﴿ شوكة ﴾ أي شدة بأس وقوة ﴿ ولم يقدروا ﴾ أي هؤلاء الحكام ﴿ عليه إلا بنصب حرب ﴾ وقاتل ﴿ نصبوا آلة الحرب والقتال ﴾ هكذا في نسخة الزواجر وفي غيرها : نصبوا آلة الحرب والقتال ﴿ كما قاتل أبو بكر ﴾ الصديق ﴿ رضي الله عنه مانعي الزكاة ﴾ .

أخرج اسمعيل عن عمر رضي الله عنه قال لما قبض رسول الله ﷺ ارتد من ارتد من العرب وقالوا نصلي ولا نركي فأتيت أبا بكر فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم الناس فأنهم بمنزلة الوحش فقال رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك اجبارا في الجاهلية خوارا في الإسلام بما إذا عسيت أن تألفهم بشعر مقفل أو بسخر مفترى هيئات هيئات مضي النبي ﷺ وانقطع الوحي والله لأجاهد منهم ما استمسك السيف في يدي وإن منعوني عقالا قال عمر : فوجدته في ذلك أمضى وأحزم وأذب الناس على أمور هونت على كثيرا من مؤتهم حين وليهم وقال الذهبي : لما اشهرت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بالنواحي ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ومنعوا الزكاة فنهض أبو بكر الصديق لقتالهم فأشار إليه عمر وغيره أن يفتروا قتالهم فقال والله لن منعوني عقالا أو عنقا فآثروا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها فقال عمر كيف قاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها عصمت ماله ودينه إلا مجتمعا وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال وقد قال

أما في الآخرة فلا يعلم أنواع عذابهم إلا الملك المنتقم ﴿وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ اجتنبوا السبع الموبقات﴾
الاجتهت فقال عمر ما هو الآن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق .

وقوله من فرق بين الصلاة والزكاة أي قال أحد هما واجب دون الآخر أو منع من إعطاء الزكاة متأولاً بأنها خاصة بالزمن النبوي لأنه تعالى قال خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم الآية فغيره ﷺ لا يطهرهم ولا يصل عليهم فتكون صلاته سكتاً لهم وقوله فإن الزكاة حق المال أي كما أن الصلاة حق البدن فد خلّت في قوله الاجتهت فقد تضمنت عصمة دم ومال متعلقة باستثناء شرائطها والحكم المعلق بشرطين لا يحصل بأحد هما والآخر معدوم فكما لا تتناول العصمة من لم يؤد حق الصلاة كذلك لا تتناول العصمة من لم يؤد حق الزكاة وإذا لم تتناولهم العصمة بقوا بعموم . قوله أمرت أن أقاتل الناس فوجب قتالهم حينئذ وهذا من لطيف النظر أن يقلب المعترض على المستدل دليلاً فيكون أحق به كذلك فعل أبو بكر فسلم له عمر وقاسه على المنع من الصلاة لأنها كانت بالاجتماع من رأى الصحابة فرد المختلف فيه إلى المتفق عليه فاجتمع في هذا الاحتجاج من عمر بالعموم ومن أبي بكر بالقياس فدل على أن العموم يخص بالقياس وفيه دلالة على أنها لم يسمعا من الحديث الصلاة والزكاة كما سمعه غيرهما أو لم يستحضرا إذ لو كان ذلك لم يحتج عمر على أبي بكر ولو سمعه أبو بكر لرد به على عمر ولم يحتج إلى الاحتجاج بعموم قوله الاجتهت لكن يحتمل أن يكون سمعه واستظهر بهذا الدليل النظري ويحتمل كما قال الطبري أن يكون عمر ظن أن المقابلة إنما كانت لكفرهم بالمنع الزكاة فاستشهد بالحديث فأجابه الصديق بأن ما أقاتلهم لكفرهم بل لمنعهم الزكاة .
وعن خنظلة بن علي الليثي أن أبا بكر بعث خالداً وأمره أن يقاتل الناس على خمس فمن ترك واحدة منها قاتله كما يقاتل من ترك الخمس جميعاً على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وسار خالد ومن معه في جمادى الآخرة فقاتل بنى أسد وغطفان وقتل من قتل وأسروا من أسروا ورجع الباقون إلى الإسلام واستشهد في هذه الواقعة من الصحابة عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم وفي سنة اثنتي عشرة بعث الصديق العلاء بن الحضرمي إلى البحرين وكانوا قد ارتدوا والتفوا بجلولان ونصر المسلمين وبعث عكرمة بن أبي جهل إلى عمان وكانوا قد ارتدوا وبعث زياد بن لبيد الأنصاري إلى طائفة من المرتدة وفيها مات أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبي ﷺ كذا ذكره ابن عامر العيادي في عمدة التحقيق .

﴿وأما في الآخرة فلا يعلم أنواع عذابهم﴾ أي أهل الربا ﴿الملك المنتقم﴾ وقال في الزواجر وأما في الآخرة فبأن يحتم الله له بسوء ومن ثم كان أعياد الربا والتورط فيه علامة على سوء الخاتمة إذ من حاربه الله تعالى ورسوله كيف يحتم له مع ذلك بخير وهل حاربه الله ورسوله له الاكثية عن إبعاده عن مواطن رحمته وإحلاله في دركات شقاوته . ﴿وقد وردت تلك العقوبات والقبايح الحاصلة لأهل الربا في أحاديث كثيرة صحيحة وغيرها .

فمنها ما ﴿أخرج الشيخان﴾ وأبو داود والنسائي ﴿عن أبي هريرة﴾ رضى الله عنه ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا﴾ أي ابعدوا فهو ألمع من لا تغفلوا لأنه يدل على طلب البعد . وفي المصباح جنب الرجل الشر جنوباً من باب قعد أبعده عنه وجنبته بالتثقل مبالغة انتهى . وحينئذ فهو أفعال من الجنون على وزن القعود قاله الحنفى ﴿السبع﴾ أي الكبائر السبع المذكورة في هذه الخبر لاقتضاء المقام ذكرها فقط والأفهى إلى السبعين بل قيل إلى سبعمائة أقرب قال العلقمي اضطرب في حد الكبيرة فقال جماعة هي ما يلحق صاحبها وعيد شديد بنص كتاب أوسنة . وقيل هي المعصية الموجبة للحد وهم إلى ترجيح الثاني أميل والأول هو الموافق لما ذكره في تفصيل الكبائر لأنهم عدوا منها أشياء كالربا وأكل مال اليم وشهادة الزور ولاحد فيها ﴿الموبقات﴾ بموحدة مكسورة وقاف

قالوا يا رسول الله وما من قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات * وأحمد بسند صحيح والطبراني عن عبد الله بن حنظلة درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زينة * وابن أبي الدنيا والبيهقي عن رجل من الصحابة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ستة وثلاثين زينة يزنيها الرجل * والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين والبيهقي الربا ثلاثة وسبعون بابا أسرها مثل أن ينكح الرجل أمه *

أي المهلكات جمع موبدة سميت بذلك لأنها سبب لاهلاك مرتكبها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات وفي الآخرة من العذاب ﴿قالوا يا رسول الله وما من﴾ قال، ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ ﴿الشرك بالله﴾ أي والمراد الكفر به بأي نوع وهو أعظم الكبائر ﴿والسحر﴾ قال المناوي وهو مزاول النفس الخبيثة لأقوال وأفعال يترتب عليها أمور خارقة انتهى . قال العلقمي والحق أن لبعض أسباب السحر تأثيرا في القلوب كالحب والبغض وفي البدن بالأم والسقم وإنما المنكر أن الجماد يتقلب حيوانا وعكسه بسحر الساحر ونحو ذلك فإن كان فيه ما يقتضي الكفر كفر .

وأجاز بعض العلماء تعلم السحر لأمرين أما تمييز ما فيه كفر عن غيره وأما لازاله عن وقع فيه وأما لقصاص به فعند الشافعية أن قال قتله بسحري وسحري يقتل غالبا فعليه القصاص أو نادرا فشبه عبيد أو قصدت غيره فخطأ وعليه الذية فالخطأ وشبه العبد في ماله إلا أن تصدقه العاقلة فبليهم والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج لذلك بل إنما تقع غالبا اتفاقا وأما المعجزة فتباز عن الكرامة بالتجدي أي دعوى الرسالة ﴿وقتل النفس التي حرم الله﴾ بالباطل ﴿أى بفعل موجب للقتال شرعا﴾ ﴿وأكل الربا﴾ أي تناوله بأي وجه كان ﴿وأكل مال اليتيم﴾ يعني التعدي فيه ﴿والتولي يوم الزحف﴾ قال المناوي أي الادبار من وجوه الكفار إلا أن علم أنه ان ثبت قتل من غير نكابة في العدو انتهى . قال العلقمي وإنما يكون التولي كبيرة إذا لم يزد عدد الكفار على مثلي المسلمين ﴿وقذف المحصنات﴾ بكسر الصاد أي رمين بالزنا والإحصان هنا العفة عن الفواحش أي الحفظات فروجهن ﴿الغفلات﴾ عن الفواحش وما قذف به ﴿المؤمنات﴾ قال العلقمي أما الكافرات فقد فتن صغيرة وغير الغفلات عن الفواحش فلا يباحرم قذفهن أن كن معلنات .

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد بسند صحيح والطبراني عن عبد الله بن حنظلة﴾ غسيل الملائكة انه ﴿درهم ربا يأكله الرجل﴾ يعني الإنسان ﴿وهو يعلم﴾ انه ربا وإن الربا حرام ﴿أشد عند الله من﴾ ذنب ﴿سنة وثلاثين زينة﴾ أي مرة من الزنا لأن الزنا حق الله والربا حق العبد وهذا للزجر والتنفير والافالزنا أشد من الربا وأما الجاهل فإن كان معذورا فلا يؤخذ والافهم كالعلم . ﴿و﴾ أخرج ﴿ابن أبي الدنيا والبيهقي عن رجل من الصحابة قال خطبنا رسول الله﴾ فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال : إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ستة وثلاثين زينة يزنيها الرجل . وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم . ﴿و﴾ أخرج ﴿الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين والبيهقي﴾ من طريقه وقال : هذا اسناد صحيح والمثل بهذا منكر الاسناد ولأعلمه الا ومما وكأنه دخل لبعض رواته اسناد الى اسناد ﴿الربا ثلاثة وسبعون بابا﴾ المراد الكبير لا التحديد أي أنواعه كثيرة ﴿أسرها مثل أن ينكح الرجل أمه﴾ هذا زجر وتنفير وأخرج البزار بسند رواه الصريح الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك . وروى ابن ماجه شطره الأول بسند صحيح . وأخرج البيهقي الربا سبعون بابا أدناها الذي يقع على أمه رواه باسناد لا بأس به ثم قال غريب بهذا الاسناد وإنما يعرف

والطبراني إياكم والذنوب التي لا تغفر الغلول فمن غل شيئا أتى به يوم القيامة وأكل الربا فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط ثم قرأ
﴿الذين يأكلون الربا إلى اللبس والأصهباني عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لما أسرى بي مررت بقوم بطونهم بين أيديهم كل رجل
منهم بطنه مثل البيت الضخم قد مالت بهم بطونهم منضدين على سابلة أي طريق آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا

بعد بن سلام رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال الدرهم يصيبه الرجل من الربا عند الله من ثلاث وثلاثين زينة يزنها في الإسلام وفي سنده
انقطاع . وروى عن أبي الدنيا والبنو وغيرهما موقوفا على عبد الله وهو الصحيح وهذا الموقوف في حكم المرفوع لأن كون الدرهم
أعظم وزنا من هذا العدد المخصوص من الزنا لا يدركه الأبوحى فكانه سمعه منه ﷺ ولفظ الموقوف في أحد طريقه قال عبد الله الربا اثنان
وسبعون حوبا أي بضم الهمة وفتحها اثنا أصغرها حوبا كمن أتى أنه في الإسلام ودرهم من الربا أشد من بضع وثلاثين زينة ويأذن الله
للبر والفاجر يوم القيامة الأكل الربا فإنه لا يقوم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني إياكم والذنوب﴾ أي اجتنبواها ﴿التي لا تغفر الغلول﴾ أي الخيانة في كل شيء ﴿فمن غل شيئا﴾ من
بقرة أو شاة أو نحو ذلك ﴿أتى به يوم القيامة﴾ يعني من سرق شيئا من ذلك يجنى يوم القيامة وهو حامله وإن كان حيوانا كبيرا . قال الحنفى
وذلك الحيوان يصوت ليزيد اقتضاحه فالغلول حرام مطلقا أي ولو لغير الحيوان من نحو مال ومتاع لكن غلول الحيوان أشد في الإثم والاقتضاح
﴿أكل الربا فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط﴾ أي ينصرع ﴿ثم قرأ﴾ رسول الله ﷺ ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قوله تعالى
﴿الذين يأكلون الربا إلى﴾ قوله من ﴿المس﴾ وأخرج الأصبهاني يأتي أكل الربا يوم القيامة مجنونا أي مجنونا مجر شقيه ثم قرأ لا يقومون الا كما
يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس .

وأخرج ابن ماجه والحاكم وصححه ما أحد أكثر من الربا الا كان عاقبة أمره الى قلة . وأخرج الحاكم وصححه أيضا الربا وإن
كبر فإن علقته الى أقل . وأخرج أبو داود وابن ماجه كلاهما عن الحسن عن أبي هريرة واختلف في سماعه منه والجمهور على عدمه
ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد الا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره . وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند والذي
نفس يده ليعين الناس من أمتى على أشرب وطرو ولعب فيصبحوا قردة وخنازير باستحلالهم الحارم واتخاذهم القينات وشربهم الخمر
وبأكلهم الربا ولبسهم الحرير . وأخرج أحمد مختصرا والبيهقي واللفظ له بيت قوم من هذه الأمة على طعم وشرب وطرو ولعب فيصبحون
قد مسخوا قردة وخنازير وليصينهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة بدار فلان ولترسلن عليهم حجارة من
السماء كما أرسلت على قوم لوط على قتال منها وعلى دور بشرهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم
الرحم وخصلة نسبا راويه والقينات جمع قينة وهي المغنية .

﴿و﴾ أخرج ﴿الأصبهاني عن أبي سعيد الخدري﴾ رضى الله عنه ﴿أن رسول الله ﷺ قال لما أسرى بي مررت بقوم بطونهم
بين أيديهم كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم﴾ أي العظيم وفي رواية قال لما عرج بي الى السماء نظرت في سماء الدنيا فاذا رجال
بطونهم كمثل البيوت العظام ﴿قد مالت بهم بطونهم منضدين﴾ أي مطروحين أي طرح بعضهم على بعض قاله الأصبهاني ﴿على سابلة
أي طريق آل فرعون﴾ قال ابن حجر والسابلة المارة أي بطونهم آل فرعون وقال السيوطي السابلة أبناء السبيل المختلفة في الطرقات ﴿وآل
فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا﴾ أي صباحا ومساء وعرضهم على النار اجراقتهم بها من قولهم عرض الامام الأسارى على
السيف اذا قتلهم به وذلك لأرواحهم كما روى ابن مسعود رضى الله عنه ان أرواحهم في أجواف طير سود تعرض على النار بكرة

قال فيقبلون مثل الإبل المنهومة لا يسمعون ولا يعقلون فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون الربا * وفي رواية له بطونهم كالليوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم *

وعشيا إلى يوم القيامة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا مادامت الدنيا قال الله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر أعادنا الله تعالى منه بمنه وكرمه ﴿ قال ﴾ ﴿ فيقبلون مثل الإبل المنهومة ﴾ أي كثيرة الأكل ﴿ لا يسمعون ولا يعقلون فإذا أحس ﴾ أي علم ﴿ بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا ﴾ أي يزولوا من مكانهم ويذهبوا عنه ﴿ حتى يغشاهم آل فرعون فيردونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم ﴾ أي العذاب المذكور ﴿ في ﴾ عالم ﴿ البرزخ بين الدنيا والآخرة ﴾ قال ﴿ فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون الربا وفي رواية له ﴾ أي الأصهباني رأيت ليلة أسرى بي لما اتهمنا إلى السماء السابعة فنظرت فوقى فإذا أنا برعد وبرق وقواصف قال فأتيت على قوم ﴿ بطونهم كالليوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم ﴾ فقالت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء آكلة الربا

وأخرج البيهقي في الدلائل عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في حديث الاسراء ثم قال مضيت هنية فإذا أنا باخونة عليها لحم مشر ليس يقربه أحد وإذا أنا باخونة عليها لحم قد أروح ومن عند ما أنا من يأكلون منها فقلت يا جبريل من هؤلاء قوم من أمك يتركون الحلال ويأتون الحرام ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام بطونهم كأمثال الليوت كلما نهض أحدهم خري يقول اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون فتجئ السابلة فتظوهم فسمعتهم يصيحون إلى الله تعالى قلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء من أمك الذين يأكلون الربا ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل فتفتح أفواههم ويلقون من ذلك الجمر ثم يخرج من أسافلهم قلت من هؤلاء ؟ قال هؤلاء من أمك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ثم مضيت هنية فإذا أنا بنساء معلقات بشدين قلت من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الزناة ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقون فيقال له كل لما كنت تأكل من لحم أخيك قلت من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الهمازون اللمازون . قوله هنية تصغير هنية بمعنى شيئا يسيرا والهاء بدل من الياء والاصل هنية وأخونة جمع خوان وهو الذي يؤكل عليه معرب وتقدم معنى السابلة ومشافر البعير جمع مشفر وهو الشفة والهماز المغتاب واللماز العياب .

وأخرج البخاري والبيهقي عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله ﷺ نياما يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا وإنه قال لنا ذات غداة أنه أتاني الليلة آتيان فقالا لي انطلق فانطلقت معهما فاخرجاني إلى الأرض المقدس فأتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيثدده الحجر ههنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل في المرة الأولى قلت لهما سبحان الله ما هذان ؟ فقالا لي انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقناه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشر شر شدقه إلى قفاه ومنخرة إلى قفاه وعينه إلى قفاه ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى قلت سبحان الله ما هذان ؟ فقالا لي انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور فإذا فيه لفظ وأصوات فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة فاذا هم يأتيهم لخب من أسفل منهم فإذا أنا هم ذلك اللهب ضوضوا قلت ما هؤلاء ؟ قالوا لي انطلق فانطلقنا فأتينا على نهر أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل يسبح على شط النهر رجل عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك الساحب يسبح ما سبح

ثم يأتي الذي قد جمع عنده الحجارة فينغرله فاه فيلقمه حجرا فينطلق يسبح ثم يرجع اليه كلما رجع اليه فغرله فاه فألقمه حجرا قال : قلت لهما ما هذان ؟ قالوا : انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل كربه المرأة فاذا هو عنده نار يحشها ويسعى حولها قال قلت لهما ما هذا فقالا لي انطلق فانطلقنا فأتينا على روضة معمرة فيها من كل لور الربيع واذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء واذا حول الرجل من ولدان ما رأيتهم قط قالوا لي انطلق فانطلقنا فأتينا الى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولأحسن قالوا لي ارق فيها فارتقينا فأتينا الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلنا فقلنا ما فيها رجال شطرنج خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطرنج كأفج ما أنت راء قالوا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فاذا نهر معترض يجري كان ماءه ملخص في البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا فذهب السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قالوا لي هذه جنة عدن وهذا منزلك فسمنا بصري صعدا فاذا قصر مثل الرابية البيضاء قالوا لي هذا منزلك قلت لهما بارك الله فيكما ذراني فأدخله قالوا أما الآن فلا وأنت داخله قلت لهما فاني رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذي رأيت ؟ قالوا لي أما الرجال الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فانه الرجل الذي يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة يفعل به ذلك الى يوم القيامة وأما الرجل الذي أتيت عليه يشتر شر صدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بينه فيكذب الكذبة فتبلغ الآفاق فيصنع به ذلك الى يوم القيامة وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل التبور فانهم الزناة والزواني وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فانه أكل الربا وأما الرجل الكربه المرأة الذي عنده النار يحشها فانه مالك خازن جهنم وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فانه ابراهيم عليه السلام وأما الولدان الذين حول فكل مولود مات على الفطرة قالوا : يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ قال : وأولاد المشركين وأما القوم الذين كانوا شطرنج منهم حسن وشطرنج منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم وأنا جبريل وهذا ميكايل .

قال العلماء : هذا نص في عذاب البرزخ فان رؤيا الأنبياء وحى مطابق لما في نفس الأمر وقد قال يفعل به الى يوم القيامة . قوله يهوى بضم أوله وقوله يثلغ بمثلثة ومعجمة بوزن يعلم أى يشدخ والتدهده الدفع من علو الى سفلى ويشتر شر بمعجمتين ورائن تقع شقا وضوضو بهمز وبدونه ماض من الضوضاء وهى أصوات الناس ولغظهم ويسبح بمهملتين بينهما موحدة مفتوحة بعموم وفقر بقاء معجمة وراء مثل فتح وزنا ومعنى والمرأة بفتح الميم وسكون الراء وهمزة ممدودة المنظر ويحشها بفتح أوله وضم الحاء المهملة وتشديد المعجمة بوقدها ومعجمة بضم أوله وسكون المهملة وكسر المثناة وتخفيف الميم شديد الحضرة ومعترض يجري عرضا والحض بفتح الميم وسكون المهملة ومعجمة اللين الخالض من الماء وسما بالتخفيف نظر الى فوق وصعدا بضم المهملتين يعنى ارتفع كثيرا والرابية بفتح الراء وتخفيف الموحدين السحابة وفي بعض طرق الحديث عند الدار قطنى قلت : أخبرني عن الروضة قال : أولئك الأطفال وكل بهم ابراهيم بربهم الى يوم القيامة قلت : فالذي يسبح في الذم قال : ذاك صاحب الربا ذاك طعامه في القبر الى يوم القيامة قلت : فالذي يشدخ رأسه قال : ذاك رجل تعلم القرآن فنام عنه حتى نسيه لا يقرأ منه شيئا كلما رقد دقوا رأسه في القبر الى يوم القيامة لا يدعونه بنام .

وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الفجر فلما قضى الصلاة التفت الينا وقال : رأيت ملكين أتيا في الليلة فأجذا بضبعي فانطلقا بي الى السماء الدنيا فمررت بملك وأمامه آدمى ويده صخرة يضرب بها هامة الآدمى فيقع دماغه جانبا وتقع الصخرة جانبا قلت : ما هذا قالوا لي : امضه فمضيت فاذا أنا بملك وأمامه آدمى ويده الملك كlob من حديد فيضعه في شدقه الأيمن فيشقه حتى ينتهي الى أذنه ثم يأخذ في الأيسر فيلثم الأيمن قلت : ما هذا ؟ قالوا لي :

ومسلم عن جابر لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال وهم سواء **﴿وروي﴾** أحمد عن كعب الأحبار أنه قال لأن أزنّي ثلاثة وثلاثين زينة أحب إلي من أن أكل درهمي ربا

امضه فمضيت فإذا أنا بنهر من دم يمر كمرور الرجل على فيه قوم عراة وعلى حافظ النهر ملائكة بأيديهم مدرتان كلما طلع قد فوه بمدرّة فتقع في فيه ويتسفل إلى أسفل ذلك النهر قلت: ما هذا؟ قال لا: امضه فمضيت فإذا أنا بيت أسفل أضيق من أعلاه فيه قوم عراة توقد من تحتهم النار إذا أمسكت على أنفى من تنق ما أجد من ريحهم قلت: من هؤلاء؟ قال لا: امضه فمضيت فإذا أنا ببل أسود عليه قوم يحبلون تنفخ النار في أديارهم فتخرج من أفواههم ومناخرهم وأذانهم وأعينهم قلت: ما هذا؟ قال لا: امضه فمضيت فإذا أنا بروضة وإذا فيها شيخ جميل لأجل منه وإذا حوله ولدان وإذا شجرة ورقها كأذان الفيل فصعدت ماشاء الله من تلك الشجرة وإذا أنا بمنازل لأحسن منها من درة جوفاء وزبرجدة حضراء وياقوتة حمراء قلت: ما هذا؟ قال لا: امضه فمضيت فإذا أنا بنهر عليه جسران من ذهب وفضة على حافتي النهر منازل لامنازل أحسن منها من درة جوفاء وزبرجدة حضراء وياقوتة حمراء وفيها قدحان وأباريق قلت: ما هذا الذي رأيت يضرب بها هامة الآدمي فيقع دماغه جانباً وتقع الصخرة جانباً فأولئك الذين كانوا ينامون عن صلاة العشاء الآخرة ويصلون الصلوات لغيز مواقيتها يضربون بها حتى يصيروا إلى النار وأما صاحب الكلوب الذي رأيت فأولئك الذين كانوا يمشون بين المسلمين بالنميمة فيفسدون بينهم فهم يعذبون بها حتى يصيروا إلى النار وأما الذين يقذفون بمدرّة فأولئك أكلة الربا يعذبون حتى يصيروا إلى النار وأما القوم العراة فأولئك الزناة وذلك تنق فروجهم يعذبون حتى يصيروا إلى النار وأما القوم المخیلون فأولئك الذين يعملون عمل قوم لوط الفاعل والمفعول به فهم يعذبون حتى يصيروا إلى النار وأما النار المطبقة قتلك جهنم وأما الروضة قتلك جنة المأوى وأما الشيخ الذي رأيت فهو إبراهيم وحوله ولدان المسلمين وأما الشجرة فهي سدرّة المنتهى والمنازل التي فيها قتلك منازل أهل عليين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وأما النهر فهو الكوثر الذي أعطاك الله وهذه منازلك ومنازل أهل بيتك .

﴿و﴾ أخرج **﴿مسلم﴾** والنسائي: لعن رسول الله ﷺ أكل الربا وموكله وزواه أبوداود والترمذي وصححه **﴿إبناحزيمة وحبان﴾** في صحيحه كلهم من رواية عبد الله الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه . وأخرج مسلم وغيره **﴿عن﴾** جابر لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الربا وموكله **﴿أى﴾** معطيه **﴿وكاتبه وشاهديه وقال وهم سواء﴾** وأخرج البخاري وأبوداود: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وأكل الربا وموكله ونهى عن ثمن الكلب وكسب البغى ولعن المصورين . وأخرج الطبراني عن ابن مسعود بأسناد حسن: لعن الله الربا وآكله وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة أى الناتفة شعرالوجه منها أو من غيرها والنامصة أى طالبة أن يفعل بها ذلك . وأخرج أحمد وأبوداود والترمذي عن ابن مسعود بأسناد صحيح: لعن الله أكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده . وأخرج أحمد والنسائي عن علي بأسناد صحيح لعن الله أكل الربا وموكله وكاتبه ومانع الصدقة أى الزكاة . قال السيوطي: وأصل اللعن الطرد والابعاد من الله ومن الخلق السب والدعاء والنبي صلى الله عليه وسلم يبعث لعانا وإنما أوحى الله إليه أن الله لعن فأخبر من الله أنه لعن لانه إنشاء ولادعاء منه عليه الصلاة والسلام وكذا أكل ما ورد عنه من اللعن فإنه مؤول بذلك **﴿وروي أحمد﴾** بأسناد جيد **﴿عن كعب الأحبار﴾** رضى الله عنه **﴿أنه قال: لأن أزنّي ثلاثة وثلاثين زينة أحب إلي من أن أكل درهما ربا﴾** يعلم الله أني أكلته حين أكلته ربا .

وقال ابن عباس إنه لا يقبل من أكل الربا صدقة ولا جهاد ولا حج ولا صلة وقال أيضا من عامل بالربا استيب فان تاب والا ضرب عنقه وأخبرنا شيخنا ابن حجر نقعنا الله به أنه كان في صفوه يتعاهد قبر والده للقراءة عليه فخرج يوما بعد صلاة الصبح بغلس في رمضان وقال أظن أن ذلك كان في العشر الأخير بل في ليلة القدر فلما جلس على قبره وقرأ شيئا من القرآن ولم يكن في المقبرة أحد غيره فإذا هو سمع التأوه العظيم والأثين الفظيع بآه آه وهكذا بصوت أزعجه من قبر مبني بالنورة والجص له بياض عظيم فقطع القراءة واستمع فسمع صوت ذلك العذاب من داخله وذلك الرجل المعضب يتأوه وتأوها عظيمًا بحيث يلقى سماعة القلب ويفزعه فاستمع إليه زمنا فلما وقع الإسفار خفي حسبه عنه فمر به إنسان فقال له الشيخ

﴿وقال﴾ عبد الله ﴿بن عباس﴾ رضي الله عنهما ﴿أنه﴾ أي الحال والشأن ﴿لا يقبل من أكل الربا صدقة ولا جهاد ولا حج ولا صلة﴾ وأيضا فانه يموت ويترك ماله كله وعليه عقوبته وتبعته والعذاب الاليم ﴿وقال﴾ ابن عباس رضي الله عنهما ﴿أيضا﴾ أي كما قال ما تقدم ﴿من عامل بالربا استيب فان تاب﴾ أي رجع عن الرب فذاك ﴿والا﴾ أي وان لم يتب ولم يرجع عنه ﴿ضرب عنقه﴾ بالسيف .

﴿وأخبرنا شيخنا﴾ العلامة ﴿ابن حجر نقعنا الله به﴾ أي بعلمه ومعارفه ﴿أنه﴾ كان في صفوه يتعاهد قبر والده للقراءة عليه وذلك أنه يتوكد ندب زيارة القبور في حق الأقارب خصوصا لأبوين ولو كانوا في بلد آخر غير البلد الذي هو فيه فقد ورد أن الأقارب يتبن من بابي ضرب وقتل أي يلحق على من لم يزرها . وروى الحاكم عن أبي هريرة : من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة مرة غفر الله له وكان بارا بولديه . وفي رواية : من زار قبر والديه أو أحدهما فقرأ عنده يس والقرآن الحكيم غفر له بعد ذلك آية أو حرفا . وفي رواية من زار قبر والديه أو أحدهما كان كحجة . وروى أن الرجل يموت والداه وهو عاق لهما فيدعوا الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين فأفدت هذه الأخبار أن من زار قبر أبويه كان بارا لهما غير عاق ولا مضيع حقهما ﴿فخرج﴾ الشيخ ابن حجر ﴿يوماً﴾ من الأيام ﴿بعد صلاة الصبح بغلس في رمضان﴾ قال الفيومي وغيره : الغلس بفتحين ظلام آخر الليل ﴿وقال أظن أن ذلك﴾ الخروج إلى تلك المقبرة التي فيها قبر والدي ﴿كان في العشر الأخير بل في ليلة القدر﴾ التي هي خير من ألف شهر ﴿فلما جلس﴾ الشيخ ﴿على قبره﴾ أي قبر والده ﴿وقراء شيئا من القرآن ولم يكن من المقبرة أحد غيره فإذا هو سمع التأوه﴾ أي توجع ﴿العظيم والأثين الفظيع﴾ أي الشديد التبع ﴿بآه آه﴾ قول ﴿آه آه﴾ بالمد وكسر الهاء كلمة تقال عند التوجع وقد تقال عند الأشفاق وأوه بسكون الواو وبالكسر كذلك وقد تشدد الواو وتفتح وتسكن الهاء وقد تحذف الهاء وتكسر الواو وتأوه مثل توجع وزنا ومعنى ﴿وهكذا بصوت أزعجه﴾ أي أقلقه وذلك الصوت يخرج ﴿من قبر مبني بالنورة﴾ بضم النون حجر الكلس ثم غلبت على اخلاط تضاف إلى الكلس من زرينخ وغيره وتستعمل لازالة الشعر وتنور أطلى بالنورة ونورته طلبته بها قبل عربية وقبل معربة ﴿والجص﴾ بكسر الجيم معروف وهو معرب لأن الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة عربية ولهذا قيل الاجاص معرب وجصصت الدار عملتها بالجص . قال أبو الخاتم : والمعامنة تقول الجص بالفتح والصواب الكسر وهو كلام العرب ﴿له﴾ أي لذلك القبر المبني بما ذكر ﴿بياض عظيم فقطع﴾ الشيخ ﴿القراءة واستمع﴾ أي قصد السماع ﴿فسمع صوت ذلك العذاب من داخله﴾ أي القبر المبني بالمذكور ﴿وذلك الرجل﴾ أي صاحب القبر ﴿المعضب يتأوه وتأوها عظيمًا بحيث يلقى سماعة القلب ويفزعه فاستمع﴾ الشيخ ﴿إليه﴾ أي إلى ذلك الصوت ﴿زمنا فلما وقع الإسفار﴾ بكسر الهمزة أي الاضاء ﴿خفي حسبه﴾ أي صوت ذلك العذاب ﴿عنه﴾ عن الشيخ ﴿فمر به إنسان فقال له الشيخ﴾ العلامة ابن حجر

هذا قبر من فقال هذا قبر فلان للرجل أدركه الشيخ وهو صغير وكان الرجل المعذب على غاية من ملازمة المسجد والصلاة في أوقاتها والصمت عن الكلام وهذا كله شاهده وعرفه منه فكبر على الشيخ الأمر جدا لما علمه من الأحوال التي كان ذلك الرجل متلبسا بها في الظاهر فسأل واستقصى الذين يطلعون على حقيقة أحواله فأخبروه أنه كان يأكل الربا فانه كان تاجرا ثم كبر وبقى معه شيء من الحطام فلم ترض نفسه الظالمة الحبيثة أن تأكل من جنبه حتى يأتيه الموت بل سول له الشيطان المعاملة بالربا حتى لا ينقص ماله فأوقعه في ذلك العذاب الأليم حتى في رمضان حتى في ليلة القدر أتركوا عباد الله الربا الذي قال فيه نبيكم صلى الله عليه وسلم إنه كالزنا بأمة وأنه كسنة وثلاثين زينة وإن أكله لا يغفر له ولا تقدوا بالأشقياء المغرورين فانهم غدا يعلمون ما يحل بهم من أنواع العذاب الأليم بشيء فان سير اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا واهدنا الصراط المستقيم

﴿ هذا ﴾ إشارة إلى قبر الرجل المعذب ﴿ قبر من ؟ فقال : ﴾ المسؤل ﴿ هذا قبر فلان ﴾ الرجل ﴿ أدركه الشيخ وهو صغير وكان الرجل المعذب ﴾ في حياته ﴿ على غاية ملازمة المسجد والصلاة في أوقاتها والصمت عن الكلام ﴾ الذي لا يئنه ﴿ وهذا كله ﴾ أي ما ذكر من جميع أحواله ﴿ شاهده ﴾ الشيخ ﴿ وعرفه منه ﴾ أي من ذلك الرجل لأن الشيخ أدركه ﴿ فكبر ﴾ أي عظم ﴿ على الشيخ الأمر ﴾ أي أمر هذا الرجل ﴿ جدا ﴾ أي نهاية ومبالغة وذلك ﴿ لما علمه ﴾ الشيخ ﴿ من الأحوال التي كان ذلك الرجل ﴾ المعذب ﴿ متلبسا بها في الظاهر ﴾ من ملازمة المسجد وغيرها ﴿ فسأل ﴾ الشيخ ﴿ واستقصى ﴾ أي بالغ في السؤال ﴿ الذين يطلعون على حقيقة أحواله ﴾ أي الرجل المعذب ﴿ فأخبروه ﴾ الشيخ ﴿ أنه كان يأكل الربا فانه كان تاجرا ثم كبر ﴾ بكسرا الباء من باب تعب أي كبر سنه ﴿ وبقى معه شيء من الحطام ﴾ بضم الحاء أي مباح الدنيا ﴿ فلم ترض نفسه الظالمة الحبيثة أن تأكل من جنبه حتى يأتيه الموت بل سول ﴾ أي زين ﴿ له الشيطان المعاملة بالربا حتى لا ينقص ماله فأوقعه ﴾ ماذكر ﴿ في ذلك العذاب الأليم ﴾ أي المؤلم ﴿ حتى ﴾ وقع العذاب ﴿ في رمضان حتى في ليلة القدر ﴾ من قبح أكل الربا .

وما يدل على قبحه أيضا ما حكى أن بعض أهل الله تعالى زار مقبرة فوجد ميّاتين ويقول : أه كت أصلى كتك أصوم إلى آخره فسأل عنه فاذا هو أكل الربا هكذا ذكره الجرداني .

﴿ أتركوا ﴾ يا ﴿ عباد الله الربا الذي قال فيه نبيكم ﷺ أنه كالزنا بأمة وأنه كسنة وثلاثين زينة وإن أكله لا يغفر له ﴾ وتقدم هذا كله ﴿ ولا تقدوا بالأشقياء المغرورين ﴾ أي المخدوعين بالدنيا ﴿ فانهم غدا ﴾ أي يوم القيامة ﴿ يعلمون ما يحل ﴾ بضم الحاء وكسرها أي ما ينزل ﴿ بهم من أنواع العذاب الأليم بشيء فان ﴾ أي هالك ﴿ سير ﴾ من الدنيا .

﴿ اللهم اغفر لنا ما قدمنا ﴾ من الذنوب قبل هذا الوقت ﴿ وما أخرنا ﴾ منها قال بعضهم : المراد بالتأخر إنما هو بالنسبة إلى ما وقع لأن الاستغفار قبل الذنب محال ، كذا رأيته في شرح خطبة رسالة الشافعي لأبي الوليد النيسابوري أحد أصحاب ابن سريج تلاق عن الأصحاب ولقاتل أن يقول المحال إنما هو طلب مغفرته قبل وقوعه وأما الطلب قبل الوقوع ان يغفر اذا وقع فلا استحالة فيه ﴿ وما أسررنا وما أعلنا ﴾ أي أخفينا وأظهرنا أو ما حدثت به أنفسنا وما تحركت به ألسنتنا ﴿ واهدنا الصراط المستقيم ﴾ أي ثبتنا على المنهج الواضح كهولك لقائم : قم حتى أعود إليك أي اثبت على ما انت عليه أو اهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال وهدى بتعدي بنفسه إلى منقول واحد وأما تعديه إلى منقول آخر فقد جاء متعديا إليه بنفسه كما في هذا الدعاء وقد جاء متعديا باللام وبإلى كقوله تعالى : هدا لنا لهذا وقوله : هداني ربي إلى صراط مستقيم ، والصراط الطريق قلل جرير أمير المؤمنين على صراط . إذا انحوج الموارد مستقيم أي

آمين ﴿تنبيه﴾ إن الربا حرام إجماعا وهو من الكبائر المهلكة وكفر مستحله * واعلم أنه إنما يجري في نقد وما قصد لطعم فإن بيع بوي بجنسه شرط بماتلة وحلول وتقابض قبل الفرق .

على طريقة حسنة . قال ابن عباس : هو دين الإسلام وقيل هو القرآن وروى ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة وقيل معناه واحدنا صراط المستحقين للجنة والمراد به طريق الحق .

* تنبيه * قال القاضي في تفسيره : وهداية الله تعالى تنوع أنواعا لا يحصيها عد كما قال تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . ولكمها تنحصر في أجناس مترتبة الأول : افادة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني : نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصالح والفساد واليه أشار حيث قال : وهديناه النجدين . وقال تعالى : فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى . والثالث : الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب وإياها عني بقوله : وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقوله : أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم . والرابع : أن يكشف على قلوبهم السرائر ويربهم الأشياء كما هي بالوجه أو الإلهام والمنامات الصادقة هذا قسم يختص بنبيله الأنبياء والأولياء وإياه منى بقوله : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده . وقوله : والذين جاهدوا فإنا لتحديتهم سبلنا . فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى أو الثبات عليه أو حصول المراتب عليه ﴿آمين﴾ أي استجب يا رب العالمين وقيل هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل هو خاتم الله تعالى على عباده يدفع به عنهم الآثام .

﴿تنبيه﴾ ﴿إن الربا حرام إجماعا وهو من الكبائر المهلكة وكفر مستحله﴾ وظاهر الأخبار هنا أنه أعظم أثما من الزنا والسرقه وشرب الخمر لكن أفتى الشهاب الرملي بخلافه وتحريمه تغذي وما أبدى له أي من كونه يؤدي الى التضييق ونحوه إنما يصلح حكمة لاعلة ﴿واعلم أنه﴾ أي الربا ﴿أنما يجري في نقد﴾ أي ذهب وقضة ولوحيا وائاء وتبرا لافي الفلوس وإن راجت وإنما حرم في ذلك لعلة الثمنية الغالبة التي يعبر عنها أيضا بجوهرية الأثمان غالبا وهي منتفية عن الفلوس وغيرها من سائر العروض ﴿وهو﴾ في المعلوم وهو ﴿ما قصد﴾ غالبا ﴿الطعم﴾ بضم الطاء مصدر طعم بكسر العين أي أكمل اقيانا أو تفكها أو تدأوا فالأول : كالبر والشعير والذرة ونحوها . والثاني : كالتمر والزبيب والتين ونحوها . والثالث : كالملح والمصطكى ونحوهما وعلة الربا في المعلوم الطعم لخبر مسلم : أنه ﷺ قال : الطعام بالطعام مثلامثل وذلك لأنه علق الحكم باسم الطعام الذي هو بمعنى المعلوم والمعلق بالمشق معلل بما منه الاشتقاق كالقطع والجلد المعلقين باسم السارق والزاني قاله شيخ الاسلام .

* تنبيه * لاربا في حب الكنان ودهنه ودهن سمك وماء ورد وعود وجلد لأنها لا تنصد للطعم ولاربا فيما اختص به الجن كالعظم أو البهائم والحشيش والتبن أو غلب تناولها له . قال الماوردي : فإن كان الأغلب فيه أكل الآدميين ففيه الربا اعتبارا بأغلب حالته كالشعير وإن كان الأغلب من حالته أكل البهائم فلا ربا فيه كالعلف الرطب وإن استوت حالته فالصحيح فيه الربا انتهى . ولاربا في الحيوان مطلقا سواء جاز بلعه كصغار السمك أم لا لأنه لا يعد للأكل على هيئته وقد اشترى ابن عمر بعيرا بغيرين بأمره ﷺ .

﴿فإن بيع ربوي﴾ وهو المعلوم والنقد ﴿بجنسه﴾ كبربر وذهب بذهب ﴿شرط بماتلة﴾ أي مساواة بين العوضين في القدر من غير زيادة ولوحبة يقينا بكيل في مكيل ووزن في موزون ﴿وحلول﴾ أي للعوضين وذلك لاشتراط المقابضة في الخبر ومن لازمها الحلول غالبا فمتى اقترن بأحدهما تأجيل ولوحظة فحل وهما في المجلس لم يصح قتله في التحفة ﴿وتقابض قبل الفرق﴾ ولو تقابضا البعض أي هذا أعطى بعض المبيع والآخر أعطى بعض الثمن صح البيع في ذلك البعض الذي قبض فقط دون ما لم يقبض وهذا مبني على

أو بغير جنسه واتحداه علة شرط الأخيران وقال أبو القاسم بن عبد الوراق رأيت عبد الله بن أبي أوفى في سوق الصيارفة فقال يا معشر الصيارفة أبشروا قالوا بشارك الله بالجنة ثم تبشروا يا أبا محمد قال قال رسول الله ﷺ للصيارفة أبشروا بالنار و

الأصح من قول تفرق الصفقة والمراد القبض الحقيقي فلا يكفي نحو حوالة وإن حصل معها قبض في المجلس .

وأما اشترطت تلك الشروط الثلاثة في بيع الربوي بجنسه لقوله ﷺ : لا تبغوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق ولا البر بالبر ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح الأسواء بسواء عينا بعين يدا بيد فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد أي مقابضة قال الرافعي : ومن لازمه أي التقابض الحلول والالجاز تأخير التسليم إلى زمنه وظاهر أن قوله : من لازمه الحلول جرى على الغالب ومن غير الغالب قد يحصل التقابض قبل التفرق مع كون العقد مشروطا فيه تأجيل أحد العوضين إلى اللحظة مثلا .

(فروع) حيث اشترط التقابض فتفرقا قبله بطل العقد أن كان تفرقهما عن تراض والا فلا يبطل لأن تفرقهما حينئذ كالتفرق والحيلة في بيع الربوي بجنسه متفاضلا كيبيع ذهب بذهب متفاضلا أن يبيعه بدراهم أو عرض ويشتري منه بها الذهب بعد التقابض فيجوز وإن لم يتفرقا ولم يتخير التضمن البيع الثاني إجازة الأول بخلافه مع الاجتناب لما فيه من إسقاط خيار العاقد الآخر وهذا كما أمر النبي ﷺ عامل خير أن يبيع الجميع وهو كل نوع من التمر لا يعرف له اسم بالدراهم ثم يشتري بها جنيا وهو أجود التمر أو أن يعرض كل منهما صاحبه ويبرئه أو أن يتواها أو أن يهب الفاضل مالكة لصاحبه بعد شراؤه منه ما عده بما يساويه وهذا أي ما ذكر من الحلل جائز إذا لم يشترط في بيعه وأقرضه وهبته ما يفتله الآخر كما صرح به في الروضة .

وإن اشترى من غيره نصفًا شائعا من دينار قيمته عشرة دراهم بخمسة دراهم صح وسلمه البائع إليه ليقبضه ويكون النصف الثاني أمانة في يده بخلاف ما لو كان عليه عشرة دراهم فاعطاه عشرة فوجدت زائدة الوزن فإنه يضمن الزائد للمعطي لأنه قبضه لنفسه فإن أقرضه البائع في صورة الشراء تلك الخمسة بعد أن قبضها منه فاشترى بها الآخر النصف من الدينار جاز كثيرها . وإن اشترى كل الدينار من غيره بعشرة وسلمه منها خمسة ثم استقرضها منه وردها إليه عن الثمن بطل العقد في الخمسة الباقية بناءً على أن القرض لا يملك إلا بالتصرف وهذا ما صححه في الروضة تبعا لنسخ الرافعي السقيمة لكن الثابت في نسخه المعتمد تصحيح الصحة . قال الزركشي : وهو الصواب الذي اتفق نسخ الشرع الصغير على ترجيحه ونص عليه الشافعي في الأم وكثير منهم الشيخ أبو حامد واتباعه والقاضي أبو الطيب وابن الصباغ والرويانى والشاشى والعزائى والبغوى بناءً على الأصح من أن القرض يملك بالقبض ﴿أو﴾ يبيع أحد المطعوم والتقد ﴿بغير جنسه واتحداه﴾ أي ذلك الأحد ومقابله ﴿علة﴾ أي من جهة العلة التي هي الطعم والتقديرية كبر شعير وذهب بفضة مثال الأول كيبيع المطعوم بغير جنسه مع اتحاد في العلة . والثاني كيبيع التقدي بغير جنسه مع اتحاد في ذلك ﴿شرط الأخيران﴾ أي الحلول والتقابض قبل التفرق من مجلس العقد لا المائلة لقوله في الحديث المار : فبيعوا كيف شئتم .

﴿وقال أبو القاسم بن عبد الوراق﴾ أي أخرجه الطبراني بسند لا بأس به وفي الزواجر القاسم بن عبد الله الوراق لبغله الصواب ﴿رأيت عبد الله بن أبي أوفى﴾ رضي الله عنه ﴿في سوق الصيارفة﴾ جمع صير في قال الفيومي : وصرفت الذهب بالدراهم بعتة واسم الفاعل من هذا صير في وصيراف وصراف للمبالغة . وقال ابن فارس : الصرف فضل الدرهم في الجودة على الدراهم ومنه اشتقاق الصير في ﴿فقال﴾ : يا معشر الصيارفة أبشروا قالوا : بشارك الله بالجنة ثم تبشروا يا أبا محمد ؟ ﴿كيفية ابن أبي أوفى﴾ قال : قال رسول الله ﷺ للصيارفة أبشروا بالنار و﴿يجرى الربا﴾

في قرض شيء بشرط جرتفع المقرض فهذا هو المشهور الآن بين الناس واقع كثيرا قال قلل رسول الله ﷺ إذا أقرض أحدكم أخاه قرضا فأهدى إليه طبقا فلا يقبل أو حمله على دابة فلا يركبها إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك رواه ابن ماجه والبيهقي * وحكى أنه كان لأبي حنيفة على يهودي مال كثير قرضا وأخذ يوما شيئا من طين جدار اليهودي وترب به ورقة ناسيا دينه عليه فلما تذكره أبرأه عن جميع ذلك المال حذرا من أن يكون ذلك ربا وإن الحيلة في الربا وغيره حرام عند مالك وأحمد بن حنبل

﴿ في قرض شيء بشرط جرتفع للمقرض ﴾ كشرط رد الصحيح عن المكسر أو رده ببلد آخر أو بعد شهر فيه خوف من نهب أو نحوه والمقرض ملئ لقول فضالة بن عبيد ﷺ : كل قرض جر منفعة فهو ربا . ولما روى عن مالك قال : بلغني أن رجلا أتى ابن عمر فقال : اني أسلفت رجلا واشترطت عليه أفضل مما أسلفته ؟ فقال عبد الله بن عمر : فذلك الربا أخرجه مالك في الموطأ . وكذا شرط رد زيادة في القدر أو الصفة ولو في غيره الربوى والمعنى فيه أن موضوع القرض الارقاق فإذا شرط فيه لنفسه حقا خرج عن موضوعه فمنع صحته وما روى من أنه ﷺ أمر عبد الله بن عمرو بن العاص أن يأخذ بعيرا بيعيرين إلى أجل فمحمول على البيع أو السلم إذ لا أجل في القرض كالصرف يجامع أنه يمتنع فيهما التفاضل وقد روى أبو داود بلفظ : أمرني رسول الله ﷺ أن اشتري بعيرا بيعيرين إلى أجل . فان فعل الرد لشيء من ذلك بلا شرط في العقد استحب ولو في الربوى ولم يكره أخذه لخبر مسلم : أنه ﷺ استقرض بكرا ورد رباعيا وقال : إن خياركم أحسنكم قضاء . وروى ورد بازلا وزوى وأمر برد بكر وهو القتي من الأبل والرباعى منها بفتح الراء وتخفيف الياء ما دخل في التسعة السابعة والبازل بالوحدة والزاي ماله ثمان سنين . وروى عن مجاهد ابن ابن عمر استسلف دراهم فقضى صاخبها خيرا منها فأبى أن يأخذها وقال : هذه خير من دراهمي فقال ابن عمر : قد علمت ولكن نفسي بذلك طيبة أخرجه مالك في الموطأ هذا إن اقترض لنفسه فان اقترض لحجوره أو لجهة وقف فليس له رد زائد .

* تنبيه * وفي كراهة الاقتراض فيمن تعود رد الزيادة وجهان ان قصد ذلك لأجلها وقياس كراهة نكاح من عزم على أنه يطلق اذا وطئ بغير شرط كراهة هذا وان شرط أجلا لايجر منفعة للمقرض بأن لم يكن له فيه غرض أو أن يرد الأزداء أو المكسر أو أن يقرضه قرضا آخر لغا الشرط وحده دون العقد لأن ما جره من المنفعة ليس للمقرض بل للمقرض والعقد عقد ارفاق فكانه زاد في الارقاق ووعده وعدا حسنا ﴿ فهذا ﴾ أي القرض بشرط جرتفع للمقرض ﴿ هو المشهور الآن ﴾ أي في زمان المصنف سيما في زماننا وقد كثر الفساد في مثل هذا وغيره ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿ بين الناس واقع كثيرا ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أقرض أحدكم أخاه ﴿ في الدين وكذا الذمي ﴾ قرضا ﴿ اسم مصدر بمعنى الاقتراض فيكون مؤكدا لعامله ﴾ فأهدى إليه طبقا ﴿ مثلا والمراد أهدى إليه شيئا ﴾ فلا يقبل أو حمله ﴿ أي أراد المقرض أن يحتمل المقرض ﴾ على دابة ﴿ أي المقرض أو أن يحمل عليها متاعه ﴾ فلا يركبها ﴿ أي لا يستعملها بركوب ولا غيره والنهي للتحريم ان شرط ذلك في العقد لأنه ربا والافهو منزل على الورع قاله الحنفى ﴿ إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك رواه ﴾ سعيد بن منصور في سننه و﴿ ابن ماجه والبيهقي ﴾ عن أنس بن مالك وهو حديث حسن كما في العزيمى ،

﴿ وحكى أنه كان لأبي حنيفة ﴾ الامام الأعظم رحمه الله تعالى ﴿ على يهودي مال كثير قرضا وأخذ يوما شيئا من طين جدار اليهودي وترب به ورقة ﴾ في المصباح وتربت الكباب بالتراب اتره من باب ضرب وترته بالتشديد مبالغة ﴿ ناسيا دينه عليه ﴾ أي اليهودي ﴿ فلما تذكره أبرأه عن جميع ذلك المال ﴾ أي على اليهودي ﴿ حذرا من أن يكون ذلك ﴾ أي أخذه شيئا من ذلك الطين ﴿ ربا ﴾ اعلم ﴿ ان الحيلة في الربا وغيره حرام عند مالك وأحمد بن حنبل ﴾ رضى الله عنهما وقياس الاستدلال لها بما يأتي عن بعضهم من قصة

وقال بعضهم ورد أن أكلة الربا يحشرون في صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلتهم على أكل الربا كما مسح أصحاب السبت حين تحيلوا على اصطيد الحيات التي نهاهم الله عن اصطيدها يوم السبت فحفرها لها حياضا تقع فيها يوم السبت حتى يأخذوها يوم الأحد فلما فعلوا ذلك مسحهم الله قردة وخنازير وهكذا الذين يحيلون على الربا بأنواع الحيل فإن الله تعالى لا يخفى عليه حيل المحتالين والمخادعين .

الذين يحيلون على اصطيد الحيات أن يكون أحد الربا بالحيلة كبيرة عند القائلين بتحريم الحيلة وإن وقع الخلاف في حله حينئذ ، وذهب الشافعي وأبو حنيفة رضي الله عنهما إلى جواز الحيلة في الربا وغيره استدل أصحابنا لجلها بما صح أن عامل خير جاء إلى النبي ﷺ بتمر كبير جيد فقال له : أكل تمر خير هكذا ؟ قال : لا وإنما نرد الردي ونأخذ بالصاعين منه صاعا جيدا فنهاء ﷺ عن ذلك وأعلمه أنه ربا ثم علمه الحيلة فيه وهي أنه يبيع الردي بدرهم ويشتري بها الجيد وهي من الحيل التي وقع الخلاف فيها فلن من معه صاعان رديان يريد أن يأخذ في مقابلتهما صاعا جيدا لا يمكن ذلك من غير توسط عقد آخر لأنه ربا إجماعا فإذا باعه الرديتين بدرهم واشترى بدرهم الذي في ذمته الجيد خرج عن الربا إذ لم يقع العقد الأعلى مطعوم وقد دون مطعومين فاضمحلت صورة الربا فأبى وجهه للتحريم حينئذ فعلم بما تقرر أن هذه الحيلة التي علمها رسول الله ﷺ لعامل خير نص في جواز مطلق الحيلة في الربا وغيره إذ لا قاتل بالفرق ﷻ وقال بعضهم : ورد في بعض الأخبار ﴿ أن أكلة الربا يحشرون ﴾ يوم القيامة ﷻ في صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلتهم على أكل الربا كما مسح أصحاب السبت حين تحيلوا على اصطيد الحيات التي نهاهم الله عن اصطيدها يوم السبت فحفرها لها حياضا تقع ﷻ أي تلك الحيات ﴿ فيها يوم السبت حتى يأخذوها يوم الأحد فلما فعلوا ذلك ﴾ التحيل ﷻ مسحهم الله قردة وخنازير وهكذا الذين يحيلون على الربا بأنواع الحيل فإن الله تعالى لا يخفى عليه حيل المحتالين والمخادعين . قال أيوب السخيانى : يخادعون آدميا ولو أتوا الأمر عيانا كان أهون عليهم هذا ما استدلل به أولئك على تحريم الحيلة فهو مبني على أن شرع من قبلنا شرع لنا والأصح المقرر في الأصول خلافه وعلى التزل فحمله حيث لم يرد في شرعنا ما يخالفه وقد علمت مما تقرر عنه ﷺ أنه ورد في شرعنا ما يخالفه وذيل الاستدلال في هذه المسئلة وغيرها طويلا ومحل بسطه كتب الفقه والخلاف .

﴿فصل في الاحتكار والتفريق بين الوالدة وولدها﴾

أخرج أحمد والحاكم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطيء أي آثم وقد برئت منه ذمة الله ورسوله * وهما من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برئ من الله ورسوله منه وأما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى *

﴿فصل في تحريم الاحتكار﴾

وهو حبس الطعام ارادة الغلاء والاسم الحكرة بالضم والحكر بحركة والحكر بالفتح لغة بمعنىناه ﴿و﴾ تحريم التفريق بين الوالدة وولدها ﴿الغير المميز بالبيع ونحوه لا ينحو العتق والوقف فبائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الاسعار وهو ظلم عام اذا كان ادخاره بهذه النية وصاحبه مذموم في الشرع﴾ أخرج أحمد والحاكم والعقيلي ﴿عن أبي هريرة﴾ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من احتكر أي خزنة في زمن الغلاء ليبيعه بأغلى من السعر الواقع ﴿حكرة﴾ أي جملة من القوت ﴿يريد أن يغلي﴾ بضم فسكون ﴿بها﴾ أي بالحكرة ﴿على المسلمين فهو خاطيء﴾ قال أهل اللغة بالهمزة ﴿أي﴾ خاص ﴿آثم﴾ قال المناوي: وفي رواية ملعون أي مطرود عن درجة الأبرار لا عن درجة الفجار ﴿وقد برئت منه ذمة الله ورسوله﴾ لأن الله تعالى عاهد الناس أن لا يضيقوا على المسلمين باحتكار أقواتهم ولا يؤذوا أحدا بأي نوع من أنواع الإيذاء فاذا خالفوا ذلك تبرؤا من ذلك العهد قال البيهقي: منكر ذكره العزيزي ﴿وهما﴾ أي وأخرج أحمد والحاكم بسند جيد عن ابن عمر ﴿من احتكر طعاما﴾ أي حبسه والمراد بالطعام القوت المعتاد به عادة وهو مذهب الشافعي وأبو حنيفة وجزم مالك احتكار المطعم وغيره نظر الحديث أبي هريرة: من احتكر حكرة إلى آخره ﴿أربعين ليلة﴾ قال الطيبي: لم يرد بأربعين التحديد بل مراده أن يجعل الاحتكار حرفة يقصد بها نفع نفسه وضر غيره بدليل قوله في الحديث الآخر يريد به الغلاء وأقل ما يترن به المرء في هذه الحرفة وهذه المدة ﴿فقد برئ من الله وبرئ منه﴾ وقد رواه كذلك ابن أبي شيبه في المصنف والبخاري في مسنده وأبو يعلى وأبو نعيم في الحلية ولفظهم جميعا من احتكر طعاما وفي لفظ يوما بدل ليلة وفي آخره زيادة ﴿وأما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى﴾ ورواه بهذه الزيادة الحاكم أيضا من حديث أبي هريرة قال الحافظ: وفي اسناده اجتمع بن زيد اختلف فيه وكثير بن مرة جهله ابن حزم وعرفه غيره وقد وثقه ابن سعد.

وروى عنه جماعة واحتج به النسائي ورواه ابن الجوزي فأخرج هذا الحديث في الموضوعات وأما ابن أبي حاتم فحكي عن أبيه أنه قال: هو حديث منكر وقيل في بعض ألفاظ هذا الحديث فكأنما قتل نفسا هكذا أورده صاحب القوت ولم يتعرض له العراقي والمراد فكأنما تسبب في قتل نفس وذلك لما حبس عنه القوت. وأخرج مسلم والعقيلي من حديث معمر بن عبد الله: من احتكر فهو خاطيء. وأخرج الحاكم عن ابن عمر رفته: المحتكر ملعون. وأخرج أحمد وابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر: من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والأفلاس قال البيهقي: رجال ابن ماجه ثقات.

ثم إن القصد بهذا كله المبالغة في الزجر والتنفير وظاهرها غير مراد وقد وردت عدة أحاديث في الصحاح تشتمل على نفى الإيمان وغير ذلك من الوعيد الشديد في حق من امره كعب أمور ليس فيها ما يخرج عن الإسلام فما كان هو الجواب عنها فهو الجواب هنا حقيقة الحافظ ابن حجر وجعل ابن الجوزي أحاديث الاحتكار من قبل الموضوع وهو مدفوع كما بينه الحافظ العراقي وابن حجر.

وابن عساكر من احتكر طعاما على أمتي أربعين يوما وتصدق به لم يقبل منه * والطبراني بنس العبد المحتكر أن أرخص الله الأسعار حزن وإن أغلاها فرح * والحاكم من دخل في شيء من أسعار المسلمين يغلى عليهم كان حقا على الله أن يقذفه في جهنم رأسه أسفله * والأصبهاني إن طعاما أتى على باب المسجد فخرج عمر رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين يومئذ فقال ما هذا الطعام فقالوا طعام جلب إلينا أو علينا فقال له بعض الذين معه يا أمير المؤمنين قد احتكر قال ومن احتكره قالوا احتكره فروخ وفلان مولى عمر بن الخطاب فأرسل إليهما فأتياه فقال ما حملكما على احتكار طعام المسلمين فقالوا يا أمير المؤمنين نشترى بأموالنا ونبيع فقال عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول من احتكر على المسلمين طعامهم

﴿و﴾ أخرج ابن عساكر ﴿في تاريخه عن معاذ بن حنبل﴾ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿من احتكر طعاما على أمتي أربعين يوما﴾ لا مفهوم له ﴿وتصدق به﴾ على فقراء المسلمين ﴿لم يقبل منه﴾ قال المناوي: يعني لم يكن كفارة لاثم الاحتكار والقصد المبالغة في الزجر وأخرج ابن عساكر أيضا وابن البخاري في تاريخهما من حديث دينار بن مكي عن أنس رفعه بلفظ من احتكر طعاما أو ترص به أربعين يوما ثم طحنه وخبزه وتصدق به لم يقبل الله منه. ودينار راويه منهم قال ابن حبان روى عن أنس أشياء موضوعة ذكرها الزيدى. ﴿و﴾ أخرج الطبراني والبيهقي عن معاذ ﷺ ﴿بنس﴾ كلمة ذم ﴿العبد المحتكر﴾ أي حابس القوت ثم بينه جهة ذمه بقوله ﴿إن أرخص الله﴾ تعالى ﴿الأسعار حزن وإن أغلاها﴾ الله ﴿فرح﴾ فهو يحزن لمسر الخلق ويفرح لحزنهم باحتكار القوت لكن خصه الشافعية بما إذا اشتراه في الغلاء وحسبه لترفع الأسعار قاله العزري وفي رواية إن سمع برخص ساءه وإن سمع بغلاء فرح. وأخرج رزين وفيه الاعتراض أهل المدائن هم الحسباء في الله فلا تحكروا عليهم الأقوات ولا تغلوا عليهم الأسعار فإن من احتكر عليهم طعاما أربعين يوما ثم تصدق به لم يكن له كفارة. وأخرج رزين أيضا يحشر الحاكرون وقتلة الأنفس في درجة ومن دخل في شيء من سعر المسلمين يغلى عليهم كان حقا على الله أن يعذبه في معظم النار يوم القيامة. قال الحافظ المنذرى: وفي هذا الحديث والحديثين قبله نكارة ظاهرة. وأخرج أحمد عن الحسن قال: نقل معقل بن يسار فأتاه عبيد الله بن زياد يعود فقال: هل تعلم يا معقل ابن سفيك دما حراما قال: لا أعلم قال: هل تعلم أني دخلت في شيء من أسعار المسلمين؟ قال: ما علمت، قال: احبسوني ثم قال: أسمع يا عبيد الله حتى أحدثك شيئا ما سمعته من رسول الله ﷺ مرة ولا مرتين سمعت رسول الله ﷺ يقول: من دخل في شيء من أسعار المسلمين يغلى عليهم كان حقا على الله تبارك وتعالى أن يعذبه بعظيم من النار يوم القيامة قال: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم غير مرة ولا مرتين ورواه الطبراني في الكبير والأوسط أنه قال: على الله تبارك وتعالى أن يقذفه في معظم من النار. ﴿و﴾ أخرج الحاكم مختصرا ولفظه قال ﴿من دخل في شيء من أسعار المسلمين يغلى عليهم كان حقا على الله أن يقذفه في جهنم رأسه أسفله﴾ قال الحافظ المنذرى: ورواه هذا الحديث كلهم ثقات معروفون إلا واحدا منهم لا عرفه.

﴿و﴾ أخرج الأصبهاني: إن طعاما أتى على باب المسجد فخرج عمر رضي الله عنه وهو أمير المؤمنين يومئذ فقال: ما هذا الطعام؟ فقالوا: هذا ﴿طعام جلب﴾ من خارج ودخل ﴿إلينا أو علينا﴾ فقال له بعض الذين معه: يا أمير المؤمنين قد احتكر هذا الطعام عن المسلمين ﴿قال﴾ عمر رضي الله عنه ﴿ومن احتكره قالوا﴾ أي هؤلاء الذين معه ﴿احتكره فروخ﴾ اسم رجل ﴿ووفلان مولى عمر بن الخطاب فأرسل إليهما فأتياه فقال: ما حملكما على احتكار طعام المسلمين؟﴾ فقالوا: يا أمير المؤمنين نشترى بأموالنا ونبيع فقال عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من احتكر على المسلمين طعامهم أي ادخر ما يشتريه منه وقت

ضربه الله بالجذام والإفلاس فقال عند ذلك فروخ يا أمير المؤمنين فاني أعاهد الله وأعاهدك على أن لا أعود في احتكار طعام أبدا فتحول إلى بر مصر وأما مولى عمر فقال نشترى بأموالنا ونبيع فزعم أبو يحيى أحد رواة أنه رأى مولى عمر مجذوما مشدوخا * وأخرج أحمد والترمذي عن أبي أيوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرق بين الوالدة وولدها وبين أحبه يوم القيامة * وابن ماجه لعن الله من فرق بين الوالدة وولدها وبين الأخ وأخته ﴿تسيهان﴾ أحدهما أن الاحتكار المحرم هو أن يمسك ما اشتراه في الغلاء لا الرخص من الأقوات ولو تمرا وزيبيا بقصد أن يبيعه بأعلى مما اشتراه عند اشتداد الحاجة إليه والحق الغزالي بالقوت كل ما يعين عليه كاللحم والفواكه الغلاء لبيعه بأعلى ﴿ضربه الله﴾ أي ابتلاه ﴿بالجذام والإفلاس﴾ خصهما بالذكر لأن الحنكر أراد اصلاح بدنه وكثرة ماله فأفسد بدنه بالجذام وماله بالإفلاس قال العزيمى : رواه أحمد وابن ماجه ﴿فقال عند ذلك﴾ أى عند سماع هذا الحديث ﴿فروخ يا أمير المؤمنين فاني أعاهد الله وأعاهدك على أن لا أعود في احتكار طعام أبدا فتحول﴾ إلى بر مصر وأما مولى عمر فقال : نشترى بأموالنا ونبيع ﴿وسمى على حاله﴾ فزعم أبو يحيى أحد رواة ﴿أى هذا الحديث﴾ أنه رأى مولى عمر مجذوما ﴿أى أصابه الجذام﴾ ﴿مشدوخا﴾ أى مكسور العظم .

﴿وأخرج أحمد والترمذي﴾ وقال حديث حسن غريب والدارقطنى والحاكم وصححه ﴿عن أبي أيوب﴾ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من فرق بين الوالدة وولدها ﴿بما يزيل الملك قال الحنفى : وإن رضيت الأم بذلك التفريق بأن قالت : بعنى وحدى وولدى وحده فلا يعتبر رضاها﴾ فرق الله بينه وبين أحبه يوم القيامة ﴿لأن الجزاء من جنس العمل﴾ ﴿و﴾ أخرج ابن ماجه والدارقطنى عن أبي موسى ﴿لعن الله من فرق بين الوالدة﴾ الأمة قال الحنفى : مثلها الوالدان عليا ﴿وولدها﴾ بيع ونحوه قبل التمييز ولا يحرم ذلك بالعتق كما سيأتى لأنه قرينة ﴿وبين الأخ وأخته﴾ كذلك واحتج به الحنفية والحنابلة على منع التفريق بالبيع بين كل ذى رحم محرم ومذهب الشافعى ومالك اختصاصه بالأصول قال العلقمى : وفي قول الحرمة حتى يبلغ لحديث عبادة بن الصامت أن النبى ﷺ قال : لا يفرق بين الأم والولد قيل : إلى متى ؟ قال : حتى يبلغ الغلام وتحيض الجارية رواه الحاكم وصححه والدارقطنى وضعفه وقال أبو حاتم انه ليس بشئ .

وقد وردت في فضل ترك الاحتكار عدة أخبار فمن ذلك قوله ﷺ : من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به . وفي لفظ آخر : فكأنما أعتق رقبة هكذا هو في القوت . وروى ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف : ما من جالب يجلب طعاما إلى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته منزلة الشهيد . وروى الديلمى من حديث ابن مسعود : من جلب طعاما إلى مصر من امصار المسلمين فباعه بسعر يومه كان له عند الله أجر شهيد ثم قرأ رسول الله ﷺ : وآخرون يضرئون في الأرض يتغنون فضلا من الله وآخرون يقابلون في سبيل الله . وروى ابن ماجه في السيوع من حديث اسرايل عن علي بن سالم عن علي بن زيد عن ابن المسيب عن عمر بن الخطاب رفعه : الجالب مرزوق والحنكر ملعون .

﴿تسيهان أحدهما أن الاحتكار المحرم هو أن يمسك﴾ الشخص ﴿ما اشتراه في الغلاء لا الرخص من الأقوات ولو تمرا وزيبيا بقصد أن يبيعه بأعلى مما اشتراه﴾ به ﴿عند اشتداد الحاجة إليه والحق﴾ الامام أبو حامد ﴿الغزالي بالقوت كل ما يعين عليه كاللحم﴾ بأنواعه ﴿والفواكه﴾ بأنواعها ومتى اختل شرط مما ذكر فلا حرمة كأن اشتراه ولو زمن الغلاء لا يبيعه بل ليسسكه لنفسه وعياله أو يبيعه بمثل ما اشتراه به أو أقل أو لم يشتره كأن أسك غلة ضيعته ولوليبيعه بأعلى الأثمان ، نعم اذا اشتدت ضرورة الناس لزمه البيع فان أبى أجبه

وصرح القاضي بكراهة الاحتكار في الثياب * وثانيهما أن التفريق بين الوالدة وولدها الغير المميز لصغر أو جنون بنحو بيع لغير من يعتق عليه حرام وإن رضيت الأم إلا بالعق والوقف وببطل ذلك التصرف والأب والجد والجدة وإن بعدا كالأم عند فقدها ويحرم التفريق أيضا بالسفر بين الأمة وولدها الغير المميز وبين الزوجة وولدها بخلاف المطلقة ويحرم نحو بيع ولد البهيمة ما لم يستغن عن اللبن أو لم يقصد الذبح

القاضي عليه وعند عدم الاستداد الأولي له أن يبيع ما فوق كفاية سنة لنفسه وغياله ما لم يخف جائعة في السنة الثانية والا فله اسساك كتابتها فلا كراهة ولا احتكار في غير القوت ونحوه مما مر ﴿و﴾ لكن ﴿صرح القاضي﴾ حسين ﴿بكراهة الاحتكار في الثياب﴾ .

فإن قلت : ينافي ما قررته أن سعيد بن المسيب راوى حديث لا يحتكر الا خاطئ . قيل له فأنك تحتكر قال إن معمر الذي كان يحدث بهذا الحديث كان يحتكر . قلت قد تقرر أن من الأموال ما لا يحرم احتكاره كالثياب فيجمل ذلك من سعيد عليها أو نحوها وعلى التزل فشرط تحريم احتكار القوت ما مر فمن أين لنا أنهما كانا يحتكران مع وجود تلك الشروط وعلى التزل فسعيد ومعمر يجتهدان فلا يعترض عليهما ولا على غيرهما بهما . وقال ابن عبد البر وجماعة آخرون ما ذكره مسلم عن سعيد ومعمر أنهما كانا يحتكران لا ينافي ذلك لأنهما إنما كانا يحتكران الزيت والزيت ليس بقوت ، قالوا وكذا حملة الشافعي وأبو حنيفة وآخرون وهو الصحيح . وقال القرطبي أنه المشهور من مذهب مالك وجواب سعيد أن معمر كان يحتكر محمول على أنه ما لا يضر بالناس كالزيت والأدم والثياب ونحو ذلك . قال العلماء والحكمة في تحريم الاحتكار دفع الضرر عن عامة الناس كما أنجع العلماء على أنه لو كان عند إنسان طعام واضطر إليه الناس يجبر على بيعه دفعا للضرر عنهم .

﴿وثانيهما : أن التفريق بين الوالدة وولدها الغير المميز﴾ ومعنى التميز كما في التحفة أن يصير يأكل وحده ويستنجي وحده ﴿لصغر أو جنون بنحو بيع﴾ كهبه وهدية وقسمة رداء وتعديل وصورة الأولى أن تكون قيمة الأم أكثر من قيمة الولد فيحتاج إلى رد مال أجنبي مع أحدهما . والثانية أن يكون لها ولدان وكانت قيمتهما تساوى قيمتهما ﴿لغير من يعتق عليه حرام﴾ فلا يحرم التفريق بما ذكر لمن يعتق عليه لأن من عتق عليه ملك نفسه فله ملازمة الآخر قال في شرح الروض ﴿وإن رضيت الأم﴾ بالتفريق فإنه يحرم ولحق الولد أو كانت كافرة أو مجنونة أو آتية على الأوجه نعم إن أسس من عودها أو أفاقتها احتمل حل التفريق حينئذ ﴿إلا بالعق والوقف﴾ فإنه لا يحرم بذلك ﴿وببطل ذلك التصرف﴾ للعجز عن التسليم شرعا بالمنع من التفريق أما بعد التميز فلا يحرم لاستغناء المميز عن الحضانة ﴿والأب والجد والجدة﴾ للأب أو الألام ﴿وإن بعدا﴾ أي كل منهم ﴿كالأم﴾ فيحرم التفريق بين الأب وفرعه وبين الجدة وقرعها كما يحرم بينه وبين الأم ﴿عند فقدها﴾ أي الأم فإن لم تفقد ووجد أبوه معها أوجدته حرم التفريق بينه وبين الأم وحل بينه وبين الأب والجدة وإذا كان له أب وجد جاز بيعه مع جده لاندفاع ضرره ببقائه مع كل منهما .

﴿ويحرم التفريق أيضا﴾ أي كما يحرم بنحو البيع ﴿بالسفر بين الأمة وولدها الغير المميز﴾ هذا ما ألحقه الغزالي بما ذكر في فتاويه وأقره غيره ﴿و﴾ جعل التحريم مطردا وشاملا للتفريق ﴿بين الزوجة وولدها﴾ وإن كانت الزوجة حرة خلافا لصاحب النهاية حيث قال : وطرده ذلك في الزوجة الحرة بخلاف الأمة ليس بظاهر ﴿بخلاف﴾ الزوجة ﴿المطلقة﴾ فإنه لا يحرم التفريق بينهما وبين ولدها بالسفر لا يمكن صحته .

﴿ويحرم نحو بيع ولد البهيمة ما لم يستغن﴾ ذلك الولد ﴿عن اللبن﴾ فإن استغن عنه فلا حرمة لكن يكره التفريق في هذه الحالة كالتفريق الآدمي المميز عن أم ﴿أو﴾ ما ﴿لم يقصد الذبح﴾ فإن كان لغرض الذبح له أو لأنه فلا حرمة

وبطل وبجث السبكي حرمة ذبح أنه مع بقاءه ويجرم بيع نحو العنب بمن علم أو ظن أنه يتخذه نسكرا للشرب والحشيشة بمن يعلم أنه يستعملها والأمرد بمن عرف بالفجور به ولو باستفاضة والديك للمهارشة والكبش للمناطحة وكل ما يؤدي إلى معصية ولو ظنا .

﴿فصل في الفش في البيع وغيره﴾

أخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا * وهو والترمذي عنه أنه صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال ما هذا يا صاحب الطعام قال أصابته السماء أي المطر يا رسول الله قال أفلا تجملنه فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا *

﴿وبطل﴾ أي التصرف فيه بنحو البيع ﴿و﴾ لكن ﴿بجث السبكي﴾ حرمة ذبح أنه مع بقاءه أي الولد وفرض المسئلة في حالة عدم الاستغناء فان استغنى عنه فلا حرمة بالاتفاق

﴿ومحرم بيع نحو العنب﴾ كرتب ﴿من﴾ أي للمشتري ﴿علم﴾ البائع ﴿أو ظن أنه﴾ أي المشتري ﴿يتخذه﴾ أي نحو العنب ﴿نسكرا للشرب﴾ قيد لبيان الواقع وإنما حرم ما ذكرناه سبب لمعصية محقة أو مظنونة ﴿و﴾ بيع ﴿الحشيشة﴾ بمن يعلم ﴿أي البائع﴾ أنه يستعملها ﴿و﴾ بيع ﴿الأمرد﴾ بمن عرف بالفجور به ﴿أي بالأمرد﴾ يقينا أو ظنا فالمراد بالمعرفة ما يشمل الظن قال الشيخ الاسلام ومحل تحريم بيعه بمن ذكر إذا تحقق أو ظن أنه يفعل ذلك فان توهمه كره ﴿و﴾ بيع ﴿الديك للمهارشة﴾ أي الممارشة وتسلط بعضها على بعض وفي القاموس الهرش التحرش بين الكلاب والافساد بين الثامن والمخارشة تحرش بعضها على بعض ﴿و﴾ بيع ﴿الكبش للمناطحة﴾ أي لأجلها نطحه كمنعه وضربه أصابه بقرنه وانتطحت الكباش تناطحت والنطيحة التي ماتت منه قاله في القاموس

﴿و﴾ يحرم نحو ذلك من ﴿كل ما يؤدي﴾ أي تصرف يقضي ﴿إلى معصية ولو ظنا﴾ كبيع الدابة لمن يكفلها فوق طاقتها والأمة لمن يتخذها لغناء محرم والخشب لمن يتخذه آلة لهوو كطعام مسلم مكلف كافرا مكلفا في نهار رمضان وكذا بيعه طعاما علم أو ظن أنه يأكله فإرا بيع نحو المسك لكافر يشترى لطيب الصنم والحيوان لكافر علم أنه يأكله بلا ذبح لأن الأصح أن الكفار مخاطبون بقروع الشريعة كالمسلمين عندنا خلافا لأبي حنيفة رضي الله عنه وإذا كانوا كذلك فيحرم عليهم ما ذكر من تطيب الصنم وأكل الحيوان من غير ذبح ولا يجوز لنا إعادتهم على ذلك بيع ما ذكر عليهم .

﴿فصل﴾

﴿في﴾ تحريم ﴿الفش﴾ بالكسر اسم من غشه غشا إذا لم ينصحه وزين له غير المصلحة ثم اطلق على خلط الجيد بالردى ﴿في﴾ البيع وغيره ﴿كالتصره﴾ وهي منع جلب ذات اللبن إياها ما لكثرته

﴿أخرج مسلم عن أبي هريرة﴾ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حمل علينا السلاح ﴿قال العلقمي﴾ قال في الفتح المراد من حمل على المسلمين السلاح لقتالهم لما فيه من ادخال الرعب لامن حمله لحراسهم مثلا فانه يحمله لهم لا عليهم فليس منا . قال العلقمي أي ليس على طرفتنا واطلق اللفظ مع احتمال ارادة انه ليس على الملة للمبالغة في الزجر والتحذير ﴿ومن غشنا فليس منا﴾ ﴿وهو﴾ أي وأخرج مسلم وابن ماجه ﴿والترمذي عنه﴾ أي عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿أنه صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال ما هذا﴾ أي البلال ﴿يا صاحب الطعام﴾ قال أصابته السماء أي المطر يا رسول الله قال ﴿أفلا جعله فوق الطعام حتى يراه الناس﴾ من غشنا فليس منا ﴿أي ليس من متابعتنا﴾ قال الطيبي لم يرد به تقييد عن الاسلام بل نفى خلقه

وابن ماجه من باع عيالا لم يبيته لم يزل في مقت الله ولم تزل الملائكة تلغنه * والبيهقي والأصبهاني عن أبي هريرة موقوفا عليه أنه من باع الحرة فإذا بإنسان يحمل لبنا يبيعه فنظر إليه أبو هريرة فإذا هو قد خلطه بالماء فقال له أبو هريرة كيف تكون إذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء من اللبن *

عن أخلاق المسلمين أي ليس هو على سنتنا وطريقتنا في مناصحة الإخوان . وأخرج أبوداود أنه ﷺ قال ليس منا من غش وأخرج أحمد والبرار والطبري مر رسول الله ﷺ بطعام وقد حسنه صاحبه فأدخل يده فيه فإذا الطعام ردي فقال بع هذا خدة فغن غشنا فليس منا . وأخرج الطبري في الأوسط بإسناد جيد خرج رسول الله ﷺ إلى السوق فرأى طعاما مصبرا فأدخل يده فيه فأخرج طعاما رطباً قد أصابته السماء فقال لصاحبه ما حملك على هذا ؟ قال والذي بعثك بالحق أنه لطعام واحد قال أفلا عزلت الرطب على حدته واليابس على حدته فتسايعون ما تعرفون ، من غشنا فليس منا . وأخرج الطبري في الكبير بسند رواه ثقات مر رسول الله ﷺ برجل يبيع طعاما فقال يا صاحب الطعام أسفل هذا مثل أعلاه قال نعم ، يا رسول الله فقال ﷺ من غش المسلمين فليس منهم . وعن أبي سباع قال اشتريت ناقة من دار وأتته بن أسعف ﷺ فلما خرجت بها فأدركني بجزازة فقال اشتريت ؟ قلت نعم بين لك ما فيها قلت وما فيها ؟ أنها لسينة ظاهرة الصيحة قال أردت بها سفرا وأردت لحما ؟ قلت أردت بها الحج قال ارجعها فقال صاحبتها ما أردت إلى هذا أصلحك الله تفسد على قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يحل لأحد أن يبيع شيئا إلا بين ما فيه ولا يحل لمن علم ذلك إلا يبيعه رواه الحاكم وصححه والبيهقي .

﴿و﴾ كذا ﴿ابن ماجه﴾ باختصار القصة إلا أنه قال عن وأتته سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿من باع عيالا﴾ أي معييا ذاعيب يعلمه وضابط عيب المبيع ما نقص العين أو القيمة نقضا يفوت به غرض صحيح الغالب في جتس المبيع عدمه ﴿لم يبيته﴾ أي لم يبين عينه للمشتري ﴿لم يزل في مقت الله﴾ أي غضبه الشديد إذا ملقت أشد الغضب ﴿ولم تزل الملائكة تلغنه﴾ لأنه غش الذي ابتاع منه ولم ينصح له فاستحق ذلك . قال العزومي وهو حديث ضعيف .

وأخرج أحمد وابن ماجه والطبراني في الكبير والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين المسلم أخو المسلم إذا باع من أخيه يفا فيه عيب أن لا يبيته وأخرج أبو الشيخ ابن حبان المزمع بعضهم لبعض نصحة وادون وإن بعدت منازلهم وأبدانهم والفجرة بعضهم لبعض عشة متخاونون وإن اقتربت منازلهم وأبدانهم . وأخرج مسلم أن الدين النصيحة ، قلنا غششة لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولكاتبه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . وأخرج أبوداود والنسائي عن جرير بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وأن أنصح لكل مسلم وكان إذا باع الشيء أو اشتراه قال ما الذي أخذنا منك أحب إلينا مما أعطيناك فآختر . وأخرج أحمد قال ﷺ قال عز وجل أحب ما يعبد به عبدي النصح لي . وأخرج الطبراني من لا يهنم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يصح ويمس بأصحا لله ورسوله ولكاتبه ولا مامه ولعامته المسلمين فليس منهم . وأخرج الشيخان وغيرهما لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وفي رواية صحيحة : لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه .

﴿و﴾ أخرج ﴿البيهقي والأصبهاني﴾ بإسناد لا بأس به ﴿عن أبي هريرة﴾ ﷺ ﴿موقوفا عليه أنه من باع الحرة﴾ بالفتح أرض ذات حجارة سود ﴿فإذا﴾ هو ﴿بإنسان يحمل لبنا يبيعه فنظر إليه أبو هريرة فإذا هو قد خلطه بالماء فقال له أبو هريرة﴾ كيف تكون إذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء من اللبن ؟ أي وليس بقادر على ذلك فهو كما يقال المصور في يوم القيامة : أحيا ما صورتم أي انقخوا

وحكى الغزالي في الإحياء أن شخصا كانت له بقرة يحلبها ويحلب في لبنها ماء ويبيع فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض أولاده إن تلك المياه المتفرقة التي صيبتها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة ﴿وحكى﴾ شقيق البلخي أنه كان لأبي خنيفة شرك في التجارة يقال له بشر فخرج بشر في تجارته بمصر فبعث إليه أبو خنيفة سبعين ثوبا من ثياب خز فكتب إليه أن في الثياب ثوب خز معيا بعلامة كذا فإذا بعته فبين للمشتري العيب قال فباع بشر الثياب كلها ورجع إلى الكوفة فقال أبو خنيفة هل ينت ذلك العيب الذي في الثوب الخز فقال بشر نسيت ذلك العيب قال فتصدق أبو خنيفة بجميع ما أصابه من تلك التجارة الأصل والفرع جميعا قال وكان نصيبه من ذلك ألف درهم ما لم قد دخلت فيه الشبهة فلا حاجة لي به .

الروح في تلك الصور التي كنتم تصورونها في الدنيا تحميرا لهم وإذا لا وبنا لعجزهم وجراء تهم على الله تعالى فكذلك من خلط اللبن بالماء يقال له يوم القيامة خلص اللبن من الماء تحميرا له وفضيحة له على رؤس الأشهاد في ذلك اليوم جزاء على غشه الذي كان يفعله في الدنيا وكذلك سائر الغشاشين يفضحهم الله تعالى على رؤس الأشهاد في مقابلة غشهم للمسلمين .

اعلم أن تليسه العيوب وترويح السلم في عين المشتري لا يزيد في رزقه الذي قدر له بل يحرقه ويندب بركته وما يجمعه من مفرقات التليسات في أرملة متعددة على سلع مختلفة يهلكه الله دفعة واحدة وقد وقع ذلك كثيرا فقد ﴿وحكى﴾ الإمام أبو حامد ﴿الغزالي في﴾ الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة من كتاب ﴿الإحياء أن شخصا كانت له بقرة﴾ تطلق على الذكر والأنثى والمراد هنا الأنثى بدليل قوله ﴿يحلبها﴾ في الماعون ﴿وكان﴾ يحلب في لبنها ماء ﴿بأن كان يحمل الماء في الماعون ثم يحلب عليه اللبن﴾ ويبيع فجاء ميل ﴿عظيم﴾ فغرق البقرة فقال بعض أولاده : إن تلك المياه المتفرقة التي صيبتها في اللبن ﴿فيما مضى﴾ اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة ﴿وهذا فيه مبالغة وفي أثناءها زجر شديد لمن يستعمل التليس في باعائه وقد قال﴾ : اليعان إذا صدقا ونصحا بوزك لهما في بيعهما وإذا كتما وكذبا نزع بركة بيعهما .

﴿وحكى﴾ ﴿شقيق البلخي﴾ رحمه الله ﴿أنه كان لأبي خنيفة﴾ ﴿شرك في التجارة يقال له بشر فخرج بشر في تجارته بمصر فبعث إليه أبو خنيفة سبعين ثوبا من ثياب خز﴾ قال الفيومي : الخز اسم دابة ثم أطلق على الثوب المتخذة من وبرها والجمع خزوز مثل فلس وفلوس ﴿فكتب﴾ أبو خنيفة ﴿إليه﴾ أي إلى شركه ﴿أن في الثياب ثوب خز معيا بعلامة كذا فإذا بعته فبين للمشتري﴾ ذلك ﴿العيب قال﴾ : شقيق ﴿فباع بشر الثياب كلها وزجع إلى الكوفة﴾ مدينة مشهورة قبل العراق سميت كوفة لاستدارة بناها لأنه يقال تكوف القوم إذا اجتمعوا واستداروا ﴿فقال أبو خنيفة﴾ : هل ينت ذلك العيب الذي في الثوب الخز ؟ فقال بشر : نسيت ذلك العيب الذي فيه ﴿قال﴾ شقيق ﴿فتصدق أبو خنيفة بجميع ما أصابه من تلك التجارة الأصل والفرع﴾ أي الرجح ﴿جميعا قال﴾ وكان نصيبه من ذلك ﴿ألف درهم ما لم قد دخلت فيه﴾ أي في هذا المال ﴿الشبهة فلا حاجة لي به﴾ .

(فان قلت) لا تتم المعاملة مهما وجب على الإنسان أن يذكر العيوب المبيع فان المشتري حينئذ لا يرغب في ذلك المبيع فأقول : ليس الأمر كذلك إذ شرط التاجر أن لا يشتري لنية المبيع إلا الجيد الذي يرضيه لنفسه لو أسكه عنده ولا يبيعه ثم إذا باعه يقنع في بيعه برح سير فينارك الله عز وجل له في ذلك الرجح ولا يحتاج إلى تليس وتخليط وإنما تعذر هذا في الغالب لأنهم يقنعون في المبيع بالرجح اليسير وليس يسلم الكثير إلا بتليس فمن تعود هذا لم يشتري المغيب أبدا فان وقع معيب نادر فليذكره للمشتري ويقنع بالقيمة اليسيرة ففيها البركة . باع ابن سرن شاة له فقال للمشتري : أبرأ إليك من عيب فيها وهو أنها قلب العلف برجلها . وباع الحسن بن صالح الهمداني جارية له

﴿تنبيه﴾ ضابط الغش المحرم أن يعلم ذو السلعة من نحو بائع أو مشتر فيها شيئا لو اطلع عليه من يريد أخذها لما أخذها بذلك المقابل فيجب عليه أن يعلمه به ويجب أيضا على أجنبي علم بالسلعة عيبا أن يخبر مریدا أخذها وإن لم يسأله عنها كما يجب عليه إذا رأى إنسانا يخطب امرأة وعلم بها أو به عيبا أو رأى إنسانا يريد أن يخاطب آخر لمعاملة أو صداقة أو قراءة نحو علم وعلم بأخذها عيبا أن يخبره به وإن لم يستشره فلا يكفى في تبين العيب هو معيب مثلا ولا إنما اتهمته بالعيب .

﴿فصل في إتيان السلعة بالحلف الكاذب﴾

أخرج مسلم عن أبي ذر ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم قال فقراها رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقلت خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب *

فقال للمشترى : إنها تنخت مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة أهل الدين وأهل الورع من المتقين فمن لا يقدر على هذا فليترك المعاملة مع الخلق أولو وطن نفسه على عذاب الآخرة أن عاملهم بالغش .

﴿* تنبيه ﴾ ضابط الغش المحرم أن يعلم ذو السلعة من نحو بائع أو مشتر فيها شيئا لو اطلع عليه من يريد أخذها لما أخذها بذلك المقابل فيجب عليه أن يعلمه به ويجب أيضا على صاحب السلعة أن يعلمه به أي مریدا أخذها ﴿به﴾ بعيبها ليدخل في أخذه على بصيرة ﴿و﴾ يؤخذ من حديث وثالة وغيره ما صرح به أصحابنا أنه ﴿يجب أيضا﴾ أي كما يجب على صاحب السلعة إعلام عيبها لمریدا أخذها ﴿على أجنبي علم بالسلعة عيبا أن يخبر﴾ به ﴿مریدا أخذها﴾ وإن لم يسأله عنها أي عن عيبها ﴿كما يجب﴾ الإعلام والأخبار بحقيقة الحال ﴿عليه﴾ أي الأجنبي ﴿إذا رأى إنسانا يخطب امرأة وعلم﴾ أي الأجنبي ﴿بها﴾ أي بالخطوبة ﴿أو به﴾ أي بالخاطب ﴿عيبا أو﴾ إذا ﴿رأى﴾ شخص ﴿إنسانا يريد أن يخاطب﴾ شخصا ﴿آخر لمعاملة أو صداقة أو قراءة نحو علم وعلم بأخذها عيبا﴾ فعليه ﴿أن يخبر﴾ أي الذي يريد أن يخاطب آخر ﴿به﴾ أي بالعيب الذي يعلمه المخبر عنه ﴿وإن لم يستشره فلا يكفى في تبين العيب هو معيب مثلا ولا إنما اتهمته بالعيب﴾ أي وإن لم يطلب مشورته به كل ذلك أداء للنصيحة المأكدة وجوبها الخاصة بالمسلمين وعامتهم ومحل وجوب ذكر العيوب إذا لم يندفع إلا بذكرها .

﴿فصل﴾

﴿في إتيان السلعة﴾ أي ترويحها ﴿بالحلف الكاذب﴾ وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع أي خرائب ﴿أخرج مسلم﴾ والأربعة ﴿عن أبي ذر﴾ ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال ﴿ثلاثة﴾ من الناس ﴿لا ينظر الله إليهم﴾ نظر انعام وافضال ﴿يوم القيامة﴾ الذي من اقتضح فيه لم يعز استهانة بهم وغضبا عليهم بما انتهكوا من حرمة الله ﴿ولا يزكهم﴾ أي يطهرهم من الذنوب أولائش عليهم ﴿ولهم عذاب أليم قال﴾ أبو ذر ﴿فقراها رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقلت﴾ بحابوا وخسروا من هم يا رسول الله ؟ قال ﴿المسبل﴾ أزاره إلى أسفل الكمين بقصد الخيلاء والتكبر ﴿والمنان﴾ عطاءه كما في رواية . قال الطيبي : يؤول على وجهين أحدهما من المنة التي هي الاعتداد بالصنعة وهي أن وقعت في صدقة احتبطت الثواب أو في معروف باطلت الصنعة وقيل من المن وهو التقص يعنى التقص من الحق والحياة فيه ومنه قوله تعالى : فلم أجز غير ممنون أي غير متقوص ﴿والمنفق﴾ بتشديد الفاء المكسورة على صيغة اسم الفاعل أي المروج ﴿سلعته﴾ أي بيعها وهي مائة ﴿بالحلف الكاذب﴾ كأن يقول والله لا تجد مثليها ، والله أنها نفيسة .

والطبراني والبيهقي ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزيكهم ولم عذاب أليم أشمط زان وعائل متكبر ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه * ومسلم إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه ينفق ثم يمحى *

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني والبيهقي﴾ عن سلمان الفارسي وزاوته محتج بهم في الصحيح ﴿ثلاثة لا ينظر الله إليهم﴾ نظر رحمة وعطف ﴿يوم القيامة ولا يزيكهم ولم عذاب أليم أشمط﴾ مصغرا أشمط وهو الذي برأسه شعرا يبيض والمراد به هنا الشيخ ﴿زان﴾ لأنه التزم المعصية مع عدم ضرورته اليها وضعف داعيتها عنده فأنشبه أقدامه عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى وقصد معصيته لا الحاجة غيرها فان الشيخ ضعف شهوته عن الوطء الحلال وكيف بالحرام وكل عقله ومعرفة طول ما مر عليه من الزنا وإنما يدعو إلى الزنا غلبة الحرارة وقلة المعرفة وضعف العقل الحاصل كل ذلك في زمن الشباب هكذا قاله العزيزي ﴿وعائل متكبر﴾ أي فقير ذو عيال متكبر على السعي على عياله فلا يحترف ولا يسأل لهم لأن كبره مع فقد سببه فيه من نحو مال وجاه يدل على كونه مطبوعا عليه مستحكما فيه فيستحق الموت ﴿ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه﴾ وإن كان صادقا لاسهاته باسم الله ووضع في غير محله قال الجفني: قوله جعل الله الخ أي خلقه بضاعته أي أكثر من ذلك في بيعه وشرائه سواء كان صادقا أم لا لأنه يقع في الكذب غالبا والحاصل على ذلك عرض ديني فيتبغى ترك ذلك وإن كان هذا الوعيد للكاذب . وأخرج الطبراني: ثلاثة لا ينظر الله إليهم غدا شيخ زان ورجل اتخذ الأيمان بضاعته يحلف في كل حق وباطل وفقير محتال أي من هو متكبر معجب فخور .

وأخرج الشيخان وغيرهما: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيكهم ولم عذاب أليم رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السيل وفي رواية: يقول الله له اليوم أمتعتك فضلي كما منعتك فضل ما لم تعمل يداك ورجل باع رجلا سلعة بعد العصر فخلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه فأخذها وهو على غير ذلك ورجل باع اماما لا يبايعه إلا الدنيا فان أعطاه منها ما يريد وفي له وإن لم يعطه لم يف له وفي رواية: ورجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقطع بها مال امرء مسلم ورجل منع فضل ماء فيقول الله له يوم القيامة واليوم أمتعتك فضلي كما منعتك فضل ما لم تعمل يداك . وأخرج النسائي وابن حبان في صحيحه: أربعة يفضهم الله البائع الخلف والفقير المحتال والشيخ الزاني والامام الجائر . وأخرج الحاكم وصححه على شرط مسلم والأربعة بنحوه : أن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة فذكر الحديث إلى أن قال : قلت : فمن الثلاثة الذين يبغضهم الله ؟ قال المحتال الفخور وأتم تجديده في كتاب الله المنزل : أن الله لا يحب كل محتال فخور . والبخل المنان والتاجر أو البائع الخلف .

﴿و﴾ أخرج ﴿مسلم﴾ والنسائي وابن ماجه عن أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعا ﴿إياكم وكثرة الحلف في البيع﴾ أي احذروا كثارته لأنه مظنة الوقوع في الكذب ، والمراد بالإيمان الصادقة وأما الكاذبة فحرام وإن قلت ﴿فانه ينفق﴾ أي يترتب عليه النفاق أي رواج السلعة ضد الكساد ﴿ثم يمحى﴾ يفتح أوله أي يذهب بالبركة بنحو تلف أو صرف فيما لا ينفع

وأخرج الترمذي بسند حسن : التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء . زاد ابن ماجه المسلم وقال : مع الشهداء يوم القيامة . وأخرج الأصبهاني وغيره : التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة . وأخرج البيهقي وغيره : أن أطييب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا وإذا تمنوا لم يخونوا وإذا وعدوا لم يخلفوا وإذا اشترؤا لم يذموا وإذا باعوا لم يمدحوا وإذا كان عليهم لم يطلبوا وإذا كان لهم لم يعسروا . وأخرج الشيخان وغيرهما : اليعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدق اليعان وبيننا بورك لهما في بيعهما وإن كنا وكذبا نفسي أن يربحا ويحق بركة بيعهما ، اليعان الفاجرة منفة للسلعة بمحنة الكسب . وأخرج أحمد بإسناد جيد والحاكم وصححه :

والطبراني يا معشر التجار إياكم والكذب * وابن حبان عن أبي سعيد قال مر أعرابي بشاة فقلت تبيعها بثلاثة دراهم فقال لا والله ثم باعها فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال باع آخرته بدنياء .

﴿فصل في بخس نحو الكيل والوزن والزرع﴾

قال الله تعالى ﴿ويل﴾ أي شدة عذاب أو واد في جهنم من شر أوديتها لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره ﴿للمطففين﴾ الذين يزدون لأنفسهم من أموال الناس ببخس الكيل أو الوزن ﴿الذين إذا أكلوا على الناس﴾ أي منهم لأنفسهم ﴿ستوفون﴾ الكيل ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم﴾ أي أكلوا أو وزنوا لهم ﴿يبخسون﴾ أي ينقصون الكيل والوزن ﴿ألا يظن﴾ أي يتيقن ﴿أولئك﴾ الذين يفعلون ذلك ﴿أنهم مبعوثون ليوم عظيم﴾ أي هوله وعذابه ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾

ان التجار هم الفجار ، قالوا يا رسول الله ليس الله قد أحل البيع ؟ ، قال بلى ، ولكنهم يخلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون . ﴿و﴾ أخرجه الطبراني باسناد لا بأس به عن واثلة رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يخرج إلينا وكما تجار أو كان يقول ﴿يا معشر التجار إياكم والكذب﴾ . ﴿و﴾ أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه : قال مر أعرابي بشاة فقلت : تبيعها بثلاثة دراهم ؟ فقال ﴿الاعرابي﴾ لا ﴿وَالله﴾ العظيم ﴿ثم باعها فذكرت﴾ ذلك ﴿لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال باع﴾ ذلك الأعرابي ﴿آخرته بدنياء﴾ بسبب حلفه الكاذب . وأخرج الشيخان الحلف منفعلة للسلعة محقة للكسب وفي رواية لأبي داود بمحقة للبركة .

﴿فصل في بخس نحو الكيل والوزن والزرع﴾

وهو من الكباثر في الزواجر ﴿قال الله تعالى﴾ (ويل) أي شدة عذاب أو واد في جهنم من شر أوديتها لو سيرت فيه ﴿أي في ذلك الوادي﴾ جبال الدنيا لذابت من شدة حره (للمطففين) ﴿قال اليبضاوي﴾ : التطفيف البخس في الكيل والوزن لأن ما يبخس طفيف أي حقير ﴿الذين يزدون لأنفسهم من أموال الناس ببخس الكيل أو الوزن﴾ ولذا فسرهم بأنهم ﴿الذين إذا أكلوا على الناس أي﴾ إذا اشتروا منهم ﴿وكالوا﴾ لأنفسهم ﴿أو وزنوا لأنفسهم﴾ ﴿ستوفون الكيل﴾ والوزن جدا ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم أي﴾ إذا أكلوا للناس أو وزنوا لهم ينقصون الكيل والوزن ﴿

وهذا الوعيد يلحق من يأخذ لنفسه زائدا ويدفع إلى غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن إذا لم يتب منه وإن تاب منه ورد الحقوق إلى أهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكباثر وذلك لأن عامة الخلق محتاجون إلى المعاملات وهي مبنية على أمر الكيل والوزن . قال نافع : كان ابن عمر رضي الله عنهما يمر بالبائع فيقول له اتق الله أوف الكيل والوزن فان المطففين يرفقون يوم القيامة حتى يلجهم العرق . وقال قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما تحب أن يعدل لك . وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيامة ﴿ألا يظن أي﴾ لا يعلم ﴿يتيقن أولئك الذين يفعلون ذلك﴾ التطفيف ﴿أنهم مبعوثون ليوم عظيم أي هوله وعذابه﴾ وهو يوم القيامة قال النسفي في تفسيره : أدخل همزة الاستفهام على لا النافية توبيخا وليست الأهمزة للتنبيه وفيه انكار وتعجب عظيم من حالهم في الاجترار على التطفيف كأنهم لا يخطر ببالهم ولا يخشون تخيبا أنهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة ولو ظنوا أنهم يبعثون ما نقصوا في الكيل والوزن . وعن عبد الملك بن مروان أن أعرابيا قال له : قد سمعت ما قال الله في المطففين أراد بذلك أن المطفف قد ترجه عليه الوعيد العظيم الذي شنت به فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ﴿يوم يقوم الناس﴾ نصب بمبعوثين أو بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر ﴿لرب العالمين﴾ أي لأمره وحجراته وحسابه

أي من قبورهم حفاة عراة قال السيد سبب نزول هذه الآية أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كان بها رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكّال بالآخر فأنزل الله الآية * وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكيل والوزن إنكم قد ولّيت أمرين هلك فيهما الأمم السالفة * وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر قال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركون لم تظهر الفاحشة في قوم قط فعليتموها بها إلا قشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا الكيل والميزان إلا أخذوا بالسنين وهي العام المقحط الذي لا تثبت الأرض فيه شيئا وقع مطر أولا وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم ولم يحكم أنتمهم بغير كتاب الله ويتخبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم

﴿أي﴾ يقومون ﴿من قبورهم حفاة عراة﴾ غرلائهم يحشرون فمنهم الراكب ومنهم الماشي على رجله ومنهم المنكب والساقط على وجهه تارة وتارة يمشي وتارة يزحف وتارة يتخبط كالبعير البهائم ومنهم الذي يمشي على وجهه وكل ذلك بحسب الأعمال إلى أن يقفوا بين يدي ربهم ليحاسبهم على ما سلف من أعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر

﴿قال﴾ الامام اسمعيل ﴿السدّي﴾ يضم السين وفتح الدال منسوب إلى السدة على اللفظ والسدة الباب لأنه كان يبيع المقائع وتحوها في سدة مسجد الكوفة ﴿سبب نزول هذه الآية أنه﴾ لما قدم المدينة ﴿المنورة﴾ كان بها رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكّال بالآخر فأنزل الله ﴿الآية﴾ وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله عز وجل ويل للمطففين فأحسنوا المكيال بعد ذلك .

﴿وأخرج الترمذي عن ابن عباس﴾ رضي الله عنهما ﴿قال قال رسول الله ﷺ لأصحاب الكيل والوزن : انكم قد ولّيت أمرين﴾ وهما الكيل والوزن ﴿هلك فيهما الأمم السالفة﴾ أي الماضية قبلكم وذلك لتنقصهم الكيل والميزان ورواها الحاكم وصححه واعتز به أن فيه متروكا وبأن الصحيح وقفه على ابن عباس قاله في الزواجر .

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن ماجه﴾ واللفظ له والبخاري والبيهقي ﴿والحاكم﴾ بنحوه وقال صحيح على شرط مسلم ﴿عن ابن عمر﴾ رضي الله عنهما ﴿قال : أقبل رسول الله ﷺ فقال : يا معشر المهاجرين﴾ أي جماعتهم أحذركم ﴿خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركون﴾ أحدها ﴿لم تظهر الفاحشة﴾ أي الزنا ﴿في قوم قط فعليتموها﴾ أي يظهروا ﴿بها الإفشاء﴾ وكثر ﴿فيهم الطاعون﴾ قال النووي : الطاعون قروح تخرج مع لبيب في الإباط والأصابع وفي سائر البدن يسود ما حولها أو يحضر أو يحمر وأما الوباء بالمد والقصر فقل هو الطاعون والصحيح الذي قاله المحققون أنه مرض يكثر في الناس ويكون نوعا واحدا ﴿والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا﴾ ثانيها ﴿لم ينقصوا الكيل والميزان إلا أخذوا بالسنين﴾ جمع سنة ﴿وهي العام المقحط﴾ أي ذو قحط واحتباس مطر ﴿الذي لا تثبت الأرض فيه شيئا وقع مطر أولا وشدة المؤنة وجور السلطان﴾ أي ميله عن الحق والعدل ﴿و﴾ ثالثها ﴿لم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر﴾ أي المطر ﴿من السماء ولولا البهائم لم يمطروا﴾ رابعها ﴿لم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا﴾ أي الأعداء ﴿بعض ما في أيديهم﴾ خامسها ﴿لم يحكم أنتمهم بغير كتاب الله﴾ لم يتخبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم أي عذابهم ﴿بينهم﴾

وقال عكرمة أشهد أن كل كيال ووزان في النار قليل له إن ابنك كيال ووزان فقال أشهد وأنه في النار وقال علي عليه السلام لا تلتبس الخواص بمن رزقه في رؤس المكياال وألسن الموازين وما أحسن قول من قال الويل ثم الويل لمن يسع بحجة ينقصها جنة عرضها السموات والأرض

وأخرج مالك موقفا على ابن عباس والطبراني وغيره مرفوعا: ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنا في قوم إلا كثر فيهم الموت وما نقص قوم المكياال والميزان إلا نقص الله عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير حق إلا فشا فيهم الدم ولا خترأى بفتح الخاء المعجمة والفوقية والراء نقص وأخل قوم العهد إلا سلط الله عليهم العدو. وأخرج البيهقي مرفوعا على ابن مسعود وهو أشبه وهو وغيره بمعناه مرفوعا القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله فيقال: أدامتك فيقول أي رب كيف وقد ذهبت الدنيا قال فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية فينطلقون به إلى الهاوية ويمثل له أماته كهيئتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها فيهرى في أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبه حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبه فهو يهرى في أثرها أبا الأبدن ثم الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وأشد ذلك الودائع قال: يعني إذا كان يأتيك البراء بن عازب قلت ألا ترى إلى ما قال ابن مسعود؟ قال كذا قال كذا قال صدق أما سمعت الله تعالى يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها.

(تبيينه) قد عد العلامة ابن حجر بخس نحو الكيل والوزن من الكبائر كما صرحوا به وهو ظاهر لأنه من أكل أموال الناس بالباطل ولهذا أشد الوعيد عليه كما علمته من الآية وهذه الأحاديث وأيضا فانما سمى مطلقا لأنه لا يأخذ إلا الشيء الطفيف وذلك ضرب من السرقة والخيانة مع ما فيه من الإبناء عن عدم الثقة والمرأة بالكلية ومن ثم عوقب بالويل الذي هو شدة العذاب أو الوادي في جهنم وأيضا فقد شدد الله عقوبة قوم شعيب عليه الصلاة والسلام على بخسهم المكياال والميزان.

فإن قلت قد ذكروا في الغصب أن غصب دون ربع دينار لا يكون كبيرة فتضمنه أن يكون هذا كذلك. قلت ذلك مشكل فلا يقاس عليه بل حكى الإجماع على خلافه. وقال الأذرعي: أنه تحديد لاستند له انتهى. وعلى النزول فقد يفرق بأن الغصب ليس بما يدعو قليله إلى كثيره لأنه إنما يؤخذ على سبيل القهر والغلبة فقليله لا يدعو لكثيره بخلاف هذا فإنه يؤخذ على سبيل المكر والخيانة فكان قليله يدعو إلى كثيره فتعين التنفير عنه بأن كلا من قليله وكثيره أخذا مما قالوه في شرب القطرة من الخمر فإنه كبيرة وإن لم توجد فيها مفسدة الخمر لما تقرر أن قليله يدعو إلى كثيره فلا يشكل على هذا الفرق الحاق جماعة السرقة والغصب لأن السارق على غاية من الخوف فهو على ممكن من مال غيره حتى يقال أن القليل يدعو إلى الكثير بخلاف المطفف فإنه ممكن من مال الغير فدعاية القليل فيه إلى الكثير أسهل وأظهر فتأمل ذلك ومما يؤيد الفرق أن جماعة شرطوا في الغصب ما مر مع ذلك قالوا: لا يشترط ذلك في السرقة وكأنهم نظروا إلى ما ذكر وما تقرر من الفرق الظاهر بين هذا والغصب يندفع جزم بعض المتأخرين بأن التطفيف بالشيء التافه صغيرة إلا أن يقال المنازعة في الغصب إنما هي في التحديد برع دينار وأما غصب الشيء التافه الذي يسامح به أكثر الناس فينبغي أن يكون صغيرة وكذلك التطفيف بالشيء التافه الذي يسامح به أكثر الناس فينبغي أن يكون صغيرة أيضا فهذا غير بعيد لكن ظاهر كلام الأكثرين أنه لا فرق ومن ثم حكى ابن عبد السلام أن غصب الحبة وسرقتها كبيرة بالإجماع وكأنه أخذ ذلك من إطلاق الأكثرين.

﴿وقال عكرمة﴾ رحمه الله تعالى ﴿أشهد أن كل كيال ووزان في النار قليل له إن ابنك كيال ووزان فقال: أشهد وأنه في النار﴾ لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله ﴿وقال علي عليه السلام لا تلتبس الخواص بمن رزقه في رؤس المكياال وألسن الموازين وما أحسن قول من قال الويل ثم الويل لمن يسع بحجة ينقصها جنة عرضها السموات والأرض﴾ لجهلهم بأمر الله تعالى وقلة يقينهم بالآخرة.

ويشتري بحبة يزنها واديا في جهنم يذيب جبال الدنيا وما فيها ﴿وحكى﴾ اليافعي عن مالك بن دينار أنه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك جبلان من النار بين يدي أكلف الصعود عليهما قال مالك فسألت أهله عن حاله فقالوا كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكالم بالآخر فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال ما يزداد الأمر إلا شدة فمات في مرضه ﴿وحكى﴾ أيضا عن بعضهم أنه قال لبعض الناس وهو في النزاع

﴿ويشتري بحبة يزنها واديا في جهنم يذيب جبال الدنيا وما فيها﴾ ولهذا كان بعضهم إذا أخذ لنفسه نقص نصف حبة وإذا أعطى زاد حبة وإنما بالغ السلف في الاختراز من هذا وشبهه لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها إذا لم يعرف أصحاب الحياة حتى يجمعهم ويؤدى حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله ﷺ شيئا قال للوازن لما يزن ثمنه زن وأرجح بفتح الهززة وكسر الجيم أى أعطاه راجحا . ونظر فضيل بن عياض رحمه الله عليه إلى ابنه يغسل دينارا يريد أن يصرفه ويزيل تكحيله ويتقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب ذلك فقال: يا بنى فملك هذا أفضل من حجتين وعشرين عمرة . وقال بعض السلف عجبا للتاجر والبائع كيف يزن أى فلا يعدل في وزنه ويحلف بالنهار وينام بالليل . وقال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لابنه يا بنى كما تدخل الجنة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين .

وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما لا تطعنوا في الميزان وأقيموا الوزن باللسان ولا تحسروا الميزان . أى لسان الميزان فان التقصان والرجحان يظهر بميله وبالجملة كل من ينصف لنفسه من غيره في كل شيء ولو في كلمة ولا ينصف لغيره بمثل ما ينصف لنفسه فهو داخل تحت قوله تعالى ويل للمطففين الذين أكلوا على الناس يستوفون الآيات . فان تحريم ذلك في المكيال ليس لكونه مكيالا بل لكونه أمرا مقصودا بذاته ترك العدل والتصفة فيه فهو جارح حكمه في جميع الأعمال القلبية واللسانية فصاحب الميزان في خطر الويل ان لم يعدل فيه فكل مكلف فهو صاحب الموازين في أفعاله وهى أعمال الجوارح وأقواله وهى أعمال اللسان وحده وخطواته وهى أعمال القلب فالويل له ان عدل ومال عن طريق العدل ومال عن حد الاستقامة وهو الوفاء بكل العهد برعاية خط الوسط في كل أمر ديني ودنيوي ولولا تعذر هذا واستحالة لما ورد قوله تعالى : وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلا ينفعك عبد ليس معصوما عن الميل من الاستقامة ولزوم الصراط المستقيم الآن درجات الميل تفاوتت تفاوتا عظيما فلذلك تفاوت مدة مقامهم في النار الى أوان الخلاص ويبقى بعضهم ألف ألف سنين فنسأل الله تعالى أن يقرنا من الاستقامة والعدل فان الاستداد على من الصراط المستقيم من غير ميل غير مطموع فيه فانه صعب المرتقى اذ هو أدق من الشعرة وأحد من السيف ولولا ذلك لكان المستقيم عليه لا يتدر على جواز الصراط المحدود على من النار الذي من ضعفه أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف كما ورد ذلك في الأخبار الصحيحة ويقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم في الدنيا يخف العبد يوم القيامة على الصراط المحدود على من جهنم .

﴿وحكى﴾ الامام أبو محمد عبد الله بن أسعد ﴿اليافعي﴾ في روضه ﴿عن مالك بن دينار﴾ رحمه الله تعالى ﴿أنه دخل على جار له احتضر﴾ أى حضره الموت ﴿فقال﴾ يا مالك جبلان من النار بين يدي أكلف ﴿بالبناء للمفعول﴾ الصعود عليهما قال مالك: فسألت أهله عن حاله فقالوا: كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكالم بالآخر فدعوت ﴿أى طلبت﴾ بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل ﴿عن حاله﴾ فقال ﴿يا أبا يحيى﴾ كلما ضربت أحدهما بالآخر ﴿ما يزداد الأمر إلا شدة فمات﴾ ذلك الرجل ﴿في مرضه﴾ ﴿وحكى﴾ اليافعي ﴿أيضا عن بعضهم أنه قال لبعض الناس وهو في النزاع﴾ أى في حال نزاع الروح

وكان يعامل الناس بالميزان قل لا إله إلا الله فقال ما أقدر أن أقولها لسان الميزان على لسانى بمعنى من النطق بها فقلت أما كنت توفى الوزن قال بلى ولكن ربما كان يقع في الميزان شيء من الغبار ولا أشعر به فكروا عباد الله إذا كان هذا حال من لا يشعر في ميزانه الغبار فكيف حال من يزن ناقصا عجبا لمن يبيع جنة بنقصها ويشتري واديا في جهنم بحبة يزيد ما ﴿تنبيه﴾ إن البخس فيما ذكر حرام بل هو كبيرة كما صرحوا به ومن البخس المحرم ما يعتاده فسقة التجار والبزازين في ذرع الثياب ونحوها من طلب تشديد جرهما حين البيع وارتخائها حين الشراء فهم داخلون في الوعيد الشديد .

﴿فصل في السماحة وإقالة النادم﴾

أخرج البخاري عن جابر عن رسول الله ﷺ رحم الله عبدا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى * وأحمد والترمذي عنه غفر الله لرجل ممن كان قبلكم كان سهلا إذا باع سهلا إذا اشترى سهلا إذا اقتضى * والبيهقي عليك بأول السوم فإن الرجح مع السماحة

﴿وكان يعامل الناس بالميزان قل : لا إله إلا الله فقال : ما أقدر أن أقولها لسان الميزان على لسانى بمعنى من النطق بها﴾ قال بعضهم ﴿قلت﴾ له : ﴿أما كنت توفى الوزن ؟﴾ قال : بلى ﴿أوفه﴾ ولكن ربما كان يقع في الميزان شيء من الغبار ولا أشعر به ﴿وعبارة الزواجر فقلت له بالله أكنت تزن ناقصا ؟ فقال والله ولكنى كنت أقف مدة لأعتبر ضجة ميزانى ﴿فكروا﴾ يا ﴿عباد الله إذا كان هذا﴾ أى عدم قدرة النطق بلا إله إلا الله ﴿حال من لا يشعر في ميزانه الغبار فكيف حال من يزن ناقصا عجبا لمن يبيع جنة بنقصها ويشتري﴾ أى يستبدل ﴿واديا في جهنم بحبة يزيد ما﴾

﴿تنبيه﴾ ﴿إن البخس فيما ذكر﴾ من نحو الكيل والوزن والذرع ﴿حرام بل هو كبيرة كما صرحوا به ومن البخس المحرم ما يعتاده فسقة التجار والبزازين﴾ جمع بزاز وهو بائع البز بالفتح نوع من الثياب ﴿في ذرع الثياب ونحوها من طلب تشديد جرهما حين البيع وارتخائها﴾ أى ارتخاها ﴿حين الشراء فهم داخلون في الوعيد الشديد﴾ .

﴿فصل﴾

﴿في السماحة﴾ في المعاملة ﴿واقالة النادم﴾ أى الذي فعل شيئا ثم كرهه قال المطرزي الإقالة في الأصل فسخ الشيء وألفه واو أوباء فان كانت واوا فاشتقاقه من القول فان الفسخ لا بد فيه من قيل وقال وان كانت ياء فيحتمل نحه من القبلولة ﴿أخرج البخاري﴾ وابن ماجه ﴿عن جابر﴾ رضى الله عنه ﴿عن رسول الله ﷺ رحم الله﴾ قال العلقمى يحتمل الدعاء ويحتمل الخبر ﴿عبدا سمحا﴾ بفتح فسكون صفة مشبهة تدل على الثبوت أى سهلا ﴿إذا باع و﴾ سمحا ﴿إذا اشترى و﴾ سمحا ﴿إذا اقتضى﴾ أى طلب حقه ومقصود الحديث الحث على المسلمين في المعاملة وترك المشاحة فيؤكد في الاعتناء بذلك رجاء للفوز بدعوة المصطفى ﷺ ﴿أخرج أحمد والترمذي﴾ والبيهقي ﴿عنه﴾ أى عن جابر قال العلقمى : قال في الكبير حسن صحيح غريب ﴿غفر الله لرجل ممن كان قبلكم كان سهلا إذا باع سهلا إذا اشترى سهلا إذا اقتضى﴾ أى طلب دينه ممن هو عليه وإذا كان ذلك في الأم السالفة مقتضيا للتغفران ففي هذه الأمة بالأولى فينبغى الحرص على ذلك .

أخرج ابن أبي شيبة وأبو داود في مداسيله ﴿والبيهقي﴾ عن الزهرى مرسلًا ﴿عليك﴾ اسم فعل بمعنى الزم ﴿بأول السوم فان الرجح مع السماحة﴾ فان الانسان اذا باع برجح يسير رغب الناس في الشراء منه فيكثر ربحه فينبغى كما قاله الجعفي أن يسمح في السلة لمن ساءها أولا ولا يؤخر ويرضى بأقل كسب ولا يؤخر لتريد لأن علامة الايمان الكامل أن يكون الشخص هينا في بيعه وشرائه واقتضاه

وقال أبو عمر كان الزبير تاجرا مجدودا في التجارة يعني محظوظا فقبل له بم أدركت في التجارة ما أدركت قال إني لم أشتري معييا ولم أزد ربحا والله يبارك ما يشاء ﴿وَحَكِي﴾ أنه كان السري السقطي في ابتداء أمره في بغداد صاحب دكان وكان لا يزيد في البيع والشراء إلا ربح نصف درهم لكل عشرة واشترى بستمائة دينار لوزا فغلا اللوز فجاء الدلال وقال بربح ثلاثة لكل عشرة فقال لا أزيد الربح فوق نصف درهم لكل عشرة ولا أنقص عزمي فقال الدلال أنا أيضا لا أجيز بربح متاعك بالناقص فلا باع الدلال ولا نقض السري عزمه *

دينه ونحو ذلك فهو علامة البركة .

﴿وقال أبو عمر﴾ كان الزبير تاجرا مجدودا في التجارة يعني محظوظا ﴿قال الفيومي﴾: والجد والحظ يقال حددت بالشئ أجده من باب تعب إذا خطيت به ﴿فقبل له﴾ أي بآي شئ ﴿أدركت في التجارة ما أدركت﴾ من الغنى واليسار ﴿قال﴾ الزبير ﴿إني لم أشتري معييا ولم أزد ربحا والله﴾ سبحانه وتعالى ﴿يبارك ما يشاء﴾ ومن قنع بربح قليل كثرت معاملته واستفاد ما تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر البركة والنماء في المال الذي يده . وكان على كرم الله وجهه يدور في سوق الكوفة ومعه الدرة وهو يقول : يا معشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيرا . وقيل لعبد الرحمن بن عوف ؓ : ما سبب يسارك ؟ قال : ثلاث خصال ما رددت ربحا قط ولو كان قليلا ولا طلب مني حيوان فأخرت بيعه ولا بيعت بنسيئة ويقال إنه باع بألف ناقة فما ربح الاعتقها بضمين جمع عقال ككتاب وكب وهو السير الذي تربط به الناقة أي ما طمع في ربحها غير عقلا وذلك أنه باع كل عقال بدرهم فربح فيها ألف درهم وربح من الناقة عليها ليومه ألف درهم .

﴿وَحَكِي﴾ أنه أي الحال والشأن ﴿كان﴾ أبو الحسن ﴿السري﴾ بن المغلس بضم الميم وفتح المعجمة وكسر الراء المشددة ﴿السقطي﴾ خال الجنيد وأستاذه وكان تلميذ معزوف الكرخي كان أرحم زمانه في الورع والأحوال السنة وعلوم التوحيد ومات سنة سبع وخمسين ومائتين قال أبو القاسم القسيري : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول : سمعت أبا عمرو بن علقوان يقول : سمعت أبا العباس بن مسروق يقول : بلغني أن السري السقطي كان يتجر في السوق ﴿في ابتداء أمره في بغداد﴾ اسم بلد يذكر ويوث ويقال أنها إسلامية وإن بانيتها المنصور بن أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثاني الخلفاء العباسيين بها لما تولى الخلافة أخوه السفاح وكانت ولاية المنصور المذكور في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وتوفي في ذي الحجة سنة ثمانين وخمسين ومائة ﴿صاحب دكان﴾ وهو الحانوت ﴿وكان لا يزيد في البيع والشراء إلا ربح نصف درهم لكل عشرة واشترى بستمائة دينار لوزا فغلا اللوز فجاء الدلال﴾ الذي يدل في السوق وطلب اللوز ﴿وقال﴾ بربح ثلاثة لكل عشرة فقال : ﴿السري﴾ لا أزيد الربح فوق نصف درهم لكل عشرة ولا أنقص عزمي فقال الدلال ﴿وكان من الصالحين﴾ أنا أيضا لا أجيز بربح متاعك بالناقص ﴿لأنني﴾ قد عقدت بيني وبين الله أن لا أغش مسلما لست آخذ منك إلا بربح ثلاثة من كل عشرة ﴿فلا باع الدلال ولا نقض السري عزمه﴾ فهذا محض الإحسان من الجانبين فإنه مع العلم بحقيقة الحال لا غش ولا تليس .

وروى عن محمد بن المنكدر رحمه الله أنه كان له سقق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع غلامه في غيبته شقة من الحمسيات بعشرة فلما علم بذلك لم يزل يطلب ذلك الأعزابي المشتري طول النهار حتى وجده فقال ابن المنكدر : يا هذا إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال : يا هذا قد رضيت ، فقال : وإن رضيت فانا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فآختر إحدى ثلاث خصال إما أن تأخذ شقة من العشرات بدرهمك ولما أن نرد عليك خمسة وإن أن ترد شقتنا وتأخذ ذراعنا فقال : اعطني خمسة فرد عليه

وأخرج البيهقي من أقوال نادم ما قال الله عشرته يوم القيامة ﴿وحكى﴾ عن بعض التجار الصالحين أنه اشترى يوما عسلا بثلاثين ألف درهم فلما كان الغد أضعف ثمنه ربح ثلاثين ألف درهم أخرى فسمع ذلك البائع فندم على بيعه وتحسر فقال له بعض إخوانه أنتحب أن نرجع إليك عسلك ولا يفوتك ربحه فقال والله فقال له تبرك غدا وتصلي مع الشيخ صلاة الصبح فإذا سلم من صلاته وفرغ من دعائه فسلم عليه وقل إني ندمت على بيعك العسل أمس ولا تزد على هذا شيئا فقال نعم ثم بكر فصلي معه في المسجد فلما فرغ قال له إني ندمت على بيعك العسل فقال لغلامه قم وأعطه جميع عسله فقال له بعض الحاضرين قد صار ثمنه ضعف ما وزنت أترده عليه فقال نعم إليك

خمس وانصرف الأعرابي وسأل ويقول: من هذا الشيخ؟ قيل له هذا محمد بن المنكدر فقال: لا إله إلا الله الذي نستسقى به في البوادي إذا قحطنا هكذا أورده صاحب القوت فهذا احسان في أن لا يربح على العشرة إلا نصفًا أو واحدًا على ما جرت به العادة في مثل ذلك المتاع وفي ذلك المكان.

﴿وأخرج البيهقي﴾ عن أبي هريرة بأسناد ضعيف قاله العزبزي ﴿من أقوال نادم﴾ زاد في رواية صفته قال في النهاية أي واقعه على نقض البيع وأجابه إليه إذا كان قد ندم أحدهما أو كلاهما انتهى. وهذا فسخ لا بيع فلا يترتب عليها أحكام البيع من الأخذ بالشفعة وغيره ﴿أقال الله عشرته يوم القيامة﴾ أي غفر له زلة لكونه فرج على أخيه المسلم ومثله الذمي والمعاهد والمؤمن ورواه أيضًا أبو داود والحاكم وابن ماجه من طريق يحيى بن يحيى عن حفص بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ووجد في بعض نسخ المستدرك للحاكم هو على شرطهما وكذا قال ابن دقيق العيد وصححه أيضًا ابن حزم في المحلى لكن الحافظ في اللسان نقل تضعيفه عن الدار قطنى ثم إن لفظ المذكورين من أقوال مسلما أقال الله تعالى عشرته وعند ابن حبان: أقاله الله عشرته يوم القيامة. وفي زوائد المستدرك لعبد الله بن أحمد عن ابن معين بلفظ: من أقال عشرة أقاله الله يوم القيامة. وروى ابن حبان في النوع الثاني من القسم الأول من صحيحه من طريق ابن معين أيضًا بلفظ من أقال نادمًا ببيعة أقال الله عشرته يوم القيامة ورواه البيهقي من طريق داهر بن نوح عن عبد الله بن جعفر المدني عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رفعه من أقوال نادم ما أقاله الله يوم القيامة وعبد الله يجمع على ضعفه فلعل تضعيف الدار قطنى المشار إليه إنما هو لهذا السند وعند ابن النجار من حديث أبي هريرة من أقوال أخاء المؤمنين من عشرته في الدنيا أقال الله عشرته يوم القيامة ورواه عبد الرزاق عن معمر عن يحيى بن أبي كثير مرسلًا من أقوال مسلما أقاله الله نفسه يوم القيامة ورواه البيهقي من طريق معمر فقال عن محمد بن واسع عن أبي صالح عن أبي هريرة ومن هذا الوجه رواه الحاكم في علوم الحديث وقال لم يسمعه معمر عن محمد ولا أحمد عن أبي صالح.

﴿وحكى﴾ عن بعض التجار الصالحين أنه اشترى يومًا من الأيام عسلا بثلاثين ألف درهم فلما كان الغد أضعف ثمنه ربح ثلاثين ألف درهم أخرى فسمع ذلك البائع فندم على بيعه وتحسر فقال له أي البائع بعض إخوانه أنتحب أن نرجع إليك عسلك ولا يفوتك ربحه فقال أي بكسر الهمزة وسكون الياء أي نعم ﴿والله فقال﴾ أخوه ﴿له تبرك﴾ أي تذهب بكرة ﴿غدا وتصلي مع الشيخ﴾ يعني المشتري عسله ﴿صلاة الصبح فإذا سلم من صلاته وفرغ من دعائه فسلم عليه﴾ وقل ﴿له يا شيخ﴾ إني ندمت على بيعك العسل أمس وتزد على هذا القول ﴿شيئا فقال﴾ البائع ﴿نعم ثم بكر فصلي معه﴾ أي مع الشيخ المشتري ﴿في المسجد فلما فرغ﴾ من دعائه ﴿قال له إني ندمت على بيعك العسل فقال﴾ الشيخ ﴿لغلامه قم وأعطه جميع عسله﴾ فقال له بعض الحاضرين قد صار ثمنه ضعف ما وزنت أترده عليه؟ ﴿أي على هذا البائع﴾ فقال نعم ﴿أرده﴾ إليك ﴿أي اذهب وبيعه﴾

عني سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أقال نادما بيعته أقال الله عشرته يوم القيامة أفلا أشتري إقالة عشرتي يوم القيامة بثلاثين ألف درهم فأخذ منه ثلاثين ألفا ورد العسل إليه ، **«خاتمة»** واعلم أنه يحرم البيع على البيع وهو بأن يقول للمشتري زمن خيار رد هذا وأنا أبيعك أحسن منه بمثل ذلك الثمن أو مثله بأنقص والشراء على الشراء وهو أن يقول للبائع زمن الخيار افسخ لأشتري منك هذا المبيع بأزيد والتجش وهو أن يزيد في الثمن لا لرغبة بل ليخدع غيره

«عنى» سمعت عن رسول الله ﷺ أنه قال: من أقال نادما بيعته أقال الله عشرته يوم القيامة أفلا أشتري إقالة عشرتي يوم القيامة بثلاثين ألف درهم فأخذ منه ثلاثين ألفا ورد العسل إليه . **«أى إلى المشتري»** .

«خاتمة» نسأل الله حسناتها **«واعلم أنه»** أى الحال والشأن **«يحرم البيع على البيع»** أى بيع غيره للنهي عنه في خبر الصحيحين وهو قوله ﷺ لا يبيع بعضكم على بيع بعض زاد النسائي حتى يتاع أو يذر والشراء على الشراء مقيس على ذلك ويأتى بيانه **«وهو بأن يقول»** البائع **«للمشتري زمن الخيار»** أى خيار المجلس أو الشرط أو العيب وصورته أن يطلع ليلا على العيب فيقول للمشتري **«رد هذا المبيع»** وأنا أبيعك **«شيئا أحسن منه»** أى من هذا المبيع **«بمثل ذلك الثمن أو»** أبيعك **«مثله»** أى المبيع **«بأنقص»** من ذلك ومحل الحرمة ما لم ياذن البائع فان أذن جاز لأن الحق له هذا ان دلت الحال على رضاه باطنا فان دلت على عدمه كان أذن لحوف أو اكراه فلا ولا فرق في الحرمة بين أن يكون المبيع بلغ قيمته أو نقص عنها ولا يشترط في الحرمة تحقيق ما وعده من المبيع على الأصح فيهما أفاده الرملى وحزم به بعضهم وفي معنى البيع على البيع مانص عليه الشافعي من نهى الرجل ان يبيع المشتري في مجلس العقد سلعة مثل التي اشتراها خشية أن يرد الأولى

«و» يحرم **«الشراء على الشراء وهو أن يقول»** المشتري **«للبائع زمن الخيار افسخ لأشتري منك هذا المبيع بأزيد»** من ثمنه والمعنى في النهي عن ذلك الإيذاء كما في البيع على البيع والحق المأوردى بالشراء على الشراء طلب السلعة من المشتري بزيادة ربح والبائع حاضر لأدائه إلى الفسخ أو الندم ثم محل التحريم عند عدم الإذن فلواذن المشتري في الشراء على شراؤه لم يحرم لأن الحق له وقد اسقطه وهذا كما قال الأذرعى ان كان الآذن مالكا فان كان واصيا وليا أو وكلا أو نحو ذلك فلا عبرة بأذنه ان كان فيه ضرر على المالك ولا يشترط للتحريم تحقيق ما وعده من الشراء لوجود الإيذاء بكل تدبير خلافا لابن النقيب في اشتراطه .

«و» يحرم **«التجش»** وهولفة الإشارة لما فيه من اثارة رغبة من يرد الشراء ومثله في الحرمة مدح السلعة بالكذب ليرغب فيها **«وهو»** أى التجش شرعا **«أن يزد»** شخص **«في الثمن»** للسلعة المفروضة للبيع **«لا لرغبة»** في شرائها أو لرغبة فيه لكن قصد اضرار غيره قاله الشبرا ملسى **«بل ليخدع غيره»** فيشتريها قال الشرقاوى ليس قيدابل لو قصد نفع البائع ولم يقصد خديعة غيره كان الحكم كذلك للنهي عنه في خبر الصحيحين والمعنى فيه الإيذاء والأصح أنه لا خيار للمشتري لتفريطه حيث لم يتأمل ولم يراجع أهل الخبرة . والثاني له الخيار للتدريس كالتصيرية ومحل الخلاف عند مواطأة البائع للتاجش والأفلا خيار جزم ما يجري الوجهان فيما لو قال البائع أعطيت في هذه السلعة كذا فبان خلافه وكذا لو أخبره عارف بأن هذا عقيق أو فيروزج مواطأة فاشتراه فبان خلافه .

(تنبيهان) أحدهما قوله ليخدع غيره قديروهم أنه لو زاد لساوى قيمة السلعة أنه يجوز وجرى على ذلك بعض الشراح والمتجه التحريم لا إيذاء المشتري ولعموم قوله ﷺ دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض . ثانيهما ان حرمة ما ذكر على العامد العالم بالنهي دون غيره على المعتمد كبقية المحرمات لكن لا يشترط هنا العلم بالنهي المخصوص بل يكفي العلم بالنهي العام كالنهي عن الإيذاء بخلاف بقية

والسوم على سوم الغير بغير اذنه أن يزيد في الثمن بعد أن يصرح باستقراره أو يعرض على المشتري أرخص منه .

﴿فصل في الدين ومطل الغنى﴾

أخرج البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله * والديلمي صاحب الدين مغلول في قبره لا يفكه إلا قضاء دينه * والطبراني من أدان ديناً وهو ينوي أن يؤديه أداء الله عنه يوم القيامة ومن استدان ديناً وهو لا ينوي أن يؤديه فمات قال الله عز وجل يوم القيامة أظننت أنني لا أخذ لعبيدي بحقه فيؤخذ من حسناته فتجعل في حسنات الآخر فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات الآخر فتجعل عليه *

الحرمات فإنه يشترط فيه العلم بنهي مخصوص هكذا قاله العناني ، وقد يقال أن بقية الحرمات فيها إيداء وأيضاً المعتمد كما قاله الرملي اختصاص الأثم بالعالم بالحرمات في هذا كبقية المناهي سواء كان ذلك بمنوم أم خصوص قاله الشراقي .

﴿و﴾ يحرم ﴿السوم على سوم الغير بغير اذنه﴾ لخبر لا يسوم الرجل على سوم أخيه وهو خبر يعنى النهي والمعنى فيه الإيداء وذكر الأخ ليس للتقييد بل للرفقة والعطف عليه فالكاfer كالمسلم في ذلك وهو ﴿أن يزيد﴾ عليه ﴿في الثمن﴾ أي ثمن ما يريد شراءه ﴿بعد أن يصرح﴾ أي البائع والمشتري ﴿بإستقراره﴾ أي الثمن قبل العقد ﴿أو يعرض على المشتري أرخص منه﴾ أي بما يريد شراءه وأو يرغب بالملك في استرداده ليشتره منه بأكثر فإن لم يصرح له المالك بالإجابة بأن عرض بها أو سكنت أو كانت الزيادة قبل استقرار الثمن أو كان اذذاك يتأدى عليه بطلب الزيادة لم يحرم ذلك لكن يكره فيما إذا عرض له بالإجابة .

﴿فصل﴾

﴿في﴾ ذم أخذ ﴿الدين﴾ مع نية عدم الوفاء أو مع عدم رجائه بأن لم يضطر ولا كان له جهة ظاهرة في منها والدائن جاهل بحاله ﴿و﴾ ذم ﴿مطل الغنى﴾ بعد مطالبته من غير عذر وسيأتي في الحديث معنى المطل ﴿أخرج﴾ أحمد و﴿البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة﴾ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ﴿من أخذ أموال الناس﴾ بوجه من وجوه التعامل أو اللفظ أو بقرض أو غير ذلك حال كونه ﴿يريد أداءها﴾ أي ردها للمالكها ﴿أدى الله عنه﴾ أي يسره ووفقه للأداء وإن تلفت بفرق ونحوه ﴿ومن أخذها يريد إتلافها﴾ أي عدم ردها ﴿أتلفه الله﴾ أي أتلف أمواله في الدنيا بكثرة المصائب ومحن البركة أو المراد إتلاف نفسه في الدنيا أو تعذيبه في الآخرة .

﴿و﴾ أخرج ﴿الديلمي﴾ عن أبي سعيد الخدري ﴿صاحب الدين﴾ بفتح الدال أي الذي قصر في أداءه بأن كان عاصياً به أو تمكن من الأداء ولم يؤد ﴿مغلول في قبره﴾ أي موضوع يده في القل بالضم أي القيد أما بالكسر فمعناه الحقد ﴿لا يفكه﴾ من ذلك القل ﴿الاقضاء دينه﴾ وأخرج الطبراني وابن البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه صاحب الدين مأسور بدينه في قبره يشكو إلى الله الوحدة .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني من أدان﴾ أصله ادان أبدلت تاء الافتعال دالا وأدغمت في الدال وجوا لاجتماع مثليين أولهما ساكن ﴿ديناً وهو ينوي أن يؤديه﴾ لعدم وجدان مثلاً ﴿أداء الله عنه يوم القيامة﴾ بأن يرضى خصماءه وفيه أن الأمور بمقاصدها ﴿ومن استدان ديناً وهو لا ينوي أن يؤديه فمات قال الله عز وجل يوم القيامة أظننت أنني لا أخذ لعبيدي بحقه فيؤخذ من حسناته فتجعل في حسنات الآخر فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات الآخر فتجعل عليه﴾

وابن عدي أنما رجل تزوج امرأة فنوى أن لا يعطيها من صداقها شيئا مات يوم يموت وهو زان وأنما رجل اشترى من رجل يباعا فنوى أن لا يعطيه من ثمنه شيئا مات يوم يموت وهو خائف والخائف في النار * وابن ماجه باسناد حسن من مات وعليه درهم أو دينار قضى من حسناته ليس ثم دينار ولا درهم *

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن عدي﴾ وأبو يعلى والطبراني عن صهيب الرومي باسناد ضعيف ﴿أنما رجل تزوج امرأة فنوى أن لا يعطيها من صداقها شيئا مات يوم يموت وهو زان﴾ أي عليه ثم كاتم الزاني من نية يوم المنع وإن كان عقده بوطء صحيح ﴿وأنما رجل اشترى من رجل يباعا﴾ أي سيعا ﴿فنوى أن لا يعطيه من ثمنه شيئا مات يوم يموت وهو خائف والخائف في النار﴾ للتطهير أن لم يحصل العفو ثم يدخل الجنة ، ﴿و﴾ أخرج ﴿ابن ماجه﴾ باسناد حسن من مات وعليه درهم أو دينار قضى من حسناته ليس ثم ﴿أي في القيامة﴾ دينار ولا درهم . وأخرج الطبراني الدين دينار فمن مات وهو ينوي قضاء فأنأوله ومن مات وهو لا ينوي قضاء فذلك الذي يؤخذ من حسناته ليس يومئذ دينار ولا درهم وأخرج الطبراني في الصغير والأوسط بسند رواه ثقات أنما رجل تزوج امرأة بما قل من المهر أو أكثر ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها خدعها فمات ولم يؤد إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زان وأنما رجل استدان ديناً لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حتى خدعه حتى أخذ ماله فمات ولم يؤده لقي الله وهو سارق . وأخرج أحمد والبخاري وأبو نعيم وإسناد أحدهم حسن : يدعوا الله بصاحب الدين يوم القيامة حتى يقف بين يديه فيقال يا ابن آدم فيم أخذت هذا الدين وفيم صنعت حقوق الناس ؟ فيقول يا رب انك تعلم اني أخذته فلم أكل ولم أشرب ولم ألبس ولم أضيع ولكن اما حرق واما سرق واما وضعية أي بيع بأقل مما أشتري به فيقول الله صدق عبدي انا أحق من قضى عنك فیدعوا الله بشيء فيضعه في كفه ميزانه فترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة بفضل رحمته . وأخرج النسائي والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري ؓ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول اعوذ بالله من الكفر والدين . فقال رجل يا رسول الله أتعدل الدين بالكفر ؟ ، قال نعم . وأخرج أبو داود والبيهقي أن أعظم الذنوب عند الله أن يلقاه بها عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها أن يموت رجل عليه دين لا يدع له قضاء .

وأخرج أحمد باسناد حسن والحاكم وصححه عن جابر قال : توفي رجل ففلسناه وكناه وجنطناه ثم أتينا رسول الله ﷺ يصلي عليه قتلنا تصلي عليه فخطا خطا ثم قال عليه دين ؟ ، قلنا ديناران فانصرف فتحملهما أبو قتادة فأتيناه فقال أبو قتادة الديناران على فقال رسول الله ﷺ : أحق الغريم وبرئ منهما الميت قال نعم فصلى عليه ثم قال بعد ذلك يوم ما فعل الديناران فقال انما مات أسس قال فعاد اليه من الغد فقال قد قضيتها فقال رسول الله ﷺ الآن كما بردت عليه جلده وكونه ﷺ لا يصلي على المدين صحيح لكنه نسخ فروى مسلم وغيره أنه ﷺ كان يوتي بالرجل الميت عليه الدين فيسأل هل ترك لدينه من قضاء ؟ ، فان حدث أنه ترك وفاء صلى عليه والاقال ضلوا على صاحبكم فلما فتح الله عليه الفتح قال أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفي وعليه دين فعلى قضاءه وإن ترك مالا فهو لورثته . وروى الطبراني أنه ﷺ أن يصلي على مدين فيقال ما ينفعكم أن أصلي على رجل روحه مرتين في قبره لا تصعد روحه إلى السماء فلوضن رجل دينه فميت فصليت عليه فان صلاتي تنفعه وصح نفس المؤمن معلقة بدينه أي محبوسة عن مقامها الكريم حتى يقضى عليه وصح عند الحاكم أن صاحبكم حبس على باب الجنة بدين كان عليه فان شتم فأخذوه وان شتم فأسلموه إلى عذاب الله وصح أن الله مع المدين حتى يقضى دينه ما لم يكن فيما يكره الله وإن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما كان يقول لحازنه اذهب فخذ لي بدين فاني أكره أن أبيت ليلة الا والله معي بعد أن سمعته من رسول الله ﷺ وصح من حمل من امتي ديناً ثم جهد في قضاؤه ثم مات قبل أن

والبخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي قتادة قال قال رجل يا رسول الله ﷺ أ رأيت إن قُلت في سبيل الله صابرا محسبا مقبلا غير مدبر يكفر الله عني خطايائي فقال رسول الله ﷺ نعم فلما أدبر ناداه فقال نعم إلا الدين كذلك قال جبريل وقال يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين * ومسلم يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين * وفي شرح السنة عن أبي سعيد الخدري قال أتى رسول الله ﷺ بختارة ليصلي عليها فقال هل على صاحبكم دين قالوا نعم قال هل ترك له من وفاء قالوا لا قال فصلوا على صاحبكم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يا رسول الله فتقدم فصلي عليه وقال فك الله رهانك من النار كما فككت رهان أخيك المسلم ليس من عبد مسلم يقضى عن أخيه دينه إلا فك الله رهانه يوم القيامة

يقضيه فأنما وليه ما من أحد يدان ديناً يعلم الله أنه يريد قضاءه إلا أداء الله عنه في الدنيا رواه ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها .

﴿ أخرج ﴾ البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي قتادة ﷺ ﴿ قال قال رجل : يا رسول الله أ رأيت إن قُلت بالبناء للمفعول ﴾ في سبيل الله صابرا محسبا ﴾ أي طلبا للأجر ﴿ مقبلا غير مدبر يكفر الله عني خطايائي ؟ ﴾ ، فقال رسول الله ﷺ نعم ﴿ يكفر الله عنك ذلك ﴾ فلما أدبر ﴿ الرجل ﴾ ناداه النبي ﷺ ﴿ فقال نعم إلا الدين ﴾ بفتح الدال ﴿ كذلك ﴾ أي إلا الدين ﴿ قال جبريل وقال ﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿ يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين ﴾ قال العزيز : أي الإ حقوق العباد وهذا في شهيد البر وأما شهيد البحر أي من قتل في قتال الكفار في البحر فيغفر له جميع الذنوب الصغائر والكبائر حتى حقوق العباد .

أخرج أحمد ﴿ ومسلم ﴾ عن عبد الله بن عمرو ﷺ ﴿ يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين ﴾ المراد به جميع حقوق العباد من أموالهم ودمائهم وأعراضهم فأنها لا تغفر بالشهادة قيل هذا في شهيد البر كما تقدم لما روى ابن ماجه عن أبي أمامة مرفوعا أن النبي ﷺ قال يغفر لشهيد البحر الذنوب كلها والدين وقيل أيضا الدائن الذي يحبس عن الجنة حتى يقع القصاص هو الذي صرف ما استند أنه في سببه أوسر وأما من استدان في حق واجب لفاتقه ولم يترك وفاء فإن الله لا يحبس عنه الجنة إن شاء الله شهيدا كان أو غيره لأن السلطان كان عليه أن يؤدي دينه عنه فإذا لم يؤدي عنه يقضى الله عنه بأرضاء خصمه لما روى ابن ماجه عن عبد الله مرفوعا أن الدائن يقضى يوم القيامة إلا من تدين في ثلاث خلال رجل يضعف قوته في سبيل الله فيستدين ليتقوى به على عدو الله ، ورجل يموت عند مسلم فلا يجد ما يجهزه به إلا بدين ، ورجل خاف على نفسه العزوبة فينكح خشية على دينه فإن الله يقضى عن هؤلاء يوم القيامة . هكذا في شرح المشارق للإمام عبد اللطيف المعروف بابن الملك ،

﴿ وفي شرح السنة عن أبي سعيد الخدري ﴾ ﷺ ﴿ قال : أتى ﴾ بضم الهمزة مبني للمفعول ﴿ رسول الله ﷺ بختارة ليصلي عليها فقال : ﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿ هل على صاحبكم دين ؟ ﴾ لأنه ﷺ كان قبل أن تنفتح عليه الفوج إذا أتى بمدن لا وفاء لدينه قال لأصحابه : صلوا عليه ولا يصلي هو عليه تحذيرا عن الدين وزجرا عن المناحلة أفاده بعض شراح البخاري ﴿ قالوا ﴾ أي الحاضرون ﴿ نعم ﴾ عليه دين ﴿ قال هل ترك له من وفاء ؟ قالوا لا ﴾ ، فصلوا على صاحبكم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه على دينه ﴿ أي الميت ﴾ يا رسول الله فتقدم ﴿ رسول الله ﷺ فصلي عليه وقال فك الله رهانك من النار كما فككت رهان أخيك المسلم ليس من عبد مسلم يقضى عن أخيه دينه إلا فك الله رهانه يوم القيامة ﴾ ،

وأخرج البخاري في صحيحه عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال كما جلوسا عند النبي ﷺ إذا أتى بختارة فقالوا صل عليها قال هل عليه دين ؟ ، قالوا لا ، قال فهل ترك شيئا ؟ قالوا لا ، فصلي عليه ثم أتى بختارة أخرى فقالوا يا رسول الله صل عليها قال هل عليه دين ؟ ،

وفيه أيضا أنه صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال ائني بالشهداء أشهدهم قال كفى بالله شهيدا قال فائني بالكفيل قال كفى بالله كفيلا قال صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيه ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال اللهم إني أعلم أنك تعلم أني سألت فلانا

قيل نعم، فهل ترك شيئا؟ قالوا ثلاثة دنانير، فصلى عليها ثم أتى بالثالثة فقالوا صل عليها قل هل ترك شيئا؟ قالوا لا، قال فهل عليه دين؟ قالوا ثلاثة دنانير، قال صلوا على صاحبكم، قال أبو قتادة صل عليه يا رسول الله وعلى دينه فصلى عليه. وفي رواية ابن ماجه عن حديث أبي قتادة نفسه فقال أبو قتادة أنا أتكفل به زاد الحاكم في حديث جابر فقال هما عليك وفي مالك والميت منهما برئ قال: نعم، فصلى عليه فجعل رسول الله ﷺ إذا لقي أبا قتادة يقول ما صنعت ديناران حتى كان آخر ذلك ان قال قد قضيتهما يا رسول الله قال الآن حين بردت عليه جلده وقد ذكر في هذا الحديث ثلاثة أحوال وترك الرابع وهو من لادين عليه وله مال وحكم هذا أنه كان يصلى عليه ولعله انما لم يذكر لكونه كان كثيرا لا لكونه لم يقع وإن هذا ذهب الجمهور فصحبوا هذه الكفالة من غير رجوع في مال الميت وعن مالك له ان يرجع أن قال ضمنت لا يرجع فان لم يكن للميت مال فعلم الضامن بذلك فلا رجوع له. وعن أبي حنيفة ان ترك الميت وفاء جاز للضامن بقدر ما ترك وان لم يترك وفاء لم يصح وصلاته عليه والسلام عليه وان كان الدين باقيا في ذمة الميت لكن صاحب الحق عاد إلى الرجاء بعد اليأس واطمان بأن دينه صار في مأمن فخف سخطه وقرب من الرضاء.

﴿وفيه﴾ أي في شرح السنة ﴿أيضا أنه ﷺ ذكر﴾ أن ﴿رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه﴾ بضم أوله من أسلف أي يعطيه قرضا ﴿ألف دينار فقال ائني بالشهداء أشهدهم﴾ على ذلك ﴿قال كفى بالله شهيدا﴾ أي شاهدا والباء فيه زائدة ﴿قال فائني بالكفيل قال كفى بالله كفيلا قال صدقت فدفعها﴾ أي الألف دينار ﴿إليه إلى أجل مسمى فخرج﴾ الرجل الذي استسلف ﴿في البحر﴾ أي إليه فني بمعنى إلى كما في قوله تعالى فردوا أيديهم في أفواههم ﴿فقضى حاجته﴾ وفي رواية أبي سلمة فركب البحر بالمائل يتجر فيه ﴿ثم التمس مركبا﴾ بفتح الكاف أي سفينة ﴿فركبها يقدم عليه﴾ بفتح الدال من القدوم أي يقدم المستقرض على من أقرضه وهو حال من فاعل يركب ﴿للأجل الذي أجله﴾ اللام فيه بمعنى الوقت كما في قوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس. أي وقت زوالها وإضافة الوقت إلى الأجل بمعنى من أو هي بمعناها والمضاف محذوف وإضافته بمعنى في كضرب اليوم بمعنى لإعطائه في الأجل قاله شارح المشارق ﴿فلم يجد مركبا﴾ زاد في رواية أبي سلمة وغدا رب المال إلى الساجل يسأل عنه ويقول: اللهم اخلغني وانما أعطيت لك ﴿فأخذ﴾ الذي استسلف ﴿خشبة فنقرها﴾ أي قورها وحفرها ﴿فأدخل﴾ فيها أي في الخشبة وللشميمهني ﴿فيه﴾ أي في المكان المنقور من الخشبة ﴿ألف دينار وصحيفة﴾ أي كتابا لإعلام حاله ﴿منه إلى صاحبه﴾ الذي استسلف منه ورواية أبي سلمة وكتب إليه صحيفة من فلان إلى فلان أني دفعت مالك إلى وكيل توكل بي ﴿ثم زجج موضعها﴾ بزي وجيمين قال القاضي العياض سمرها بسمار كالزج وهو حديدة تجعل في أسفل الزمخ. وقال الخطابي سوى موضع النقر وأصلحه وهو من تزجج الحواجب وهو حذف زوائد الشعر ويحتمل أن يكون مأخوذا من الزج وهو النصل كما تقدم كان يكون النقر في طرف الخشبة فشد عليه زجا يمسكه ويحفظ ما فيه. وقال السفاقي أصلح موضع النقر وذلك لئلا يدخل الماء ﴿ثم أتى بها﴾ أي بالخشبة ﴿إلى البحر فقال اللهم إني أعلم أنك تعلم أني سألت فلانا﴾ وفي رواية البخاري تسلفت

ألف دينار فسألني كميلا فقلت كمي بالله كميلا فرضى بك وسألني شهيدا فقلت كمي بالله شهيدا فرضى بك وإني جهدت أن أجدر مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإني استودعتهما فرمى بها في البحر حتى ولحت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتبس مركبا يخرج إلى بلده فخرج الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله فإذا بالخشبة التي كان فيه المال فأخذها لأهله حطبا فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذي كان أسلفه فأني بألف دينار وقال والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه قال هل كنت بعثت إلى شيئا قال أخبرك أني لم أجدر مركبا قبل الذي جئت فيه قال فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرف بالألف الدينار راشدا *

«فلما ألف دينار فسألني كميلا فقلت كمي بالله كميلا فرضى بك وسألني شهيدا فقلت كمي بالله شهيدا فرضى بك وإني جهدت أن أجدر مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر» على تحصيلها «وإني استودعتهما فرمى بها» أي بالخشبة «في البحر» بقصد أن الله تعالى يوصلها لرب المال «حتى ولحت فيه» تخفيف اللام أي دخلت الخشبة في البحر «ثم انصرف وهو» أي والحال أنه «في ذلك» أي في انصرافه «يلتبس» أي يطلب «مركبا يخرج إلى بلده» أي إلى بلد الذي أسلفه «فخرج» الرجل «الذي كان أسلفه» الألف دينار وحال كونه «ينظر لعل مركبا قد جاء بماله» الذي أسلفه للرجل «فإذا بالخشبة» إذا للمفاجأة والباء فيه زائدة أي فإذا هو مفاجأ بالخشبة «التي كان فيها المال فأخذها لأهله حطبا» مفعول له أي جمعا للخطب قال الجوهرى الخطب معروف يقال حطبت واختطبت إذا جمعه «فلما نشرها» أي قطعها بالمنشار «ووجد المال» الذي بعثه المستلف إليه «والصحيفة» التي كتبها يبعث المال المذكور «ثم قدم الذي كان أسلفه» الموصول ليس بفاعل والمضاف محذوف يعني قدم المستقرض مقام الذي كان أسلفه «فأني بألف دينار» جوز الكوفون تعريف المضاف بحرف التعريف في كل عدد مضاف إلى معدوده والحديث دليل لهم،

وذكر ابن مالك فيه ثلاثة أوجه أخذها أن يكون أراد بالألف ألف دينار على البدل وحذف المضاف وابقى مضاف إليه على حاله من الجر قال ابن الدماميني المضاف هنا مجرور فلم يقل إن المضاف إليه أقيم مقام المضاف. والثاني أن يكون أصله بالألف دينار ثم حذف من الخط لصيرورتها بالادغام دالا فكُتبت على اللفظ قال في المصباح لكن الرواية بتووين دينار ولو ثبت عدم تنوينه برواية معتبر تعين هذا الوجه وكثيرا ما يعتمد هو وغيره التوجيه باعتبار الخط ويلغون تحقيق الرواية. والثالث أن يكون الألف مضافة إلى دينار والألف واللام زائدتان فلم يمتعا الإضافة ذكره أبو العلي الفارسي «وقال» للذي أسلفه «والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك» بنسخ الباء بتقدير أن «بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي» أي قبل الوقت الذي «أتيت فيه قال» الذي أسلفه «هل كنت بعثت إلى شيئا؟» قال أخبرك أني لم أجدر مركبا قبل الذي جئت فيه «فان قلت» لم يقل في جواب هذا السؤال؟، بلى وقد كان بعث الألف بالخشبة. قلت: لأن ظنه أن الخشبة لم تصل إلى مقرضه فجعل بعثه كلا بعث ولم يقل بلى «قال فإن الله قد أدى عنك» المال «الذي بعثت» به «في» الخشبة «وفي نسخة بعثت والخشبة بالنصب مفعول معه وفي الحديث جواز التأجيل في القرض وهو محمول عند الشافعية على ما إذا لم يكن للمقرض فيه غرض وإن جميع ما يوجد في البحر لو أجده ما لم يعلنه ملكا لاحد وإن من توكل على الله نصره فإن الذي تفر الخشبة وتوكل عليه حفظ ماله والذي سلف وقنع به كميلا أوصل ماله إليه قاله الشيخ الإسلام في تحفة الباري «فانصرف» بكسر الراء والجزم على الأمر «بالألف الدينار» التي أتيت بها صاحبك حال كونه «راشدا».

وهذا الحديث أخرجه البخاري في الكفالة عن أبي هريرة وأخرج أيضا مختصرا في الاستقراض واللقطة والشروط والاستئذان

وأخرج الشيخان مطلق الغنى ظلم فإذا أتبع أحدكم

والتسائي في اللقطة قال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسم هذا الرجل لكن رأيت في مسند الصحابة الذين نزلوا مصر لمحمد بن الربيع الجبري بإسناد له فيه مجهول عن عبد الله بن عمرو بن العاص يرفعه أن رجلاً جاء إلى النجاشي فقال أسلمني ألف دينار إلى أجل فقال من الحميل بك؟ قال الله فأعطاه ألف دينار فضرب بها الرجل أي سافر بها في تجارة فلما بلغ الأجل أراد الخروج إليه فحبسه الرج ففعل ما يروى فذكر الحديث نحو حديث أبي هريرة فاستفدنا منه أن الذي أقرض هو النجاشي فيجوز أن تكون نسبة إلى بني إسرائيل بطريق الاتباع لهم لأنه من نسلهم انتهى . وتعبه المعنى . فقال هذا الكلام في العبد إلى حد السقوط لأن السائل والمستول منه كلاهما من بني إسرائيل على ما صرح به ظاهر الكلام وبين الحشبة وبين إسرائيل بعد عظيم في النسبة وفي الأرض وبعد أن يكون ذلك الاتساق إلى بني إسرائيل بطريق الاتباع وهذا باباء من له نظر تام في تصرفه في وجوه معاني الكلام على أن الحديث المذكور ضعيف لا يعمل به انتهى . وأجاب في انقراض الاعتراض بأن المراد بالاتباع الاتباع في الدين فيستوى بعيد الأرض وقربها وبعد النسب وقربه وكان جمع من أهل اليمن دخلوا في دين بني إسرائيل وهي اليهودية ثم دخل من يقابل أهل اليمن من الحشبة في دين بني إسرائيل أيضاً وهي النصرانية وكان النجاشي ممن تحقق ذلك الدين ودان به قبل التبديل والملك لما بلغه دعوة الإسلام بادر إلى إجابته لما عنده من العلم حتى قال : لما سمع قوله تعالى : إنما المسيح بن مريم الآية لا يزيد عيسى على هذا ،

﴿وأخرج الشيخان﴾ والأربعة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ﴿مطل﴾ المدين ﴿الغنى﴾ القادر على وفاء الدين ربه بعد استحقاقه ﴿ظلم﴾ محرم عليه وخرج بالغنى العاجز عن الوفاء وأصل المطل المد تقول مطلبت الحديد أمطلتها إذا مددتها لتطول والمزاد من تأخر ما استحق أدائه بغير عذر ولفظ المطل يشعر بتقديم الطلب فيؤخذ منه أن الغنى لو أخر الدفع منع عدم طلب صاحب الحق له لم يكن ظالماً وقد حكى أصحابنا وجهين في وجوب الأداء مع القدرة من غير طلب من رب الدين فقال الإمام الحرمين في الوكالة من النهاية وأبو المظفر السهاني في القواطع في أصول الفقه والشيخ عز الدين بن عبد السلام في القواعد الكبرى لا يجب الأداء إلا بعد الطلب وهو مفهوم تقييد النووي في القليس بالطلب والجمهور على أن قوله مطل الغنى ظلم من إضافة المصدر للفاعل كما تقرر وقيل هو من إضافة المصدر للمفعول والمعنى أنه يجب وفاء الدين وإن كان مستحقه غنياً ولا يكون غناه سبباً لتأخير حقه عنه وإذا كان كذلك في حق الغنى فهو في حق الفقير أولى .

قال الحافظ زين الدين العراقي وهذا فيه تعسف وتكلف ولو لم يكن له مال لكنه قادر على التكسب فهل يجب عليه ذلك لو فاء الدين ، أطلق أكثر أصحابنا ومنهم الرافعي والنووي أنه ليس عليه ذلك وفضل الفراء في حكاية ابن الصلاح في فوائد الرحلة بين أن يلزمه الدين بسبب هونه عاص فيجب عليه الأكساب لو فاته أو غير عاص فلا ، قال الأستاذ وهو واضح لأن التوبة بما فعله واجبة وهي متوقفة في حقوق الآدميين على الرد انتهى . قال ابن العراقي ولو قيل بوجوب التكسب مطلقاً لم يبعد كالتكسب لتفقه الزوجة وكما أن القدرة على الكسب كالمال في منع أخذ الزكاة يبقى النظر في أن لفظ هذا الحديث يتناول أن فسرنا الغنى بالمالي فلا ، وإن فسرناه بالقدرة على وفاء الدين فنعم ، وكلاهما فيمن ماله غائب يوافق الثاني ،

وفي رواية ابن عينة عن أبي الزناد عند الشافعي وابن ماجه المطل ظلم . والمعنى أنه من الظلم وأطلق ذلك للمبالغة في التنفير عن المطل ﴿فإذا أتبع أحدكم﴾ بضم الحمة وسكون المثناة الفوقية الموحدة مبنياً للمفعول أي أحيل

على ملى فليسمع * وابن حبان والحاكم لي الواجد أي مطلق القادر على وفاء دينه يحل عرضه وعقوبته

﴿على ملى﴾ بتشديد المشاء التحتية وضبطها الزركشي بالهمزة وقال الملى من الملاء قال الشيخ الاسلام ملى كعنى لفظا ومعنى وذكر هذه الجملة عقب ما قبلها يشعر بأن الأمر بقبول الحوالة معلل بكون مطلق الغنى ظلما . قال ابن دقيق العيد ولعل السبب فيه أنه إذا تقرر كونه ظلما والظاهر من حال المسلم الاحتراز عنه فيكون ذلك سببا للأمر بقبول الحوالة عليه لأن به يحصل المقصود من غير ضرر المطلق ويحتمل أن يكون ذلك لأن الملى لا يتعدر استيفاء الحق منه عند الامتناع بل يأخذه الحاكم قهرا ويوفيه فقي قبول الحوالة عليه يحصل الفرض من غير مفسدة في الحق قال والمعنى الأول الذي اقتصر عليه الزافعي . وقال ابن الرفعة في المطلب وهذا إذا كان الوصف بالغنى يعود الى من كان عليه الدين ، وقد قيل أنه يعود الى من له الدين وعلى هذا لا يحتاج أن يذكر في التقديرين الغنى انتهى .

قال البرماوى وقد يدعى ان في كل منهما بقاء التعليل بكون المطلق ظلما لأنه لا بد لكل منهما من حذف بذكره يحصل الارتباط فيقدر في الأول مطلق الغنى ظلم والمسلم في الظاهر يحتمل فممن أتبع على ملى فينبغي أن يتبعه وفي الثاني مطلق الغنى ظلم والظلم يترتب له الحكم ولا تفرق فمن أتبع على ملى ﴿فليسمع﴾ ولا يخش من المطلق ويشبهه كما قال الأذرعى انه يعتبر في استحباب قبولها على ملى كونه وفيا وكون ماله طيبا ليخرج المعامل ومن في ماله شبهة وقوله فليسمع بفتح التحتية ومسكون الفوقية وقيل بتشديد ها مبنيا للفاعل أى فليحل وذلك لما فيه من التيسير من المدينين والأمر للتدب عند الجمهور لا للوجوب خلافا للظاهرية وبعض الحنابلة بل قيل للإباحة لأنه وارد بعد الحظر أى للاجتماع على منع بيع الدين بالدين وإنما جوزت للحاجة قاله العزبى . وقوله ظلم يشعر بكونه كبيرة والجمهور على أن فاعله يفسق لكن هل يثبت فسقه بمرة واحدة أم لا ، قال النوى مقتضى مذهبنا التكرار وردة السبكي في شرح المنهاج بأن مقتضى مذهبنا عدمه واستدل بأن منع الحق بعد طلبه واتقاء العذر عن أدائه كالعصب والغصب كبيرة لا يشترط فيها التكرار لكن لا يحكم عليه بذلك إلا بعد أن يظهر عدم عذره انتهى . ويدخل في المطلق كل من لزمه كالزوج لزوجته والسيد لعبده والحاكم لرعيته والعكس واستدل به على اعتبار رضا الحيل والمحال دون المحال عليه لكونه لم يذكر في الحديث وبه قال الجمهور .

﴿و﴾ أخرج أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه و﴿ابن حبان﴾ في صحيحه و﴿الحاكم﴾ وصححه عن عمرو بن الشريد عن أبيه وهو حديث صحيح كما قاله العزبى ﴿لى﴾ بفتح الهمزة وتشديد الباء ﴿الواجد﴾ من الوحد وهو الغنى ﴿أى مطلق القادر على وفاء دينه يحل﴾ بضم أوله ﴿عرضه وعقوبته﴾ أى للدائن فقط بأن يقول له أنت ظالم أى بما طل مثلا ولا يجوز لغيره أن يقول ذلك بأن يعززه القاضي على الأداء بنحو حبس . قال ابن حجر الهيتمى قوله يحل عرضه وعقوبته أى يبيع أن يذكر بين الناس بالمطل وسوء المعاملة لا غيرهما إذا المظلوم لا يجوز له أن يذكر ظالمه إلا بالنوع أنه الذي ظلمه به دون غيره ويبيع أيضا عقوبته بالحس والضرب وغيرهما .

وأخرج البزار والطبراني في الأوسط بسند فيه من وثق ولا بأس في المتابعات ان الله يفض الغنى الظلوم والشيخ الجهمول والعائل المختال أى الفقير المتكبر رواه بنحوه أبو داود وابن حزيمة في صحيحه وكذا النسائي وابن حبان في صحيحه والترمذى والحاكم وضحاه . وأخرج الطبراني في الكبير ما قدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها الحق من قوتها غير متع ثم قال من انصرف غريمه وهو عنه راض صلت عليه دواب الأرض ونون الماء أى حوته وليس من عبد يلوى غريمه وهو يوجب الاكسب عليه في كل يوم وليلة وجمعة وشهر ظلم . وأخرج الطبراني بسند فيه من اختلف توثيقه وأحمد بنحوه بسند قوى جيد عن حولة زوجة حمزة رضى الله عنهما ان رجلا كان له

﴿خاتمة في انتظار المعسر﴾ أخرج أحمد عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنظر معسرا أو وضع له أي حط عنه دينه أو بعضه بالبراء منه وقاه الله عز وجل من فيح جهنم * وأحمد ومسلم من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله * وأحمد وابن ماجه من أنظر معسرا فله بكل يوم صدقة مثله قبل أن يحل الدين فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثله صدقة *

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسق تمر فأمر أنصاره أن يقضيه فقضاه دون تمره فأبى أن يقضيه فقال أترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم ، ومن أحق بالعدل من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدموه ثم قال صدق ومن أحق بالعدل مني ؟ لا قدس الله أمة لا يأخذ ضعيفا حقه من شديدها ولا يتعنه ثم قال يا حولة عديده واقضيه فانه ليس من غريم يخرج من عنده غريمه راضيا الا صلت عليه دواب الأرض ونون البحار وليس عبد يلوى غريمه وهو يجد الاكب الله عليه في كل يوم وليلة انما يتعنه بفوقيين ومهملين أقلقه واتبعه بكثرة تردده اليه ومطله اياه ويلوى يمطل ويسوف وصح أيضا لا قدست أمة لا يعطى الضعيف فيها حقه غير متع ورواه ابن ماجه بقصة وهي أن أعرابيا كان له على النبي صلى الله عليه وسلم دين فتقاضاه اياه واشتد عليه حتى قال أخرج عليك الا قضيتني فاتهمه أصحابه وقالوا ويحك تدرى من تكلم ؟ قال : اني أطلب حتى فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هلامع صاحب الحق كتم ثم أرسل الى خولة فقال لها : ان كان عندك تمر فأقرضنا حتى يأتينا تمر فتقضيك فقالت : نعم ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله فأقرضته فتقضى الأعرابي وأطعمه فقال : أوفيت أوفي الله لك فقال أولئك خيار الناس انه لا قدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متع .

﴿خاتمة﴾ نسأل الله حسن الختام ﴿في﴾ فضيلة ﴿انتظار المعسر﴾ أي امهال المديون الفقير من النظرة وهي التأخير ﴿أخرج﴾ أحمد عن ابن عباس ﴿رضي الله عنهما﴾ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أنظر معسرا ﴿أي امهل مديونا فقيرا﴾ أو وضع له أي حط عنه دينه أو بعضه بالبراء منه وقاه الله عز وجل من فيح جهنم . ﴿بفتح الفاء وسكون التحتية أي من هيجانها وسعة انتشارها﴾ ﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد ومسلم﴾ عن أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي ﴿من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله﴾ أي وقاه من حر يوم القيامة على سبيل الكفاية وأظله ﴿في ظله﴾ أي في ظل عرشه وأدخله الجنة ﴿يوم لا ظل الا ظله﴾ أي ظل الله أو ظل عرشه والمراد به ظل الجنة وإضافة الله إضافة ملك وحزم جمع بالأول فقالوا : المراد الكرامة والحفاية من مكاره الموقف وانما استحق المنظر ذلك لانه أثر المدينون على نفسه فأراحه الله تعالى والجزاء من جنس العمل . قال ابن العزلة هذا اذا أنظره من قبل نفسه لا من حاكم فان رفعه اليه حتى أثبت له لم يكن له ثواب . وأخرج الطبراني في الكبير وابن أبي الدنيا في الحوائج من حديث ابن عباس : من أنظر معسرا الى ميسرته أنظره الله بذنبه الى توبته .

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد وابن ماجه﴾ والحاكم عن بريدة انفرد به ابن ماجه باسناد ضعيف ورواه أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد على شرط الشيخين ﴿من أنظر معسرا فله بكل يوم صدقة مثله قبل أن يحل الدين﴾ أي يحى وقت أجله ﴿فاذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثله صدقة﴾ أي له ثواب كتاب المصدق بماله والضمير في قوله مثله ومثله يرجع لليوم أي له ثواب عظيم قدر طول يوم مرة في الأول ومرتين في الثاني وصدقة بالرفع فيهما مبتداء مؤخر خبره له كل يوم ومثله منصوب على الحال على قاعدة نعت النكرة اذا تقدم عليها لكن كان عليه أن يقول مثله الا أن يقال هو على لغة من يلزم المثني بـ لا فلف لكن بعضهم نطق بمثله بالرفع فلمله لكونه هو المبتدأ وصدقة يدل عليه وقد كان من السلف من لا يجب أن يقضى غريمه الدين لأجل هذا الخبر حتى يكون كالمصدق بجميعه في كل يوم .

وأحمد والطبراني يدعوا الله بصاحب الدين يوم القيامة حتى يقف بين يديه فيقال يا ابن آدم فيم أخذت هذا الدين وفيم ضيعت حقوق الناس فيقول يا رب إنك تعلم أني أخذته فلم آكل ولم أشرب ولم ألبس ولم أضيغ ولكن إما حرق وإما سرق وإما وضيعت أي بيع بأقل مما أشتري به فيقول صدق عبدي أنا أحق من قضى عنك فادعوا الله بشيء فيضعه في كفة ميزانه فترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة بفضل رحمته * والشيخان عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن رجلا من كان قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه فقال هل عملت من خير قال ما أعلم قيل انظر قال ما أعلم شيئا غير أني كنت أبايع الناس في الدنيا فانظر الموسر وأتجاوز عن المعسر فأدخله الله الجنة **تنبيهات** أحدها أن الاستدانة مع نية عدم الوفاء أو مع عدم رجائه بأن لم يضطر ولا كان له جهة ظاهرة في منها والدائن جاهل بحاله حرام

واعلم أن الله تعالى أمر بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء لدينه فقال : وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة . فمن علم عسر المدين المعسر حرم مطالبته وإن لم يثبت اعساره عند القاضي وإبازة أفضل من انظاره على الأصح لأن الإبراء يحصل مقصود الانظار وزيادته ولا مانع من أن المدين بفضل الواجب أحيانا نظرا للتدارك قاله المناوي وذلك كالصدقة بالف دينار تطوعا فانها أفضل من درهم من الزكاة وكذا ابتداء السلام أفضل من رده والابتداء سنة وقد يكون واجبا وقال الزبيدي وظاهر الحديث الذي أورده المصنف يخالف ما ذكر فإن مفهومه أن انظاره أفضل من إبرائه فإن إبرائه وإن كان أو فركه ينتهي بنهايته ،

و أخرج **أحمد** **والبزار** **والطبراني** وأبو نعيم وإسناد أحدهم حسن **يدعوا الله بصاحب الدين يوم القيامة حتى يقف بين يديه عز وجل** **فيقال يا ابن آدم فيم** أي في أي شيء **أخذت هذا الدين وفيم ضيعت حقوق الناس فيقول يا رب إنك تعلم أني أخذته فلم آكل ولم أشرب ولم ألبس ولم أضيغ ولكن إما حرق وإما سرق وإما وضيعت أي بيع بأقل مما أشتري به فيقول صدق عبدي أنا أحق من قضى عنك فادعوا الله بشيء فيضعه في كفة ميزانه فترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة بفضل رحمته** **و** أخرج **الشيخان** عن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن رجلا من كان قبلكم أتاه الملك أي ملك الموت **ليقبض روحه فقال هل عملت من خير** ؟ قال ما أعلم قيل انظر قال ما أعلم شيئا غير أني كنت أبايع الناس وفي القوت أداين الناس أي أعاملهم بالدين أي أجعلهم مدينين **وفي الدنيا فانظر الموسر أي الغني الواجد** **وأتجاوز عن المعسر أي الفقير المحتاج** **فأدخله الله الجنة** **ولأحمد** **والنسائي وابن حبان** من حديث أبي هريرة بلفظ كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا آتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا . وفي لفظ كان رجل تاجر وفي آخر كان رجل لم يعمل خيرا قط وكان يداين الناس . وروى أن الحسن البصري رحمه الله تعالى باع بعلة له بأربعمائة درهم قلنا استوجب المال قال له المشتري اسمح يا أباسعيد قال قد استقطعت عنك مائة درهم فقال له احسن يا أباسعيد قال قد وهبت لك مائة أخرى فقبض من حقه مائتي درهم فقيل له يا أباسعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الإحسان في المعاملات ولا فلا وفي الخبر خذ حقك في عفاف وإف أو غير وإف يحاسبك الله حسبا بسيرا .

تنبيهات **أ** رتبة **أحدها** أن الاستدانة مع نية عدم الوفاء أو مع عدم رجائه أي الوفاء **و** بأن لم يضطر **المدين والأجاز** أن يستدين وإن لم يبرح الوفاء بل يجب حفظ الروح **ولا كان له** أي المدين **جهة ظاهرة** أي سبب ظاهر أي قريب الحصول ككلمة أرضه وعقاره **فإن كان له جهة ظاهرة** يعني دينه من ذلك لم يحرم استدانه **الحال أن** **الدائن جاهل** أي غير عالم **بجاهله** أي المدين **حرام** **والإفلا يحرم**

﴿وثانيها﴾ أن مطال الغنى بعد مطالبته بالدين بغير عذر حرام وصريح جماعة من أئمتنا بأن من امتنع عن قضاء دينه مع قدرته عليه بعد أمر الحاكم له به للحاكم أن يشدد عليه في العقوبة فينحسه بحديدة إلى أن يؤدي أو يموت ﴿وثالثها﴾ أنه يحرم على من عليه دين حال السفر بغير إذن غريمه حيث لم يعلم رضاه وإن كان به رهن أو ضمين فلا يترخص كعبد آبق بقصر ولا جمع وإفطار وتغفل سائرًا وسقوط جمعة وأكل مئة لا يضطرار ويجوز لغريمه ولو ذميا منعه من السفر حتى يوفيه أو يوكل فيه من ماله الحاضر لا إن كان الدين مؤجلا وإن قصر أجله ﴿ورابعها﴾ أن من ثبت إعساره حرم حبسه وملازمته ووجب إظهاره إلى ميسرة .

﴿وثانيها﴾ أي التسيهات الأربعة ﴿أن مطال الغنى بعد مطالبته بالدين بغير عذر حرام وصريح جماعة من أئمتنا﴾ ورز عموما في الاتفاق ﴿بأن من امتنع من قضاء دينه مع قدرته عليه﴾ أي على القضاء ﴿بعد أمر الحاكم له به﴾ أي بالقضاء ﴿للحاكم﴾ أي جاز له ﴿أن يشدد عليه﴾ أي على الممتنع ﴿في العقوبة فينحسه﴾ من باب قتل أي يطعنه ﴿بحديدة إلى أن يؤدي﴾ دينه ﴿أو يموت﴾ كما قيل بظيهره في تارك الصلاة على وجه قال بعض الأئمة أنه مقيس على ما هنا فهو قياس على ضعيف لأن الشائن قد يكون على ضعيف كما صرح به الرافعي في بعض المواضع وبهذا يتبين الرد على أولئك الذين فهموا مما توهموه أن القياس لا يكون الأعلى متفوق عليه إن ما هنا معقود حيث جعل أصلا مقيسا عليه

﴿وثالثها﴾ أي التسيهات الأربعة ﴿أنه﴾ أي الحال والشأن ﴿يحرم على من﴾ أي موسر ﴿عليه دين﴾ وذلك بأن كان عنده أزيد مما يبقى للفلس فيما يظهر ويلحق بالمدين وله ﴿حال﴾ لم يوكل من يقضى عنه من ماله الحاضر ﴿السفر﴾ للحجاء وغيره من حج أو تجارة وإن قصر السفر وإن لم يكن مخوفا رعاية لحق الغير ومن ثم ورد في صحيح مسلم القتل في سبيل الله فمكر كل شيء إلا الدين أي فلا يكره لكونه حق الغير ﴿بغير إذن غريمه حيث لم يعلم رضاه﴾ والحال أن ذلك الغريم من أهل الأذن والرضا بأن كان مكلفا رشيدا فلو لم يكن من أهل الأذن حرم السفر مطلقا ولو أذن ولا يجوز لولي أن يأذن في السفر ولو أذن فاذنه لا يغني عنه فإذن كان السفر باذنه أو علم رضاه فلا يحرم لرضاه باسقاط حقه ﴿وإن كان به﴾ أي بالدين ﴿رهن﴾ وثيق ﴿أو ضمين﴾ أي ضامن موسر ﴿فلا يترخص كعبد آبق بقصر ولا جمع وإفطار وتغفل سائرًا وسقوط جمعة وأكل مئة لا يضطرار﴾ قال الأستاذ في المهمات إن سكوت رب الدين ليس بكاف في جواز السفر معتدا في ذلك على ما فهم من كلام الشيخين هنا . وقال ابن الرفعة والقاضي أبو الطيب والبندنجي والقزويني لا بد في حرمة السفر من التصريح بالمنع أي منع الغريم السفر ونقله القاضي ابن ظهيرة وحرم به بعض المحققين ﴿وبيجوز لغريمه﴾ أي المدين ﴿ولو﴾ كان ذلك الغريم ﴿ذميا منعه من السفر حتى يوفيه أو يوكل﴾ المدين ﴿فيه من ماله الحاضر﴾ لكن بشرط أن تثبت الوكالة ويعلم الدائن بالوكيل قاله بعض المحققين ﴿لا﴾ يحرم السفر ولا يمنع منه ﴿أن﴾ كان المدين معسرا أو ﴿كان الدين مؤجلا﴾ لأنه لا مطالبة لمستحقه الآن نعم له الخروج معه ليطالبه به عند حلوله ﴿وإن قصر أجله﴾ أي قرب وصوله بشرط وصوله لمكان محل للمسافر القصر كخارج السور والحال أن الدين باق على تأجيله فإن حل قبل وصوله لما يحل له القصر منه حرم السفر ومنع منه لأنه حينئذ في البلد .

﴿ورابعها﴾ أي التسيهات الأربعة ﴿أن من ثبت إعساره﴾ بالينة إن عهد له مال أو باليمن إن لم يعهد له مال والينة رجل لا رجل وامرأتان ولا رجل ويمين ويشترط في بينة الأعسار خبرة باطنة بطول جوار وكثرة مخالطة لأن الأموال تخفى بخلاف بينة التلف فلا يشترط فيها ماذكر والقول عند الشهادة هو معسر لا يملك إلا ما يبقى لميزونه فقيد الثمن ولا تمنحضه كلوها لا يملك شيئا لأنه كاذب ﴿محرم حبسه﴾ لقوله تعالى وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ﴿وملازمته﴾ أي دوام مطالبته ﴿ووجب إظهاره إلى ميسرة﴾ .

﴿باب في ذم المكس﴾

﴿أخرج﴾ أحمد وأبو داود والحاكم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة صاحب مكس *
 * خاتمة * للذاق ملازمة ما لم يثبت اعساره ما لم يختار الحبس وكذا السجان على المدين المحبوس والحاكم منع المحبوس
 الاستئناس بالمحاذنة وحضور الجمعية وعمل الصنعة ان رأى المصلحة فيه ولا يجوز للذاق تجويع المدين بمنع الطعام كما أفتى به الرزمي
 رحمه الله تعالى والله أعلم .

﴿باب في ذم المكس﴾

وأصل المكس نقصان قال الأصمعي الماكس العشار وأصله الخيانة وصاحب المكس هو أن يأخذ من التجار اذا مروا به
 مكسا باسم العشر وهو داخل في قوله تعالى انما السبيل على الذين ظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم .
 والمكاس سائر أنواعه من المكس وكاتبه وشاهده وواهبه وكاتله وغيرهم من أكبر أعوان الظلمة بل هم من الظلمة بأنفسهم فانهم يأخذون
 ما لا يستحقونه ويدفعونه لمن لا يستحقه ولهذا لا يدخل صاحب المكس الجنة لأن لحمة نبت من حرام كما سيأتى وأيضا فلاهم يلقوا
 بمظالم العباد ومن أين للمكاس يوم القيامة أن يؤدي الناس ما أخذ منهم انما يأخذون من حسناته ان كان له حسنات وهو داخل في قوله ﷺ
 في الحديث الصحيح أتدرون من المفلس ؟ قالوا يا رسول الله المفلس فينا من لادرهم له ولا ماع ، قال أن المفلس من أمسى من يأتي يوم
 القيامة بصلاة وزكاة وصيام وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فان بقيت حسناته
 قبل أن يقضى ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرح عليه ثم طرح في النار .

﴿أخرج أحمد وأبو داود﴾ وابن حزيمة في صحيحه ﴿والحاكم﴾ كلهم من رواية محمد بن اسحق وهو ثقة وقول الحاكم أنه
 صحيح على شرط مسلم معترض بان مسلما انما أخرج لابن اسحق في المتابعات ﴿عن عقبة بن عامر﴾ ﷺ أنه ﴿قال سمعت رسول الله
 ﷺ يقول لا يدخل الجنة صاحب مكس﴾ قال يزيد بن هرون يعني العشار . وقال البيهقي يريد صاحب المكس الذي يأخذ من التجار اذا
 مروا عليه مكسا باسم العشر أى الزكاة كما تقدم . قال ابن رسلان وهو من يأخذ العشر على ما كان يأخذه أهل الجاهلية مقيما على دينه
 لا يدخل الجنة لكفره ولا يستخلله لذلك ان كان مسلما . وأخذه مستخلا وتارك فرض الله وهو ربع العشر وأما من لم يستحل أخذ الحرام فهو
 محتول على أنه لا يدخل الجنة مع السابقين اليها ولا يدخلها حتى يعاقب إلا ان يغفر الله له أما من يعشرهم على ما فرض الله سبحانه فحسن
 جميل وقد عشرين جماعة من الصحابة للنبي ﷺ وللخلفاء بعده وهو من يأخذ عشر ما سقته السماء وعشر أموال أهل الذمة في التجارة .
 قال الحافظ المنذرى أما الآن فإنهم يأخذون مكسا باسم العشر ومكسا آخر ليس له اسم بل شيء يأخذونه جرابا وسحبا ويأكلونهم في
 بطونهم نارا خجنتهم داخلية عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد .

وسئل السراج البلقين عن قوله ﷺ فإنه تاب توبة لو تابها صاحب المكس الحديث . هل المكاس المعلوم عند الناس هو الذي يتناول
 المرتب على البضائع أو غير ؟ فأجاب المكاس يطلق على من أحدث المكس ويطلق على من يجري على طريقته الرديئة والظاهر ان مراد
 النبي ﷺ المكاس الذي ذنبه عظيم وهو الذي يقال أيضا صاحب المكس وكذلك يقال للجاري على طريقته ويظهر من هذا الحديث ان
 الذي أحدث المكس قبل توبته وان الذي استن السنة انما يكون عليه وزر من يعمل بها اذا لم يرب فاذا تاب قبلت توبته ولم يكن
 عليه وزر من يعمل بها انتهى .

وأحمد والطبراني عن أبي الخير قال عرض مسلمة بن مخلد وكان أميراً على مصر على روفع بن ثابت أن يوليه العشور فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن صاحب المكس في النار * وأحمد وابن عبد الحكم عن مالك بن عثامية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا لقيتم عاشراً فاقتلوه * وأحمد عن الحسن بن أبي عامر أنه استعمل كلاب بن أمية على أيلة وعثمان بن أبي العاص في أرضه فأثامه عثمان فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن بالليل ساعة يفتح فيها أبواب السماء فينادي مناد هل من سائل فأعطيه هل من داع فاستجب له هل من مستغفر فأغفر له وإن داود عليه السلام خرج ذات ليلة فقال لا يسأل الله أحد حاجته إلا أعطاه إلا أن يكون ساحراً أو عاشراً فدعا كلاب بقرقور فركب فيه فأتى ابن عامر فقال دونك عملك قال لم قال حدثني عثمان بكذا وكذا * والطبراني عن عثمان بن أبي العاص عن النبي ﷺ قال تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد هل من داع فيستجاب له هل من سائل فيعطى هل من مكروب فيفرج عنه فلا يبقى مسلم قيد عود يدعوه إلا استجاب الله له إلا زانية تسعى بفرجها

﴿و﴾ أخرج (أحمد والطبراني) بسند فيه ابن طيبة (عن أبي الخير) قال عرض مسلمة بن مخلد وكان أميراً على مصر على روفع بن البناء مصفراً (بن ثابت) بن السكن الأنصاري (أن يوليه العشور) فقال (ابن ثابت) إني سمعت رسول الله ﷺ يقول إن صاحب المكس في النار (وزاد الطبراني) يعني العاشر قال العزيزي الذي يتولى قبض المكس من الناس للسلطان يكون في نار جهنم يوم القيامة أي إن استحلها ولا فعذب فيها ما شاء الله ثم يدخل الجنة وقد يعفى عنه . ﴿و﴾ أخرج (أحمد وابن عبد الحكم) عن مالك بن عثامية قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا لقيتم عاشراً فاقتلوه

﴿و﴾ أخرج (أحمد عن الحسن بن أبي عامر) أنه استعمل كلاب بن أمية على أيلة (فتفتح الهرة) وتكون الياء اسم موضع (وعثمان بن أبي العاص في أرضه) فأثامه عثمان فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن بالليل ساعة يفتح بها أبواب السماء فينادي مناد هل من سائل فأعطيه (أي مسئوله) هل من داع فاستجب له هل من مستغفر فأغفر له قال الكرمانى يحتل أن يقال بالدعاء ما لا طلب فيه نحو يا الله والسؤال الطلب وإن يقال المقصود واحد واختلف اللفظ (وان داود عليه السلام خرج ذات ليلة فقال لا يسأل الله أحد حاجته إلا أعطاه) الآن يكون ساحراً أو عاشراً فدعا كلاب بن أمية بعد سماع هذا الحديث (بقرقور) بصم القافين بينهما راء ساكنة أي سفينة كمصفور كما في القاموس (فركب فيه فأتى) أي نزل (إلى) الحسن (ابن عامر) فقال دونك (أي خذ) عملك قال (ابن أبي عامر) (أي لأي شيء) قال حدثني عثمان بكذا وكذا (وفي الصحيح) عن الحسن قال مر عثمان بن أبي العاص على كلاب بن أمية وهو جالس العاشر بالبصرة فقال ما يجلسك هنا ؟ قال استعملني على هذا المكان يعني زيادا فقال له عثمان ألا أخذت حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فقال بلى ، فقال عثمان سمعت رسول الله ﷺ يقول كان لداود نبي الله ساعة يوقف فيها أهله يقول يا آل داود قوموا فصلوا فإن هذه الساعة يستجيب الله فيها الدعاء إلا لساحر فركب كلاب بن أمية بنفسه فأتى زيادا فاستعناه فاعفاه واختلف في سماع الحسن من عثمان .

﴿و﴾ أخرج (الطبراني) في الكبير (عن عثمان بن أبي العاص) (عن النبي ﷺ) قال تفتح أبواب السماء نصف الليل (وتسر مفتوحة إلى طلوع الفجر) فينادي مناد (من الملائكة بأمر الله تعالى) هل من داع (أي طالب حاجة) فيستجاب (بالتصديق) هل من سائل فيعطى (مسئوله) والجمع بينه وبين ما قبله للتأكيد وللإشعار بتحقيق الوقوع (هل من مكروب) يسأل زوال كربته (فيفرج عنه فلا يبقى مسلم قيد عود يدعوه إلا استجاب الله له) إلا زانية تسعى بفرجها (أي تكسب به) وخرج بهذا الوصف من وقع منها

أو عشارا * وأبو نعيم عن زيد بن أرقم قال كتب مع رسول الله ﷺ في بعض سكك المدينة فمررتا بجباء أعرابي فإذا ظلية مشدودة فقالت يا رسول الله إن هذا الأعرابي صادني فلا هو يذبحني فأسترج ولا هو يتركني فأذهب ولي خشقان في البرية وقد تعقد هذا اللبن في أخلافي فقال لما رسول الله ﷺ إن أطلقك أترجعين قالت نعم والاعذبنني الله عذاب العشار فأطلقها فذهبت ثم رجعت الزنا على سبيل الندور ﴿أو عشارا﴾ بالتشديد وفي رواية له في الكبير أيضا سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله يدنو من خلقه أي برحمته وجوده وفضله فيغفر لمن استغفر الإلغية بفرجها أو عشار.

﴿و﴾ أخرجه أبو نعيم عن زيد بن أرقم ﴿قال كتب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض سكك المدينة﴾ جمع سكة وهي الزقاق ﴿فمررتا بجباء الأعرابي﴾ قال الفيومي والجباء ما يعمل من وبرأ وصوف وقد يكون من شعر والجمع أخية بنير حمزة مثل كساء وأكسية ويكون على عمودين أو ثلاثة وما فوق ذلك فهو بيت ﴿فإذا ظلية مشدودة﴾ فقالت يا رسول الله إن هذا الأعرابي صادني فلا هو يذبحني فأسترج ولا هو يتركني فأذهب ﴿أي أرجع إلى مكان﴾ ﴿ولي خشقان﴾ أي ولدان في المصباح الخشيف ولد الغزال يطلق على الذكر والأنثى والجمع خشوف مثل حمل وحمل ﴿في البرية﴾ أي الصحراء نسبة إلى البر بالفتح وهو خلاف البحر ﴿وقد تعقد هذا اللبن في أخلافي﴾ قال الفيومي والخلفة ذوات الخف كالندى للسان والجمع اخلاف مثل حمل وأجمال وقيل الخلف طرف الضرع ﴿فقال لما رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أطلقك﴾ أي أرسلك ﴿أترجعين؟﴾ قالت نعم ﴿أرجع﴾ ﴿والا﴾ أي وإن لم أرجع ﴿عذبنني الله عذاب العشار فأطلقها﴾ أي أرسلها رسول الله ﷺ ﴿فذهبت﴾ فأرضعت خشفيها ﴿ثم رجعت﴾ فأوثقها وروى الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله في الصحراء فإذا يناديه يا رسول الله فالتفت فلم ير أحدا ثم التفت فإذا ظلية مرققة فقالت ادن مني يا رسول الله فدنا منها فقال ما حاجتك؟ فقالت إن لي خشقين في هذا الجبل فجئتني حتى أذهب فأرضعنيهما ثم أرجع إليك قال وتفعلينني قالت عذبنني الله عذاب العشار إن لم أفعل فأطلقها فذهبت فأرضعت خشفيها ثم رجعت فأوثقها وأتبعه الأعرابي فقال ألك حاجة يا رسول الله؟ قال نعم، تطلق هذه فأطلقها فخرجت تعدو وهي تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال بعض الحفاظ المتأخرين إن هذا ورد في الجملة في عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض وردها شيخ الإسلام العسقلاني في تخرجه أحاديث المختصر انتهى. والحاصل أنه وإن ضعفه جماعة من الأئمة لكن طرقه يقوى بعضها بعضا وبذلك يرد قول الحفاظ ابن كثير: لأصل له، وقد ذكره القاضي العياض في الشفاء. وقال التاج السبكي في شرح المختصر هو وتسريح الحصى وإن لم يتواترا فلعلهما ينقل غيرهما أو لعلهما تواترا اذذاك وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت قالنا ر أولي به والمكس من أقبح السحت وأفحشته. وذكر الواحدى في تفسير قوله تعالى لا يستوى الخيث والطيب. وعن جابر إن رجلا قال يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتي وإني جمعت من بيعها مالا فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله عز وجل فقال رسول الله ﷺ إن اتقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عنك الله عز وجل جناح بعوضة إن الله لا يقبل إلا الطيب فأنزل الله تصديقاً لقول رسول الله ﷺ قال لا يستوى الخيث والطيب. قال الحسن وعطاء هو الحلال والحرام وفي حديث المرأة التي طهرت نفسها بالزخم فقد تابيت توبة لوتابها صاحب المكس لغفرله أو قبلت منه. وأخرج الديلمي منة أشياء تحبط العمل الاستغال بعبور الناس وقسوة القلب وحب الدنيا وقلة الحياء وطول الأمل وظالم لا ينتهى.

وورد من حديث علي أخرجه الطبراني في الكبير بلفظ أن النبي ﷺ لعن سهيلا ثلاث مرات فإنه كان يعشّر الناس فمسحه الله شهابا
أنبت عن أنبيء عن أبي الحسن عن مجاهد في قوله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قال نزلت في المكاسين وأنشدكم لنفسي :

أقتل أولي المكس ولا تكثرت * إن خللوا ذلك أو حرموه

فإن خير الخلق أوصى بأن * إذا لقيتم عاشرا فاقتلوه

أعادنا الله من شرورهم وحمائنا من قتلهم * وذكر ابن الجوزي في كتاب مواعظ الملوك أن كسري خرج في بعض أيامه للصيد فانقطع عن
أصحابه وأظلمه سحابة فمطرت مطرا شديدا حال بينه وبين جندته فمضى لا يدرى أين يذهب فاتته إلى كوخ فيه عجوز فنزل عندها
وأدخل فرسه فأقبلت ابنتها ببقرة فدعتها فاحتلبتها فرأى كسري لبنها كثيرا فقال ينبغي أن نجعل على كل بقرة خراجا فهذا خلأب كثير ثم
قامت في آخر الليل تحلبها فوجدتها لابن فيها فنادت يا أماء قد أضمر الملك لرعيته سوءا قالت وما ذلك قالت إن البقرة ما تبض بقطرة لبن
قالت لها امكبي فإن عليك ليلا فأضمر كسري في نفسه العدل والرجوع عن ذلك العزم فلما كان آخر الليل قالت لها أمها قومي اجلسي
فقامت فوجدت البقرة حافلا

﴿وورد في حديث علي﴾ كرم الله وجهه ﴿أخرجه الطبراني في﴾ معجمه ﴿الكبير بلفظ أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن سهيلا﴾
اسم رجل ﴿ثلاث مرات فإنه كان يعشّر الناس فمسحه الله شهابا﴾ أي فصار نجما عند صلوعه تنضح القواكه وينقض القبط كما في
القاموس قال المصنف رحمه الله تعالى ﴿أنبت﴾ بالبناء للمفعول أي أخبرت وكذا قوله ﴿عن أنبيء عن أبي الحسن عن مجاهد في قوله
تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون﴾ يعني أن شعبنا قال لقومة الكفار ولا تقعدوا على كل طريق من الدين والحق تمتعون الناس من
الدخول فيه وتهذوهم على ذلك ﴿قال﴾ مجاهد ﴿نزلت﴾ هذه الآية ﴿في المكاسين وأنشدكم لنفسي﴾ هذه البيت :

﴿أقتل أولي المكس ولا تكثرت * إن خللوا ذلك﴾ المكس ﴿أو حرموه﴾ فإن خير الخلق ﴿محمد﴾ ﴿أوصى بأن﴾ أي بأنه أي
الحال والشأن ﴿إذا لقيتم عاشرا فاقتلوه﴾ أعادنا الله من شرورهم ﴿أي المكاسين﴾ وحمائنا من قتلهم ﴿آمين﴾ وذكر الشيخ أبو الفرج
على ابن الجوزي ﴿رحمه الله تعالى﴾ في كتاب مواعظ الملوك أن كسري ﴿ملك الروم﴾ خرج في بعض أيامه للصيد ﴿أي لاصطياد
راكبا على فرسه﴾ فانقطع عن أصحابه وأظلمه سحابة فمطرت مطرا شديدا حال ﴿أي حجز ومنع ذلك المطر﴾ بينه وبين جندته
فمضى لا يدرى أين يذهب فاتته إلى كوخ ﴿بضم الكاف بيت من قصيد بلاكو وجمعه أكوخ هكذا في المختار﴾ فيه ﴿أي في ذلك الكوخ
عجوز فنزل﴾ الملك ﴿عندها وأدخل فرسه فأقبلت ابنتها ببقرة فدعتها فاحتلبتها فرأى كسري لبنها كثيرا فقال﴾ في نفسه ﴿ينبغي
أن نجعل على كل بقرة خراجا﴾ جزية ﴿فهذا﴾ أي ما رأيته من ذلك ﴿خلأب كثير﴾ والخلأب بالكسر الوعاء يجلب فيه ﴿ثم قامت﴾
تلك الابنة ﴿في آخر الليل تحلبها﴾ من باب قتل ﴿فوجدتها لابن فيها فنادت﴾ لأمها ﴿يا أماء قد أضمر﴾ هذا ﴿الملك لرعيته سوءا﴾
والملك يسمع ما تكلمت لأمها ﴿قالت﴾ أمها ﴿وما ذلك؟﴾ أي وما علامة أضماره سوءا ﴿قالت إن البقرة لا تبض﴾ بكسر الباء
وضمها أي تقطر ﴿بقطرة لبن﴾ قالت ﴿أي الأم﴾ لها امكبي فإن عليك ليلا فأضمر كسري في نفسه العدل والرجوع عن ذلك العزم وهو
جعل الخراج على كل بقرة ﴿فلما كان آخر الليل قالت لها أمها قومي اجلسي فقامت فوجدت البقرة حافلا﴾ أي تجتمعا ويمتلأ لبنها يقال
حفل اللبن وغيره حفلا وحفولا اجتمع وحفلت الشاة بالثقل تركت حلبها حتى اجتمع اللبن في ضرعها فهي محفلة وكان الأصل حفلت
لبن الشاة لأنه هو المجموع فهي محفل لبنها واحتفل الوادي امتلاء وسال

فقلت يا أماء قد والله زال ما في نفس الملك من الشر فلما ارتفع النهار وجاء أصحاب كسري فركب وأمر بحمل العجوز وابنتها إليه فأحسن إليهما وقال كيف علمتما ذلك قالت العجوز أنا بهذا المكان منذ كذا وكذا فما عمل فينا بعدل إلا أخصبت أرضنا واتسع عيشنا وما عمل فينا ببحور إلا ضاق عيشنا وانقطع مواد النفع عنا ، ﴿تنبيه﴾ إن المكس حرام إجماعاً ويكفر من استحلّه أو قال إنه حق السلطان معتقداً أنه حق وقال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام بأنه يحرم على من يعرف الكتابة والحساب كتابة حساب للمكس إن قصد إعانة الظلمة الذين لعنهم الله ورسوله

﴿فقلت يا أماء قد والله زال ما في نفس الملك من﴾ اضرار ﴿الشر فلما ارتفع النهار وجاء أصحاب كسري فركب﴾ فرسه ﴿وأمر بحمل العجوز وابنتها إليه فأحسن﴾ الملك ﴿إليهما﴾ وقال كيف علمتما ذلك ؟ ﴿أى اضرار السوء وزواله﴾ قالت العجوز أنا بهذا المكان منذ كذا وكذا ﴿سنة﴾ ﴿فما عمل﴾ الملك ﴿فينا بعدل إلا أخصبت أرضنا واتسع عيشنا وما عمل فينا ببحور﴾ أى ميل عن الحق في حكمه ﴿الاضاق عيشنا وانقطع مواد النفع﴾ أى زوائده ﴿عنا﴾

﴿تنبيه﴾ إن المكس حرام إجماعاً ويكفر من استحلّه أو قال إنه حق السلطان معتقداً أنه حق وقال السلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام بأنه يحرم على من يعرف الكتابة والحساب كتابة حساب المكس إن قصد إعانة الظلمة الذين لعنهم الله ورسوله ﴿فإن قصد بذلك حفظ المال على أربابه والشهادة لهم ليرجعوا به في وقت آخر عند إمكانه يرجع السلطان إلى العدل أو تولى عدل جاز وله أن يأخذ الأجرة بنية ردها على أربابها إلا أن يكون من العلماء الذين يقدي بهم الناس لأنهم لا يطلعون على نيته .

﴿خاتمة﴾ سأل الله حسنهما اعلم أن بعض فسقة التجار يظن أن ما يؤخذ من المكس بحسب عنه إذا نوى به الزكاة وهذا ظن باطل لا مستند له في مذهب الشافعي لأن الإمام لم ينصب المكاسين لقبض الزكاة ممن تجب عليه دون غيره وإنما نصبهم لأخذ عشور أى مال وجدوه قل أو كثر وجبت فيه الزكاة أولاً وزعم أنه إنما أمر بأخذ ذلك ليصرفه على الجند في مصالح المسلمين لا يفيد فيما نحن فيه لأننا لو سلمنا أن في ذلك سائفاً بشرطه وهو أن لا يكون في بيت المال شيء واضطر الإمام إلى الأخذ من مال الأغنياء لكان يأخذه غير مسقط للزكاة أيضاً لأنه لم يأخذه باسمها وذكر لي بعض التجار أنه إذا أعطى المكاس نوى به أنه من الزكاة فيكون المكاس قد ملكه زكاة وأنه ضيعه هو باعطائه للغير وهذا لا يفيد شيئاً لأن المكسة وأعواتهم عز أن تجد فيهم مستحقاً للزكاة لأنهم كلهم قدرة على صنعة وكسب ولهم قدوة وتجبر لو صرفوه في تحصيل مؤتمهم من كسب خلال لاستغنوا به عن هذه الفاحشة القبيحة كيف يعطى من الزكاة لكن محبة التجار لأنموالهم اغتمهم عن أن يبصروا الحق واحتمتهم عن أن يسمعوا ما ينفعهم في دينهم اتباعاً للشيطان وتسويله لهم أن هذا المال مأخوذ منهم قهراً وظلماً فكيف مع ذلك يخرجون الزكاة قوماً دروا أن الله أوجب عليهم الزكاة فلا يبرؤن منها إلا بدفعها على وجه سائغ جائز وأما ما ظلموا به فكيف يكتب لهم به حسنات ويرفع لهم به درجات وقد جعل العلماء المكاسين من جملة اللصوص وقطاع الطرق بل أشر وأقبح ولو أخذ منك قطاع الطريق ما لا فتوى به الزكاة فهل ينفع ذلك مطلقاً فكما أن ذلك لا ينفعك فكذا هذا لا ينفعك ولا يجديك شيئاً فاحذر ذلك ولقد شنع العلماء على بعض الجهال الزاعقين أن الدفع إلى المكاسين بنية الزكاة يجدي بهم وأطالوا في رد هذه المقالة وإن قائلها جاهل لا يرجع إليه ولا يعمل عليه قائل ذلك واعمل به تنعم أن شاء الله تعالى والله أعلم .

﴿باب الظلم﴾

قال الله تعالى ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم

﴿باب الظلم﴾

أى ظلم السلاطين والأمراء والقضاة وغيرهم مسلماً أو ذمياً بنحو أكل مال أو ضرب أو شتم أو غير ذلك وخذلان المظلوم مع القدرة على نصرته والدخول على الظلمة مع الرضا بظلمهم وإعانتهم على الظلم والسعاية اليهم بباطل وهذا كله من الكبائر كما في الزواجر .
﴿قال الله تعالى ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتعيط وهذا في حق الله محال لا بد من تأويل الآية فالمقصود منها أنه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظلوم فيه وعيد وتهديد للظالم وإعلام له بأن لا يعامله معاملة العاقل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلاً . قال سفيان بن عيينة فيه تسليمة للمظلوم وتهديد للظالم .

فإن قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله ﷺ غافلاً وهو أعلم الناس به أنه لم يكن غافلاً حتى قيل له : ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون . قلت إذا كان المخاطب به رسول الله ﷺ ففيه وجهان أحدهما التثيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلاً فهو كقوله ولا تكونن من المشركين . ولاتدع مع الله آياتاً أخر وكقوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا أى اثبتوا على ما أنتم عليه من الإيمان . الوجه الثاني المراد بالنهي عن حسبان غافلاً الإعلام بأنه سبحانه وتعالى عالم بما يفعل الظالمون ولا يخفى عليه شيء وأنه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبنه معاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم الخاسب لهم على الصغير والكبير وإن كان المخاطب غير النبي ﷺ فلا إشكال فيه ولا سؤال لأن أكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز أن يحسبه غافلاً فله جهل بصناته .

﴿إنما يؤخرهم﴾ أى يؤخر عذابهم ﴿ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ أى أبصار الكفار وهو يوم القيامة يقال شخص الشخص البصر الرجل إذا بقيت عيناه مفتوحين لا يطر فهما وشخص البصر يدل على الحيرة والدهشة من هول ما ترى في ذلك اليوم . وقال عز وجل وسيعلمون الذين ظلموا أى منقلب ينتقلبون . وقال تعالى ولا تركبوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون . والركن إلى الشيء السكون والميل إليه والمحبة ومن ثم قال ابن عباس رضى الله عنهما في الآية لا تميلوا إليهم كل الميل في المحبة ولين الكلام والمودة . وقال السدي وابن زيد لا تداهمهم .

﴿وقال الله تعالى يا أيها الذين لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ أى لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل أى من غير الوجه الذي أباحه الله له والباطل الشيء الذاهب فالأكل بالباطل على وجوه : الأول أن يأكله بطريق التعدد والنهب والغصب . الثانى أن يأكله بطريق اللهو كالقمار وأجرة المغنى وثمن الخمر والملاهي ونحو ذلك . الثالث أن يأكله بطريق الرشوة في الحكم وشهادة الزور . الرابع الخيانة في الوديعة والأمانة ونحو ذلك وإنما عبر عن أخذ المال بالأكل لأنه المقصود الأعظم ولهذا وقع في التعارف فلان يأكل أموال الناس بمعنى يأخذها بغير حلها ﴿إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ هذا الاستثناء المنقطع لأن التجار عن تراض ليست من جنس أكل المال بالباطل فكان إلا ههنا بمعنى لكن يحل أكله بالتجارة عن تراض يعنى بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو أن يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع

ولا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدْوَانًا وَظُلْمًا فَسُوفَ نَصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا وَقَالَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ بَطَاحٍ ﴿وَأُخْرِجَ﴾ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ بَيْنَى فِي حُجَّةِ الْوُدَّاعِ إِنْ دَمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ

فِيْلَزِمُ وَالْأَفْلَهُمَا الْخِيَارَ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا لَمَّا رَوَى عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِذَا تَبَاعَعَ الرَّجُلَانِ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا وَكَانَ جَمِيعًا أَوْ يُخَيَّرُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ قَتَابَعًا عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ وَجِبَ الْبَيْعُ وَإِنْ تَفَرَّقَا بَعْدَ أَنْ تَبَاعَعَا وَلَمْ يَتَرَكَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا الْبَيْعَ فَقَدْ وَجِبَ الْبَيْعُ أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ .

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أَيْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَإِنَّمَا قَالَ أَنْفُسَكُمْ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ دِينٍ وَاحِدٍ فَهُمْ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ . وَقِيلَ إِنْ هَذَا نَهَى لِلْإِنْسَانِ عَنْ قَتْلِ نَفْسِهِ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهَا خَالِدًا مَحْلَدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ تَحَسَّى سَمًا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسَمِهِ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَلَدًا مَحْلَدًا فِيهَا أَبَدًا وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَحَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مَحْلَدًا أَبَدًا . قَوْلُهُ يَتَرَدَّى هُوَ الْوُقُوعُ مِنْ مَوْضِعٍ عَالٍ إِلَى أَسْفَلٍ قَوْلُهُ يَتَوَحَّأُ يَقَالُ وَجِئْتُه بِالسَّكِينِ إِذَا ضَرَبَتْهُ بِهَا وَهُوَ يَتَوَحَّأُ بِهَا أَيْ يَضْرِبُ بِهَا نَفْسَهُ .

أَخْرَجَا أَيْضًا عَنْ جَنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ كَانَ بِرَجُلٍ جِرَاحٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَدْرُنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَمَتْ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ . وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جِرَاحٌ فَجَزَعُ فَأَخَذَ سَكِينًا فَحَزَّهَا بِيَدِهِ فَمَا رَقَا الدَّمُ حَتَّى مَاتَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَادْرُنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ حَرَمَتْ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ . وَقِيلَ فِي مَعْنَى قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ بِهِ الْقَتْلَ مِثْلَ أَنْ يَقْتُلَ فَيَقْتُلُ بِهِ فَيَكُونُ هُوَ الَّذِي تَسَبَّبَ فِي قَتْلِ نَفْسِهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ وَلَا تَهْلِكُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَنْ تَعْمَلُوا عَمَلًا رَمَا أَدَّى إِلَى قَتْلِهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ يَعْنِي أَنَّهُ تَعَالَى مِنْ رَحْمَتِهِ بِكُمْ نَهَاكُمْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ تَسْتَوِجِبُونَ بِهِ مَشَقَّةَ أَوْ حُبَّةَ وَقِيلَ إِنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ لِيَكُونَ ذَلِكَ تَوْبَةً لَهُمْ وَكَانَ بِكُمْ بِأَمَةِ مُحَمَّدٍ رَحِيمًا حَيْثُ لَمْ يَكْلَفْكُمْ تِلْكَ التَّكَالِيفَ الْمَشَقَّةَ الصَّعْبَةَ .

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الْقَتْلُ وَاسْتِحْلَالُ الْمَالِ ﴿عَدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ يَعْنِي يَتَجَاوَزُ الْحُدَّ فَيَضَعُ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَكَذَلِكَ قِيدَ بِالْعَدْوَانِ وَالظُّلْمِ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْقَتْلُ بِحَقٍّ وَهُوَ الْقَصَاصُ وَكَذَلِكَ قَدْ يَكُونُ أَخْذُ الْمَالِ بِحَقٍّ فَهَذَا السَّبَبُ قِيدَهُ بِالْوَعِيدِ وَمَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الْعَدْوَانِ وَالظُّلْمِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَسُوفَ نَصْلِيهِ نَارًا﴾ أَيْ نَدْخَلُهُ فِي الْآخِرَةِ نَارًا يَصْلَى فِيهَا ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ أَيْ أَصْلَاؤُهُ النَّارَ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ أَيْ هَيِّنًا لِأَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى مَا يَرِيدُ ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ﴾ أَيْ قَرِيبَ مَشْفِقٍ ﴿طَاحٍ﴾ أَيْ يَشْفَعُ وَهُوَ حَازٍ عَنِ الطَّاعَةِ لَا الطَّاعَةَ حَقِيقَةً وَالْمَرَادُ نَفَى الشَّفَاعَةِ وَالطَّاعَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ :

وَلَا تَرَى الصَّبَّ بِهَا يَنْحَجِرُهُ . يَرِيدُ بِهِ نَفَى الصَّبِّ . وَانْحَجَارُهُ

وَإِنْ احْتَمَلَ اللَّفْظُ اتِّقَاءَ الطَّاعَةِ دُونَ الشَّفَاعَةِ فَمِنْ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاللَّهُ مَا يَكُونُ لَهُمْ شَفِيعَ الْبَتَّةِ .

﴿وَأُخْرِجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ﴾ نَبِيْعُ ﴿عَلَيْهِمَا السَّلَامُ﴾ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ بَيْنَى ﴿فِي حُجَّةِ الْوُدَّاعِ إِنْ دَمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ﴾ جَمْعُ عَرَضٍ بِكُسْرِ الْعَيْنِ وَهُوَ مَا يَمْدَحُ بِهِ الْإِنْسَانُ وَيَذَمُّ وَقِيلَ الْحَسَبُ أَوِ الْإِخْلَاقُ النَّفِيسَةُ قَالَ فِي شَرْحِ الْمَشْكَاةِ وَالتَّحْقِيقِ مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ النَّهَايَةِ الْعَرَضُ مَوْضِعُ الْمَدْحِ وَالذَّمُّ مِنَ الْإِنْسَانِ سِوَاهُ كَانَ فِي نَفْسِهِ أَوْ سَلَفِهِ وَلَمَّا كَانَ مَوْضِعُ الْعَرَضِ النَّفْسُ قَالَ مَنْ قَالَ الْعَرَضُ النَّفْسُ أَطْلَاقًا لِلْمَحَالِ عَلَى الْحَالِ وَحَيْثُ كَانَ الْمَدْحُ نِسْبَةً إِلَى الْإِخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالذَّمُّ نِسْبَةً إِلَى الذَّمِيمَةِ .

حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وستلقون ربكم فيسألکم عن أعمالکم ألا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض * وسلم عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي

سواء كانت فيه أم لا . قال من قال العرض الخلق اطلاقا لاسم الأزم على المألوم ﴿حرام عليكم﴾ أي إن انتهاك دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم وهذا أولى من قول من قال فإن سفك دماءكم وأخذ أموالكم وثلب أعراضكم لأن ذلك إنما يحرم إذا كان بغير حق فلا بد من التصريح به فلفظ انتهاك أولى لأن موضوعها تناول الشيء بغير حق ﴿كحرمة يومكم هذا﴾ وهو يوم النحر ﴿في شهركم هذا﴾ وهو ذو الحجة ﴿في بلدكم هذا﴾ وهو مكة أكد النبي ﷺ التحريم بهذا التشبيه لأن أراقة الدماء وسلب الأموال في أيام الحج بمكة كانت من أشد الحرمات عندهم فشبه الحرم من وجه بالحرم من وجوه ليتزجروا عما القوا كذا في شرح مشارق الأنوار ﴿وستلقون ربكم فيسألکم عن أعمالکم ألا فلا ترجعوا بعدي﴾ أي بعد فراق من موقفي هذا أو بعد حياتي وفيه استعمال رجوع كضار معنى وعملا قال ابن ملك وهو ما خفى على أكثر النحويين أي لا تصيروا بعدي ﴿كفار﴾ أي كالكفار أولا يكفر بعضكم بعضا فتستحلوا القتال لولا تكن أفعالكم شبيهة بأفعال الكفار ﴿يضرب بعضكم رقاب بعض﴾ برفع يضرب جملة مستأنفة مبنية لقوله لا ترجعوا بعدي كفارا ويجوز الحرم على تقدير شرط مضمرة أي إن ترجعوا بعدي .

﴿﴾ أخرجه ﴿مسلم عن أبي ذر﴾ الغفاري ﴿قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال يا عبادي﴾ هو كسيد وعبدان بضم أوله وكسره وتخفيف الياء وعبدان يكسر أوله وتشديد الثالثة وعبداء بمد وقصر ومعبداء وعبد كسفت وأعابد جمع عبد وقد نظم ابن جموعة في بيتين فقال:

عباد عبيد جمع عبد وأعبد * أعابد معبداء معبيده عبد

كذلك عبدان وعبدان اثبتا * كذلك العبداء ومدد ان شئت ان تمد

وهولغة الإنسان في تناول الحر والأتى لكن المراد هنا بدلالة قوله تعالى الاتى انفسكم وجنكم جميع الثقلين لتساوئهم في التكليف وتعاقب القوى والعجز وباء حرف نداء وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كيارب وبالله وهو أقرب اليه من جبل الوريد أو لغفلته كما هنا فانهم غافلون عن تلك الأموار العظيمة أو للإعتناء بالمدة عواليه وزيادة الحث عليه كما في بآئها الناس اعبدوا ربكم ﴿إني حرمت﴾ من التحريم وهولغة المتع فسمى تعالى قدسه عن الظلم تحريما لمساواة الظلم الممنوع في التحقق العدم ﴿الظلم﴾ وهولغة وضع الشيء في غير محله وشرعا التصرف في ملك الغير بغير حق أو مجاوزة الحد ﴿على نفسي﴾ أي قدست وتعاليت عنه لأنه مجاوزة الحد أو التصرف في ملك الغير وكلاهما في حق كالحرم فهو استعارة مصرحة بتعبية شبه تنزهه بتجرز المكلف عما نهى عنه شرعا في الامتناع عنه ثم استعمل في جانب المشبه ما كان مستعملا في جانب المشبه به للمبالغة ويحتمل كونه مشاكلة ذكره الطيبي . وقوله ثم استعمل الخ أي استعار للتنزه التحريم بهذا المعنى ثم اشتق منه الفعل قيل وقضية هذا الحديث جواز اطلاق النفس على الله تعالى انتهى . وهو ظاهر حيث كان من باب المقابلة كما في قوله تعالى : تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك . وكما هنا فان معناه حرمة على نفسي فنفوسكم بالأولى كما أفاده قوله الاتى وجعلته محرما بينكم اما اطلاقه في محل للمقابلة فيه فلا يظهر جوازه لايهامه حقيقة النفس وهي محالة على الله تعالى .

وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا * وأحمد والبيهقي عن ابن عمر اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة * والشيخان عن أبي موسى أن الله يملئ للظالم إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ

فإن قلت قد صرح إطلاق الذات على الله تعالى في قوله خيب عند أرواده قتله وذلك في ذات الإله والجنب في قوله تعالى ما فرطت في جنب الله والنفس مثلها . قلت لا نسلم أنها مثلها لأن ذات الشيء حقيقة فلا شعار فيها بحدوث البتة وأما الجنب فالمراد به الأمر إذا التفرط إنما يكون فيه فالإتيان بلفظه قرينة على أنه لم يرد بالجنب حقيقة وأما النفس فإنها تشعر بالنفس والحدوث فاستمع إطلاقها عليه سبحانه وتعالى إلا في حيز المقابلة إذ هو قرينة ظاهرة على أن المراد بها في حقه تعالى غير حقيقتها وما يتبادر منها وأيضاً ففي إطلاقها عليه تعالى إيهام شمول قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت لذلك تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ولقد بالغ بعض العلماء فجعل قوله تعالى ولا أعلم ما في نفسك راجعاً لعيسى عليه الصلاة والسلام والأصل ولا أعلم ما فيها ثم وقع الظاهر موقع المضمر فصار معناه ولا أعلم ما في مخلوقك انتهى . وهو وإن كان فيه تكلف إلا أنه مؤيد لما ذكرته فتأمل ذلك فإنه مهم قاله ابن حجر «وجعلته» أي الظلم «محرماً بينكم» أي حكمت بحرمه عليكم وهذا مجمع عليه في كل ملة لاتفاق سائر الملل على مراعاة حفظ الأناس فالانساب فالأعراض فالعقول فالأموال والظلم قد وقع في هذه أوجعها وأعلاه الشرك قال تعالى إن الشرك لظلم عظيم . وهو المراد بالظلم في كثير الآيات «فلا تظالموا» بتشديد الظاء كما روى الأشهر بتحقيقها وأصله تظالم أي لا يظلم بعضكم بعضاً فإنه لا بد من اقتصاصه تعالى للمظلوم من ظالمه كما استفيد من هذا السياق العجيب المشار إليه بقوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم . أي فيجب تعالى منه الجهر بذكر ما ظلم به ليشاع حتى إذا عوقب الظالم عرف الناس أنه لم يوقع تعالى ذلك به إلا ابتصار للمظلوم ليكشف غيره عن الظلم ويعلم أن من وراء الظالمين طالباً لا يزد بأسه وقد يميل الظالم زيادة في استدراج عاقبه إنما غلب لهم ليزداد أثماً فإمهاله عين عقابه وتمام الحديث كما في الأربعين يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي أنكم تحفظون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي أنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفىكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

«و» أخرج «أحمد» والطبراني «والبيهقي عن ابن عمر» رضى الله عنهما «اتقوا الظلم» الذي هو مجاوزة الحد والتعدي على الخلق «فإن الظلم» في الدنيا «ظلمات» على صاحبه «يوم القيامة» فلا يهتدي بسببه يوم نور المؤمنين بين أيديهم فالظلمة جسية وقيل معنوية وقال ابن مسعود «يؤتى بالظلمة فيوضعون في نار ثم يرجعون فيها»

«و» أخرج «الشيخان عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يملئ «وفي نسخة يملئ» اللام للتأكيد أي يملئ «للظلم» ويطول عمره حتى يكفر منه الظلم ثم يأخذه أخذاً شديداً «فاذا أخذه لم يفلته» بضم أوله أي لم يخلصه أبداً لكثرة ظلمه بالشرك فإن كان مؤمناً لم يخلصه مدة طويلة بقدر جنته قال أبو موسى «ثم قرأ» صلى الله عليه وسلم

وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذها أليم شديد * ومسلم عن أبي هريرة أن رونا من المفلس من أمي قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال إن المفلس من أمي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة فيأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فئت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار * والطائلي والبرار عن أنس الظلم ثلاثة فظلم لا يغفرو الله وظلم يغفرو الله وظلم لا يتركه فأما الظلم الذي لا يغفرو فالشرك قال الله تعالى إن الشرك لظلم عظيم وأما الظلم الذي يغفرو الله فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين بعضهم من بعض *

وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى * وكذلك خبر مقدم وأخذ مبتدأ مؤخر والتقدير ومثل ذلك الأخذ أي أخذ الله الأم السالفة أخذ ربك إذا ظرف ناصبه المصدر قبله والمسئلة من باب التنازع فإن الأخذ يطلب القرى وأخذ الفعل أيضا يطلبها فالمسئلة من أعمال الثاني للحذف من الأول (وهي ظالمة) جملة خالية (إن أخذها أليم شديد) أي وجع صعب على المأخوذ وفيه تحذير عظيم عن الظلم كبرا كان أو غيره لغيره أو لنفسه ولكل أهل قرية ظالمة .

(و) أخرج (مسلم) وغيره (عن أبي هريرة) أن رسول الله ﷺ قال (أن رونا من المفلس من أمي ؟ ، قالوا) أي الصحابة رضي الله عنهم (المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع وقال) (إن المفلس من أمي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة فيأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فئت حسناته قبل أن يقضى ما عليه) من الحقوق (أخذ من خطاياهم) أي هؤلاء المستحقين لتلك الحقوق (فطرحت عليه ثم طرح) أي ألقى (في النار) معناه أن هذا حقيقة المفلس وأما من ليس له مال ومن قل ماله فالتاسيسونه مفلسا وليس هو حقيقة المفلس لأن هذا الأمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع يسار يحصل له بعد ذلك في حياته وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك التام المدوم الاقدام المقطع فتؤخذ حسناته لغير ما به فاذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقى في النار فتمت خسارته وهلاكه وأفلاسه .

قال المارزي وزعم بعض المبدعة أن هذا الحديث معارض لقوله تعالى ولا تزر وازرة أخرى . وهذا الاعتراض غلط منه وجهالة بينة لأنه إنما عوقب بفعله ووزره وظلمه فتوجهت عليه حقوق لغرماته فدفعت اليهم من حسناته فلما فرغت وبقيت بقية قولت على حسب ما اقتضته حكمة الله تعالى في خلقه وعدله في عبادته فأخذ قدرها من سيئات خصومه فوضع عليه فعوقب به في النار فحقيقة العقوبة إنما هي بسبب ظلمه وتعديه ولم يعاقب بغير جناية وظلم منه وهذا كله مذهب أهل السنة والله أعلم ذكره النووي .

(و) أخرج (الطائلي والبرار عن أنس) (بإسناد حسن) (الظلم الثلاثة) من الأنواع والأقسام (الظلم لا يغفرو الله وظلم لا يتركه فأما الظلم الذي لا يغفرو فالشرك قال الله تعالى إن الشرك لظلم عظيم) عدل عن آية أن الله لا يغفر أن يشرك به . مع أنها أصرح إشارة إلى أن سبب عدم المغفرة كونه ظلما عظيما (وأما الظلم الذي يغفرو الله فظلم العباد أنفسهم) بارتكاب الحرامات فيغفرو الله لهم ذلك أما بتوبة واستغفار أو غفر (فيما بينهم وبين ربهم) . وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا أي فلا بد من أن يتقص من الظالم للمظلوم اظهارا للعدل ولذا اقتض من الشاة القراء الجلاء نعم أن رضى عن الظالم أَرْضَى عنه خصمه (حتى يدين) أي يأخذ وينتصر يقال دبره وعليه وأديره أخذه قال العزيزي وغيره (لبعضهم من بعض) *

وأحمد والشيخان عن عائشة وعن سعيد بن زيد من ظلم قَد شبر من الأرض أي قدره طوقه من سبع أرضين أي يخسف الله به الأرض فيصير البقعة في عنقه كالطوق * وأحمد وابن حبان عن يعلى بن مرة أيما رجل ظلم شبرا من الأرض كلفه الله أن يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين ثم يطوقه يوم القيامة حتى يقضى بين الناس * وأحمد والطبراني من أخذ شيئا من الأرض بغير حقه طوقه من سبع أرضين لا يقبل منه صرف ولا عدل *

﴿وخرج أحمد والشيخان عن عائشة وعن سعيد بن زيد﴾ **﴿من ظلم قَد شبر من الأرض﴾** بكسر القاف وسكون المثناة التحتية **﴿أي قدره طوقه﴾** بضم الطاء المهملة وكسر الواو المشددة وبالقاف مبنيا للمفعول **﴿من سبع أرضين﴾** بفتح الراء وقد سكن أي يوم القيامة قيل أراد طوق التكليف وهو أن يطوق حملها يوم القيامة . وأحمد والطبراني من حديث يعلى بن مرة مرفوعا من أخذ أرضا بغير حقتها كلف أن يحل ترابها إلى الحشر . وفي رواية للطبراني في الكبير من ظلم من الأرض شبرا كلف أن يحفره حتى يبلغ به الماء ثم يحمله إلى الحشر وقيل أراد أنه **﴿أي يخسف الله به الأرض فيصير البقعة﴾** المنصوبة **﴿في عنقه كالطوق﴾** ويعظم قدره عنقه حتى يسع ذلك كما جاء في غلط جلد الكافر وعظم ضرره . قال البغوي وهذا أصح ويؤيده حديث ابن عمر المسوق في هذا الباب ولفظه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين .

وفي حديث ابن مسعود عند أحمد بإسناد حسن والطبراني في الكبير قلت يا رسول الله أي الظلم أظلم ؟ فقال أذراع من الأرض ينقصها المرء المسلم من حق أخيه فليس حصاة من الأرض يأخذها إلا طوقها يوم القيامة إلى قعر الأرض ولا يعلم قعرها إلا الله الذي خلقها أو المراد بالتطوق الاتم فيكون الظلم لازما في عنقه لزوم الاتم في عنقه ومنه قوله تعالى الزمناه طائره في عنقه . وفي هذا تحديد عظيم للغاصب خصوصا ما يفعله بعضهم من بناء المدارس والربط ونحوهما مما يظنون به القرب وغصب الآلات واستعمال العمل ظلما وعلى تقدير أن يعطى فأنما يعطى من المال الحرام الذي أكسبه ظلما الذي لم يقل أحد يجوز أخذه فيزداد هذا الظالم بإرادته الخير على زعمه من الله بعد أن سمع هذا الظالم قوله **﴿من ظلم من الأرض شيئا طوقه من سبع أرضين﴾** وقوله **﴿فيما يزوي بمن ربه ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي العهد ثم غدر ورجل باع حرا وأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه عمله ولم يعط أجره رواه البخاري﴾**

﴿وخرج أحمد وابن حبان والطبراني﴾ **﴿عن يعلى بن مرة﴾** بضم الميم وتشديد الراء بإسناد جيد **﴿أيما رجل ظلم شبرا من الأرض﴾** أو أقل من شبر فقد ورد الوعيد على الحصاة **﴿كلفه الله أن يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين ثم يطوقه﴾** بالبناء للمفعول **﴿يوم القيامة﴾** أي يكون كالطوق في عنقه بعد أن يطوله الله تعالى **﴿حتى يقضى بين الناس﴾** قال المناوي ثم يصير إلى الجنة أو النار بحسب إرادة الغفار وفيه أن الغصب كبيرة انتهى . وهذا إن لم يحصل عفو من المغضوب منه ولم يفعل الغاصب ما يكفر التبعات وفي حديث أبي مالك الأشعري عند ابن أبي شيبه بإسناد حسن أعظم القلول عند الله يوم القيامة ذراع أرض يسرقه رجل فيطوقه من سبع أرضين . ﴿وخرج أحمد والطبراني من أخذ شيئا﴾ قل أو كثر **﴿من الأرض بغير حقه طوقه﴾** أي يوم القيامة **﴿من سبع أرضين﴾** وفي حديث ابن عمر خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين فتصير له كالطوق في عنقه بعد أن يطوله الله كما تقدم أو أن هذه الصفات تنوع لصاحب هذه الجناية على حسب قوة التفسدة وضعفها فيعذب بعضهم بهذا **﴿لا يقبل منه صرف﴾** أي فرض **﴿ولا عدل﴾** أي نقل

والدليمي عن حذيفة الظلمة وأعوانهم في النار * وأبو داود من حمى مؤمنا من منافق آذاه بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم الحديث *

وفي الحديث امكان غصب الأرض خلافا لأبي حنيفة وأبي يوسف قالوا الغصب لا يتحقق الا فيما ينقل ويحول لأن ازالة اليد بالنقل ولا نقل في العقار واذا غصب عقارا فهلك في يده لم يضمنه . وقال محمد : يضمنه وهو قول أبي يوسف الأول وبه قال الشافعي لتحقيق اثبات اليد ومن ضرورته زوال يد المالك لاستحالة اجتماع الدين على محل واحد في حالة واحدة فيتحقق الوصفان وهو الغصب فصار كالمنتقل ويجوز الودعة ولهما معنى لأبي حنيفة وأبي يوسف أن الغصب اثبات اليد بازالة يد المالك بفعل في العين وهذا لا يتصور في العقار لأن يد المالك لا تزول الا باخراجه عنها وهو فعل فيه لا في العقار قاله في الهداية واستدل لهما في الاختيار المختار بحديث من ظلم من الأرض شيئا طوقه من سبع أرضين لأنه عليه الصلاة والسلام ذكر الجزاء في غصب العقار ولم يذكر الضمان ولو وجب لذكره وصورا المسئلة بما اذا سكن دار غيره بغير اذنه ثم خربت أما اذا هدم البناء وحفر الأرض فيضمن لأنه وجد منه النقل والتحويل فانه اتلاف ويضمن بالاتلاف ما لا يضمن بالغصب والعقار يضمن بالاتلاف وان لم يضمن بالغصب ولأنه تصرف في العين انتهى .

ومن فوائد الحديث المذكور ما قاله ابن المنير ان فيه دليلا على أن الحكر اذا تعلق بظاهر الأرض تعلق بباطنها الى الخوم فمن ملك ظاهر الأرض ملك بباطنها من حجارة وأبنية ومعادن ومن حبس أرضا مسجدا أو غيره تعلق التحيس بباطنها حتى لو أراد انام المسجد أن يحضر تحت أرض المسجد ويبنى مطاير تكون أبوابها الى جانب المسجد تحت مصطبة له أو نحوها أو جعل المطاير حوائت ومحازن لم يكن له ذلك لأن باطن الأرض تعلق به الحبس كظاهرها فكما لا يجوز اتخاذ قطعة من المسجد حائوتا كذلك لا يجوز ذلك في باطنه ذكره بعض شرح البخاري .

﴿وخرج﴾ الدليمي عن حذيفة ﴿بإسناد ضعيف﴾ الظلمة ﴿أي من يصل ظلمهم للعباد﴾ وأعوانهم في النار ﴿ثم يؤل أمرهم الى الجنة ان ماتوا على الاسلام﴾ ﴿وخرج﴾ أبو داود ﴿في سننه فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن اسماء بن عبيد حدثنا ابن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن سليمان عن اسمعيل بن يحيى المعافري عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي ﷺ قال ﴿من حمى مؤمنا من منافق آذاه﴾ أي أراه ﴿بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم الحديث﴾ أي اقرأ الحديث الى تمامه وهو قوله ومن رمى مسلما بشيء يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج بما قال .

وأخرج أبو داود أيضا من مسلم يخذل امرءا مسلما في موضع تنتهك فيه حرمة وينتقص فيه من عرضه الاخذ له الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ مسلم ينصر امرءا مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه حرمة الا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته . وأخرج أبو الشيخ ابن حبان أمر بعبد من عباد الله تعالى يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله ويدعو حتى صارت جلدة واحدة استلاء في قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه وأفاق قال علام جلده تموني قالوا انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره . وأخرج أبو الشيخ أيضا قال الله عز وجل وعزتي وجلال لا تمنعن من الظالم في عاجله وآجله ولا تمنعن ممن رأى مظلوما يقدّر أن ينصره فلم يفعل . وأخرج البخاري والترمذي : انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يا رسول الله انصر اذا كان مظلوما أفرأيت ان كان ظالما كيف أنصره ؟ قال تحجره أو تمنعه عن الظلم فان ذلك نصره . وأخرج مسلم ولنصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما ان كان ظالما فلينه فانه له نصره فان كان مظلوما فليقصره .

والخطيب عن علي رضي الله عنه اتق دعوة المظلوم فإنا يسأل الله تعالى حقه

﴿ وأخرج الخطيب عن علي رضي الله عنه اتق يا علي كما هو ثابت في رواية مخرجه الخطيب ﴾ دعوة ﴿ بفتح الدال المرة من الدعاء أي تجنب دعاء المظلوم ﴾ أي تجنب الظلم فأقام المسبب مقام السبب قال الحنفى وقد ورد أن الله تعالى لما خلق الملائكة رفعت أبصارها وقالت مع من أنت يا رب ؟ فقال مع المظلوم حتى أخذ بيده ﴿ فإنا يسأل الله تعالى حقه ﴾ فاعل يسأل ضمير يعود على المظلوم ﴿ وإن الله تعالى لا يمنع ذا حق ﴾ أي صاحب حق وفي رواية لم يمنع ﴿ حقه ﴾ لأنه الحاكم العادل ، نعم ورد في حديث أنه تعالى يرضى بعض خصوم بعض عباده بما شاء ،

وأخرج الشيخان وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لم أذلا بعثه إلى اليمن اتق دعوة المظلوم فإنا لنسأل الله بها حجاب وأخرج الترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حزيمة وحبان في صحيحهما ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي لأنصرك ولو بعد حين . وأخرج البراز ثلاثة حق على الله أن لا يرد لهم دعوة الصائم حتى يفطر والمظلوم حتى يتضرر والمسافر حتى يرجع . وأخرج الترمذى وحسنه ثلاث دعوات لا شك في اجابتهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد وأخرج الحاكم وقال رواه متفق على الاحتجاج بهم إلا عاصم بن كليب فاحتج به مسلم وحده اتقوا دعوة المظلوم فإنا تباعد إلى السماء كأنها شرارة . وأخرج الطبراني بسند صحيح ثلاثة تستجاب دعوتهم الوالد والمسافر والمظلوم . وأخرج الطبراني بسند له شواهد كثيرة دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب دعوة المظلوم ودعوة المرء لأخيه يظهر الغيب . وأخرج الطبراني بسند لا بأس به في المناجات : اتقوا دعوة المظلوم فإنا نحمل على الغمام يقول الله عز وجل وعزتي ولولا أن لا تبطلوا دعوات المؤمنين لأبطلوا دعوات آل فرعون ولولا أن لا تبطلوا دعوات المؤمنين لأبطلوا دعوات آل فرعون . وأخرج أحمد بسند رجاله محتج بهم إلا واحدا قال المنذرى لم أيق فيه على جرح ولا تعديل دعوة المظلوم ولو كان كافرا ليس دونها حجاب . وأخرج الطبراني في الصغير والأوسط : يقول أشد غضبي على من ظلم من لا يجده له ناصرا غيري وأخرج مسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير إلى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله .

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم عليه السلام قال كانت أمثالا لكلما أنها الملك الميسل المبتلى المغرور لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أرد لها وإن كانت من كافر وعلى العاقل لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله وساعة يخلق فيها الحاجة من الطعام والمشرب وعلى العاقل أن لا يكون ظاهرا إلا لثلاث تزود لمعاد أو مزمة لمعاش ولذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من علمه قل كلامه إلا فيما يعنيه قلت يا رسول الله فما كانت مصحف موسى عليه السلام ؟ قال كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف هو أو ثم يفرح عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك عجبت لمن أيقن بالقدار ثم هو ينصب عجبت لمن يرى الدنيا وتقبلها بأهلها ثم اطمأن إليها عجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل قلت يا رسول الله ودي قال إياك وكثرة الضحك فإنه يميم القلوب ويذهب بنور الوجه قلت يا رسول الله زدني قال عليك بالجهاد فإنه رهبة أمتي قلت يا رسول الله زدني قال أحب المساكين وحلمهم قلت يا رسول الله زدني قال انظر إلى من تحك ولا تنظر إلى من فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك قلت يا رسول الله زدني قال قل الحق وإن كان مرا قلت يا رسول الله زدني قال ليردك

ولن الله لا يمنع ذا حق حقه * والطياييسي عن أبي هريرة رضي الله عنه دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرا فنجوره على نفسه
 (وروي) عن عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر العباد يوم القيامة خفاة عزاء غرلا يناديهم مناد بصوت
 يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان الذي لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة
 حتى اللطمة فما فوقها ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحدا

عن الناس ما تعرف من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتي وكلى عيا أن تعرف من الناس ما تجهل من نفسك أو تجد عليهم فيما تأتي ثم
 ضرب يده على صدرى فقال يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالركف ولا حسب كحسن الخلق رواه ابن حبان في صحيحه واللفظ له
 والحاكم وقال صحيح الإسناد قال الحافظ المنذير عقب ذكره هذا الحديث انفراد به إبراهيم بن هشام بن يحيى الفسائي عن أبيه وهو حديث
 طويل ورواه الحاكم أيضا من طريقه والبيهقي كلاهما عن يحيى بن سعيد السدي البصري حدثنا عبد الملك بن جريج عن عطاء عن عبيد
 بن عمير عن أبي ذر بنحوه ويحيى بن سعيد فيه كلام والحديث منكر من هذه الطريق وحديث إبراهيم بن هشام هو المشهور

(و) أخرج أبو داود (الطياييسي عن أبي هريرة) ورواه عنه أحمد وإسناده حسن (دعوة المظلوم) على من ظلمه
 مستجابة وإن كان فاجرا فنجوره على نفسه لأنه مضطر ملجئ إلى ربه فهو مجيب المضطر إذا دعاه قال الحنفى قوله فاجرا أى كافرا
 أو فاضلا فينبغي التوقى عن الظلم وإذا لم يستجب للمظلوم فينبغي له أن يضيف النقص لنفسه ككونه لم يخلص أو مستحق ما وقع به من
 الظلم انتقاما من الله تعالى .

(وروي عن عبد الله بن أنس) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر العباد يوم القيامة خفاة يضم المهلة وتخفيف
 القاء بلاخف ولا نعل (عزاة) يضم العين المهلة وهذا ظاهره يعارض حديث أبي سعيد المروى عن أبي داود وصححه ابن حبان أنه
 لما حضرة الموت دعا بشباب جديد فلبسها وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها لكن جمع بينهما بأنهم
 يخرجون من القبور بأثوابهم التي دفنوا فيها ثم تتأثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عزاة وحمله بعضهم على الفعل كقوله تعالى ولباس
 التقوى (غرلا) يضم المعجنة وسكون الراء جمع اغرل وهو الأقلف والغرلة القلفة وهو ما يقطع من فرج الذكر قال أبو هلال العسكري
 لا تلتقى اللام مع الراء في كلمة الا في أربع الأول اسم جبل وورل اسم حيوان وحمل ضرب من الحجارة والغرلة وزاد غيره هرل ولد الزوجة
 ويرل الديك الذي يستدير بعنقه (بهما) بالضم أى ليس بهم شيء مما كان في الدنيا نحو البرص والمرض كذا ذكره صاحب القاموس
 (فيناديه مناد) من الملائكة بأمر الله تعالى كما أفاده شيخ الاسلام (بصوت يسمعه) أى الصوت (من بعد كما يسمعه من قرب) فيه
 خرق العادة اذ في سائر الأصوات تغادت ظاهرين القرب والبعيد (أنا الملك) ذو الملك أنا (الديان) أى لا مالك الا أنا ولا يجازى الا أنا
 قال الحلبي هو مأخوذ من قوله تعالى ملك يوم الدين وهو الحاسب الجازى لا يضيع عمل عامل . وقال صاحب الكواكب واختار
 هذا اللفظ لأن فيه إشارة إلى الصفات السبعة : الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام تمكن المجازاة على الكميات
 والجزئيات قولاً وفعل (الذي لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة) حتى اقتصه منه (حتى
 اللطمة) بالفتح المرة أى الضربة بباطن الكف (فما فوقها ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة) حتى اقتصه منه
 (حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحدا قلنا يا رسول الله كيف) نرد تلك المظلمة إلى أصحابها (وانما تأتي الله خفاة عزاة) غرلا
 بها (قال) (بالحسنات والسيئات جزاء) وفاقا (ولا يظلم ربك أحدا) رواه أحمد بإسناد حسن ورواه أيضا أبو يعلى

قلنا يا رسول الله كيف وإنما تأتي الله خفاء عراة قال بالحسنات والسيئات جزاء ولا يظلم ربك أحدا * وعن ابن عباس قال يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينادى به على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه قال فتفرج المرأة أن يكون لها حق على ابنها أو أخيها ثم قرأ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون

والخفاف في مساوي الأخلاق والطبراني في الكبير وغيرهم وعبد الله بن أنيس جهني من أنصار فلذلك يقال الأنصارى توفي بالشام سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية رضي الله عنه ودفن في جربة قال ابن يونس صلى إلى القبلتين وخرج إلى إفريقية وحديثه هذا في القصاص هو الذي رحل له جابر بن عبد الله لسماعه منه إلى مصر رواه أحمد وغيره من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال بلغني حديث في القصاص وصاحبه بمصر فرحلت إليه مسيرة شهر فذكره وقال البخاري في كتاب العلم من صحيحه ورحل جابر إلى عبد الله بن أنيس مسيرة شهر وقال في كتاب التوحيد ويذكر عن عبد الله بن أنيس فذكر طرفا من الحديث قال الخطيب ورواه عبد الوارث بن سعيد عن القاسم بن عبد الواحد أخبرنا علي بن أحمد بن عمر المقرئ أخبرنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي حدثنا معاذ بن المنشى حدثنا مسدد حدثنا عبد الوارث عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشترت بعيرا فشددت عليه رحلائه سرت إليه شهرا حتى قدمت مصر قال فخرج إلى غلام أسود فقلت استأذن علي فلان قال فدخل فقال ان أعربا بالباب يستأذن فأخرج فخرج إليه فقال له من أنت ؟ قال فقال له أخبره أني جابر بن عبد الله قال فخرج إليه فالتزم كل واحد منهما صاحبه قال فقال ما جاء بك ؟ قال حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص ما أعلم أن أحدا يحفظه غيرك فأحببت أن تذاكره قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان يوم القيامة حشر الله عباده عراة غولا يهيا فيناديهم بصوت يسمعه من بعد منهم كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان لا تظالموا اليوم لا ينبغي لأحد فشاقة وفيه قالوا يا رسول الله كيف وإنما تأتي الله عراة غولا بهما قال من الحسنات والسيئات وروى عن أبي جارود العباسي أن جابر بن عبد الله قال بلغني حديث في القصاص وكان صاحب الحديث بمصر فاشترت بعيرا وشددت عليه رحلائه سرت شهرا حتى وردت مصر فسألت عن صاحب الحديث فدللت عليه فإذا هو باب لأطع ففرعت الباب فخرج إلى مملوك له أسود فقلت ههنا أبو فلان فسكت عني فدخل فقال لمولاه بالباب أعرابي يطلبك فقال اذهب فقل له من أنت ؟ فقلت جابر بن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرج إلى فرحب بن وأخذ يدي فلت حديث في القصاص لا أعلم أحدا ممن بقي احتفظ له منك فقال أجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعشكم يوم القيامة خفاء عراة غولا وهو تعالى على عرشه ينادي بصوت له رفيع غير فضيع يسمع البعيد كما يسمع القريب يقول أنا الديان لا ظلم عندى وعزتى لا يجاوزنى اليوم ظلم ظالم ولو لظلمة ولو ضرب يد على يد ولا تقص اللجاء من القرناء ولأسان الحجر لم تكب الحجر ولأسان العود لم خدش صاحبه في ذلك أنزل على في كتابه ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط الأتقرب أمتي العذاب إذا تكامأ الرجال بالرجال والنساء بالنساء .

«وعن» عبد الله «بن عباس» رضي الله عنهما وفي الزواجر عن ابن مسعود رضي الله عنه «قال: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينادى به على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه قال فتفرج المرأة أن يكون لها حق على ابنها أو أخيها ثم قرأ ابن عباس أو ابن مسعود قوله تعالى «فلا أنساب بينهم» أي لا يتأخرون بالأنساب «يومئذ» يوم القيامة كما كانوا يتأخرون في الدنيا «ولا يتساءلون» سؤال وأصل كما كانوا يتساءلون في الدنيا من أنت ومن أي قبيلة أنت ولم يرد أن الأنساب تنقطع فإن قلت قد

قال فيغفر الله من حقه ما يشاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئا فيقضى فينصب العبد للناس ثم يقول الله لأصحاب الحقوق اثنا إلى حقوقكم قال فيقول العبد يا رب فليت الدنيا فمن أين أوتيتهم حقوقهم فيقول الله للملائكة خذوا من حسناته فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر طلبه فإن كان وليا لله وفضل له متقال ذرة ضاعفها الله حتى يدخل الجنة بها وإن كان عبدا شقيا ولم يفضل له شيء فيقول الملائكة ربنا فليت حسناته وبقي طالبون فيقول الله خذوا من سيئاتهم فأضيفوه إلى سيئاته ثم صكوا له صكا إلى النار ﴿وَحَكِي﴾ اليا فمعي عن بكر صاحب الشبلي قال ههنا ولا يتساءلون وقال في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قلت قال ابن عباس رضي الله عنهما إن للقيامة أحوالا ومواطن ففي موطن يشد عليهم الخوف فيشغلهم عظيم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يفتنون أفاقه فيتساءلون ﴿قال فيغفر الله من حقه ما يشاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئا فيقضى فينصب العبد للناس ثم يقول الله﴾ عز وجل ﴿لأصحاب الحقوق اثنا إلى حقوقكم قال فيقول العبد يا رب فليت الدنيا فمن أين أوتيتهم حقوقهم فيقول الله للملائكة خذوا من حسناته﴾ وفي رواية من أعماله الصالحة ﴿فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر طلبه فإن كان﴾ عبدا ﴿ولم يفضل له شيء﴾ من تلك الحسنات ﴿فيقول الملائكة﴾ ربنا فليت حسناته وبقي طالبون فيقول الله : خذوا من سيئاتهم فأضيفوه إلى سيئاته ثم صكوا ﴿أى اضرخوا﴾ له صكا إلى النار ﴿في المصباح وصكه صكا اذا ضرب قفاه ووجهه يده مبسوطة .

ويؤيد ذلك الخبر السابق : أنه روى من المفلس فذكر ﴿ان المفلس من أمته من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتي وقد شتم هذا وأخذ مال هذا فأخذ من حسناته وهذا من حسناته فان فليت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة بالمغفرة إليه أسرع ومن اجتمعت إليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليخف ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقر به ذلك الى الله تعالى فينال به لطفه الذي ادخره لأحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رايناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر : ما يضحك يا رسول الله ﷺ بأبي أنت وأمي قال : رجلان من أمتي جسيان يدي رب العزة فقال أحدهما : يا رب خذني مظلمتي من أخوتي فقال الله تعالى : أعط أخاك مظلمته فقال : يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى لطالب : كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء قال : يا رب يحمل عني من أوزاري قال : وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال : ان ذلك يوم عظيم يوم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال : فقال الله للطالب : ارفع رأسك فانظري الجنان فرفع رأسه فقال : يا رب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكحلة باللؤلؤ لأبي بني هذا أولي صديق هذا أولي شهيد هذا قال : لمن أعطاني الثمن قال : يا رب ومن يملك ثمنه ؟ قال : أنت تملكه قال : وما هو ؟ قال : عفوك عن أخيك قال : اني يا رب قد عفوت عنه قال الله تعالى : خذ بيد أخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين .

﴿وَحَكِي﴾ الشيخ الامام أبو محمد عبد الله بن اسعد ﴿اليا فمعي﴾ اليمن الشافعي في روضه رحمه الله تعالى ﴿عن بكر صاحب﴾ الشيخ أبي بكر دلف بن جحدر ﴿الشبلي﴾ بغدادى المولد وأصله من اسر وشنة صاحب الجند ومن في عصره وكان

قال لما حضرت الوفاة الشبلي قال علي درهم مظلمة تصدقت عنه بألوف فما على شيء أعظم منه ﴿وحكى﴾ أيضا عن عمرو بن دينار قال كان رجل من بني إسرائيل على ساحل البحر فرأى رجلا وهو ينادي بأعلى صوته ألا من رآني فلا يظلمن أحدا قال فدنا منه وقال يا عبد الله ما خبرك فقال أعلم أني كنت رجلا شرطيا فجئت يوما إلى هذا الساحل فرأيت صيادا قد صاد سمكة فسأله أن يهبها فني فسأله أن يبيعها فني فأبى ففرضت رأسه بسوطي وأخذتها منه فهرا ومضت بها قال فبينما أنا أمشي بها حاملها إذ عضت علي إبهامي فرمت أن أخلص إبهامي منها فلم أقدر فجئت إلى عيالي فعالجوا أن يخلصوا إبهامي منها فلم يقدروا إلا بعد تعب شديد وقيل إنها تعلقت بإبهامه عند ما قدمت إليه ليأكلها قال فأصبح إبهامي قد ورم وانتفخ ثم انتفخت فيه عيون من آثار أنياب السمكة

شيخ وقته حالا وظرفا وعلما مالكي المذهب وكانت مجاهداته في بدايته فوق الجدة قال القشيري: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا العباس البغدادى يقول: كان الشبلي رحمه الله يقول في آخر أيامه:

وكم من موضع لومت فيه  لكنت به نكالا في العشي

وكان الشبلي إذا دخل شهر رمضان جد فوق جد من عاصره ويقول: هذا شهر عظمه ربى فانا أول من يعظمه سمعت الأستاذ أبي حنبل يحكى ذلك عنه، وقال بكبر وجد الشبلي رضى الله عنه في يوم جمعة ختم من وجع كان فيه واتكا على يدي حتى اتهمنا إلى الواقفين فلقنا رجل جاء من الرصافة فقال الشبلي: سيكون لي غدا مع هذا الشيخ شأن قال: فلما كان الليل مات الشبلي رحمه الله تعالى وقيل لي في ذلك السنين شيخ صالح يغسل الموتى فدلوني عليه ففتحت الباب تقرا خفيقا وقلت: سلام عليكم فقال: مات الشبلي فقلت: نعم وخرج إلى وظيفه الشيخ الذي أشار إليه الشبلي فقلت له: لا اله إلا الله تعجبا فقال: لا اله إلا الله تعجب لماذا قلت قال لي الشبلي أنس لما لم يظلمه سيكون لي غدا مع الشيخ شأن فحق معبودك من أين لك أن الشبلي قد مات؟ قال: يا أبله ضمن أن الشبلي الله يكون له معنى شأن اليوم رضى الله عنهما ﴿قال﴾ و﴿لما حضرت الوفاة الشبلي قال علي درهم مظلمة﴾ وقد تصدقت عنه بألوف فما على شيء أعظم منه ﴿شيء أعظم منه﴾ وعاش رحمه الله سبعا وثمانين سنة ومات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وبقبره ببغداد، ﴿وحكى﴾ أياقنى رحمه الله تعالى ﴿أيضا﴾ أني كنا حكي ما تقدم ﴿عن عمرو بن دينار﴾ رحمه الله تعالى ﴿قال﴾ كان رجل من بني إسرائيل على ساحل البحر أي طرفه ﴿فرأى رجلا وهو ينادي بأعلى صوته: ألا من رآني فلا يظلمن أحدا قال﴾ ابن دينار ﴿فدنا﴾ أي الرجل الراى ﴿منه﴾ أي من المنادى ﴿وقال﴾ له ﴿يا عبد الله ما خبرك؟﴾ فقال: أعلم أني كنت رجلا شرطيا قال الفيوس: والشرطة بالسكون والفتح الحند والجمع شرط مثل رطب والشرط على لفظ الجمع أعوان السلطان لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها للأعداء الواحد شرطة مثل غرف جمع غرفة وإذا نسب إلى هذا قيل شرطى بالسكون ردا إلى واحد ﴿فجئت يوما إلى هذا الساحل فرأيت صيادا قد صاد سمكة﴾ كبره ﴿فسأله أن يهبها﴾ أي تلك السمكة ﴿فني﴾ أي لي ﴿فأبى﴾ أي امتنع ذلك ﴿فسأله أن يبيعها فني فأبى ففرضت رأسه بسوطي وأخذتها منه﴾ أي الصياد ﴿فهرا ومضت بها﴾ في يدي معلقة ﴿قال فبينما أنا أمشي بها حاملها إذ عضت السمكة علي إبهامي﴾ عضه قوية ﴿فرمت أن أخلص إبهامي منها فلم أقدر فجئت إلى عيالي فعالجوا أن يخلصوا إبهامي منها فلم يقدروا إلا بعد تعب شديد وقيل انها تعلقت بإبهامه عند ما قدمت إليه ليأكلها قال﴾ الرجل ﴿فأصبح﴾ أي صار ﴿إبهامي قد ورم﴾ أي أصابه الورم يقال ورم يرم بكسر هاء ورم وهو تفلظه من مرض به وجمع الورم أورام ﴿وانتفخ ثم انتفخت فيه﴾ أي في إبهامي ﴿عيون من آثار أنياب السمكة﴾ والآب جمع ناب وهو الذي يلي الرباعيات قال ابن سينا: ولا يجتمع في حيوان

فذهبت إلى طيب محسن فلما نظر إلى إيهامي قال هذا أكلة بلا شك وإن لم تقطع إيهامك هلكك فقطعت إيهامي ثم ضربت على يدي فلم أطلق النوم ولا القرار من شدة الألم فقبل لي اقطع كفك فقطعتها وانتشر الألم إلى الساعد والمشي شديدا ولم أطلق القرار وجعلت أستغيث من شدة الألم فقبل لي اقطعها من المرفق فقطعتها وانتشر لي الألم إلى العضد وضربت على عضدي أشد من الأول فقبل لي اقطع يدك من كفك والا سرى إلى جسدك كله فقطعتها فقال لي بعض الناس ما سبب ألمك فذكرت له قصة السمكة فقال لو كتبت رجعت في أول ما أصابك الألم إلى صاحب السمكة فاستحللت منه واسترضيته ولا قطعت من أعضائك عضوا فاذهب إليه الآن واطلب رضاه قبل أن يصل الألم إلى بدنك قال فلم أزل أطلبه في البلد حتى وجدته فوقعت على رجليه أقبلهما وأبكي فقلت يا سيدي سألتك بالله الإغفوت عني فقال لي من أنت قلت أنا الذي أخذت منك السمكة غضبا وذكرت ما جرى على وأريته يدي فبكي حين رآها وقال يا أخي قد أخللتك منها لما قد رأيت بك من هذا البلاء

ناب وقرن معا ﴿فذهبت إلى طيب محسن فلما نظر﴾ الطيب ﴿إلى إيهامي﴾ قال: هذا أكلة بلا شك وإن لم تقطع إيهامك هلكك فقطعت إيهامي ثم ضربت ﴿على يدي﴾ فلم أطلق النوم ولا القرار من شدة الألم ﴿فجئت إلى الطيب﴾ فقبل لي: اقطع كفك. والا هلكك ﴿فقطعتها وانتشر الألم الساعد﴾ وفي نسخة إلى العضد وهو ما بين المرفق والكف وفيها خمس لغات وزان رجل ويصنعت في لغة الحجاز وقرأها الحسن في قوله تعالى: وما كنت متخذ المضلين عضدا ومثل كبد في لغة بني أسد ومثل فلس في لغة بني تميم ومكر والخامسة وزان قتل قال أبو زيد: أهل تهامة يؤثنون العضد وينو تميم يذكرونها والجمع أعضد وأعضاء مثل أفلس وأفتال وفلان عضدي أي يعتمد على الاستعارة ﴿والمشي شديدا ولم أطلق القرار وجعلت أستغيث من شدة الألم فقبل لي: اقطعها من المرفق فقطعتها فانتشر لي الألم إلى العضد وضربت﴾ أي تلك الآثار المؤلمة ﴿على عضدي﴾ ضربا ﴿أشد من الأول فقبل لي: اقطع يدك من كفك والا﴾ أي وإن لم تقطعها ﴿سرى﴾ الألم ﴿إلى جسدك كله فقطعتها فقال لي بعض الناس: ما سبب ألمك؟﴾ فذكرت له قصة السمكة فقال: لو كتبت رجعت في أول ما أصابك الألم إلى صاحب السمكة فاستحللت ﴿أي طلبت الإحلال لتلك السمكة﴾ منه واسترضيته ﴿أي طلب رضاه﴾ ولا قطعت من أعضائك عضوا فاذهب إليه ﴿أي إلى صاحب السمكة﴾ الآن واطلب رضاه قبل أن يصل الألم إلى بدنك قال الرجل ﴿فلم أزل أطلبه في البلد حتى وجدته فوقعت على رجليه أقبلهما﴾ أنا ﴿أبكي فقلت: يا سيدي سألتك بالله الإغفوت عني فقال لي: من أنت؟﴾ قلت أنا الذي أخذت منك السمكة غضبا وذكرت ﴿له﴾ ما جرى على ﴿من سرابنة الألم﴾ وأريته يدي فبكي حين رآها وقال يا أخي قد أخللتك منها لما قد رأيت بك من هذا البلاء

وعبارة روض الياضي فوق الداء في عضدي فلما رأيت ذلك خرجت من منزل هاربا فينما أنا أسير في البلد وأصبح كالهائم اذ رفعت لي شجرة عظيمة فأويت إلى ظلها فتعنت عند أصلها فأتاني آت في منام فقال لي: كم تقطع أعضاءك وترمي بها أربا أربا أرد الحق إلى أهله فانك تنجو قال: فانتبهت وعلمت الحق وأن ذلك من قبل الله عز وجل فأتيت الصياد فوجدته قد طرح شبكه فانظرته حتى أخرجها فاذا فيها سمك كبير فقلت: يا عبد الله أنا مملوك لك قال: ومن أنت يا ابن أخي؟ قلت: أنا الشرطي الذي ضربت رأسك بالسوط وأخذت السمكة منك وأريته يدي فلما رآها استعاذ من بلاء الله وسخطه وقال لي: أنت في حل فتناثر الدود من عضدي فلما هممت أن أصرف قال: قف ما كان مني هذا عدلا دعوت عليك في سمكة لا خطر لها فاستجيب لي فأخذ يدي وذهب بي إلى منزله فدعا ابنه فقال: احفر ههنا في هذه الزاوية فحفر فأخرج منها حرة فيها ثلاثون ألف درهم فأمر ابنه فعدل منها عشر آلاف

قلت يا سيدي سألتك بالله هل كتبت دعوت على لما أخذتها منك قال نعم قلت اللهم هذا يقوى على بقوته على ضعفى فأخذ منى ما رزقتني فأرني فيه قدرتك قلت قد أراك الله قدرته في وأنا نائب إلى الله عما كتبت عليه ﴿وحكى﴾ أيضا عن علي بن حرب قال خرجت أنا وبعض شباب الموصل إلى الشط فركبنا في زورق فلما بعدنا من البلد وتوسطنا البحر إذا سمكة كبيرة طفرت من الشط إلى وسط الزورق فقام الشباب ونزلوا إلى حافة الشط ليجمعوا حطباً يرسم السمكة فنزلت معهم فينما نحن نمشي على جانب الشط وإذا بالقرب منا خربة فذهبنا إليها ننظر آثارها وإذا فيها شاب مكثوف وآخر مذبح إلى جانبه وبغل واقف عليه قماش فقلنا للشباب ما قصتك وما هذا المذبح فقال إني كتبت مكثراً مع هذا المكاري صاحب هذا البغل فعدل بي إلى هذا المكان وكفني كما ترون وقال لا بد لي من قتلك فناشدته الله تعالى لا تظلمني ولا تريح إثمى ولا تعد منى روحى بل تأخذ القماش وأنت في حل منه وحلفت له بالله تعالى أني لأعلم به أحدا وما زلت أناأهده بالله تعالى وهو لا يفعل فمد يده إلى سكين كانت في وسطه يجذبها فتعسرت عليه أن يخرج من غلافها

وقال : استعن بها على زمانك واجبر بها بعض مصائبك ثم أمره فعدلى عشرة آلاف أخرى وقال : اجعلها في فقراء جيرانك وقرابك ﴿قلت﴾ أى فلما أردت أن أنصرف قلت له ﴿يا سيدي سألتك بالله﴾ أخبرني ﴿هل كتبت دعوت على لما أخذتها﴾ أى تلك السمكة ﴿منك قال نعم﴾ دعوت عليك لما ضربت رأسى وأخذت السمكة متى نظرت إلى السماء وبكيت و﴿قلت : اللهم هذا﴾ الشرطى ﴿يقوى على بقوته على ضعفى﴾ أى مع ضعفى ﴿فأخذ منى ما رزقتني﴾ من السمكة ﴿فأرني فيه قدرتك﴾ وفي الروض المذكور يارب خلقتنى وخلقتة وجعلته قويا وجعلتنى ضعيفا ثم سلطته على فلا أنت منعه من ظلمى ولا أنت جعلتنى قويا أمتنع من ظلمه فأسألك بالقدرة التي بها خلقتة وجعلته قويا وجعلتنى ضعيفا أن تجعله غير خلاقك ﴿قلت : قد أراك الله قدرته في وأنا نائب إلى الله عما كتبت عليه﴾ من الظلم .

﴿وحكى﴾ الياقنى رحمه الله ﴿أيضا﴾ أى كما تقدم ﴿عن علي بن حرب﴾ رحمه الله تعالى ﴿قال : خرجت أنا وبعض شباب الموصل﴾ بوزن مسجد وهو البلد المعروف على دجلة من الجانب الغربى ﴿إلى الشط﴾ أى جانب البحر ﴿فركبنا في زورق﴾ أى سفينة صغيرة وهو المسمى بالسنبوك ﴿فلما بعدنا من البلد وتوسطنا البحر إذا سمكة كبيرة طفرت﴾ هكذا في الروض وفي بعض نسخ هذا الكتاب طفرت من الظفر وهو الوثوب في ارتفاع كما يظفر الإنسان الحائط إلى ما وراءه قاله الأزهرى وغيره ﴿من الشط إلى وسط الزورق﴾ فقام الشباب ونزلوا إلى حافة الشط ليجمعوا حطباً يرسم السمكة فنزلت معهم فينما نحن نمشي على جانب الشط وإذا بالقرب منا خربة فذهبنا إليها ننظر ﴿آثارها وإذا فيها﴾ في تلك الخربة ﴿شاب مكثوف﴾ أى مشدود يده إلى خلف كفيه موثقاً بجبل ونحوه ﴿وشخص﴾ آخر مذبح إلى جانبه ﴿أى المكثوف﴾ وبغل واقف عليه قماش ﴿في المختار وقماش البيت ماعه﴾ فقلنا للشباب : ما قصتك وما هذا المذبح ؟ فقال الشاب المكثوف إني كتبت مكثراً مع هذا المكاري صاحب هذا البغل فعدل بي إلى مال المكاري عن صوب المقصود ﴿بنى إلى هذا المكان﴾ الحرب ﴿وكفني كما ترون وقال﴾ المكاري ﴿لا بد لي من قتلك فناشدته الله تعالى﴾ أى سأله بالله وعاهدته به ﴿لا تظلمنى ولا تريح إثمى ولا تعد منى روحى بل تأخذ القماش وأنت في حل منه وحلفت له بالله تعالى أني لأعلم به﴾ أى بأخذ القماش ﴿أحدا وما زلت أناأهده بالله تعالى وهو لا يفعل﴾ ما سأله ولا يسمع ما أقول له ﴿فمد يده إلى سكين﴾ وهو معروف سمي بذلك لأنه يسكن حركة المذبح وحكى ابن الأنبارى فيه التذكير والتأنيث ﴿كانت في وسطه يجذبها فتعسرت عليه أن يخرج من غلافها﴾ بكسر الغين جمع غلف ككتاب وكتب ﴿فما زال﴾ هذا المكاري

فما زال يجذبها إلى أن خرجت بصعوبة فما أخطأت حلقه فذبحته فهو كما ترون وأنا على حالتي هذه قال فحللنا كفافه وأعطيناه البغل والقماش وراح وعدنا إلى الزورق فلما صعدنا طمرت السمكة إلى الشط

﴿ يجذبها ﴾ من باب ضرب ﴿ إلى أن خرجت بصعوبة فما أخطأت ﴾ أي جاوزت ﴿ حلقه فذبحته فهو ﴾ مذبوح ﴿ كما ترون وأنا على حالتي هذه ﴾ أي الحالة المرئية ﴿ قال ﴾ ابن حرب ﴿ فحللنا كفافه وأعطيناه البغل والقماش وراح ﴾ أي ذهب إلى مقصوده ﴿ وعدنا إلى الزورق فلما صعدنا ظهرت السمكة إلى الشط ﴾ هكذا في الروض وفي بعض النسخ طمرت فذلك أعجب ما رأيت وسمعت سبحانه اللطيف الخبير .

وحكى الياقبي أيضا عن بعض الصالحين رحمه الله تعالى قال : بينما أنا أطوف بالكعبة إذا بحارية على كفها طفل صغير ومي تنادي يا كريم عهدك القديم قال : فقلت لها : ما هذا العهد الذي بينك وبينه قالت : ركبت في سفينة ومعنا قوم من التجار فقصنت بنا راح ففرقت السفينة وجميع من فيها ولم ينج منهم أحد غيى وهذا الطفل في حجرى على لوح ورجل أسود على لوح آخر فلما أضاء الصبح نظر الأسود إلى وجعل يدفع الماء بيديه حتى لصق بي واستوى معنا اللوح وجعل يراودنى عن نفسى فقلت : يا عبد الله أما تخاف الله تعالى نحن في بلية لا نرجو الخلاص منها بطاعته فكيف بمعصيته فقال : دعنى هذا فوالله لا بدلى من هذا الأمر قالت : وكان هذا الطفل ثامنا في حجرى فقصته قرصة فاستعظ وبكى فقلت له : يا عبد الله دعنى أثوم هذا ويكون من الأمر ما قد رآه الله علينا فعد الأسود يده إلى الطفل ورمى به في البحر فرمقت السماء بطرفى فقلت : يا من يحول بين المرء وقلبه حل بينى وبين هذا الأسود بحولك وقوتك أنك على كل شيء قدير ، فوالله ما استوعبت الكلمات حتى ظهرت دابة من دواب البحر فتحت فاهها والتقت الأسود وغاصت به في البحر وعصمنى الله منه بحوله وقوته وهو القادر على ما يشاء سبحانه وتعالى قالت : وما زالت الأمواج تدفعنى حتى رمتنى إلى جزيرة من جزائر البحر فقلت في نفسى : أكل من بقلها وأشرب من مائها حتى يأتى الله بأمره فلا فرج لى إلا منه فمكثت أربعة أيام فلما كان في اليوم الخامس لاحت لى سفينة في البحر على بعد فعلوت على تل وأشرت اليهم بثوب كان على فخرج إلى منهم ثلاثة نفر في زورق فركبت معهم فلما دخلت السفينة الكبرى إذا بالطفل الذي رمى به الأسود في البحر عند رجل منهم فلما أتمالك أن رميت عليه وقبلت بين عينيه وقلت : هذا والله ولدى وقطعة من كبدي فقال لى أهل السفينة : مجنونة أنت أم اختل عقلك ؟ ، والله ما أنا بمجنونة ولا اختل عقلى ولكن جرى من الأمر ما هو كذا وكذا وذكرت لهم القصة إلى آخرها فلما سمعوا منى ذلك أطرقوا رؤسهم وقالوا : يا جارية قد أخبرتنا بأمر تعجبنا منه ونحن أيضا نخبرك بأمر تعجبنا منه : بينما نحن نبحر بريح طيبة إذا بدابة قد اعترضتنا ووقفت أما منا وهذا الطفل على ظهرها وإذا مناد ينادى : ان لم تأخذوا هذا الطفل من ظهرها هلكم فصعد واحد منا على ظهرها وأخذ الطفل فلما دخل به في السفينة غاصت الدابة في البحر وقد تعجبنا من هذا وما أخبرتنا به وعاهدنا الله تعالى أن لا يرانا على معصية بعد هذا اليوم قالت : فتأبوا عن آخرهم فسبحان الله اللطيف الخبير جميل القوائد سبحانه مدرك الملهوف عند الشدائد وفي هذا المعنى أقول :

يا مدمر كما يسرع اللطف والفرج ✨ عند الشدائد للملهوف ذى الحرج

كلحة الطرف بل أدنى ثبث ولو ✨ في قعر بحر وجوف الحوت في اللهب

عوائد منك يا زحمن جارية ✨ على جميل بذى معرفك البهيج

عودتنا ما وكد عودت من نعم ✨ وكد بغوثك بعد البؤس مبهيج

﴿وحكى﴾ أيضا أن امرأة إسرائيلية كان لها دار بجوار قصر الملك وكانت تشين القصر وكلما رام الملك منها أن تباع الدار أتت أن تباع منه

فاخير منك نراه غير منقطع ✽ والشر لسنا نراه غير منفرج
لك الحمد يا محمودا أجمعها ✽ هدينا دين حق غير ذي عوج
يا أحمد المجتبي صلى الله عليه وسلم ✽ بدر الدجاء مع نجوم بعده مسرج

حكى الياقبي أيضا أنه كان في الكوفة رجل مكارم به التجار ويأمنونه على أموالهم فسافر وحده في وقت فلما خرج من
العمران لقيه في الطريق رجل فقال له: أين تريد؟ قال المكارى: أريد بلد كذا وكذا فقال له الرجل: لولا قلة قدرة على المشى لكنت
رفيقتك اليها لكن ان شئت أعطيتك دينارا على أن تحملني إليها على دابتك فقال له المكارى: أفعل فاخرج له دينارا فأخذه وحمله على
دابته فلما صار في بعض الطريق عرض لهما طريقان فقال الراكب لصاحب الدابة: أي الطريق تأخذ؟ قال: الزم الحادة فقال له الراكب
: أليس هذا الطريق أقصر وأخصب لدابتك قال صاحب الدابة: ما سلكتهما قط قال له الرجل: أنا سلكتهما مرارا كثيرة قال: فسر حيث
شئت فسار ساعة من النهار حتى دقت تلك الطريق ورمتهم الرواد موحش فيه جيف القتلى كثيرة فقال صاحب الدابة: أرى هذا
الطريق قد انقطع فنزل الرجل عن الدابة وأخرج سكينه وقصد المكارى ليقطعه فقال له: لا تفعل ودونك البغل بما عليه قال: لا والله لا أخذ
البغل حتى أقتلك فقال له: سألتك بالله العظيم أن تركنني وأخذت البغل بما عليه فقال: لا بد من قتلك إلا أن يسبقني ملك الموت قال:
فدعني أختم عملي بركعتين ولا تعجل فضحك من كلامه وقال: قم فافعل فانه فعل مثل ذلك كل من يرى من الجيف في هذا الوادي فنا
تعتهم صلاتهم ولا خلصتهم مني ففعل صلاتك فقام يصلي فكبر ثم قرأ فاتحة الكتاب ثم تلجج ولم يدرك ما يقول فنهره وقال: عجل لإمامك
فألمسه الله عز وجل أن يقول: أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء: فرفع صوته وهويكي فاذا بفارس قد خرج من بطن
الوادي ويده رمح وفي رأسه سنان كأنه كوكب مضي فجاء وقصد الرجل أسرع من اللحظة فطنعه طعنة من ورائه خربها على وجهه ثم
التهبت في مكانه الذي وقع فيه النار فلما رأى ذلك صاحب الدابة خر ساجدا لله تعالى ماشاء الله ثم رفع رأسه ومضى إلى الفارس وقال
له: سألتك بالله الذي رحمني بك في هذا المكان من أنت؟ فقال الفارس: أنا عبد أم من يجيب المضطر إذا دعاه اذهب حيث شئت
فلا بأس عليك وأشد بعضهم من بحر بسيط:

لبست ثوب الرجا والناس قد ردوا ✽ وقمت أشكو إلى مولاي ما أبجد
وقلت يا أملي في كل نائبة ✽ ومن عليه لكشف الضر اعتمد
أشكو إليك أمورا أنت تعلمها ✽ مالي على حملها ضبر ولا جلد
وقد مددت يدي بالذل مبتهلا ✽ إليك يا خير من مدت إليه يد
فلا ترد نها يا رب خائبة ✽ فبحر لعودك يروى كل من يرد
ثم الصلاة على المختار من مضر ✽ محمد المصطفى ما مثله أحد

﴿وحكى﴾ الياقبي رحمه الله تعالى ﴿أيضا أن امرأة إسرائيلية كان لها دار بجوار قصر الملك وكانت﴾ دارها ﴿تشين

القصر﴾ وتعيبه ﴿وكلمها رام الملك﴾ أي قصد ﴿منها﴾ أي من تلك المرأة ﴿أن تباع الدار أيت﴾ أي امتعت ﴿أن تباع منه﴾
أي الملك أي له

فخرجت المرأة في سفر فأمر الملك بخدمها فلما جاءت المرأة من السفر قالت من هدم دارى قيل لها الملك فرقت طرفها إلى السماء وقالت الهى وسيدى ومولاى غبت أنا وأنت حاضر الضيف معين والمظلوم ناصر ثم جلست فخرج الملك في موكبه فلما نظر إليها قال لها ما تنتظرين قالت أنتظر خراب قصرك فهزأ بقولها وضحك منها فلما جن عليه الليل خسف به وبقصره ووجد على بعض حيطان القصر مكتوب هذه الآيات :

أنهزاً بالدعاء وتزدرية * وما يدريك ما صنع الدعاء

سهام الليل لا تخطى ولكن * لها أمد وللأمد انقضاء

وقد شاء الإله بما تراه * فما للملك عندكم بقاء

﴿فخرجت المرأة في سفر فأمر الملك بخدمها فلما جاءت المرأة من السفر قالت : من هدم دارى ؟ قيل لها : الملك ، فرقت طرفها﴾ بسكون الراء أى بصرها ﴿إلى السماء وقالت : الهى وسيدى ومولاى غبت أنا وأنت حاضر﴾ وأنت ﴿للضيف معين والمظلوم ناصر ثم جلست﴾ المرأة ﴿فخرج الملك في موكبه﴾ أى مع جماعته والموكب بوزن الموضع القوم الركوب على الابل للزينة وكذلك جماعة لفرسان كما أفاده في المختار ﴿فلما نظر﴾ الملك ﴿إليها قال لها : ما تنتظرين ؟﴾ قالت : أنتظر خراب قصرك فهزأ ﴿الملك﴾ بقولها وضحك منها فلما جن ﴿أى أظلم﴾ عليه الليل خسف به وبقصره ووجد على بعض حيطان القصر مكتوب هذه الآيات ﴿من بحر الوافر﴾ : ﴿أنهزاً بالدعاء وتزدرية *﴾ أى تخميره ﴿وما يدريك ما صنع الدعاء﴾ سهام الليل لا تخطى ولكن * لها أمد ﴿لأنه﴾ انقضاء . وقد شاء الإله عز وجل ﴿بما تراه *﴾ من الخسف المذكور ﴿فما﴾ أى ليس ﴿للملك عندكم بقاء﴾

ونحكى الياقضى أيضاً أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يتجر من بلاد الشام إلى المدينة ومن المدينة إلى بلاد الشام ولا يصحب القوافل توكل على الله عز وجل فيسافر هو قد جاء من الشام إلى المدينة إذ عرض له لص على فرس فصاح بالتاجر فوقف له التاجر وقال : شأنك بما لو دخل سبيلى فقال له اللص : المال مالى وإنما أريد نفسك قال له التاجر : ما تريد بنفسى شأنك المال واخل سبيلى فرد عليه اللص مثل المقالة الأولى فقال له التاجر : انظرنى حتى أتوضأ وأصلى وأدعور بى عز وجل قال : افعل ما بدا لك قال : فقام التاجر وتوضأ وصلى أربع ركعات ثم رفع يديه إلى السماء فكان دعاؤه أن قال : يا ود يا ود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا فعال لما يريد أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التى وسعت كل شيء لا إله إلا أنت يا مغيث أعشى ثلاث مرات ، فلما فرغ من دعائه إذا بفارس أشهب وعليه ثياب حصر وبه حربة من نور فلما نظر اللص إلى الفارس ترك التاجر ومزحوا الفارس فلما دنا منه شد الفارس على اللص فطعنه طعنة أرده عن فرسه ثم جاء إلى التاجر فقال له : قم فاقتله قال له التاجر : من أنت ؟ فما قتلت أحدا قط ولا تطيب نفسى بقتله قال : فرجع الفارس إلى اللص فقتله ثم رجع إلى التاجر وقال : أعلم أنى ملك من ملائكة السماء الثالثة حين دعوت المرة الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقة فقلنا : أمر حدث ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شر عظيم كسر النار ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الملائكة الكرام وهو ينادى : من لهذا المكروب فدعوت ربى أن يولى قتله وأعلم يا عبد الله من دعا بك هذا في كل كربة وكل شدة وكل نازلة فرج الله تعالى عنه وأغاثة قال : فجاء التاجر سالماً حتى دخل المدينة وجاء إلى النبى ﷺ فأخبره بالقصة وأخبره بالدعاء فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لقد لقنتك الله اسماءه الحسنى التى إذا دعى بها أجاب وإذا سئل بها أعطى قلت : هذا الحديث ذكره جماعة من أئمة العلماء في تصانيفهم رضى الله تعالى عنهم ،

حفظنا الله من شرور الظالمين وحمائنا من مكاييد الكافرين ﴿تنبيه﴾ إن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وقيل التصرف في ملك الغير بغير إذنه والغصب هو الاستيلاء على حق الغير وهما حرامان بالكتاب والسنة والإجماع فيكفر مستحلها وينسحق ولو لجهة إجماعا ﴿حفظنا الله﴾ تعالى ﴿من شرور الظالمين وحمائنا من مكاييد الكافرين﴾ آمين يا رب العالمين.

﴿تنبيه﴾ ﴿إن الظلم﴾ لغة ﴿هو وضع الشيء في غير موضعه وقيل﴾ إن الظلم اصطلاحاً هو ﴿التصرف في ملك الغير بغير إذنه . والغصب﴾ لغة ﴿هو﴾ أخذ الشيء ظلماً بجاهرة فخرج نحو السرقة وأخذ الشيء ظلماً فقط فدخل ذلك لغة لاشترعا وهو شرعا ﴿الاستيلاء﴾ أي القهر ﴿على حق الغير﴾ عدواناً ولو بلا قصد كان أخذ مال غيره بظنه ماله ويدخل في الاستيلاء خلوص على فراش غيره وركوب دابته وإن لم ينقلها ثم إن كان الاستيلاء على حق الغير خفية من حرز مثله سمي سرقة أو مكابرة في صحراء سمي محاربة أو مجاهرة واعتدالم سمي اختلاسا وإن جحد ما اتعن عليه سمي خيانة ويرجع في الاستيلاء للعرف وهو المتعارف بين الناس بحيث لو عرض على العقول لتعلقه بالقبول فما يعد في العرف استيلاء كان غضبا وما لا فلا وهذا ظاهر في العقار وأما المنقول فلا بد في إسمه الغصب من نقله إلا الفراش والدابة فلا يشترط نقلهما ، ومن غضب مالا لأحد ولو ذميا وكان باقيا لزمه رده فورا للمالك ولو غرم الغاصب على رده أضعاف قيمته ولزمه أيضا أرش نقصه وهو ما نقص من قيمته إن نقص كمن غضب ثوبا فليسه فنقص بلبسه كحرق وبلاء أو نقص بغير لبس كحرق لبعضه ولزمه أيضا أجرة مثل المغموص لمدة مكثه تحت يده ولزم يستوف المتفعة بأن لم يوجد منه استعمال أما لو نقص المغموص برخص سعره فلا يضمنه الغاصب على الصحيح أي لو رده لم يلزمه شيء إذا لم يوجد منه استعمال لبقاء المغموص بحاله إن وتلف المغموص المتعول عند الغاصب باقية أو اتلاف ضمنه بمثله في أي مكان حل به المثل إن كان له مثل أو ضمنه بقيته إن لم يكن له مثل بأن كان مقوما واختلفت قيمته حيوانا كان أو غيره أكثر ما كانت من يوم الغصب إلى يوم التلف .

والعبرة في القيمة بالتقد الغالب إن غلب نقد واحد فإن غلب نقدان تعين الأنفع للمالك وإن تساوى في النفع للمالك قال الرافعي : عين القاضي واحدا منهما .

والحاصل أن من غضب عينا مثلية وأتلفها يلزمه مثلها فإن فقده أو وجوده بزيادة على ثمن مثله لزمه أقصى قيمته من وقت الغضب إلى وقت فقد المثل فلو كان وقت الغضب يساوي مائة ووقت القصد يساوي مائتين وفيما بين الوقتين يساوي ألفا لزمه الألف على ذلك وأما المتعول فيضمن بأقصى قيمته من الغصب إلى التلف .

﴿وهما﴾ أي الظلم والغصب ﴿حرامان بالكتاب والسنة﴾ وقد مر شيء من ذلك ﴿والإجماع﴾ أي اتفاق الأئمة ﴿فيكفر مستحلها وينسحق ولو لجهة إجماعا﴾ وقد ذكر العلامة ابن حجر في الزواجر : إن الغصب من الكبائر واعتبر البغوى وغيره في كون الغصب كبيرة أن يكون المال المغموص أربع دنانير وحكى القاضي الباقلاني أن بعض المعتزلة اشترط بلوغه خمسة دراهم وعن الجبائي أنه اشترط أن يبلغ عشرة دراهم وعن الجبائي وغيره أنه اشترط أن يبلغ مائتي درهم وعن البصريين أنهم اشترطوا بلوغه درهما وقال الحلبي : إن كان شيئا نفها فصغيرة إلا أن يكون صاحبه لا غنى به عنه فكيرة . قال الأذرعى : واشترط أربع دنانير هو ما في إشراف الهروي وغيره ونسخ الرافعي الصحيحة ووقع في نسخ منه وفي الروضة أن يبلغ ديناراً وهو تحريف من ناقله انتهى .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : كون شهادة الزور كبيرة كما في الخبر ظاهر إن وقعت في مال خطير فإن وقعت في مال كفي يسير كربة أو تمرة فيجوز أن يجعل من الكبائر قطعا عن هذه المفاسد كما جعل شرب قطرة من الخمر كبيرة وإن لم يتحقق المفسدة

﴿وروي﴾ أن عيسى عليه السلام مر بمقبرة فنادى رجلا منهم فأحياء الله فقال له من أنت فقال كنت جبالا أنتقل للناس

ويحوز أن يضبط ذلك المال بنصاب السرقة قال: وكذلك القول في أكل مال اليتيم قال في الخادم ويشهد الثاني ما سبق عن الهروي .

وقال في التوسط: والحق شرح الروايات وغيره أن أكل أموال اليتامى وغيرهم بالباطل من الكبائر كأخذها رشوة ولم يفرقوا بين أن يبلغ ذلك ربع دينار أولا وكذا أطلق صاحب العدة أكل مال اليتامى وأخذ الرشوة وجرى على إطلاقه فيها وفي الخيانة في كيل أو وزن الشيخان وفي نص الشافعي ما يشهد له وذلك يورث ضعف التقييد في المصوب بربع دينار انتهى

وقال أيضا: وقول صاحب العدة ومنع الزكاة كبيرة فضيته أنه لا فرق بين منع القليل منها والكثير وهو الظاهر وقياس اعتبار الهروي وغيره أن يكون المصوب ربع دينار أن منع دون ذلك ليس بكبيرة ولكنه تحدد لا مستند له انتهى . وقوله لا مستند له ظاهر بل عن ابن عبد السلام أنهم أجمعوا على أن غصب الحبة وسرقها كبيرة انتهى . ويوافقه قول القرطبي أجمع أهل السنة على أن من أكل مالا حراما ولو فيما يصدق عليه اسم أكل فسق وقال بشر بن المعتمر وطائفة من المعتزلة: يفسق بمائتي درهم وابن الجبائي بدرهم فصاعدا انتهى .

وكان ابن عبد السلام لم يعتمد بمقالة البغوي والهروي وغيرهما السابقة لضعف مدركها ولأنه لا مستند لها كما تقرر إذا جازت الواردة في وعيد الغاصب وشاهد الزور وأكل مال اليتيم والرشوة والمطفف والسارق ومنع الزكاة مطلقة فتناول قليل ذلك وكثيره فلا يجوز تخصيصها بالإدليل بمعنى إذا الحكم بالوعيد الشديد المقتضى للكثرة إنما يتلقى من الشارع إذا صح وعيد شديد في شيء من غير تقييد بقليل ولا كثير وجب إجراء ذلك على إطلاقه وعدم تقييد الإبدليل صحيح بمعنى أيضا وحيث لا دليل لذلك فلا مستند لذلك التحديد كما قاله الأذرعى فبان أن الوجه أن ذلك القيد في المسائل المذكورة كلها ضعيف وأن المعتد أنه لا فرق في الحكم عليها بكونها كبائر وإن فاعلها يستحق ذلك الوعيد الشديد بين القليل منها والكثير نعم، الشيء التافه حد الذي تقضى العادة بالمساحة به كربيبة أو عتبة يمكن أن يقال أن غصبه صغيرة لكن الإجماع السابق ذكره عن ابن عبد السلام الذي أن لم نحمله على حقيقة حملناه على إجماع الأكثرين من العلماء يرد ذلك ويصرح بأن ذلك كبيرة مطلقا لأن أموال الناس وحقوقهم وإن قلت : لا يسامح فيها شيء نعم غصب نحو كلب الغير لا يكون كبيرة كما جزم به بعضهم وهو محتمل .

ولما ذكر الجلال البلقنى بعض الأحاديث السابقة في غصب الأرض قال : هل يلحق بالأرض غيرها إذا قاتل بالفرق بالتحريم فكما استويا في التحريم استويا في الوعيد الشديد أو يفرق بأن الغصب في الأرض يعظم ضرره بخلاف غيرها هذا موضع نظر وقد يحتاج لذلك بحديث : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة كما سيأتى فإن من جملتها رجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجره فقد توعد بهذا الوعيد الشديد في غصب حقه من الأجرة انتهى . وهذا إنما ذكره نظرا للدليل والافلا أصحاب مصر حون بأنه لا فرق في كون الغصب كبيرة بين الأرض وغيرها من الأموال على أن الظاهر أن الجلال لم يرو الحديث الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه قال ذلك لشدة ما حرم الله من مال المسلم أذهو مصرح في العصا بما يفيد الوعيد فإذا انضم إلى الحديث الذي ذكره في الأجرة أفاد أن الوعيد الشديد جاء في غير الأرض أيضا قاله ابن حجر .

﴿وروي﴾ أن عيسى عليه السلام مر بمقبرة فنادى رجلا منهم فأحياء الله فقال ﴿عيسى﴾ له : من أنت ؟ .

فقال : كنت جبالا أنتقل للناس ﴿مناهم﴾ بالأجرة إلى حيث يأمرون

ففتلت يوما لإنسان خطبا وكسرت منه خلا تحللت به فأتا مطالب به مذمت ربنا اغفر لنا وتحمل تبعاتنا وارزقنا الإخلاص في كل أمورنا وكما يحرم الظلم يحرم الإعانة عليه ولو بكلمة قال عليه الصلاة والسلام من مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه أزل الله قدميه عن الصراط يوم تدحض فيه الأقدام * وقال أبو هريرة إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشباه الظلمة أين من لاق لهم دواة وبرى لهم قلما فيجمعون في تابوت واحد ثم سبق بهم على رؤس الخلائق إلى جهنم ورفعهم بعضهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال الأئمة بلغنا أنهم يرون أنه ليس أحد أشد عذابا منهم لما يحل بهم من ضيق التابوت وشدة العذاب * وذكر أبو شبرمة أن منكرا ونكيرا أتيا رجلا إلى قبره وقالوا إنا ضاربوك مائة ضربة فقال الميت إني كذا وكذا وتشفع ببعض أعماله حتى خطا عنه عشرا ثم لم يزل يشفع حتى خطا الجميع إلا ضربة فضر به ضربة فالتهب القبر عليه نارا فقال لم ضرتماني فقالا مررت بمظلوم فاستغاث بك فلم تقبه

﴿فتلقت يوما لإنسان خطبا وكسرت منه﴾ أي من الخطب المنقول ﴿خللا﴾ بوزن كتاب وهو العود يخلل به الثوب والأسنان قاله الفيومي ﴿تحللت به فأتا مطالب به مذمت﴾ وتعظم مطالبة هذا الرجل قال المصنف رحمه الله تعالى ﴿ربنا اغفر لنا﴾ ذنوبنا ﴿وتحمل تبعاتنا﴾ جمع تبعه وهي حقوق الأديين ﴿وارزقنا الإخلاص في كل أمورنا وكما يحرم الظلم يحرم الإعانة عليه ولو بكلمة﴾ قال عليه الصلاة والسلام من مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه وهو يعلم أنه ظالم كما في رواية ﴿أزل الله قدميه عن الصراط﴾ وهو جسر ممدود على من جهنم ﴿يوم تدحض﴾ أي تزل ﴿فيه الأقدام﴾ أي أقدام الكفار والمنافقين وهو يوم القيامة وفي رواية: قد خرج من الإسلام ﴿وقال أبو هريرة﴾ رضي الله عنه ﴿إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشباه الظلمة أين من لاق﴾ أي لاق ﴿لهم دواة وبرى لهم قلما﴾ يقال برت القلم برما من باب رمى فهو مبرى وبرته واسم الفعل البراية وهذه العبارة فيها تسامح لأنهم قالوا لا يسمى قلما إلا بعد البراية وقبلها يسمى قصبة فكيف يقال للمبرى برته لكنه يسمى ما يؤل إليه مجازا مثل عصرت الخمر ﴿فيجمعون في تابوت واحد﴾ من نار ﴿ثم سبق بهم على رؤس الخلائق إلى جهنم ورفعهم﴾ أي هذا الحديث ﴿بعضهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم﴾ وقال سعيد بن المسيب: لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بانكار من قلوبكم فلا تحبط أعمالكم الصالحة. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون الذين معهم الأسواط يضربون بها الناس بين يدي الظلمة. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: الجلاوزة أي أعوان الظلمة والشرط بضم المعجمة وفتح الزاء أي ولاة الشرطة وهم أعوان الولاة الظلمة الواحد منهم شرطى بضم وفتح كلاب النار يوم القيامة.

﴿قال الأئمة﴾ رضوان الله عليهم ﴿بلغنا أنهم﴾ أي الظلمة وأعوانهم ﴿يرون أنه﴾ أي الحال والشأن ﴿ليس أحد أشد عذابا منهم لما يحل﴾ بضم الحاء من باب قعد أي ينزل ﴿بهم من ضيق التابوت وشدة العذاب. وذكر أبو شبرمة﴾ هكذا في بعض النسخ وفي بعضها أبو شبرمة ﴿أن منكرا ونكيرا أتيا رجلا إلى قبره وقالوا: إنا ضاربوك مائة ضربة فقال الميت: إني كذا وكذا﴾ زمانا أعمل صالحا ﴿وتشفع﴾ الميت ﴿ببعض أعماله حتى خطا عنه عشرا ثم لم يزل يشفع حتى خطا الجميع إلا ضربة﴾ واحدة ﴿فضر به ضربة فالتهب القبر عليه نارا فقال﴾ الميت ﴿لم﴾ أي لأى شيء ﴿ضرتماني﴾ ، فقالا: مررت بمظلوم فاستغاث بك فلم تقبه. وأخرج ابن أبي شيبة وهناد وابن أبي الدنيا عن عمرو بن سرجيل فقال: مات رجل يرون أن عنده ورعا فأتى في قبره فقيل أنا جلدوك مائة جلدة من عذاب الله فقال: فيم تجلدوني فقد كنت أتوقى وأتورع فقيل خمسون، فلم يزلوا ينادون قصونه حتى صار إلى جلدة فجلد فالتهب القبر عليه نارا وهلك الرجل ثم أعيد فقال: فيم جلدتموني؟ ، قالوا: صليت يوما وأنت على غير وضوء ومررت بمظلوم يستغيث فلم تقبه.

فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع قدرته على نصره فكيف حال الظالم * وقال بعضهم رأيت في المنام رجلا من يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته وهو في حالة قيحة فقلت له ما حالك فقال شر حال فقلت إلى أين صرت فقال إلى عذاب الله فقلت ما حال الظلمة عند ربهم قال شر حال أما سمعت قول الله عز وجل وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴿وحكي﴾ أنه جاء خياط إلى سفيان الثوري فقال إني أخيط ثياب السلطان أفتراني من أعوان الظلمة فقال سفيان بل أنت من الظلمة أنفسهم لكن أعوان الظلمة من بيع منك الإبرة والخيوط * ومن الظلم المحرم أن تظلم المرأة من نحو صداق أو نفقة أو كسوة وهو داخل في قوله ﴿علي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته أي شكايته وتعزيره بالحبس والضرب وتأخير أجر الأجير أو منعه منه بعد فراغ عمله الذي شرط عليه الأجرة قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكمل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره رواه ابن ماجه وأخرج البخاري وأبو الشيخ عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : أمر بعد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلا قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه أفاق فقال : علام جلدتموني قالوا : انك صليت صلاة بغير طهور ومرت على مظلوم فلم تنصره .

﴿فهذا﴾ المذكور ﴿حال من لم ينصر المظلوم مع قدرته على نصره فكيف حال الظالم . وقال بعضهم : رأيت في المنام رجلا من يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته وهو في حالة قيحة فقلت له : ما حالك ؟ ، فقال شر حال فقلت : إلى أين صرت ؟ ، فقال ﴿صرت إلى عذاب الله فقلت : ما حال الظلمة عند ربهم ؟ ، قال : شر حال أما سمعت قول الله عز وجل . : وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البالغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعيس وفي أي منقلب ينقلبون أي بعد الموت من الإبهام والتهويل وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه وقرئ بأي منقلب ينقلبون من الانقلاب والمعنى أن الظالمين يطعمون أن يتقلبوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانقلاب .

﴿وحكي﴾ ﴿أنه جاء خياط إلى سفيان الثوري﴾ رحمه الله تعالى ﴿فقال : إني أخيط ثياب السلطان أفتراني من أعوان الظلمة ؟ ، فقال سفيان : بل أنت من الظلمة أنفسهم لكن أعوان الظلمة من بيع منك الإبرة والخيوط﴾ هكذا نقله ابن حجر في الزواجر ، ﴿ومن الظلم المحرم أن تظلم المرأة من نحو صداق أو نفقة أو كسوة وهو داخل في قوله ﷺ إلى الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته أي شكايته وتعزيره بالحبس والضرب﴾ وقد تقدم هذا الحديث ﴿و﴾ من الظلم أيضا ﴿تأخير أجر الأجير أو منعه منه بعد فراغ عمله الذي شرط عليه الأجرة قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم﴾ زاد ابن حزيمة وابن حبان : ومن كنت خصمه خصته ﴿يوم القيامة﴾ والخصم مصدر خصمته أخصمه نعت به للمبالغة كعدل يطلق على الواحد وعلى الاثنين وعلى أكثر من ذلك وقال الهروي : الواحد بكسر أوله وقال الفراء : الأول قول الفصحاء ويجوز في اثنين خصمان وفي الثلاثة خصوم ﴿رجل أعطى بي ثم غدر﴾ أي المعطي قسمه به تعالى بأن عهد بهذا أحلف بمينا بالله تعالى على شيء وخالف ﴿ورجل باع حرا فأكمل ثمنه﴾ أي استولى عليه وتصرف فيما وخص الأكل لأنه أعظم مقاصد الدنيا قال العزري : وإنما كان أثمه شديدا لأن المسلمين أكلوا في الحرية فمن باع حرا فقد منعه التصرف فيما أباح الله له وألزمه الذل الذي انتذه الله منه والحر عبد الله فمن جنى عليه فخصمه سيده ﴿ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه﴾ ما استأجره لأجله من العمل ﴿ولم يعطه أجره﴾ لأنه استوفى منفعة بغير عوض واستخدمه بغير أجرة فكانه استعبده ﴿رواه ابن ماجه﴾ وأحمد وغيرهما عن أبي هريرة ؓ .

قال ﴿اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه﴾ رواه الطبراني ﴿وحيكى﴾ أنه حجم حجام ﴿داود﴾ الطائي فأعطاه دينارين فقالوا أسرفت فقال لا دين لمن لا مروءة له ﴿وحيكى﴾ عن الشبلي قال قال لي خاطري يوما أنت بخيل فقلت ما أنا بخيل فقال بلى أنت بخيل فقلت ما أنا بخيل فقال أنت بخيل فنويت أن أول شيء يفتح على أعطيه أول فقير ألقاه فماتم هذا الخاطر حتى دخل على فلان سماه بخمسين ديناراً فأخذتها وخرجت فأول من لقيت فقير ضرير أو قال أكمه بين يدي مزين يخلق شعره فنأولته ذلك فقال فأعطها المزين فقلت إنها دنائير فرفع

﴿قال﴾ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾: أعطوا الأجير أجره ﴿أي﴾ كراعمله ﴿قبل أن يجف عرقه﴾ كناية عن سرعة البذل له وإن لم يحصل له عرق أصلاً أو حصل ولم يجف والعرق رشحات تخرج من المسام ﴿رواه﴾ ابن ماجه عن ابن عمر وأبو يعلى عن أبي هريرة و﴿الطبراني﴾ عن جابر بن عبد الله والترمذي عن أنس بن مالك ويؤخذ من كلام المناوي أنه حديث لغيره .

ومن الظلم أيضاً أن يظلم يهودياً أو نصرانياً بنحو أخذ ماله تعدياً لقوله صلى الله عليه وسلم : من ظلم ذمياً فانا خصمه يوم القيامة . وأن يقطع حق غيره يميناً فأجرة لحير الشيخين : من اقطع حق اموي مسلم يمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة قيل يا رسول الله وإن كان شيئاً سيراً قال : وإن كان قضياً من أراك . وروى أنه لا أكراه إلى العبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها في الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم : لتودن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلاحء من الشاة القرناء .

﴿وحيكى﴾ ﴿أنه حجم﴾ جند ﴿حجام﴾ أبا سليمان ﴿داود﴾ بن نصير ﴿الطائي﴾ فأعطاه دينارين ﴿وفي الرسالة للقشيري﴾ ديناراً ﴿فقالوا﴾: أسرفت ﴿أي﴾ تجاوزت الحد في إعطائك الأجرة ﴿فقال﴾ الطائي ﴿لادين﴾ وفيها لاعبادة ﴿لمن لا مروءة له﴾ وكان داود كبير الشأن وورث عشرين ديناراً فأكلها عشرين سنة .

قال القشيري : سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول : كان سبب زهد داود الطائي أنه كان يمر ببغداد فمر يوماً ففتحاه المطرقون بين يدي حميد الطوسي فالتقت داود فرأى حميداً فقال داود : أف لدينا سبقك بها حميد ولزم البيت وأخذ في الجهد والعبادة وسمعت ببغداد بعض الفقهاء يقول : أن سبب زهده أنه سمع نائحة تنوح وتقول :

بأي خديك تبدي البلى  وأبى عينيك أذن سالاً

قال داود : نازعتني نفسي إلى العزلة فقلت لنفسى : حتى تجالسهم ولا تتكلم في مسئلة قال : فجالسهم سنة لا تتكلم في مسئلة وكانت المسئلة تمر بي وأنا إلى الكلام فيها أشد نزاعاً من العطشان إلى الماء البارد ولا اتكلم به ثم صار امره إلى ما صار ولما توفي داود رأه بعض الصالحين في المنام وهو بعد وقال له : ما لك ؟ فقال : الساعة تخلصت من السجن فاستيقظ الرجل من منامه فارتفع الصباح يقول الناس مات داود الطائي ودخل عليه بعضهم فجعل ينظر إليه فقال : أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام . وقال أبو الربيع الواسطي : قلت لداود الطائي أوصني فقال : صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت وفر من الناس كثرارك من السبع ،

﴿وحيكى﴾ ﴿عن﴾ الشيخ ﴿الشبلي﴾ رضى الله عنه ﴿قال﴾: قال لي : خاطري يرملات بخيل فقلت : ما أنا بخيل فقال ﴿خاطري﴾ بلى أنت بخيل فقلت : ما أنا بخيل فقال : أنت بخيل فنويت ﴿أي﴾ قصدت ﴿أن أول شيء يفتح﴾ به ﴿على أعطيه أول فقير ألقاه فماتم﴾ هذا ﴿الخاطر حتى دخل على فلان سماه﴾ الشبلي باسمه وعينه به ﴿بخمسين ديناراً فأخذتها وخرجت فأول من لقيت فقير ضرير أو قال﴾ الشبلي ﴿أكمه﴾ أي أعمى ﴿بين يدي مزين﴾ وهو الخالق أو الحجام ﴿يخلق شعره فنأولته ذلك﴾ المال ﴿فقال﴾ الفقير ﴿فأعطها المزين فقلت﴾ له ﴿إنها دنائير فرفع﴾ الفقير

رأسه إلى وقال أما قلنا لك إنك مجبل فتأولتها المزين فقال منذ قد بين يدي هذا الفقير عقدت مع الله عقدا أن لا آخذ على حلقته شيئا قال فأخذتها وذهبت إلى البحر فرميت بها فيه * واستعمال العارية في غير المنفعة التي استعارها لها وإعارتها من غير إذن مالكيها واستعمالها بعد المدة الموقفة بها وقيل إنه رجع ابن المبارك من مرو ورجع إبراهيم بن أدهم من بيت المقدس إلى البصرة لرد تمرة إلى الشام وفي قلم استعاره فلم يردده على صاحبه وكان حسان بن أبي سنان لا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ولا يشرب باردا ستين سنة فروى في المنام بعد ما مات فقيل ما فعل الله بك فقال خيرا إلا أنني محبوس عن الجنة بآبرة استعرتها فلم أردّها .

﴿فصل في أكل مال اليتيم﴾

قال الله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا

﴿رأسه إلى وقال : أما قلنا لك إنك مجبل فتأولتها المزين فقال : منذ قد بين يدي هذا الفقير عقدت مع الله عقدا﴾ وهو ﴿أن لا آخذ على حلقته شيئا﴾ من الاجرة ﴿قال﴾ البشلي ﴿فأخذتها وذهبت﴾ بها ﴿إلى البحر فرميت بها فيه﴾ وقلت : فعل الله بك وما أحبك أحد إلا اذله الله تعالى رضى الله عنه عن الثلاثة وتعبنا بهم آمين هكذا ذكره الياقنى في روضه .

وقد اعترض بعضهم ما في هذه الحكاية من اطراح المال في البحر ورميه فيه وانكر على فاعل ذلك وزعم أن هذه اضاعة المال واجابه الشيخ ابو محمد الياقنى من ثلاثة اوجه أحدها ان يكون فعل ذلك في حال ورد عليه وذو الحال الغائب غير مكلف والثاني : ان يكون شهد فيها سماع مهلكا كل من صارت اليه فألتفها كما تلف الافعى والحيات والثالث : ان يكون بإشارة مؤذنة بالأذن اضطرتة الى ذلك بحيث لم يجد عنه مجيضا والله اعلم .

﴿و﴾ من الظلم ﴿استعمال العارية في غير المنفعة التي استعارها﴾ المستعير ﴿لها﴾ أى للمنفعة ﴿واعارتها من غير إذن مالكيها﴾ عند من قال بمنعها ﴿واستعمالها بعد المدة الموقفة بها وقيل إنه رجع﴾ عبد الله ﴿ابن المبارك﴾ رضى الله عنه ﴿من مرو﴾ بلد بحرسان ﴿ورجع إبراهيم بن أدهم﴾ رضى الله عنه ﴿من بيت المقدس إلى البصرة لرد تمرة﴾ ورجع ابن المبارك ﴿إلى الشام وفي قلم استعاره فلم يردده على صاحبه﴾ وعبارة ابن الليث انه كان بالشام يكتب الحديث فانكسر قلمه فاستعار قلمًا فلما فرغ من الكتابة نسي فيجعل القلم في معلقته فلما رجع إلى مرو ورأى القلم فعرفه فتجهز للخروج إلى الشام لرد القلم .

ووقف حسان بن ابى سنان على أصحاب الحسن فقال : أي شيء أشد عليكم ؟ قالوا : الورع فقال : ولا شيء أخف على منه فقال : فكيف ؟ فقال : لم أرو من نهركم منذ أربعين سنة ﴿وكان حسان بن ابى سنان لا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ولا يشرب﴾ ماء ﴿باردا ستين سنة فروى في المنام بعد ما مات فقيل ما فعل الله بك ؟﴾ فقال ﴿فعل﴾ خيرا إلا أنني محبوس عن الجنة بآبرة استعرتها فلم أردّها ﴿وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه ستين وتعبد أربعين سنة وكان في ابتداء أمره كى لا فلما مات روى في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟﴾ فقال : خيرا غير أنني محبوس عن الجنة وقد أخرج على من غبار الفقير أربعين فقيرا والله اعلم .

﴿فصل في أكل مال اليتيم﴾

﴿قال الله تعالى : ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ يعنى حراما بغير حق ﴿إنما يأكلون في بطونهم نارا﴾ يعنى سيأكلون يوم القيامة نسى الذين يأكلون نارا بما يؤل إليه أمرهم يوم القيامة قال السدى : يبعث أكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأذنيه وعينه وأنه يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم وقيل إنما ذكر أكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد ان أكل

وسيصلون سعيرا * وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هي قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات *

مال اليتيم ظلما يقضى به إلى النار وإنما خص الأكل بالذكر وإن كان المراد سائر أنواع الاتلافات وجميع التصرفات الرديئة المتلفة للمال لأن الضرر يحصل بكل ذلك لليتم فعبّر عن جميع ذلك بالأكل لأنه معظم المقصود وإنما ذكر البطون للتأكيد فهو كقولك : رأيت بعيني وسمعت بأذني «وسيصلون» أي سيدخلون «سعيرا» أي نارا وقودا في الآخرة . قال مقاتل وغيره : نزلت في رجل من بني غطفان يقال له مرشد بن زيد ولي مال يتييم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله فانزل الله هذه الآية .

قال ابن حجر : وخرج بالظلم كلها بحق كآكل الولي بشروطه المقررة في كتب الفقه قال تعالى : ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف . أي بمقدار الحاجة فحسب أو بأن يأخذ قرضا أو بقدر أجره عمله أو أن يضطر فإن أسير قضاء والافه في حل وفيه أقوال أربعة الصحيح عندنا أن الولي إذا لم يتبرع بالنظر له فإن كان غنيا لم يأخذ منه شيئا وإن كان فقيرا فإن كان وصيا وشغله عن كسبه النظر في مال محجوره فله أن يأخذ منه ولو بلا قاض أقل الأمرين من أجرته بقدر عمله في ذلك ومن مؤته اللاتمة به عرفا ولا يجوز له أن يأخذ أكثر من الأقل أما القاضي فلا يأخذ شيئا مطلقا وأما الأب والجد والأم فلهم الكفاية إذ يجب نفقتهم في مال الولد ولو تضجر الأب أو الجد من النظر في مال ولده نصب له القاضي قينا أو نصبه القاضي وقدر له أجره من مال الولد حيث لا متبرع وليس له مطالبة القاضي بتقدير الأجرة له ولو فقيرا وللولى أن يخلط طعامه بطعام اليتيم وإن يضيف من المخلوط لكن بشرط أن يكون له في ذلك مصلحة كأن يكون أوفر عليه مما لو أكل وحده وأن تكون الضيافة بما زاد على قدر ما يخص اليتيم كما هو ظاهر .

وقد جاء في التشديد في أموال اليتامى والظلم فيها أحاديث كثيرة موافقة لما في الآية من ذلك الوعيد الشديد تحذيرا للناس عن هذه الفاحشة الوحيدة المهلكة .

«وأخرج الشيخان» وأبو داود والنسائي «عن أبي هريرة» رضى الله عنه «قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجتنبوا» أي ابعدوا وهو أبلغ من لا تفعلوا «السبع» أي الكبائر السبع خصها لاقتضاء المقام في ذكرها «الموبقات» بموحدة مكسورة وقاف أي المهلكات جمع موبقة سميت بذلك لأنها سبب لاهلاك مرتكبها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات وفي الآخرة من العذاب «قالوا» أي الأصحاب رضى الله عنهم «يا رسول الله وما هي» أي تلك السبع الموبقات «قال» صلى الله عليه وسلم «الشرك بالله» المراد الكفر به بأي نوع وهو أعظم الكبائر «والسحر» قال المناوي وهو مزاول النفس الخبيثة لأقوال وأفعال يترتب عليها أمر خارجة وأجاز بعض العلماء تعلم السحر لأمرين أما تمييز ما فيه كفر عن غيره وأما لازاله عمن وقع فيه «وقتل النفس التي حرم الله» عمدا أو شبهة «الإباحق» أي بفعل موجب للقتل شرعا «وأكل الربا» أي تناوله بأي وجه كان «وأكل مال اليتيم» يعني التعدي فيه «والتولي يوم الزحف» قال المناوي : أي الأدبار من وجوه الكفار إلا أن علم أنه ان ثبت قتل من غير نكابة في العدو انتهى . قال العلقمي : وإنما يكون التولي كبيرة إذا لم يزد عدد الكفار على مثلى المسلمين إلا محرفا لقال أو حيزا إلى فئة «وقذف المحصنات» أي ربهن بالزنا والاحصان هنا العفة عن الفواحش أي الحافظات فروجهن «الغافلات» عن الفواحش وما قد فن به وخرج بالغافلات غيرها فلا يحرم قذفهن إن كان معلنات «المؤمنات» أما الكافرات فقد فن صغيرة ،

والحاكم واليهي عن أبي هريرة أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعمها مد من خير وأكل الربا وأكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه * والحاكم عن أبي موسى ثلاثه يدعون الله عز وجل فلا يستجاب لهم رجل كانت تحته امرأة مسنة الخلق فلم يطلقها ورجل كان له على رجل آخر مال فلم يشهد عليه ورجل أتى سفيها ماله وقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم * وفي تفسير القرطبي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال ليلة أسبى بني رأيت قوما لهم مشافر كشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ مشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرًا تخرج من أسافلهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما

﴿و﴾ أخرج الحاكم واليهي عن أبي هريرة باسناد ضعيف أربع حق على الله تعالى بطريق العدل أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعمها مد من خير أي مد اوم على شرها ﴿وأكل الربا﴾ أي متناولها بأكل أو غيره ومثله موكبه وشاهده وكتبه كما في حديث آخر ﴿وأكل مال اليتيم بغير حق﴾ قال المناوي: قيد به في مال اليتيم دون الربا لأن أكل الربا لا يكون إلا بغير حق بخلاف مال اليتيم ﴿والعاق لوالديه﴾ وهو محمول على المستحل لذلك أو مع الداخلين الأولين قاله العزيزي نقلًا عن العلقمي زاد المناوي أو حتى يظهرهم بالنار ..

﴿و﴾ أخرج الحاكم عن أبي موسى الأشعري وقال على شرط الشيخين ﴿ثلاثة يدعون الله عز وجل﴾ أي سألونه في إزالة كرب نزل بهم وإنزال البلاد عن ظلمهم ﴿فلا يستجاب لهم﴾ لخالفهم الشرع وتقصيرهم في استئصال العمل به ﴿رجل كانت تحته امرأة مسنة الخلق﴾ بضمين ﴿فلم يطلقها﴾ فإذا دعا الله عليها لاستجاب له لأن المعتوب نفسه بما شرحتها ﴿ورجل كان له على رجل آخر مال يشهد بضم أوله﴾ عليه به فانكروه فإذا دعا لاستجاب له لأنه الموقوف المتصرف بما أمر الله به ﴿ورجل أتى﴾ بالمد أي أعطى ﴿سفيها﴾ أي محجورا عليه ﴿ماله﴾ أي شيئا من ماله مع علمه بحاله فإذا دعا لاستجاب له لأنه المضيع ﴿وقد قال الله تعالى: ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾

واختلفوا في هؤلاء السفهاء من هم فقيل هم النساء نهى الله الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم سواء كن أزواجا أو بنات أو أمهات وقيل هم الأولاد خاصة يقول: وقال الكلبي: إذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة وإن ولده سفيه مفسد لا ينبغي له أن يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده وإنما اضاف المال إلى الأولياء لأنهم قوامها ومدبروها وأصل السفه الخفة واستعمل في خفة النفس لتقصان المال في الأمور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق الحجر هو الذي يكون مبتذرا في ماله ومفسدا في دينه فلا يجوز لوليه أن يدفع إليه ماله وقيل إن السفه المذكور في هذه الآية ليس هو صفة ذم هؤلاء وإنما سموا سفهاء لخفة عقولهم وتقصان تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال .

وأخرج ابن حبان في صحيحه أن من جملة كتابه ﷺ الذي أرسله مع عمرو بن حزم إلى أهل اليمن وأن أكبر الكبار عند الله يوم القيامة الأشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق والفرار في سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين ورعى الحصنة وتعلم السحر وأكل المال اليتيم . وأخرج أبو يعلى: يبعث يوم القيامة قوم في قبورهم تاجع أفواههم نارًا فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال ألم تر أن الله يقول: إن الذين يأكلون أموال اليتيم ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارًا . وفي حديث المعراج عند مسلم: فإذا أنا برجال يفلون لحاهم وآخرون يحجون بالصخور من النار فيقتفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم فقلت: يا جبريل من هؤلاء فقال: الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارًا

﴿و﴾ ذكر ﴿في تفسير﴾ الامام ﴿القرطبي﴾ رحمه الله تعالى ﴿عن أبي سعيد الخدري﴾ ﷺ ﴿أن رسول الله ﷺ قال: ليلة أسبى بني رأيت قوما لهم مشافر﴾ جمع مشفر في المختار والمشفر من البعير يوزن المغفر كالحفلة من الفرس ﴿كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ مشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرًا تخرج من أسافلهم فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ يأكلون في بطونهم نارًا .

﴿تنبيه﴾ إن أكل مال اليتيم من الكبائر المهلكة اتفاقا وظاهر كلامهم أنه لا فرق بين قليله وكثيره ولو حبة ﴿خاتمة﴾ في كفاية اليتيم والشفقة والسعي على الأرملة * أخرج البخاري أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا * وابن ماجه من عال ثلاثة من أيتام كان كمن قام ليلة وصام نهاره وغدا وراح شاهرا سيفه في سبيل الله وكنت أنا وهو في الجنة إخوانا كما أن هاتين أختان وألصق أصبعيه السبابة والوسطى * والترمذي من قبض يتيما من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة ألبته إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر له ﴿وفي رواية﴾ حتى يستغني عنه وجبت له الجنة * وابن ماجه خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيمن بحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيمن بساء إليه * وحمزة بن يوسف وابن التجار أن في الجنة دارا يقال لها دار الفرح لا يدخلها إلا من فرح بتمامي المؤمنين *

﴿تنبيه﴾ إن أكل مال اليتيم من الكبائر المهلكة اتفاقا وظاهر كلامهم أنه لا فرق بين ﴿أكل﴾ قليله وكثيره ولو حبة ﴿على ما مرفي﴾ بخس الكيل والوزن .

﴿خاتمة﴾ نسأل الله حسنها ﴿في كفاية اليتيم والشفقة﴾ عليه قال الفيومي : في مصباحه يتم يتيمن من باب تعجب وقرب يتما بضم الباء وفتحها لكن اليتيم في الناس من قبل الأب فيقال صغير يتيمن والجمع أيتام ويأتمى وصغيرة يتيمة وجمعها يتامى وفي غير الناس من قبل الأم وأتمت المرأة أيتاما صار أولادها يتامى ودرية يتيمة أى لا نظير لها ومن هنا أطلق اليتيم على كل فرد ، يعز نظيره ﴿والسعي على الأرملة﴾ أى المرأة التي لا زوج لها وسميت بذلك لافتقارها إلى من ينفق عليها . قال الأزهرى : لا يقال لها أرملة إلا إذا كانت فقيرة فإن كانت موسرة فليست بأرملة والجمع أرامل

﴿أخرج البخاري أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا﴾ وأشار بأصبعه السبابة الوسطى أى متقاربين فيها وفرح بينهما . وأخرج مسلم : كافل اليتيم له أو غيره أنا وهو كها تين في الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى . وأخرج البزار : من كل يتيما له ذوق قرابة أو لا قرابة له فانا وهو في الجنة كها تين وضم أصبعيه ومن سعى على ثلاث بنات فهو في الجنة وكان له كأجر المجاهد في سبيل الله صائنا قائما ﴿و﴾ أخرج ﴿ابن ماجه : من عال ثلاثة من أيتام﴾ أى قام بكفائهم ﴿كان كمن قام﴾ أى صلى ﴿ليلة وصام نهاره وغدا وراح شاهرا سيفه في سبيل الله وكنت أنا وهو في الجنة إخوانا كما أن هاتين أختان وألصق﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿أصبعيه السبابة والوسطى﴾ أخرج ﴿الترمذي﴾ وصححه ﴿من قبض يتيما من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة ألبته﴾ أى قطعا ﴿إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر له . وفي رواية﴾ بسند ما حسن ﴿حتى يستغني عنه وجبت له الجنة﴾ البتة

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن ماجه﴾ وغيره عن أبي هريرة ﴿خير بيت﴾ أى أهل بيت أى محله وكذا ما بعده ﴿في المسلمين بيت فيه يتيمن﴾ قال الحنفى : وإن كان أجنبيا من أهل البيت ﴿يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيمن بساء إليه .﴾

﴿و﴾ أخرج ﴿حمزة بن يوسف﴾ السهمى بفتح السين المهملة وسكون الهاء نسبة إلى سهم بن عمرو قبيلة معروفة ﴿و﴾ ابن التجار عن عتبة بن عامر الجهني ﴿أن في الجنة دارا﴾ أى محلا عظيما ﴿يقال لها دار الفرح﴾ بفتح الفاء والراء وبالهاء المهملة أى السرور أى سمي بذلك بين أهلها ﴿لا يدخلها إلا من فرح بتمامي المؤمنين﴾ والمراد بفرحهم بأى شيء كالصدقة عليهم وإتاء الكلام لهم وكسوتهم في العيد وذلك لأن الجزاء من جنس العمل فمن فرح من ليس له من يفرحه فرحه الله تعالى بتلك الدار العالية المقدار قال الحنفى : التقييد باليتامى لكون أكرامهم أكثر ثوابا غدار من فرحهم أعظم من دار من فرح صبيان المسلمين غير اليتامى فلا يقال أن مفهوم هذا أن من فرح غير اليتامى لا يسكن دار الفرح ،

وأبو يعلى أنا أول من يفتح له باب الجنة إلا أني أرى امرأة تبادرني فأقول مالك ومن أنت تقول أنا امرأة قدمت على أبيام لي * والطبراني والذي بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم والآن له في الكلام ورحم يمه وضعفه ولم يتناول على جاره بفضل ما آناه الله * وأحمد من مسح على رأس يтим لم يمسه إلا الله كانت له في كل شعرة مائة حسنة

والحاصل أن دار الفرح قسمان العظمى ودون عظمى فالعظمى لمن فرح اليتامى وغيرها لمن فرح غير اليتامى من صبيان المسلمين وتخصيص اليتامى في هذا الحديث للأكدية أما صبيان الكفار فليس لمن فرحهم يسكن دار الفرح بقسميها ووقع أن الشيخ عبد المنعم المنيشني أخذ منه مشايخ شيخنا الحنفى وكان غالباً عليه الجذب لبس شدا أزرق فقالت الصبيان له اسلم يانصراني فنطق بالشهادة فجاءه بشدا أبيض والبسوه له وصاروا يقولون نصراني قد أسلم فقال له بعضهم : ما هذا ؟ فقال : لم يضرنا شيء قد فرحنا صبياننا وجددنا إسلامنا

﴿وخرج﴾ أبو يعلى ﴿بسند حسن﴾ أنا أول من يفتح له باب الجنة إلا أني أرى امرأة تبادرني فأقول مالك ومن أنت ؟ تقول : أنا امرأة قدمت على أبيام لي . ﴿وخرج﴾ الطبراني ﴿بسند رواه ثقات الا واحدا ومع ذلك ليس بالمتروك قاله الهيثمي﴾ والذي بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم والآن له في الكلام ورحم يمه وضعفه ولم يتناول على جاره بفضل ما آناه الله أى أعطاه الله ﴿وخرج﴾ أحمد ﴿وغيره﴾ من مسح على رأس يтим لم يمسه إلا الله كانت له في كل شعرة مائة حسنة ومن أحسن إلى يтим أو يتيمة عنده كتبت أنا وهو في الجنة كما تين الحديث وأخرج أبو الليث بإسناده عن عبد الله بن أبي أوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسح على رأس يтим رحمة كتب الله له بكل شعرة مائة حسنة ومحا عنه بكل شعرة سيئة ورفع له بكل شعرة درجة . وعن أبي الدرداء رضى الله عنه : أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه قسوة القلب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إن سرك يلى قلبك فامسح برأس اليتيم وأطعمه ويقال طوبى لليت الذي فيه اليتيم وويل لليت الذي فيه اليتيم معنى ويل لأهل البيت الذي لم يعرفوا حقاً ليتيم وطوبى لهم إذا عرفوا حقه .

وروى أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : عندي يтим فمضضه ؟ قال : بما تضرب به ولدك يعنى لا بأس أن تضربه للتأديب ضرراً غير مبرح مثل ما يضرب الوالد ولداً . قال الفقيه رحمه الله تعالى : أن كان يقدر أن يؤذيه بغير ضرب فينبغي له أن يفعل ذلك ولا يضربه فإن ضرب اليتيم أمر شديد بدليل ما حدثنا به الفقيه أبو جعفر حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن عمر حدثنا محمد بن علي وهو والد أبي ترخان حدثنا محمد بن المشي حدثنا عمرو بن سفيان القطمى حدثنا الحسن بن أبي جعفر عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن اليتيم إذا ضرب اهتز عرش الرحمن لبكائه فيقول الله تعالى : يا ملائكتي من أبكى الذي غيبت أباه في التراب وهو أعلم به قال : تقول الملائكة : ربنا لا علم لنا قال : فاني أشهدكم أن من أراضاه في فأرضيه من عندي يوم القيامة قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسخ رؤسهم ويلطف بهم ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يفعل ذلك .

وعن عبد الرحمن بن أبيزى قال : قال تعالى لداود عليه الصلاة والسلام : كن لليتيم كالأب الرحيم واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد . وعن أبي عمران الجوني عن أبي الخليل قال : قرأت في مسألة داود عليه الصلاة والسلام قال : الهى ما جزاء من أسند إليه اليتيم والأرملة أتباء مرضاتك ؟ قال : فجزاؤه أن أظله في ظلى يوم لا ظل الا ظلى يعنى ظل العرش .

﴿وروي﴾ أن الله تعالى قال يعقوب عليه السلام إن سبب ذهاب بصره وانحناء ظهره وفعل إخوة يوسف به ما فعلوه أنه أنه يتيم مسكين صائم جائع وقد ذبح هو وأهله شاة فأكلوها ولم يطعموه ثم أعلمه الله أنه لن يحب شيئا من خلقه حبه لليتامى والمساكين وأمره أن يصنع طعاما ويدعو المساكين ففعل قال بعض السلف كئت في بدء أمري منكبرا منكبا على المعاصي فرأيت يوما يتيما فأكرمته كما يكرم الولد بل أكثر ثم نمت فرأيت الزانية أخذوني أخذا مزعجا إلى جهنم وإذا باليتيم قد اعترضني وقال دعوه حتى أراجع ربي فيه فأبوا وإذا النداء خلوا عنه فقد وهبنا له ما كان منه بإحسانه إليه فاستيقظت وبالغت في إكرام اليتامى من يومئذ ﴿وحكي﴾ أن رجلا من المتهمين في الفساد مات في نواحي البصرة فلم يجد امرأته من يعينها على حمل جنازته لكثرة فسقه وتجاني الناس له فاستأجرت حمالين يحملونها إلى المصلى فما صلى عليه أحد فحملوه إلى الصحراء ليدفنوه وكان بالقرب من الموضع جبل فيه رجل من الزهاد الكبار فنزل ذلك الزاهد للصلاة عليه واتشر الخبر في البلد وقالوا نزل فلان ليصلي على فلان فخرج الناس فصلوا عليه مع الزاهد وتعجبوا من صلاته عليه فقال لهم إنه قيل في النوم أنزل إلى الموضع الفلاني تر فيه جنازة رجل ليس معها إلا امرأته فصل عليها فإنه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد زوجته يسألها عن حاله وكيف كانت مسيرته فقالت كان

﴿وروي﴾ ولفظ الزاجر : وأخرج جماعة وصححه الحاكم على احتمال ﴿أن الله تعالى قال يعقوب عليه السلام : إن سبب ذهاب بصره وانحناء ظهره وفعل إخوة يوسف به ما فعلوه﴾ من ألقاء يوسف في غيابة الحب كما هو المذكور في الكتاب العزيز ﴿أنه أنه﴾ أي يعقوب عليه السلام ﴿يتيم مسكين جائع وقد ذبح هو وأهله شاة فأكلوها ولم يطعموه ثم أعلمه الله﴾ تعالى ﴿أنه لن يحب شيئا من خلقه حبه﴾ أي كحبه عز وجل ﴿لليتامى والمساكين وأمره أن يصنع طعاما ويدعو المساكين ففعل﴾ يعقوب ما أمره ربه هكذا ذكره في الزواجر

﴿قال بعض السلف﴾ رحمه الله تعالى ﴿كئت في بدء أمري منكبرا﴾ وفي نسخة مسكيرا أي كثير السكر لكثرة شرب المسكر ﴿منكبا على المعاصي فرأيت يوما يتيما فأكرمته كما يكرم الولد بل أكثر ثم نمت فرأيت الزانية﴾ وهم خزنة جهنم تسموا بذلك لأنهم يدفعون أهل النار إليها ﴿أخذوني أخذا مزعجا﴾ أي مقلقا ﴿إلى جهنم وإذا باليتيم قد اعترضني وقال﴾ للزانية ﴿دعوه﴾ أي اتركوه ﴿حتى أراجع ربي فيه فأبوا﴾ أي امتنعوا عن ترمه تركه ﴿وإذا النداء﴾ ينادى بأهؤلاء ﴿خلوا عنه فقد وهبنا له ما كان منه﴾ من المعاصي ﴿إحسانه إليه﴾ أي إلى هذا اليتيم قال ﴿فاستيقظت﴾ من نومي ﴿وبالغت في إكرام اليتامى﴾ وإحسانهم ﴿من يومئذ﴾ أي إذا رأيت في المنام ما ذكر .

﴿وحكي﴾ ﴿أن رجلا من المتهمين﴾ يقال اتهمك في الأمر اتهماك أي جد فيه ولم فهو متهمك ﴿في الفساد مات في نواحي البصرة فلم يجد امرأته من يعينها على حمل جنازته لكثرة فسقه وتجاني الناس له﴾ أي تباعد هم عنه ﴿فاستأجرت﴾ زوجها ﴿حمالين يحملونها إلى المصلى﴾ أي مضى الناس ﴿فما صلى عليه أحد﴾ منهم ﴿فحملوه إلى الصحراء ليدفنوه وكان بالقرب من الموضع جبل فيه﴾ أي في ذلك الجبل ﴿رجل من الزهاد الكبار فنزل ذلك الزاهد للصلاة عليه واتشر الخبر في البلد وقالوا﴾ أي أهل البلد ﴿نزل فلان﴾ الزاهد من الجبل ﴿ليصلي على فلان﴾ الفاسق ﴿فخرج الناس فصلوا عليه مع الزاهد وتعجبوا من صلاته عليه فقال﴾ الزاهد ﴿لهم أنه قيل في النوم : أنزل إلى الموضع الفلاني تر فيه جنازة رجل ليس معها إلا امرأته فصل عليها﴾ أي الجنازة ﴿فأنه مغفور له فزاد تعجب الناس﴾ بقوله ذلك ﴿فاستدعى الزاهد زوجته يسألها عن حاله وكيف كانت مسيرته﴾ أي هيته وحاله في حياته ﴿فقالت : كان﴾ زوجي

كما سمعت طول النهار في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل يعرض له شيء من أفعال الخير قالت لا والله إلا أنه كان يفيق كل يوم من سكره عند صلاة الصبح فيبدل ثيابه ويتوضأ ويصلي الصبح ثم يعود إلى ماخوره يشغل بشره وظهره وكان لا يخلو به من يمين أو يمين بفضل على ولده وكان يفيق في أثناء سكره فيبكي ويقول إلهي أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخيث يعني نفسه * وأخرج الشيخان عن أبي هريرة الساعى على الأرملة والمساكين كالجاهد في سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر * وابن ماجه الساعى على الأرملة كالجاهد في سبيل الله وكذلك يقوم الليل ويصوم النهار ﴿وحكى﴾ أنه كان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فمات واشتد بهن الفقر إلى أن رحلن من وطنهن خوف الشتمات فدخلن مسجد بلد مهجور فتركهن فيه وخرجت تحتال هن على القوت فمرت بمكير البلد وهو مسلم فشرحت له حالها فلم يصدقها وقال لا بد أن تقيمي عندي الليلة بذلك فقالت أنا غريبة فأعرض ثم مرت بمجوسى فشرحت له حالها بذلك فصدق وأرسل بعض نسائه فأتت بها وبناتها إلى داره فبالغ في إكرامهن فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم القيامة والنبي صلى الله عليه وسلم معقود على رأسه لواء الحمد وعنده قصر عظيم فقال يا رسول الله لمن هذا القصر

﴿كما سمعت طول النهار في الماخور﴾ بالضم وهو مجلس الفسق قال في القانوس والماخور بيت الزينة ومن يلى ذلك البيت ويقود إليه معرب من خور أو غريبة من مخرت السفينة لتردد الناس إليه ﴿مشغولا بشرب الخمر فقال﴾ الزاهد ﴿انظري هل يعرض له شيء من أفعال الخير؟﴾ قالت لا والله إلا أنه يفيق كل يوم من سكره عند صلاة الصبح فيبدل ثيابه ويتوضأ ويصلي الصبح ثم يعود إلى ماخوره يشغل بشره وظهره وكان لا يخلو به من يمين * واحد ﴿أو يمين بفضل على ولده وكان يفيق في أثناء سكره فيبكي ويقول إلهي أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخيث يعني﴾ أى يريد بالخيث ﴿نفسه﴾ فقال الزاهد: هذا عمله الصالح.

﴿وأخرج الشيخان عن أبي هريرة﴾ رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿الساعى على الأرملة﴾ بفتح الميم امرأة لا زوج لها غنية كانت أو فقيرة تزوجت قبل ذلك أم لا وقيل هى التي فارقتها زوجها ﴿والمساكين﴾ أراد بالساعى الكاسب لتحصيل مؤتهم ﴿كالجاهد في سبيل الله﴾ لأن القيام بمصالحهم إنما يكون بصبر عظيم وجهاد نفس لئيم فيكون ثوابه عظيما قال أبو هريرة وأحسبه أى النبى صلى الله عليه وسلم قال: وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر يعنى شك الراوى في أنه عليه الصلاة والسلام شبهه بالجاهد وحده أو شبهه به بالقائم معه وأخرج ابن ماجه: الساعى على الأرملة والمساكين كالجاهد في سبيل الله ﴿وكالذي يقوم الليل ويصوم النهار﴾.

﴿وحكى﴾ أنه كان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فمات ﴿واشتد بهن الفقر إلى أن رحلن من وطنهن خوف الشتمات﴾ أى فرج الأعداء بالمصيبة ﴿فدخلن مسجد بلد مهجور﴾ أى متروك لم يأت به الناس ﴿فتركهن﴾ أى تلك البنات أمهن ﴿فيه﴾ فى ذلك المسجد ﴿وخرجت تحتال هن على القوت فمرت﴾ تلك الأم بمكير البلد أى رئيسها ﴿وهو مسلم فشرحت﴾ أى بينت ﴿له﴾ أى لذلك الكبير ﴿حالها﴾ أى أنها فقيرة ومعها بنات فى مسجد مهجور ﴿فلم يصدقها وقال لا بد أن تقيمي عندي الليلة بذلك﴾ أى بما شرحت لنا من حالك ﴿فقالت: أنا غريبة﴾ عن وطنى فلم أقدر أن أقيم ما سألتنى من الليلة ﴿فأعرض﴾ الرجل عنها ﴿ثم مرت بمجوسى فشرحت له حالها بذلك فصدق﴾ أى المجوسى ﴿وأرسل بعض نسائه فأتت بها وبناتها إلى داره فبالغ في إكرامهن فلما مضى نصف الليل رأى﴾ فى المنام ﴿ذلك المسلم القيامة﴾ قد قامت ﴿والنبي صلى الله عليه وسلم معقود على رأسه لواء الحمد وعنده قصر عظيم فقال: يا رسول الله لمن هذا القصر؟﴾.

فقال لرجل مسلم قال أنا مسلم موحد قال ﷺ أقم عندي البيعة بذلك فتحير فقصر له صلى الله عليه وسلم خبر العلوية فاتبه الرجل في غاية الحزن والكآبة إذ ردها ثم بالغ في الفحص عنها حتى دل عليها بدار الجوسى فطلبها منه فأنى وقال قد لحقتي من بركاتهن فقال خذ ألف دينار وسلمهن إلي فأنى فأراد أن يكرهه فقال له الذي تريد أنا أحق به والقصر الذي رأيته في النوم خلق لي فقال أنت لست بمسلم فقال أتفخر على بإسلامك فوالله ما نمت أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل منامك وقال رسول الله ﷺ العلوية وبناتها عندك قلت نعم يا رسول الله قال القصر لك ولأهل دارك فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

﴿فصل في الحياة﴾

فقال : لرجل مسلم ، قال : أنا مسلم موحد قال صلى الله عليه وسلم : أقم عندي البيعة بذلك ﴿ أى بصحبة قولك أنا موحد مسلم ﴾ ﴿ فتحير فقصر له صلى الله عليه وسلم خبر العلوية ﴾ يعنى ان هذا القصر لمن أكرمهن وأحسن اليهن ﴿ فاتبه الرجل ﴾ المسلم من نومه وهو ﴿ في غاية الحزن والكآبة ﴾ أى شدة الحزن ﴿ إذ ردها ثم بالغ في الفحص ﴾ والتبع ﴿ عنها حتى دل ﴾ بالبناء للمفعول ﴿ عليها بدار الجوسى فطلبها منه ﴾ أى من الجوسى ﴿ فأنى ﴾ أى استمع ﴿ وقال قد لحقتي من بركاتهن ﴾ ﴿ فقال ﴾ المسلم ﴿ خذ ألف دينار وسلمهن إلى فأنى ﴾ الجوسى بذلك ﴿ فأراد ﴾ المسلم ﴿ أن يكرهه ﴾ بضم أوله أى يتهره ﴿ فقال ﴾ الجوسى ﴿ له ﴾ أى للمسلم ﴿ الذي تريد ﴾ من أكرامهن ﴿ أنا أحق به والقصر ﴾ العظيم ﴿ الذي رأيته في النوم خلق لي فقال ﴾ المسلم ﴿ أنت لست بمسلم ﴾ فكيف تستحق قصر الجنة ﴿ فقال ﴾ الجوسى ﴿ أتفخر على ﴾ وتباهى ﴿ بإسلامك فوالله ﴾ العظيم ﴿ ما نمت أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل منامك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : العلوية وبناتها عندك قلت : نعم ﴾ من عندي ﴿ يا رسول الله قال ﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿ القصر ﴾ الذي رأيته ﴿ لك ولأهل دارك فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن ما لا يعلمه إلا الله تعالى ﴾ هكذا هو في الزواجر .

﴿فصل في ذم الخيانة﴾

في الأمانات كالوديعة والعين المرهونة والمستأجرة وغير ذلك . قال الله تعالى : ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . نزلت في عثمان بن طلحة الحبشى الدارى كان سادن الكعبة يوم الفتح فلما دخلها النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ أغلق باب الكعبة وامتنع من إعطاء مفتاحها ولو علم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعه فلوى على رضى الله عنه يده وأخذه منه وفتح الباب ودخل صلى الله عليه وسلم وصلى فيها فلما خرج سأله العباس رضى الله عنه أن يعطيه المفتاح ليجمع له السدانة مع السقاية فانزل الله هذه الآية فأمر صلى الله عليه وسلم عليا أن يرده إلى عثمان ويعذر إليه فقال له : أكرمت وأديت ثم جئت ترفق فقال له : لقد أنزل الله في شأنك قرآنا . وقرأ عليه الآية فأسلم وكان المفتاح معه فلما ملئت دفعه إلى أخيه شيبة فالسدانة في أولاده إلى يوم القيامة لقوله صلى الله عليه وسلم : خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم .

وقيل المراد من الآية جميع الأمانات . قال الحافظ أبو نعيم في الحلية : ومن قال أن الآية عامة في الجميع البراء بن عازب وابن مسعود وأبى بن كعب قالوا : الأمانة في كل شيء في الوضوء والجنابة والصلاة والزكاة والصوم والكيل والوزن والودائع . قال ابن عباس رضى الله عنهما : لم يرخص الله لمفسر ولا موسر ان يسبك الأمانة . وقال ابن عمر : خلق الله تعالى فرج الإنسان وقال : هذه أمانة خيانتها عندك فاحفظها لاجتماعها .

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون وقال تعالى إن الله لا يهدي كيد الخائنين ،

﴿وأخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له وموضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد * وأحمد وابن حبان عن أنس لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ،

وقال بعضهم: معاملة الإنسان إمامة ربه بفعل المأمورات واجتناب المنهيات والله تعالى في كل عضو من أعضاء الإنسان أمانة فأمانة اللسان أن لا يستعمله في كذب وغيبة ولا نسيئة ولا بدعة ولا فحش ولا نحوها والعين أن لا ينظر بها إلى محرم والأذن أن لا يصغى بها إلى سمع محرم وهكذا سائر الأعضاء وإمامة الناس بنحو رد الودائع وترك التطفيف في كيل أو وزن أو ذرع وبعدل الأمراء في الرعية والعلماء في العامة بأن يحملوهم على الطاعة والأخلاق الحسنة واعتقادات الصحيحة وأن يبهوهم عن المعاصي وسائر القبايح كالتعصبات الباطلة والمرأة في حق زوجها بأن لا تخونه في فراشه أو ماله والقرن في حق سيده بأن لا يتصرف في خدمته ولا يخون له في ماله وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله: كلكم راع وكلكم مسئولون عن رعيته ، وإمامة نفس بأن لا يختار لها إلا الأنفع والأصلح في الدين والدنيا وأن يجتهد في مخالفة شهواتها وإرادتها فإنها السم النافع المهلك لمن أطاعها في الدنيا والآخرة .

﴿وقال الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وأماناتكم وأنتم تعلمون﴾ نزلت في أبي لبابة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة لما حصرهم صلى الله عليه وسلم وكانوا يميلون إلى أبي لبابة لكون أهله وولده فيهم فقالوا له: هل ترى أن تنزل على حكم محمد فأشار بيده إلى خلقه أي أنه الذبح فلا يفعلوا فكانت تلك منه خيانة لله ولرسوله قال: فما زالت قدمي من مكانهما حتى غلقت أني خنت الله ورسوله ثم ذهب إلى المسجد وربط نفسه وخلف أن لا يحلها أحد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة وقوله عز وجل: وتخونوا أماناتكم . غطف على النهي أي ولا تخونوا أماناتكم قال ابن العباس: الأمانات الأعمال التي ائتمن الله تعالى عليها العباد وأما خيانة الأمانات فكل أحد مؤتمن على ما كلفه الله به فهو سبجانه وتعالى موفقه بين يديه ليس بينه وبين الله ترجمان ويسئله عن ذلك هل حفظ أمانة الله فيه أو ضيعها فليستعد الإنسان بماذا يجيب الله تعالى به إذا سألته عن ذلك فإنه لا مسامح للجدد والآنكار في ذلك اليوم .

﴿وقال الله تعالى إن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ أي لا يرشد كيد من خان أمانته بل يحرم هدايته في الدنيا ويفضحه على رؤس الأشهاد في عقبى فالحيانة قبيحة في كل شيء لكن بعضها أشد وأقبح من بعض إذا من خانك في فلس ليس كمن خانك في أهلك وقد عظم الله سبجانه وتعالى أمر الأمانة تعظيماً بليغاً وأكد تأكيداً شديداً فقال عز وجل: أنا عرضنا الأمانات أي تكاليف الله بها عباده من أمثال الأوامر واجتناب النواهي على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان أي آدم عليه الصلاة والسلام أنه كان ظلوماً أي لنفسه بقبوله تلك التكليفات الشاقة جداً جهولاً أي بمشققتها التي لا تنهاى .

﴿وأخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له وموضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد﴾ فكما إذا قطع الرأس مات كذلك إذا فقدت الصلاة فقد الدين أي كماله ﴿و﴾ أخرج أحمد وابن حبان عن أنس رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له﴾ أي بامتنال الأوامر واجتناب النواهي .

والشيخان عن أبي هريرة آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان * وأبو الشيخ عن أنس ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج واعتصم وقال إني مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان * وأبو يعلى والبيهقي عن النعمان بن بشير من خان شريكاً فيما ائتمنه عليه واسترعا له فأناب بري منه * والشيخان عن أبي حميد الساعدي قال استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد

وروى أن الله تعالى خلق الدنيا كالبيتان وزينها بخمسة أشياء يعلم العلماء وعدل الأمراء وعبادة الصالحين ونصيحة المستأثر وأداء الأمانة فقرن إبليس مع العلم الكتمان ومع العدل الجور ومع العبادة الرياء ومع النصيحة الغش ومع الأمانة الخيانة. وأخرج أبو يعلى والحاكم والبيهقي: تقبلوا إلى ساء أقبل لكم الجنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا ائتمن فلا يخن الحديث. وأخرج أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي أضمنوا إلى ساء أضمن لكم الجنة اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا ائتمنتم الحديث. وأخرج الطبراني أكلوا إلى ساء أكل لكم الجنة الصلاة والزكاة والأمانة والفرج والبطن واللسان. وأخرج مسلم وغيره عن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن لأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال أي يفتح الجيم وسكون المعجمة أصلها ثم نزل القرآن وحدثنا عن رفع الأمانة فقال: ينال الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها في قلبه مثل الوكت يفتح وسكون الفوقية الأثر اليسير ثم ينال الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل أي يفتح وسكون الجيم أي تنفط اليد من العمل وغيره كبحر دخرجه على رجلك فنقط فقراءه، منبراً أي بالزاء مرتفعاً.

﴿و﴾ أخرج ﴿الشيخان﴾ والترمذي والنسائي ﴿عن أبي هريرة﴾ ؑ ﴿آية﴾ أي علامة ﴿المنافق ثلاث﴾ المراد بالآية الجنس بدليل رواية: آيات المنافق أي الذي كان في عصره ؑ يميزه أحد هذه الثلاث فلا ينافي أنه الآن يمكن اجتماع هذه الثلاث في معلوم الإيمان أو المراد تفاق عمل أي عمله كعمل المنافق من حيث أظهر خلاف ما في الباطن وخصها بالذكر مع أن العلامات كثيرة ليكون البعض متعلقاً بالنية والبعض بالقول والبعض بالفعل والمدار على الثلاث قاله الحنفى ﴿إذا حدث كذب﴾ بالتخفيف أي أخير بخلاف الواقع ﴿وإذا وعد﴾ قال المناوي: أي أخبر بخير في المستقبل ﴿أخلف﴾ أي لم يوف بوعده ﴿وإذا ائتمن﴾ قال العلقمي: وقوله العزيزي: بصيغة المجهول وفي بعض الروايات تشديد الباء وهو قلب الهمزة الثانية منه واوا وإبدال الواو تاء وإدغام التاء في التاء أي جعل أئمتنا ﴿خان﴾ قال العزيزي: الخيانة ضد الأمانة وأصل الخيانة النقص أي ينقص ما ائتمن عليه ولا يؤديه كما كان عليه وخيانة العبد ربه أن لا يؤدي حقوقه والأمانات عبادته التي ائتمن عليها زاد مسلم: وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ﴿و﴾ أخرج ﴿أبو الشيخ﴾ ابن حبان ﴿عن أنس﴾ ؑ ﴿ثلاث من كن﴾ أي اجتمع ﴿فيه فهو منافق وإن صام﴾ رمضان ﴿وصلى﴾ الفرائض ﴿وحج﴾ إلى بيت الله الحرام ﴿واعتمر﴾ وقال: إني مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان. ﴿و﴾ أخرج ﴿أبو يعلى والبيهقي عن النعمان بن بشير﴾: من خان شريكاً فيما ائتمنه عليه واسترعا له فأناب بري منه. وأخرج الشيخان: أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً من كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر. وأخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه كان صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه شس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنه شس البطانة.

﴿و﴾ أخرج ﴿الشيخان عن أبي حميد﴾ بضم المهملة وفتح الهمزة وعبد الرحمن بن المنذر ﴿الساعدي﴾ الأنصاري رضي الله عنه أنه ﴿قال﴾: استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد بفتح الهمزة وسكون الزاء آخره دال مهملة

يقال له ابن اللبية على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدي إلي فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدي إلي فينظر أهدي إليه أم لا فولاذي نفسي يده لا يأخذ أحد منكم شيئا إلا جاء يوم القيامة يحمله على رقبة إن كان بعيرا له رغاء أو بقرة له خوار أو شاة لها يعار ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة أبطينه ثم قال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت * والبراز عن علي كرم الله وجهه قال كما جلوسا عند النبي ﷺ فطلع علينا رجل من أهل العالية فقال يا رسول الله أخبرني بأشد شيء في هذا الدين وألينه فقال ألبسته شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأشده يا أخا العالية الأمانة إنه لا دين لمن لا أمانة له ولا صلاة ولا زكاة الحديث * والترمذي عنه إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء إذا كان المغنم

﴿يقال له ابن اللبية﴾ بضم اللام وسكون الفوقية نسبة إلى بني لب قبيلة معروفة اسمه عبد الله هذا هو الأصح كما قاله الكرماني ﴿على الصدقة﴾ أي صدقات بني سليم وقال العسكري: أنه بعث على صدقات بني ذبيان فلعله كان على القبيلتين ﴿فلما قدم﴾ المدينة وفرغ من عمله حاسبه عليه الصلاة والسلام ﴿قال﴾ ابن اللبية ﴿هذا لكم وهذا أهدي﴾ بضم الهضمة ﴿إلى فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه﴾ ثم قال: ما بال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول: هذا لكم وهذا أهدي إلي فها جلس في بيت أمه أويت أبيه فينظر أهدي إليه ﴿بضم التحتية وفتح الدال وفي رواية: يهدي إليه يحذف همزة الاستفهام﴾ أم لا ﴿بنصب الفعل المضارع المقترن بالفاء في جواب التحضيض المقدم وهو هاجس والظاهر أن النظر هنا بصرى بعده مقترنة بالاستفهام في محل نصب وهو معلق عن العمل وقد صرح الزحسري بتعلق نظر البصر لأنه من طريق العلم وتوقف فيه ابن هشام في مغنيه مرة وقال: به أخرى حكاها في المصاحج ﴿فوالذي نفسي بيده﴾ أي بقرته ﴿لا يأخذ أحد منكم شيئا﴾ من مال الصدقة يجوز له لنفسه ﴿الاجاء﴾ به ﴿يوم القيامة﴾ حال كونه ﴿يحمله على رقبة إن كان﴾ المأخوذ ﴿بعيرا﴾ أي يحمله على رقبة يحذف جواب الشرط لدلالة المذكور عليه ﴿له رغاء﴾ بضم الراء وبالفن المعجمة ممدودا صفة للبعير يقال رغاء البعير إذا صوت ﴿أو﴾ كان المأخوذ ﴿بقرة﴾ يحملها على رقبة ﴿له خوار﴾ بضم الخاء المعجمة صفة للبقرة وهو صوتها ﴿أو﴾ كان المأخوذ ﴿شاة﴾ يحملها على رقبة ﴿لها يعار﴾ وفي رواية للتجاري أو شاة تعرب بفتح المثناة الفوقية وسكون التحتية وفتح العين المهملة آخره راء صفة لشاة أي تصوت شديدا ﴿ثم رفع﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿يديه حتى رأينا عفرة أبطينه﴾ بضم العين المهملة وسكون الفاء وفتح الراء ياضهما المشوب بالسمة ﴿ثم قال﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿اللهم هل بلغت﴾ بتشديد اللام ﴿اللهم هل بلغت﴾ ثلاثا كما في البخاري أي قد بلغت حكم الله إليكم أو استفهام تقرير والتقرير للتأكيد ليسمع من لا يسمع ويبلغ الشاهد الغائب وفي هذا الحديث أن هذا العمل تجعل في بيت المال وأن العامل لا يملكها إلا أن يطيبها له الإمام كما في قصة معاذ أنه صلى الله عليه وسلم طيب له الهدية فاقدها له أبو بكر رضي الله عنه بعد رسول صلى الله عليه وسلم .

﴿وخرج﴾ البراز عن ﴿سيدنا﴾ علي بن أبي طالب ﴿كرم الله وجهه﴾ قال: كما جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فطلع علينا رجل من أهل العالية ﴿وهي ما فوق نجد إلى تهامة﴾ فقال: يا رسول الله فأخبرني بأشد شيء في هذا الدين وألينه فقال: عليه الصلاة والسلام ﴿ألبسته شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأشده يا أخا العالية الأمانة إنه لا دين لمن لا أمانة له ولا صلاة ولا زكاة الحديث﴾. ﴿الترمذي عنه﴾ أي عن علي رضي الله عنه ﴿إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة﴾ خصها بالذكر لأنها أمهات المعاصي فما عداها مفرع عليها ﴿حل بها البلاء﴾ أي نزل أو وجب قالوا: وما هي يا رسول الله قال ﴿إذا كان المغنم﴾ أي الغنيمة

دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أركم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القينات والمعارف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليترقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا * وصح عن ابن مسعود قال القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة * وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم إني أعوذ بك من الجوع

والمراد ما يعم الفنى **﴿دولا﴾** بكسر فتحة جمع دولة بالضم اسم لكل ما يتداول من المال قال الحنفى: أى جعلوا الغنيمة لأهل الدولة وتركوا المستحقين **﴿والأمانة مغنما﴾** نعناه كما قاله العلقمى ونقله العزبى: إذا كان عند الشخص مال على جهة الأمانة كالوديعة فجحد ما أوخان فيها بأخذ شيء منها أو استعمالها حيث لا يجوز له الاستعمال عند ذلك غنيمة **﴿والزكاة مغرما﴾** أى يرى رب المال أن إخراج زكاته غرامة يغرمها فيشق عليه إخراجها **﴿وأطاع الرجل زوجته﴾** أى فيما يخالف الشرع **﴿وعق أمه﴾** أى عصاها وترك الإحسان إليها وإنما خص الأم وإن كان الأب كذلك لضعفها ولأن جانبها فلعنوا قوما مزيد في القبح **﴿وبر صديقه﴾** أى حسن إليه وادبائه قال الحنفى: هذا غير مذموم وذمه بالنظر للقيد أعنى قوله **﴿وجفا أباه﴾** أى صلت به وبره وبعد عن مودته وأعرض عنه **﴿وارتفعت الأصوات﴾** أى بنى ذكر الله **﴿في المساجد﴾** وذلك بنحو الخصومات والمبايعات واللهو واللعب **﴿وكان زعيم القوم﴾** أى أميرهم ورئيسهم **﴿أركم الرجل﴾** أى أحقرهم نسباً **﴿وأكرم الرجل﴾** بالبناء للمفعول أى أكرمه الناس **﴿بمخافة شره﴾** أى خشية من تعدى شره إليهم والمبرأة كذلك فالمراد الإنسان **﴿وشربت الخمر﴾** قال المناوى: جمعها لاختلاف أنواعها إذا كل مسكر خمر **﴿ولبس الحرير﴾** أى لبسه الرجل بلا ضرورة **﴿واتخذت القينات﴾** أى الاماء المغنيات **﴿والمعارف﴾** أى الآلات للهوى قال العلقمى: والعزف اللعب بالمعارف بعين مهملة وزاى وفاء وهى الدفوف وغيرها مما يضرب كالعود والطنبور وقيل: كل لعب عزف **﴿ولعن آخر هذه الأمة أولها﴾** أى لعن أهل الزمن المتأخر والسلف **﴿فليترقبوا﴾** جواب إذا أى فلينبظروا **﴿عند ذلك ريحا حمراء﴾** وكانت تأتى في الأمم السابقة وقد أخبر **﴿بأنه يأتى في آخر الزمان ما هو أعظم منها وهو ما ذكره بقوله﴾** **﴿أو خسفا﴾** أى غورا بهم في الأرض **﴿أو مسخا﴾** وهو قلب الحلقة من صورة إلى أخرى.

قال العلقمى: وذكر الخطبى أن المسخ قد يكون في هذه الأمة وكذلك الخسف كما كان في سائر الأمم خلافا لقول من زعم أن ذلك لا يكون وإنما مسخها بقلوبها قال العزبى وهو حديث ضعيف بل ذكر الحنفى عن شيخه الحق أنه موضوع كما ذكر ابن الجوزى وغيره من الحفاظ. وأخرج البزار: ثلاث متعلقات بالعرش الرحمة تقول: اللهم إني بك فلا أقطع والأمانة تقول: اللهم إني بك فلا أخان والنعمة تقول: اللهم إني بك فلا أكره.

﴿وصح﴾ في الخبر الذي رواه الطبراني وأبو نعيم **﴿عن ابن مسعود﴾** رضى الله عنه أنه **﴿قال: القتل في سبيل الله﴾** أى قتل لمسلم الكفار لأعلاء كلمة الله تعالى **﴿يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة﴾** أى الحيانة في الأمانة قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله فيقال له: أداماتك فيقول: أى رب كيف وقد أذهبت الدنيا فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية وتمثل له الأمانة كهيئتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها فيبهرى في أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبه حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبه فهو يهرى في أثرها أبد الآبدين ثم قال: الصلاة أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وأشد ذلك الودائع قال: زاد إن فأيت زيد بن عامر فقلت: ألا ترى إلى ما قال ابن مسعود قال: كذا وكذا قال: صدق أما سمعت الله تعالى يقول: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها.

﴿وصح﴾ في الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه **﴿عنه﴾** أنه كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من الجوع

فإنه ينس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بنست البطانة .

﴿باب الوصية﴾

﴿أخرج﴾ أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن الرجل يعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة وإذا أوصى جاري في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وإن الرجل يعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة * وأبو داود والترمذي عنه إن الرجل يعمل أو المرأة :

حقيقته أنه الأم الحاصل من خلو المعدة من المأكول ولا ينافي هذا قول أهل السلوك فينبغي للسالك أن يربى نفسه بالجوع ، وحديث : جوعوا تصحوا . لأن هذا محمول على عدم الاتهامك على المأكول بأن يقتصر على الشيع الشرعى . قال الحنفى : قوله من الجوع هذا مخالف لما عليه أهل الطريق فإن الجوع مطلوب لرياضة النفس وبحاج بأن المستجار منه هو الذي ليس فيه مصلحة شرعية أو يضر بالجسد ﴿فانه ينس الضجيع﴾ أى المضاجع لى فى الفراشى استعاذ منه لأنه يمنع استراحة البدن ويحلل المواد الحمودة بلا يبدل ويشوش الدماغ ويورث الوسواس ويضعف البدن عن القيام بوظائف العبادة قال بعضهم : الجوع الصادق له علامات منها أن لا تطلب النفس الأدم بل تأكل الخبز وحده بشهوة أى خبز كان فمهما طلب خبزاً بعينه أو طلب أدماً فليس ذلك بجوع صادق وقيل : علامة الجوع أن يبصق فلا يقع الذباب عليه لأنه لم يبق فيه ذهينة ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ﴿وأعوذ بك من الخيانة﴾ أى خيانة الغير كالخيانة فى الزديعة وخيانة النفس كان لا يمثل المأمورات والمنهيات قال المتاوى : هى مخالفة الحق بنقض العهد فى السفر . وقال بعضهم : أصل الخيانة أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يودى الأمانة فيه . قال أبو عبيد : لا تروا خص به الأمانة فى أمانات الناس دون ما افترض الله على عباده واتمتمهم فانه قد سمى ذلك أمانة فقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم . فمن ضيع شيئاً مما أمر الله به أو ارتكب شيئاً مما نهى الله عنه فقد خان نفسه اذ جلب اليها الذم فى الدنيا والعقاب فى الآخرة ﴿فانها بنست البطانة﴾ هى فى الأصل الثوب الملاصق للجسد والجهة التى لا تلاصقه تسمى ظهارة فاستعيرت لكل شيء ملازم يقال بطانة الرجل أهله وعياله والمراد هنا الصفة الملازمة للشخص قاله الحنفى .

﴿باب ذم الاضرار فى الوصية﴾

قال تعالى : من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حلیم . تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله أى فى شأن الموارث على ما قاله ابن عباس والاحسن بقاؤه على عمومه ، يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله أى فيما فرض الله من الموارث على ما قاله مجاهد وفيه مامر ، يدخله ناراً خالداً فيها أى أبداً ان استحل والا فالمراد بالخلود المدة الطويلة ، وله عذاب مهين

﴿أخرج﴾ أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة ﴿رضى الله عنه﴾ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الرجل ﴿يعنى الانسان ذكراً كان أو أنثى﴾ يعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة ﴿أى زماناً طويلاً فهذا العدد للتكثير لا للتحديد﴾ وإذا أوصى جاري في وصيته أى مال عن الحق فيها كان يوصى بزيادة على الثلث أو يقصد المضارة بالوصية أى حرمان الورثة دون القرابة أو يقر بدين لأصل له ﴿فيختم له بشر عمله فيدخل النار وإن الرجل يعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة﴾ ﴿و﴾ أخرج أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ﴿عنه﴾ أى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿ان الرجل يعمل أو المرأة﴾ بالنصب لا بالرفع لأن العطف على ضمير الرفع المتصل بدون فاصل خاص بالنظم مع

بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار * وابن ماجه عن أنس بن مالك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الوصية من ميراثه من الجنة» * وورد من طع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة (وروي النسائي) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الوصية من الكبائر» (تنبيه) قد صرح صلى الله عليه وآله وسلم بأن ذلك من الكبائر ومن ثم صرح جمع من أئمتنا وغيرهم بذلك وقال ابن عاقل في تفسيره: أعلم أن الإضرار في الوصية يقع على وجوه منها أن يوصى بأكثر من الثلث أو يقر بكل ماله أو بعضه لأجنبي أو يقر على نفسه بدين لا حقيقة له دفعا للميراث عن الوارث أو يقر بأن الدين الذي كان له على فلان قد استوفاه منه أو يبيع شيئا بثمن رخيص أو يشتري شيئا بثمن غال كل ذلك لغرض أن لا يصل المال إلى الورثة ومن الإضرار في الوصية أن يوصى على نحو أطفاله من يعلم من حاله أنه يأكل ما لهم أو يكون سببا لضياجه لكونه لا يحسن التصرف فيه أو نحو ذلك اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عن سواك آمين.

أنه ضعيف أيضا (بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية) بضم الياء وتشديد الراء قبل ألف التثنية أصله فيضاران بكسر الراء الأولى أي يوصلان الضرر إلى وراثتهما (فتجب لهما النار) أي يستحقان بالمضارة في الوصية دخول النار ولا يلزم من الاستحقاق الدخول فقد يغفوا الله ويغفر ثم قرأ أبو هريرة رضي الله عنه: من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله حتى يبلغ وذلك الفوز العظيم.

(و) أخرج (ابن ماجه عن أنس) وضعفه المنذري (من قرأ من ميراث وراثته) بأن فعل من مرض موته ما يغتفر به لموت وراثته من نحو هبة ماله (قطع الله ميراثه من الجنة) دعاء أو خبر فحينئذ حرمان الوارث حرام قاله العزيمى (وورد) في الخبر (من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة) لأن الجزء من جنس العمل (وروي النسائي) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الإضرار في الوصية من الكبائر) ثم تلا: تلك حدود الله.

(تنبيه) (قد صرح) رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك أي الإضرار في الوصية (من الكبائر ومن ثم) أي من أجل تصريحه صلى الله عليه وسلم ما ذكر (صرح جمع من أئمتنا وغيرهم بذلك وقال ابن عاقل في تفسيره: أعلم أن الإضرار في الوصية يقع على وجوه كثيرة) منها أن يوصى بأكثر من الثلث أو أن يقر بكل ماله أو بعضه لأجنبي أو يقر على نفسه بدين لا حقيقة له ولا أصل له (دفعا للميراث عن الوارث أو يقر بأن الدين الذي كان له على فلان قد استوفاه منه أو يبيع شيئا بثمن رخيص أو يشتري شيئا بثمن غال كل ذلك) المذكور (لغرض أن لا يصل المال إلى الورثة) أو يوصى بالثلث لأوجه الله لكن لغرض تنقيص الورثة فهذا هو الإضرار في الوصية انتهى ما قاله ابن عاقل وجري على ذلك كله الزركشي وهو عجب من الزركشي فإن ما طلبه في الوصية بأكثر من الثلث لا يأتي على قوائدها مكروه ولا حرام فضلا عن كونه كبيرة نعم، والظاهر أنه يحرم عليه ذلك أن قصد حرمان ورثته وعلم أن من أوصى له يستولى على أكثر من الثلث ظلما وعدوانا وحينئذ فلا يبعد أن تعد وصيته حينئذ كبيرة لأن فيه أبلغ الإضرار بالورثة سيما في هذه الحالة التي يصدق فيها الكاذب ويتوب فيها الفاجر فاقدام على ذلك فيه دليل ظاهر على قسوة قلبه وفساده وغاية جرائته فلذلك يحتم له بشرع الله فيدخل النار كما مر في الحديث وما ذكره في مسائل الأقرار ظاهر وما ذكر في الوصية بالثلث بقيد الذي ذكره يأتي فيه ما قدمته في الوصية أكثر من الثلث (ومن الإضرار في الوصية أن يوصى على نحو أطفاله من يعلم من حاله أنه يأكل ما لهم أو يكون سببا لضياجه) أي المال (لكونه لا يحسن التصرف فيه أو نحو ذلك اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عن سواك آمين) أي استجب دعائي يا رب العالمين.

﴿باب النكاح﴾

(خاتمة) ينبغي الإعتناء بالوصية بالعدل اما الثاني فلما ذكر وأما الأول فلخبر الشيخين وغيرهما : ما من إمري مسلم له شيء يوصى فيه بيت ليلتين وفي رواية : ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده . قال ابن عمر رضى الله عنهما : ما مضت على ليلة منذ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وعندى وصية مكتوبة . وأخرج ابن ماجه : من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومن مات على نقي وشهادة مات مغفورا له . وأخرج أبو يعلى بإسناد حسن : المحروم من حرم وصيته . وأخرج الطبراني : ترك الوصية عار في الدنيا نار وشنار في الآخرة . ولو صح هذا الحديث لاستفيد منه ان ترك الوصية كثيرة وحينئذ فيحمل على من علم أن ترك الوصية يكون سببا لاستيلاء الظلمة على ماله وأخذه من ورثته وروى أبو داود وابن حبان في صحيحه : لأن يصدق الرجل في حياته وصحته بدرهم خير له من أن يصدق عند موته بمائة والله سبحانه وتعالى اعلم .

﴿باب الترتيب في النكاح﴾ وبيان أركانه وغير ذلك

إعلم أن النكاح بالكسر في كلام العرب وهو الوطاء وقيل العقد له وهو التزويج لأنه سبب للوطء المباح وفي الصحاح النكاح الوطاء وقد يكون العقد وفي المحكم النكاح البضع وذلك في نوع الإنسان خاصة واستعمله ثعلب في الدواب وقال في حاشيته القموس واستعمله في الوطاء والعقد نما وقع فيه الاختلاف هل هو حقيقة في الكل أو مجاز في الكل أو حقيقة في أحدهما مجاز في الآخر ولم يرد النكاح في القرآن الا بمعنى العقد لأنه في الوطاء صريح وفي العقد كناية عنه قالوا : وهو أوفق بالبلاغة والأدب كما ذكره الزمخشري والراغب وغيرهما وقال ابن فارس : يطلق على الوطاء وعلى العقد دون الوطاء وقال ابن القوطبة : نكحتها اذا وطئتها وتزوجتها وأقره ابن القطائع ووافقهما السرقسطي . وفي المصباح هو من نكحه الدواء اذا خاسره وغلبه أو من تنكحت الاشجار اذا انضم بعضها الى بعض وعلى هذا يكون النكاح مجازا في العقد والوطء جميعا لأنه مأخوذ عن غيره فلا يستقيم القول بأنه حقيقة فيهما ولا في أحدهما ويؤيده بأنه لا يفهم العقد الا بقرينة نحو نكح في بني فلان ولا يفهم الوطاء الا بقرينة نحو نكح زوجته وذلك من علامة المجاز وان قيل غير مأخوذ من شيء فيتعين التواطؤ والاشتراك واستعماله لغة في العقد أغلب انتهى . وفي نسخة من الصحاح في ترجيح الاشتراك لأنه لا يفهم من قسميه الا بقرينة وهذا من المجاز أقرب وقول صاحب المصباح : واستعماله لغة في العقد أغلب هو ظاهر كلام جماعة وظاهر سياق القاموس كالجوهري عكسه لأنه قدم الوطاء ثم ظاهر الصحاح ان استعماله في العقد قليل أو مجاز وكلام صاحب القاموس يدل على تساويهما وفي ضح المختار لبعض الحنفية النكاح يذكر في ثلاثة أشياء للعقد وللوطء الحلال والمعنى الذي تترتب عليه أحكام هذا العقد كملك متعة البضع وفي العقد الا خير احترازا عن البيع ونحوه لأن المقصود فيه تملك الرقبة وملك المتعة داخل فيه ضمنا .

وقال فخر الإسلام البرزوي : النكاح اسم للعقد الشرعي الذي تترتب عليه أحكام ومقاصد وقد يذكر ويراد به الوطاء وقيل انه حقيقة لهما لأنه عبارة عن الضم والاجتماع ومعنى الضم موجود في العقد والوطء فكان حقيقة لهما والأصح أنه حقيقة للوطء خاصة لأنه لما كان للضم لغة فجعله حقيقة لما فيه معنى الضم أبلغ وهو الوطئ أولى ولا يجوز أن يكون حقيقة لهما لأنه يؤدي الى الاشتراك انتهى .

وفي شرح البخاري للقسطلاني اختلف أصحابنا في حقيقة النكاح على ثلاثة أوجه حكاهما القاضي الحسين في تعليقه أصحها أنه حقيقة في العقد مجاز في الوطاء وهو الذي صححه القاضي أبو الطيب وقطع به المتولي وغيره واحتاج له بكثرة ورود في الكتاب والسنة للعقد والثاني أنه حقيقة في الوطاء مجاز في العقد وهو مذهب الحنينة . والثالث أنه حقيقة فيهما بالاشتراك ويتعين المقصود بالقرينة انتهى .

قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع * وأخرج الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء * واليهي عن أبي أمامة تزوجوا فاني مكاثركم الأمم ولا تكونوا كرهانة النصارى *

وقال الله تعالى : فانكحوا ما طاب لكم من النساء * يعني ما حل لكم من النساء واستدل الظاهرية بهذه الآية على وجوب النكاح قالوا : لأن قوله تعالى فانكحوا أمر والأمر للوجوب وأجيب عنه بأن قوله تعالى : فانكحوا إنما هو لما يحل من العدد في النكاح وتمسك الشافعي في بيان أن النكاح ليس بواجب بقوله : ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح إلى قوله : ذلك لمن خشي العنت منكم وإن تصبروا خير لكم الآية فحكم هذه الآية بأن ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على أنه ليس بواجب ولا مندوب * مثنى وثلاث ورباع * معناه إثنين اثنين وثلاثا وثلاثا وأربعا وأربعا وهو غير منصرف لأنه اجتمع فيه أمران العدل والوصف والواو بمعنى أو في هذا الفصل لأنه لما كانت أو بمنزلة واو النسق جاز أن تكون الواو بمنزلة أو . وقيل أن الواو أفادت أنه يجوز لكل أحد أن يختار لنفسه قسما من هذه الأقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح إثنين فاشتان وإن قدر على ثلاث فثلاث وإن قدر على أربع فأربع لأنه يضم عددا . واجتمعت الأمة أنه لا يجوز لأحد أن يزيد على أربع نسوة وإن الزيادة على أربع من خصائص رسول الله ﷺ التي لا يشاركه فيها أحد من الأمة ويدل على أن الزيادة على أربع غير جائزة وأنها حرام ما روى عن الحرث بن قيس بن الحرث قال : أسلمت وعند ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال اختر منهن أربعا أخرجه أبو داود وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن غيلان سلمة التقي أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه فأمره رسول الله ﷺ أن يختار منهن أربعا أخرجه الترمذي قال العلماء فيجوز أن يجمع بين أربع نسوة جرائر ولا يجوز للعبد أن ينكح أكثر من امرأتين وهو قول أكثر العلماء لأنه خطاب لمن ولي وملك وذلك للأحرار دون العبيد . وقال مالك في إحدى الروايتين عنه وربعة يجوز للعبد أن يتزوج بأربع نسوة واستدل بهذه الآية ، وأجيب الشافعي بأن هذه الآية مختصة بالأحرار ويدل عليه آخر الآية وهو قوله تعالى : فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم . والعبد لا يملك شيئا فثبت بذلك أن المراد من حكم الآية الأحرار دون العبيد ،

وأخرج الشيخان عن عبد الله بن مسعود * أنه * قال : قال رسول الله ﷺ : يا معشر الشباب * جمع الشاب وهو عند أصحابنا من بلغ ولم يتجاوز ثلاثين كذا قاله النووي . * من استطاع منكم الباءة * وفيها أربع لغات الفصيحة المشهورة منها : الباءة بالمد والهاء والثانية بلامد والثالثة الباء بالمد بلا هاء والرابعة الباءة بهائين بلامد معناه الجماع لكن لا بد ههنا من تقرير المضاف يعني : من استطاع مؤنة الباءة من المهر والنفقة * فليزوج فإنه أغض للبصر * وهو أفعل تفضيل من غض طرفه إذا خفصه يعني أن التزويج أحفظ عن اجنبية * وأحصن للفرج ومن لم يستطع * أي مؤنة الباءة من المهر وغيره * فعليه بالصوم فإنه له * أي فان الصوم لمن قدر على الجماع ولم يقدر التزويج لفقره * وجاء * بالكسر والمدد في الخصيتين ليضعف الفحولة يعني أن الصوم يقطع الشهوة ويدفع شر المنى كالويحاء والأمر في الحديث للوجوب لأنه محمول على حالة التوقان بإشارة قوله : يا معشر الشباب فانهم ذوو التوقان على الجبلية السليمة . قال الفزالي : وهذا الحديث يدل على أن سبب الترغيب في النكاح خوف الفساد في العين والفرج حيث جعل قوله : فإنه الخ علة لقوله فليزوج . * * * أخرج * * * عن أبي أمامة * * * باسناد ضعيف * * * تزوجوا فاني مكاثركم * * * تعليل للأمر بالتزويج أي مفاخر * * *كم الأمم * * * المقدمة أي أغالبهم كثرة * * * ولا تكونوا كرهانة النصارى * * * يشنون في الصوامع وقابل الجبال تاركن النساء والمال .

وهو عن أبي هريرة من أحب فطرتي فليستن بسنتي وإن من سنتي النكاح وعن أنس إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليقلق الله في النصف الباقي * وأحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبلى * وابن عدي عن جابر أنما شاب تزوج في حداثة سنة عجب شيطانه يا ويلتى عصم مني دينه * وأحمد وابن أبي شيبة وابن عبد البر عن عكاف بن وداعة أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ألك زوجة يا عكاف قال لا قال ولا جارية قال لا قال وأنت صحيح موسر قال نعم الحمد لله قال فأنت إذا من إخوان الشياطين إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وإن كنت منا فاصنع كما نصنع فإن من سنتي النكاح شراركم عزابكم وإن أراذل موتاكم عزابكم ويحك يا عكاف فقال عكاف يا رسول الله لا أتزوج حتى تزوجني من شئت قال صلى الله عليه وسلم زوجتك على اسم الله والبركة الكريمة بنت كلثوم الحميري *

﴿وهو﴾ أى أخرج البيهقي ﴿عن أبي هريرة﴾ رضى الله عنه ﴿من أحب فطرتي فليستن بسنتي وإن من سنتي النكاح﴾ قال العزنى فيه تدب النكاح وله شروط مذكورة في كلب الفقه منها أن توثق نفسه إليه وإن يجد أهبة .

﴿و﴾ روى ﴿عن أنس﴾ رضى الله عنه ﴿إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليقلق الله في النصف الباقي﴾ بأن يتخلى أكل الحلال لأن كمال دين الشخص يحفظ فرجه ويطنه فإذا تزوج فقد حفظ النصف فليجتهد في حفظ النصف الثانى بعدم أكل الحرام أخرجه السيوطى في جامعه من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ : من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان فليقلق الله في النصف الباقي . وفي المستدرك وصححه استنده بلفظ : من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه الحديث . وفي الكامل لابن عدى في ترجمة عبد الواحد بن زيد العمى عن أبيه عن أنس بلفظ : من تزوج فقد أعطى نصف العبادة وعبد الواحد ضعيف قاله الزيدى .

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد والشيخان﴾ وأبو داود عن سعد ﴿والترمذي والنسائي وابن ماجه﴾ عن سمرة ﴿نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبلى﴾ قال في الفتح المراد بالتبلى الانقطاع عن النكاح وما يتبعه من الملاذ إلى العبادة وأما المأمور به في قوله تعالى : وتبلى إليه تبلى . فقد فسر مجاهد فقال : اخلص إليه اخلاصا كما ذكره العزنى ﴿و﴾ أخرج ﴿ابن عدي﴾ وغيره ﴿عن جابر﴾ بلفظ : ﴿أنما﴾ رجل شاب تزوج في حداثة سنة أى إذا بلغ لغير شهوته ﴿عجب شيطانه﴾ أى رفع صوته قائلا ﴿يا ويلتى﴾ أى ياهلاكى بسبب فرار هذا الشخص منى ولم يبلغ منه مرادى ﴿عصم مني دينه﴾ بتزويجه أى معظمه اذ هذا إنما يحفظه من الزنادون القل ونحوه ،

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد وابن أبي شيبة وابن عبد البر عن عكاف بن وداعة﴾ رضى الله عنه ﴿أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : يا عكاف ألك زوجة يا عكاف ؟ قال لا قال ولا جارية ؟ قال لا قال وأنت صحيح موسر قال نعم ، الحمد لله قال﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿فأنت إذا﴾ أى حين فقدت الزوجة أو الجارية ﴿من إخوان الشيطان إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وإن كنت منا فاصنع كما نصنع فإن سنتي النكاح شراركم﴾ أى بعض شراركم ﴿عزابكم﴾ بضم العين جمع عازب كما ذل وجاهل وجهال اذ ليس لهم اقراط يهينون لهم ما يحتاجون إليه في الآخرة ﴿وإن أراذل موتاكم عزابكم﴾ قال الحنفى : هذا محمول على من غلبت شهوته وضعفت تقواه والافهم من الخيار وإن كان عازبا وقد نظم ابن العماد فقال :

شراركم عزابكم جاء الخبر * أراذل الأموات عزاب البشر

﴿ويحك يا عكاف تزوج فقال عكاف : يا رسول الله لا أتزوج حتى تزوجني من شئت قال صلى الله عليه وسلم زوجتك على

اسم الله والبركة الكريمة بنت كلثوم الحميري .﴾

والديلمي وأبو داود من ترك الزوج مخافة العيلة فليس منا * وأحمد ومسلم عن ابن عمر الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة * وابن ماجه عن أبي أمامة ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحت في نفسها وماله * والطبراني عن ابن مسعود تزوجوا الأبنكار فانهن أعذب أفواها وأتق أرحاما وأرضى باليسير * وأبو داود عن معقل بن يسار تزوجوا الودود الولود فلاني مكاثركم الأسم * والبيهقي عن أبي سعيد وابن عباس قال قال رسول الله عليه وسلم من ولد له ولد فليحسن اسمه وأدبه وإذا بلغ فليزوجه فإن بلغ ولم يزوجه فأصاب إثما فلانما إثمه على أبيه *

﴿و﴾ أخرج ﴿الديلمي﴾ في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف والدارمي في مسنده والبخاري في معجمه ﴿وأبو داود﴾ في المراسيل من حديث أبي نجیح السلمي ﴿من ترك الزوج مخافة العيلة﴾ أي الفقر ﴿فليس منا﴾ أي ليس على طريقنا . ﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد ومسلم﴾ والنسائي ﴿عن ابن عمر﴾ الدنيا كلها متاع ﴿أي شيء يتبع به زمانا قليلا﴾ وخير متاعها المرأة الصالحة ﴿فسرت في الحديث بقوله﴾ التي إذا نظر إليها سرته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله أي شر متاعها المرأة غير الصالحة ﴿و﴾ أخرج ﴿ابن ماجه عن أبي أمامة﴾ رضي الله عنه بإسناد حسن ﴿ما استفاد المؤمن﴾ أي ما ربح ﴿بعد تقوى الله﴾ عز وجل ﴿خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته﴾ لكونه يحبها بحسب طبعه ﴿وإن أقسم عليها﴾ إن تفعل شيئا أو تتركه ﴿أبرته﴾ أي أبرت قسمه ﴿وإن غاب عنها نصحت في نفسها﴾ بصونها عن الزنا ومقدماته و ﴿ماله﴾ فلا تضعه في غير محله وفيه الحث والترغيب في تزويج المرأة الصالحة .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني عن ابن مسعود﴾ رضي الله عنه بإسناد ضعيف ﴿تزوجوا الأبنكار فانهن أعذب أفواها﴾ أي أحلى ريقا من الثيب لأن الثيب تغير طعم ريقها من كبر سنها ومن مخالطة الرجال قاله الحنفى و ﴿وأتق أرحاما﴾ أي أكثر أولادا لأن الغالب أن البكر تزوج في أول سن الولادة بخلاف الثيب فانه قد مضى لها زمن ولدت فيه من غيره فلا يحصل منها ولادة كالبكر ﴿وأرضى باليسير﴾ زاد في رواية من العمل أي الجماع ولولا هذه الرواية لكان حمل الحديث على الأعم ثم أي أرضى باليسير من النفقة والكسوة والجماع كما هو مشاهد فإن الثيب تنظر لحال زوجها الأول ﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود﴾ والنسائي ﴿عن معقل بن يسار﴾ رضي الله عنه ورجاله ثقات ﴿تزوجوا الودود﴾ هي المتحبة لزوجها بالتلفظ في الخطاب وكثرة الخدمة والأدب والبشاشة في الوجه ﴿الودود﴾ أي كثرة الولادة ويعرف ذلك بأقاربها قال بعضهم : المراد التي تلد وإن لم تكن لكثرة الولادة فلا يكون فيها إلا عن الزوج بالعقمة لا بقليلة الولادة كما يدل له سبب الحديث أن بعضهم تزوج عقمة فذكر له صلى الله عليه وسلم هذا الحديث لكن المقرر أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فحمل الحديث على العموم ثم أفيد ﴿فاني مكاثركم الأسم﴾ السابقة في الكثرة .

﴿و﴾ أخرج ﴿البيهقي عن أبي سعيد وابن عباس﴾ رضي الله عنهم ﴿قالا﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ولد له ولد فليحسن اسمه وأدبه ﴿فذلك من حق الولد على الوالد﴾ وإذا بلغ فليزوجه فإن بلغ ولم يزوجه فأصاب ﴿الوالد﴾ إثما فانما إثمه على أبيه ﴿وقد ورد في الخبر الصحيح﴾ : أن أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وذلك لأنه لم يقع في القرآن إضافة عبد إلى اسم من أسمائه غيرهما ولا تهما أصول الأسماء الحسنى من حيث المعنى فكان كل منهما يشتمل على الكل ولأنه لم يسم بهما أحد غيره وبحث الجلال السيوطي أن اسم عبد الله أشرف من عبد الرحمن فانه تعالى ذكر الأول في حق الأنبياء . والثاني في حق المؤمنين فإن التسمي بعبد الرحمن في حق الأئمة الأولى وبآزعه الخناوى مستدلا بكلام صاحب المطامح من المالكية في أفضلية الاسم الأول مطلقا وقد جزم به

وهو عن عمر رضي الله عنه مكتوب في التوراة من بلغت له ابنة اثنتي عشرة سنة فلم يزوجها فأصابها إثمًا فإثم ذلك عليه * والطبراني وابن عساکر عن سلامة حاضنة السيد إبراهيم أبا ترضى إحداهن أنها إذا كانت حاملًا من زوجها وهو عنها راض أن لها مثل أجر الصائم والقائم في سبيل الله وإن أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء والأرض ما أخفى لها من قرعة أعين فإذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعة ولم يمص من ثديها مضية إلا كان لها بكل جرعة وبكل مضية حسنة فإن أسهرها ليلة كان لها مثل أجر سبعين رقبة تعتقهم في سبيل الله * وأبو داود عن ابن عمر أبغض الحلال إلى الله الطلاق «وحكى» أبو العباس أحمد بن يعقوب أنه رأى معروف الكرخي في النوم فقيل له ما صنع الله بك وعلمه بأن اسم الله هو قطب الأسماء وهو العلم الذي يرجع إليه جميع الأسماء ولا يرجع هو لشيء فلا اشتراك في التسمية البتة والرحمة قد يتصف بها الخلق فعبد الله أخص في النسبة من عبد الرحمن فالنسبة به أفضل وأحب إلى الله تعالى مطلقًا وزعم بعضهم أن هذه أحية مخصوصة لأنهم كانوا يسمون عبد الدار وعبد العزى فكانه قيل لهم : إن أحب الأسماء المضافة لعبودية هذان لا مطلقًا لأن أحبا إليه محمد وأحمد إذ ليخار لثبته إلا الأفضل وقد ورد ذلك بأن المفضل قد يؤثر لحكمة وهي هنا الإيماء إلى جوارته مقام الحمد وموافقة الحميد ومن أسمائه تعالى أيضا عبد الله كما في سورة الجن وإنما سمي ابنه إبراهيم لبيان جواز التسمية بأسماء الأنبياء وتبنيها على شرف سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ولذلك ذهب بعضهم إلى أن أفضل الأسماء بعد هذين إبراهيم لكن قال ابن سبع في شفاء الصدور أفضلها بعدهما محمد وأحمد ثم إبراهيم والله أعلم «وهو» أي وأخرج البيهقي «عن عمر رضي الله عنه مكتوب في التوراة: من بلغت له ابنة اثنتي عشرة سنة فلم يزوجها فأصابها إثمًا» كالزنا ونحوه «فإثم ذلك عليه» أي على والدها «و» أخرجه الحسن بن سفيان و «الطبراني وابن عساکر عن سلامة حاضنة السيد إبراهيم» ابن النبي صلى الله عليه وسلم «أما ترضى إحداهن» أي النساء أي نساء هذه الأمة قاله صلى الله عليه وسلم جوابا لسئلة الصحابة المذكورة لما قالت: يا رسول الله قد بشرت الرجال فبشر النساء فذكره وهو موضوع لم يصح من طريق أصلا خلافا لما قال أنه ضعيف ذكره الحفنى «أنها إذا كانت حاملًا من زوجها وهو عنها راض» بأن تكون مطبوعة له فيما يحل ومثلها الأمة المؤمنة الحاملة من سيدها «أن لها» مدة حملها «مثل أجر الصائم والقائم في سبيل الله» أي الجهاد أو طريق الخير وفي رواية الصائم القائم «وإن أصابها الطلق» أي وجع الولادة «لم يعلم أهل السماء والأرض» أي من انس وجن وملك «ما أخفى لها من قرعة أعين» أي بما تقر به عينها «فإذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعة» بضم فسكون قال في الصحاح والجرعة من الماء بضم حسوة منه «ولم يمص» من باب علم فاصله لم يمصص فنقلت فتحة الصاد اللميم وأدغمت وبصح بناؤه للفاعل أي لم يمص الولد «من ثديها مضية» ويجوز بناؤه للمفعول أي لم يمص مضية «الأكان لها بكل جرعة وبكل مضية حسنة» فإن أسهرها ليلة كان لها مثل أجر سبعين «أي من أعتق سبعين» رقبة تعتقهم في سبيل الله «و» أخرجه «أبو داود» وابن ماجه والحاكم «عن ابن عمر» «أبغض الحلال إلى الله» أن لا يرضاه ولا يشب عليه فالمكروه يوصف بالبغض كذا في المصباح بهذا المعنى «الطلاق» لأنه قطع العصمة الناشئ عنها التناسل الذي به تكثر هذه الأمة الحمدية * «وحكى» أبو العباس أحمد بن يعقوب أنه رأى «أبو محفوظ» معروف «بن فيروز» الكرخي «كان من المشايخ الكبار» بحاج الدعوة يستشفى بقبوره يقول البغداديون: قبر معروف تراق مجرب وهو من موالى على بن موسى الرضا رضي الله عنه مات سنة مائتين وقيل سنة إحدى ومائتين وكان أستاذ السري السقطي وقد قال له يوما: إذا كانت لك الحاجة فاقسم عليه بي «في النوم فقيل له: ما صنع الله بك؟»

قال اباحنى الجنة غير أن في نفسي حسرة إني خرجت من الدنيا ولم أتزوج ﴿وحكى﴾ أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزوج فيأبى برهة من دهره فاتته من نومه ذات يوم وقال زوجوني فزوجوه فسل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني ولداً ويقبضه فيكون مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكنت من جملة الخلاق في الموقف وبني من العطش والكرب ما كاد أن يقطع عنقي وكذا الخلاق في شدة العطش والكرب فنحن كذلك إذا ولدان قد ظهروا بأيديهم أباريق من فضة مغطاة بمناديل من نور وهم يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس ويسبقون واحداً بعد واحد فمددت يدي إليهم وقلت لبعضهم اسقني فقد أجهدتني العطش فنظر إلي وقال ليس لك ولد فينا إنما نسقي آباءنا وأمهاتنا فقلت من أتم فقالوا نحن أطفال المسلمين .

قال اباحنى الله ﴿الجنة غير أن في نفسي حسرة﴾ وذلك ﴿أنى خرجت من الدنيا ولم أتزوج﴾

* وحكى * ﴿أن بعض الصالحين﴾ رحمه الله تعالى ﴿كان يعرض عليه التزوج فيأبى﴾ أى يمنع منه ﴿برهة من دهره﴾ أى مدة ﴿فاتته من نومه ذات يوم وقال زوجوني فزوجوه فسل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني ولداً ويقبضه﴾ إليه ﴿فيكون﴾ لى ﴿مقدمة في الآخرة﴾ أى فوطاً ودخراً ﴿ثم﴾ حدث عن سبب ذلك ﴿قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكنت من﴾ أى في ﴿جملة الخلاق في الموقف وبني من العطش والكرب ما كاد أن يقطع عنقي وكذا الخلاق في شدة العطش﴾ عن الحر ﴿والكرب فنحن كذلك إذا ولدان﴾ صغار ﴿قد ظهروا بأيديهم أباريق من فضة﴾ وأكواب من ذهب ﴿مغطاة بمناديل من نور هم يتخللون الجمع﴾ أى يسبقون في خلاصهم ﴿ويتجاوزون أكثر الناس ويسبقون واحداً بعد واحد فمددت يدي إليهم وقلت لبعضهم اسقني﴾ شربة ﴿فقد أجهدتني العطش﴾ أى أوقعتني في الجهد ﴿فنظر﴾ البعض ﴿إلى وقال ليس لك ولد فينا وإنما نسقي آباءنا وأمهاتنا فقلت من أتم﴾ قالوا نحن ﴿من مات من أطفال المسلمين﴾ هكذا أورده أبو طالب صاحب القوت بتعابه .

﴿ثم﴾ نص الإمام على أن النكاح من الشهوات لامن القربات وإليه أشار الشافعى في الأم حيث قال : قال الله تعالى : زين للناس حب الشهوات من النساء . وفي الخبر : حبيب إلى دياركم النساء والطيب وإبقاء النسل به أمر مطنون ثم لا يدرى أصالح أم طالح انتهى . وقال القرافي في شرح التقريب غير التائق : للنكاح تدخل تحته حالتان أحدهما أن يكون عاجزاً وهذه الحالة تدخل تحته صورتان أحدهما أن يكون فاقد المون النكاح فيكون له أيضاً الصورة الثانية أن قدر على المون فلا يكره له النكاح في هذه الصورة لكن التخلي للعبادة أفضل هذا هو المشهور من مذهب الشافعى وغيره وذهب أبو حنيفة وبعض الشافعية والمالكية إلى أن النكاح أفضل مطلقاً وأطلق الحنابلة أن غير التائق إما خلفة أو لكبر أو غيره يكون النكاح في حقه مباحاً وعن أحمد رواية أنه مستحب .

وقد اشتهر عن الشافعية أن النكاح ليس عبادة وعن الحنفية أنه عبادة واستثنى التقي السبكي من الخلاف نكاح النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنه عبادة قطعاً انتهى . سياق العراقي قال النواوى : إن قصده طاعة كاتباع السنة أو تحصيل ولد صالح أو عفة فرجه أو عينه فهو من أعمال الآخرة يثاب عليه وهو التائق له والقادر على مؤنه أفضل من التخلي للعبادة تحضينا للدين ولما فيه من بقاء النسل والمعاجز عن مؤنه يصوم والقادر غير التائق أن يتخلى للعبادة فهو أفضل من النكاح والا فالنكاح أفضل له من تركه لئلا تقضى به البطالة إلى الفواحش انتهى .

وقد تعقب الكمال بن الهمام من الحنفية قولهم التخلي للعبادة أفضل فقال : حقيقة الأفضل تنفى كونه مباحاً إذ لأفضل في المباح والحق أنه إن افترق بينه كان ذا فضل والتجرد عند الشافعى أفضل لقوله سيدي وحضوراً مدح يحى عليه الصلاة والسلام بعدم إتيان النساء

﴿فصل﴾ أركان النكاح أربعة ﴿الأول﴾ الإيجاب والقبول فالإيجاب كأنكحك أو زوجك لا أحللتك ابنتي والقبول كمكحتها أو تزوجتها أو قبلت أو رضيت نكاحها أو النكاح

مع القدرة عليه لأن هذا معنى الحضور حينئذ فاذا استدل عليه بمثل حديث الترمذي: أربع من سنن المرسلين فذكر النكاح له أن يقول في الجواب لأنكر الفضيلة مع حسن النية وإنما أقول التخلي للعبادة أفضل فلاولى في جوابه التمسك بحاله عليه السلام في نفسه ورده على من أراد من أمه التخلي للعبادة فإنه صريح في عين المنازع فيه أعنى حديث: فمن رغب عن سنئى فليس منى فإنه عليه السلام رد هذا الحال رداً مؤكداً بمن تراءى وبالجمله فالأفضلية في الاتباع لا فيما تحيل النفس أنه أفضل نظراً إلى ظاهر عبادة أو توجه ولم يكن الله يرضى لا شرف أبنائه إلا بأشرف الأحوال وكان حاله إلى الوفاء النكاح فيستحيل أن يقره على ترك الأفضل مدة حياته وكان حال يحى عليه الصلاة والسلام أفضل في شريعته وقد نسخت الرهبانية في ملتنا ولو تعارضنا قدم التمسك بحال نبينا صلى الله عليه وسلم ومن تأمل ما يشتمل عليه النكاح من تهذيب الأخلاق وغيره من الفوائد لم يكذب بقف عن الجزم بأنه أفضل من التخلي بخلاف ما إذا عرّضه خوف جور إذا الكلام ليس فيه بل في الاعتدال مع أداء الفرائض والسنن وذكرنا أنه إذا لم تتقن به نية كان مباحاً لأن المقصود منه حينئذ مجرد قضاء الشهوة ومبنى العبادة على خلافه ثم قال: وأقول: بل فيه فضل من جهة أنه كان متمكناً من قضائها بغير الطريق المشروع والعدول إليه مع ما يعطيه من أنه قد يستلزم انتقالاً فيه قصد ترك المعصية وعليه يثاب انتهى.

﴿فصل﴾ في ﴿أركان النكاح﴾ والمراد بها ما لا بد منه فيشتمل الأمور الخارجة كما هنا كالشاهدين فانهما خارجان عن ماهية النكاح ومن ثم جعلهما بعضهم شرطين ﴿أربعة﴾ بعد الزوجين ركناً واحداً الركن ﴿الأول الإيجاب﴾ أى من الولي أو نائيه ﴿والقبول﴾ بعد من الزوج أو وليه أو وكيله.

﴿فالإيجاب كأنكحك﴾ لو حذف الكاف لكان أولى إلا أن يقال أنها استقصائية ﴿أوزوجك﴾ مولى فلانة ويعينها باسمها أو وصفها أو الإشارة إليها فلا يصح الإيجاب إلا بأحد هذين اللفظين لخبر مسلم: اتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله. قالوا: وكلمة الله هي التزويج أو النكاح فإنه لم يذكر في القرآن سواهما فوجب الوقوف معهما تعبدًا واحتياطاً لأن النكاح ينزع إلى العبادات لوزود التدب فيه والأذكار في العبادات تتلقى من الشرع والشرع إنما ورد بلفظي التزويج والانكاح وما في البخارى من أنه صلى الله عليه وسلم زوج امرأة فقال: ملككها بما معك من القرآن فقل: وهم من الراوى أو أن الراوى رواه المعنى ظناً منه ترادفهما وتقدير ضحته معارض برواية الجمهور زواجكها قال البيهقي والجماعة: أولى بالحفظ من الواحد ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم جمع بين اللفظين. ولا يصح الإيجاب بأزواجك وأنكحك لعدم الجزم بهما على الأوجه.

و﴿لا﴾ يصح بكناية كقوله: ﴿أحللتك ابنتي﴾ أو عقدتها لك أو زوجك الله ابنتي وذلك لأنها تحتاج إلى نية ويستثنى من عدم الصحة بالكناية كآية الآخرس وكذا اشارته التي اختص بينهما الفطن فانهما كائنان ويتمتع بهما النكاح منه تزويجاً وتزواجاً كما قاله بعض المحققين.

﴿والقبول﴾ قوله ﴿نكحتها أو تزوجتها أو قبلت أو رضيت نكاحها﴾ وهو مصدر بمعنى الانكاح أى رضيت انكاحها كما صرح به جمع من اللغويين وصح حينئذ كونه قبولا لقول الولي: أنكحك ﴿أو﴾ قبلت تزويجاً أو هذا ﴿النكاح﴾ أو التزويج. ﴿تنبيه﴾ كاشتراط توافق الولي والزوج في اللفظ فلو قال الولي: زوجك فقال الزوج: قبلت نكاحها صح وبهذا يتم كون أو في

ولا يشترط فيهما العربية ولو مع معرفتها لكن يشترط أن يترجم بما هو صريح في تلك اللغة ويشترط أن لا يطول فصل بينهما **﴿الثاني﴾** الزوجان فيشترط في المرأة خلوها من نكاح وعدة وتصدق فيه حيث لم يعلم لها نكاح سابق أو ادعت موت زوج غير معين أو طلاقه والا فلا وفي الزوج علمه بجعلها له وفيهما التعين فزوجك إحدى ابنتي

كلام المصنف للتخير مطلقا وقول الزوج تزوجت أو نكحت ليس قولا حقيقة وإنما هو قائم مقامه إذا ضم إلى ذلك التضمين كما مر أما إذا قصر على تزوجت أو نكحت فإنه لا يكتفى ويشترط في الصيغة اصرار العاقد وبقاؤه بصيغة الكمال حتى يرحد القبول فإن أوجب الولي ثم رجع أو جن أو أغشى عليه أو رجعت الأذنة عن أذنها أو أغشى عليها أو جنت أو ارتدت امتنع القبول وكون القبول بعد الفراغ من لفظ الإيجاب أى وما يذكر معه مما يتعلق بالمهر كما في فتاوى الفقهاء . قال المؤلف : ويشترط على الزوج بحل المنكوحة لكن في البحر : لو تزوج امرأة وهما يعتقدان أن بينهما اخوة من رضاع ثم تبين خطؤه صح النكاح على الصحيح من المذهب انتهى . والأول أوجه وظاهر سياق المصنف كغيره من المصنفين في تقديم الإيجاب على القبول أنه شرط وليس كذلك فلو تقدم لفظ الزوج على لفظ الولي بأن قال الزوج أولا : تزوجت أو نكحت نكاح بوليك فلانة فقال الولي : زوجتك أو نكحتك جاز وصح العقد قاله الزبيدي .

﴿ولا يشترط فيهما﴾ أى في الإيجاب والقبول **﴿العربية﴾** بل يصح العقد بغيرها في الأصح من سائر اللغات كما عبر به في المحرر **﴿ولو مع معرفتها﴾** اعتبارا بالمعنى لأنه لفظ لا يتعلق به إعجاز فاكتفى بترجمته وقيل لا يصح اعتبارا باللفظ الوارد وقيل إن عجز عن العربية صح والا فلا **﴿لكن يشترط أن يترجم بما هو صريح في تلك اللغة﴾** يعنى يشترط في الاكتفاء بالترجمة أن تكون صريحة في النكاح في تلك اللغة لا كتابة فيه إذ الكتابة لا تدخل في صيغة النكاح باللفظ العربي وبالأولى لا تدخل فيها باللفظ العجمي .

﴿تنبيه﴾ محل الخلاف إذا فهم كل من العاقدين كلام نفسه وكلام الآخر سواء اتفقت اللغات أو اختلفت والا فلا يصح قطعا وإن فهمهما ثقة دونهما فأخبرهما بمعناها فوجها رجع البلقينى منهما المنع كما في العجمي الذي ذكر لفظ الطلاق وأراد معناه وهو لا يعرفه قال : وصورته أن لا يعرفها إلا بعد إتيانها بها فلو أخبره بمعناه قبل صح **﴿ويشترط أن لا يطول فصل بينهما﴾** أى بين الإيجاب والقبول فإن قصر لم يضر وكذا تخلل خطبة خفيفة من الزوج بأن قال قبل القبول : الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله أو صيكم بتقوى الله قبلت نكاحها وضبط الفقهاء الطول بأن يكون زمنه لو سكبت فيه لخرج الجواب عن كونه جوابا والأولى ضبطه بالعرف .

الركن **﴿الثاني﴾** الزوجان فيشترط في المرأة **﴿المخطوبة﴾** خلوها من نكاح وعدة **﴿من غيره﴾** وتصدق فيه **﴿أى في خلوها عن ذلك﴾** حيث لم يعلم لها نكاح سابق أو ادعت موت زوج غير معين أو طلاقه والا **﴿أى وإن لم يعلم لها ذلك﴾** فلا يجوز تزويجها . **﴿و﴾** يشترط **﴿في الزوج﴾** حل واختيار فلا يصح نكاح محرم ولو بوكيله لحبر مسلم : لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا مكروه وشرط **﴿علمه بجعلها﴾** أى المرأة فلا يصح نكاح من جهل حلها **﴿له﴾** احتياطا لعقد النكاح .

﴿تنبيه﴾ برد على قول المصنف علمه بجعلها له من بينه وبينها رضاع وشك هل هو خمس أو أقل فإنه يحل له نكاحها مع أنه ليس عالما بجعلها له الآن يقال المراد بالعلم بحل المرأة له عدم العلم بحرمتها عليه مع عدم معارض للحلل فلا يرد عليه من شك في انقضاء عدها حيث لم يصح نكاحها ما لم يتبين خلافه لأن الأصل بقاء المانع وهو العدة أو يقال أنه شرط لجواز الإقدام فلا ينافى أنه ظن حرمتها أو عدم خلوها من العدة أو الزوج قسین خلافه أنه يصح اعتبارا بما هو في نفس الأمر .

﴿و﴾ شرط **﴿فيهما﴾** أى في الزوجة والزوج **﴿التعين فزوجك إحدى ابنتي أو زوجت ابنتي﴾** باطل ولو مع الإشارة للبنات

أو زوجت بنتي أحدكما باطل ولومع الإشارة ﴿الثالث﴾ الولي وهو أب ثم أبوه فيزوجان بكراً أو ثيباً بلاوطء كمن زالت بكارتها بنحو أصبح من كفه موسر بمهر المثل مطلقاً بغير اذنها حيث لا عداوة لاثيباً بوطء إلا بإذنها نظماً بعد بلوغها وتصديق البالغة في

اللاتي المزوجة احداهن بأن قال: زوجتك إحدى بناتي هؤلاء أو إحدى البنات وذلك للجهل بمعنى المزوجة لا للمزوجة التي هي إحدى البنات وبكفي التمين بوصف أو إشارة كزوجتك بنتي وليس له غيرها أو زوجتك التي في الدار وليس فيها غير بنته أو زوجتك هذه وهي حاضرة وإن سماها بغير اسمها في الكل ﴿أو زوجت بنتي أحدكما باطل﴾ قال ابن حجر: مطلقاً أي سواء كان نوى الولي معيناً أم لا. قال الشبرا ملسي: وعليه فلعل الفرق بين هذا وبين زوجتك إحدى بناتي ونوى معينة حيث صح ثمة لاهنا أنه يعتبر من الزوج القبول فلا بد من تعيينه ليقع الأشهاد على قبوله الموافق للإيجاب والمرأة ليس العقد والخطاب معها والشهادة تقع على ما ذكره الولي فاغتفر فيها ما لا يغتفر في الزوج ﴿ولومع الإشارة﴾ أي للمخاطبين بأن قال: زوجت إحدى هذين الرجلين للأحد الذي يريد التزوج بأن قال: زوجت هذا منها لأنه حينئذ متعين.

الركن ﴿الثالث﴾ الولي وهو أب ﴿هو مقدم على جميع الأولياء لأنه أشقاهم﴾ ثم عند عدم الأب حجتاً أو شرعاً ﴿أبوه﴾ وإن علا ﴿فيزوجان﴾ أي الأب وأبوه ﴿بكراً﴾ وهي التي لم تول بكارتها ﴿أو ثيباً بلاوطء كمن زالت بكارتها بنحو أصبح﴾ أما من خلقت بلا بكارة أو زالت بكارتها بغير ما ذكر لسقطة وحدة حيض ووطء في دبرها فهي في ذلك كالبكرا لأنها لم تمارس الرجال بالوطء في محل البكارة وهي على غباوتها وعيائها وقوله ﴿من كفه﴾ متعلق بيزوجان ومن بمعنى أي أن يزوجانها على كفه ﴿موسر بمهر المثل﴾ فإن زوجها الجبر لغير كفه لم يصح النكاح وكذا إن زوجها لغير موسر بالمهر على ما اعتمد به الشيخان واختار جمع محققون الصحة في الثانية واعتمد ابن زياد ﴿مطلقاً﴾ أي بالغة كانت أو غير بالغة وقوله ﴿بغير اذنها﴾ متعلق بيزوجان والضمير يعود على الواحدة الدائرة وهي البكر والثيب بلاوطء ﴿حيث لا عداوة﴾ ظاهرة بين الأب وأبيه وبينها فإن وجدت العداوة الظاهرة وهي التي لا تخفى على أهل محلها فليس لها تزويجها إلا بإذنها بخلاف غير الظاهرة فلا تؤثر لأن الولي تحتاط لمولته لخوف لحوق العار وغيره ويشترط أيضاً أن لا يكون بينها وبين الزوج عداوة ولو غير ظاهرة وإنما لم يعتبر ظهور العداوة فيه كما اعتبر في الولي لأن عداوته الخفية تحمله على إضرارها بما لا يحتمل بسبب المعاشرة.

﴿تنبيه﴾ يسن للولي استئذان مكلفة تطيباً لحاظرها وعليه حمل خبر مسلم: والبكر يسأمرها أبوها، ومثلها السكرانة كما قاله شيخ الإسلام زكراً.

﴿لا﴾ يزوجان ﴿ثيباً﴾ حصلت ثبوتها ﴿بوطء﴾ سواء كان حلالاً أو حراماً كالزنا ومثله ما لو كان الوطء وهي نائمة لأنها بذلك تسمى ثيباً ﴿إلا بإذنها مطلقاً﴾ خبر الدرر قطنى: الثيب أحق بنفسها والكبير يزوجها أبوها ﴿بعد بلوغها﴾ فلا تزوج الثيب الصغيرة العاقلة الحرة حتى تبلغ لعدم اعتبار اذنها خلافاً لأبي حنيفة رضي الله عنه وخرج بالعاقلة المجنونة فيزوجها جدها عند فقده قبل بلوغها للمصلحة وبالحررة القنة فيزوجها سيدها مطلقاً ثيباً أو غيرها صغيرة أو كبيرة.

﴿وتصدق﴾ المرأة ﴿البالغة في﴾ دعوى البكارة بلا يمين قبل العقد أو بعده فإذا ادعت قبل العقد أنها بكر فزوجها أبوها من غير اذنها صح العقد أو ادعت بعده أن أباهما تزوجها بغير اذنها وهي بكر ليصح العقد وادعى الزوج أن أباهما زوجها من غير اذنها وهي ثيب ليبطال العقد فالمصدق هي بلا يمين لأن الأصل بقاء البكارة وعدم إبطال النكاح وتصديق أيضاً في

دعوى الشيعة قبل العقد يمين وإن لم تزوج إلا بعده ولو أثبتت ثم انح لا يوين ثم لا يمين ثم انبها كذا لك ثم عم لا يوين ثم لا يمين ثم بنوها ثم عم الأب
ثم بنوه كذلك ثم معتق ثم عصباته ثم معتقة ثم عصباتها فيزوج المذكورون البالغة لإفائها بطلان كافت ثيا والاكفى سكوتها بعد استذائها
ولو غير كف

﴿دعوى الثوبة قبل العقد﴾ عليها ﴿يمين﴾ أى يمينها ليستطاعت اجترار أيها في تزويجها من غير أذنها فلا يجوز لأبيها أن يزوجهما بغير أذنها
﴿وان لم تزوج﴾ ولم تذكر سببا للثوبة ولا تسئل عن السبب الذي صارت به ثيبا ولا يكشف عنها أيضا لأنها أعلم بحالها ﴿لأن﴾ تصدق
دعواها الثوبة ﴿بعده﴾ أى العقد لما في تصديقها من إبطال النكاح منع أن الأصل بقاء البكارة التي ادعاهما الأب أو الزوج ﴿ولو أثبت﴾
أى تلك الدعوى بالشهادة فلا تقبل لاحتمال إزالة البكارة بنحو أصبح أو خلقها بدونها ﴿ثم﴾ بعد الأب وأبيه وإن علا تكون الولاية
لعصبتها وهو من على خاشية النسب وهو ﴿أخ لأبوين ثم﴾ بعده يقدم أخ ﴿لأب﴾ على غيره من سائر المنازل لادلائه بالأب ﴿ثم ابنتها﴾
كذلك أى لأبوين أو لأب فيقدم بنو الأخوة لأبوين ثم بنو الأخوة لأب ﴿ثم﴾ بعد بنى الأخوة لأبوين ولأب ﴿ثم لأبوين﴾ أى أخو أبيها من
الأب والأم ﴿ثم﴾ عمها ﴿لأب﴾ أى أخو أبيها من أبيه ﴿ثم بنوهما﴾ كذلك أى لأبوين أو لأب فيقدم ابن العم لأبوين على ابن العم لأب ومحل
أن لم يكن لابن العم لأب أخ لأم والقديم على ابن العم لأبوين لأنه أقوى لادلائه بالجد وبالأم والثاني يدل بالجد والجدة ﴿ثم﴾ بعد بنى الأعمام
يقدم ﴿ثم العم لأب ثم بنوه﴾ أى بنو عم الأب ﴿كذلك﴾ راجع لعم الأب ولبنيه فيقدم عم أبيها الشقيق ثم لأب ثم بنو عم أبيها الشقيق ثم لأب
﴿ثم﴾ بعد فقد عصبة النسبة تكون الولاية لمن كان عصبة بولاء أى غير معيقة فانها وإن كانت عاصبة إلا أنها لا تلى النكاح فيقدم
﴿معتق ثم﴾ بعده ﴿عصائبه﴾ وذلك لحديث الولاء لحمية لحمية النسب وهي بضم اللام وفتحها الحاطة ولأن العتق أخرجها من الرق إلى
الحرية فأشبه الأب لأخراجه لها إلى الوجود ﴿ثم﴾ بعد من ذكره تكون الولاية لهذا الذي ذكره بقوله ﴿معتقة﴾ أى معتق المعتق ﴿ثم عصائبه﴾
﴿فيزوج﴾ الأولياء ﴿المذكورون﴾ من جهة النسب ومن جهة الولاء على ترتيبهم السابق ﴿البالغة﴾ أى العاقلة الحرية ﴿بأذنها﴾
نظما أن كانت ناطقة ولا فاشارتها المفهمة أو كتابتها كافية في الإذن كما يأتى ﴿ان كانت ثيبا﴾ بوطء وذلك لخبر الدار قطنى السابق
ووجهه لما رست الرجال بقبلها زالت غباوتها وعرفت بما يضرها وما ينفعها ولا يكفى سكوتها لحديث: ليس للولى مع الثيب أمر رواه
أبو داود وغيره . وقال البيهقي رواه ثقات ولو أذنت بلفظ التوكيل جاز على النص كما نقله في زيادة الروضة عن خكابة صاحب البيان
لأن المعنى فيها واحد وإن قال الرافعى الذين لقيناهم من الأئمة لا يعدونه إذا لأن توكيل المرأة في النكاح باطل ورجوعها عن الإذن كرجوع
الموكل عن الوكالة فان زوجها الولى بعد رجوعها وقبل علمه لم يصح .

واذن الخرساء بالاشارة المفهمة قال الاذرعى: والظاهر الاكتفاء وبكبتها قال: فلو لم يكن لها اشارة مفهمة ولا كتابة هل تكون في معنى المجنونة حتى يزوجه الأب والجدة ثم الحاكم دون غيرهم أولا لانها عاقلة لم أر فيها شيئا ولعل الأول أوجه وما قاله من الاكتفاء بكتب من لها اشارة مفهمة ظاهر ان نوت به الاذن كما قالوا: كتابة الأخر من بالطلاق كتابة على الأصح كذا قاله الخطيب في شرح المنهاج ﴿والا﴾ بأن كانت بكرا عاقلة ﴿كل﴾ في تزويجها ﴿سكوتها بعد استئذانها﴾ في الأصح ﴿ولو لم يفر كف﴾ قال الخطيب في شرح المنهاج: وان بكت ولم تعلم ان ذلك اذن الخبر مسلم الايم أحق بنفسها من زوجها والبكر تسأمر واذن سكوتها فان بكت بصياح أو ضرب خد لم يكف لأن ذلك يشعر بعدم الرضا. والثاني لا بد من النطق كما في الثيب ومحل الخلاف في غير الجبر أما هو فالتسكوت كاف قطعاً كما صرح به الروائي وغيره

ثم إن عدموا أو غاب أقرهم مرحلتين أو فقد أو عضل زوج قاض أو نائبه بكفء بالغة في محل ولايته حال الزوج لا بغيره وإن رضيت به وخرج بقوله بعد استئذانها ما لو زوجت بحضرتها مع سكوتها فإنه لا يكفي بل لابد معه من استئذانها وبقوله: ولو لغير كفء ما لو استئذنت في الزوج بدون المهر أصلاً أو باقل من مهر المثل أو بغير نقد البلد فسكت فإنه لا يكفي سكوتها تعلقه بالمال كبيع مالها. ولو استئذنت في الزوج برجل غير معين فسكت كفى فيه سكوتها بناء على أنه لا يشترط تعيين الزوج في الأذن وهو الأصح. ولو قال لها: لا يجوز أن يزوجهك أو تأذين فقالت: لم يجوز أو لم لأذن كفى لأنه يشعر برضاها.

فإن قيل: لو قال الحاطب: أتزوجني لم يكن استيجاباً فكان ينبغي أن يكون هناك ذلك أجيب بأن العقد يستبر فيه اللفظ فأعتبر فيه الجرم وأذن البكر كفى فيه التكرت فكفى فيه ما ذكر مع جوابها.

ولو قالت: رضيت بمن رضيت به أمي أو بمن اخترته أو بما يقعله أبي وهم في ذكر النكاح كفى لأن قالت: رضيت إن رضيت أمي أو رضيت بما تقعله أمي فلا يكفي لأن الأم لا تعتد ولأن الصيغة الأولى صيغة تعليق وكذا لا يكفي: رضيت إن رضى أبي إلا أن تريد رضيت بما تقعله فيكفى: ولو أذنت بكر في تزويجها بألف ثم استؤذنت كذلك بخمسمائة فسكت كان أذنان كان مهر مثلها كما صرح به البلقيني وتبعه ابن المقرئ.

﴿ثم إن عدموا﴾ أي الأولياء المذكورون من جهة النسب والولاء ﴿أو غاب أقرهم﴾ إلى ﴿مرحلتين﴾ والمراد إلى مسافة مقدارها سير الأقال ولا وكيل له حاضر بالبلد أو غاب إلى دونها لكن تعدر الوصول إليه الخوف في الطريق من القتل أو الضرب أو أخذ المال ﴿أو فقد﴾ أقرهم بأن لم يعرف مكانه ولا موته بعد غيبة أو حضور قتال أو انكسار سفينة أو أسر عدو وهذا هو الفارق بينه وبين عدم في قوله عدموا وحاصل الفرق أن المعدوم هو الذي عرف عدمه ولا يعرف حياته وما ذكر من تزويج القاضي عند فقد الولي أن لم يحكم بموته الحاكم فإن حكم به انتقلت الولاية للأبعد ولا يزوجه القاضي ﴿أو عضل﴾ القرب النسب ولو مجبراً أي منع من تزويجها وقوله ﴿زوج قاض﴾ جواب الشرط ﴿أو نائبه﴾ لقوله صلى الله عليه وسلم: السلطان ولي من لا ولي لها. والمراد به من له ولاية عامة أو خاصة من الإمام والقضاة ونوابها ﴿بكفء﴾ أي على كفء بالغة كائن في محل ولايته أي القاضي وسواء كان الزوج فيه أيضاً أم لا ﴿حال الزوج﴾ ولو كانت مارة في محل ولايته لأمينة فيه وكانت وقت الأذن خارجة عن ذلك الحل لكنها بعد ذلك دخلت فيه وعقد لها وهي فيه فالعبرة أن تكون فيه وقت العقد سواء كان أذنهال فيه أيضاً أم لا ﴿لا﴾ يزوجه القاضي بغيره أي على غير كفء وإن رضيت به أي بذلك الغير.

* تنبيه * لا تنتقل الولاية للأبعد جزماً وهذا محله إذا كان العضل دون ثلاث مرات والزوج لا بعد بناء على منع ولاية الفاسق كما قاله الشيخان وهذا فيمن لم تغلب طاعته على معاصيه كما ذكره في الشهادات والأفلا يسقط بذلك وهل المراد بما قاله هنا بالمرات الثلاث النكحة أو بنسبة إلى عرض الحاكم ولو في نكاح واحد قال في المهمات فيه نظراته. والأوجه الثاني.

ووقع في فتاوى النوى أن العضل كثيرة بإجماع المسلمين واعترض بأن الذي اختاره الإمام في النهاية أنه لا يحرم إلا إذا لم يكن في الخطبة حاكم قيل ينبغي أنه لا يحرم مطلقاً إذا جوزنا التحكيم وهل السلطان يزوجه وبالولاية العامة أو النيابة الشرعية وجهان حكاهما الإمام ومن فوائد الخلاف أنه لو أراد القاضي نكاح من غاب عنها ولها أن قلنا بالولاية زوجها أحد نوابه أو قاض آخر أو بالنيابة لم يحز ذلك وأنه لو كان لها وليان والأقرب غائب أن قلنا بالولاية قدم عليه الحاضر أو بالنيابة فلا. وأفتى البغوي بالأول وكلام القاضي وغيره يقتضيه وصح

فمحكم عدل ولها أمرها أما تزويج اليتيم فباطل اتفاقا قال رسول الله ﷺ أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل وقال ﷺ لا تزوج المرأة المرأة ولا المرأة نفسها فإن الزانية هي التي تزوج نفسها

الامام في باب القضاء فيما إذا زوج للفتية انه يزوج بنية اقتضاها الولاية وهذا أوجه .

وانما يحصل العضل من الولي اذا ادعت بالغة عاقلة الى كفه وامتنع الولي من تزويجه لأنه انما يجب عليه تزويجها من كفه فان دعت الى غيره كان له الامتناع لأن له حقا في الكفاءة ويؤخذ من التعليل انها لو دعت الى عيب أو مجنون بالبلاء لزمه اجابته فان امتنع كان عاصلا اذ لاحق له في التمتع بخلاف ما اذا دعت الى أجذم أو أبرص أو مجنون لأنه يعبر بذلك وليس له الامتناع لتقصان المهر أو لكونه من غير قدة البلد اذا رضيت بذلك لأن المهر محض حقها وفي زوائد الروضة : لو طلبت التزويج برجل وادعت كفاءته وانكر الولي رفع للقاضي فان ثبتت كفاءته ألزمه تزويجها فان امتنع زوجها به وان لم تثبت فلا ، ولا بد من ثبوت العضل عند الحاكم ليزوج بأن يحضر الولي والخطاب والمرأة فيأمر الحاكم الولي بالتزويج فيمتنع منه أو يسكت ولو عينت مجرة كفا وأراد الأب أو الجد كفا غيره فله ذلك في الأصح لأنه أكمل نظرا منها .

والثاني يلزمه اجابته اعفا فالها واختاره السبكي والمعتبر في غير المجبر من عينه جزما كذا اقتضاه كلام الشيخان لأن الأصل ان تزويجها يتوقف على اذنها ، ثم ان لم يوجد ولي ممن من الأصل وعصبة النسب وعصبة الولاء والقاضي « ذ » يزوجه « محكم » بصيغة اسم المفعول « عدل » يخرج به غيره فلا يصح تزويجه لأنه غير أهل التحكيم « ولته » أي قوضته مع خاطبها « أمرها » وان لم يكن مجتهدا « أما تزويج اليتيم » أي الصغيرة ولو مراعاة « فباطل اتفاقا » الا ان كان القاضي حنفيا واذن له السلطان الجنى فيه فيصح تزويج القاضي لها قاله بعض المحققين « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيما امرأة نكحت » وفي روايه انكحت نفسها أي تزوجت « بغير إذن وليها » لا مفهوم له عند الشافعي لأن النكاح باطل حيث تولت العقد بنفسها وان اذن لها وليها الحديث : لا نكاح الا بولي له وانما قيد بقوله بغير إذن وليها لأنه جرت العادة بأن المرأة لا تزوج الا باذن وليها « فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل » كرهه ثلاثة لأكد وبما عده عند الشيوطي في جامعه فان استجروا فالسلطان ولي من لا ولي له . رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم عن عائشة . وقال أبو حنيفة : لها أن تزوج نفسها وغيره بقوله تعالى : ولا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن . فاضاف النكاح اليهن « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تزوج المرأة المرأة ولا المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها » .

* تنبيه * قال شارح المحرر في ولاية الفاسق ولاصحاب الشافعي طرق أحدهما جريان القولين أحدهما وهو قول أبي حنيفة ومالك : ان الفاسق له ولاية لأن الفسقة لا يمنع من التزويج في عصر الأولين والثاني : المتع لأن الفسق نقص يقدح في الشهادة فيمنع الولاية ولهذا قال أحمد في أصح الروايتين والطريق الثاني القطع بالمنع وهو قضية ايراد أبي علي بن أبي هريرة والطبراني وابن القطان . والثالث : القطع بأن له أن يلى وهو اختيار القاضي أبي حامد وبه قال الثعالبي . والرابع : ان الأب والجد يلبان مع الفسق ولا يلى غيرهما والفرق كمال شفتيهما وقوة لائنهما . والخامس : قال أبو اسحق : الأب والجد لا يلبان مع الفسق ويلى غيرهما والفرق انهما مجبران فربما وضع تحت فاسق مثلها وغيرهما يزوج بالاذن فان لم ينظر لها نظرت هي لنفسها قال الامام : وقياس هذه الطريق ان يزوج الفاسق ابنته البكر برضاها وان يجبرها . والسادس : ان كان فسقه بشرب الخمر لم يلزم لاضطراب نظره وغلبة السكر عليه وان كان بشيء آخر يلى . وذكر الخطاطي وجهين في أن من يلعن بنفسه لا يلى ومن يستتر به يلى ويخرج من هذا الطريق . وقال بعض المتأخرين : ان كان الفسق بما يؤدى الى الحسة والدناءة وعدم غيره كالقيادة فيمنع والا فلا ، فهذه طريقة ثالثة . اذ لم يثبت الولاية للفاسق ولم يكن له أن ينكح لنفسه والصحيح خلافه لأن

﴿الرابع﴾ الشاهدان فيشترط كونهما رجلين حرين عدلين بصيرين سميعين يعرفان لسان المتعاقدين غير متعنين للولاية فيصبح ظاهرهما بمسئوري عدالة إذا عقد بهما غير الحاكم ويندب استأنتهما قبل العقد احتياطاً ويؤزل الستر بتفسيق عدل ولو تاب الفاسق عند العقد لم يصح به حالاً كما لا يصح تزويج عفيفة لفاسق عند العقد تاب قبل الاستبراء قال رسول الله ﷺ لا نكاح إلا بولي مرشد وشاهدي عدل وما كان نكاح على غير ذلك فهو باطل.

غايته إحرار نفسه ما لا يحتمل في غيره بدليل قبول إقراره على نفسه وعدم قبول شهادته على غيره ثم إن الحرف الدينية هل تعدح في الولاية لذاقلنا بالمذهب إن الفاسق ليس له الولاية وجهان ذكرهما العبادي، والظاهر أنه لا يعدح الركن ﴿الرابع﴾ الشاهدان فيشترط كونهما رجلين حرين عدلين بصيرين سميعين يعرفان لسان المتعاقدين أي الموجب والقابل ﴿غير متعنين للولاية﴾ فلا يصح النكاح بحضرة امرأتين أو عبيدين أو فاسقين أو أعميين أو أصميين أو من لم يفهم لسان المتعاقدين ولا بحضرة متعين للولاية فلو وكل الأب أو الأخ المنفرد في عقد النكاح لموليهما وحضر مع شخص آخر لم يصح لأنه ولي عاقد فلا يصح أن يكون شاهداً من ثم لو شهد أخوان من ثلاثة وعنده الثالث بغير وكالة من أحدهما بأن أذنت لهذا الثالث العاقد فقط صح النكاح لعدم كونهما وليين العاقدين لها حيث ذل إلا أن عقد الثالث بوكالة من أحدهما بأن أذنت لهما وهذا وكلا الثالث في عقد النكاح فلا يصح ومثله ما لو أذنت للثلاثة في النكاح فلا يصح بحضور الأخوين المأذون لهما في النكاح شاهدين لأنهما العاقدان في الحقيقة والوكيل في النكاح إنما هو سفير محض.

﴿ويصح﴾ النكاح ﴿ظاهراً﴾ لا باطناً ﴿مستورى عدالة﴾ أي شاهدين مستورة عدتهما وهما من لم يعرف انهما ارتكبا مفسقان الكبائر أو من الإصرار على الصفات كمانص عليه واعتمده جمع واطالوا في ترجيحه وذلك لأن الظاهر من المسلمين العدالة ولأن النكاح يحرم بين أوساط الناس والعوام فلو اعتبر فيه العدالة الباطنة لاحتاجوا إلى معرفتها ليحضروا من هو متصف بها فيطول الأمر عليهم وثيق هذا إذا عقد بهما غير الحاكم وأما إذا كان العاقد بهما الحاكم لم يصح لسهولة الكشف عليه كما جزم به ابن الصلاح وغيره قال الشرقاوي: هذا مرجوح والمعمد الصحة فيكفي بالعدالة الظاهرة سواء كان العاقد الحاكم أو غيره لأن ما طرأ بعد المعاملة يستوى فيه الحاكم وغيره ألا ترى أن الحاكم إذا رآني مالا في يد إنسان يتصرف فيه بلا منازع له أن يشتريه منه اعتماداً على ظاهر اليد كما يجوز لغيره أن يعتمد ظاهر اليد ولا يقال الحاكم لا يثق عليه طلب الحجة وسماع التينة وهذا هو الظاهر.

﴿ويندب استأنتهما قبل العقد احتياطاً ويؤزل الستر بتفسيق عدل﴾ أي باخبار عدل ينسق ذلك المستور فلو أخبر بفسق المستور عدل لم يصح النكاح قال في الأسنى وقول صاحب الذخائر الأشبه الصحة فإن الجرح لا يثبت إلا بشاهدين ولم يوجد إرد بأنه ليس الغرض في إثبات الجرح بل زوال ظن العدالة وهو حاصل بخبر العدل انتهى. ثم كون الستر يؤزل بتفسيق عدل محله إذا كان وافقاً قبل العقد بخلافه بعده لانعقاده ظاهراً فلا بد من ثبوت مبطله كما في التهمة والنهاية ﴿ولو تاب الفاسق عند العقد لم يصح به حالاً كما لا يصح تزويج عفيفة﴾ أي الصالحة ﴿لفاسق عند العقد تاب قبل﴾ بمضى مدة ﴿الاستبراء﴾ وهي سنة ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح إلا بولي مرشد﴾ أي عدل ﴿وشاهدي عدل﴾ والعدالة لغة الوسط وشرعاً الملكة في النفس تمنعها عن اقتراف الكبائر والردائل المباحة وهذا الحديث رواه البيهقي عن عمران بن حصين وعن عائشة واسناده حسن ﴿وما كان نكاح على غير ذلك﴾ المذكور من الولي والشاهدين ﴿فهو باطل﴾ وحمل الحديث على نفي الكمال لكونه بصد فسخ الأولياء بعدم الكفاءة عدول عن الظاهر بلا دليل.

﴿فصل في ذكر ما يجري بين الزوجين﴾

أخرج مسلم وأبو داود عن أبي سعيد الخدري أن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه * وأحمد عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال والنساء قعود عنده فقال لعل رجلا يقول ما فعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها فأزم القوم أي سكتوا فقلت أي والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وإنهم ليفعلن قال فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون *

* تمة من آداب النكاح احضار جمع من أهل الصلاح والتقوى زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنا لصحة ولأنه ورد الأمر بالاعلان فيه وهو اشهار أمره ولا يكون ذلك إلا بجمع من الناس وإنما خص أهل الصلاح لأجل حصول البركة بحضورهم ومن ذلك أن ينوي بالنكاح إقامة السنة حيث حث عليه النبي صلى الله عليه وسلم في أخبار كثيرة تقدمت وينوي معه غض البصر عن الحرام فإنه أعظم أسبابه وينوي أيضا حصول الولد لاستمرار ذكره في الدنيا وغيره من سائر النوائد ولا يكون قصده منه مجرد اتباع الهوى والتمتع بالجماع ودواعيه فيصير حينئذ من أعمال الدنيا لا من أعمال الآخرة ولا يمنع ذلك مع هذه النيات الكثيرة فرب حق شرعي يوافق الهوى النفساني ولا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعتمادا على وجه التشارك فيجمع له بين لذة عاجلة وثواب آجل ويستحب أن يعقد في المسجد كما قاله الغزالي ولا يشترط أن يكون المسجد الأعظم. وقد ذكره ثابن الصلاح واستدل له بحديث عائشة مرفوعا: اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد ورواه الترمذي وقال غريب. ويستحب أيضا أن يكون العقد أول النهار للحديث المشهور: اللهم بارك لأمتي في بكورها حسنة الترمذي وأما الضرب بالدف عليه فقال الماوردي: كان مستحبا في العصر الأول وأما بعده فيباح ولا يستحب وأن يعقد النكاح في شهر شوال قالت عائشة رضي الله عنها: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبني بي في شوال رواه مسلم.

﴿فصل في ذكر ما يجري بين الزوجين﴾ من تفاصيل الجماع ونحوها مما يخفى ﴿أخرج مسلم وأبو داود﴾ وغيرهما ﴿عن أبي سعيد الخدري﴾ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿أن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه﴾ بالمباشرة والجماع ﴿ثم ينشر أحدهما سر صاحبه﴾ وذلك كان يقول الرجل: فرجها كبير، وتقول المرأة: آله كبيرة أو سريع الإنزال فيحرم ذلك أما قوله ما جمعت أو طفنت على لسانى فهو مكروه فقط وما وقع أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بأنه طاف على نسائه في ليلة فهو تشرع وبيان لجواز ذلك وأن من خصوصياته صلى الله عليه وسلم عدم وجوب القسم بين الزوجات وإن وقع منه القسم فهو تبرع منه وتحقيق العدل قال بعض أهل التصوف: نزهوا أيها الناس مجالسكم عن ذكر النساء والطعام فإن ذكر ما يتعلق بذلك من أقبح الأشياء إذا ينبغي الاعتناء بالفرج والبطن وفي رواية لهم من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها.

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال والنساء قعود عنده فقال﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿لعل رجلا يقول ما فعل بأهله﴾ أي زوجته أو أمه ﴿ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها فأزم القوم أي﴾ بفتح الراء وتشديد الميم ﴿سكتوا﴾ قيل سكتوا من خوف ونحوه ﴿فقلت أي﴾ بكسر الهمزة أي نعم ﴿والله يا رسول الله إنهم ليفعلوا﴾ ما فعلوا من التحدث ﴿وإنهم ليفعلن﴾ قال عليه الصلاة والسلام ﴿فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون﴾ وأخرج البزار وله شواهد تقويه وأبو داود مطولا بنحوه بسند فيه من لم يسم: ألا عسى أحدكم أن يخلو بأهله يفتن بابائهم يرخى سترا ثم

وهو واليهقي عن أبي الهيثم أنه صلى الله عليه وسلم قال السباع حرام

﴿تنبيه﴾ إن إفشاء الرجل سر زوجته والمرأة سر زوجها بأن يذكر كل منهما ما يقع بينهما من أمور الاستماع وتفاصيل الجماع حرام وأما ذكر مجرد الجماع لغير فائدة فمكروه.

﴿فصل في منع أحد الزوجين حق الآخر﴾

قال الله تعالى وعاشروهم بالمعروف وقال الله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة * قال ابن عباس إني لأترن لأمرأتي كما ترنن لي لهذه الآية * وقال بعضهم يجب أن يقوم بحقتها ومصلحتها ويجب عليها الانقياد والطاعة له *

يقضى حاجته ثم إذا خرج حدث أصحابه بذلك ألا عسى أحد كن أن تغلق بابها وترخي سترها فإذا قضت حاجتها حدثت صواحبتها فقالت امرأة: سفعاء الحدين والله يا رسول الله انهن لا يفعلن وانهم يفعلون قال: لا تفعلوا فانما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة على قارعة الطريق فقضى حاجته منها ثم انصرف وتركها ﴿وهو﴾ أي أخرج أحمد وأبو يعلى ﴿واليهقي﴾ كلهم من طريق رويح ﴿عن أبي الهيثم﴾ وقد صححها غير واحد ﴿أنه﴾ قال: السباع حرام ﴿قوله السباع حرام السباع بوزن كتاب كافي القاموس الجماع والفخار بكثرة انتهى. قال ابن الهيثم: يعني به الذي يتخبر بالجماع أي بما فيه منك ستر لا مطلقا كما هو ظاهر وهو بالمهمة المكسورة فالوحدة وقيل بالمعصية. وأخرج أبو داود بسند فيه مجهول المجالس بالأمانة الثلاثة مجالس سفك دم أو فرج حرام أو إقطاع مال بغير حق.

* ﴿تنبيه﴾ ﴿إن إفشاء الرجل سر زوجته و﴿إفشاء المرأة سر زوجها بأن يذكر كل منهما ما يقع بينهما من أمور الاستماع وتفاصيل الجماع حرام وأما ذكر مجرد الجماع لغير فائدة فمكروه﴾

﴿فصل﴾ ﴿في منع أحد الزوجين حق الآخر﴾ وذلك كمنع الزوج حق من حقوق زوجته الواجبة لها عليه كالمهر والنفقة ومنعها حقها عليها كالتمتع من غير عذر شرعي ﴿قال الله تعالى: وعاشروهم بالمعروف﴾ قال الزجاج: هو النصفة في النفقة والميت والاجمال في القول وقيل هو أن تصنع لها كما تصنع له وتقل القرطبي عن علمائهم انهم استدلوا بهذا على أن المرأة إذا لم يكن لها إلا أكثر من خادم وجب ثم غلط الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما في قولهما: لا يجب لها إلا خادم واحد إذا من امرأة في العالم إلا ويكفيها خادم واحد بأن بنات الملوك اللاتي هن بشأن كبير لا يكفى الواحدة منهن خادم واحد لطبخها وغسل ثيابها ويرد بأن تغلظ الأئمة بمجرد هذا الخيال هو عين الخيال لأن الكلام إنما هو فيما يجب على الزوج حيث الزوجية ومعلوم أن الواجب عليه من تلك الحيشية إنما هو ما تحتاجه المرأة في ذاتها وما يتعلق بها ولا شك أن هذا يكفى لتخصيله خادم واحد وأما احتياجها للزيادة على ذلك فإن كان لا أمور تتعلق بها خارجة عن الزوجية فكفايتها عليها أو تتعلق به كذلك فكفايتها عليه لأن حيث الزوجية فظهر صحة ما قاله الإمامان واتضح تغلظ من غلظهما وعلى كل حال فلتأدب مع الأئمة هو الخير كله ﴿وقال الله تعالى: ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ ذكره تعالى عقب قوله: ويعولن أحق بردهن في ذلك أن أرادوا إصلاحا. لأنه لما بين أن المقصود من المراجعة إصلاح حالها لا إيصال الضرر اليها بين تعالى أن لكل واحد من الزوجين حقا على الآخر.

﴿قال ابن عباس﴾ رضي الله عنهما ﴿إني لأترن لأمرأتي كما ترنن لي لهذه الآية. وقال بعضهم: يجب﴾ على الزوج ﴿أن يقوم بحقتها ومصلحتها ويجب عليها﴾ أي الزوجة ﴿الانقياد والطاعة له﴾ وقيل على الزوج إرادة الإصلاح عند المراجعة وعليهن ترك الكتمان فيما خلق الله في أرحامهن والأولى إبقاء الآية على العموم وإن كان صدرها يؤيد هذا القول ثم درجة الرجل عليها لكونه أكل منها فضلا

والترمذي وصححه وابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ ألا فاستوصوا بالنساء خيرا فإنما من عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إلا أن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم من تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن * والطبراني والحاكم حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكسى ولا يضرب الوجه ولا يقبح ولا يهجر الحديث * وهو أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ليس في نفسه أن يؤدي

وعقلا ودية وميراثا وغنيمة وكونه يصلح للإمامة والقضاء والشهادة وكونه يزوج عليها ويقدر على طلاقها ورجعتها وإن أبت ولا عكس وأيضا فهو أخص بأنواع من الرحمة والإصلاح كاللزام المهر والنفقة والذب عنها والقيام بمصالحها ومنعها من مواقع الآفات فكان قيامها بخدمة أكد لهذه الحقوق الزائدة كما قال تعالى: الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم. ومن ثم قال المفسرون في تفسير هذه الآية تفضيل الرجال عليهن من وجوه كثيرة حقيقة وشرعية فمن الأول أن عقولهم وعلومهم أكثر وقلوبهم على الأعمال الشاقة أصبر وكذلك القوة والكتابة غالبا والفروسية وفيهم العلماء والإمامة الكبرى والصغرى والجهاد والأذان والخطبة والجمعة والاعتكاف والشهادة والحدود والقصاص والانكحة ونحوها وزيادة الميراث والتعصيب وتحمل الدية وولاية النكاح والطلاق والرجعة وعدد الأزواج واليهم الانتساب ومن الثاني: عطية المهر والنفقة ونحوهما وفي الحديث: لو كنت أمرا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن. لما جعل الله لهم عليهن من الحق فحينئذ المرأة كالأسير العاجز في يد الرجل.

﴿و﴾ لهذا أمر صلى الله عليه وسلم بالوصية بن خيرا في خبر رواه الترمذي وصححه وابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه: وذكر ﴿ووعظ: ألا فاستوصوا بالنساء خيرا﴾ الباء للتعدية أي اقبلوا وصيتي فيهن واعملوا عليهن وارفقوا بهن واحسنوا عشرتهن فإن الوصية بهن أكد لضعفهن واحتياجهن إلى من يقوم بأمرهن وقال الطيبي: السنين للطلبة أي اطلبوا الوصية من أنفسكم في حقهن أو اطلبوا الوصية من غيركم لهن وفي نصب خيرا وجهان أحدهما أنه مفعول استوصوا لأن المعنى اقبلوا بهن والثاني معناه اقبلوا وصيتي وأتوا خيرا فهو منصوب بفعل محذوف كقوله تعالى: ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم أي انتهوا عن ذلك وأتوا خيرا أفاده العزيزي ﴿فإنما من عوان عندكم﴾ أي أسيرات ﴿ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك﴾ أي الذي ذكر من حسن عشرتهن ونحوه ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن﴾ ما ذكر ﴿فاهجروهن﴾ أي اتركوهن ﴿في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح﴾ بضم الميم وفتح الباء وتشديد الراء المكسورة أي غير مؤلم ﴿فإن أظعنكم فلا تبغوا﴾ أي لا تطلبوا ﴿عليهن سبيلا﴾ بالمؤاخذه ﴿إلا أن لكم على نسائكم حقا﴾ أي أن و ﴿لنساكنكم عليكم حقا فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم من تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن﴾.

﴿و﴾ أخرج الطبراني والحاكم عن معاوية بن حيدة قال الحاكم صحيح وأقرره ﴿حق المرأة على الزوج﴾ أي من حقها عليه ﴿أن يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكسى ولا يضرب الوجه ولا يقبح﴾ بتشديد الموحدة المكسورة أي لا يسمتها مكروها ولا يقل قبحك الله ﴿ولا يهجر﴾ وفي رواية ولا يهجرها ﴿الحديث﴾ أي أقرره إلى آخره وهو إلا في البيت كما في الجامع ﴿وهو﴾ أي وأخرج الطبراني في الصغير والأوسط بسند رواه ثقات أنه صلى الله عليه وسلم ﴿أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو أكثر ليس في نفسه أن يؤدي

إليها حقها خدعها ففات ولم يؤد إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زان الحديث * والترمذي إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا والطفهم بأهله خيركم خيركم لأهله * وميسرة بن علي والرافعي إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت إليه نظر الله إليهما نظرة رحمة فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما في خلال أصابعهما * والطالسي حق الزوج على زوجته أن لا تمتعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب وأن لا تصوم يوما واحدا إلا بإذنه إلا الفريضة فإن فعلت أثمت ولم يقبل منها وأن لا تعطى من بيته شيئا إلا بإذنه فإن فعلت كان له الأجر وكان عليها الوزر وأن لا تخرج من بيته إلا بإذنه فإن فعلت لعنها الله وملائكة الغضب حتى توب أو ترجع وإن كان ظلما *

إليها حقها خدعها ففات ولم يؤد إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زان الحديث * وأخرج الشيخان : كلكم راع مسئول عن راعيته الإمام راع مسئول عن راعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن راعيتها والرجل راع في أهله مسئول عن راعيته والخادم راع في مال سيده ومسئول عن راعيته وكلكم راع ومسئول عن راعيته * وأخرج * الترمذي * والحاكم عن عائشة رضي الله عنها باسناد حسن * أن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا بفعل الفضائل وترك الرذائل * وألطفهم بأهله * أي من نسائه وأولاده وأقاربه واللفظ هنا الرفق والبر وصححه ابن حبان * خيركم خيركم لأهله * وفي رواية للنسائي وأنا خيركم لأهلي . وروى ابن حبان في صحيحه : أن المرأة خلقت من ضلع أعوج فإن أقمتها كسرتها فإدارها تعش بها . وروى الشيخان وغيرهما : استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلام فإن ذهبت تقيمه كسرتها وإن تركه لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء . وروى مسلم : أن المرأة خلقت من ضلع لم تستقم لك على طريقة فلن استمعت بها وفيها أعوج وإن ذهبت تقيمه كسرتها وكسرها طلاقها

* وأخرج * ميسرة بن علي * في مشيخته * والرافعي * أيام الدين عبد الكريم القزويني في تاريخه تاريخ قزوين عن أبي سعيد الخدري * أن الرجل إذا نظر إلى امرأته * أنى خليلته ولو أمة بالملك * ونظرت إليه * قال المناوي : بشهوة أو غيرها * نظر الله تعالى إليهما نظرة رحمة * أي إذا قصد بذلك النظر أمرا محبوبا شرعا كان نظر إليها فأعجبه فشكر الله تعالى على تلك النعمة أو قصد بالنظر تحريك الشهوة ليحصل الجماع لعف نفسه أو يعفها أو ليحصل ولد في الإسلام فيكثر أمة النبي صلى الله عليه وسلم ونظرها بهذا القصد كذلك فلا بد من تقييد النظر بذلك ليرتب عليه ما ذكره قاله الحنفى * فإذا أخذ بكفها * أي ليلاعبها أو يجامعها * تساقطت ذنوبهما في خلال أصابعهما * أي من بينها والمزاد الصغير

* وأخرج أبو داود * الطالسي * عن ابن عمر رضي الله عنهما * حق الزوج على زوجته أن لا تمتعه نفسها * إذا أراد جماعها فليزنها ذلك * وإن كانت * راكية * على ظهر قتب * أي نحو غير قال العلامة الحنفى مبالغة فإذا كانت راكية وطلب جماعها وجب عليها التمكن وهي راكية إن أمكن والانزلة ومكته وقيل معنى على ظهر قتب زمن ولادتها أي حيث لم يوجد دم النفاس * وأن لا تصوم يوما واحدا * مثلا * إلا بإذنه * إن حضر وأمكن استذاته * إلا الفريضة * فلهما الصوم بدونه * فإن فعلت * أي صامت بغير إذنه وهو شاهد * أثمت * وصح صومها * ولم يقبل منها * صومها فلا تثاب عليه * وأن لا تعطى * فقيرا ولا غيره * من بيته شيئا * من طعام ولا غيره * إلا بإذنه * الصريح أو علم رضاه به وبقدر المعطى * فإن فعلت * بأن أعطت تعديا * كان له الأجر وكان عليها الوزر * لا قياتها عليه * وأن لا تخرج من بيته إلا بإذنه * الصريح إذا كان حاضرا بالبلد وإن كان لموت أبيها أو أمها قال الحنفى : الاعتذر كان منعها حقها أو خافت من الفاجر أو من نحو هدم أو حريق * فإن فعلت * لغير ضرورة * لعنها الله وملائكة الغضب حتى توب أو ترجع * أي ترجع أو بمعنى الواو لأن التوبة إنما تكون برجوعها * وإن كان ظلما * في منعه لها من الخروج حيث لم يكن ظلمه لها بمنع حقها

والطبراني المرأة لا تؤدي حق الله حتى تؤدي حق زوجها كله لو سألها وهو على ظهر قتب لم تمنعه نفسها * والحاكم وصححه أن امرأة قالت للنبي ﷺ إن ابن عمي فلانا يخطبني فأخبرني ما حق الزوج على الزوجة فإن كان شيئا أطيق تزوجه قال من حقه أن لو سأل من منخره دما أو فيحا فلحسته بلسانها ما أدت حقه لو كان ينبغي لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها إذا دخل عليها لما فضله الله عليها قالت والذي بعثك بالحق لا أتزوج ما بقيت في الدنيا * وأحمد عن أنس رضي الله عنه قال كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسقون عليه الماء من البئر وإنه استصعب عليهم فممنعهم ظهروه وإن الأنصار جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا إنه كان لنا جمل نسقى عليه الماء من البئر وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهروه وقد عطش الزرع والنخل فقام رسول الله ﷺ وقال لأصحابه قوموا فقاموا فدخلوا الحائط والجمل في ناحية فمشى ﷺ نحوه فقالت الأنصار يا رسول الله صار

والأجاز لها الخروج بغير إذنه وافهم باختصاره على ما ذكر من الحقوق أنه لا يجب عليها ما اعتد من نحو طبخ وإصلاح بيت وغسل ثوب ونحوها وهو مذهب الشافعي وعليه فينزل ما يقتضي وجوب ذلك على التدب قاله الزبيدي (و) أخرجه الطبراني (سند جيد) المرأة لا تؤدي حق الله حتى تؤدي حق زوجها كله لو سألها وهو على ظهر قتب لم تمنعه نفسها

وصح لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغنى عنه . وأخرج الترمذي وحسنه : لا تؤدي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤديه قالتك الله فأنما هو عندك دخيل يوشك أن يفرقك البينا وصح : إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور . وأخرج البزار بسند حسن عن عائشة قالت : سألت رسول الله ﷺ أي الناس أعظم حقا على المرأة ؟ قال : زوجها قلت : أي الناس أعظم حقا على الرجل ؟ قال : أمه . وأخرج البزار والطبراني : إن امرأة ذكرت ما للرجال في الجهاد من الأجر والفتية ثم قالت : فما لنا من ذلك ؟ فقال ﷺ : البغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافا بحقه يعدل ذلك وقليل متكن من يفعله .

وأخرج البزار بسند رواه ثقات مشهورون وابن حبان في صحيحه : أتى رجل بابنته إلى رسول الله ﷺ فقال : إن ابنتي هذه أبت أن تزوج فقال لها صلى الله عليه وسلم : أطيعي أباك فقالت : والذي بعثك بالحق لا أتزوج حتى تخبرني ما حق الزوج على زوجته ؟ قال : حق الزوج على زوجته لو كانت به قرحة فلحسها أو اتشتر متخراة صديدا ودما ثم ابتلعه ما أدت حقه قالت : والذي بعثك بالحق لا أتزوج أبدا فقال ﷺ : لا تنكحوهن إلا بأذنهن . (و) أخرجه الحاكم وصححه (و) واعترض بأن فيه وإميا (و) أن امرأة قالت : للنبي ﷺ أنا فلانة بنت فلان قال : قد عرفتك فما حاجتك ؟ قالت حاجتي إلى ابن فلان العابد قال : قد عرفته قالت (و) أن ابن عمي فلانا يخطبني فأخبرني ما حق الزوج على الزوجة فإن كان شيئا أطيق تزوجه قال ﷺ : من حقه أن لو سأل من منخره دما أو فيحا فلحسته بلسانها (و) غير مستندة لذلك (و) ما أدت حقه لو كان (و) أي الحال والشأن (و) ينبغي لبشر أن يسجد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها إذا دخل عليها لما فضله الله عليها قالت : والذي بعثك بالحق لا أتزوج ما بقيت في الدنيا .

(و) أخرجه أحمد (و) بإسناد جيد ورواه ثقات مشهورون (و) عن أنس رضي الله عنه قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسقون عليه أي يسقون عليه الماء من البئر وإنه استصعب عليهم فممنعهم ظهروه وإن الأنصار جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا : إنه كان لنا جمل نسقى عليه الماء من البئر وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهروه وقد عطش الزرع والنخل فقام رسول الله ﷺ وقال لأصحابه قوموا فقاموا فدخلوا الحائط أي البستان (و) ناحية فمشى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه (و) أي إلى جهته (و) فقالت الأنصار : يا رسول الله (و) قد (و) صار

مثل الكلب يخاف عليك صوته قال ليس علي منه بأس فلما نظر الحمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ ﷺ بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله في العمل فقال له أصحابه يا رسول الله هذا بهمة لا تعقل يسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك قال لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها لو كان من قدمه إلى مفروق رأسه قرحة تنبجس بالقيح والصد يد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه * وروى أنه ﷺ قال من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله ثواب آسية امرأة فرعون * وروى أن رجلا جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو إليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظر خروجه فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل قائلا إذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالي فخرج عمر فرآه موليا فناداه وقال ما حاجتك فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك خلق زوجتي واستطالتها على فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي فقال يا أخي إني احتملتها لحقوق لها على طبخة لطعامي خبازة لخبري غسالة لثيابي مريضة ولولدي وليس ذلك

الحمل ﴿مثل الكلب﴾ و﴿خفاف عليك صوته قال﴾ ﷺ ﴿ليس علي منه بأس فلما نظر الحمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر﴾ أي سقط ﴿ساجدا بين يديه فأخذ﴾ ﷺ ﴿بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله في العمل فقال له أصحابه يا رسول الله هذا﴾ الحمل ﴿بهمة لا تعقل يسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك قال﴾ ﷺ ﴿لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها لو كان من قدمه إلى مفروق رأسه﴾ أي وسطه ﴿قرحة تنبجس﴾ أي تفجر ﴿بالقيح والصد يد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه﴾ وأخرج أبو داود بسند صحيح: لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق. وأخرج الحاكم من حديث معاذ مرفوعا: لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي زوجها ولو سألها نفسها وهي على ظهر قتب. وأخرج الطبراني بسند صحيح إلا واحد قال المتذري لم أقف فيه على جرح ولا تعديل إلا أخبركم بنسائكم في الجنة قلنا: بلى يا رسول الله قال كل ورد إذا غضبت زوجها قالت: هذه يدي في يدك لا أكحل بغض حتى ترضى.

﴿وروى أنه﴾ ﷺ ﴿قال من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على﴾ صبر ﴿بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله ثواب آسية امرأة فرعون﴾ قال العراقي: لم أقف لهذا الحديث أصلا. ﴿وروى أن رجلا جاء إلى عمر﴾ ﷺ ﴿يشكو إليه خلق زوجته﴾ واستطالتها عليه ﴿فوقف﴾ الرجل ﴿ببابه﴾ أي عمر ﴿ينتظر خروجه فسمع﴾ الرجل ﴿امرأته﴾ أي عمر وهي أم كلثوم كما ذكره أبو الليث ﴿تستطيل عليه بلسانها وهو﴾ ﷺ ﴿ساكت لا يرد عليها﴾ كلاما ﴿فانصرف الرجل﴾ من عند عمر ﴿قائلا: إذا كان هذا﴾ أي ما سمعته من استطالة زوجة عمر عليه وسكوته عليها ﴿حال أمير المؤمنين فكيف حال فخرج عمر فرآه موليا﴾ أي مدبرا ﴿فناداه وقال﴾ أيها الرجل ﴿ما حاجتك؟ فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك خلق زوجتي واستطالتها على فسمعت زوجتك كذلك﴾ أي مثل حال زوجتي في استطالتها ﴿فرجعت وقلت﴾ في نفسي ﴿إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حال فقال﴾ عمر ﷺ ﴿يا أخي إني احتملتها لحقوق﴾ كبيرة ﴿لها على﴾ وهي أنها ﴿طبخة لطعامي خبازة لخبري غسالة لثيابي مريضة ولولدي وليس ذلك﴾ أي الطبخ وما بعده.

بواجب عليها ويسكن قلبي بها عن الحرام فانا احتملها لذلك فقال الرجل يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي قال فاحتملها فانما هي مدة يسيرة ﴿بواجب عليها ويسكن قلبي بها عن﴾ الوقوف في ﴿الحرام فانا احتملها لذلك فقال الرجل يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي قال﴾ عمر ﴿فاحتملها فانما هي مدة يسيرة﴾ في حياتك وهذا من حسن خلقه ﷺ .

قال الامام الغزالي وغيره : واعلم انه ليس حسن الخلق مع الزوجة كف الأذى فقط بل مع ذلك احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعته بالكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امرأة عمر رضى الله عنه في الكلام أتراجعينى بالكاء أى باليعة فقالت : ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم تراجعته وهو خير منك فقال عمر : خابت حفصة يعنى ابنته وخسرت ان راجعته ثم أتى وقال لحفصة : لا تغترى بابنة قحافة يعنى عائشة بنت أبى بكر يتسبها لجد ما فانها حاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة .

وروى انه دفعت احدا من في صدر رسول الله ﷺ فزبرتها ونهتها أمها فقال ﷺ : دعها فانهم يضعن أكر من ذلك وجرى بينه ﷺ وبين عائشة رضى الله عنها كلام حتى أدخل بينهما أبابكر ﷺ حكما يحكم في القضية واستشهده أى طلب منه أن يشهد فقال لما رسول الله ﷺ تكلمين أنت أو أتكلم فقال : بل تكلم أنت ولكن لا تقل الا حقا فاطمها أبوبكر ﷺ حتى دمنى فيها فقال : يا عديبة نفسيها أو يقول غير الحق فاستجارت عائشة رضى الله عنها برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره فقال له النبي ﷺ : لم تدعك لهذا أو قال لم تدعك منك هذا وقالت عائشة له ﷺ مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم انك نبي الله فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك منها حلما وكوما وكان يقول لها : انى لا عرف غضبك علي من رضاك قالت : وكيف تعرفه ؟ قال : اذا رضيت قلت : لا ، والله محمد واذا اغضبت قلت : لا ، والله ابراهيم قالت : صدقت ما أمجر الا اسمك أى بلفظي فقط ولا يترك قلبي التعلق بذاتك الشريفة مودة ومحبة كذا قرره ابن منير . وقال الطيبي في شرح المشكاة : هذا الحضر في غاية من اللطف في الجواب لأنها أخبرت انها اذا كانت في غاية من الغضب الذي يسلب العقل اختياره لا يغيرها في كمال المحبة المستغرقة ظاهرها وباطنها الممزجة بروحها وانما عبرت عن الترك بالهجران لدل أنها تألم من هذا الترك الذي لا اختيار لها فيه . ويستفاد من هذا الحديث الحكم بالقوانين لأنه ﷺ حكم برضا عائشة وغضبها بمجرد ذكرها اسمه الشريف وسكوتها عنه واستدل على كمال فطنتها وقوة ذكائها بتخصيصها ابراهيم عليه السلام دون غيره لأنه ﷺ أولى الناس به كما في التنزيل فلما لم يكن لها بد من هجر اسمه الشريف أبدلته بمن هو مثيل حتى لا يخرج من دائرة التعلق في الجملة ويقال ان أول حب وقع في الإسلام حب النبي ﷺ لعائشة رضى الله عنها وكان ﷺ يقول لها : كنت لك كأبى زرع لام زرع غير انى لأطعمك . وكان يقول لنسائه : لا تؤذنى في عائشة فانه والله ما نزل على الوحى وأنا في لحاف امرأة منك غيرها .

وروى أن ساء رسول الله ﷺ من حزان فحزب منه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة فاذا كانت عند أحد هدية يريد أن يهديها الى رسول الله ﷺ آخرها حتى اذا كان في يومها بعث الهدية فكلمها حزن أم سلمة فقبل لها كلمى رسول الله ﷺ بكلم الناس من أراد أن يهدي هدية فليهد اليه حيث كان من بيوت نسائه فكلمته أم سلمة فقال لها : لا تؤذنى في عائشة فان الوحى لم يأتني وأنا في ثوب امرأة الا عائشة الحديث .

وروى مسلم عن أنس : ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد على بن عبد العزيز البغوى والصبيان . وروى ابن عثما كوفي التاريخ من حديث أنس : كان أرحم الناس بالصبيان والعيال قال النووي هذا هو المشهور .

﴿وحكى﴾ أنه كان لبعض الصالحين أخ صالح وكان يزوره كل سنة فجاء مرة لزيارته فطرق بابه فقالت زوجته من فقال أخوزوجك في الله جاء لزيارته فقالت ذهب يحطب لا رده الله وبالفيت في شئيه وسبه فينما هو كذلك وإذا بأخيه قد حمل الأسد حزمة حطب وهو مقبل به فلما وصل أخاه سلم عليه ورحب به ثم أنزل الحطب من على ظهر الأسد وقال له اذهب بارك الله فيك ثم أدخل أخاه وهي تسبه فلا يجيبها فأطعمه ثم ودعه وانصرف على غاية التعجب من صبره عليها ثم جاء في العام الثاني فدق الباب فقالت من قال أخوزوجك جاء يزوره قالت مرحبا وبالفيت في الثناء عليهما وأمرته بانتظاره فجاء أخوه والحطب على ظهره فأدخله وأطعمه وهي تبلغ في الثناء عليهما فلما أراد مفارقه

وروى بالعباد كل منهما صحيح وواقع وفي فوائد أبي الدحداح عن علي كان أرحم الناس بالناس .

وقال عمر رضى الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون في أهله أى نسائه وأولاده من مثل الصبي في المداعية واللعب فإذا التمسوا ما عنده من أمور الدين وجد رجلا أى كامل الرجولية تام العقل . وقال لقمان الحكيم : ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي وإذا كان في القوم أى محافلهم وجد رجلا في تفسير الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الله يبغض الخبيث الجواظ قيل هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى : عئل قيل العئل هو اللفظ اللسان الغليظ القلب على أهله وما ملكت يمينه ووصفت أعرابية زوجها وقد مات عنها فقالت والله لقد كان ضحوكا إذا ولج سكيننا إذا خرج أكلاما وجد غير سائل عما فقد وقولها إذا ولج أى إذا دخل البيت تعنى حسن معاشرته مع الأهل وملاعبة لمن بالضحك والتبسم وعدم عبوس الوجه وقد ورد أن الله يبغض العبوس على أهله إذا دخل عليهن وقولها سكيننا إذا خرج عن قلة الكلام في الحافل وذلك يدل على كمال وقاره ومهابته بين الناس وقولها أكلاما وجد بالقناعة وقولها غير سائل عما فقد بحسن مروءته وأغصانه وكرمه وسخائه ويشبه كلامها بحديث أم زرع : زوجى ان دخل فهدان خرج أسند ويسأل عما عهد وهو يحتمل المدح ويحتمل الذم فعلى المدح معنى العهد أى تام نوم العهد وغفل عن معائب البيت وقيل وثب وثوب العهد وبادر إليها بالجماع من كثرة حبه لها ومعنى الأسد أى فعل فعل الأسد في شجاعته وجراسته ولا يسأل عما عهد أى لا يسأل عما فقد في البيت من ماله لتنام كرمه وهذا هو الملام لقول أعرابية هنا غير سائل عما فقد ولا يحتمل هنا الإحتمل كلامها على المدح وإنما ما في حديث أم زرع فيحتمل كليهما وإن كان ما بعد الجملة الأولى يحتمل الذم أيضا لكنه لا يلائم السياق .

﴿وحكى﴾ «أنه كان لبعض الصالحين» رحمه الله تعالى «أخ صالح وكان» الأخ الصالح «يزوره كل سنة فجاء مرة لزيارته فطرق بابه فقالت زوجته» أى بعض الصالحين «من» هذا الذي يطرق الباب «فقال» أنا «أخوزوجك في الله جاء لزيارته فقالت : ذهب» الرجل «يحطب» أى يطلب الحطب «لأرده الله» إلى بيته «وبالفيت» زوجته «في شئيه وسبه فينما هو كذلك وإذا بأخيه قد حمل الأسد حزمة حطب وهو مقبل به» أى مع الأسد «فلما وصل» البعض «أخاه» الزائر «سلم عليه ورحب به» أى قال مرحبا بالأخ الصالح «ثم أنزل الحطب من على ظهر الأسد» أى من فوقه «وقال له» أى للأسد «اذهب بارك الله فيك ثم أدخل» البعض «أخاه» إلى داره «وهى تسبه فلا يجيبها» صبرا على شؤنها «فأطعمه ثم ودعه وانصرف» وهو على غاية التعجب من صبره عليها «ثم جاء» أخوه الصالح «في العام الثاني فدق الباب فقالت» زوجته «من» الذي يطرق الباب «قال» أنا «أخوزوجك جاء يزوره قالت : مرحبا وبالفيت في الثناء عليهما» أى على زوجها وأخيه الزائر «وأمرته بانتظاره فجاء أخوه» أى الزائر «والحطب على ظهره فأدخله وأطعمه وهى تبلغ في الثناء عليهما» أى على زوجها وأخيه الزائر «فلما أراد مفارقه» أى مفارقة أخيه المزور

سأله عما رأى من حمل الأسد حطبه في زمن تلك البذية اللسان ومن حمله الخطب هو على ظهره في زمن هذه السهلة اللينة فما السبب فيه فقال يا أخي توفيت تلك الشرسة وكنت صابرا على شؤمها وتعبها فسخر الله تعالى لي الأسد الذي رأيت يحمل الخطب بصبري عليها ثم تزوجت هذه الصالحة وأنا في راحة فاقطع عني الأسد فاحتجت أن أحمل على ظهري لأجل راحتي مع هذه الصالحة .

﴿فصل في التشوز﴾

﴿سأله عما رأى من حمل الأسد حطبه في زمن تلك البذية﴾ أي الفاحشة ﴿اللسان﴾ ما رأى ﴿من حمله الخطب هو على ظهره في زمن هذه السهلة اللينة﴾ في كلامها وطبعها ﴿فما السبب فيه﴾ أي فيما رآه من اختلاف الحالين ﴿فقال﴾ أخوه المزور ﴿يا أخي توفيت تلك الشرسة﴾ أي السية الخلق ﴿وكنت صابرا على شؤمها وتعبها فسخر الله تعالى لي الأسد الذي رأيت يحمل الخطب بصبري عليها ثم تزوجت هذه الصالحة وأنا في راحة فاقطع عني الأسد فاحتجت أن أحمل على ظهري لأجل راحتي مع هذه الصالحة﴾ .

وفي أخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن قوما دخلوا على يونس النبي عليه السلام فأضافهم فكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه بلسانها وهو ساكت فتعجبوا من ذلك وهابوه أن يسألوه فقال : لا تعجبوا من هذا فإني سألت الله عز وجل وقلت : ما أنت معاقبت لي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال : عقوبتك بيت فلان وسماها فتزوجت بها وأنا صابر على ما ترون منها هكذا أورده صاحب القوت .

وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وتهذيبها ودفع رعونتها وكسر سورة الغضب وتحسين الخلق فإن المنفرد بنفسه أو المشارك لمن حسن خلقه لا ترسخ منه خباثات النفس الباطنة ولا تكشف بواطن عيوبه مع عدم الآثار والاختبار فتحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه بالتعرض لأمثال هذه الحرمات والمثيرات واعتماد الصبر عليها بترين النفس التعديل أخلاقه بميزان أهل السلوك وترباض نفسه وتهذب ويصنف عن الصفات الذميمة المكوبة باطنة وهو النافع في السير جدا والصبر على العيال واحتمال مؤنهم مع أنه رياضة ومجاهدة باطنة تكمل لهم وقيام بهم بالرعاية والولاية وعبادة في نفسها فهذه أيضا من الفوائد المتعلقة بالنكاح ولكنه لا ينفع بها إلا أحد الرجلين أما رجل قصد في نفسه المجاهدة والرياسة وتهذيب الأخلاق لكونه في بداية سلوك الطريق فلا يبعد هذا طريق في المجاهدة موصلة إلى حال وأما رجل من المشغولين بالعبادة الظاهرة ليس له سير بالباطن بالترقيات من حال إلى حال ولا حركة بالكفر والقلب وذلك بالمراقبة والمراقبة وإنما عمل عمل الجوارح بصلاة أو صوم أو حج أو غيره فعمله لأهله وأولاده يكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا تعدى خيرها إلى غيره فأما الرجل المهذب الأخلاق الصافي الأسرار في أصل الخلق الذي جبل عليه أو بمجاهدة سابقة قبل التزوج إذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم المكشوفة فلا ينبغي له أن يتزوج لهذا الغرض فإن الرياسة هو مكفى فيها لا يحتاج إلى ذلك وأما العبادة في العمل بالكسب لهم فالعلم أفضل من ذلك لأنه أيضا عمل فائده أكثر وأشمل لساكن الخلق من فائدة الكسب على العيال وهي عامة أيضا إلا أن عموم فائدة العلم أكثر وأقرب والله أعلم .

﴿فصل في التشوز﴾ مصدر نشزت المرأة زوجها من باب تعد وضرب إذا عصته وامتنعه عليه ونشر الرجل من زوجته بالرجلين تركها وجفائها وفي التبريل وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو عاضا . وأصله الارتفاع ويقال نشز من مكانه تشوزا بالوجهين إذا ارتفع عنه وفي السعة وإذا قيل لهم اتشزوا بالضم والكسر كذا في المصباح وقال الراغب : تشوز المرأة بنفسها الزوجها ورفع نفسها عن طاعته . وقال الصفياء : تشوز فإستأجرها يجب عليها له .

قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي يخافون نشوزهن فعضوهن وامسكوهن في المضاجع فما ضربوهن فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا

﴿قال الله تعالى: الرجال قوامون على النساء﴾ نزلت في سعد بن الربيع وكان من النعماء وفي امرأته حفصة بنت زيد بن أبي زهير ويقال امرأته بنت محمد بن مسلمة وذلك أنها نشرت عليه فليطمها فأنطلق أبوها معها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أفرشته كرمي فليطمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ارجعوا هذا جبريل أتاني فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى: الرجال قوامون على النساء. أي متسلطون على التأديب النساء والأخذ على أيديهن قال ابن عباس: أمرنا عليهن فعلى المرأة أن تطيع زوجها في طاعة الله والقوام هو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب فالرجل يقوم بأمر المرأة ويحجدها في حفظها.

ولما ثبت القيام للرجال على النساء من السبب في ذلك فقال تعالى ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ يعني أن الله تعالى فضل الرجال على النساء بأمر منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات والأمانات لأن منهم الأنبياء والخلفاء والأئمة ومنها أن الرجل يتزوج بأربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد ومنها زيادة التعصيب في الميراث والتعصيب فيه وبه الطلاق والتكاح والزجة وإلى الاستتاب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النساء.

ثم قال عز وجل: ﴿وما أنفقوا من أموالهم﴾ يعني وما أعطوا من مهر النساء والنفقة عليهن ﴿فالصالحات﴾ أي الحسنات العاملات بالخير ﴿قانتات﴾ أي مطيعات لأزواجهن وقيل مطيعات لله ﴿حافظات للغيب﴾ لغروجهن في غيبة أزواجهن لئلا يلحق الزوج العار بشيب زناها ويلحق به الولد الذي هو من غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله وما يجب على المرأة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها.

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أي النساء خير؟ قال: التي تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا مالمها بما بكرة أخرجه النسائي ورواه البغوي بسند الثعلبي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا: الرجال قوامون على النساء الآية ﴿بما حفظ الله﴾ أي بما حفظهم الله حين أوصى بين الأزواج وأمرهم بأداء المهر والنفقة عليهن وقيل في معنى الآية بما حفظهم الله وعصمهم لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على أزواجهن حيث أمرهم بالعدل فيهن وأمسكن بمعروف أو تسريحهن بإحسان ﴿واللاتي يخافون﴾ أي تعلمون وقيل تظنون ﴿نشوزهن﴾ أي شرورهن ﴿فعضوهن﴾ يعني إذا ظهر منهن أمارات النشوز فعضوهن بالخريف بالقول وهو أن يقول لها: اتقي الله وخلفيه فإن لي عليك حقا وأرجى عليه وأعلمي أن طاعتك فرض عليك وبحمد ذلك فإن أصرت على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى ﴿وامسكوهن في المضاجع﴾ أي أن لم ينزع عن ذلك بالقول فامسكوهن بالمضاجع قال ابن عباس: وهو أن يولمها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل هو أن يمتزج عنها إلى فراش آخر ﴿واضربوهن﴾ أي أن لم ينزع عن المخرج بالهجران فاضربوهن يعني ضربة غير مبرح ولا شأن قيل هو أن يضربها بالسواك ونحوه وقال الشافعي: الضرب مباح وتركه أفضل ﴿فإن أظعنكم﴾ يعني فإن رجعت عن النشوز إلى طاعتكم عند هذا التأديب ﴿فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾ أي فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعت والأيذاء وقيل معناه أن يلوا عنهن التعرض والتوبيخ ولا يتجسروا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فإن القلب ليس بأيديهن.

إن الله كان عليا كبيرا ﴿وروي﴾ الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح * وهما والذي نفسي بيده ما من رجل يدعوا امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء أي أمره وسلطانه ساخطا عليها حتى يرضى عنها أي زوجها *

روى الشيخان عن عبد الله بن زعنة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم لعله يجامعها أو قال يضاجعها من آخر اليوم . وأخرج أبو داود عن إياس بن عبد الله بن أوفى ذئاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تضربوا النساء فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: زبرت النساء على أزواجهن فرخص في ضربهن فأطاف بال رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: طاف بال محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم . قوله زبرت المرأة على زوجها إذا شرت واجترأت عليه وأطاف بالشيء وأحاط به .

ففي هذه الأحاديث دليل على أن الأولى ترك الضرب للنساء فإن احتاج إلى ضربها للتأديب فلا يضربها ضربا شديدا ولكن ذلك مفرقا ولا يوالى بالضرب على موضع واحد من بدنها وليق الوجه لأنه يجمع الحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة أسواط وقيل ينبغي أن يكون الضرب بالمتدبل واليد ولا يضرب بالسوط والعصا وبالجملة فالتخفيف بأبلغ شيء أول في هذا الباب .

واختلف العلماء فقال بعضهم: حكم الآية مشروع على الترتيب فإن ظاهر اللفظ وإن دل على الجمع إلا أن مجرى الآية يدل على الترتيب قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعظها بلسانه فإن انتهت فلا سبيل له عليها فإن أبت هجر مضجعا فإن أبت ضربها فإن لم تعظ بالضرب بعث الحكم . وقال آخرون: هذا الترتيب مرعى عند خوف النشوز أما إذا تحقق النشوز فلا بأس بالجمع بين الكل وقيل إن له أن يعظها عند خوف النشوز وهل له أن يهجرها فيه احتمال ذلك وله عند ظهور النشوز أن يعظها وإن هجرها أو يضربها ﴿إن الله كان عليا كبيرا﴾ العلى في صفة الله تعالى معناه الرفيع الذي يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين العلى بالاطلاق الذي يستحق جميع صفة المدح والكبر هو المستغنى عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبرياء وكبر الشأن الذي يصغر كل أحد لكبريائه وعظمته تعالى والمعنى إن الله متعال من أن يكلف عباده ما لا يطيقونه وقيل أن النساء وإن ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فإن الله على كبير قادر على أن ينصف لمن ظلمهن من الرجال وقيل معناه إن الله مع علوه وكبريائه يقبل توبة العاصي إذا تاب وبغفر له فاذا تابت المرأة من نشوزها فالأول بكم أن تقبلوا توبتها وتركوا معاتبتها واعلموا أن قدرته تعالى عليكم أعظم من قدرتم على من تحت أيديكم فأنتم أحق بالغو عن جنى عليكم .

﴿وروي﴾ أحمد و ﴿الشيخان﴾ وأبو داود ﴿عن أبي هريرة﴾ قال قال رسول الله ﷺ: إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأتت أي امتنعت بلا سبب ﴿فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة﴾ أي سبها ودمتها ودعت عليها وفيه أن امتناع المرأة من حللها بلا سبب كبيرة للتردد عليه باللعن ومن ثم لعنتها الملائكة ﴿حتى تصبح﴾ أي حتى ترجع كما في رواية أخرى وفيه أن المراد المبالغة في الزجر عن امتناعها منه أو تسويفها إياه قال الحنفى ﴿وهما﴾ أي وأخرج الشيخان عن أبي هريرة ﷺ ﴿والذي نفسي بيده ما من رجل يدعوا امرأته إلى فراشه فتأبى عليه﴾ أي تمتنع عنه استعمل بعلى لقصدته بمعنى السخط ﴿إلا كان الذي في السماء أمره وسلطانه ساخطا عليها حتى يرضى عنها أي زوجها﴾ باطاعتها وفي الحديث تحريم امتناع المرأة عن فراشه بغير عذر والحيض ليس بعذر لأن له حق الاستماع بها فوق الأزار فإن قيل هل يكون الزوج كذلك إذا أودته واستمع ؟ قلنا لا ، الآن يتصل بالامتناع إصرار هكذا في شرح مشارق الأنوار .

وابن حبان والبيهقي ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يرتفع لهم في السماء حسنة العبد الآبق حتى يرجع إلى مولاه والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتى يصحو * والخطيب أي امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها كانت في سخط الله حتى ترجع إلى بيتها أو يرضى عنها زوجها ﴿وفي رواية﴾ لعنهما كل ملك في السماء وكل شيء مرت عليه غير الجن والإنس حتى ترجع * وأحمد والطبراني والبيهقي والحاكم أي امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية * وابنا عدى وعساكر إذا قالت المرأة لزوجها ما رأيت منك خيرا قط فقد حبط عملها *

﴿و﴾ أخرج ابن حزيمة و﴿ابن حبان والبيهقي﴾ عن جابر رضى الله عنه ﴿ثلاثة﴾ من الناس ﴿لا يقبل الله لهم صلاة﴾ أي لا يشيهم عليها ﴿ولا يرتفع لهم في السماء حسنة﴾ وفي رواية ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة قال الحنفى أى رفعا يترتب عليه مزيد الاحسان ﴿العبد﴾ وكذا الأمة ﴿الآبق﴾ بلا عذر ﴿حتى يرجع إلى مولاه والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى﴾ عنها زوجها ﴿والسكران﴾ أى المتعدى بسكره لا سيما إذا ترتب عليه خروج أوقات الصلاة فهو عصيان ﴿حتى يصحو﴾ من سكره، ﴿و﴾ أخرج ﴿الخطيب﴾ عن أنس ﴿أي المرأة خرجت من بيتها﴾ أى مسكها ولو نحو عارة أو اجارة أو خرجت لغير ضرورة أملوا خرجت لنحو حريق فلا بأس بذلك ﴿بغير إذن زوجها كانت في سخط الله﴾ تعالى قال في المصباح: سخط سخطا من باب تعب والسخط بالضم أنسم منه وهو الغضب ويتعدى بنفسه وبالحرّف فيقال سخطته وسخطت عليه واسخطته فسخط مثل اغضبه فغضب وزنا ومعنى انتهى . وقال في النهاية السخط الكراهية للشيء وعدم الرضا به ﴿حتى ترجع إلى بيتها أو يرضى عنها زوجها﴾ أى يرضى بمزوجها وبإذن لها فيه ﴿وفي رواية لعنهما كل ملك في السماء وكل شيء مرت عليه غير الجن والإنس حتى ترجع﴾ وأخرج أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح : انه ﷺ قال : كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالجلس فهي كذا وكذا يعنى زانية .

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد والطبراني والبيهقي والحاكم﴾ وصححه وابنا حزيمة وحبان في صحيحهما عن أبي موسى الأشعري ﴿أي امرأة استعطرت﴾ أى استعملت العطر وهو الطيب والمراد ما يظهر ريحه منه ﴿ثم خرجت فمرت على قوم﴾ على الأجنب ﴿ليجدوا ريحها فهي زانية﴾ أى كالزانية في حصول الائتم وإن تفاوت ﴿وكل عين﴾ نظرت إلى محرم ﴿زانية﴾ كما تقدم وصح على كلام فيه لا يضر أن امرأة مرت بأبى هريرة رضى الله عنه وريحها يعصف فقال لها : أين تريدن بأمة الجبار ؟ ، قالت : إلى المسجد قال : وتطيت له قالت : نعم قال : فارجمي فاغتسلنى فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يقبل الله من امرأة خرجت إلى المسجد وريحها يعصف حتى ترجع فتغسل واحتج به ابن حزيمة أن صح وقد علمت انه صح على إيجاب الغسل ونفى قبول صلاتها أن صلت قبل أن تغسل وليس المراد خصوص الغسل بل إذا هاب رائحتها . وأخرج ابن ماجه بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد دخلت المرأة مزينة ترفل في زينة لها في المسجد فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد فان بنى اسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخترن في المساجد .

﴿و﴾ أخرج ﴿ابنا عدى وعساكر﴾ عن عائشة رضى الله عنها ﴿إذا قالت المرأة لزوجها : ما رأيت منك خيرا قط فقد حبط عملها﴾ قال العلقمى أى انكرت ما تقدم لها من الاحسان وجحدته فتجازى بإبطال عملها أى بحرمانها الثواب إلا أن تعود وتعترف باحسنه أو هو من باب الزجر والتفكير عن هذه المقالة الكاذبة نعم أن كانت على حقيقتها فلا لوم عليها انتهى . ومثل المرأة الأمة القائلة لسيدها ذلك قال الحنفى : قوله حبط عملها أى كمال ثواب عملها إذا العمل لا يحبطه إلا الردة .

وأبو داود والترمذي أنما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة * وأبو داود وابن ماجه لا يسئل الرجل فيم ضرب امرأته عليه * وورد عنه عليه السلام أنه قال اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء وذلك بسبب قلة طاعتهم لله ولرسوله ولأزواجهم وكثرة تبرجهم والتبرج هو إذا أرادت الخروج من بيتها لبست أفخر ثيابها وتحملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها فإن سلمت في نفسها لم يسلم الناس منها ولهذا قال عليه السلام المرأة عورة فأحبسوهن في البيوت فإن المرأة إذا خرجت الطريق قال لها أهلها أين تريدن قالت أعود مريضا وأشيع جنازة فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج ذراعها وما التمسست المرأة وجه الله بمثل أن تقعد في بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلمها * وكان علي عليه السلام يقول ألا تستحيون ألا تقارون يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها *

﴿وخرج أحمد و﴿أبو داود والترمذي﴾ وابن ماجه وابن خبان والحاكم عن ثوبان مولى المصطفى صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿أنما المرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس﴾ بزيادة ما للتأكيد أي من غير شدة حاجة الى ذلك . وقال ابن رسلان : بأن تخاف أن لا تقيم حدود الله فيما يجب عليها من حسن الصحبة وجمل العشرة لكرامتها له أو بأن يضارها ﴿فحرام عليها رائحة الجنة﴾ أي يمنع عنها ذلك مع السابقين قاله الحنفى .

قال ابن رسلان في هذه الحديث زجر عظيم ووعيد كبير في سؤال المرأة طلاقها من غير ضرورة ولا بد فيه من تأويل أما أن يجعل على من استحلّت ابداء زوجها بسؤال الطلاق مع علمها بتجرمه فهي كافرة لا تدخل الجنة أصلا ولا تشم ريحها وأما أن يجعل على أن جزاءها أن لا تشم رائحة الجنة إذا شتم الفاتزون ريحها بل يؤخر شتمها بعدهم حتى تجازى وقد يعنى عنها قد دخلها أولا وأما احتجنا الى تأويله لأن مذهب أهل الحق أن من مات على التوحيد مصرا على الكبائر فأمره الى الله تعالى أن شاء عفا عنه فأدخله الجنة وإن شاء عاقبه ثم أدخله الجنة وفي الحديث دليل على جواز سؤالها الطلاق عند وجود البأس .

﴿وخرج﴾ أبو داود وابن ماجه : لا يسئل الرجل فيم ضرب امرأته عليه وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ﴿اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها النساء﴾ ﴿اطلعت﴾ بشديد الطاء المهملة أي اشرفت ﴿في النار﴾ أي عليها والمراد بآر جهنم ﴿فرأيت أكثر أهلها النساء﴾ لاتفافه ما ورد أن أقل ما يكون للانسان في الجنة سبعون من الخور العين وزوجتان من نساء الدنيا وخبر رأيت أكثر أهل الجنة لأن المراد أكثر أهل النار ابتداء ثم يشفع فيهن صلى الله عليه وسلم ويدخلن الجنة . وقال شيخنا زكريا : وبحاج أيضا بأن المراد بكونهن أكثر أهل النار نساء الدنيا وبكونهن أكثر أهل الجنة نساء الآخرة فلا تنافي وهذا الحديث رواه أحمد ومسلم والترمذي والبخارى عن أنس بن مالك ﴿وذلك﴾ أي أكثر أهل النار النساء ﴿بسبب قلة طاعتهم لله ولرسوله ولأزواجهم وكثرة تبرجهم والتبرج هو إذا أرادت الخروج من بيتها لبست أفخر ثيابها وتحملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها فإن سلمت في نفسها لم يسلم الناس منها ولهذا﴾ أي لأجل كثرة تبرجهم .

﴿قال صلى الله عليه وسلم : المرأة عورة﴾ يعنى أنه يستحب ظهورها للرجل ﴿فأحبسوهن في البيوت فإن المرأة إذا خرجت الطريق قال لها أهلها : أين تريدن ؟﴾ قالت : أعود مريضا وأشيع جنازة فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج ذراعها وما التمسست ﴿أي طلبت﴾ المرأة وجه الله ﴿أي ثوابه﴾ بمثل أن تقعد في بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلمها ﴿أي زوجها﴾ . ﴿وكان علي رضي الله عنه يقول : ألا تستحيون ألا تقارون يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها﴾ وكانت عائشة وحفصة رضي الله عنهما جالستين عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل ابن أم مكتوم الاعمى فأمرهما النبي صلى الله عليه وسلم بالاحتجاب منه فقلتا :

وروي عنه عليه السلام أنه قال يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير في الهواء والحيتان في الماء والملائكة في السماء والشمس والقمر ما دامت في رضا زوجها وأما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وأما امرأة كلحت في وجه زوجها فهي في سخط الله إلى أن تضاحكه وأما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أربعة من النساء في النار امرأة بذية اللسان على زوجها إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وإن حضر آذته بلسانها وامرأة تكلف زوجها مالا يطيق وامرأة لا تستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة أي متجلمة بلبس أفسح ثيابها وامرأة ليس لها إلا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة في الصلاة ولا في طاعة الله ولا في طاعة رسوله ولا في طاعة زوجها * وقال علي كرم الله وجهه دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم أنا وفاطمة فوجدناه يبكي بكاء شديدا فقلت له فذاك أبي وأمي يا رسول الله ما الذي أبكاك قال يا علي ليلة أسرى بي إلى السماء رأيت نساء أسرى بعدن من أنواع العذاب فبكيت مما رأيت من شدة عذابهن رأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغها ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم

أنه أعمى لا يبصر ما ولا يعرفنا فقال صلى الله عليه وسلم: أفعميا وإن أمتا النساء تبصران . فكما يجب على الرجل أن يفيض طرفه عن النساء كذلك يجب على المرأة أن تقض طرفها عن الرجال وإذا اضطرت امرأة للخروج لزارة والديها ونحوه خرجت باذن زوجها غير متبرجة في ملحفة ومسحنة وثياب بذلة وتقض طرفها في مشيتها ولا تنظير يمينها ولا شمالا والا كانت عاصية وماتت متبرجة فرأها بعض أهلها في النوم وقد عرضت على الله في ثياب زقاق فهبت ريح فكشفتها فاعرض عنها وقال: خذوا بها ذات الشمال إلى النار فإنها كانت من المتبرجات في الدنيا .

وروي عنه عليه السلام أنه قال: يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير في الهواء والحيتان في الماء والملائكة في السماء والشمس والقمر ما دامت في رضا زوجها وأما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وأما امرأة كلحت في وجه زوجها فهي في سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه * وأما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع . * وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: أربعة من النساء في الجنة وأربعة في النار وذكر من الأربعة اللواتي في الجنة امرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها ولولدا صابرة قاتعة بالسير مع زوجها ذات حياء إن غاب عنها زوجها حفظت نفسها وماله وإن حضر أمسكت لسانها عنه وامرأة مات عنها زوجها ولها أولاد صغار فخبعت نفسها على أولادها وربتهم وأحسنن اليهم ولم تزوج خشية أن يضيعوا وأما الأربعة اللواتي في النار * و * امرأة بذية اللسان على زوجها إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وإن حضر آذته بلسانها وامرأة تكلف زوجها ما لا يطيق وامرأة لا تستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة أي متجلمة بلبس أفسح ثيابها وامرأة ليس لها * همه * إلا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة في الصلاة ولا في طاعة الله ولا في طاعة رسوله ولا في طاعة زوجها * فالمرأة إذا كانت بهذه الصفة كانت ملعونة من أهل النار إلا أن تتوب هكذا ذكره العلامة ابن حجر في الزواجر .

وقال علي كرم الله وجهه: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم أنا وفاطمة فوجدناه يبكي بكاء شديدا فقلت له * صلى الله عليه وسلم * فذاك أبي وأمي يا رسول الله ما الذي أبكاك ؟ قال: يا علي ليلة أسرى بي إلى السماء رأيت نساء من * أسرى بعدن من أنواع العذاب * أنى بأنواعها * فبكيت مما رأيت من شدة عذابهن رأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغها ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم * أنى الماء الحار البالغ نهاية الحرارة

يصب في حلقها ورأيت امرأة قد شد رجلها إلى ثديها ويدها إلى ناصيتها ورأيت امرأة معلقة بثديها قد سلطت عليها الحيات والعقارب ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار عليها ألف ألف لون من العذاب ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار فقامت فاطمة الزهراء وقالت يا حبيبي وقرة عيني ما كان أعمال هؤلاء حتى وقع عليهم العذاب فقال رسول الله ﷺ يا بنية أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال وأما المعلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها وأما التي شد رجلها إلى ثديها ويدها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت لا تغتسل من الجنابة والحيض وتستهيء بالصلاة وأما التي رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنها كانت غامة كذابة وأما التي على صورة كلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فإنها كانت منانة حسادة وبانية الويل لامرأة تعصى زوجها ﴿نتيه﴾ أعلم أن النشور الذي عده جماعة من الكبار يتحقق بمنعها الاستماع وطأ أو غيره ككلمس ولو بموضع عينه وبخروجها من المنزل بغير أذنه ولو لموت أحد أبويها أو إلى مجلس ذكر وتعلم فضيلة

﴿يصب في حلقها ورأيت امرأة قد شد رجلها إلى ثديها ويدها إلى ناصيتها ورأيت امرأة معلقة بثديها قد سلطت عليها الحيات والعقارب ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار عليها ألف ألف لون من العذاب ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها﴾ أي فيها ﴿وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار فقامت فاطمة الزهراء وقالت يا حبيبي وقرة عيني ما كان أعمال هؤلاء﴾ النسوة ﴿حتى وقع عليهم﴾ هذا ﴿العذاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بنية أما المرأة المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي﴾ أي لا تحجب ﴿شعرها من الرجال﴾ الأجانب ﴿وأما المعلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها وأما المعلقة بثديها فإنها كانت تؤذي فرش زوجها وأما المرأة التي شد رجلها إلى ثديها ويدها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فإنها كانت لا تغتسل من الجنابة والحيض وتستهيء بالصلاة وأما المرأة التي رأسها رأس الخنزير وبدنها بدن حمار فإنها كانت غامة كذابة وأما المرأة التي على صورة كلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فإنها كانت منانة﴾ أي كثره المن وتعداد النعم على من تعطيها ﴿حسادة وبانية الويل﴾ أي الهلاك ﴿لامرأة تعصى زوجها﴾ هكذا نقله العلامة ابن حجر عن بعض العلماء .
﴿نتيه﴾ ﴿أعلم أن النشور الذي عده جماعة من الكبار يتحقق بمنعها﴾ أي منع الزوجة لزوجها ﴿الاستماع وطأ أو غيره ككلمس﴾ ونظر كان قطت وجهها أو تولت عنه وإن مكنته من الجماع وحل كون المنع المذكور يحصل به النشور إذا لم يكن على وجه التذلل أي الحبب وإظهار الجمال والا فلا تكون ناشرة فيه ﴿ولو﴾ منعه من التمتع بها ﴿بموضع﴾ أي في موضع منها قد ﴿عينه﴾ كيدها وفخذها فإنه يحصل النشور به لا إن منعه عنه لعذر ككبر آله بحيث لا تحتله ومرضها يضرب معه الوطء وفرخ في فرجها ونحو حيض ومبث كبر آله باقراره أو برجلين من رجال الحثان ومحال أن لا يتشاور ذكره بأي حيلة غير الإباح ذكره في فرج محرم أو دبر أو أربع نسوة فإن لم يكن معرفته إلا بنظر من إلى الرجل وزوجه مكشوف في الفرجين حال انتشار ذكره جاز ليشهدن .

﴿و﴾ يتحقق النشور أيضا ﴿بمخرجها من المنزل﴾ والمراد به المحل الذي رضى الزوج باقامتها فيه سواء كان محله أو محلها أو محل أيها ﴿بغير أذنه﴾ ولا ظن رضاه فإن الخروج بأذنه أو بظن رضاه لا يحصل به النشور ﴿ولو﴾ كان الخروج ﴿لموت أحد أبويها أو إلى مجلس ذكر﴾ وزيارة صالح ﴿وتعلم فضيلة﴾ وعبادة غير محرم أي قرب وأما الخروج لعبادة المحرم أي القرب فلا يكون نسورا لكن بشرط أن لا يمنعها منه روى أنه كان خرج رجل في سفر وعهد امرأته أن لا تنزل من العلوى إلى السفلى أي سفل الدار وكان أبوها في الأسفل فمروا

لا تعلم أحكام الحيض والتفاس وسائر العلم العيني بل يلزم عليها الخروج لتعلمها ويحرم عليه منعها عنه إن لم يكن عالما ولا علمها وجوبا وبامتناعها من الثقة معه وبإغلاقها الباب حين أراد الدخول إليها وبإدعائها الطلاق فمتى صدر منها شيء من المذكورات ولو لحظة لا تستحق نفقة ذلك اليوم وكسوة ذلك الفصل ولا قسما منه بل تستحق أن يهجرها الزوج في المضجع إلى أن تصلح ولو بلغ سنين

فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول إلى أبيها لترضه وتخدمه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أطيعي زوجك فمات فاستأمرته في أن تحضر تجهيزه ودفنه فقال : أطيعي زوجك فدفن أبوها ولم يتحضره فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يخبرها : إن الله تعالى قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها هكذا ساقه صاحب القوت **﴿ لا ﴾** يتحقق التشوز إذا خرجت **﴿ تعلم أحكام الحيض والتفاس وسائر العلم العيني ﴾** أي كالواجب تعلمه من العقائد والواجب تعلمه بما يصح الصلاة والصيام والحج ونحوها ومحل جواز ذلك إذا لم يغتها الزوج الثقة عن الخروج لذلك أما إذا اغتاها عن ذلك بأن كان يعلمها ما تحتاج إليه فلا يجوز لها الخروج كما أشار إليه بقوله **﴿ بل يلزم عليها الخروج لتعلمها ويحرم عليه منعها عنه إن لم يكن عالما ولا علمها وجوبا ﴾**

﴿ تمة ﴾ يجوز لها الخروج في مواضع منها إذا اشرف البيت على الانهدام وإذا ادعى الزوج عليها بأنها خرجت لغير ضرورة وادعت هي أنها خرجت خشية انهدام البيت وليس هناك قرينة تدل على ذلك فهل يكفي قولها خشيت انهدامه فلا تسقط ثبوتها أولا يكفي مجرد قولها المذكور إلا إذا انظم إليه قرينة تدل على عادة الانهدام قال ابن حجر : كل محتمل والأقرب الثاني ومنها إذا خافت على نفسها أو مالها من فاسق أو سارق ومنها إذا خرجت إلى القاضي لطلب حقها من زوجها والمراد خرجت ليخلص لها القاضي حقها منه ومنها إذا خرجت لاكتساب نفقة بتجارة أو سؤال أو كسب إذا عسر الزوج .

﴿ و ﴾ يتحقق التشوز **﴿ بامتناعها من الثقة معه وبإغلاقها الباب ﴾** في وجهه **﴿ حين أراد الدخول إليها وبإدعائها الطلاق ﴾** كذبا **﴿ فمتى صدر منها شيء من المذكورات ﴾** أي منع الاستماع والخروج من المنزل بغير إذنه وغير ذلك مما مر **﴿ ولو لحظة لا تستحق نفقة ذلك اليوم وكسوة ذلك الفصل ولا ﴾** تستحق **﴿ قسما منه ﴾** وهل له أن يبيت أولا الظاهر لا ، حيث يلزم على ذلك تأخير حق غيرها وإذا عادت للطاعة لا تستحق قضاء والذي عليه القسم كل زوج عاقل أو سكران ولو مراهما أو سفيها فان جاز المراهق فالأثم على وليه أي إن علم به وقصر كما هو واضح ولا يجب عليه القضاء فلوجن الزوج بعد قسمه لبعض نسائه طاف به الولي على الباقيات **﴿ بل تستحق أن يهجرها الزوج في المضجع ﴾** بكسر الجيم وفتحها أي الوطء أو الفراش **﴿ إلى أن تصلح ولو بلغ سنين ﴾** وخرج به الكلام فيحرم الهجر فيه فوق ثلاثة أيام ولو لغير الزوجين إلا لعذر شرعي ككون المهجور نحو فاسق أو مبتدع وإن كان هجره لا يفيد ترك الفسق نعم لو علم أن هجره يحمله على زيادة الفسق امتنع كما قاله السبكي المسمى وكصلاح دينه أو دين الهاجر فيجوز ولو جمع الدهر وعليه حمل هجره صلى الله عليه وسلم كتب بن مالك وصاحبه مرارة ابن الربيع وهلال بن أسية حين تخلفوا عن غزوة تبوك .

وهجر السلف والخلف بعضهم بعضا فغنى الأحياء للفرزال أن سعد بن أبي وقاص هجر عمار بن ياسر إلى أن مات وهجرت سيدتنا عائشة سيدتنا خفصة وهجر عثمان بن عفان عبد الرحمن بن عوف إلى أن مات وهجر طاوس وهب بن منبه إلى أن مات وهجر الثور شيخه ابن أبي بليلى إلى أن مات ابن أبي بليلى ولم يشهد جنازته ومحل حرمة هجرها في الكلام فوق ثلاثة أيام أن قصد ردها لحفظ نفسه فقط أو له للطاعة والزجر عن المعصية فإن قصد ردها للطاعة وزجرها عن المعصية فقط جاز أما هجرها في الثلاثة فاقبل فجاز مطلقا وما أحسن قول بعضهم :

وأن يضربها ولو بسوط وعصا وأن تلعنها الملائكة الأبرار الذين لا يعصون الله طرفة عين وأن يعذبها الجبار في دار الهوان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة باتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة رواه الترمذي وابن ماجه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت رواه أحمد * وقال ألا أخبركم بنسائكم في الجنة قلنا بلى يا رسول الله قال كل ودود وولد إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها قالت

ياسيدي عندك لم يظلمه * فاستفت فيها ابن أبي حنيفة
فأنه يرويك عن جده * ما قد روى الضحاك عن عكرمة
عن ابن عباس عن المصطفى * نينا المبعوث بالرحمة
ان صدود الالف عن الله * فوق ثلاث ربنا حرمة
وأنت منذ خمس لنا هاجر * فما تخاف الله فينا فنه أي انكف

﴿و﴾ تستحق ﴿أن يضربها﴾ الزوج ﴿ولو﴾ كان الضرب ﴿بسوط وحصا﴾ على المعتد والواو بمعنى أو ولا يبلغ بالضرب أربعين في الحرية ولا عشرين في الأمة وإذا ضربها وادعى أنه لشوزها وادعت خلافه صدق بيمينه بالنسبة لجواز الضرب وترك المؤاخذه به لأن الشرع جعله وليا عليها وصدقت هي بالنسبة لعدم سقوط القسم والتبقة والكسوة هذا إن لم يعلم جوازه وتعيده والام يصدق ويضمن ما تلف بالضرب من نفس أو عضو أو منفعة لأن ضرب التأديب مشروط بسلامة العاقبة والأولى له العقوبة لمصالحته بخلاف ولي الصبي فان الأولى له عدم العفو عن تأديبه لأنه لمصالحته الولد وليس لنا موضع يضرب المستحق فيه الممنوع من أداء حقه الا هذا والرقيق يتمتع من حق سيده وانما جاز له الضرب ولم يحجب الرفع للحاكم لمشفقة ولأن القصد ردها للطاعة نعم ان كان بينهما عداوة تعين الرفع له .

﴿و﴾ تستحق ﴿أن تلعنها الملائكة الأبرار الذين لا يعصون الله طرفة عين وأن يعذبها الجبار﴾ جل جلاله ﴿في دار الهوان﴾ وهي نار جهنم ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾: أيما امرأة باتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة ﴿أي مع السابقين ومع أتائها ببقية المأثورات وتجنب المنهيات وهذا حث لزوجها على طاعة الزوج وترغيبها فيها قال الحنفى﴾: أي وأيما امرأة باتت وزوجها عنها غضبان لنحو سوء خلقها دخلت النار الى أن يساعها ﴿رواه الترمذي وابن ماجه﴾ والحاكم عن أم سلمة وهو حديث صحيح قاله العزيزي ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾: إذا صلت المرأة خمسها ﴿أي المكوبات الخمس﴾ وصامت شهرها ﴿أي رمضان غير أيام الحيض والنفاس ان كانت﴾ وحصنت فرجها ﴿من وطء غير حليها﴾ وأطاعت زوجها ﴿أي غير معصية﴾ قيل لها: ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت ﴿أي مع السابقين الأولين أي ان تجتنب مع ذلك بقية الكيثر أو باتت توبة صخيحة أو عفى عنها قاله المناوي وهذا لا يخص بها لأن كل من تاب أو عفى عنه كذلك ﴿رواه أحمد﴾ عن عبد الرحمن الزهري والبخاري في مسنده عن أنس بن مالك والطبراني عن عبد الرحمن بن حنبل بفتح الحاء وسكن السين المهملين اسم أبيه قال بعضهم حديث حسن .

﴿وقال﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ألا أخبركم بنسائكم في الجنة﴾ أي من أهل الجنة كما في رواية ﴿قلنا﴾: بلى ﴿أخبرنا﴾ يا رسول الله قال: ﴿هي﴾ كل ودود ﴿بفتح الواو أي الحبيبة الى زوجها﴾ وولد ﴿أي الكثرة الولادة أو التي تلد﴾ إذا غضبت أي غضبها زوجها بنحو تقصير في اتفاق أو قسم ﴿أو﴾ قال ﴿أسيء إليها أو﴾ قال ﴿غضب زوجها قالت﴾ مستغفلة له

هذه يدي في يدك لا أكحل بغمض حتى ترضى رواء الطبراني * وقالت عائشة رضي الله عنها يا معشر النساء لو تعلفن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بحر وجهها وينبغي لها أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في شيء من ماله إلا بإذنه بل قال جماعة من العلماء إنها لا تتصرف أيضا في مالها إلا بإذنه لأنها كالحجورة له قال بعضهم يجب على المرأة دوام الحياء من زوجها وغض طرفها قدامه والطاعة لأمره والسكوت عند كلامه والقيام عند قدومه وعند خروجه وعرض نفسها عليه عند النوم والتعطير له وتعاهد الفم بالمسك والطيب ودوام الزينة بحضرتة وتركها في غيبته وترك الحيانة عند غيبته في فراشه أو ماله وأكرام أهله وأقاربه ورؤية القليل منه كثيرا وقال وينبغي للمرأة الحائضة من الله أن تجتهد في طاعة الله وطاعة زوجها وتطلب رضاه فهو جنتها ونارها

﴿هذه يدي﴾ أي ذاتي ﴿في يدك﴾ أي قبضتك افعل فيها ما تريد ﴿لا أكحل بغمض﴾ بضم الغين تعني لا أذوق نوما وأصل الغمض اطباق جفن العين ﴿حتى ترضى﴾ عني ﴿رواه﴾ الدار قطنى و﴿الطبراني﴾ عن كعب بن عجرة وهذا حديث صحيح كما في شرح الجامع .

﴿وقالت عائشة رضي الله عنها يا معشر النساء لو تعلفن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بحر وجهها وينبغي لها﴾ أي لزوجها ﴿أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في شيء من ماله إلا بإذنه بل قال جماعة من العلماء : إنها لا تتصرف أيضا﴾ أي كما تتصرف في ماله ﴿في مالها إلا بإذنه لأنها كالحجورة﴾ المنوعة ﴿له﴾ ويلزمها أن تقدم حقوقه على حقوق أقاربها بل وعلى حقوق نفسها في بعض صور وإن تكون مستعدة لمنعه بها بما تقدر عليه من أسباب النظافة ولا تتخثر عليه بحملها ولا يغيبه بفتح فيه قال الأصمعي : دخلت البادية فاذا امرأة حسناء لها بعل قبيح فقلت لها : كيف ترضين لنفسك إن تكون تحت هذا قالت : اسمع يا هذا لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلتني ثوابه ولعلني أسأت فجعله عقوبتي

﴿وقال بعضهم يجب على المرأة دوام الحياء من زوجها وغض طرفها﴾ بسكون الراء أي بصرها ﴿قدامه والطاعة لأمره والسكوت عند كلامه والقيام عند قدومه وعند خروجه﴾ أكراما وتعظيما له ﴿وعرض نفسها عليه عند النوم والتعطير﴾ أي لبس العطر وهو الطيب ﴿له وتعاهد الفم﴾ أي تعاود الفم بالنسواك و﴿بالمسك والطيب ودوام الزينة بحضرتة وتركها﴾ أي الزينة ﴿في غيبته﴾ بفتح الغين الممجة ﴿وترك الحيانة عند غيبته في فراشه أو ماله وأكرام أهله وأقاربه ورؤية القليل منه كثيرا وقال﴾ بعضهم أيضا ﴿وينبغي للمرأة الحائضة من الله﴾ تعالى ﴿أن تجتهد في طاعة الله وطاعة زوجها وتطلب رضاه﴾ جهدا ﴿فهو جنتها﴾ أن أطاعته ﴿ونارها﴾ أن أسأته للخير السابق .

﴿تنبيه﴾ في آداب الجماع الشرعية يستحب أن يبدأ فيه قبله باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله أحد أولا ويكرر ويهلل ويقول : بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة أن كنت قدرت أن تخرج ذلك من صلبى وقال صلى الله عليه وسلم : لو أن أحدكم إذا أتى أهله وقال بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان أى باضلاله واغوائه ببركة التسمية فلا يكون للشيطان عليه سلطان في بدنه ودينه ولا يلزم عليه عصاة الولد عن الذنب لأن المراد من نقي الاضرار كونه مصونا عن اغوائه بالنسبة للولد الحاصل بلا تسمية أو بمشاركة أبيه في جماع أمه أو المراد لم يضره الشيطان في أصل التوحيد وفيه بشارة عظمى أن المولود الذي يسمى عند الجماع الذي قضى بسببه يموت على التوحيد وفيه الرزق ولا يختص بالغذاء والقوت بل كل فائدة أنعم الله بها على عبد رزق الله تعالى فالولد رزق وكذا العلم والعمل قال العراقي : متفق عليه من حديث ابن عباس ،

وإذا قربت من الانزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك: الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا الآية . ثم ينحرف عن القبلة يمينا أو شمالا فلا يستقبلها بالجماع أكراما لها فان في هذه الحالة كشفا للغورة وذهايا لبعض مسكة في العقل ،

وليغظ نفسه وأهله بثوب واحد كالملاء فان ذلك استبرأهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الجماع يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة وفي الخبر: إذا جامع أحدكم أهله فليجردا تجرد العيرين أي الحمارين ،

وليقدم قبل الجماع التلطف بالكلام والتقبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة ولكن بينهما رسول قيل: وما الرسول يا رسول الله؟ قال: القبلة والكلام . وقال صلى الله عليه وسلم: ثلاث من العجز في الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقها قبل أن يعرف اسمه ونسبه . والثاني: أن يكرمه أخوه فيرد عليه كرامته . والثالث: أن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤنسها ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه ،

ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر الأول والآخر والنصف ويقال إن الشياطين تحضر الجماع في هذه الليالي ويقال إن الشياطين يجامعون فيها ويروى كراهية ذلك عن علي ومعاوية وأبي هريرة رضى الله عنهم ومن العلماء من استحسب الجماع يوم الجمعة تحقيا لأحد التاويلين من قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من بكر وانكروا غسل واغتسل الحديث ،

ثم إذا قضى وطره من الجماع فليمتثل على أهله ويتوقف حتى يقضى هي أيضا نهمتها فانزالها ربما يتأخر بعد انزال الرجل فيهبج شهرتها ثم القعود عنها ابتداء لها وسبب لكراهتها للرجل فان علم أنها قد سبقت بالشهوة لم يحتج الى توقف والاختلاف في طبع الانزال يوجب التنافر من المرأة والكراهة مهما كان الزوج سابقا الى الانزال والتوافق بينهما في وقت الانزال أذ عند ما وأرفق ما يكون اليها وأحبه ليشغل الرجل بنفسه عنها فانها ربما تستحي من انزالها إذا كان الرجل قد فرغ من وطره وهذا يوجد قليلا لأنه قد يكون المرأة من طبعها بطؤ الانزال والرجل من طبعه سرعة فلا يوافقان وهذا هو المضر لها وما إذا كان بالعكس فالأمر سهل ،

والدواء النافع لمن كان سريع الانزال والمرأة بطيئة ما مرانه لا يقدم على الجماع الا بعد تبسط مقدماته من كلام ونحوه حتى إذا رأى أنه تغير لونها واحمرت عينها وصارت تلازم الرجل أوج ذكره قليلا قليلا مع التدريج حتى ينتهي الى آخر فينزل مرة واحدة ثم يتحرك بعد الانزال من غير اخراجه فنع هذه الهيئة لا تبقى المرأة ولو كانت بطيئة انزلت فيكون سببا للاحبال واللذة وقد يكون سبب التنافر بينهما قصر الذكر وطول فم الرحم فلا تشبع المرأة حينئذ من الجماع ولا تلتذ وقد يكون بالعكس فانه بطول ذكره يدفع فم الرحم دفعا كليا فيضرها ذلك فيحصل التنافر ويأبى الجماع غالبا .

وينبغي أن يأتيا في كل أربع ليال مرة فذلك عدل فقد جاز التأخير الى هذا الحد نعم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين فان تحصينها واجب عليه ولا يأتيا في الحيض ولا بعد انقطاعه وقبل الفسار فذلك محرم بنص الكتاب وقيل ان ذلك يورث الجذام في الولد ولما أن يستمتع بجمع بدن الحائض ولا يأتيا في غير المأني اذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى والأذى في غير المأني وهو الدبر دائم لا ينقطع فهو أشد تحريما من آتيان الحائض وقوله تعالى: فاتوا حرثكم أني شتم أي وقت شتم وله أن يستمني بيديها وان يستمتع بما تحت الأزار سوى الزنا .

﴿فصل في القسم﴾ أخرج مسلم والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين

﴿فصل في﴾ بيان حكم ﴿القسم﴾ وما يترتب عليه

وهو يفتح القاف مع سكون السين أما يفتحها فاليمين وبكسر مع السكون النصب ومع فتح جمع قسمة والمراد به هنا التسوية بين الزوجتين فأكثر في المبيت عندهما أو عند من لا في الجماع والاستمتاع والبرعات المالية ويتبع إذا كان له نسوة ولا يميل إلى بعضهن ويترك البعض وإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة منهن أقرع يمينه أي ضرب القرعة بأن يكتب اسمائهن في رقاع يحضرن ثم يرمى الرقاع مرة واحدة ويخلطها مع البعض ثم يمد يده فيأخذ ورقة فأيها طلع اسمها أخذها وذلك تطيبا لحاظرهن كذلك يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجب القسم بين المسولذات والاماء ولا يمين بين المنكوحات لكن الأولى العذل وكف الإيذاء ومن له منكوحات فإن اعرض عنهن جاز وإن بات ليلة واحدة عند واحدة لزمه مثلها للبقايا وتستحق المريضة والزقاء والحائض والنفساء والمحرمة والتي آلت منها زوجها أو ظاهر وكل من بها عذر شرعي أو طبعي لأن المقصود الانس والسكن دون الوقاع أما الناشئة فلا تستحق فلو كان يدعوهم إلى المنزل فابت واحدة سقط حقها وإن كان يساكن واحدة ويدعو الباقيات ففي جواز ذلك تردد لما فيه من التخصيص والمسافرة بغير إذنه ناشئ وإن سافرت بإذنه في غرضه فحقها قائم وتستحق القضاء وإن كان في غرضها لم تستحق للقضاء من القول الجديد :

ويجب القسم على كل زوج عاقل قال الشافعي : وعلى الولي أن يطوف بالحنون على نسائه ويرعى العدل في القسم وأما مكان القسم فلا يجوز له أن يجمع بين ضربين في مسكن واحد إلا إذا انفصلت المرافق وله أن يستدعيهن إلى بيته على التناوب وأما زمانه فعما دة الليل والنهار تبع إلا في حق الاتوي والحارس فإن سكونهما بالنهار ولا يحل أن يدخل في نوبتها على ضربها بالليل والمرض مخوف وأما بالنهار فيجوز لغرض مهم وإن لم يكن مرض وقيل النهار كالليل وقيل لا حجر في النهار فإن خرج إلى ضربها بالليل ومكث قضى مثل ذلك من نوبة الأخرى وإن لم يمكث زمانا محسوبا فالظاهر أنه يعصى ولا يقضى وإن دخل ووطئ فقد أفسد تلك الليلة في وجه فلا يمتد بها وفي وجه يقضى الجماع فقط وفي وجه يقضى تلك المدة ولا يكلف الجماع لأنه لا يدخل تحت الاختيار وأما مقداره فأقله ليلة ولا يجوز تنصيف الليلة لأنه تنغيص العيش وأكبره ثلاث ليال وقيل سبع وقيل لا تقدير بل هو إلى اختيار ثم القرعة تحكم فيمن به البدأ وقيل هو إلى خبرته لأنه ما لم يبت عند واحدة لا يلزمه شيء لغيرها والله أعلم .

﴿أخرج﴾ أحمد و﴿مسلم والنسائي عن ابن عمر﴾ رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المقسطين أي العادلين ﴿عند الله﴾ خبران يعني مقربون وهذه العندية عندية مكانة لا عندية مكان ﴿يوم القيامة﴾ وقوله ﴿على منابر﴾ خبر بعد خبر أو حال ﴿من نور﴾ صفة منابر قال القاضي : يحتمل أن يكون على منابر من أجسام نورانية حقيقة وأن تكون المنابر كتابة عن المنازل الرفيعة . قال شارح المشارق : المعنى الأول الأول لأنه متضمن للمنازل الرفيعة ﴿عن يمين الرحمن﴾ مذهب السلف أن ذلك عبارة عن صفة تسمى يمين الرحمن لا تعلم حقيقتها ومذهب الخلف يقولون ذلك بأن المراد شدة قربهم منه تعالى قربا مغنويا ولما كان يتوهم من إثبات اليمين إثبات اليسار دفع ذلك بقوله ﴿وكلتا يديه يمين﴾ والتشبيه ليست على حقيقتها بل المراد التكثير على حد ليك أي جميع صفاته يمين أي جميل ولك أن تجرى الاستعارة التمثيلية حيث شبه حالي هؤلاء بحال خدام ملك بذلوا الجهد في خدمته

الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا * والطبراني أن الله تعالى كعب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال فمن صبر منهن إيماناً واحساباً كان له مثل أجر الشهيد * والترمذي والحاكم من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط * والنسائي من كانت له امرأتان يميل إلى إحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل والمعاد بقوله يميل الميل بظاهره بأن يرجح إحداهما في الأمور الظاهرة التي حرم الشارع الترجيح فيها لا الميل القلبي لخبر عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعني القلب

فقدم لهم كراسي وأجلسهم عليها وأكرمهم غاية الأكرام ﴿الذين يعدلون﴾ صفة كاشفة للمقسطين أو صفة مادحة أو بدل منه أي الذين يحكمون بالحق ﴿في حكمهم﴾ أي فيما تقلدوا من خلافة أو إمارة أو قضاء ﴿وأهليهم﴾ أي من أزواج وأولاد وأقارب وأرقاء أي بالقيام بمؤتهم والتسوية بينهم ﴿وما ولوا﴾ بفتح الواو مع ضم اللام المخففة أي ما كانت لهم عليه ولاية كظفر على وقف أو يمين وروى ولوا بشديد اللام للمفعول أي جعلوا وابن عليه وعلى كل عطفة على حكمهم من عطف العام .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ عن ابن عباس لا بأس به ﴿أن الله تعالى كعب الغيرة على النساء﴾ بفتح الغين المعجمة الحمية والاقه أي حكم بوجودها فيهن وركبها في طباعهن وهذا قاله صلى الله عليه وسلم حين كان جالساً مع أصحابه فخرجت عليهم امرأة عريانة فقام بعض الصحابة فسترها فقال صلى الله عليه وسلم : لعلها حصل لها الغيرة أي بسبب زوجة أخرى أو أمة تشاركها في زوجها وذكر الحديث أي فلها نوع عذر لأنها مقصورة ولذا ورد أن المرأة ذات الغيرة لا تدرى أسفل الوادي وأعلامه أي فهي كالجنون الذي لا يدري ما يفعل وأشار صلى الله عليه وسلم إلى دوائها أي تصرف وتجاهد نفسها ليحصل لها ثواب الجهاد في الكفار ﴿والجهاد على الرجال فمن صبر﴾ قال المناوي : القياس صبرت لكن ذكره رعاية للفظ من ﴿منهن﴾ راعى معنى من قال العزري : يحتمل أن المراد صبرت على نحو تروح زوجها عليها ﴿إيماناً﴾ أي تصديقاً بأن الله قدر ذلك ﴿واحساباً﴾ أي طلباً للثواب عند الله تعالى ﴿كان له مثل أجر الشهيد﴾ أي المقتول في معركة الكفار بسبب القتال قال المناوي : ولا يلزم من المثلية التساوي في المقدار فهذه الفضيلة تحجب تلك النقصية وهي عدم قيامهن بالجهاد .

﴿و﴾ أخرج ﴿الترمذي والحاكم﴾ وغيرهما من حديث أبي هريرة ﴿من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط .﴾ أخرج ﴿النسائي﴾ : من كانت له امرأتان يميل إلى أحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل والمراد بقوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يميل الميل بظاهره بأن يرجح إحداهما في الأمور الظاهرة التي حرم الشارع الترجيح فيها لا الميل القلبي لخبر ﴿أصحاب الستين الأربعة وابن حبان في صحيحه﴾ عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعني القلب ﴿أي حبه ولفظ القوت يعني في المحبة والجماع وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب بعضهن أكثر من بعض وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه وسائر نسائه يعرفن ذلك فكان يظاف به محمولاً في مرضه في كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول : أين أنا غدا ؟ ، فقطعت امرأة منهن فقالت : إنه يسأل عن يوم عائشة فقلن : يا رسول الله قد آذنا لك أن تكون في بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تحمل كل ليلة فقال : وقد رضيتم بذلك ؟ ، فقلن : نعم ، قال : فحولوني إلى بيت عائشة قال العراقي : رواه ابن سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي بن الحسين .

﴿باب في التهاجر﴾

﴿أخرج﴾ أحمد والطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يحل لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاث ليال فإنهما ناكبان عن الحق أي ما تلاقى علي صراهما وأولهما فينا رجوعاً إلى الصلح يكون سبقه بالغي كفاً له وإن سلم فلم يقبل ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ورد على الآخر الشيطان فإن ماتا على صراهما لم يدخل الجنة جميعاً أبداً * وأبو داود والنسائي لا يحل لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار * والشيخان لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال

﴿باب في التهاجر﴾

بأن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام لغير غرض شرعي والتدابير وهو الاعراض عن المسلم بأن يلقاه فيعرض عنه بوجهه والتشاخن وهو تغيير القلوب المؤدي إلى أحد ذينك ،

﴿أخرج أحمد﴾ بسند صحيح وأبو يعلى والطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يحل لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاث ليال فإنهما ناكبان عن الحق أي ما تلاقى عليهما وأولهما فينا رجوعاً إلى الصلح يكون سبقه بالغي كفاً له وإن سلم فلم يقبل ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ورد على الآخر الشيطان فإن ماتا على صراهما لم يدخل الجنة جميعاً أبداً * وفي رواية صحيحة : لم يدخل الجنة ولم يجتمعا في الجنة . وأخرج ابن أبي شيبة : لا يحل أن يهجر ما فوق ثلاث فإن ماتا لم يجتمعا في الجنة أبداً وأيهما بدأ صاحبه كفرت ذنوبه فإن هوسلم ولم يرد عليه ولم يقبل سلامه رد عليه الملائكة ورد على ذلك الشيطان * ﴿و﴾ أخرج أبو داود والنسائي ﴿بأسناد على شرط الشيخين﴾ لا يحل لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاث ﴿بلا عذر شرعي﴾ فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار . وأخرج الطبراني في الأوسط والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تحل الحجرة فوق ثلاثة أيام فإن التقيا فسلم أحدهما فرد الآخر اشتركا في الأجر وإن لم يرد برئ هذا من الإثم وباء به الآخر وأخسبه قال : وإن ماتا وهما متهاجران لا يجتمعا في الجنة . وأخرج الطبراني : لا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً هجر المؤمن ثلاث فإن تكلموا والا أعرض الله عز وجل عنهما حتى يتكلموا . وأخرج الطبراني بسند صحيح من هجر أخاه فوق ثلاث فهو في النار إلا أن يتداركه الله برحمته وأخرج أبو داود والبيهقي : من هجر أخاه فهو كسفك دمه . وأخرج مسلم : أن الشيطان قد نُس أن يعبده المضلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم أي الإغراء وتغيير القلوب والتقاطع . وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً بسند جيد : لا يهاجر الرجلان قد دخلا في الإسلام الا خرج أحدهما منه حتى يرجع إلى ما خرج منه رجوعه أن يأتيه فيسلم عليه . وأخرج البزار بسند صحيح : أنه صلى الله عليه وسلم قال : لو أن رجلين دخلا في الإسلام فهاجر لكان أحدهما خارجاً عن الإسلام حتى يرجع يعني الظالم عنهما . وأخرج البخاري وغيره : لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث زاد الطبراني يلتقيان فيعرض هذا والذي يبدأ بالإسلام يسبق إلى الجنة قال مالك : ولا أحسب التدابر إلا اعراض المسلم يدبر عنه بوجهه .

﴿و﴾ أخرج الشيخان : لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ﴿أما إباحة الهجر في الثلاث فمفهوم من الحديث عند من يقول بمفهوم المخالفة وإنما عفى عنها في الثلاث لأن الأدمى مجبول على سوء الخلق والغضب قيل هذا فيما إذا كان الهجر لأمر ديني وأما

يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وأخذ منه العلماء أن السلام يرفع إثم الحجر * وسلم تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لأمري لا يشرك بالله شيئا إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول أتركوا هذين حتى يصطلحا وفي رواية تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقول انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا *

إذا كان لتفصيل المعصية فالزيادة على الثلاث مشروعة كما هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الثلاث عن الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وأمر الناس بهجرانهم خمسين يوما روى أن بعير صفي لما اعتل قال النبي صلى الله عليه وسلم لزناب: أعطيا بعيرا وكان عندها فضل ظهر فقالت: أنا أعطى تلك اليهودية فغضب عليه الصلاة والسلام فهجرها ذا الحجة والحرم وبعض صفر **﴿اللتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وأخذ منه﴾** أي من هذا الحديث **﴿العلماء أن السلام يرفع إثم الحجر﴾** **﴿و﴾** أخرج **﴿مسلم﴾** وغيره **﴿تعرض الأعمال﴾** على الله تعالى **﴿في كل﴾** يوم **﴿اثنين و﴾** يوم **﴿خميس﴾** أي تعرضها الملائكة عليه فيها قال الحليمي: يحتمل أن ملائكة الأعمال يتأوبون فيقيم فريق من الاثنين فيعرج كلما يعرج فريق قرأ ما كتب في موضعه من السماء فيكون ذلك عرضا في الصورة وأما الباري في نفسه فغنى عن نسخهم وعرضهم وهو أعلم بالكسب عبادهم **﴿فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لأمري لا يشرك بالله شيئا إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه﴾** في الإسلام **﴿شحناء﴾** بفتح الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة وفتح التون المندودة بعدها همزة مرفوعة أي عداوة والمشاحن المعادي **﴿يقول﴾** الله تعالى **﴿أتركوا هذين﴾** أي أخرؤا مغفرتهما **﴿حتى يصطلحا﴾** قال الخفقي: فيه أمر شديد لمن بينه وبين أخيه عداوة أن يصالحه لأجل تشمله المغفرة وهذا في غير الشحناء لله تعالى فإنه يزداد في مغفرتهما وإنما المراد الشحناء في أمر الدنيا.

﴿وفي رواية﴾ **﴿مسلم وأبي داود والترمذي عن أبي هريرة﴾** تفتح أبواب الجنة **﴿فتحاً جديماً وقيل كناية عن الأكرام والاحسان وفي الحديث حجة لأهل الجنة على قولهم أن الجنة والنار مخلوقان موجودتان خلافاً للمبتدعة﴾** يوم الاثنين والخميس **﴿فيغفر﴾** فيها **﴿لكل عبد لا يشرك بالله شيئا﴾** ذنوبه الصغائر بغير وسيلة طاعة فإن لم يجد له صغائر أو كثرت بخصال أخرى قال ابن رسلان: فتزجر من فضل الله أن يكفر من الكبائر وقد خص الله تعالى هذين اليومين بفتح أبواب الجنة فيهما وعرض الأعمال عليه لخصيصه بهما **﴿إلا رجلا كان بينه وبين أخيه﴾** في الدين **﴿شحناء فيقول﴾** عز وجل للملائكة الموكلين بكتابة من يغفر له **﴿انظروا﴾** بقطع الهمزة وكسر الظاء المعجمة أي أخرؤا **﴿هذين﴾** الشخصين المتعادين **﴿حتى يصطلحا﴾** قال القلقمى: فلو كان متباعدين فتراسلا بالسلام والمودة قام مقام الصلح والظاهر أن أحدهما لو صلح الآخر وسلم عليه فلم يرد عليه ولم يصالحه فيغفر للمصالح ويؤخر من لم يصالح قال المناوي: نعم إن كان الحجر لله فلا يجزئ أن **﴿انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا﴾** كرره للتأكيد. وأخرج الطبراني: تنسخ دواوين أهل الأرض في دواوين أهل السماء في كل اثنين وخميس فيغفر لكل مسلم لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا بينه وبين أخيه شحناء. وأخرج الطبراني في الأوسط بسند رواه ثقات: تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فمن استغفر فيغفر له ومن تأتى فيتاب عليه ويرد أهل الضغائن لصغائرتهم أي أحقادهم حتى يتوبوا. وأخرج الطبراني وابن حبان في صحيحه والبيهقي: يطلع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا المشرك والمساكين. وأخرج البرزاني والبيهقي بنحوه بإسناد لا بأس به.

والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع عنه ثوبه ثم لم يستم أن قام فلبسهما فأخذتني غيرة شديدة فظننت أنه يأتي بعض صوحيباتي فخرجت أتبعه فأدركه بالبيع ببيع الفرق يستغفر المؤمنين والمؤمنات والشهداء فقلت بأبي وأمي أنت في حاجة دينك وأنا في حاجة الدنيا فانصرفت قد دخلت حجرتي ولي نفس عال ولحقتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا النفس يا عائشة فقلت أنت وأمي أتيتي فوضعت عنك ثوبك ثم لم تستم أن قم فلبستهما فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صوحيباتي حتى رأيتك بالبيع تصنع ما تصنع فقال يا عائشة أكره تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله أتاني جبريل عليه السلام فقال هذه ليلة النصف من شعبان والله فيها عتاء من النار بعدد شعور غنم كلب لا ينظر الله فيها إلى مشرك ولا إلى مشاحن ولا إلى قاطع رحم ولا إلى مسبل إزاره ولا إلى عاق لوالديه ولا إلى مدمن خمر قالت ثم وضع عنه ثوبه فقال هذه ليلة النصف يا عائشة تأذنين لي في قيام هذه الليلة قالت نعم بأبي أنت وأمي فقام فسجد طويلاً حتى ظننت أنه قد قبض فقمت ألمسه ووضعت يدي على باطن قدميه فتحرك ففرحت وسمعته يقول في سجوده أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضائك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك

﴿ و ﴾ أخرج البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل على رسول الله ﷺ فوضع عنه ثوبه ثم لم يستم أن قام فلبسهما فأخذتني غيرة شديدة فظننت أنه ﴿ عليه الصلاة والسلام ﴾ يأتي بعض صوحيباتي ﴿ جمع صوحيبة تصغير صاحبة ﴾ فخرجت أتبعه فأدركه بالبيع ببيع الفرق ﴿ اسم مقبرة المدينة قال بعضهم وكثير من الصحابة : ممن توفي في حياته ﷺ وبعده مدفون بالبيع ومن ثم قال مالك : مات بالمدينة من الصحابة مقدار عشر الآف وغالبهم لا يعرف عين قبره ولا جهة ﴾ يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء فقلت بأبي ﴿ أنت ﴾ وأمي أنت في حاجة دينك ﴿ وفي رواية في حاجة ربك ﴾ وأنا في حاجة الدنيا فانصرفت قد دخلت حجرتي ولي نفس ﴿ بفتح الفاء ﴾ عال ولحقتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا النفس يا عائشة ؟ ، فقلت : بأبي أنت وأمي أتيتي فوضعت عنك ثوبك ثم لم تستم أن قم فلبستهما فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صوحيباتي حتى رأيتك بالبيع تصنع ما تصنع ﴿ من الاستغفار المذكور ﴾ فقال : ﴿ يا عائشة أكره تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله أتاني جبريل عليه السلام فقال : هذه ليلة النصف من شعبان والله فيها عتاء من النار بعدد شعور غنم كلب لا ينظر الله ﴾ نظر رحمة ﴿ فيها إلى مشرك ولا إلى مشاحن ولا إلى قاطع رحم ولا إلى مسبل إزاره ولا إلى عاق لوالديه ولا إلى مدمن خمر قالت : ﴾ عائشة رضي الله عنها ﴿ ثم وضع ﴾ ﷺ عنه ثوبه فقال : هذه ليلة النصف يا عائشة تأذنين لي في قيام هذه الليلة قالت : نعم بأبي أنت وأمي فقام فسجد طويلاً حتى ظننت أنه قد قبض ﴿ أي توفي ﴾ فقمت ألمسه ووضعت يدي على باطن قدميه فتحرك ففرحت وسمعته ﴿ يقول في سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضائك من سخطك ﴾ أي بما يرضيك عما يسخطك ﴿ وأعوذ بك منك ﴾ أي برحمك من عقوبتك فلما استعاذ منه عن شئته وخلقه بأذنه وقضائه فهو الذي سبب الأسباب الذي يستعاذ منها خلقاً وكوناً وهو الذي يعيد منها ويدفع شرها خلقاً وكوناً فمنه السبب والمسبب وهو الذي حرك الأنفس والأبدان وأعطاهما قوتي التأثير وهو الذي أوجدها وأمرها وهو الذي يمسكها إذا شاء ويحول بينها وبين قواها وتأثيرها ﴿ جل وجهك ﴾ أي ذاك ﴿ لا أحصى ﴾ أي لا أطيق ﴿ ثناء عليك ﴾ في مقابلة نعمة واحدة من نعمك والفرض منه الاعتراف بتقصيره عن أداء ما وجب عليه من حق الثناء عليه تعالى ﴿ أنت كما أثنيت على نفسك ﴾ وهذا اعتراف بالعجز عن التفصيل فوكله إلى الله سبحانه وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه .

هذا الذي ذكرناه هو تفسير أهل الظاهر ذكره القاضي أبو بكر بن العربي وغيره من العلماء وقد فهم بعض أرباب القلوب من هذا الدعاء أنه قيل له ﷺ في خطاب الله عز وجل إليه : كلا ، لا تطلع واسجد واقترب . فعلم منه أن السجود محل التقرب من الله تعالى لأنه تنزيه بما يستحقه الله تعالى من العلو والرفعة عن صفات المحدثين وتحقيق بما عليه العبد من الذل والاستكانة فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فإن الرضا والسخط وصفان متباينان عن مشاهدة الأفعال ومصادرها منه تعالى فقط فكانه لم ير إلا الله فقط في أفعاله ثم لما رأى ذلك نقصا في التوحيد زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقى من مقام مشاهدة الصفات إلى مقام مشاهدة الذات فقال : أعوذ بك منك وهذا فرار منه إليه من غيره رؤية فعل وصفة بل رأى نفسه فارا منه إليه فغنى عن مشاهدة نفسه ثم زاد قربه فاندرج القرب الثاني فيه بما استجابه من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله لا أحصى ثناء عليك فأخبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدة غيره ثم علم أن ذلك قصور فقال : أنت كما أثبت على نفسك فأخبر أنه المثنى والمثنى عليه وأن الكل منه وإلى يعود وكل شيء هالك إلا وجهه فكان الأول مقامه نهاية مقام الموحدين وهو أن لا يرى إلا الله في أفعاله .

هذا ما فهمه البعض المذكور وصرح به الغزالي في مواضع من مصنفاته بعبارات مختلفة تول إلى هذا الذي ذكرهنا ومن ذلك قال الغزالي في المقصد الاسمي نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة أنهم لا يعرفونه وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقة المحيطة بكه صفات الربوبية إلى الله تعالى فإذا انكشف لهم ذلك انكشافا بزهيا فقد عرفوه أي بلغوا لمتهم الذي يمكن في الحق الخلق من معرفته وهو الذي عناه رسول الله ﷺ حيث قال : لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولم يرد به أنه عثر منه ما لا يطاوعه لسانه في العبارة عنه بل معناه أني لا أحيط بمحامدك وصفات الهيئك وإنما أنت المحيط بها وحدك .

فاذا لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته إلا بالخير والدهشة وإنما اتساع المعرفة فأنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب المنورة والبصائر المقدسة ثم لما اغوار وزاء هذا الذي ذكر وهو فهم معنى القرب الأول واندراج في الثاني واندراج القرب في الثالث وفهم اختصاصه بالسجود دون غيره ومعنى الاستعاذة من ضفة بصفة وكذا معنى الاستعاذة منه به ومعنى الفرار منه إليه وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وقد أشار إلى شيء من ذلك الشيخ الأكبر قدم سره في كتاب الشريعة : أن العارف إذا تعوذ بنظر الخال الذي أوجب له التعوذ وينظر إلى حقيقة ما يتعوذ به وينظر إلى ما ينبغي أن يعاذ به فيتعوذ بحسب ذلك فمن غلب عليه في حاله أن كل شيء يستعاذ منه به سيده وأنه في نفسه محل التصريف والتقلب استعاذ من سيده سيده وهو قوله ﷺ : وأعوذ بك منك وهذه استعاذة التوحيد يستعبد به من الاتحاد قال تعالى : ذق أنك أنت العزيز الكريم . وقال : كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار . وقال : الكبرياء رذائي والعظمة أزارى من نازعنى فيهما قصته .

ومن نزل عن هذه الدرجة في الاستعاذة استعاذ بما لا يلزمه فضلا كان أو صفة هذه قضية كلية والحال يعنى القضايا والحكم يكون بحسبها ورد في الخبر : أعوذ برضاك من سخطك فقد خرج العبد هنا عن حظ نفسه بأقامة حرمة محبوه ثم الذي لنفسه من هذا الباب قوله وبمعافاتك من عقوبتك فهذا في حظ نفسه وأي المرتبة أعلى في ذلك نظر فمن نظر إلى ما يقتضيه جلال الله من أنه لا يبلغه يمكن أي ليس في حقيقة الممكن قبول ما ينبغي لجلال الله من التعظيم وإن ذلك محل في نفس الأمر لم ير إلا أن يكون في حظ نفسه فإن ذلك عائد عليه ومن نظر في قوله لا يعبدون قال : ما يلزم من حق ربي إلا ما تبلغه قوتي فأنما لأعمل إلا في حق ربي لا في حق نفسي فشرح الشارع الاستعاذتين لهدى الشخصين ومن رأى أن وجوده هو وجود ربه إذا لم يكن له من حيث هو وجود قال : أعوذ بك منك وهي المرتبة الثالثة

فلما أصبح ذكرتهن له فقال يا عائشة تعلمين وعلمين فان جبريل علمنيهن وأمرني أن أرددهن في السجود ﴿تنبيه﴾ إن هجر أخيه المسلم فوق ثلاثة أيام حرام بل قال جماعة من العلماء إنه من الكبائر إلا لعذر شرعي كبدعة أو فسق ولو خفيا وضابطه أنه متى عاد إلى صلاح دين الهاجر أو المهجور جاز ولا فلا .

وثبت في هذه المرتبة عين العبد والله اعلم .

وليس ما ذكر من الأسرار مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لجانه وخالصه وذكر الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المتننى اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسول الله ﷺ بالمعاني العربية ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان وثم افهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء في الحديث لكل آية ظهر وبطن فلا يصدك عن تلقى هذه المعاني منهم أن يقول ذو جدل ومعارضة هذا حالة لكلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس ذلك باحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا وهم يقولون ذلك بل يقولون الظواهر على ظواهرها مراد بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما أفهم انتهى . ونقله العلامة الزبيدي .

﴿فلما أصبح﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿ذكرتهن﴾ أى تلك الكلمات ﴿له فقال﴾ يا عائشة تعلمين وعلمين ﴿أى للناس﴾ فان جبريل ﴿عليه السلام﴾ علمنيهن وأمرني أن أرددهن في السجود .

وأخرج أحمد بإسناد يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده الا اثنين مشاحن وقاتل نفس . وأخرج البيهقي وقال مرسل جيد في ليلة النصف من شعبان يغفر الله عز وجل لأهل الأرض الا المشرك أو مشاحن . وأخرج الطبراني والبيهقي عن مكحول عن أبي ثعلبة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يطلع الله إلى عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمؤمنين ويغفر للكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه . وأخرج الطبراني في الكبير والأوسط عن رواية لث بن ابي سليم واختلف في توثيقه ومع ذلك حدث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فان الله يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء من مات لا يشرك بالله شيئا ولم يكن ساحرا تبع السحرة ولم يحقد على أخيه . وأخرج البيهقي وقال مرسل جيد عن عائشة رضى الله عنها قالت : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض فلما رأيت ذلك قمت حتى خروكت إبهامي فتحرك فرجعت فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال : يا عائشة أوبأ حير أظننت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خاس بمعجزة ثم مهلة أى غدر بك فلم يوفقك حقك قلت : لا ، والله يا رسول الله ولكنى ظننت أنك قد قبضت لطول سجودك فقال : أتدري أى ليلة هذه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : هذه ليلة النصف من شعبان ان الله عز وجل يطلع عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم . وأخرج ابن ماجه : ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤسهم سيرا رجل أم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط واخوان متصارمان . وأخرج ابن ماجه في صحيحه : ثلاثة لا تقبل لهم صلاة وذكر ونحوه .

﴿تنبيه﴾ * ان هجر أخيه المسلم فوق ثلاثة أيام حرام بل قال جماعة من العلماء : إنه من الكبائر إلا لعذر شرعي كبدعة أو فسق ولو خفيا . وأما قول صاحب العدة : ان هجر المسلم فوق ثلاثة صغيرة فهو بعيد جدا وان سكت عليه الشيخان ﴿وضابطه أنه متى عاد إلى الهاجر﴾ (إلى صلاح دين الهاجر أو) دين ﴿المهجور جاز ولا فلا﴾ . هكذا ذكره ابن حجر في الزواجر .

باب عقوق الوالدين

قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا * قال ابن عباس يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب فلا يغلظ لهما في الجواب ولا يحد النظر عليهما بل يكون بين يديهما مثل العبد بين يدي سيده تذلل لهما وقال تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما

باب عقوق الوالدين أو أحدهما وإن علا ولوم مع وجود أقرب منه

قال الله تعالى: واعبدوا الله يعني وحدوه وأطيعوه وعبادة الله عبارة عن كل فعل يأتي به العبد لمجرد الله تعالى ويدخل فيه جميع أعمال القلوب وأعمال الجوارح ولا تشركوا به شيئا يعني وأخلصوا له في العبادة ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شركا لأن من عبد مع الله غيره أو أراد بفعله غير الله فقد أشرك به ولا يكون مخلصا،

وروى الشيخان عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمار يقال له عفير أو اسمه عفير فقال: يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت: الله ورسوله أعلم قال: خان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال: لا تبشروهم فيكموا قوله هل تدري حق الله على عباده معناه ما يستحقه بما أوجبه وجعله مستحقا عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وقوله وما حق العباد على الله إنما قال حقهم على سبيل المقابلة لخطيهم لأنهم يستحقون عليه شيئا ويجوز أن يكون من قول الرجل لصاحبه: حقك علي وأجب أي ما أكد قياسي به وقوله أفلا أبشر الناس إنما قال لا تبشروهم فيكموا لأنه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك أصلح لهم وأحرى أن لا يتكلموا على هذه البشارة ويتركوا الفعل الذي ترفع لهم به الدرجات في الجنة.

وأحسنوا وبالوالدين إحسانا وإنما قرن بر الوالدين بعبادته وتوحيده لتأكيد حقها على الولد قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد سبحانه وتعالى البر بهما مع اللطف ولين الجانب فلا يغلظ الوالد لهما في الجواب عند سؤال لهما ولا يحد النظر عليهما ولا يرفع صوته عليهما بل يكون بين يديهما مثل العبد بين يدي سيده تذلل لهما وتواضعا لهما وقال تعالى: وقضى ربك أي أمر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه وأوجب ربك وقيل معناه الحكم والحزم وقيل ووصى ربك وحكي عن الضحاك أنه قرأها ووصى ربك لا تعبدوا إلا إياه فيخرج عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لأن العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن له الأنعام والافضال على عباده ولا منعم إلا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين إحسانا أي أمر بالوالدين إحسانا أي برا بهما وعظما عليهما وإحسانا إليهما إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما معناه انهما يبلغان إلى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أول العمر

وأعلم أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الجنة كلف الإنسان في حق الوالدين خمسة أشياء الأول قوله تعالى: فلا تقل لهما أف وهي كلمة تصجر وكرامية وقيل أن أصل هذه الكلمة أنه إذا سخط عليك تراب أو مادي ونفخت فيه ترابه تقول: أف ثم انهم توسعوا بذكر هذه الكلمة إلى كل منكره يصل إليهم. والثاني في قوله تعالى: ولا تنهرهما أي تزجرهما عما يتعاطيان به لا يسجيك يقال نهزه وأشهره بمعنى فإن قلت المنع من التأنيب أبلغ من المنع من الانهيار فما وجه الجمع قلت: المراد من قوله ولا تقل لهما أف المنع من اظهار الضجر بالليل والكثير والمراد من قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما.

قال ابن حجر : أمر الله تعالى في هذه الآية بالاحسان الى الوالدين والشفقة والعطف والتودد وايتار رضاها ونهي أن يقال لها أف انه هو كناية عن الايذاء بأي نوع كان حتى بأقل أنواعه ومن ثم ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال : علم الله شيئا أدنى من أف للنهي عنه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة ولتعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار ثم أمر بأن يقال لها القول الكريم أي اللين اللطيف المشتغل على العطف والاستمالة وموافقة مرادها ومطلوبها مما أمكن سيما عند الكبر فإني الكبر يصير كمال الطفل وأرذل لما يغلب عليه من الخرف وفساد التصور غيرى القبيح حسنا والحسن قبيحا فاذا طلبت رعايته وغاية التلطف به في هذه الحالة وأن يتقرب اليه بما يناسب عقله إلى أن يرضى فني غير هذه الحالة أولى ثم أمر الله تعالى القول الكريم بأن يخفف لها جناح الذل من القول بأن لا يكلمها إلا مع الاستكامة والذل والخضوع وإظهار ذلك لها واحتمال ما يصدر منها ويربها أنه في غاية التقصير في حقها وبرها وأنه من أجل ذلك دليل حقير ولا يزال على نحو ذلك إلى أن يتلج خاطرها ويرد قلبها عليه بالرضا والدعاء ومن ثم طلب منه بعد ذلك أن يدعو لها لأن ما سبق يقتضي دعاءها له كما تقرر فليكافئها أن فرضت مساواة والافتتان ما بين المرتبين وكف توهم المساواة وقد كانا يحملان اذاك وكلك وعظيم المشقة في تربيتك وغاية الاحسان اليك راجين حياتك مؤملين سعادتك وأنت ان حملت شيئا من اذاها رجوت موتها وسنت من مصاحبتهما ولكون الأم أحمل لذلك وأصهر عليه مع ان عناءها أكثر وشفقتها أعظم بما قاسته من حمل وطلق ولادة ورضاع وسهر ليل وتلطخ بالقذر والتجسس وتجنب للنظافة والترفه خص رسول الله صلى الله عليه وسلم على برها ثلاث مرات وعلى بر الأب مرة واحدة كما في الحديث الصحيح ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أنتك ، قال : ثم من ؟ قال : أبوك ثم الأقرب فالأقرب وقد رأى ابن عمر رضي الله عنهما رجلا يطوف بالكعبة حاملا أمه على رقبته فقال : يا ابن عمر أتري اني جزيتها ؟ قال : لا ، ولا بطلقة واحدة ولكم أحسن والله يشبك على القليل كثيرا . وجاء رجل الى أبي الدرداء فقال : يا أبا الدرداء ان لي امرأة وان أمي تأمرني بطلاقها فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الولادة أو وسط أبواب الجنة فان شئت فاصنع ذلك الباب أو احفظه .

﴿وقال﴾ تعالى ﴿أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير﴾ لما جعل الله بفضل الوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموحّد والموسى في الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال: أشكر لي ولوالديك ثم فوّق إلى المصير يعنى أن نعمتهما مختصة بالدين. ونعمتى عليك في الدنيا

فانظر وفقني الله وإياك كيف قرن شكرهما بشكره * قال ابن عباس ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا يقبل الله منها واحدة بغير قرنتها إحداهما قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه الثانية قوله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فمن صلى ولم يترك لم يقبل منه الثالثة قوله تعالى أن اشكركم لي ولوالديك فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه ولذا قال صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين وصح أن رجلا جاء يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد فقال أحى والدك قال نعم قال ففيها فجاهد فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد * وأخرج أحمد والبخاري عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس *

والآخرة وقيل لما أمر بشكره وشكر الوالدين قال: الجزاء على وقت المصير إلى: قال سفيان بن عيينة: في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أذكار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين

﴿فانظر وفقني الله وإياك كيف قرن شكرهما بشكره﴾ قال ابن عباس ﴿رضى الله عنهما﴾ ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا يقبل الله منها واحدة بغير قرنتها إحداهما قوله تعالى: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه. الثانية: قوله تعالى: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فمن صلى ولم يترك لم يقبل منه. الثالثة: قوله تعالى: أن اشكركم لي ولوالديك فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه ولذا ﴿أي لأجل تلك المقارنة المذكورة﴾ قال ﴿رسول الله﴾ صلى الله عليه وسلم: رضا الله في رضا الوالدين ﴿أي الأصلين وان عليا﴾ وسخط الله في سخط الوالدين ﴿أي غضبهما الذي لا يخالف الشرع رواه الطبراني عن ابن عمر ويلفظ: رضا الرب في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما ورواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر والبخاري عن عمر بن الخطاب: رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد قال العزري: هذا وعيد شديد يفيد أن العقوق كبيرة.

﴿وصح أن رجلا جاء يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد فقال: أحى والدك؟ قال: نعم، قال﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿ففيها﴾ أي اذهبا ﴿فجاهدا﴾ رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو ورواه أيضا الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر.

﴿فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد﴾ وسيأتي في حديث الصحيحين: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين فانظر كيف قرن للإساءة إليهما وعدم البر والاحسان إليهما بالإشراف بالله تعالى وأكد ذلك بأمره بمصاحبتهما بالمعروف وإن كانا يجاهدان الولد على أن يشرك بالله تعالى قال تعالى: وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى. فإذا أمر الله تعالى بمصاحبة هذين بالمعروف مع هذا التبع العظيم الذي يأمران ولدهما به وهو الإشراف بالله في الظن بالوالدين المسلمين سيما إن كانا أصالحين بالله أن جهما لمن أشد الحق وأكدهما وإن القيام به على وجهه أصعب الأمور وأعظمها فالمرق من هدى إليها والمحروم كل المحروم من صرف عنها.

وقد جاء في السنة من التأكيد في ذلك بلا تحصى كثره ولا تحصى غايته فمن ذلك أنخرج الشيخان وغيرهما عن أبي بكر عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا قلنا: بلى يا رسول الله قال: الإشراف بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فقالوا لا بذكر ما نحن قلنا له سكت ﴿وأخرج أحمد والبخاري عن ابن عمر﴾ رضي الله عنهما ﴿قال قال رسول الله ﷺ: الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس﴾ بغير حق ﴿واليمين الغموس﴾ أي الفاجرة لأنها تنمى صاحبها في النار

والطبراني عن ثوبان ثلاثة لا ينفع معهن عمل الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف * وأحمد والنسائي والحاكم عن ابن عمر ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة مد من الخمر والعاق لوالديه والديوث الذي يفر في أهله الخبث أي الزنا فيهم مع علمه به وقيل هو الذي لا يمنع الناس عن الدخول على زوجته وقيل هو الذي يشتري جارية تغني للناس *

وأخرج الشيخان عن أنس قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكباثر فقال : الشرك بالله وعقوق الوالدين . وأخرج ابن حبان في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم ذكر في كتابه الذي كتبه إلى أهل اليمن وبغت عمرو بن حزم : أن أكبر الكباثر عند الله يوم القيامة الأشراك بالله وقتل النفس المؤمنة لغير حق والفرار في سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين ورمى المحصنة وتعلم السحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم الحديث . وأخرج الشيخان : أن من أكبر الكباثر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب أبا الرجل فيسب الرجل أباه وفي رواية لهذا : من الكباثر شتم الرجل والديه قال : يا رسول الله وهل شتم الرجل والديه ؟ قال : نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه .

وأخرج البخاري وغيره : أن الله حرم عليكم عقوق الأمهات وأواد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال . وأخرج النسائي والبراز واللفظ له بإسنادين جيدين والحاكم وصححه : ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه ومد من الخمر والمثلن عطاءه ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه والديوث والرجلة من النساء والرجلة بفتح فكسر المترجلة أي المشبهة بالرجال ﴿١﴾ وأخرج الطبراني عن ثوبان ﴿٢﴾ مولى المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴿٣﴾ ثلاثة لا ينفع معهن عمل الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف ﴿٤﴾ أي الحرب من القتال عند التقاء الصفوف بلا عذر قال الحنفى : قوله لا ينفع هذا ظاهر بالنسبة للأول أما غيره فالمراد النفع الكامل ﴿٥﴾ أخرج أحمد ﴿٦﴾ واللفظ له والنسائي ﴿٧﴾ والبراز والحاكم ﴿٨﴾ وصححه عن ابن عمر ﴿٩﴾ بن الخطاب ﴿١٠﴾ ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة ﴿١١﴾ أى دخولها مطلق أن استحلوا أو لا فالمراد مع السابقين ﴿١٢﴾ مد من الخمر ﴿١٣﴾ أى ملازم لشربها ﴿١٤﴾ والعاق لوالديه ﴿١٥﴾ أو أحدهما ﴿١٦﴾ والديوث ﴿١٧﴾ المثلثة فسر في الحديث بأنه ﴿١٨﴾ الذي يفر في أهله ﴿١٩﴾ من زوجته أو أمه ﴿٢٠﴾ الخبث أى الزنا فيهم مع علمه به وقيل هو الذي لا يمنع الناس عن الدخول على زوجته والحق بعضهم بها الحارم قال الحنفى ولا مانع من كون التفسيرين كل منهما قد ورد ﴿٢١﴾ وقيل هو الذي يشتري جارية تغني للناس ﴿٢٢﴾ وأخرج الطبراني في الصغير يراح ربح الجنة من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريح منان بعلمه ولا عاق ولا مد من خمر . وأخرج ابن أبي عاصم بإسناد حسن : ثلاثة لا يقبل الله عز وجل منهم صرفا ولا عدلا عاق ومنان ومكذب بقدر وأخرج الحاكم وصححه : أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مد من الخمر وأكل الربا وأكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه .

وأخرج أحمد والطبراني بإسنادين أحدهما صحيح وإبنا حزيمة وحبان في صحيحهما باختصار : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أشهدت أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وصليت الحسن وأديت زكاة مالى وصمت رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات على هذا كان مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين يوم القيامة . هكذا ونصب أصبعيه مالم يمض والديه . وأخرج أحمد وغيره عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات قال : لا تشرك بالله شيئا وإن قلت وحرقت ولا تعق والدك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك الحديث . وأخرج الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون فقال : يا معشر المسلمين اتقوا الله

والحاكم والأصهباني كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يسجله لصاحبه في الحياة قبل المعات *

وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم وإياك والبغى فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغى وإياكم وعقوق الوالدين فإن ربح الجنة يوجد من سيرة ألف عام وأنه لا يجد ربحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جازازار خيلاء إنما الكبرياء لله رب العالمين والكذب كله أثم إلا ما نفع به مؤمنا ودفع به عن دين وإن في الجنة لسوقا ما يباع فيها ولا يشتري ليس فيها إلا النصور فمن أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها . وأخرج أحمد : لا يلبح حظيرة القدس مد من الخمر ولا العاق ولا المنان عطاء ورواه البزار إلا أنه قال : لا يلبح جنان الفردوس . وأخرج الطبراني بسند رواه ثقات : لا يدخل الجنة مد من خمر ولا عاق ولا منان .

قال ابن عباس : فشق ذلك على لأن المؤمنين يصيرون ذنوبا حتى وجدت ذلك في كتاب الله عز وجل في العاق : فهل عسيتم أن تولم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم الآية وفي المنان : لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والآذي الآية وفي الخمر : إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان الآية .

وأخرج الطبراني والحاكم وصححه : لعن الله سبعة من فوق سبع سمواته وزدد اللعنة على واحد منهم ثلاثا ولعن كل واحد منهم لعنة تكفيه قال ملعون من عمل قوم لوط ملعون من ذبح لغير الله ملعون من عوق والديه . وأخرج ابن حبان في صحيحه : لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من غير نجس الأرض ولعن الله من سب والديه الحديث .

﴿و﴾ أخرج ﴿الحاكم﴾ وصححه ﴿والأصهباني﴾ : كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يسجله لصاحبه في الحياة قبل المعات ﴿و﴾ وأخرج البيهقي في الدلائل والطبراني في الأوسط والصغير بسند فيه من لا يعرف عن جابر : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إن أبي أخذ مالي فقال ﷺ : اذهب فأتني بأبيك فنزل جبريل على النبي ﷺ فقال : إن الله عز وجل يتركك السلام ويقول لك : إذا جاءك الشيخ فسله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته إذا جاء فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ ما زال ابنك يشكوك أنك تأخذ ماله قال سله يا رسول الله هل أفقته الأعلى إحدى عماته وخالاته أو على نفسي فقال النبي ﷺ إيه دعنا من هذا أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته إذا قال الشيخ والله يا رسول الله ما يزال الله يزيد نأبك يقينا لقد قلت في نفسي شيئا ما سمعته إذا نأى

فقال قل وأنا اسمع فقال قلت : غذوتك مولودا ومنك يا فاعا ﴿﴾ تعل بما اجننى عليك وتمهل

إذا ليلة ضاقتك بالسقم لم أبت ﴿﴾ لسقمك إلا ساهر اتمهل

كأنى أنا المطروق دونك بالذي ﴿﴾ طرقت به دوني فعيناي تمهل

تخاف الردى نفسي عليك وإنها ﴿﴾ تعلم أن الموت وقت مؤجل

فلما بلغت السن والعاية التي ﴿﴾ اليها مدى ما فيك كت أؤمل

جعلت جزائي غلظة وفظاظة ﴿﴾ كأنك أنت المنعم المتفضل

فليكن أذ لم ترع حق أبوتي ﴿﴾ كما يفعل الجار الجاور تفعل

قال فحينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلايب ابنه وقال : أنت ومالك لأبيك .

وهو في سورة الاسراء من الكشاف بلفظ : شكوا رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم أباه وأنه يأخذ ماله قد عابه فإذا هو شيخ بركا على عصا فقال : إنه كان ضعيفا وأنا أقوى وقبر

والخطيب عن علي رضي الله عنه من أحزن والديه فقد عظمها * وعن وهب بن منبه قال أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى وقر والدك فان من قر والديه مددت له في عمره ووهبت له ولدا يره ومن قر والديه قصرت له عمره ووهبت له ولدا يعقه وقال أبو بكر بن مريم قرأت في التوراة أن من يضرب أباه يقتل * وقال وهب في التوراة على من صك والديه الرحيم ﴿وروي﴾ أن علقمة كان كثير الاجتهاد في الطاعة من الصلاة والصوم والصدقة فمرض واشتد مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ إن زوجي علقمة في التوراة فأردت أن أعلمك يا رسول الله ﷺ عمارا وبلاا وصهبا وقال

وأنا غني فكنت لأنفعه شيئا من مالي اليوم وأنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني وهو يخل على ماله فبكي عليه الصلاة والسلام وقال : ما من حجر ولا مدريس منع هذا الأبكي ثم قال الولد : أنت ومالك لأبيك قال فخرج أحاديثه : لم أجده ، وأخرج أبو يعلى عن ابن عمر قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستعدي على والده فقال : انه أخذ مني مالي فقال له رسول الله : أما علمت أنك ومالك من كسب أبيك . وأخرج ابن ماجه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ان أبي يحتاج مالي قال : أنت ومالك لأبيك ان أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من أموالكم .

﴿و﴾ أخرج ﴿الخطيب﴾ في كتاب الجامع ﴿عن﴾ أمير المؤمنين ﴿علي﴾ بن أبي طالب ﴿رضي الله عنه﴾ : من أحزن والديه ﴿أي﴾ أدخل عليهما أو فعل بهما ما يحزنهما ﴿فقد عظمها﴾ وعقوبتها كثيرة ﴿وعن وهب بن منبه﴾ رحمه الله تعالى ﴿قال﴾ : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى وقر ﴿أي﴾ عظم ﴿والدك﴾ فان من قر والديه مددت له في عمره ووهبت له ولدا يره ومن قر والديه قصرت له عمره ووهبت له ولدا يعقه وقال أبو بكر بن مريم قرأت في التوراة أن من يضرب أباه يقتل . وقال وهب ﴿عن﴾ منبه رحمه الله تعالى ﴿في التوراة﴾ على من صك ﴿أي﴾ ضرب ﴿والديه الرحيم﴾ وقال بشر أبا رجل يقرب من أمه بحيث يسمع كلامها أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله والنظر إليها أفضل من كل شيء . وجاء رجل وامرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يختصمان في صبي لهما فقال الرجل : ولدي خرج من صلبى وقالت امرأة : يا رسول الله حملته خفاء ووضعته شهرة وحملته كرها ووضعته كرها وأرضعته حولين فقضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم للأم .

وأخرج الطبراني واللفظ له وأحمد مختصرا عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال : كما عند النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه آت فقال شاب يجود بنفسه قيل له : قل لا اله الا الله فلم يستطع فقال : أكان يصلى ؟ فقال : نعم فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهضا معه فدخل على الشاب فقال له : قل لا اله الا الله فقال : لا أستطيع قال : لم قيل كان يعق والديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أحية والدته ؟ قالوا : نعم قال : ادعوها فدعوها فجاءت فقال هذا ابنك فقالت : نعم فقال لها : أرايت لو أجبجت نارا ضحية فقيل لك ان شفعت له خلتنا عنه والا أحرقتاه بهذه النار أكنت تشفعين له قالت : يا رسول الله أنا أشفع قال : فاشهدي الله فاشهدي أنك قد رضيت عنه قالت : اللهم اني أشهدك وأشهد رسولاك اني قد رضيت عن ابني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا غلام قل لا اله الا الله وحده لا شريك له وشهد أن محمدا عبده ورسوله فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذي أبقاه من النار ﴿وروي﴾ هذا المذكور من القصة بأبسط من هذا وهو ﴿أن﴾ ذلك الشاب اسمه ﴿علقمة﴾ وانه ﴿كان كثير الاجتهاد في الطاعة من الصلاة والصوم والصدقة فمرض واشتد مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوجي علقمة في التوراة﴾ أي نزع روحه ﴿فأردت أن أعلمك يا رسول الله بجلاله فأرسل﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم عمارا وبلاا وصهبا وقال ﴿لهؤلاء

امضوا إليه فلقنوه الشهادة فجاءوا إليه فوجدوه في النزع فجعلوا يلقنونه لا إله إلا الله ولسانه لا ينطق بها فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ بذلك فقال هل من أبويه أحد حي قيل يا رسول الله أم كبيرة السن فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فكري في المنزل حتى يأتيك فجاء إليها الرسول وأخبرها بذلك فقالت نفسي لنفسه القداء أنا أحيى بإتيانه فتوكت على عصا وأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلمت فرد عليها السلام وقال لها يا أم علقمة أصدقيني وإن كذبتني جاء الوحي من الله تعالى كيف حال ولدك علقمة قالت يا رسول الله كثيرة الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة قال رسول الله ﷺ فما حالك معه قالت يا رسول الله أنا عليه ساخطة قال ولم قالت يا رسول الله كان يؤثر زوجته ويعصيني قال ﷺ إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة ثم قال ﷺ يا بلال اطلق واجمع لي خطبا كثيرا قالت وما تصنع به يا رسول الله قال أحرقه بالنار قالت يا رسول الله هو ولدي لا يحمل قلبي أن تحرقه النار بين يدي قال يا أم علقمة فعذاب الله أشد وأبقى فان سرك أن يغفر الله له فارضى عنه فوالذي نفسي بيده فلا ينتفع بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقه ما دمت عليه ساخطة فقالت يا رسول الله فإني أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين أنني قد رضيت على ولدي علقمة فقال رسول الله ﷺ اطلق إليه يا بلال فانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله أم لا ففعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء مني فانطلق بلال فدخل الدار لا إله إلا الله فدخل بلال فقال يا هؤلاء امضوا إليه فلقنوه الشهادة فجاءوا إليه فوجدوه في حال النزع فجعلوا يلقنونه لا إله إلا الله ولسانه لا ينطق بها فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أي بأن لسانه لا ينطق تلك الكلمة فقال ﷺ عليه الصلاة والسلام هل من أبويه أحد حي ؟ قيل يا رسول الله له أم كبيرة السن فأرسل إليها أي إلى أمه ﷺ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها إن قدرت على المسير أي السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسيرى إليه ﷺ والا أي وإن لم يقدّر على ذلك ففكري أي اثبتى وانتظريه ﷺ في المنزل حتى يأتيك ﷺ رسول الله صلى الله عليه وسلم ففجاء إليها الرسول أي رسول النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرها بذلك أي بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم فقالت نفسي لنفسه القداء أنا أحيى بإتيانه فتوكت على عصا وأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلمت فرد عليها السلام وقال لها : يا أم علقمة أصدقيني وإن كذبتني جاء الوحي من الله تعالى يخبرني بما قلت كذا ﷺ كيف حال ولدك علقمة ؟ قالت : يا رسول الله كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما حالك معه ؟ قالت يا رسول الله أنا عليه ساخطة قال : ولم أي ولأني شيء ﷺ قالت : يا رسول الله كان يؤثر ﷺ أي يختار ﷺ زوجته ويعصيني ﷺ ويخالف أميري ﷺ قال صلى الله عليه وسلم إن سخط أم علقمة حجب ﷺ لسان علقمة عن الشهادة أي من التعلق بها ثم قال صلى الله عليه وسلم : يا بلال اطلق واجمع لي خطبا كثيرا قالت : أم علقمة ﷺ وما تصنع به أي بالحط الكثير ﷺ يا رسول الله قال ﷺ عليه الصلاة والسلام ﷺ أحرقه أي علقمة ﷺ بالنار قالت يا رسول الله هو ولدي لا يحمل قلبي أن تحرقه النار بين يدي قال : يا أم علقمة فعذاب الله أشد وأبقى فان سرك أن يغفر الله له فافرحك ﷺ أي افرحك ﷺ أن يغفر الله له فارضى عنه فوالذي نفسي بيده فلا ينتفع بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقه ما دمت ﷺ أي مدة درامك ﷺ عليه ساخطة فقالت : يا رسول الله فإني أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين أنني قد رضيت على ولدي علقمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلق إليه يا بلال فانظر هل يستطيع ﷺ علقمة ﷺ أن يقول لا إله إلا الله أم لا ﷺ يستطيع ذلك ﷺ ففعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها من الرضا وعدم السخط على ولدها ﷺ حياء مني فانطلق بلال فسمع علقمة يقول من داخل الدار لا إله إلا الله فدخل بلال فقال يا هؤلاء أي الذي حضروا عنده

إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وإن رضاها أطلق لسانه ثم مات علقمة في يومه فحضره النبي ﷺ فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه ثم قام على شفير قبره فقال ياعشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا إلا أن يتوب إلى الله ﷻ ويحسن إليها ويطلب رضاها فرضا الله في رضاها وسخطها ﷻ أن العوام بن حوشب قال نزلت مرة حيا وإلى جانب ذلك الحى مقبرة فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج رجل رأسه رأس حمار وجسده جسد إنسان فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر فإذا عجوز تغزل شعرا أو صوفا فقالت لي امرأة أخرى ترى تلك العجوز قلت ما لها قالت تلك أم هذا قلت وما كان قصته قالت كان يشرب الخمر فإذا راح تقول له أمه يا بني اتق الله إلى متى تشرب الخمر فيقول لها إنما أنت تهقين كما ينهق الحمار قالت فمات بعد العصر قالت فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم فينهق ثلاث نهقات ثم ينطبق عليه القبر والعباد بالله من العقوق * إن عقوق الوالدين أو أحدهما وإن علا ولو مع وجود أقرب منه من الكبائر المهلكة اتفاقا

إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وإن رضاها أطلق لسانه ثم مات علقمة في يومه فحضره النبي صلى الله عليه وسلم فأمره بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه ثم قام ﷻ صلى الله عليه وسلم ﷻ على شفير قبره فقال : يا معشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ﷻ أي فرضا ﷻ ولا عدلا ﷻ أي نافلة ﷻ إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليها ﷻ أي إلى أمه ﷻ ويطلب رضاها فرضا الله في رضاها وسخطها الله في سخطها . ﷻ ﷻ ﷻ بالبناء للمفعول أي روى الأصبهاني وغيره وقد حدث به أبو العباس الأصم بمشهد من الخطاط فلم ينكره ﷻ أن العوام بن حوشب قال : نزلت مرة حيا ﷻ أي قبلية ﷻ وإلى جانب ذلك الحى مقبرة فلما كان بعد العصر انشق منها ﷻ أي من تلك المقبرة ﷻ فخرج رجل رأسه رأس حمار وجسده جسد إنسان فنهق ﷻ في المختار نهاق الحمار صوته وقد نهق ينهق بالكسر نهيقا وينهق بالضم نهاقا بضم النون ﷻ ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر فإذا عجوز تغزل شعرا أو صوفا فقالت لي امرأة أخرى ترى تلك العجوز ﷻ التي تغزل ذلك ﷻ قلت : ما لها قالت ﷻ المرأة ﷻ تلك ﷻ العجوز ﷻ أم هذا ﷻ الرجل الذي ينهق ﷻ قلت : وما كان قصته ﷻ وفي رواية وما كانت قصته ﷻ قالت : كان ﷻ هذا الرجل ﷻ يشرب الخمر فإذا راح ﷻ يعني ذهب سكره ﷻ تقول له أمه : يا بني اتق الله إلى متى تشرب الخمر فيقول لها : إنما أنت تهقين كما ينهق الحمار قالت ﷻ أي تلك المرأة ﷻ فمات بعد العصر قالت : وهو ينشق عند القبر بعد العصر كل يوم فينهق ثلاث نهقات ثم ينطبق عليه القبر ﷻ هكذا ذكره السيوطي في شرح الصدور ﷻ والعباد بالله من العقوق ﷻ للوالدين أو أحدهما .

وقال صلى الله عليه وسلم : ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليلة أسرى بي رأيت أقواما في النار مغلقين في جذوع من نار فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : الذين يشتمون آباهم وأمهاتهم في الدنيا . وروى أنه من شتم والديه ينزل عليه في قبره جمر من النار بعدد كل قطرتين ينزل من السماء إلى الأرض . وروى أنه إذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف أضلاعه . وقال كعب الأخبار ليجعل هلاك العبد إذا كان عاقا لوالديه ليُعجل له العذاب وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان بارا بوالديه ليزيده برا وخيرا . وسئل عن عقوق الوالدين ما هو قال : إذا أقسم عليه أبوه وأمه لم يبرق سمه وإذا أمره بأمر لم يطعه وإذا أتمته خانته .

ﷻ * تنبيه * ﷻ أن عقوق الوالدين أو أحدهما وإن علا ولو مع وجود أقرب منه من الكبائر المهلكة اتفاقا ﷻ قال ابن حجر : وظاهر

كلام أئمتنا بل صريحه أنه لا فرق بين الكافرين والمسلمين يقال يشكل عليه الحديث الحسن سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكبائر فقال: تسع أعظمهن الإشرار بالله وقتل المؤمن بغير حق والفرار من الإحلف وقذف المحصنة والسحر وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين المسلمين الحديث . لانا نقول: التقييد بالمسلمين اما لأن عقوبتها اتيح والكلام هنا في ذكر الأعظم على أحد التقديرين في عطف وقتل المؤمن وما بعده واما لأنها ذكرها للغالب كما في نظائر آخر .

واللحليم هنا تفصيل مبنى على رأى له ضعيف وهو أن العقوق كثيرة فان كان معه نحو سب ففاحشة وان كان عقوقه هو استقاله لأمرهما ونهيهما والغبوس في وجوههما والتبرم بهما مع بذل الطاعة ولزوم الصمت فصغيرة .

وفيه نظر والوجه الذي دل عليه كلامهم أن ذلك كبيرة كما يعلم من ضابط العقوق الذي هو كبيرة وهو أن يحصل منه لهما أو لأحد منهما إيذاء ليس بالهين أى عرفا ويحمل أن العبرة بالمأذى لكن لو كان في غاية الحق أو سفاهة العقل بأمر أو نهى ولده بما لا يند مخالفته فيه في العرف عقوقا لا يفسق ولده بمخالفته حيثئذ لعدره وعليه فلو كان متزوجا بمن يحبها فأمره بطلاقها ولو لعدم عفتها فلم يمتثل أمره لا اثم عليه وكذا سائر أوامره التي لا حامل عليها الا ضعف عقله وسفاهة رأيه ولو عرضت على أرباب العقول لعدوها أمورا متساهلا فيها ولرأوا أنه لا إيذاء لمخالفتها هذا هو الذي يتجه في تقرير ذلك الحد .

ثم رأيت شيخ الاسلام السراج البلقيني أطال في هذا المخل من فتاويه بما قد يخالف بعضه ما ذكرته وعبارته مسألة قد ابتلى الناس بها واحتج الى بسط الكلام عليها والى تاريعها ليحصل المقصود في ضمن ذلك وهى السؤال عن ضابط الحد الذي يعرف به عقوق الوالدين اذا لا حالة على العرف من غير مثال لا يحصل به المقصود اذ الناس اغراضهم تحملهم على أن يجعلوا ما ليس بعرف عرفا ان كان قصدهم تنقيص شخص أو أذاه فلا بد من مثال ينسج على منواله وهوانه مثلا لو كان له على أبيه حق شرعى فاختار أن يرفعه الى الحاكم ليأخذ حقه منه فلو حبسه فهل يكون ذلك عقوقا أم لا ؟

أجاب هذا الموضع قال فيه بعض العلماء الأكابر: انه يعسر ضبطه وقد فتح الله سبحانه وتعالى بضابط ارجو من فضل الفتح العظيم ان يكون حسنا فاقول: العقوق لأحد الوالدين هو أن يؤذى الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرما من جملة الصغار فيقتل بالنسبة الى أحد الوالدين الى الكبائر ان يخالف أمره أو نهيه فيما يدخل فيه الخوف على الولد من فوات نفسه أو عضو من أعضائه ما لم يهتم الوالدين ذلك أو أن يخالفه في سفر يشق على الولد وليس يفرض على الوالد أو في غيبة طويلة فيما ليس يعلم نافع ولا كسب أو فيه وقعة في عرض لما وقع .

وبان هذا الضابط ان قولنا ان يؤذى الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرما مثاله لو شتم غير والديه أو صر به بحيث لا ينهى الشتم أو الضرب الى الكبير فانه يكون المحرم المذكور اذا فعله الولد مع أحد والديه كبيرة وخرج بقولنا ان يؤذى ما لو أخذ فلان أو شيئا يسيرا من مال والديه انه لا يكون كبيرة وان كان لو أخذه من مال غير والديه بغير طريق معتبر كان حراما لأن أحد الوالدين لا يتأذى بمثل ذلك لما عنده من الشفقة والحنون فان أخذ ما لا كبيرا بحيث يتأذى المأخوذ منه من غير والدين بذلك فانه يكون كبيرة في حق الأجنبي فكذلك يكون كبيرة هنا والمضابط فيما يكون حراما صغيرة بالنسبة الى غير الوالدين .

وخرج بقولنا ما لو فعله مع غير والديه كان محرما ما اذا طالب الوالد بدين عليه فاذا طالبه به أو رفعه الى الحاكم ليأخذ حقه منه فانه لا يكون من العقوق فانه ليس بمحرم في حق الأجنبي وإنما يكون العقوق بما يؤذي أحد الوالدين بما لو فعله مع غير والديه كان محرما وهذا ليس بموجود هنا فانهم ذلك فانه من التفاسير .

وأما الحبس فان فرعنا على جواز حبس الوالد بدين الولد كما صححه جماعة فقد طلب ما هو جائز فلا عقوق وان فرعنا على منع حبسه كما هو المصحيح عند آخرين فان الحاكم اذا كان معتقده ذلك لا يجيبه اليه ولا يكون الولد الذي يطلب ذلك عاقا اذا كان معتقده للوجه الأول فان اعتقد المنع وأقدم عليه كان كما لو طلب حبس من لا يجوز حبسه من الأجانب لا عسار ونحوه فاذا حبسه الولد واعتقده المنع كان عاقا لأنه لو فعله مع غير والديه حيث لا يجوز كان حراما وأما مجردا الشكوى الجائزة فليس من العقوق في شيء وقد جاء ولد بعض الصحابة الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكون والده في احتياجه ماله وخضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من ذلك عقوقا ولا عتف الولد بسبب الشكوى المذكورة وأما اذا نهر الولد أحد والديه فانه اذا فعل ذلك مع غير والديه كان محرما كان في حق أحد الوالدين كثيرة وان لم يكن محرما وكذا أف فان ذلك يكون صغيرة في حق أحد الوالدين ولا يلزم من النهي عنهما والحال ما ذكر ان يكونا من الكبار وقولنا ان يخالف أمره أو نهيه فيما يدخل فيه الخوف على الوالد الخ أردنا به السفر للجهاد ونحوه من فوات نفس الولد أو عضو من أعضائه لشدة فتجع الوالدين على ذلك أو أحد الوالدين وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن عمر في الرجل الذي جاء يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : أحى والدك ؟ قال : نعم ، قال : فقيهما فجاهد وفي رواية لمسلم أقبل الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أباعك على الهجرة والجهاد ابتغى الأجر من الله قال : فهل من والدك أحد حي ؟ قال : نعم ، بل كلاهما حي قال : فتبغى الأجر من الله قال : نعم ، قال : فارجع الى والدك فأحسن صحبتها وفي رواية جئت أباعك على الهجرة وتركت أبوي يسيان فقال : ارجع اليهما فاضحكهما كما أبكيتهما وفي استناده عطاء ، بن السائب لكن من رواية سفيان عنه .

وروي أبو سعيد الخدري ان رجلا من اهل اليمن هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله قد هاجرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل لك أحد باليمن ؟ قال : أبوي قال : اذا لك قال : لا ، قال : فارجع اليهما فاستأذنها فان اذا لك فجاهد والا فبرهما وروره أبو داود وفي استناده دراج أبو السمح المصوري عبد الله بن سمعان ضعفه أبو حاتم وغيره ووثقه حي .

وقولنا ما لم يهتم الوالد في ذلك أجزأه ما لو كان الوالد كافرا فانه لا يحتاج الولد الى اذنه في الجهاد ونحوه وحيث اعتبرنا اذن الوالد فلا فرق بين أن يكون حرا أو عبدا وقولنا أو أن يخالفه في سفر الخ أردنا به السفر لحج التطوع حيث كان فيه مشقة وأخرجنا بذلك الحج الفرض واذا كان فيه ركوب بحر بحيث يجب ركوبه عند غلبة السلامة فظاهر الفقه يقتضي انه لا يجب الاستئذان ولو قيل بوجوبه لما عند الولد من الخوف في ركوب ولده البحر وان غلبت السلامة لم يكن بعيدا .

وأما سفره للعلم المتعين أو لفرض الكفاية فلا منع منه وان كان يمكنه التعلم في بلده خلافا لمن اشترط ذلك لأنه قد يتوقع في السفر فراغ القلب أو ارشاد أستاذ ونحوه ذلك فان لم يتوقع شيئا من ذلك احتاج الى الاستئذان وحيث وجبت النفقة للوالد على الولد وكان في سفره تضييع للواجب فللوالد المنع كصاحب الدين الحال بالنسبة الى يوم السفر وبالنسبة الى غيره فيه تضييع ما تقوم به الكفاية ولا كذلك في الدين وأما اذا كان الولد بسفره يحصل وقعة في العرض لها وقع بأن يكون أمره ويخاف من سفره تهمة فانه يمنع من ذلك وذلك في الشيء أولى

﴿خاتمة في بر الوالدين﴾ أخرجه الشيخان عن ابن مسعود قال سألت رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله * وأبو يعلى والطبراني أتى رجل إلى رسول الله ﷺ وقال إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من والديك أحد قال أمي قال قاتل الله في برها فإذا فعلت فانت حاج ومعتبر ومجاهد * والرافعي عن ابن عباس ما من رجل ينظر إلى وجه والديه نظرة رحمة إلا كتب الله له بها حجة مقبولة مبرورة * وابن ماجه والنسائي والحاكم جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك فقال هل لك من أم قال نعم قال فالزمها فإن الجنة عند رجلها وفي رواية أنك والدان قلت نعم قال فالزمها فإن الجنة تحت أرجلها * والشيخان جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك *

واما مخالفة أمره ونهيه فيما لا يدخل على الوالد فيه ضرر بالكلية وإنما هو مجرد إرشاد الولد فإذا فعل ما يخالف ذلك لم يكن عقوقا وعدم مخالفة الولد أولى انتهت عبارة فتاوى البلقيني ،

وتخصيصه العقوق بفعله المحرم الصغيرة بالنسبة للغير فيه وقفة بل ينبغي أن المدار على ما قدمته من أنه لو فعل معه ما يتأذى به تأذنا ليس بالهين عرفا كان كبيرة وإن لم يكن محرما لو فعل مع الغير كان لقاء فيقطب في وجهه أو يقدم عليه قبي ملاء فلا يقوم له ولا يعبأ به ونحو ذلك مما يقضى أهل العقل وأهل العرف بأنه مؤذ تأذيا عظيما وقوله أو أن يخالف أمره أو نهيه الخ ظاهر لأنه صريح كلامهم .

﴿* خاتمة *﴾ في أحاديث أخرى فضل ﴿بر الوالدين﴾ وصلتهما وتأكد طاعتهما واجسان اليهما وبرأ صند قائمهما ﴿أخرج الشيخان عن ابن مسعود﴾ رضي الله عنه ﴿قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله ؟﴾ أي أكثر ثوابا ﴿قال : الصلاة على وقتها قلت : ثم أي ؟﴾ قال : بر الوالدين قلت ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ﴿أي لإعلاء دينه﴾ ﴿وأخرج أبو يعلى والطبراني﴾ بسند جيد ﴿أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه قال : هل بقي من والديك أحد ؟﴾ قال : أمي قال : قاتل الله في برها فإذا فعلت ﴿ذلك﴾ فانت حاج ومعتبر ومجاهد ﴿وأخرج مسلم وغيره : لا يحزى ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه﴾ ﴿وأخرج﴾ الرافعي ﴿في تاريخ قزوين﴾ عن ابن عباس ﴿رضي الله عنهما﴾ ما من رجل ينظر إلى وجه والديه ﴿أي أصليه المسلمين وإن عليا﴾ نظرة رحمة إلا كتب الله له بها حجة مقبولة مبرورة ﴿أي ثوابا مثل ثوابها﴾ قال الحنفى : فيه حث على بر الوالدين ولو بنظرة الشفقة والمحبة وأخرج الطبراني : يا رسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله قال : أمك حية قال : نعم قال صلى الله عليه وسلم ألزم أجلكم فشم الجنة . وأخرج ابن ماجه : يا رسول الله ما حق الوالدين على ولد هذا قال : هما خنك وبارك ﴿و﴾ أخرجه ابن ماجه والنسائي ﴿واللفظ له﴾ والحاكم وصححه ﴿جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك فقال : هل لك من أم قال : نعم قال فالزمها فإن الجنة عند رجلها وفي رواية﴾ صحيحة ﴿الك والدان ؟﴾ قلت نعم قال : فالزمها فإن الجنة تحت أرجلها . و﴿أخرج﴾ الشيخان جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك ، قال : الرجل ﴿ثم من ؟﴾ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أبوك .

وأخرج الترمذي وصححه عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلا أتاه فقال : إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فاصنع ذلك الباب أو احفظه . وقال الترمذي وربما

والترمذي وابن حبان والحاكم أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال إني أذنبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة فقال هل لك من أم فقال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها * والديلمى دعاء الوالد لولده كدعاء النبي لأمته * وأبو داود وابن ماجه عن مالك بن ربيعة السعدي قال بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من بر أبي شيء أبرهما به بعد موتهما فقال نعم الصلاة عليهما أي الدعاء والاستغفار لهما وإتخاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقيهما

قال سفيان ان أمي وربما قال : ان أبي . وأخرج ابن حبان في صحيحه : ان رجلا أتى أبا الدرداء فقال : ان أباي لم يزل بي حتى زوجني وأنه الآن يأمرني بطلاقها قال : ما أنا بالذي أمرك ان تعق والدك ولا بالذي أمرك أن تطلق زوجتك غير أنك ان شئت حدثتك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول : الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ على ذلك ان شئت أودع قال : وأجسب عطاء قال : فطلقها . وأخرج أصحاب السنن الأربعة وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كانت تحبني امرأة أحبها وكان عمر يكرها فقال : طلقها فأبى فأتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال : لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : طلقها .

وأخرج أحمد بسند صحيح : من سره أن يمده في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه . وأخرج أبو يعلى وغيره وصححه الحاكم : من بر والديه طوبى له زاد الله في عمره . وأخرج ابن ماجه وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وصححه : ان الرجل يحرم الرزق بالذنوب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر وفي رواية للترمذي وقال حسن غريب : لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر . وأخرج الحاكم وصححه عن نساء الناس تعف نسائكم وبروا آباءكم بترككم أبناءكم ومن أئاه أخوه متصلا فليقبل ذلك محقا كان أو مبطلا فان لم يفعل لم يرد على الحوض . وأخرج مسلم : رغم أمه ثم رغم أمه ثم رغم أمه أي لصق بالرغام وهو التراب من الذل قيل : من يبر رسول الله قال : من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة أو يدخله الجنة . وأخرج الشيخان عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه قالت : قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسيقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : قدمت على أمي وهي راغبة أي عن الاسلام أو فيما عندي أفصل أمي قال : نعم صلى أمك ،

﴿و﴾ أخرج ﴿الترمذي﴾ واللفظ له ﴿ابن حبان﴾ في صحيحه ﴿والحاكم﴾ وقال صحيح على شرط الشيخين ﴿أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال إني أذنبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة ؟ فقال : هل لك من أم ؟ فقال : لا قال : فهل لك من خالة ؟ قال : نعم قال : فبرها . و﴾ أخرج ﴿الديلمى﴾ عن أنس ﴿دعاء الوالد لولده﴾ أي الأصل لفرعه ﴿كدعاء النبي لأمته﴾ في كونه غير مردود وقال العزري : وهو حديث ضعيف بل ذكر الحفنى أنه موضوع . وأخرج ابن ماجه عن أم حكيم بنت وداع الخزاعية : دعاء الوالد لولده يفضى الى الحجاب أي يصعد ويصل الى حضرة القبول فلا يحول بينه وبين الاجابة حائل وهذا حديث صحيح كما قاله العزري . ﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود وابن ماجه عن مالك بن ربيعة السعدي قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال : يا رسول الله هل بقي من بر أبي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ فقال : نعم ، الصلاة ﴿أي الدعاء﴾ عليهما أي الدعاء والاستغفار لهما وإتخاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقيهما﴾ ورواه ابن حبان

﴿وحكى﴾ البغوي في معالمة أنه كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها إلى غيضة وقال اللهم استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن كان بارا بوالده وكان يقسم ليلة ثلاثة أثلث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فإذا أصبح انطلق فاحطب

في صحيحه بزيادة قال الرجل : ما أكره هذا يا رسول الله وأطيعه قال : فاعمل به . وأخرج مسلم : أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لقيه رجل من الأعراب بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه قال ابن دينار : فقلنا أصلحك الله أنهم الأعراب وهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر : إن أبا هذا كان ودودا لعمر بن الخطاب وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه . وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي بردة رضي الله عنه قال : قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال : أتدري لم أتيتك ؟ قلت : لا قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل اخوان أبيه بعده وأنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخوان وود فأحببت أن أصل ذلك .

وفي حديث الصحيحين وغيرهما المشهور بروايات متعددة : أن ثلاثة نفر ممن كان قبلنا خرجوا يتماشون فأخذهم المطر حتى أووا إلى غار في الجبل فانحدرت على فمه صخرة فسدت فقلوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا يصالح أعمالكم وفي رواية فقال بعضهم لبعض : أنظروا أعمالا علمتموها الله عز وجل صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال أحدهم : اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم فإذا رخت عليهم حلبت فبدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي وأنه نأى بي الشجر يوما فمأيت حتى أسيت فوجدتهما قد نأيا فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقتمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزال ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر فان كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم فرجة حتى يرونها منها السماء وذكر الآخر عقبه عن الزنا بابتنة عنه والآخر تنبيه لئلا أجيره فاتفرجت عنهم كلها وخرجوا يتماشون .

﴿وحكى﴾ الامام ﴿البغوي في معالمة أنه﴾ أي الحال والشأن ﴿كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابن طفل﴾ أي صغير قال بعضهم : ويبقى هذا الاسم للولد حتى يميز ثم لا يقال له بعد ذلك طفل بل صبي وحزور وبافع ومراهق وبالغ وفي التهذيب يقال له طفل إلى أن يحلم ﴿وله عجلة﴾ قال بعضهم : والعجل ولد البقرة مادام له شهر وبعده ينتقل عنه الاسم والأنثى عجلة والجمع عجول وعجلة مثل عتبة وبقرة معجل ذات عجل كما يقال امرأة مرضع ذات رضيع ﴿أتى﴾ الرجل ﴿بها﴾ أي بالعجلة ﴿إلى غيضة﴾ وهي مجتمع الشجرة وجمعه غياض مثل كلبة وكلاب ﴿وقال اللهم﴾ أي ﴿استودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ومات الرجل﴾ الصالح ﴿فصارت العجلة في الغيضة عوانا﴾ أي وسطا بين الصغر والكبر في المصباح والعنوان النصف من النساء والبهائم والجمع عون والأصل يضم الواو لكن أسكن تخفيفا وفيه أيضا وانصفت الرجل انصافا عاملة بالعدل والقسط والاسم النصفة بفتح ن لأنك أعطيت من الحق ما تستحقه لنفسك وتناصف القوم بعضهم بعضا وامرأة نصف بفتح ن أي كهلة ونساء انصاف ﴿وكانت﴾ تلك العجلة ﴿تهرب﴾ بضم الراء من باب طلب ﴿من كل من رآها﴾ .

فلما كبر ﴿ذلك﴾ الابن كان بارا ﴿أي محسنا﴾ بوالده وكان يقسم ليلة ثلاثة أثلث يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فإذا أصبح أي دخل في الصباح ﴿انطلق فاحطب﴾ أي طلب الحطب وحمله

على ظهوره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يصدق بثلثه ويأكل ثلثه ويعطي والدته ثلثه فقالت له أمه يوما إن أباك ورتك عجلة استودعها في غيضة كذا فانطلق فادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب أن يردها عليك وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى تلك البقرة المذهبة لحسنها وصغرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك بالله إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة وقالت أيها الفتى البار بوالدته أركبني فإن ذلك أهون عليك فقال الفتى إن أمي لم تأمرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة بالله من بني إسرائيل لو ركبني ما كنت تقدر على أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقل من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأملك فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم أبيها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتني وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها إلى السوق فبعث الله ملكا يرى خلقه قدرته وليخبر الفتى بربه بوالدته وكان الله به خيرا فقال له الملك بكم تباع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشرط عليك رضا والدتي فقال الملك خذ ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه إلا برضا أمي فردها إلى أمه فأخبرها بالثمن فقالت فارجعها فبعتها بستة دنانير على رجل فقالت فقال الملك أتى السوق وأتى الملك فقال استأمرت أمك فقال الفتى إنها أمرتني أن لا تنقصها عن ستة دنانير على أن استأمرها فقال الملك فإني أعطيك اثني عشر دينارا على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك

﴿على ظهوره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يصدق بثلثه﴾ أي ثلاث ثمن الحطب ﴿ويأكل ثلثه ويعطي والدته فقالت له أمه يوما﴾ من الأيام ﴿إن أباك ورتك عجلة استودعها﴾ الله ﴿في غيضة كذا فانطلق فادع إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أن يردها عليك وعلامتها﴾ أي تلك العجلة ﴿أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى تلك البقرة المذهبة﴾ وذلك ﴿لحسنها وصغرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح﴾ الفتى أي رفع صوته ﴿بها وقال أعزم عليك بالله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب فأقبلت﴾ البقرة ﴿تسعى حتى قامت﴾ أي وقفت ﴿بين يديه فقبض على عنقها﴾ وفي رواية على قرنها ﴿يقودها فتكلمت البقرة﴾ باذن الله تعالى وارادته ﴿وقالت أيها الفتى البار بوالدته أركبني فإن ذلك﴾ الركوب ﴿أهون﴾ أي أسهل ﴿عليك﴾ من تعب المشي ﴿فقال الفتى إن أمي لم تأمرني بذلك﴾ أي بركوبك ﴿ولكن قالت خذ بعنقها﴾ أي قرنها ﴿فقالت البقرة بالله من بني إسرائيل لو ركبني ما كنت تقدر على أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقل من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأملك فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له﴾ أمه ﴿أنك﴾ رجل ﴿فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال﴾ الفتى ﴿بكم أبيها قالت﴾ بـها ﴿بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتني وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير﴾

فانطلق بها الفتى إلى السوق فبعث الله ملكا من الملائكة يرى خلقه قدرته وليخبر الفتى كيف بربه بوالدته وكان الله به خيرا أي علما فقال له الملك بكم تباع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشرط عليك رضا والدتي فقال له الملك خذ ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه إلا برضا أمي فردها إلى أمه فأخبرها بالثمن فقالت فارجعها فبعتها بستة دنانير على رضا مني فانطلق بها أي بالبقرة إلى السوق وأتى الملك فقال استأمرت أمك فقال الفتى إنها أمرتني أن لا تنقصها عن ستة دنانير على أن استأمرها فقال الملك فإني أعطيك اثني عشر دينارا على أن لا تستأمرها فأبى الفتى أي امتنع عن ذلك ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك أي بما قاله الملك

فقلت إن الذي يأتيك ملك يأتيك في صورة آدمي ليخبرك فإذا أتاك فقل له أنا أمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك اذهب إلى أمك فقل لها أنسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران يشتريها منكم لقتل يقاتل من بني إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنائير فأمسكها وقدر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة على بر والدته فضلا منه ورحمة

﴿فقلت: إن الذي يأتيك في صورة آدمي ليخبرك فإذا أتاك فقل له أنا أمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟ ففعل﴾ الفتي ما قاله أمه ﴿فقال له الملك: اذهب إلى أمك فقل لها أنسكي هذه البقرة فإن﴾ نبي الله ﴿موسى بن عمران يشتريها منكم﴾ وفي رواية: منك ﴿لقتل يقاتل من بني إسرائيل﴾.

قال العلماء: في السير والأخبار أنه كان في زمن بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواء فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله إلى قرية أخرى وألقاه على بابها ثم أصبح يطلب ثاره وجاء بناس إلى موسى يدعى عليهم بالقتل فوجدوا واشتباه أمر القتل على موسى عليه الصلاة والسلام فسألوا موسى أن يدعو الله ليعينهم ما أشكل عليهم فسأل موسى ربه في ذلك فأمره بذبح بقرة وأمره أن يضربه ببعضها فقال لهم: إن الله يأمركم أن تذبحوا البقرة قالوا: اتخذنا هزوا قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين أي المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علموا أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوا إياها ولو أنهم عبدوا إلى أي بقرة كانت فذبحوها ولا جزأت عنهم ولكن شددوا فشدد عليهم وكان ذلك حكمة لله عز وجل ﴿فلا تبيعوها﴾ وفي رواية فلا تبعها ﴿إلا بملء مسكها دنائير﴾ والمسك الجلد ﴿فأمسكها﴾ وقدر الله بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون ﴿البقرة﴾ حتى وصف لهم تلك البقرة ﴿بعينها﴾ ﴿مكافأة﴾ لذلك الفتى ﴿على بر والدته فضلا منه﴾ تعالى ﴿ورحمته﴾ وذلك قوله تعالى: فذبحوها وما كادوا يفعلون . واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه يعني القتل ببعضها الآية .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ضربه بالعظم الذي يلي الفظروف وهو أصل الأذن وقيل ضربه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليمن والأقرب أنهم كانوا يحيرين في ذلك البعض وأنهم إذا ضربه بأي جزء منها أجزأ أو حصل المقصود وأنه ليس في القرآن ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التحير في الآية اضمار تقديره فحى وقام بإذن الله تعالى وأوداجه تشب دما وقالتن فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر: ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة .

فإن قلت: ما فائدة ضرب القتل ببعض البقرة والله تعالى قادر على أن يحية ابتداء من غير ضرب بشيء . قلت: الفائدة فيه أن تكون الحجة أوكد وعن الحيلة أبعد لا حتمال أن يتوهم أن موسى عليه الصلاة والسلام إنما أحياء بضرب من السحر والحيلة فإذا أحنى القتل عند ما ضرب ببعض البقرة اتفقت التشبه وعلم أن ذلك من عند الله تعالى وبأمره كان ذلك .

فإن قلت: هلا أمروا بذبح غير البقرة . قلت: الكلام في غير البقرة لو أمروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فواتد منها التقرب بالقرآن على ما كانت العادة جارية عندهم ومنها أن هذا القرآن كان عندهم من أعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي أخذه صاحبها من ثمنها .

﴿وحكى﴾ الياضي أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أن اخرج إلى ساحل البحر تبصر عجباً فخرج سليمان بن داود ومن معه من الجن والإنس فلما وصل الساحل التفت يمينا وشمالاً فلم ير شيئاً فقال لعفريت غص في هذا البحر ثم انتني بعلم ما تجد فيه فغاص ثم رجع بعد ساعة وقال يا بني الله اني ذهبت في البحر مسيرة كذا وكذا لم أصل إلى قعره ولا نظرت فيه شيئاً فقال

* فصل في حكم هذه المسئلة في شرعة الاسلام اذا وقعت *

وذلك انه اذا وجد قتل في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثمة لوث على انسان ادعى به واللوث ان يغلب على الظن صدق المدعى بان اجتمع جماعة في بيت أو صحراء ثم تفرقوا عن قتل فيغلب على الظن أن القاتل فيهم أو وجد قتل في محلة أو قرية وكلهم أعداء القتل لا يحاط لهم غيرهم فيغلب على الظن أنهم قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعى عليه وان كان الأولياء جماعة توزع الأيمان عليهم فاذا حلفوا أخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطأ وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الأكثرين وذهب عمرو بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى وجوب القود وبه قال مالك وأحمد رحمهما الله فان لم يكن ثمة لوث فالقول قول المدعى عليه لأن الأصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا فيه قولان ، أحدهما أنه يحلف يمينا واحدة كما في سائر الدعاوى . والثاني : أنه يحلف خمسين يمينا تغليظاً لأمر القتل وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى لاحكام اللوث ولا يبدأ يمين المدعى بل اذا وجد قتل في محلة يختار الامام خمسين رجلاً من صلحاء أهلها فيحلفهم أنهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلاً فان حلفوا والاخذ الدية من متكافئها والدليل على أن البداءة بيمين المدعى عند وجود اللوث ما روى عن سهل بن أبي حنيفة قال : انطلق عبد الله بن سهل ومحبيصة بن مسعود إلى خير فقرقا فأتى محبيصة إلى عبد الله بن سهل وهو يشخط في دمه قتيلاً فدفعه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحبيصة وجويصة ابنا مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كبر كبر هو أحدث القوم سناً فسكت فتكلما فقال : أتخلفون وتستحقون قاتلكم وقال صاحبكم قالوا : كيف نخلف ولم نشهد ولم نر قال : فبئركم يهود بأيمان خمسين منهم قالوا : كيف تأخذ بأيمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية ينقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطل دمه فوداه بمائة من ابل الصدقة أخر جاء في الصحيحين ووجه الدليل من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بأيمان المدعين ليتقوى جانبهم باللوث لأن اليمين أبداً تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه من حيث أن الأصل براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله أعلم هكذا ذكره الحازن في تفسيره .

﴿وحكى﴾ الامام أبو محمد عبد الله ابن أسعد ﴿الياضي﴾ في كتابه روض الراحين في حكاية الصالحين ﴿ان الله سبحانه وتعالى أوحى إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أن اخرج إلى ساحل البحر تبصر عجباً فخرج سليمان بن داود ومن معه من الجن والإنس فلما وصل الساحل التفت﴾ سليمان ﴿يمينا وشمالاً فلم ير شيئاً فقال لعفريت﴾ من الجن وهو المارد القوي وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه ﴿غص في هذا البحر﴾ في المختار الفوص النزول تحت الماء وقد غاص في الماء من باب قاتل والقواص بالتشديد الذي يفوص في البحر على اللؤلؤ ﴿ثم انتني بعلم ما تجد فيه﴾ أي في البحر ﴿فغاص﴾ ذلك العفريت ﴿ثم رجع﴾ إلى سليمان ﴿بعد ساعة وقال يا بني الله اني ذهبت في البحر مسيرة كذا وكذا لم أصل إلى قعره ولا نظرت فيه شيئاً فقال﴾ سليمان

لغيرت آخر غص في هذا البحر وأنتي تعلم ما تجد فيه فغاص ثم رجع بعد ساعة وقال مثل قول الأول إلا أنه غاص مثل الأول مرتين فقال
لأصف بن برخيا وهو وزيره الذي ذكره الله تعالى في القرآن قال الذي عنده علم من الكتاب قال أنتي تعلم ما في هذا البحر فجله بقبة من
الكافور الأبيض لما أربعة أبواب باب من در وباب من ياقوت وباب من جوهر وباب من زبرجد أخضر والأبواب كلها مفتحة ولا يدخل
فيها قطرة من الماء وهي في داخل البحر في مكان عميق مثل مسيرة ما غاص فيه الغفرت الأول ثلاث مرات فوضعها بين يدي سليمان عليه
السلام وإذا في وسطها شاب حسن الشباب نقي الثياب وهو قائم يصلي فدخل سليمان عليه السلام القبة وسلم على ذلك الشاب وقال
ما أتراك في قعر هذا البحر قال يا نبي الله إنه كان أبي رجلا مقعدا وكانت أمي عنياء فأقمت في خدمتها سبعين سنة فلما حضرت وفاة
أمي قالت اللهم أطل حياة ابني في طاعتك ولما حضرت وفاة أبي قال اللهم استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل
فخرجت إلى هذا الساحل بعد ما دفنتهما فنظرت هذه القبة موضوعة فدخلتها لأنظر حسنهما فجاء ملك من الملائكة فاحتل
القبة وأنا فيها وأنزلني في قعر هذا البحر قال سليمان في أي زمان كنت أتيت هذا الساحل قال في زمان إبراهيم الخليل عليه السلام
فتنظر سليمان عليه السلام في التاريخ فإذا له ألفا سنة وأربع مائة سنة وهو شاب لا شية فيه قال فما كان طعامك وشرابك داخل هذا
البحر قال يا نبي الله يأتي كل يوم طير أخضر في مقاره شيء أصفر مثل رأس الإنسان فأجده فيه طعم كل نعيم في دار الدنيا فيذهب

﴿الغفرت آخر غص في هذا البحر وأنتي تعلم ما تجد فيه فغاص﴾ الآخر ﴿ثم رجع بعد ساعة وقال مثل قول﴾ الغفرت ﴿الأول إلا أنه
غاص مثل الأول مرتين فقال﴾ سليمان ﴿لأصف بن برخيا وهو وزيره الذي ذكره الله تعالى في القرآن﴾ بقوله ﴿قال الذي عنده علم من
الكتاب﴾ أي أصف بن برخيا كاتب سليمان وهو الأصح وعليه الجمهور وكان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وهو يا حي
يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام أو يا الهنا واله كل شيء الهما واحدا لا اله إلا أنت وقيل كان علم عجمي رى الغيوب الهاما كذا ذكره النسفي ﴿قال:
أنتي تعلم ما في هذا البحر﴾ ..

﴿فجاء﴾ أصف ﴿بقبة من الكافور الأبيض لما أربعة أبواب باب من در وباب من ياقوت وباب من جواهر وباب من زبرجد
أخضر والأبواب كلها مفتحة ولا يدخل فيها قطرة من الماء وهي﴾ أي الحال والشأن أن القبة ﴿في داخل البحر في مكان عميق مثل مسيرة
ما غاص فيه الغفرت الأول ثلاث مرات فوضعها﴾ أي وضع أصف تلك القبة ﴿بين يدي سليمان عليه السلام وإذا في وسطها شاب
حسن الشباب نقي الثياب﴾ أي نظيفها ﴿وهو﴾ أي قائم يصلي فدخل سليمان عليه وسلم القبة وسلم على ذلك
الشاب وقال ﴿سليمان له﴾ ما أتراك في قعر هذا البحر ؟ قال : يا نبي الله إنه كان أبي رجلا مقعدا ﴿لا يتدر على المشي﴾ وكانت
أمي عنياء فأقمت في خدمتها سبعين سنة فلما حضرت وفاة أمي قالت : اللهم أطل حياة ابني في طاعتك ولما حضرت وفاة أبي قال :
اللهم استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل فخرجت إلى هذا الساحل بعد ما دفنتهما فنظرت هذه القبة موضوعة
فدخلتها لأنظر حسنهما فجاء ملك من الملائكة فاحتل القبة وأنا فيها وأنزلني في قعر هذا البحر قال سليمان ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ في
أي زمان كنت أتيت هذا الساحل ؟ قال : ﴿كنت﴾ في زمان إبراهيم الخليل عليه ﴿الصلاة والسلام﴾ فنظر سليمان عليه السلام في
التاريخ فإذا له ألفا سنة وأربع مائة سنة وهو شاب لا شية فيه ﴿أي في رأسه﴾ قال ﴿سليمان عليه السلام﴾ فما كان طعامك
وشرابك داخل هذا البحر ؟ قال ﴿الشاب﴾ يا نبي الله يأتي كل يوم طير أخضر في مقاره شيء أصفر مثل رأس الإنسان فأجده فيه طعم كل نعيم في دار الدنيا فيذهب

عني الجوع والعطش والحرق والبرد والثلج والنعاس والفتنة والوحشة فقال سليمان أحب أن تقف معي أو ترد إلى موضعك فقال ربي إلى موضعي يا نبي الله فقال رده يا آصف فردته ثم التفت فقال انظروا كيف استجاب الله تعالى دعاء الوالدين فأخذه ركم عقوق الوالدين .

﴿باب قطع الرحم﴾

﴿قال الله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها وقال تعالى ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴿وأنخرج﴾ الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم

عني الجوع والعطش والحرق والبرد والثلج والنعاس والفتنة والوحشة فقال له ﴿سليمان﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿أحب أن تقف معي أو ترد إلى موضعك فقال الشاب﴾ ربي إلى موضعي يا نبي الله فقال ﴿سليمان﴾ رده يا آصف فردته ثم التفت ﴿سليمان﴾ إلى من معه من الجن والإنس فقال: انظروا كيف استجاب الله تعالى دعاء الوالدين فأخذ ركم عقوق الوالدين ﴿يرحمكم الله اللهم ألهمنا برحمته آمين والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿باب قطع الرحم﴾ أي القرابة

وهو من الكبار كما قاله ابن حجر في الزواج ﴿قال الله تعالى: واتقوا الله الذي تسألون به﴾ أي يسأل بعضكم بعضا فيقول: أسألك بالله وأصله تسألون فأدغمت الاء الثانية في السين وقرأ عاصم وخمزة والكسائي بطرحها ﴿والأرحام﴾ قرئ بفتح الميم ومعناه ﴿أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها﴾ وقرئ بكسر الميم وهو كقولك سألتك بالله وبالرحم وتأشد بك بالله وبالرحم لأن العرب كان من عادتهم أن يقولوا ذلك والرحم القرابة وإنما استعير اسم الرحم للقرابة لأنهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لأن القرابة يترحمون ويعطف بعضهم على بعض وفي الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها وقال تعالى: الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون ﴿وقال تعالى: والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقهم لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات ذكره بعده أحوال الأشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى: والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا صفة الكفار لأنهم هم الذين نقضوا عهد الله يعني خالفوا أمره ومعنى من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والقرابة ﴿يفسدون في الأرض﴾ بالكفر والمعاصي ﴿أولئك﴾ من هذه صفة ﴿لهم اللعنة﴾ أي الطرد عن رحمة الله يوم القيامة ﴿ولهم سوء الدار﴾ أي النار لأن ينقلب الناس في العرف إلى دورهم ومنازلهم فالمؤمنون لهم عقبى الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار .

﴿وأنخرج الشيخان﴾ وغيرهما ﴿عن أبي هريرة﴾ رضي الله عنه ﴿قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى خلق الخلق﴾ أي قدر المخلوقات في علمه السابق على ما هم عليه وقت وجودهم ﴿حتى إذا فرغ منهم﴾ يعني أتم قضاء هم والفراغ هنا بطريق التمثيل وتذكير الضمير في منهم بطريق تغليب العقلاء على غيرهم قال بعضهم: خلق إن كان بمعنى أوجد فالفراغ على حقيقته لكن لا يحسن ما فيه من الضعف لأن الفراغ الحقيقي بعد الشغل وهو على الله تعالى ممنوع لأنه سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن ﴿قامت الرحم﴾ بفتح الراء وكسر الحاء المهملة قال العلقمي: أي الأقارب وهم من بينه وبين الآخر نسب سواء كان يرثه أم لم يرثه ذا محرم

فقال له قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما توضيحي أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال ﴿فَقَارُوا إِنْ شِئْتُمْ فَنُحْسِبُكُمْ أَنَّكُمْ تَقْتُلُونَ فِي الْأَرْضِ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ *
 أم لا **﴿فَقَالَ﴾** الله سبحانه وتعالى **﴿وَمَنْ﴾** قال العزيز: ما استغماية خذفت ألفها ووقف عليها بهاء السكت وهذا قليل والشائع أن لا يفعل ذلك بها الا وهي مجرورة أي ما تقولين والمراد بالاستغمام اظهار الحاجة دون الاستعلام فانه تعالى يعلم السر وأخفى انتهى ومن استعمالها غير مجرورة قوله أي دؤب قدمت المدينة ولاهلها صبيح بالبكاء كصبيح الجحجأ اهلوا بالاحرام فقلت: مه قليل أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هي اسم فعل بمعنى اكفف وانزجر قاله الجعفي **﴿قَالَتْ﴾** أي الرحم قال العلقمي قال في الفتح: يحتمل أن يكون ذلك على الحقيقة والاعراض يجوز أن تجسد وتكلم باذن الله ويجوز أن يكون على حذف أي قام ملك فتكلم على لسانها ويحتمل أن يكون ذلك على طريق ضرب المثل أو الاستعارة والمراد تعظيم شأنها وفضل وأصلها واثم قاطعها ثم قال: قال ابن أبي حمزة: يحتمل أن يكون بلسان الحال ويحتمل أن يكون بلسان المقال قولان مشهوران والثاني أرجح وعلى الثاني هل تكلم كذا هي أو يخلى الله تعالى لها عند كلامها حياة وعقلا قولان أيضا مشهوران والأول أرجح لصلاحية القدرة العامة لذلك هكذا نقله العزيزي **﴿هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ﴾** هذا صفة تحذوف أي مقامى هذا مقام المستعبد المخلص المستجير بك من قطيعتي.

﴿قَالَ﴾ الله **﴿نَعَمْ﴾** قال المناوي: حرف إيجاب مقرر لما سبق **﴿أَمَّا﴾** بالتحفيف حرف استيفاء تقريرى **﴿تَوْضِيحٌ﴾** خطاب للرحم **﴿أَنْ أَصْلَ مِنْ وَصْلِكَ﴾** بأن أعطف عليه وأحسن إليه قال العلقمي: قال ابن أبي حمزة: الوصل من الله كناية عن عظيم احسانه وأما خاطب الناس بما يفهمونه ولما كان أعظم ما يعطيه المحترمون لحبة الوصال وهو القرب واسعافه بما يريد به ومساعدته على ما يرضيه وكانت حقيقته مستحيلة في حق الله تعالى عرف أن ذلك كناية عن عظيم احسانه لعبده **﴿وَأَقْطَعُ مِنْ قِطْعِكَ﴾** كناية عن حرمان الانسان أي لا أعطف عليه ولا أحسن إليه **﴿قَالَتْ﴾** أي الرحم **﴿يَلِي﴾** يارب أي رضى **﴿قَالَ﴾** أي الله **﴿فَذَلِكَ لَكَ﴾** بكسر الكاف فيها أي اجعل لك ما ذكر.

﴿ثُمَّ قَالَ﴾ رسول الله **﴿صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَأُوا مَا شِئْتُمْ﴾** يعني ان شئتم مصداق استحقاق قاطع الرحم بقطع الرحمة اقروا هذه الآية **﴿فَنُحْسِبُكُمْ أَنَّكُمْ تَقْتُلُونَ﴾** أي أتوقع منكم ان اعرضكم عن القرآن وأحكامه أو معناه ان توليتم أمور الناس وتأمروهم عليهم **﴿فَنُحْسِبُكُمْ أَنَّكُمْ تَقْتُلُونَ فِي الْأَرْضِ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ﴾** فان قلت ما معنى والله تعالى عالم بما كان وما يكون قلت معناه انكم أحقاء بأن يقول لكم كل من عرف رخاوة اعتقادكم في الإيمان فهل عسيتم لمشاهدة تهيبكم تحايل الاضداد في الأرض **﴿أُولَئِكَ﴾** إشارة الى المفسدين وقاطع الأرحام بينهم **﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾** أي أبعدهم من رحمته وطردهم عن جنته **﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾** عن سماع الحق **﴿وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾** عن طريق الهدى وذلك أنهم لما سمعوا القرآن فلم يهتدوا ولم يؤمنوا به وأبصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمى وإن كان لهم اسماع وأبصار في الظاهر وثام الآية ثلاثه برون القرآن أم على قلوب أقفالها.

* تنبيه **﴿قَالَ﴾** القرطبي: الرحم التي توصل علمته وخاصة فالعامة رحم الدين وتوجب مواصلة بالقرود والناسح والعدل والأيادي والقيام بالخير والواجبة والمسحبة وأما الرحم الخاصة فبغيره الثقة على القرب وتعتد أحوالهم والتفاضل عن زلاتهم ومنازل مراتب استحقاقهم في ذلك وقال ابن أبي حمزة: تكون حيلة الرحم المال والمعنى الجامع أفعال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الظاهر وهذا إذا استمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة فإذا كانوا كفارا أو فجارا فمقاطعتهم في الله هو وصلهم بشرط

وهما لا يدخل الجنة قاطع أي قاطع رحم * والترمذي وابن ماجه عن أبي بكر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من ذنب أجدر أي أحق من أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم * والطبراني عن الجاهلي قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم وإياكم والبغي فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغي وإياكم وعقوق الوالدين فإن رح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق

بذل الجهد في وعظهم ثم اعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء بظهر الغيب أن يهتدوا إلى الطريق الحق وفي الحديث تعظيم أمر الرحم وإن وصلها مندوب مرغّب فيه وإن قطعها من الكبائر لو ردد الوعيد الشديد فيه هكذا نقله الملقى عن صاحب الفتح .

وهما أي وأخرج الشيخان وكذا أحمد وأبو داود والترمذي عن جابر بن مطعم رضي الله عنه لا يدخل الجنة قاطع أي قال المناوي رحمته الله قاطع الرحم أي والمراد أنه لا يدخل الجنة المعدة لوصول الأرحام أي أخرجه أحمد والبخاري في الأدب وأبو داود رحمته الله وقال حديث حسن صحيح أي وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد أي عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من ذنب أجدر أي يسكن الجحيم أي أحق من أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة أي من العقوبة أيضا أي من البغي أي أي الظلم أي وقطيعة الرحم أي قال الحنفى : سواء كان الرحم قريبا أم بعيدا في القرابة فذلك كبيرة يترتب عليها تعجيل العقوبة في الدنيا وإن كان أذى الأجانب كبيرة أيضا لأنها لا يترتب عليها تعجيل ما ذكر أما قطيعة الرحم بمعنى عدم زيادتهم وعدم الإحسان اليهم فلا يترتب عليها ذلك الوعيد بل هو انحطاط عن رتبة الكمال فقط وهذا حديث صحيح كما ذكره العزيمى .

وأخرج الطبراني عن أبي بكره بأسناد حسن : ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والحيانة والكذب وإن أعجل الطاعة ثوابا بالصلة الرحم حتى أن أهل البيت ليكونوا فجرة فتتم أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا . وأخرج ابن حبان وغيره : ثلاثة لا يدخلون الجنة مد من الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر . وأخرج أحمد مختصرا وابن أبي الدنيا والبيهقي : بيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو ولعب فيصبحوا قد مسحوا قردة وخنازير وليصيبهم خسف وقذف حتى يصبح النائم فيقولون خسف الليلة بنى فلان وخسف الليلة بدار فلان خواص لترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قباثل فيها وعلى دور وترسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عادا على قباثل فيها وعلى دور بشريهم الخنزير ولبنيتهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعة الرحم وخصلة نسبها جعفر .

وأخرج أي الطبراني أي في الأوسط أي عن جابر رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون فقال يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أي قال الحنفى : بكسر الصاد وضم اللام مخففة من الصلة يقول أو فعل كالشاشة أي أرحامكم أي أنى آثاركم وذلك وصية الله للأمة السابقة في الكتب المنزلة كالطهارة والإنجيل وقد ثبت أن صلتهم توثق البركة في المال والعمر والعظيمة والعمل وقد ورد أن الرحم مصورة بصورة تحت العرش تقول اللهم أوصل من وصلنى واقطع من قطعنى وهى مندوبة وقيل واجبة أي فأنه أي أى الحال والشأن أي ليس من ثوابه أي ومن زائدة اسم ليس وكذا ما يأتى أي أسرع من أي ثواب أي صلة الرحم وإياكم والبغي أي أى اجتنبوه أي فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغي وإياكم وعقوق الوالدين فإن رح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها أي أى رح الجنة أي عاق أي لها أو لأحد مما

ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء ﴿إنما الكبرياء لله رب العالمين﴾ * وأحمد أن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم * والأصبهاني كما جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يجالسنا قاطع رحم فقام فتى من الحلقة فأتى خالقه قد كان بينهما بعض الشيء واستغفرت له ثم عاد إلى المجلس فقال ﴿إن الرحمة لا تنزل على قوم وفيهم قاطع رحم﴾

﴿ولا قاطع رحم ولا شيخ زان﴾ وهذا يدل على سوء خلقه لأنه مع شيوخه لا ينكف عن الزنا ﴿ولا جار إزاره خيلاء﴾ أي تكبرا أو تعاظما ﴿إنما الكبرياء لله رب العالمين﴾ أخرج أحمد بسند رواه ثقات البخاري في الأدب عن أبي هريرة ﴿أن أعمال بني آدم تعرض على الله تعالى كل خميس ليلة الجمعة﴾ فيقبل بعض الأعمال ويرد بعضها ﴿فلا يقبل عمل قاطع رحم﴾ أي قرب بنحو إساءة أو مجر فعله لا ثواب فيه وإن كان صحيحا قاله العزني .

﴿وأخرج الأصبهاني﴾ والبخاري في الأدب المفرد عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه ﴿كما جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يجالسنا قاطع رحم فقام فتى من الحلقة فأتى خالقه قد كان بينهما بعض الشيء﴾ من المقاطعة فاستغفر لها ﴿واستغفرت له ثم عاد﴾ الفتى ﴿إلى المجلس﴾ الذي فيه النبي عليه الصلاة والسلام ﴿فقال صلى الله عليه وسلم: إن الرحمة﴾ أي الإحسان العظيم قال المناوي: وفي رواية أن الملائكة أي ملائكة الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم والمقصود الزجر عن قطيعة الرحم وحث القوم على إخراج قاطعها من بينهم لئلا يجرموا البركة بسببه وهذا مؤيد لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم وذكر الطيبي أنه يحتمل أن يراد بالقوم الذين يساعدونه على قاطعة الرحم ولا يتكفرون عليه ويحتمل أن يراد بالرحمة المطر وأنه يجس على الناس لشؤم القاطع .

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن الأعمش قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه جالسا بعد الصبح في خلقة فقال: أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا فانا نريد أن ندعوا ربنا وإن أبواب السماء مرتجة أي بضم فتح والجيم مخففة مغلقة دون قاطع رحم . وأخرج أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح واعترض تصحيحه بأنه منقطع ورواية وصله قال البخاري خطأ عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت الرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل: أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أو قال: بته أي قطعته . وأخرج أحمد بإسناد صحيح: إن من أربى الربا إلا سظالة في عرض المسلم بخير حق وإن هذا الرحم سجنة من الرحمن عز وجل فمن قطعها حرم الله عليه الجنة . وأخرج أحمد بإسناد جيد قوي وابن حبان في صحيحه: إن الرحمن سجنة من الرحمن تقول: يارب اني قطعت ياربي اني أسئ إلى يارب اني ظلمت يارب يارب فيجبها الأترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك والسجنة بكسر الهمزة والمعجم وضمه وإسكان الجيم أي القرابة ومعنى من الرحمن أي منشق لفظها من لفظ اسمه الرحمن كما يأتي في الحديث على الأثر . وأخرج البزار بإسناد حسن: الرحم حجنة متسكة بالعرش تكلم بلسان ذلق اللهم صل من وصلني وأقطع من قطعني فيقول الله تبارك وتعالى: أنا الرحمن الرحيم واني شققت الرحم من اسمي فمن وصلها وصلته ومن بكها بكها والحجنة فتح الحاء المهملة والجيم وتخفيف النون صنارة المغزل التي يعلق بها الخيط ثم يقل المغزل والبك القطع . وأخرج البزار ثلاث تعلقات بالعرش الرحم تقول: اللهم اني بك فلا أقطع والأمانة تقول: اللهم اني بك فلا أخان والنعمة تقول: اللهم اني بك فلا أكر . وأخرج البزار واللفظ له والبيهقي: الطابع معلقة بقائمة العرش فاذا اشتكت الرحم وعطل بالمعاصي واجترأ على الله تعالى بعث الله الطابع فيطبع على قلبه فلا يقبل بعد ذلك شيئا .

﴿وروي﴾ عن محمد الباقر أن أباه زين العابدين قال له لا تصاحب قاطع رحم فإني وجدت ملعونا في كتاب الله في ثلاثة مواضع وذكر الآيات الثلاث السابقة ﴿ووحكى﴾ شيخنا ابن حجر رحمه الله أن رجلا غنيا حج فأودع آخر موسوما بالأمانة والصلاح ألف دينار حتى يعود من عرفة فلما عاد وجده قد مات فسأل ورثته عن المال فلم يكن لهم به علم فسأل علماء مكة فقالوا إذا كان نصف الليل فأت زمزم وانظر فيها وناد يا فلان باسمه فإن كان من أهل الخير فسيجيئك من أول مرة فذهب ونادى فيها فلم يجبه أحد فأخبرهم فقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار اذهب إلى أرض اليمن فيها برهوت يقال إنه على قم جهنم فانظر فيها بالليل وناد فيها يا فلان فسيجيئك منها فمضى إلى اليمن وسأل عن البر فدل عليها فذهب إليها ليلا ونادى فيها يا فلان فأجابه فقال أين ذهبي فقال دفنته في الموضع القلاني من دارى ولم آتمن عليه ولدى فأتهم واحفر هناك تجده فقال ما الذي أنزلك ههنا وقد كنت أظن بك الخير قال كنت لي أخت فقيرة هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبني الله بسببها وأنزلني هذا المنزل وتصديق ذلك الحديث الصحيح لا يدخل الجنة قاطع أي قاطع رحمه وأقاربه

﴿وروي﴾ عن محمد الباقر أن أباه زين العابدين رحمه الله تعالى قال له لا تصاحب قاطع رحم فإني وجدت ملعونا في كتاب الله في ثلاثة مواضع وذكر أبوه زين العابدين ﴿الآيات الثلاث السابقة﴾ أى آية القتال واللعن فيها صريح والرعد واللعن فيها بطريق العموم لأن ما أمر الله به أن يوصل يشمل الأرحام وغيرها والبقرة واللغن فيها بطريق الاستلزام اذهون لوازم الخسران .
﴿ووحكى﴾ شيخنا العلامة ﴿ابن حجر﴾ الهيمى ﴿رحمه الله﴾ في الزواج ﴿أن رجلا غنيا حج﴾ إلى بيت الله الحرام ﴿فأودع﴾ شخصا ﴿آخر موسوما﴾ أى معلوما ﴿بالأمانة والصلاح﴾ ألف دينار حتى يعود من عرفة فلما فرغ الرجل من وقوفه و ﴿عاد﴾ إلى مكة ﴿وحده﴾ أى الوديع ﴿قد مات فسأل﴾ الرجل ﴿ورثته﴾ أى الوديع وفى نسخة الزواج ذريته ﴿عن المال﴾ الذى أودعه وهو ألف دينار ﴿فلم يكن لهم﴾ أى للورثة ﴿به﴾ أى بذلك المال ﴿علم فسأل﴾ أى ذلك الرجل ﴿علماء مكة﴾ عن قضيه فقالوا : إذا كان نصف الليل فأت بر زمزم وانظر فيها وناد بقولك ﴿يا فلان باسمه﴾ أى الوديع ﴿فإن كان﴾ الذى تناديه رجلا ﴿من أهل الخير﴾ أى من أهل السعادة ﴿فسيجيئك من أول مرة﴾ وإن كان من غيرهم فلا يجيئك ﴿فذهب﴾ الرجل إلى بر زمزم ﴿ولما كان نصف الليل﴾ نادى فيها ﴿أى فى بر زمزم بقوله﴾ يا فلان ذاكرا باسمه ﴿فلم يجبه أحد﴾ أى أخبرهم ﴿أى أخبر المنادى﴾ علماء مكة بأنه لا يجيبه أحدا فقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار اذهب إلى أرض اليمن فيها برهوت يسمى برهوت يقال إنه على قم جهنم فانظر فيها ﴿أى فى تلك البر﴾ بالليل وناد فيها يا فلان فسيجيئك منها فمضى الرجل إلى اليمن وسأل أهل اليمن ﴿عن البر﴾ أى برهوت ﴿فدل﴾ بالبناء للمفعول ﴿عليها فذهب إليها ليلا ونادى فيها﴾ يا فلان فأجابه فقال المنادى ﴿أين ذهبي﴾ الذى أودعك فقال الوديع ﴿دفنته فى الموضع القلاني من دارى ولم آتمن عليه ولدى فأتهم واحفر هناك﴾ أى فى الموضع المذكور ﴿تجده﴾ أى ذنبك فقال : ما الذى أنزلك ههنا أى فى برهوت لأنها محل الاشرار ﴿وقد كنت أظن بك الخير﴾ قال : كنت لي أخت فقيرة هجرتها أى تركها ﴿وكنت لا أحنو عليها فعاقبني الله بسببها وأنزلنى هذا المنزل وتصديق ذلك﴾ أى العقاب المذكور ﴿الحديث الصحيح﴾ السابق ﴿لا يدخل الجنة قاطع أى قاطع رحمه وأقاربه﴾ .

وجواب علماء مكة ما ذكر الذى سأله عملا بالحديث الذى أخرجه المروزي وابن منده فى الجنائز وابن عساكر عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : إن أرواح الكفار تجتمع برهوت سبخة بحضرموت وأرواح المؤمنين بالجالية برهوت باليمن والجالية بالشام .

وأخرج ابن عساکر عن عمرو بن رويم قال : الجاية تجن إليها كل روح طيبة . وأخرج أبو بكر النجار في حزه المشهور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : خير وادي مكة وشروادي الناس وادي الإحفاف واد بحضر موت يقال له برهوت فيه أرواح الكفار . وأخرج ابن أبي الدنيا عن علي قال : أرواح المؤمنين في برزخهم .

* نعمة * قال ابن القيم : مسألة مقر الأرواح بعد الموت عظيمة لا تتلقى إلا من السمع وقد قيل : أن أرواح المؤمنين كلهم في الجنة . الشهداء وغيرهم إذا لم تحبسهم كبيرة لظاهر الأخبار الواردة في ذلك كحديث كعب بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنما نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم القيامة ورواه الترمذي بلفظ : أن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة . قوله تعلق بضم اللام أي تأكل العلة بضم المهملة وهو ما يتبلغ به من العيش ولقوله تعالى : فأما أن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم . قسم الأرواح عقب خروجها من البدن إلى ثلاثة مقربين وأخبر أنها في جنة نعيم وأصحاب يمين وحكم لها بالسلام وهو يتضمن سلامتها من العذاب ومكذبة ضالة وأخبر أن لها نزلاً من حميم وتصلية جحيم وقال تعالى : يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك إلى قوله وادخلي جنتي . قال جماعة من الصحابة والتابعين : أنه يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا على لسان الملك بشارة ويؤيده قوله تعالى في مؤمن آل يس قيل ادخل الجنة قال : يا ليت قومي يعلمون وقيل الأحاديث بخصوصية بالشهداء كما صرح به في رواية أخرى ولقوله في غيرهم : أن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي الحديث . ولحديث أبي هريرة : أنهم في السماء السابعة ينظرون إلى منازلهم في الجنة . وحديث وهب مثله وقال ابن حزم في طائفة يستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها أي عن يمين آدم وشماله قال هذا ما دل عليه الكتاب والسنة قال تعالى : وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية وقال تعالى : ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية .

فصح أن الله تعالى خلق الأرواح جملة ولذلك أخبر صلى الله عليه وسلم : أن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وأخذ الله عهداً وشهادتها بالربوبية وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن تؤمر الملائكة بالسجود لآدم وقيل أن يدخلها في الأجساد والأجساد يومئذ تراب وماء ثم أقرها حيث شاء وهو البرزخ الذي ترجع إليه عند الموت لا يزال يبعث منها الجملة فينفخها في الأجساد المتولدة من المنى قال : فصح أن الأرواح أجسام جاملة لا أعراضها من التعارف والتناكر وإنما عارفة مميزة فيلوههم الله في الدنيا كما يشاء ثم يوفاهما فترجع إلى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به إلى سماء الدنيا أرواح أهل السعادة عن يمين آدم وأرواح أهل الشقاوة عن يساره عند منقطع العناصر الماء والهواء والتراب والتار تحت السماء ولا يدل ذلك على تعادلهما بل هؤلاء عن يمينه في العلو والسعة وهؤلاء عن يساره في السفلى والسجن وتعدل أرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة قال : وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن اسحق بن راهوية أنه ذكر هذا الذي قلناه بعينه وقال : على هذا أجمع أهل العلم قال ابن حزم : وهو قول جميع أئمة الإسلام وهو قول الله تعالى : فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم .

وقوله فلما أن كان من المقربين إلى آخره فلا تزال الأرواح هناك حتى يتم عددها بفتحها في الأجساد ثم يرجعها إلى البرزخ فتقوم الساعة فيعيد لها عز وجل إلى الأجساد وهي الحياة الثانية هذا كله كلام ابن حزم وقيل هي أفنية قبورها قال ابن عبد البر : وهذا أصح ما قيل وأحاديث سؤال وعرض المقعد وعذاب القبر ونعيمه وزيارة القبور والسلام عليها وخطبتهم مخاطبة الحاضر الحافل دالة على ذلك

قال ابن القيم وهذا القول أن أريد به أنها ملازمة للقبور ولا تتأرقها فهو خطأ يرد الكتاب والسنة وعرض المقعد لا يدل على أن الروح في القبر ولا على فنائه بل على أن لها اتصالاً به يضح أن يعرض عليها مقعدها فإن للروح شأنًا آخر فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على صاحبها رد عليه السلام وهي في مكانها هناك وهذا جبريل عليه السلام رآه النبي صلى الله عليه وسلم وله ستمائة جناح منها جناحان سد الأفق فكان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم حتى يضع ركبته على ركبته ويديه على فخذه وقلوب المخلصين تسع للإيمان بأن الممكن أنه كان يدنو وهو في مستقره من السموات وفي الحديث في رؤية الجبريل فرفعت رأسى فإذا جبريل صاف قدميه بين السماء والأرض يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فجعلت لأصرف بصري إلى ناحية أرايته كذلك وعلى هذا يحمل تنزله تعالى إلى سماء الدنيا ودنوه عشية عرفة ونحوه فهو منزوع عن الحركة والانتقال وإنما يأتي الغلط هنا من قياس الغائب على الشاهد فيعتد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا اشغلت مكانا لم يمكن أن يكون في غيره وهذا غلط محض وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء موسى قائما يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة فالروح كانت هناك في مثل البدن ولها اتصال بالبدن بحيث يصلي في قبره ويرد على من يسلم عليه وهو في الرفيق الأعلى ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان وقد مثل ذلك بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الأرض وإن كان غير تام للمطابقة من حيث أن الشعاع إنما هو عرض للشمس وأما الروح فهي بنفسها تنزل وكذلك رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء في ليلة الإسراء في السموات والصحيح أنه رأى فيها الأرواح في مثال الأجسام مع ورود أنهم أحياء في قبورهم يصلون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : من صلى على عند قبري سمعته ومن صلى على نائيا بلغته أخرجه اليه في الشعب من حديث أبي هريرة وقال : إن الله وكل بقري ملكا أعطاه اسمع الخلاق فلا يصلي على أحد إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه أخرجه البزار والطبراني من حديث عمار بن ياسر هذا مع قطع بأن روجه في أعلى عليين مع أرواح الأنبياء وهو في الرفيق الأعلى فثبت بهذا أنه لا منافاة بين كون الروح في عليين أو في الجنة أو في السماء وإن لها بالبدن اتصالا بحيث تدرك وتسمع وتصلى وتقرأ وإنما يستغرب هذا لكون الشاهد الدنيوي ليس فيه ما يشابه هذا وأما البرزخ والآخرة على غلط غير هذا المؤلف في الدنيا هذا كله كلام ابن القيم .

وقال في موضع أخرى : للروح بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأول في بطن الأم . الثاني : بعد الولادة . الثالث : في حال النوم فلها به التعلق من وجه ومفارقة من وجه . الرابع : في البرزخ فانها وإن كانت قد فارقت بالموت فانها لم تفارق فراقا كلياً بحيث لم يبق لها إليه التفات . الخامس : تعلقها به يوم البعث وهو أكمل أنواع التعلقات ولا نسبة لما قبله إليه إذ لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً ، وقال في موضع آخر للروح من سرعة الحركة والاشتغال الذي كلف البصر ما يقتضى عروجها من القبر إلى السماء في أدنى لحظة وشاهد ذلك روح النائم فقد ثبت أن روح النائم تصعد حتى تحترق السبع الطبايق وتسجد لله بين يدي العرش ثم ترد إلى جسده في أسير زمان ثم حكى ابن القيم بعد ذلك بقية الأقوال وأنها بالجاية أو برززم وإن الكفار يبرهون وأورد ما أخرجه ابن منده بسنده من طريق سفيان عن إبان بن ثعلب قال : قال رجل : بت ليلة بواد برهوت فكأنما حشرت فيه أصوات الناس وهم يقولون يادومة وحدثنا رجل من أهل الكتاب أن دومة هو الملك الموكل بأرواح الكفار قال سفيان : سألنا من الحضرمين فقالوا : لا يستطيع أحد أن يبيت فيه بالليل .

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن عمرو بن سليمان قال : مات رجل من اليهود وعنده ودعة لمسلم وكان لليهودي ابن مسلم فلم يعرف موضع الدعة فأخبر شعبياً الجبائي فقال : انت برهوت فلن بها عينا فإذا جنت يوم السبت فامش عليها حتى تأتي عينا

﴿تنبيه﴾ قد نقل القرطبي في تفسيره اتفاق الأئمة على حرمة قطع الرحم ووجوب صلتها والمراد بقطع الرحم

هناك فادع أباك فإنه سيحبك فسله عما تريد ففعل ذلك الرجل ومضى حتى أتى العين فدعا أباه مرتين أو ثلاثاً فأجابته فقال : أين ودعة فلان فقال : تحب أسكنة الباب فادفعها إليه والزم ما أنت عليه ثم قال ابن القيم : ولا يحكم على قول من هذه الأقوال بعينه بالصحة ولا غيره بالبطلان بل الصحيح أن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ولا تعارض بين الأدلة فإن كلا وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم في السعادة والشقاوة فمنها أرواح في أعلى عليين في الملائ الأعلى وهم الأنبياء وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء ومنها أرواح في حواصل طير خضر تنزح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لاجتماعهم فإن منهم من يحبس عن دخول الجنة لدين أو لغيره كما في مسند عن محمد بن عبد الله بن جحس : أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله مالي أن قتلت في سبيل الله ؟ قال : الجنة فلما ولى قال : ألا الذين سارني به جبريل آقا . ومنهم من يكون على باب الجنة كما في حديث ابن عباس ، ومنهم من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب الشملة أنها تشعل عليه ناراً في قبره ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم تصل روحه إلى الملائ الأعلى فإنها كانت روحاً سفلية أرضية فإن الأنفس الأرضية السماوية كما أنها لا تجتمعها في الدنيا فالروح بعد المفارقة تلحها بأصحاب عملها فالمرء مع من أحب ومنها أرواح تكون في تنور الزناة وأرواح في نهر الدم إلى غير ذلك فليس للأرواح سعيدة وشقية مستقر واحد وكلها على اختلاف محالها وتباين مفارقتها لها اتصال بأجسادها ليحصل له من النعيم والعذاب ما كتب له انتهى كلام ابن القيم .

قال السيوطي : ويؤدى ما ذكره من الاتصال بأجسادها والاشتراك في النعيم أو العذاب ما أخرجه الإمام أحمد في الزهد عن وهب بن منبه : أن حزقيل عليه السلام قال : أنا نبي ملك فاحتملني حتى وضعني بقاع من الأرض قد كانت معركة وإذا فيه عشر آلاف قتل قد تبددت لحومهم وتفرقت أوصالهم قال : فدعوتهم فاذا كل عظم قد أقبل إلى مفصله ثم نبت عليها اللحم ثم انبسطت الجلود وأنا أنظر فقيل لي : ادع أرواحهم ، فدعوتهم فاذا كل روح قد أقبل إلى جسده فلما جلسوا سألتهم ، فيما كنتم ؟ قالوا : أنا لما متنا وفارقنا الحياة لقينا ملك يقال له ميكايل فقال : هلنوا أعمالكم وخذوا أجوركم كذلك سنبتا فيكم وفيمن كان قبلكم وفيمن هو كائن بعدكم فتطرق في أعمالنا فوجدنا نبيد الأوثان فسلط الدود على أجسادنا وجعلت الأرواح تلم وسلط الغم على أرواحنا وجعلت الأجساد تألم فلم تزل كذلك نغذب حتى دعوتنا .

وقال القرطبي : الأحاديث دالة على أن أرواح الشهداء خاصة في الجنة دون غيرهم وحديث كعب ونحوه محمول على الشهداء وأما غيرهم فتارة تكون في السماء لافي الجنة وتارة على أفنية القبور وقد قيل أنها تزور قبورها كل جمعة على الدوام وبعض الشهداء أرواحهم خارج الجنة أيضاً كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما على بارق نهر باب الجنة وذلك إذا حبسهم عنها دين أو شيء من حقوق الآدمين والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿تنبيه قد نقل﴾ الإمام القرطبي في تفسيره : اتفاق الأئمة على حرمة قطع الرحم ووجوب صلتها و﴿ إذا ثبت ذلك فما المراد بقطع الرحم ﴾ فيه خلاف فقال أبو زرعة : ينبغي أن يخص بالإساءة وقال غيره : لا ينبغي اختصاصه بذلك بل ينبغي أن يتعدى إلى ترك الإحسان لأن الأحاديث آمرة بالصلة ناهية عن القطيعة ولا واسطة بينهما والصلوة اتصال نوع من أنواع الإحسان لما فسرنا بذلك غير واحد فالمقطيعة ضد ما يوجب ترك الإحسان انتهى .

قطع ما ألف القرب منه من سابق الوصلة والإحسان لغير عذر شرعي فلو كان لم يصل منه إلى قربه إحسان ولا إساءة قط لم يفسق بذلك ولا فرق بين أن يكون الإحسان الذي ألفه مع قربه مالا أو مكتابة أو مراسلة أو زيارة أو غير ذلك فقطع ذلك كله بعد فعله لغير عذر كثيرة.

ولكن أن يقول في كل من هذين نظروا الأول فلائذ أن أريد بالإساءة ما يشمل فعل المكروه والحرم أو ما يخص بالحرم ولو صغيرة نافي ما نقل عن البلقيني وغيره في ضابط العقوق من أنه أن يفعل مع أحد والديه ما لو فعله مع أجنبي كان محرما صغيرة فينتقل بالنسبة إلى أحدهما كبيرة فإذا كان هذا هو ضابط عقوق الوالدين فهو أكد من حق بقية الأقارب وإن العقوق غير قطعية الرحم كما صرح به كلامهم ومنه توقف الرافعي في الثاني دون الأول وجب أن يكون المراد بقطع الرحم المحكوم عليه بأنه كبيرة ما هو أشد في الإيذاء من العقوق ليظهر مزية الوالدين وما قال أبو زرعة يلزم عليه اتحادهما بل أن القطعية يراد بها ما هو أدنى في الإيذاء من العقوق بناء على أن الإساءة في كلامه تشمل فعله فيتميز بقية الأقارب على الأبوين حيث جعل مطلق الإيذاء في حقهم كبيرة والأبوين لم يجعل الإيذاء في حقهم كذلك وهو مناف لصريح كلامهم فوجب رد كلام ابن زرعة لئلا يلزم عليه ما ذكرنا وإذا علم أن كلامهم في العقوق يرد ما ذكرناه فذكره غيره من أن قطع الرحم عدم فعل الإحسان يرد به بالأولى وحينئذ فالذي يتجه لوافق كلامهم وفرقهم بين العقوق وقطع الرحم أن المراد بالأول ما قد منه فيه دون ما مر على البلقيني لما يلزم عليه أيضا من اتحادهما وبالثاني قطع ما ألف القرب منه من سابق الوصلة والإحسان لغير عذر شرعي لأن قطع ذلك يؤيد إلى إباحاش القلوب وقرتها وتأذيها ويصدق عليه حينئذ أنه قطع وصلة رحمه وما ينبغي لها من عظيم الرعاية ﴿فلو﴾ فرض أنه ﴿كان لم يصل منه إلى قربه إحسان ولا إساءة قط لم يفسق بذلك﴾ أي بعدم الوصلة والإساءة منه إلى قربه لأن الأبوين إذا فرض ذلك في حقهما من غير أن يفعل معهما ما يقتضي التأذي العظيم لعلنا هما مثلا لم يكن كبيرة فأولى ببقاء الأقارب ولو فرض أن الإنسان لم يقطع عن قربه ما ألفه من الإحسان لكنه فعل معه محرما صغيرة أو قطب في وجهه أو لم يقيم إليه في ملا ولا عين به لم يكن ذلك فسقا بخلافه مع أحد الوالدين لأن تأكد حقهما اقتضى أن يميزا على بقية الأقارب بما لا يوجد نظيره فيهم.

﴿و﴾ على ضبط الثاني بما ذكرته ف﴿لا فرق بين أن يكون الإحسان الذي ألفه مع قربه مالا أو مكتابة أو مراسلة أو زيارة أو غير ذلك فقطع ذلك﴾ أي ما ألفه من الإحسان مطلقا ﴿كله بعد فعله لغير عذر كثيرة﴾.

فإن قلت: إنما المراد بالعذر في المال وفي نحو الزيارة والمكتابة؟ قلت: ينبغي أن يراد بالعذر في المال فقد ما كان يصله به أو تجدد احتياجه إليه أو أن يندبه الشارع إلى تقديم غير القرب عليه لكون الأجنبي أخرج أو أصلح فعدم الإحسان إليه أو تقديم الأجنبي عليه لهذا العذر يرفع عنه الفسق وإن انقطع بسبب ذلك ما ألفه منه القرب لأنه إنما رعى أمر الشارع بتقديم الأجنبي على القرب وواضح أن القرب لو ألف منه قدرا معينا من المال يعطيه أباه كل سنة مثلا فنقصه لا يفسق ذلك بخلاف ما لو قطعه من أصله لغير عذر.

فإن قلت: يلزم على ذلك امتناع القرب من الإحسان إلى قربه أصلا خشية أنه إذا أحسن إليه يلزمه الاستمرار على ذلك خوفا من أن يفسق لو قطعه وهذا خلاف مراد الشارع من الحث على الإحسان إلى الأقارب. قلت: لا يلزم ذلك لما تقر أنه لا يلزمه أي يجري على تمام القدر الذي ألفه منه بل اللازم له أن لا يقطع ذلك من أصله وغالب الناس يحملهم شفقة القرابة ورعاية الرحم على وصلتها فليس في أمرهم بعدا ومتهم على أصل ما ألفوه منهم تنفير عن فعله بل حث على دوام فعله وإنما يلزم ذلك لو قلنا أنه إذا ألف منه شيئا بخصوصه يلزم الجريان على ذلك الشيء المخصوص دائما ولو مع قيام العذر الشرعي ونحن لم نقل بذلك وإنما عذر الزيارة فينبغي ضبطه بعذر الجمعة يجامع أن كلا فرض عين وتركه كبيرة وأما عذر ترك المكتابة فهو أن لا يجد من يشق به في أداء ما يؤسئله معه والظاهر أنه إذا ترك الزيار

﴿خاتمة﴾ في صلة الرحم * أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه

ألف منه في وقت مخصوص لعز لا يلزم قضائها في غير ذلك الوقت فتأمل جميع ما قرره واستقده فإني لم أر من نبه على شيء منه مع عموم البلوى به وكثرة الاحتياج إلى ضبطه وظاهر أن الأولاد والأعمام من الأرحام وكذا الحالة فيأتي فيهم وفيها ما تقرر من الفرق بين قطعهم وعقوق الوالدين .

وأما قول الزركشي صح في الحديث أن الحالة بمنزلة الأم وإن عم الرجل صف أبيه وقضيهما انهما مثل الأب والأم حتى في العقوق فبعد جدا وليس قضيهما ذلك إذ لا عموم فيهما ولا تعرض الخصوص العقوق فيكفي تشابههما في أمر ما كالخصانة ثبت للحالة كما ثبت للأمو وكذا الحرمة وتأكد الرعاية وكلاهما في العم والحرمة وغيرهما بما ذكر وأما لحاقهما بهما في أن عقوقهما كعقوقهما فهو مع كونه مصرح به في الحديث مناف لكلام أنتم فلا منعول عليه بل الذي دلت عليه الآيات والأحاديث أن الوالدين اختصا من الرعاية والاحترام والطواعية والاحسان بأمر عظيم جدا وغاية رفيعة لم يصل إليها أحد من بقية الأقارب ويلزم من ذلك أنه يكفي في عقوقهما وكونه فسقا بما لا يكفي به في عقوق غيرهما .

قلت: يؤيد تفسير السابق المقابل لكلام أبي زرعة قول بعضهم في قوله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة قاطع أي قاطع رحم فمن قطع أقربه الضعفاء وهجرهم وتكبر عليهم ولم يصلهم بركة وأحسانه وكان غنيا وهم فقراء فهو داخل في هذا الوعيد محذور دخول الجنة إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليهم وقد روي في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من كان له أقارب ضعفاء ولم يحسن إليهم وبصرف صدقة إلى غيرهم لم يقبل الله صدقته ولا ينظر إليه يوم القيامة وإن كان فقيرا وصلهم بزيارتهم والتعبد لأحوالهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: صلوا أرحامكم ولو بالسلاسل انتهى

قلت: ما قاله هذا القائل من الهجر والتكبر عليهم واضح وأما قوله لم يصلهم الخ فهو باطل لانه ممنوع أيضا وكفى في منعه ورده تصريح أنتم بأن الاتفاق إنما يجب للوالدين وإن علوا والأولاد وإن سفلوا دون بقية الأقارب وبأن الصدقة على الأقارب والأرحام سنة لا واجبة فلو كان ترك الإحسان إليهما بالمال كبيرة لم يسمع إطلاق الأئمة تدب ذلك وأيضا فقيرهم بالقطع ظاهر في أنه كان ثم شيء فقطع به يتأيد ما قد منه وقدرته في معنى قطع الرحم مخالفا فيه كلام من تفسير أبي زرعة ومقابلته وأما امت لاله هذين الحديثين فيتوقف على صحة اسنادهما نعم ينبغي للموقف أن يراعى هذا القول وأن يبالغ فيما قدر عليه من الإحسان إلى أقربه لما يأتي قريبا من الأحاديث الكثيرة المؤكدة في ذلك والدالة على عظم فضله ورفعة محله كذا قاله ابن حجر .

﴿خاتمة﴾ نسأل الله حسنهما ﴿في﴾ ذكر أحاديث فيها الحث الأكيد والتأكيد الشديد على ﴿صلة الرحم﴾ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿قال﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان يؤمن بالله ﴿الإيمان الكامل المنجى من عذبه الموصلى إلى رضاء﴾ واليوم الآخر ﴿وهو يوم القيامة الذي هو محل الجزاء على الأعمال﴾ فليكرم ضيفه ﴿الغنى والفقير بالبشرى وجهه وطيب النفس بما يسر عنده من الطعام من غير كلفة ولا إضرار بأهله إلا أن الواحد والجمع من أضيئه وضيئه قال الشيخ الشبرخي وأما العزيز فقله: ويؤثرون على أنفسهم الآية .

وسبب نزولها ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء ثابت بن قيس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني بجهنم فأرسل إلى بعض ساجد فقال: والذي بينك بالحق ما عذبة إلا ما عذبت أرسيل إلى أخرى مثل ذلك ثم قلن كفى مثل ذلك ما عذبة إلا

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت *

ماء فقال: من يضيف هذا هذه الليلة فقام رجل من الأنصار يقال له أبو الحوكل وقيل أبو طلحة فقال: أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء فقالت: لا الأقوت صياني قال: فعليهم شيء فاذا دخل ضيفا فاطفي السراج ونومي الأطفال وقد من للضيف ما عندك ففعلت وأظهرها له انهما يأكلان معه فنزل قوله تعالى: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة إلى قوله وأولئك هم المفلحون. فلما أصبح غدا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قد أعجب الله من صنعكما الليلة بضيفكما قال ابن حجر: والجواب عما اقتضاه ظاهره من تقديمهما ما يحتاج إليه صبيان بأن الضيافة لتأكدها والاختلاف في وجوبها مقدمة وبأن الصبيان لم تشد حاجتهم للأكل وإنما خشيا أن الطعام لو جئ به للضيف وهم مستيقظون لم يصبروا عن الأكل منه وإن كانوا شبا على عادة الصبيان ويشوشوا على الضيف فتوموا لذلك وهذا ظاهر خلافا لمن توقف فيه وقد قال أحمد بوجوب الضيافة لأحاديث ظاهرة في ذلك وفي أن الضيف يستقل بأخذ ما يكفيه من غير رضا من نزل عليه أو على نحو بستانه أو جرحه لكن خالفه الجمهور وحملوا تلك الأحاديث على غير ظاهرها فحملوا الوجوب على أول الإسلام فانها كانت واجبة حين إذا كانت الموانسة واجبة فلما ارتفع وجوب الموانسة ارتفع وجوب الضيافة أو على التأكيد كما في غسل الجمعة واجب على كل محتلم وحملوا الاستقلال بالأخذ من غير رضا على المضطر لكنه بعد ذلك يغرم بدل ما أكله أو على مال أهل الذمة المشروط عليهم ضيافة من مرهم وذلك لأدلة أخرى منها لا يحمل مال أموي مسلم إلا عن طيب نفس ومنها قوله صلى الله عليه وسلم جازته أي الضيف يوم وليلة الحائرة الصلة والعطية المتطوع بها وأيضا التعبير بالأكرام ظاهر في التطيع إذا لا يستعمل في الواجب.

﴿ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه﴾ وفيه إشارة إلى أن القاطع كأنه لم يؤمن بالله واليوم الآخر لعدم خوفه من شدة العقوبة المترتبة على القطيعة ﴿ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا﴾ قال الشافعي رضي الله عنه بعد أن يتكرر فيما يرد أن ينكلم به فاذا ظهر له أنه خير محقق لا يترتب عليه مفسدة ولا يجرى إلى كلام محرم أو مكروه أتى به ﴿أو ليصمت﴾ ضبطه النووي بضم الميم وقال الطوفي: سمعناه بكسرها وهو القياس كضرب يضرب أي ليسكت إن لم يظهر له ذلك فيصمت له الصمت حتى عن المباح لأنه ربما أدى إلى محرم أو مكروه وعلى فرض أن لا يؤدي إليها ففيه ضياع الوقت فيما لا يعنيه وقد ورد: من حفظ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. واختلقوا في قوله تعالى: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد. فقل يشمل المباح فيكذب وهو ظاهر الآية وقيل لا يكذب إلا ما فيه ثواب أو عقاب وإليه ذهب ابن عباس رضي الله عنه وغيره وورد أن في صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى العبد أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه وترك فضول الكلام مما لا يعن وفي الحديث: ألا أنبئكم بأمرين خفيفين لم يلق الله تعالى بمثلهما الصمت وحسن الخلق وفي المسند خبر: لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه. وروى الطبراني خيرا: لا يبلغ عبد حقيقة القوي حتى يحجز من لسانه. وخبر: أنك إن تزال سالما ناسكت فاذا تكلمت كب لك أو عليك. وروى أحمد والترمذي والنسائي: وأن أحدكم لينكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أنه تبلغ ما بلغت فيكذب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن أحدكم لينكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكذب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم القيامة والأحاديث في ذلك كثيرة جدا ومن ثم قال وهب بن منبه رحمه الله تعالى: أجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت. وقال الفضيل: لا حرج ولا رباط ولا جهاد أشد من حبس اللسان. وقال لقمان لابنه: لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب. وقال

وأبو يعلى عن رجل من خثعم قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه قلت أنت الذي تزعم أنك رسول الله قال نعم قلت يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله قال الإيمان بالله

ابن المبارك : معناه لو كان الكلام بطاعة الله تعالى من فضة كان السكوت عن معصية الله تعالى من ذهب وهو صريح في أن الكف عن المعصية أفضل من عمل الطاعة وإن الصمت أفضل من الكلام لكن ذهب جماعة من السلف إلى تفضيل الكلام لأنه نفعه متعدد وأفاد الحديث المذكور أن قول الخير خير من الصمت لتقدمه عليه ولأنه إنما امر به عند عدم قول الخير وأن الصمت خير من قول الشر وإن قول الخير غنيمة والسكوت عن الشر سلامة وإن فوات الغنيمة والسلامة ينال في حال المؤمن وما يقتضيه شرف الإيمان المشق من الأمان والأمان لمن قاتبه الغنيمة والسلامة وإن الإنسان إذا تكلم أن يسكت فإن يكلم فاما بخير وهو ربح واما بشر وهو خسارة وإن سكنت فاما عن شر وهو ربح واما عن خير وهو خسارة فله في كلامه وسكوته ربحان فينبغي أن يحصلهما أو خسارتان فينبغي أن يجتنبهما قيل وهذا الأمر عام مخصوص بما لو أكره على قول شر أو سكوت عن خير أو نسي أو خاف على نفسه من قول الخير ونحوه كخبر : رفع عن أمي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . وخبر : إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم انتهى . ولا يحتاج لذلك لأن رفع القلم عن الناس والمكروه من القواعد الشرعية المقررة فجميع الأمور والنواهي مخصوصة بها في ذهن كل عالم بذلك معتقدا له ولا خصوصية لتخصيص هذا الحديث بها على أن التعبير بالخير والسكوت في مقابلته الدال على أنه خير أيضا دليل على ذلك التخصيص لأن المكروه عليه منهما يصير خيرا أيضا أي مباحا وعند النسيان هو خير أيضا لارتفاع العقاب فلا يحتاج مع ذلك إلى دعوى تخصيص ﴿و﴾ أخرج ﴿أبو يعلى﴾ باسناد جيد ﴿عن رجل من خثعم قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه قلت : أنت الذي تزعم أنك رسول الله قال : نعم ، قلت : يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله . ك . قال : الإيمان بالله﴾ أي بأنه تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له في الألوهية منفرد بخلق الذوات بصفاتها وأفعالها ويقدم ذاته وصفاته الذاتية وبأن ذاته لها صفات حياة منزّه عن الروح وعلم بلا رسيام لصورة في قلب ولا دماغ وإنما هو صفة تميزها الأشياء وتعلق بكل جزئي كان أو هو كل شيء وجوده بعلم واحد اذ كل من صفاته لا تكثرفيه وإنما التكثير في العلاقات والمعلقات لم يتجدد له علم بحسب تجدد المعلوم وقدرة على الممكنات وإرادة لجميع الكائنات لم تتجدد له إرادة بتجدد المرادات وبأن الطاعات بإرادته ومحبة ورضاه وأمره والمعاصي بإرادته دون محبة ورضاه وأمره والكل بقضائه وقدره وسمع بلا صلاح لكل خفي وبصر بلا حدة تعالى الله عنهما لكل موجود وكلام قائم بذاته منزّه عما يعتري كلامنا النفس من الخرس الباطني وهو عدم الاقتدار على إرادة الكلام النفسي ليس بصوت ولا حرف وبأنه تعالى منزّه عن قيام حادث به كحركة أو سكون أو تحيز فصفاته ليست أغراضا ولا عين ذاته ولا غير ما بناء على أن الغيرين ما ينفعك أحدهما عن الآخر وبأنه أحدث العالم باختياره من غير أن يحصل له به كمال لم يكن قبله ولم يتجدد له بإيجاده اسم وصفة بل لم يزل بأسمائه وصفاته ذاتة لا شبيه له في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله وبأنه منزّه عن الجهة والجسمية وصفاتها ولوازمها وكل صفة نقص أو لا كمال فيها وبأنه لا يكون في ملكه إلا ما يشاء من خير وشر ونفع وضرب لا تقع لحبة ناظر ولا خلقه خاطر إلا بإرادته تعالى وبأنه الغنى المطلق فكل موجود مفقر إليه تعالى وجوده وبقائه وسائر ما يمد به ويجمع ذلك كله أنه تعالى متصف بكل كمال منزّه عن كل وصف لا كمال فيه واجب الوجود لذاته منفرد باستحقاق العبودية على العالم إذ هو الكمال حقيقة لأنه الذي أوجدهم من العدم وبالألوهية والقدم والبقاء والخلق والقدرة وثبوت اسناد جميع الحوادث إليه تعالى مع مشاهدة كمال الإحسان في خلقها وترتيبها وبالإرادة لأن تخصيص بعض الممكنات بالوقت الذي أوجده فيه دون ما قبله أما بعده فليس إلا لعنى هو الإرادة .

قلت يا رسول الله ثم مه قال ثم صلة الرحم قلت يا رسول الله أي الأعمال أبغض إلى الله تعالى قال الشرك بالله قلت يا رسول الله ثم مه قال
قطيعة الرحم قلت يا رسول الله ثم مه قال ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر * وابن ماجه أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم وأسرع
الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم * والطبراني وابن حبان عن أبي ذر قال أوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بخصال من
الخير وأوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقني وأن أنظر إلى من هو دوني

* فائدة * قال أبو اسحق أسفراييني : جمع أهل الحق ما قيل في التوحيد في كلمتين أحدهما أن كل ما تصور في الأفهام فأنه تعالى
بجلائه : الثاني : اعتقاد أن ذاته ليست مشبهة بالذوات ولا معطلة عن الصفات وقد أكد ذلك سبحانه وتعالى بقوله في كتابه المبين
وهو أصدق القائلين : ولم يكن له كفوا أحد وهذا في غاية الجودة والإيجاز ويرحمه القائل :

كل ما ترتقى إليه بهم * من جلال وقدره ونشاء

فالذي أبدع البرية أعلى * منه سبحانه مبدع الأشياء

قلت : يا رسول الله ثم مه * أي ثم أي شيء أحب الله بعد ذلك * قال * صلى الله عليه وسلم * ثم صلة الرحم قلت :
يا رسول الله أي الأعمال أبغض إلى الله تعالى ؟ قال : الشرك بالله قلت يا رسول الله ثم مه ؟ قال : قطيعة الرحم قلت : يا رسول الله ثم
مه ؟ قال : ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأخرج البخاري ومسلم واللفظه : عرض أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم
قال : يا رسول الله أو يا محمد أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني عن النار فكف النبي صلى الله عليه وسلم ثم نظري أصحابه ثم قال :
لقد وفق هذا أولقد هدى قال : كيف ؟ قلت فأعادهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم : تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة
وتؤتي الزكاة وتصل الرحم وفي رواية وتصل ذارحمك فلما أدير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن تمسك بما أمرته به دخلت الجنة .
وأخرج الطبراني بإسناد حسن : أن الله ليجمع القوم الديار ويمتلي لهم الأموال وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا لهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله
؟ قال : بصلتهم أرحامهم . وأخرج أحمد بسند رواه ثقات الآن فيه انقطاعا : أنه من أعطى الرفق فقد أعطى حظا من خير الدنيا
والآخرة وصلة الرحم وحسن الجوار يعمر الديار ويزيدون في الأعمار . وأخرج أبو الشيخ والبيهقي : يا رسول الله من خير الناس ؟ قال
: أتقاهم للرب وأصلهم للرحم ثمهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر .

هو * أخرج الترمذي و * ابن ماجه * عن عائشة رضي الله عنها * أسرع الخير ثوابا * أي أعجل أنواع الطاعة ثوابا * البر *
بالكسر أي الإحسان إلى خلق الرحمن خصوصا للأخول والحواشي من الأقارب ومن يستحق ذلك من المسلمين ومن له أمان * وصلة
الرحم * أي الأقارب وصلتهم كتابة عن الإحسان إليهم والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية بأحوالهم وإن بعدوا وإساؤا قاله العزيزي
هو أسرع الشر عقوبة * أي أعجل أنواع الشر عقوبة * البغي * أي الظلم ومجاوزة الحد * وقطيعة الرحم * وهو ضد ما تقدم في صلته
أي فعقوبة البغي وقطيعة الرحم سبيلان لفاعلهما في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة .

هو * أخرج الطبراني وابن حبان * في صحيحه واللفظه * عن أبي ذر * رضي الله عنه * قال أوصاني خليلي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير وأوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقني * في أمور الدنيا * وأن أنظر إلى من هو دوني * فيها زاد في
رواية فأنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك أما في أمور الآخرة فورد الأمر بالنظر إلى من فوق لينبعث ذلك على الحقوق به ويحترق

وأوصاني بحب المساكين والدنوم منهم وأوصاني أن أصل رحي وإن أدبرت وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم وأوصاني أن أقول الحق ولو على نفسي وإن كان مرا وأوصاني أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كثر من كوز الجنة * والشيخان عن ميمونة أنها أعتقت ولدها ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت يا رسول الله أني أعتقت ولدي قال أو فعلت قالت نعم قال أما إنك لو أعطيت أخوالك وأخوانك كان أعظم لأجرك * والطبراني والحاكم ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا سييرا وأدخله الجنة برحمته قالوا

الشخص أعمال نفسه ﴿وأوصاني بحب المساكين﴾ قال العزبي شامل للفقراء ﴿والدنوم﴾ أي القرب ﴿منهم﴾ وأوصاني أن أصل رحي ﴿بالاحسان اليهم بحسب الامكان ولو بالسلام﴾ وإن أدبرت ﴿أي الرحم عني فالواصل يصله الله برحمته والقاطع يقطعه عن ذلك﴾ وأوصاني أن لا أخاف في الله ﴿أي في الأمر بالمعروف لأجل الله تعالى﴾ لومة لائم ﴿أي حث أنت على نفسي وعرض مالي﴾ وأوصاني أن أقول الحق ﴿أي أن أمر بالمعروف وإنه عن المنكر﴾ ولو على نفسي وإن كان مرا ﴿أي فيه مشقة لا تمتنع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان في ذلك مشقة تشبه مرارة الصبر لأن عاقبة محدودة كما أن الصبر وإن تفرقت منه الطبيعة قد يترتب عليه الشفاء من أمراض﴾ وأوصاني أن أكثر من ﴿قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها﴾ أي الحقولة ﴿كثر من كوز الجنة﴾ أي لها ثواب تقيس مدخر في الجنة فهو كالكثر في كونه قيسا مدخر الاحتوائها على التوحيد الحق ومعناها لا تحول للعبد عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة له على الطاعة إلا بتوفيق الله وقال النووي هي كلمة استسلام وتقوى وإن العبد لا يملك من أمره شيئا وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة في جلب الخير إلا بإرادة الله وفي الخبر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأسراء مر على إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال إبراهيم: يا محمد مر امتك أن يكروا من غراس الجنة قال: وما غراس الجنة؟ قال لا حول ولا قوة إلا بالله أفاده العزبي .

﴿وأخرج﴾ الشيخان ﴿وغيرهما﴾ عن ميمونة ﴿رضي الله عنهما زوج النبي صلى الله عليه وسلم﴾ أنها أعتقت ولدها ﴿أي جارية﴾ ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه ﴿أي في ذلك اليوم﴾ قالت: أشعرت يا رسول الله أني أعتقت ولدي قال ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أو فعلت ﴿ذلك الاعتاق﴾ قالت: نعم ﴿فعله﴾ قال ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ أما ﴿استحتاج بمعنى التيسر﴾ أنك لو أعطيت أخوالك وأخوانك كان أعظم لأجرك ﴿وأخرج الترمذي وقال حسن: لا تكونوا أمة تقولون إن أحسن الناس أضل الذي إذا قطعت أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وظنوا أنفسكم إن أحسن الناس تحسبوا وإن أساؤا أن لا تظلموا والأمة بكسر ففتح وتشديد فمهملة هو الذي لا يرى فهو يتبع كل واحد على رأيه . وأخرج مسلم: يا رسول الله إن لي قرابة أصل ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عليهم ويجهلون على فقال: إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ففتح وتشديد أي الزماد الحار ولا يزالوا معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك . وأخرج الطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم: أفضل الصدقة صدقة على ذي الرحم الكاشح أي الذي يضمر عداوة في كشيحه أي خصره كتابة عن باطنه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: وتصل من قطعك .

﴿وأخرج الطبراني والحاكم﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ثلاث﴾ صفة لمخدوف أي خصال ثلاث فهو مبتدأ والحيلة بعده خبر ﴿من كن فيه حاسبه الله حسابا سييرا﴾ يوم القيامة فلا يناقشه ولا يشد عليه ﴿وأدخله الجنة﴾ أي مع السابقين أو بغير عذاب ﴿برحمته﴾ أي بإحسانه تعالى ﴿قالوا﴾ أي الصحابة رضي الله عنهم

وما هي يا رسول الله قال تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك فإذا فعلت ذلك تدخل الجنة * والبخاري ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها * والشيخان من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ أي يؤخر في أثره أي أجله فليصل رحمه *

﴿وما هي يا رسول الله ؟﴾ قال ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ﴿تعطي من حرمك﴾ أي منعك عطاءه أو مودته أو معرفته ﴿وتصل من قطعك﴾ من ذوى قرابتك وغيرهم ﴿وتعفو عمن ظلمك﴾ في نفس أو مال أو عرض ﴿فإذا فعلت ذلك﴾ المذكور ﴿تدخل الجنة﴾ قال الحاكم صحيح ورد بأن فيه سليمان اليماني وهو واه. وأخرج أحمد بإسنادين أحدهما رواه ثقات عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فقلت : يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال : يا عقبة صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك زاد الحاكم : ألا ومن أراد أن يمد في عمره ويبسط في رزقه فليصل رحمه . وأخرج الطبراني بسند صحيح به : ألا أدلك على أكرام أخلاق الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وأن تعفو عمن ظلمك . وأخرج الطبراني أن أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصنع من شئت . وأخرج البزار : ألا أدلكم على من يرفع الله به الدرجات وفي رواية الطبراني : ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع به الدرجات قالوا : نعم يا رسول الله قال : تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك .

﴿و﴾ أخرج أحمد و﴿البخاري﴾ في الأدب وأبو داود والترمذي عن ابن عمرو بن العاص ﴿ليس الواصل بالمكافي﴾ الذي يعطي لغيره نظير ما أعطاه ذلك الغير وقد أخرج عبد الرزاق عن عمر موقفا : ليس الواصل أن تصل من وصلك ذلك ﴿ولكن الواصل﴾ أن تصل من قطعك ولكن قال العلقمي قال الطيبى : الرواية فيه بالتشديد ويجوز التخفيف أي الواصل الكامل الذي يعتد بوصله هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها قال العلقمي : في بعض الروايات بالبناء للتجهول وفي أكثرها بفتحين قال الطيبى : المعنى ليست حقيقة الواصل ومن يعتد بصلته من يكافئ صاحبه بمثل فعله ولكنه من يفضل على صاحبه وقال شيخنا في شرح الترمذي : المراد بالواصل في هذا الحديث الكامل فإن في المكافأة نوع صلة بخلاف من إذا وصله قريبه ولم يكافئه فإن فيه قطعاً باعراضه عن ذلك ولا يلزم من نفي الوصل ثبوت القطع فهم ثلاث درجات نواصل ومكافئ وقاطع فالواصل من يفضل ولا يتفضل عليه والمكافئ الذي لا يزيد في الأعطاء على ما يأخذ والقاطع الذي يتفضل عليه ولا يتفضل وكما تقع المكافأة بالصلة من الجانبين كذلك تقع بالمقاطعة من الجانبين فمن بدأ حينئذ فهو الواصل فإن جوزى سمي من جازاه مكافئاً هكذا قاله العزيزي .

﴿و﴾ أخرج ﴿الشيخان﴾ وأبو داود والنسائي عن أنس بن مالك وأحمد والبخاري عن أبي هريرة ﴿من أحب أن يبسط له في رزقه﴾ أي يوسع عليه ويكثر له فيه بالبركة والنمو والزيادة ﴿وينسأ﴾ ينضم أوله وسكون النون بعدها مهمل ثم همزة ﴿أي يؤخر﴾ له ﴿في أثره﴾ أي محركا ﴿أي أجله﴾ يعنى بقية عمره سمي أثراً لأنه يتبع العمر ﴿فليصل رحمه﴾ أي فليحسن قرابته بنحو مال وخدمة وزيارة وصلته تختلف باختلاف حال الواصل والموصول قال الحنفى : قوله وأن ينسأ في أثره أي يبارك له فيه أو أن يزداد في عمره حقيقة بأن يكون ذلك معلقاً على صلة رحمه كان يكتب وهو في بطن أمه أن عمره كذا وإن وصل رحمه زيد له كذا . وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند والبزار بإسناد جيد والحاكم : من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع له مئة السوء فليقل الله وليصل رحمه . وأخرج البزار بإسناد لا بأس به والحاكم وصححه أنه ﴿قال مكحول في التوراة﴾ من أحب أن يزداد في عمره وفي رزقه فليصل رحمه .

وأبو يعلى إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويرفع بهما مئة سوء ويدفع بهما المكر والحذور * قال الضحاك في تفسير قوله تعالى يحو الله ما يشاء وثبت قال إن الرجل ليصل رحمه وما بقي من عمره إلا ثلاثة أيام فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيحطه الله إلى ثلاثة أيام

﴿أخرج أبو يعلى: أن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويرفع بهما مئة سوء﴾ قال الحفنى: يفتح السين وضمها كما قرئ بذلك في السبع قوله تعالى: عليهم دائرة السوء. ومئة بكسر الميم كما في العزيزي والمراد أن ذلك يقبض من الفئات عند الموت أو أنه يوفق للتوبة فلا يموت وهو عاص أو أنه يموت مئة سالمة من هدم وخرق ولا مانع من إرادة الجميع وقال العراقي: أن المراد ما استعاذ به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدم والتردى والغرق والحرق وأن يتخطه الشيطان عند الموت وأن يقل في سبيل الله مذبذبا. وقال بعضهم: هي موت النجاة وقيل موت الشهرة كالمصروف مثلا كما نقله البلقي عن شيخه ﴿ويدفع﴾ الله ﴿بهما المكر والحذور﴾.

﴿قال الضحاك﴾ بن مزاحم ﴿في تفسير قوله تعالى: يحو الله ما يشاء وثبت قال: أن الرجل ليصل رحمه وما بقي من عمره إلا ثلاثة أيام فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة﴾ بسبب صلة الرحم ﴿وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيحطه﴾ أي ينقص ﴿إلى ثلاثة أيام﴾ هكذا ذكره أبو الليث قال حدثنا أبو القاسم قال حدثنا فارس قال حدثنا محمد قال حديثا أصرم بن حوشب عن أبي سنان عن الضحاك وذكره قال سعيد بن جبير وقادة: يحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يحو الله ما يشاء ويثبت الأرزق والأجل والسعادة والشقاوة.

ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن جديفة بن أسيد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا أمر بالنطقة شتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وحلها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب ذكرا أم أنثى فينقض ربك ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول: يا رب أجله فيقول: ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك: يا رب رزقه فيقول: ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على أمر ولا ينقص أخرجه مسلم. وروى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن خلف أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوما ثم يكون علقة ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يعث الله ملكا بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وشقاه أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.

فإن قلت: هذا الحديث والذي قبله صريح بأن الآجال والأرزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة ولا تغير عما قدره الله وعلمه في الأول فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل أن يتقلب السعيد شقيا أو الشقي سعيدا وقد صرح في فضل صلة الرحم يزيد في الآجال والأرزاق وغيرهما وجميع العلوم معرفة العلوم على ما هو عليه فإذا علم الله أن زيدا يموت في وقت معين استحال أن يموت قبله أو بعده وهو قوله تعالى: فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على أن الآجال تزيد ولا تنقص وأجاب العلماء عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم من أنها تزيد في العمر بأجوبة الصحيح منها أن هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعة وعملها وأوقاته بما يقتضيه الآخرة وصلة بها عن الصباغ.

﴿وروي﴾ أن ملك الموت أخبر داود عليه السلام يقبض روح رجل بعد ستة أيام

والجواب الثاني : منها أنها بالنسبة إلى ما يظهر للسلامة في اللوح المحفوظ أن عمر زيد مثلا من مئة سنة إلا أن يصل رحمه الله وحصلها زيد له أربعون سنة وقد علم الله في الأزل ما سيق من ذلك وهو معنى قوله تعالى : يحول الله ما يشاء ويثبت أي بالنسبة لما يظهر للمخلوقين من تصور الزيادة . وأما انقلاب الشئ سعيدا فيصور في الظاهر أيضا لأن الكافر قد سلم فينقلب من الشقاوة إلى السعادة وكذا العاص ونحوه وقد يتوب فينقلب من الشقاوة إلى السعادة وقد يرتد المسلم والعباد بالله تعالى فيموت على ردة فينقلب من السعادة إلى الشقاوة والأصل في هذا الاعتبار بالحالمة عند الموت وما يحتمل الله به له وهو المراد من علم الله الأزل الذي لا يتغير ولا يتبدل والله أعلم

وأصل الحوادث أثر الكتابة وضده الأثبات فمن العلماء من حمل الآية على ظاهرها فجعلها عامة في كل شئ . يقبض ظاهري اللفظ فيزيد الله ما يشاء في الرزق والأجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والإيمان بالله والكفر وتقل نحو هذا عن عمرو بن مسعود فانهما قالا : يحول السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والأجل ويثبت ما يشاء . وروى عن عمر أنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول : اللهم ان كنت كتبتي في أهل السعادة فامسئي فيها وان كنت كتبتي من أهل الشقاوة فاحمئي منها وامسئي في أهل السعادة والمغفرة فانك تحمرا تشاء وثبت وعندك أم الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود . وروى البغوي بسنده عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يزل الله تبارك وتعالى في ثلاث ساعات يقين من الليل فينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت .

ومن العلماء من حمل معنى الآية على الخصوص في بعض الأشياء دون بعض فقال : المراد بالحوادث الأثبات نسخ الحكم المتقدم وإثبات حكم آخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل أن الحظوظ يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله ما يشاء من ديوان الحظوظ مما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القاتل : أكلت شربة دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك . وقال الكلبي : يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه شئ ليس فيه ثواب ولا عقاب . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذي يمحو والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت . وقال الحسن : يحول الله ما يشاء يعني من جاء أجله فيذهب ويثبت من لم يحن أجله .

وقال سعيد بن جبير : يحول الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء منها فلا يغفرها . وقال عكرمة : يحول الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات . وقال السدي : يحول الله ما يشاء يعني القمر ويثبت الشمس . وقال الربيع : هذا في الأرواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته حيا وأمسكه ومن أراد بقاءه أثبتته ورده إلى صاحبه . وقيل إن الله يثبت في أول كل سنة حكما فإذا مضت السنة حيا وأثبت حكما آخر للسنة المستقلة وقيل يحول الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو في الحسن والمصائب فهو مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصدقة وقيل إن الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء لا اعتراض لأحد عليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فان قلت : مذهب أهل السنة أن المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا الحو والأثبات ؟ قلت : الحو والأثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحو شيئا ولا يثبت شيئا إلا ما سبق به عليه في الأزل وعليه يترتب القضاء والقدر .

﴿وروي﴾ أن ملك الموت ﴿وهو عزرائيل عليه السلام﴾ أخبر داود عليه السلام يقبض روح رجل يموت يومه داود ﴿ويوم ستة أيام﴾

فلما كان بعد مدة طويلة وجد داود ذلك الرجل حيا فسأل ملك الموت عنه فقال إنه لما خرج من عندك وصل رحما قد كان قطعها فمد الله في عمره عشرين سنة أخرى

فلما كان بعد مدة طويلة وجد داود ذلك الرجل الذي أخبر به ملك الموت ﴿حيا فسأل﴾ داود عليه السلام ﴿ملك الموت عنه﴾ أي خبر ذلك الرجل كيف لا تقتبض روحه وقد أخبرني ذلك ﴿فقال﴾ إنه لما خرج من عندك وصل رحما قد كان للرجل ﴿قطعها فمد الله في عمره عشرين سنة أخرى﴾

* تمة * قال الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى : إذا كان الرجل عند قرابته ولم يكن غائبا عنهم فالواجب عليه أن يصلهم بالمهنية وبالزيارة فإن لم يدر على الصلة بالمال فليصلهم بالزيارة والأمانة في أعمالهم إن احتاجوا وإن كان غائبا يصلهم بالكتاب اليهم فإن قدر على المسير اليهم كان المسير أفضل . وأعلم بأن في صلة الرحم عشر خصال حميدة أولها أن فيها رضا الله تعالى لأنه أمر بصلة الرحم . والثاني : ادخال السرور عليهم وقد روى في الخبر أن أفضل الأعمال ادخال السرور على المؤمن . والثالث : أن فيها فرج الملائكة لأنهم يفرحون بصلة الرحم . والرابع : أن فيها حسن الثناء من المسلمين عليه . والخامس : أن فيها ادخال النعم على إبليس عليه اللعنة . والسادس : زيادة في العمر . والسابع : بركة في الرزق . والثامن : من سرور الأموات لأن الآباء والأجداد يسرون بصلة الرحم والقراءة . والتاسع : زيادة في المودة لأنه إذا وقع له سبب من السرور والحزن يجتمعون إليه ويعينونه على ذلك فيكون له زيادة في المودة . والعاشر : زيادة الأجر بعد موته لأنهم يدعون له بعد موته كلما ذكروا أحسانه . قال أنس بن مالك رضي الله عنه : ثلاثة نفر في ظل عرش الرحمن يوم القيامة واصل الرحم بمد له في عمره ويوسع له في قبره ورزقه وامرأة مات زوجها وترك اليتامى فتقوم هي على الأيتام حتى ينبتهم الله أو يموتوا والرجل اتخذ طعاما فدعا إليه اليتامى والمساكين . وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما يخطأ عبدا خطوتين أحب إلى الله تعالى من الخطوة إلى صلاة الفريضة وخطوة إلى ذي الرحم المحرم .

ويقال خمسة أشياء من دوام عليها زيد في حسناته مثل الجبال الراسيات ويوسع الله عليه رزقه أولها : من دوام على الصدقة قلت : أو كثرت ومن وصل رحمه قل أو كثروا ومن دوام على الجهاد في سبيل الله ومن دوام على الوضوء ولم يسرف في صب الماء ومن أطاع والديه ودوام على طاعتها والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿فصل في حقوق الممالك﴾ * أخرج أحمد وابن ماجه عن أبي بكر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة سوى الملكة أي الذي يسىء الصنعة إلى ممالكه قالوا يا رسول الله اليس أخبرتنا أن هذه الأمة أكثر الأمم ملكون ويملك قال نعم فأكرمهم كرامة أولادكم وأطعموهم مما تأكلون قالوا فما ينفعنا من الدنيا قال فرس تربطه تقابل في سبيل الله يملككم فكيف فاءا على فهو أخوك * وأبو داود عن علي كرم الله وجهه قال آخر كلام النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيما نكم * وفي رواية كان صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي توفي فيه الصلاة وما ملكت أيما نكم فما زال يكررها حتى ما يفرض لسانه * وأحمد والطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع أرقاءكم أطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون فإن جاءوا بذهب لا تردون أن تغفروهم فيبعوا عباد الله ولا تعذبوهم *

﴿فصل في حقوق الممالك﴾ بملك اليمن * أخرج أحمد وابن ماجه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة سوى الملكة أي الذي يسىء الصنعة إلى ممالكه قال العلقمي قال في النهاية أي الذي يسىء صنعة الممالك ضد حسن الملكة يقال فلان حسن الملكة إذا كان حسن الصنيع بهم . وقال الطبري يعني أن سوء الملكة يدل على سوء الخلق وهو شؤم والشؤم يورث الخذلان ودخول النار هكذا قاله الغزالي * قالوا أي الصحابة رضوان الله عليهم * وأبو داود عن أبي بكر أخبرتنا أن هذه الأمة أكثر الأمم ملكون ويسىء . قال صلى الله عليه وسلم نعم فأكرمهم كرامة أولادكم وأطعموهم مما تأكلون قالوا فما ينفعنا من الدنيا . قال فرس تربطه تقابل عليه في سبيل الله * وملككم يملككم فإذا صلى المملوك فهو أخوك في الدين ورواه الترمذي مقتصرا على قوله لا يدخل الجنة سوى الملكة وقال حسن غريب . وأخرج أبو داود أن أباذر البس غلامه مثله فقال يا أباذر انتك امرء فيك جاهلية فقال انهم اخوانكم فضلهم الله عليهم فمن لا يلايكم فيبعوهم ولا تعذبوا خلق الله ورواه الشيخان والترمذي بمعناه الا أنهم قالوا فيه اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فليعنه عليه وفي رواية للترمذي اخوانكم جعلهم الله قية تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه ويلبس من لباسه ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فليعنه عليه وفي أخرى لابن داود من لا يلايكم من مما لككم فاطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون ومن لا يلايكم منهم فيبعوهم ولا تعذبوا خلق الله .

﴿و﴾ أخرج أبو داود عن علي كرم الله وجهه قال آخر كلام النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة أي احفظوها على تعلم كيفيةها والمداومة على فعلها في أوقاتها بشروطها وعدم ارتكاب منيهاها والسمي إليها جماعة وجماعة وغير ذلك اتقوا الله فيما ملكت أيما نكم من الأرقاء وغيرهم بالقيام بما يحتاجون إليه ولا تكلفوهم ما لا يطيقونه وفي رواية لابن ماجه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي توفي فيه الصلاة وما ملكت أيما نكم من آدمي وحيوان محترم فما زال صلى الله عليه وسلم يكررها أي تلك القولة حتى ما يفرض لسانه عليه الصلاة والسلام * وأحمد والطبراني في رواية من صح له الترمذي والحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع أرقاءكم أطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون فإن جاءوا بذهب لا تردون أن تغفروهم فيبعوا عباد الله ولا تعذبوهم * وأخرج الأصبهاني في الغنى بركة على أهلها والابل عز لأهلها والخليل معقود في نواصبها الخير والعبد أخوك فأحسن إليه فان رأته مغلوبا فاعفه . وأخرج ابن حبان في صحيحه وسلم باختصار للمملوك طعامه وشرابه وكسوته ولا يكلف الا ما يطيق فان كلفتموهم فاعينوهم ولا تعذبوا عباد الله خلقا أمثالكم . وأخرج أبو يعلى وابن حبان في

ومسلم كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوتهم * وعن أبي مسعود البدرى قال كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي أعلم يا أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يقول أعلم يا أبا مسعود أني الله تعالى أقدر عليك منك على هذا الغلام فقلت لا أضرب مملوكاً بعه أبدأ * وفي رواية فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال أما لو لم تفعل للفحك النار أو لمستك النار * والطبراني من ضرب مملوكه ظلماً أقيد منه يوم القيامة * وأبو داود والترمذي يا رسول الله كم أعفو عن الخادم قال كل يوم سبعين مرة *

صحيحهما ما خفت من خادمك من عمله كان لك أجراً من مواريتك . وأخرج الطبراني بسند لا بأس به أنه صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بخمس ليال قال : لم يكن نبي إلا وله خليل من أمته وإن خليلي أبو بكر بن أبي قحافة وإن الله اتخذ صاحبكم خليلاً إلا وإن الأمم قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد وإني أنا كم عن ذلك اللهم هل بلغت ثلاث مرات ثم قال : اللهم أشهد ثلاث مرات وأغنى عليه هنية ثم قال : الله الله فيما ملكت إيمانكم أشبعوا بطونهم واكسوا ظهورهم والينوا القول لهم .

﴿و﴾ أخرج ﴿مسلم﴾ عن عمرو بن العاص ﴿كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوتهم﴾ وهذا فيه خث على النفقة على العيال وبيان عظيم الثواب فيه لأن منهم من يحب نفقته بالقراءة ومنهم من تكون مندوبة وتكون صدقة وصله ومنهم من تكون واجبة بملك النكاح أو ملك اليمين وهذا كله فاضل محث عليه وهو أفضل من صدقة الطوع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في رواية ابن أبي شيبة : أعظمها أجراً نفقة على أهلك مع أنه ذكر قبله النفقة في سبيل الله وفي العق والصدقة ورجح النفقة على العيال وعلى هذا كله لما ذكرناه .

﴿و﴾ أخرج مسلم وأبو داود ﴿عن أبي مسعود﴾ عتبة بن عامر الأنصاري ويقال له ﴿البدرى﴾ أيضاً لنزوله بدرراً لا لشهوده إياها رضى الله عنه ﴿قال﴾ : كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي أعلم يا أبا مسعود ﴿أى يا أبا مسعود قالها مرتين كما في رواية مسلم وأبي داود﴾ فلم أفهم الصوت من ﴿شدة﴾ الغضب فلما دنا ﴿أى قرب ذلك الصوت﴾ مني إذا هو ﴿أى صاحب الصوت﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يقول : أعلم يا مسعود أن الله تعالى أقدر عليك ﴿بالعبودية﴾ منك على هذا الغلام ﴿أى من قدرتك على ضربه لكنه يحلم إذا غضب وأنت لا تقدر على الحلم إذا غضب﴾ فقلت لا أضرب مملوكاً بعه أبدأ * وفي رواية فقلت : يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ أما لو لم تفعل للفحك النار ﴿أى لأحرقك النار في الحمار لفحه النار والسنور بحرها أحرقته وبابه قطع قال الأصمعي﴾ ما كان من الرياح له لفتح فهو حر وما كان له تنخ فهو برد ﴿أو﴾ قال ﴿لمستك النار﴾ .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ عن عمار بن ياسر قال المناوى حسن ﴿من ضرب مملوكه﴾ أى ذكر أو أنسى ﴿ظلماً﴾ وفي رواية ظلماً بأن ضربه لا للآديب ونحوه ﴿أقيد﴾ بضم الحمة وكسر القاف أى اقضى كما في رواية ﴿منه يوم القيامة﴾ قال المناوى : ولا يلزمه في أحكام الدنيا شيء ﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود والترمذي﴾ وقال حسن غريب وفي بعض النسخ حسن صحيح من حديث عبد الله بن عمر أنه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ﴿يا رسول الله كم أعفو عن الخادم﴾ فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ﴿قال﴾ أعف عنه ﴿كل يوم سبعين مرة﴾ وفي رواية سندها جيد : أن خادماً سقى ويظلم فأضربه قال : تعفو عنه كل يوم

وأحمد عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأشتهم وأضرهم فكيف أنا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل فتحنى الرجل وجعل يهتف ويبكى فقال له رسول الله ﷺ أما تقرأ قول الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقل حبة من خردل أتينا بها

﴿هو﴾ أخرج ﴿أحمد﴾ بسند صحيح احتج برواه البخاري بقول الترمذي أنه غريب ممنوع ﴿عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني﴾ في أمري ﴿وأشتهم وأضرهم فكيف أنا منهم؟﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان ﴿كفافا﴾ وفسره بقوله ﴿لا لك ولا عليك﴾ وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل فتحنى الرجل ﴿عن المكان الذي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ وجعل يهتف ﴿أي يصوت﴾ ويبكى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما تقرأ قول الله تعالى: ونضع الموازين ﴿أي ذوات العدل وصفها بذلك لأن الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه فين أن تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها احضارها﴾ القسط ليوم القيامة ﴿أي لأهل يوم القيامة﴾.

قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الأعمال فمن أحاطت حسناته بسيئاته جاز ونجا وبالعكس ذل وخسر والصحيح الذي عليه أئمة السلف أن الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقة ويزن بها أعمال العباد. وقال الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان وأكثر الأقوال أنه ميزان واحد وإنما جمع لاعتبار تعدد الأعمال الموزونة به. وروى أن داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه عز وجل أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال: الهى من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات قال: يا داود انى إذا رضيت عن عبد ملأته بئر. فعلى هذا ففي كيفية وزن الأعمال مع أنها أعراض طريقتان أحدهما أن توزن صحائف الأعمال السيئات في كفة والثاني أن يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة.

فان قلت: كيف تصنع بقوله ونضع الموازين القسط مع قوله ولا تقيم لهم يوم القيامة وزنا؟ قلت: هذه في حق الكفار لأنهم ليس لهم أعمال توزن مع الكفر.

﴿فلا تظلم نفس شيئا﴾ أى لا تبخس مما لها وما عليها من خير وشر شيئا ﴿وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها﴾ معناه أنه لا ينقص من إحسان محسن ولا يزداد في إساءة متسنى أو أراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل ومعنى أتينا بها أى أحضرناها أن نجازى بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله سيخلص رجلا من أمى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أنتكر من هذا شيئا أظلمك كبنتي الحافظون فيقول يا رب فيقول: أظلمك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الله تعالى بلى إن لك عنديا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال: إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي. السجل:

وكفى بنا حاسين فقال الرجل والله يا رسول الله ما أجدي ولؤلؤا شيئا خيرا من مفارقهم أشهدك أنهم أحرار كلهم * وابن حبان والبيهقي ما خفت عن خادمك من عمله فهو أجر لك في موازينك يوم القيامة * والشيخان من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه * وأبو داود وابن ماجه ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة من تقدم قوما وهم له كارهون ورجل أتى الصلاة دبارا ورجل اعتبد محررا يعني أعتقه ثم كم عتقه أو أنكروه (وروي) أنه جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إني قلت لأمتي يا زانية قال

الكتاب الكبير وأصله من التسجيل لأنه يجمع أحكاما والبطاقة ورقة صغيرة تجعل في طي الثوب يكب فيها ثمنه والطيش الحفنة. قلت: في الحديث دليل على أن صحائف الأعمال هي التي توزن لأن الأعمال تتجسد جواهر فتوزن والله أعلم ﴿وكفى بنا حاسين﴾ قال ابن عباس: معناه كفى بنا عمالين حافظين لأن من حسب شيئا فقد علمه وحفظه والفرس منه التحذير فإن الحاسب إذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فيحقق بالعقل أن يكون بأشد الخوف منه. ويرى عن الشبلي أنه رأى في المنام قيل له ما فعل الله بك؟ فقال:

حاسبونا فدققوا * ثم منوا فاعتقوا هكذا سمة الملوك * بالممالك يرفقوا

﴿فقال الرجل والله يا رسول الله ما أجدي ولؤلؤا﴾ الممالك ﴿شيئا خيرا من مفارقهم أشهدك﴾ يا رسول الله ﴿أنهم أحرار كلهم﴾. ﴿و﴾ أخرج ابن حبان والبيهقي وغيرهما ﴿ما خفت عن خادمك من عمله فهو أجر لك في موازينك يوم القيامة﴾ وأخرج الشيخان والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿من أعتق رقبة مسلمة﴾ زاد في رواية مسلم سليمة ﴿أعتق الله بكل عضو منه من النار﴾ وقال العلقمي: ظاهره أن العتق يكفر الكبائر وذلك لأن العتق مزية على كثير من العبادات لأنه أشق من الوضوء والصلاة والصوم لما فيه من بذل المال الكثير ولذلك كان الحج أيضا يكفر الكبائر ﴿حتى خرج به بفرجه﴾ قال العلقمي: قال الحافظ زين الدين العراقي: في حرف الغاية في قوله: حتى خرج به يحتمل أن تكون الغاية هنا للأعلى والأدنى فإن الغاية تستعمل في كل منهما فيحتمل أن يراد هنا الأدنى لشرف أعضاء عبادته عليه كالجبهة والدين ونحو ذلك ويحتمل الأعلى فإنه حفظه أشد على النفس وإلى هذا أشار المناوي وعبارته نص على الفرج لأنه محل أكبر الكبائر بعد الشرك والقتل وأخذ منه نذب اعتاق وكامل الأعضاء تحقيقا للمقابلة هكذا ذكره العزري.

﴿و﴾ أخرج أبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﴿ثلاثة لا يقبل الله﴾ تعالى ﴿منهم صلاة﴾ أي قبولاً كاملاً ﴿من﴾ أي الرجل كما في رواية ومثله المرأة للنساء كما قاله العزري ﴿تقدم قوما﴾ وفي رواية يوم قوما ﴿وهم﴾ أي أكثرهم ﴿له كارهون﴾ أي المذموم شرعى ﴿ورجل أتى الصلاة دبارا﴾ قال العزري يكسر الدال أي بعد فوات وقتها أي يصلها حين ادبار وقتها وكان ذلك ديدنه وعادته فلا تقبل صلاته قبولاً كاملاً يترتب عليه الاحسان منه تعالى قاله الحنفى ﴿ورجل اعتبد محررا﴾ أي جعل الحر عبداً بأن اتخذوه وصار يبيعه فلا تقبل صلاته وإن وافقه الحر على بيع نفسه أو المراد أنه أعتقه سرا ولم يخبره بذلك واستمر استخدامه كما كان قبلي العتق وإليه أشار المصنف بقوله ﴿يعني أعتقه ثم كم عتقه أو أنكروه﴾ أي الاعتاق فمعنى اعتبده صيره كالعبد في الاستخدام فلا تقبل صلاته قبولاً كاملاً لتعديده.

﴿وروي أنه جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إني قلت لأمتي يا زانية قال﴾

هل رأيت عليها ذلك قالت لا قال أما إنها ستقيدك يوم القيامة فرجعت المرأة إلى جاريتها فأعطتها سوطا وقالت اجلديني فأبّت الجارية فأعقتها ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بعقتها فقال عسى أي عسى أن يكفر عتقك إياها ما قد قذفتها به ﴿وَحَكِي﴾ أنه دخل جماعة على سليمان الفارسي وهو أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجينة أهله فقالوا ألا تترك الجارية تعجن فقال أرسلناها في عمل فكرهنا أن نجعل عليها عملا آخر ﴿وَحَكِي﴾ أن عمر بن عبد العزيز قال يوما لجاريتها روجيني حتى أنام فروحة فنام فغلبها النوم فنامت فلما انتبه أخذ الروحة وجعل يروحها فلما انتهت وزأته يروحها صاحبت فقال لها عمر إنما أنت بشر مثلي أصابك من الحر ما أصابني فأحببت أن أروحك كما روجيني

﴿هل رأيت عليها ذلك؟﴾ أي الزنا ﴿قالت﴾ المرأة ﴿لا﴾ أرى منها ذلك ﴿قال﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿أما﴾ بتخفيف الميم ﴿إنها﴾ ستقيدك ﴿أي﴾ سأخذ قودك أي قصاصك ﴿يوم القيامة فرجعت المرأة﴾ من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إلى جاريتها﴾ فأعطتها سوطا وقالت ﴿يا أمي﴾ اجلديني فاني قد قذفتك بالزنا ﴿أبّت الجارية﴾ أي امتنعت عن جلد سيدتها ﴿فأعقتها﴾ المرأة ﴿ثم رجعت﴾ من عند جاريتها ﴿إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بعقتها فقال﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿عسى أي عسى أن يكفر عتقك إياها ما قد قذفتها به﴾ من الزنا هكذا ذكره في الزواجر .

﴿وَحَكِي أنه﴾ أي الحال والشأن ﴿دخل جماعة على﴾ أبي عبد الله ﴿سلمان الفارسي﴾ رضي الله عنه ﴿وهو﴾ يومئذ أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجينة أهله فقالوا : ألا تترك الجارية تعجن ؟ ذلك العجين ﴿فقال﴾ سلمان ﴿أرسلناها في عمل فكرهنا أن نجعل عليها عملا آخر﴾ قال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي حدثنا اسمعيل بن إبراهيم ومحمد بن عبد الرحمن الطفاوي قالا حدثنا أيوب عن أبي قلابة : أن رجلا دخل على سلمان وهو يعجن فقال : ما هذا ؟ قال : بعثنا الخادم في عمل أو قال في صنعة فكرهنا أن نجعل عليه عملين أو قال صنعتين ثم قال : فلان يترك السلام قال : متى قدمت ؟ قال : منذ كذا وكذا قال : فقال : أما أنك لو لم تؤدها كانت أمانة لم تؤدها .

﴿وَحَكِي أن عمر بن عبد العزيز﴾ رحمه الله تعالى ﴿قال يوم لجاريتها : روجيني﴾ بالمروحة ﴿حتى أنام فروحة﴾ جاريتها بذلك ﴿فنام﴾ ابن عبد العزيز ﴿فغلبها النوم فنامت﴾ تلك الجارية ﴿فلما انتبه﴾ ورأى الجارية قد نامت ﴿أخذ المروحة وجعل يروحها﴾ فلما انتهت وزأته يروحها صاحبت ﴿أي﴾ رفعت صوتها بقولها يا سيدي لا تروحني فاني جاريتك وأنت سيدي ﴿فقال لها : عمر إنما أنت بشر مثلي أصابك من الحر ما أصابني فأحببت أن أروحك كما روجيني﴾ وهذا يدل على كمال تواضعه رضي الله عنه .

* خاتمة * اعلم ان من أعظم الأساء على الجارية أو العبد أو الدابة أن تجوعه لقوله صلى الله عليه وسلم : كفى بالمرء إثما أن يحبس عن يملك قوته . قال بعض السلف : لا تضرب للمملوك في كل ذنب لكن احفظ له ذلك فاذا عصى الله تعالى فاضربه على نعصية الله وذكر الذنوب التي بينك وبينه ومن ذلك أن يضرب الدابة ضربا وجعا أو يحبسها أو لا يقوم بكفايتها أو يحملها فوق الطاقة فقد روي في تفسير قوله تعالى : وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمثالكم . ما فرطنا في الكتاب من شيء إلى ربهم يحشرون قيل أي بل ورد في السنة يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة فيقضى بينهم حتى أنه يقتص للشاة الجلهاء من الشاة القراء حتى يقاد من الذرة للذرة ثم يقال كونوا ترابا فهناك يقول الكافر : يا ليتني كنت ترابا فهذا من الدليل على القصاص بين البهائم وبين بني آدم حتى أن الانسان لو ضرب دابة بغير حق أو جوعها أو عطشها أو كلفها فوق طاقتها فانها تقص منه يوم القيامة بنظير ما أظلمها أو جوعها .

﴿فصل﴾ في حقوق الجيران * قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجاري الجنب والصاحب بالجنب * أخرج الشيخان عن ابن عمر وعائشة قالاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه *

وبدل لذلك حديث البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الكسوف فقال: دنت النار مني حتى قلت: أي ربي وأنا معهم فإذا امرأة حسبت أنه قال: تخدشها مرة قلت: ما شأن هذه؟ قالوا حبستها حتى ماتت جوعا وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم رأى المرأة معلقة في النار والحرة تخدشها وجهها وصدرها وتعذبها كما عذبها في الدنيا بالحبس والجوع وهذا عام في سائر الحيوانات وكذلك إذا حملها فوق طاقتها تقص منه يوم القيامة لحديث الصحيحين: بينما رجل يسوق بقرة إذا ركبها فضرها فقالت: أنا لم تخلق لهذا إنما خلقتنا للحرث فهذه بقرة انطقت الله في الدنيا تدافع عن نفسها بأنها لا تؤذي ولا تستعمل في غيرها خلقت له فمن كلفها فوق طاقتها أو ضرها بغير حق فيوم القيامة يقص منه بقدر ضره وتعذيبه. قال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: ركب مرة حمارا فضره مرتين أو ثلاثا فرفع رأسه فنظر إلى وقال: يا أبا سليمان هو القصاص يوم القيامة فإن شئت فاقبل وإن شئت فاكفر قال: فقلت: لا أضربه شيئا بعده أبدا. ومز ابن عمر رضي الله عنهما بصبيان من قريش قد نصبوا طائرا وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من قبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر: من فعل هذا لعن الله من فعل هذا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا أي هدفا يرمى إليه.

وهو صلى الله عليه وسلم أن تصير البهائم أي تحبس للقتل فإن كانت مما يذب قتله كالقواصم الخمس فقلت دفعة من غير تعذيب للحديث: إذا قتلتم فأحسنوا القتلة. وكذا لا يحرقها بالنار للحديث الصحيح: إنى كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانا وقلانا بالنار فإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموها فاقتلوهما. قال ابن مسعود رضي الله عنه: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فرأينا جمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحفرة ترفرف فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من فجع هذه بولديها ردوا عليها ولديها ورأى صلى الله عليه وسلم قرية تمل أي مكانة قد خرقتها فقال: من خرق هذه؟ قلنا: نحن فقال صلى الله عليه وسلم: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار. وفيه النهي عن التعذيب بالنار حتى في النمل والبرغوث.

﴿فصل﴾

﴿في حقوق الجيران﴾ جمع جار كجار ويران ﴿قال الله تعالى: واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجاري الجنب والصاحب بالجنب﴾ أمر الله تعالى بالاحسان إلى من ذكر فالاحسان للوالدين والآقارب بالبر واليتامى بالرفق والتقريب ومسح الرأس والمساكين بإعطاء اليسير أو الرد الجميل والجار ذي القربى هو من بينك وبينه قرابة فله حق الجوار والاسلام والجار الجنب هو الاجنبي وله الحقان الاخيران وصاحب بالجنب قال ابن عباس ومجاهد: هو الرفيق في السفر فله حق الجوار وحق الصحبة.

﴿أخرج الشيخان﴾ وأحمد وأبو داود وغيرهم ﴿عن ابن عمر وعائشة﴾ رضي الله عنهم ﴿قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما زال جبريل يوصيني بالجار﴾ قال العلماء: الظاهر أن المراد جار الدار لا جار الجوار ﴿حتى﴾ أنه لما أكره على في المحافظة على رعيته حقه ﴿ظننت أنه سيورثه﴾ أي سيحكم بتوريث جار من جاره أي يأمرني عن الله به قيل بأن يجعل له مشاركة

والبخاري من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره واستوصوا بالنساء خيرا * ومسلم من كان يؤمن بالله فليحسن إلى جاره *
 وأحمد والبخاري والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن الذي لا يأمن جاره بوائقه * وأحمد والبخاري وابن حبان والحاكم قال رجل لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جارها بلسانها قال هي في النار قال يا رسول
 الله إن فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها وصدقتها وإنها تصدق بالأنوار أي القطعات من الأقط ولا تؤذي جيرانها قال هي في الجنة *
 ومسلم لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوائقه * والبخاري كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول يا رب هذا أغلق بابي دوني فمنع
 معروفه عني * والحاكم والبيهقي ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه *

في المال بفرض يعطاه مع التصرف أو بأن ينزل منزلة من يرث بالبر والصلة . قال الحافظ ابن حجر : والأول أولى فإن الثاني استمر والخبر
 يشعر بأن التورث لم يقع .

وقال ابن العربي في العارضة : نية بذلك على أن الحقوق إذا تأكدت بالأسباب فأعظمها حرمة الجوار وهو قرب الدار فقد
 أنزل به ذلك منزلة الرحم وكاد يوجب له حقا في المال والجوار مراتب منها الملاصقة ومنها المخالطة بأن يجمعهما مسجد أو مدرسة أو
 محلة أو سوق أو نحو ذلك ويؤكد الحق مع التسليم انتهى . قال المناوي : وفيه إشارة إلى ما بلغ به بعض الأئمة من اثبات الشفعة له وله مراتب
 بعضها أقل من بعض فأعلاها من جمع صفات الكمال ثم أكثرها وأعلم جزاء وعكسه من جمع ضدها كذلك فيعطى كل حقه بحسب حاله
 ويرجح عند تعارض الصفات والمراث حسنى ومعنوى فالحسنى هو المراد هنا ومعنى المراث العلم وقد يلحظ هنا أيضا فإن حق الجار
 على جاره تعليمه ما يجب وأخذ من تعميم الجار في هذا الخبر حيث لم يخص جارا دون جاره أنه يجب وذو أهل المدينة ومحبة عوامهم
 وخواصهم .

﴿ وأخرج البخاري : من كان يؤمن بالله ﴾ أي يصدق بوجوده وعظيم قدرته ﴿ واليوم الآخر ﴾ أي يؤمن بوجوده وما يقع فيه
 من الأهوال وسمى آخر لأنه لا ليل بعده ﴿ فلا يؤذ جاره واستوصوا بالنساء خيرا ﴾ فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الصلع
 أعلاه ان ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج ﴿ وأخرج مسلم : من كان يؤمن بالله ﴾ واليوم الآخر ﴿ فليحسن إلى جاره ﴾
 بكف الأذى وبذل الندى وغير ذلك ﴿ وأخرج أحمد والبخاري : والله لا يؤمن والله لا يؤمن بالله لا يؤمن ﴾ كرهه تأكيدا ﴿ الذي لا
 يأمن جاره بوائقه ﴾ جمع بائقة وهي النازلة وهي الداهية وباقت الداهية إذا نزلت .

﴿ وأخرج أحمد والبخاري وابن حبان والحاكم : قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها
 وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جارها بلسانها قال ﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿ هي في النار قال ﴾ رجل ﴾ يا رسول الله إن فلانة تذكر
 من قلة صلاتها وصيامها وصدقتها وإنها تصدق ﴿ بالأنوار أي القطعات من الأقط ولا تؤذي جيرانها قال : هي في
 الجنة ﴾ وأخرج مسلم لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوائقه أي شروره .

﴿ وأخرج البخاري : كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول : يا رب هذا أغلق بابي دوني فمنع معروفه عني . ﴾
 أخرج الحاكم والبيهقي : عن ابن عباس ﴿ ليس المؤمن ﴾ الكامل ﴿ الذي ﴾ وفي رواية بالذي قال العزيزي : الظاهر أن الباء زائدة
 ﴿ يشيع وجاره جائع إلى جنبه ﴾ أي يجنبه أو منضما إلى جنبه فينبقى للإنسان أن لا يشيع إلا إذا شيع جاره من زوجة وخدام ونحوهما
 ولذا دعا شخص النبي صلى الله عليه وسلم لضيفا فقال له : إن كان فتكون معي عائشة فلم يرض فترك صلى الله عليه وسلم إجابته

والبزار والطبراني ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم * والطبراني عن معاوية بن جندب قلت يا رسول الله ما حق الجار على جاره قال إن مرض عدته وإن مات شيعته وإن استقرضك أقرضته وإن أعوز سترته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابه مصيبة عزته ولا ترفع بناءك فوق بناءه فتسد عليه الرمح ولا تؤذيه برمح قدرك إلا أن تعرف له منها * والبيهقي أن رجلا قال يا رسول الله دلني على عمل إذا عملت به دخلت الجنة فقال كن محسنا فقال يا رسول الله كيف أعلم أني محسن قال سل جيرانك فإن قالوا إنك محسن فأنت محسن وإن قالوا إنك مسيء فأنت مسيء * والبزار وأبو نعيم الجيران ثلاثة فجار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فأما الذي له حق واحد فجار مشرك وأما الذي له حقان فجار مسلم حق للإسلام وحق للجوار وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم

لكرامته أن يشيع وزوجه جائعة لعدم وجود شيء في حجر أزواجه صلى الله عليه وسلم اذ ذاك ﴿و﴾ أخرج ﴿البزار والطبراني﴾ عن أنس ﴿هما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم﴾ به المراد نفي الإيمان الكامل وذلك لأنه يدل على فسوة قلبه وسقوط مروءته ودناءة طبعه .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ في الكبير من حديث بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه ﴿عن﴾ جده ﴿معاوية بن جندب﴾ هكذا وقع في بعض النسخ جندب والضوابط كما في الجامع للسيوطي قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قلت﴾ : يا رسول الله ما حق الجار على جاره ؟ قال : ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ أن مرض عدته ﴿في مرضه﴾ وإن مات شيعته ﴿إلى المصلى وتصلى عليه وإلى الدفن أفضل﴾ وإن استقرضك ﴿أني طلب منك أن تقرضه شيئا﴾ أقرضته ﴿أن وجدت﴾ وإن أعوز ﴿أني ظهور عورته﴾ سترته وإن أصابه خير ﴿أني حادث سرور﴾ هنأته ﴿بأن تقول له كلمات تدل على السرور﴾ وإن أصابه مصيبة ﴿في نفس أو مال أو أهل﴾ عزته ﴿بما ورد﴾ ولا ترفع بناءك فوق بناءه ﴿رفعا يضره شرعا كما تنبه﴾ فتسد عليه الرمح أو الضوء فإن خلا عن ذلك جاز الرفع الا لذي على مسلم ﴿ولا تؤذيه برمح قدرك﴾ بكسر القاف فسكون أي طعامك الذي في القدر فأطلق الطرف وأراد المطروف ﴿الا أن تعرف له منها﴾ شيئا يقع موقعا من كفايته قال الهيثمي : في هذا الحديث أبو بكر الهذلي وهو ضعيف . وقال العلاء : فيه اسمعيل بن عياش ضعيف لكن ليس العهد فيه عليه بل على شيخه أبي بكر الهذلي فإنه أحد المتروكين . وقال الحافظ : هذا الحديث روى بأسانيد واهية لكن اختلاف مخرجها يشعر بأن للحديث أصلا .

﴿و﴾ أخرج ﴿البيهقي﴾ : أن رجلا قال : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملت به دخلت الجنة فقال ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ كن محسنا فقال : يا رسول الله كيف أعلم أني محسن قال : سل جيرانك فإن قالوا إنك محسن فأنت محسن وإن قالوا إنك مسيء فأنت مسيء ﴿قال العراقي﴾ : رواه أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن مسعود واسناده جيد انتهى ورواه أيضا ابن ماجه وابن حبان ورجاله رجال مسلم ورواه ابن ماجه أيضا من حديث كلثوم الخزاعي .

﴿و﴾ أخرج ﴿البزار﴾ وأبو الشيخ في الثواب ﴿وأبو نعيم﴾ عن جابر بأسانيد ضعيفة ﴿الجيران ثلاثة فجار له حق واحد﴾ على جاره ﴿وهو أدنى الجيران حقا وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق﴾ من هذا القسم الزوجة لأن لها حقوقا كثيرة لاسيما إن كانت قريبة فينبغي أكرامها والضرب على أذنها ﴿فأما الذي له حق واحد فجار مشرك﴾ أي كافر لا رحم له بينه وبين جاره المؤمن فهذا له حق الجوار ﴿وأما الذي له حقان فجار مسلم﴾ لا رحم له ﴿حق للإسلام وحق للجوار﴾ أما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم

ذو رحم حق للإسلام وحق للجوار وحق للرحم * والترمذي والنسائي يا أبا ذر إذا طبخت فأكثر المرق وتعاهد جيرانك * والشيخان يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة * والبيهقي حد الجوار أربعون دارا ﴿وروي﴾ أن سبب ابتلاء يعقوب بابنه يوسف عليهما السلام أنه اجتمع هو وابنه على أكل جمل مشوي وهما يضحكان وكان لهما خبز يقيم فشم ريحه واشتاهه وبكى وبكت جدة له عجزوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء أسفا على يوسف إلى أن سألت وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه ألا من كان مفطرا فليتعذ عند آل يعقوب اللهم حسن أخلاقنا ووسع أرزاقنا وقتنا عذابك يوم تبعث عبادك ﴿وروي﴾ عن عبد الله بن المبارك أنه قال فرغت من حج عاما فنبئت في الحرم فرأيت ملكين نازلين من السماء فقال أحدهما للآخر كم حج من الناس في هذا العام فقال الآخر ستمائة ألف قال فكم قبل حجهم فقال لم يقبل حج أحد منهم ثم قال لكن رجل في دمشق يحصف النعل اسمه موفق لم يأت للحج ولكن قبل حجه وبركة الحج

ذو رحم حق للإسلام وحق للجوار وحق للرحم .

﴿و﴾ أخرج مسلم و﴿الترمذي والنسائي﴾ عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿يا أبا ذر إذا طبخت فأكثر المرق﴾ وفي رواية مسلم إذا طبخت مرققة فأكثر ماءها ﴿وتعاهد جيرانك﴾ قال في القاموس : التعهد والتعاهد والاعتقاد ان يلتزم بحافظة شيء ويتقصد أحواله ولا يغفل عنه أصلا يقال تعهد وتعاهد واعتهد إذا تقصد واحداث العهد به انتهى . وقال بعضهم : أمر نبي وارشاد إلى مكارم الأخلاق . وروى ابن أبي شيبة في المصنف من حديث جابر : إذا طبخت اللحم فأكثر المرق فإنه أوسع وأبلغ للجيران . ﴿و﴾ أخرج ﴿الشيخان﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة﴾ الفرسن للبعير كالحافر للفرس وقد يستعار للشاة قال بعضهم : الخطاب للمهديات يعني لا تمتنع جارة من الهدية لجارتها احتقارا للموجود عندها بل يجود بما تيسر ويجوز أن يكون الخطاب لمن أهدي اليهن يعني لا تحقرن هدية جارتها بل تقبلها وإن كانت قليلة . ﴿و﴾ أخرج ﴿البيهقي﴾ عن عائشة رضي الله عنها ﴿حد الجوار﴾ بكسر الحيم وضمها ﴿أربعون دارا﴾ من كل جانب من الجوانب الأربع وفيه حجة لمذهب الشافعي لو أوصى لجواراته صرف لأربعين دارا من كل جانب وقال أبو حنيفة : يصرف إلى الجار الملاصق فقط .

﴿وروي﴾ أن سبب ابتلاء يعقوب بابنه يوسف عليهما السلام أنه اجتمع هو وابنه على أكل جمل مشوي وهما يضحكان وكان لهما خبز يقيم فشم ريحه واشتاهه وبكى وبكت جدة له عجزوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء أسفا على يوسف إلى أن سألت وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك أن سبب ابتلاء المذكور ﴿كان﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه ألا من كان مفطرا فليتعذ عند آل يعقوب اللهم حسن أخلاقنا ووسع أرزاقنا وقتنا عذابك يوم تبعث عبادك﴾ .

﴿وروي﴾ عن عبد الله بن المبارك ﴿رحمه الله تعالى﴾ أنه قال : فرغت من حج عاما ﴿من الأعوام﴾ فنبئت في الحرم فرأيت في منامي ﴿ملكين نازلين من السماء فقال أحدهما للآخر : كم حج بيت ربنا﴾ من الناس في هذا العام ؟ فقال الآخر : ستمائة ألف . قال ﴿الأحد﴾ ﴿فكم قبل حجهم ؟﴾ فقال ﴿الآخر﴾ ﴿لم يقبل حج أحد منهم ثم قال : لكن رجل في دمشق يحصف النعل﴾ بفتح الهمزة وكسر الصاد أي يحوزها ويطبق طاقا على طاق ﴿اسمه موفق لم يأت﴾ بيت الحرم ﴿للحج ولكن قبل حجه وبركة الحج﴾ أني حج ذلك

قبل حج الكل فأتته فقصدت دمشق ووصلت إلى بابه فخرج إلى رجل فسأله عن اسمه فقال موق فقلت أي خير خرج منك حتى وجدت هذه الدرجة فقال كنت أرجو الحج وما أمكنني لصيق يدي فحصلت ثلاثمائة درهم من خصف النعل وقصدت الحج في هذه العام وكانت امرأتي حاملاً فشمت ربح الطعام من دار جاري فاشتيت ذلك فقصدت بيت الجار فخرجت امرأة فأخبرتها فقالت لقد اضطررت إلى شرح الحال فلئن أتاني لم يطعموا شيئاً ثلاثة أيام فخرجت فرأيت حماراً ميتاً فقطعت منه قطعة وطبخته فهو حلال لنا وحرام عليكم فجئت داري وأخذت الثلاثمائة درهم ورجت بها إلى دار جاري وأعطيتها وقلت لها أنقضي على أيتامك وقلت لنفسني إن الحج في باب داري فإني أذهب

الرجل ﴿ قبل حج الكل ﴾ أي كل الناس وهم ستمائة ألف قال ابن المبارك ﴿ فأتته ﴾ من نومي ﴿ فقصدت دمشق ووصلت إلى بابه ﴾ أي الرجل ﴿ فخرج إلى رجل فسأله عن اسمه فقال ﴾ اسمي ﴿ موق فقلت ﴾ أي خير خرج منك حتى وجدت هذه الدرجة ؟ ﴿ العظيمة ﴾ فقال كنت أرجو الحج وما أمكنني لصيق يدي ﴿ أي ذات يدي من المال ﴾ فحصلت ثلاثمائة درهم من خصف النعل ﴿ أي حرزها ﴾ وقصدت الحج في هذا العام وكانت امرأتي حاملاً فشمت ربح الطعام من دار جاري فاشتيت ﴿ ذلك ﴾ الطعام ﴿ فقصدت بيت الجار فخرجت امرأة فأخبرتها ﴾ بحاجتي إلى طعامها لأجل زوجتي ﴿ فقالت ﴾ الجارية ﴿ لقد اضطررت إلى شرح الحال ﴾ وبأنها ﴿ فان أتاني لم يطعموا شيئاً ﴾ من الطعام ﴿ ثلاثة أيام فخرجت فرأيت حماراً ميتاً فقطعت منه ﴾ أي من ذلك الحمار ﴿ قطعة وطبخته فهو حلال لنا ﴾ لاضطرارنا ﴿ وحرام عليكم ﴾ لعدم اضطراركم قال الرجل ﴿ فجئت داري وأخذت الثلاثمائة درهم ورجت بها إلى دار جاري وأعطيتها وقلت لها ﴾ أي تلك الجارية ﴿ أنقضي على أيتامك وقلت لنفسني إن الحج ﴾ أي ثوابه في ﴿ باب داري فإني أذهب ﴾ .

خاتمة ينبغي للمسلم كما قاله أبو الليث أن يصبر على أذى الجار ولا يؤذي جاره ويكون بحال يكون جاره آمناً منه وأمانه لجاره يكون ثلاثة أشياء باليد وباللسان وبالغرة فإما أمانه يده فهو أن جاره لو كان بالسوق وتذكر أن كيسه نسيه في منزله فانه لا يخاف عليه ويقول: منزله ومنزلي سواء وأما أمانه بلسانه فهو أن لا يكلم بكلام لو دخل عليه جاره لسكت أو لو بلغ إلى جاره لاستحى منه وأما أمانه بالغرة فهو أنه لو كان في السفر فبلغه أن جاره دخل منزله لسكن قلبه وفرح وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ثلاثة أخلاق كانت مستحبة للمسلمين الأولى بها أولها: لو نزل بهم ضيف لاجتهدوا في بره. وثانيها: لو كانت لواحد منهم امرأة كبرت عنده لا يطلعها ويمسكها مخافة أن تضيق. وثالثها: إذا لحق بجارهم دين أو أصابه شدة أو جهد اجتهدوا حتى يقضوا دينه وأخرجوه من تلك الشدة وروى سفيان الثوري أنه قال: عشرة أشياء من الحفا أولها رجل أو امرأة يدعون لنفسه ولا يدعون لوالديه والمؤمنين. وثانيها: رجل يقرأ القرآن ولا يقرأ في كل يوم مائة آية. وثالثها: رجل دخل المسجد وخرج ولم يصل ركعتين. ورابعها: رجل يمر على المقابر ولم يسلم عليهم ولم يدع لهم. وخامسها: رجل دخل مدينة يوم الجمعة ثم خرج ولم يصل الجمعة. وسادسها: رجل أو امرأة نزل في محلتهما عالم ولم يذهب إليه أحد ليتعلم منه شيئاً من العلم. وسابعها: رجلان ترافقا ولم يسأل أحدهما عن اسم صاحبه. وثامنها: رجل دعاه رجل إلى الضيافة فلم يذهب إلى الضيافة. وتسعها: شاب يضع شبابه وهو فارغ ولم يطلب العلم والأدب. وعاشرها: شعبان وجاره جانع ولم يعطيه شيئاً من طعامه وعلم حسن الحوار في أربعة أشياء أولها أن يواسيه بما عنده. وثانيها: أن لا يطعم فيما عنده. وثالثها: أن يمنع أذاه عنه. ورابعها: أن يصبر إذاه والله أعلم.

﴿باب القتل﴾

﴿باب﴾ اثم ﴿القتل﴾ أى قتل المسلم أو الذمى المعصوم عمدا أو شبه عمدا

قال الله تعالى: ومن يفعل ذلك أى قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وما بعده وما قبله يلحق أئاما بضعاف له العذاب يوم القيامة ويحثل فيه مهانا إلا من تاب وقال تعالى: من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير حق أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا. اختلف العلماء في متعلق في أجل والأظهر أنه كتبنا وذلك إشارة إلى قتل ابن آدم لأخيه والأجل في الأصل الجنابة يقال أجل الأمر أجلا وأجلا بفتح الهززة وكسرها إذا جنأ وحده فمعنى فعلته من أجلك أو لأجلك أى بسببك لأنك جنيت فعله وأوجنته ثم صار يستعمل بمعنى السبب ومن لا بداء الغاية أى نشأ الكذب وابتدى من جنابة القتل ووجه المناسبة بين ما بعد من أجل وهو كذب القصص على بنى إسرائيل وما قبلها وهو قصة قابيل وهيل ما قاله الحسين والضحاك أنهما من بنى إسرائيل لا ولد آدم عليه الصلاة والسلام ولصلبه وعلى الأصح أنهما ولده لصلبه فالإشارة ليست لمجرد قتل قابيل لما يربى على ذلك من المقاصد الحاصلة بسبب القتل المحرم كقوله تعالى: فأصبح من النادمين أى حصل له أنواع الندم والخسرة والحزن هكذا قاتل ظلما فيحصل له ذلك الخسار والندم الذي لا دافع له،

وانما خص كذب بنى إسرائيل مع أنه جار في أكثر الأمم تغليظا على اليهود وبيان الخسار هم الأكبر لأنهم مع علمهم بما وقع لقابل من الخسار والندم أن أخاه المقتول لم يكن نبيا أقدموا على قتل الأنبياء والرسل وذلك يدل على غاية قساسة قلوبهم وبعدها عن طاعة الله تعالى وأيضا فالغرض من ذكر هذه القصص تسلية نبينا صلى الله عليه وسلم عما وقع منهم من العزم على الفتك به وبأصحابه فخصوا بالذكر لذلك ثم قوله تعالى: من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل استدلاله بالقائلين بالقياس أن أفعاله تعالى قد تغل والمعتزلة على أن أفعاله تعالى معللة بمصالح العباد فيمتنع خلقه للكفر والقبائح فيهم وإرادته وقوعها منهم لأنه حينئذ لا يكون مراعى لمصالحهم وأجاب القائلون باستحالة تعليل أحكامه تعالى بأن العلة أن كانت قديمة لزم المعلول أو محدثة لزم تعليلها بعلة أخرى ولزم التسلسل وبأنها لو كانت معللة بعلة فوجود تلك العلة وعدمها بالنسبة إلى الله تعالى أن كانا سواء منع كونه علة أو غير سواء فأجدهما به أولى وذلك يقتضى كونه مستقيما تلك الأولوية من ذلك الفعل على الدواعى ويمتنع وقوع التسلسل في الدواعى بل يجب انتهاءها إلى الداعية الأولى التي حدثت في العبد لأمته بل من الله تعالى وحينئذ فالكل منه فيمتنع تعليل أحكامه تعالى وأفعاله برعاية المصالح فظاهر هذه الآية غير مراد وانما ذلك حكمة شرع هذا الحكم لهم وقال الله تعالى: قل فمن يملك من الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا. فهذا نص في أنه يحسن من الله كل شيء لا يتوقف خلقه وحكمه على رعاية المصالح البتة وقوله تعالى: أوفساد هو بالجر عند الجمهور عطفا على نفس أى أو بغير فساد احترازا من القتل للفساد كالقود والكفر والزنا بعد الإحصان وقطع الطريق ونحوه.

وجعل قتل النفس الواحدة كقتل جميع الناس مبالغة في تعظيم أمر القتل الظلم وتفخيما لشأنه أى كما أن قتل جميع الناس أمر عظيم القبح عند كل أحد فكذلك قتل الواحد يجب أن يكون كذلك فالمراد مشاركتها في أصل الاستعظام لا في قدره إذ تشبيه أحد النظيرين بالآخر لا يقتضى مساواتهما من كل وجوه وأيضا فالناس لو علموا من إنسان يريد قتلهم جدوا في دفعه وقتله فكذا يلزمهم إذا علموا من إنسان أنه يريد قتل آخر ظلما أن يجدوا في دفعه وأيضا من فعل قتل ظلما رجح داعية الشر والشهوة والغضب على داعية الطاعة فمن قتل إنسانا ظلما فكأنما قتل جميع الناس بهذا الاعتبار وقال ابن عباس رضى الله عنهما: من قتل نبيا أو اماما عدلا فكأنما قتل الناس

قال الله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما

جميعا ومن شد عضد أحدهما فكأنما أحيا الناس جميعا . وقال مجاهد : من قتل نفسا محرمة يصلي النار بقتلها كما يصلاها لو قتل الناس جميعا ومن أحياها أى من سلم من قتلها فكأنما سلم من قتل الناس جميعا . وقال قتادة : أعظم الله أجرها وأعظم وزرها أى من قتل مسلما ظلما فكأنما قتل الناس جميعا في الائم لأنهم لا يسلمون منه ومن أحياها فتورع عن قتلها فكأنما أحيا الناس جميعا في الثواب لسلامتهم منه . وقال الحسن : فكأنما قتل الناس جميعا أى أنه يجب عليه من القصاص ما يجب عليه لو قتل الكل ومن أحياها أى عفا عماله عليه قود فكأنما أحيا الناس جميعا . وقال سليمان بن علي للحسن : يا أبا سعيد أهدى لنا كما كانت لبني اسرائيل قال : والذي لا اله غيره ما كانت دماء بني اسرائيل أكرم على الله من دمائنا .

وقال الله تعالى : ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم ﴿ نزلت في مقيس بن صباية الكنانى وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه هشاما قتيلا في بني النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر إلى بني النجار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن غلتم قاتل هشام بن صباية أن تدفعوه إلى أخيه مقيس فيقتل منه وإن لم تعلموه ادفعوه إليه دية فبلغهم الفهرى ذلك فقالوا : سمعنا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكننا نؤدى إليه دية فاعطوه مائة من الأبل فانصرفا راجعين نحو المدينة فأتى الشيطان مقيسا فوسوس إليه فقال له : تقبل دية أخيك اقتل الفهرى الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بيرا من الأبل وساق بيتهما راجعا إلى مكة كافرين وقاتل في ذلك :

قلت به فهزأ وحملت عقله ﴿ سراة بني النجار أرباب قارح

وأدركت ثأرى واضطجعت موسدا ﴿ وكنت إلى الاحنام أول راجع

فنزلت فيه : ومن يقتل مؤمنا متعمدا يعنى قاصدا لقتله فجزاؤه جهنم ﴿ خالدا فيها ﴾ يعنى بكفره وارتداده وهو الذي استثناء النبي ﷺ يوم فتح مكة عن أمنه من أهلها فقتل وهو متعلق بأسار الكعبة ﴿ وغضب الله عليه ﴾ يعنى لأجل كفره وقتله المؤمن متعمدا ﴿ ولعنه ﴾ يعنى وطرده عن رحمته ﴿ وأعد له عذابا عظيما ﴾ .

اختلف العلماء في حكم هذه الآية هل هى منسوخة أم لا وهل لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة أم لا فروى عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس رضى الله عنهما : ألن قتل مؤمنا من توبة ؟ قال : لا قلت عليه الآية التي في الفرقان : والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الى آخر الآية قال : هذه آية منسوخة آية مدينة : ومن قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم . وفي رواية اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن فرحلت إلى ابن عباس فقال : نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء . وفي رواية أخرى قال ابن عباس : نزلت هذه الآية بالمدينة : والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله مهانا وقال المشركون : وما يغنى عنا الاسلام وقد عد لنا بالله وقد قلنا النفس التي حرم الله وأتينا الفواحش فانزل الله تعالى : الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الآية زاد في رواية فأما من دخل في الاسلام ثم قتل فلا توبة له أخرجاه في الصحيحين وروى عن علي بن أبي طالب ؓ أنه ناظر ابن عباس في هذه الآية فقال : من أين لك من أنها بحكمة فقال ابن عباس : تكافؤ الوعيد فيها . وقال ابن مسعود : أنها بحكمة وما ترداد الاشددة . وعن خارجة بن زيد قال : سمعت زيدا بن ثابت يقول : أنزلت هذه الآية : ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التي في القرآن : والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ستة أشهر أخرجه أبو داود والنسائي وفي رواية ثمانية أشهر وقال زيد بن ثابت : لما

أخرج الشيخان عن أبي هريرة أجتنبوا السبع الموبقات أي المهلكات قيل يا رسول الله ما هن قال الإشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله بالإباحة والحديث * والنسائي والحاكم وصححه عن معاوية قال قال رسول الله ﷺ كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا *

نزلت هذه الآية التي في القرآن : والذين لا يدعون مع الله الها آخر عجبنا من ليها فلبثنا سبعة أشهر ثم نزلت الغلظة بعد اللينة وأراد بالغلظة هذه الآية التي في سورة النساء وباللينة آية الفرقان .

وذهب الأكثرون عن علماء السلف والخلف إلى أن هذه الآية منسوخة فاختلفوا في ناسخها فقال بعضهم : نسختها التي في الفرقان وليس هذا القول بصحيح لأن آية الفرقان نزلت قبل آية النساء والمقدم لا ينسخ المتأخر . وذهب جمهور من قال بالنسخ إلى أن ناسخها الآية التي في النساء أيضا وهي قوله تعالى : ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . وإجاب من ذهب إلى أنها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين بأن هذه الآية خبر عن وقوع العذاب عن فعل ذلك الأمر المذكور في الآية والنسخ لا يدخل الأخبار ولئن سلمنا أنه يدخلها النسخ لكن الجمع بين الآيتين ممكن بحيث لا يكون بينهما تعارض وذلك بأن يحمل مطلق آية النساء على تنيد آية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم إلا من تاب . وقال بعضهم : ما ورد عن ابن عباس إنما هو على سبيل التشديد والمبالغة في الزجر عن القتل فهو كما روى عن سفيان بن عيينة أنه قال : ان لم يقتل يقال له لا توبة لك وان قتل ثم ندم وجاء ثانيا يقال له لك توبة وقيل أنه قد روى عن ابن عباس مثله وروى عنه أيضا أن توبته تقبل وهو قول أهل السنة ويدل عليه الكتاب والسنة فقوله تعالى : وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى . وقوله : ان الله يغفر الذنوب جميعا . وأما السنة فما روى عن جابر بن عبد الله قال : جاء أعمرى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما الموبقات ؟ قال : من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار أخرجه مسلم . واعلم أن الله تعالى ذكر العمد في تلك الآية والخطأ في التي قبلها ولم يذكر في كتابه شبه العمد فلذلك اختلف الأئمة في اثباته فأثبتته الشافعي كالأكرين ونفاه مالك وجماعة وقالوا : فيمن قتل بما لا يقتل غالبا كعضة ولطمة وضربة بسوط أنه عمد وفيه القود أيضا وأجمعوا على أن دية العمد في مال الجاني ودية الخطأ على العاقلة واختلفوا في دية شبه العمد فقال جمع : انها على الجاني والأكرين أنها على العاقلة ،

وخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اجتنبوا» أي ابعدوا وهو أبلغ من لا تفعلوا «السبع» أي الكبائر السبع المذكورة في هذا الخبر لاقتضاء المقام ذكرها فقط والافهى إلى السبعين بل قيل إلى السبعمائة أقرب «الموبقات» بموحدة مكسورة وقلف «أي المهلكات» جمع موبقة سميت بذلك لأنها سبب لاهلاك مرتكبيها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبة وفي الآخرة من العذاب «قيل يا رسول الله ما هن ؟» قال «صلى الله عليه وسلم» «الإشراك بالله» «والسحر» «وقتل النفس التي حرم الله» «عمدا أو شبهه» «إلا بالحق» أي يفعل موجب للقتل شرعا «الحديث» أي اقرأ الحديث إلى آخره وهو قوله وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف الحصنات المؤمنات الغافلات ،

«وخرج» «النسائي والحاكم وصححه عن معاوية» رضي الله عنه «قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل ذنب عسى الله أن يغفره» أي أرجو من الله غفرته «إلا» «ذنب» «الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا» هذا محمول على من استحل القتل أو على الزحف والتنفير أو ماعداء الشرك من الكبائر يجوز أن يغفر وإن مات صاحبه بلا توبة

وأبو داود وابن حبان عن أبي الدرداء كل ذنب عصى الله أن يغفره إلا الرجل يموت مشركاً أو يقتل مؤمناً متعمداً * وأبو داود والضياء عن عبادة من قتل مؤمناً فاعبط بقله لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً أي فرفضاً ولا نقلاً * والنسائي والضياء عن بريدة قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا * والترمذي عن أبي هريرة لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبههم الله عز وجل في النار * وابن ماجه عنه من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة لقي الله مكروباً بين عينيه آيس من رحمة الله * والنسائي عن ابن مسعود أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة وأول ما يقضي به بين الناس في الدماء * وأحمد قسمت النار سبعين جزءاً فللأمر تسع وستون وللقاتل جزء حسبه *

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود وابن حبان﴾ وغيرهما ﴿عن أبي الدرداء﴾ رضي الله عنه ﴿كل ذنب عصى الله أن يغفره﴾ أي ترجى مغفرته ﴿إلا الرجل يموت مشركاً﴾ يعني كافراً وخص الشرك لغلبيه حينئذ ﴿أو يقتل مؤمناً متعمداً﴾.

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود والضياء﴾ المقدسي ﴿عن عبادة﴾ بن صامت بإسناد صحيح ﴿من قتل مؤمناً فاعبط بقله﴾ يعني مهلة أي قتله ظلماً لا عن قصاص وقيل بمعجمة من الغبطة الفرح لأن القاتل يفرح بقتل عدوه ﴿لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً﴾ نقلاً عن مكذا قاله العلقمي وقيل غير ذلك والقول أكبر الكبار بعد الكفر قال المناوي: وفي بعض الأحاديث التي لم أقف لها على طريق من هدم بيتان الله فهو ملعون أي من قتل نفساً ظلماً. قال العلقمي: وهذا من الاستعارات التي لا تبلغ منها ﴿و﴾ أخرج ﴿النسائي والضياء﴾ عن بريدة بإسناد حسن ﴿قتل المؤمن﴾ بغير حق ﴿أعظم عند الله من زوال الدنيا﴾ أي لو تأتى من شخص أن يزيل الدنيا بأرضها وسماها وما فيها فقتل المؤمن أعظم من ذلك.

﴿و﴾ أخرج ﴿الترمذي عن﴾ أبي سعيد الخدري و﴿أبي هريرة﴾ رضي الله عنهما ﴿لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن﴾ أي في سفكه ظلم ﴿لأكبههم الله عز وجل﴾ على وجوههم ﴿في النار﴾ قاله لما وجد قتيل في زمنه صلى الله عليه وسلم فسألهم: هل تعرفون قاتله؟ فقالوا: الله أعلم فخطب خطبة وذكر هذا الحديث فيه مزيد التنفير عن القتل هكذا ذكره الحفني ﴿و﴾ أخرج ﴿ابن ماجه عنه﴾ أي عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة﴾ نحو أق يعنى أقتله ﴿لقى الله مكروباً بين عينيه آيس من رحمة الله﴾ قال المناوي: كناية عن كونه كافراً إذ لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون وهذا زجر وتهويل أو المراد يستمر هذا حاله حتى يظهر بالنار ثم يخرج.

﴿و﴾ أخرج ﴿النسائي عن ابن مسعود﴾ رضي الله عنه ﴿أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة﴾ لأنها عماد الدين ﴿وأول ما يقضي به بين الناس في الدماء﴾ أي قتل بعضهم بعضاً فقد ورد أن المقتول يحج برأسه على كفه مع خصمه ويقول: يا رب سئل هذا بما قتلتني فأخذ حسنته إن كانت والأطرح عليه سيئاته حتى يلقي في النار ولا ينافي ذلك ما قبله لأن أول من يحاسب الإنسان عليه من حقوق الله الصلاة لأنها أكد حقوقه وأول ما يحاسب عليه من حقوق الآدميين القتل لأنه أشد حقوقهم.

﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد﴾ عن رجل صحابي بإسناد صحيح ﴿قسمت النار﴾ بالبناء للمفعول ﴿سبعين جزءاً فللأمر﴾ بمد الحمزة بالقتل ﴿تسع وستون﴾ جزءاً منها ﴿وللقاتل﴾ أي المباشر للقتل ﴿جزء حسبه﴾ أي يكفيه هذا القدر من العذاب وسببه أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن القاتل والأمر فذكره قال الحفني: فظهره يدل على أن الأمر بالقتل أشد عذاباً من المباشر وليس هو المراد بل قصد بذلك التنفير عن الأمر بالقتل والتسبب فيه بوجه ما ولو بشطر كلمة وأخرج أحمد يخرج عن من النار يتكلم ويقول وكنت اليوم بثلاثة

والبراز والطبراني يخرج عنق من النار يتكلم بلسان طلق ذلق له عينان يبصر بهما وله لسان يتكلم به فيقول إني أمرت بمن جعل مع الله الها آخر وكل جبار عنيد ومن قتل نفسا بغير حق فينطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام * وابن حبان في صحيحه إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول من خذل اليوم مسلما ألبسه التاج قال فيجيء هذا فيقول لم أزل به حتى طلق امرأته فيقول يوشك أن يتزوج ويحيى هذا فيقول لم أزل به حتى أشرك بالله فيقول أنت أنت ويلبسه التاج ويحيى هذا فيقول لم أزل به حتى قتل فيقول أنت أنت ويلبسه التاج * والبخاري الذي يخنق نفسه بخنقها في النار والذي يطعن نفسه يطعن نفسه في النار والذي يقتحم يقتحم في النار * والشيخان من حلف على يمين بئمة غير الإسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة وليس على رجل نذر فيما لا يملك ولعن المؤمن ككلمته

بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله الها آخر ومن قتل نفسا بغير حق فنطوى عليهم فيقذفهم في جمر جهنم،

﴿و﴾ أخرج ﴿البراز والطبراني﴾ باسنادين أحدهما صحيح ﴿يخرج عنق من النار يتكلم بلسان طلق﴾ أي فصيح عذب التطوى ﴿ذلق﴾ في المختار ذلق اللسان من باب طرب أي ذرب يعني صار حادا ﴿له﴾ أي لذلك العنق ﴿عينان يبصر بهما وله لسان يتكلم به فيقول: إني أمرت بمن﴾ أي يأخذ من ﴿جعل مع الله الها آخر وكل جبار عنيد﴾ أي معاند للحق ﴿ومن قتل نفسا بغير حق فينطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام﴾.

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن حبان في صحيحه إذا أصبح إبليس اللعين﴾ بث جنوده فيقول: من خذل اليوم مسلما ألبسه التاج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فيجيء هذا﴾ أي بعض الجنود ﴿فيقول﴾ لا بليس ﴿لم أزل به﴾ أي بالمسلم ﴿حتى طلق امرأته فيقول: يوشك أن يتزوج ويحيى هذا﴾ أي بعض الآخر ﴿فيقول﴾ له ﴿لم أزل به حتى أشرك بالله فيقول: أنت أنت﴾ حاذق ﴿ويلبسه التاج ويحيى هذا فيقول: لم أزل به حتى قتل النفس بغير حق﴾ فيقول ﴿إبليس ما حاله أنت أنت ويلبسه التاج﴾ وأخرج مسلم في صحيحه عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة وفيه عن جابر أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يحنى أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئا قال: ثم يحنى أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقه بينه وبين امرأته قال: قدينه منه ويقول: نعم أنت فيلزمه وفي رواية يبعث الشيطان سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة،

﴿و﴾ أخرج ﴿البخاري: الذي يخنق نفسه بخنقها في النار والذي يطعن نفسه يطعن نفسه في النار والذي يقتحم يقتحم في النار﴾ و﴿أخرج﴾ الشيخان ﴿عن ثابت بن الضحاك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم﴾ من حلف على يمين بئمة غير الإسلام بالجر صفة للملة ﴿كاذبا متعمدا فهو كما قال﴾ ظاهر الحديث يدل على أن مسلما لو قال إن أفعل كذا فانا يهودي ففعل يكفر وبه عمل الشافعي. وقالت الحنيفة: لا يكفر فحملوا الحديث على التهديد وأما إن علقه بالماضي كقوله: إن فعلت كذا فانا يهودي وقد فعل فقد اختلفت الحنيفة قال بعضهم: لا يكفر اعتبارا بالمستقبل وقيل يكفر والصحيح أنه يكفر إن كان يعلم أنه يمين لكنه يكون غموسا وإن كان عنده أنه يكفر بالحلف يكفر لأنه رضى بالكفر وهو محمل الحديث عند الأكرين ﴿ومن قتل نفسه بشيء﴾ ولمسلم بحديدة ﴿عذب به﴾ أي بذلك الذي قتل نفسه به ﴿يوم القيامة﴾ وللبخاري في نار جهنم قال الشيخ تقي الدين: وهو من باب مجانسة العقوبات الأخروية للجنايات الدنيوية وفيه أن جنابة الإنسان على نفسه كجنابته على غيره في الائتم لأن نفسه ليست له ملكا مطلقا بل هي لله فلا تصرف فيها الا فيما أذن فيه ﴿وليس على رجل نذر فيما لا يملك ولعن المؤمن﴾ بأن يدعو عليه باللعن ﴿كلمته﴾ في التحريم أو العقاب،

ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله ومن ذبح نفسه بشيء عذب به يوم القيامة * وفي كتابه ﷺ إلى أهل اليمن إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الإشرak بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق الحديث

وأبدى الشيخ تقي الدين في ذلك سؤالا بان يقال اما أن يكون كقتله في أحكام الدنيا أو في أحكام الآخرة فلا سبيل إلى الأول لأن قتله يوجب القصاص ولعنه لا يوجب ذلك وأما أحكام الآخرة فاما أن يراد التساوي في الأثم أو في العقاب وكلاهما مشكل لأن الأثم يتفاوت بتفاوت مفسدة الفعل وليس اذهاب الروح في المفسدة كمفسدة الأذى باللعن وكذلك العقاب يتفاوت بحسب تفاوت الجرائم . وقال المارزي : فيما نقله عنه القاضي العياض : الظاهر من الحديث تشبيهه في الأثم وهو تشبيهه واقع لأن اللعنة قطع عن الرحمة والموت قطع عن التصرف . قال القاضي عياض : وقيل لعنه يقتضي قصد اخراجه من المسلمين ومنعهم منافعه وتكثير عددهم به كما لو قتله . وقيل لعنه يقتضي قطع منافعه الآخروية عنه وبعده باجابة لعنه وهو كمن قتل في الدنيا وقطعت منافعه فيها . وقيل معناه استواؤهما في التحريم قال في المصايح : هذا يحتاج إلى تخلص ونظر فأما ما حكاه عن المارزي من أن الظاهر من الحديث تشبيهه في الأثم وكذلك ما حكاه من أن معناه استواؤهما في التحريم فهذا يحتمل أمرين أحدهما أن يقع التشبيه والاستواء في أصل التحريم والأثم . والثاني أن يقع في مقدار الأثم فأما الأول فلا ينبغي أن يحمل عليه لأن كل معصية قتل أو عظمت فهي مشابهة ومساوية للقتل في أصل التحريم وليس في الحديث كبير فائدة مع أن المفهوم تعظيم الأمر اللعنة تشبيها بالقتل وأما الثاني فقد بينا ما فيه من الأشكال وهو التفاوت في المفسدة بين أزهاق الروح وبين الأذى باللعنة وأما ما حكاه المارزي من أن اللعنة قطع الرحمة والموت قطع التصرف فالكلام عليه من وجهين أحدهما أن نقول اللعنة قد طلق على نفس البعاد الذي هو فعل الله وعلى هذا يقع فيه التشبيه والثاني : أن تطلق اللعنة على فعل اللاعن هو طلبه لذلك البعاد فتقوله لعنة الله مثلا ليس بقطع عن الرحمة بنفسه ما لم تنصل به الاجابة فيكون حثيذا سببا إلى قطع التصرف ويكون نظيره التسبب إلى القتل غير انها يفترقان في أن التسبب إلى القتل بمباشرة مقدمات تقضي إلى الموت بمطرود العادة فلو كانت مباشرة اللعنة مفضية إلى البعاد الذي هو اللعن دائما لاستوى اللعن مع مباشرة مقدمات القتل أو زاد عليها وبهذا يتبين لك الإيراد على ما حكاه القاضي من أن لعنه له يقتضي قصد اخراجه عن جماعة المسلمين كما لو قتله فان قصد اخراجه لا يستلزم اخراجه كما تستلزم مقدمات القتل وكذلك أيضا ما حكاه من أن لعنه يقتضي قطع منافعه الآخروية عنه وانما يحصل ذلك باجابة الدعوة وقد لا يجاب في كثير من الأوقات فلا يحصل انقطاعه عن منافعه كما يحصل بقتله ولا استواء القصد إلى القطع بطلب الاجابة مع مباشرة مقدمات القتل المفضية إليه في مطرد العادة . والذي يمكن أن يقرر به ظاهر الحديث في استوائها في الأثم ان نقول لانسلم أن مفسدة اللعنة مجرد أذاه بل فيها مع ذلك لاجابة الدعوة فيه بموافقة ساعة لا يسئل الله فيها شيئا إلا أعطاه كما دل عليه الحديث من القول عليه الصلاة والسلام لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أموالكم ولا تدعوا على أولادكم لا توافقون ساعة الحديث وإذا كان عرضه باللعنة لذلك ووقعت الاجابة وابعاده من رحمة الله كان ذلك أعظم من قتله لأن القتل تغريت الحياة الفانية قطعاً والبعاد من رحمة الله أعظم ضرراً بما لا يحصى وقد يكون أعظم الضررين على سبيل الاحتمال مساوياً أو مقارباً لاخفهما على سبيل التحقيق ومقادير المصالح والمفاسد واعدادهما أمر لا سبيل للبشر إلى الاطلاع على حقائقه .

ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله ومن ذبح نفسه بشيء عذب به يوم القيامة . وفي كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن ان أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الإشرak بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق الحديث . والآخرة وهو قوله : والفرار يوم النوح .

﴿وروي﴾ عن أبي حازم أنه قال شهدت عمر بن عبد العزيز وقد رقد رقة على أثر وجد وجدته فبكى ثم ضحك فلما اتته قال أبو حازم يا أمير المؤمنين ما الذي عراك في منامك حتى ضحكت بعد البكاء قال أ رأيت ذلك قلت نعم وجميع من حولك قال رأيت كأن يوم القيامة قد قامت وقد حشر الناس مائة وعشرين صفاً أمة محمد منهم ثمانون صفاً وإذا مناد ينادي أين عبد الله بن أبي قحافة فأجاب فأخذته الملائكة فأوقفوه أمام ربه عز وجل فحوسب حساباً يسيراً ثم نجا وأمر به وبصاحبيه إلى الجنة ثم نودي بعلي بن أبي طالب فجيء به فحوسب حساباً يسيراً ثم أمر به إلى الجنة قال عمر بن عبد العزيز فلما قوبل الأمر مني نودي أين عبد العزيز قال فتصيت عرفاً ثم أخذتني الملائكة فأوقفوني أمام الحق سبحانه وتعالى فسألني عن النقيير والقطمير وعن كل قضية قضيتها ثم غفر لي فأمر بي ذات اليمين فمررت بحيفة ملقاة فقلت للملائكة ما هذه الحيفة فقالوا سله يجيبك فتقدمت إليه فسألته ووكرته برجلي فرفع رأسه وفتح عينيه فقلت من أنت فقال من أنت فقلت أنا عمر بن عبد العزيز فقال لي ما فعل الله بك فقلت تفضل علي ورحمني وفعل بي كما فعل بمن سلف من الأئمة فقال ليهنك ما صرت إليه فقلت له من أنت فقال أنا الحجاج بن يوسف قدمت على الله عز وجل فوجدته شديد العقاب والغضب قلني بكل قيل قلته قلته وقلني بسعيد ابن جبير سبعين قتلة وها أنا بين يدي ربي أنتظر ما ينتظر الموحدون من ربه إنا إلى الجنة وإنا إلى النار ﴿تنبه﴾ قد أجمع العلماء على أن تعد قتل المكلف آدمياً محترماً بلا حق أكبر الكبائر *

﴿وروي﴾ عن أبي حازم ﴿رحمه الله تعالى﴾ أنه قال: شهدت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ﴿وقد رقد رقة﴾ أي نام نومة ﴿على أثر وجد﴾ بفتح الواو أي حزن ﴿وجدته فبكى﴾ عمر بن عبد العزيز ﴿ثم ضحك﴾ في أثناء نومه ﴿فلما اتته﴾ من تلك التومة ﴿قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين ما الذي عراك﴾ أي أصابك ﴿في منامك حتى ضحكت بعد البكاء﴾ قال: أ رأيت ذلك الذي أعتراني في المنام من البكاء والضحك ﴿قلت: نعم﴾ رأيت ذلك بل ﴿و﴾ رأى ﴿جميع من حولك﴾ قال رأيت كأن يوم القيامة قد قامت وقد حشر الناس مائة وعشرين صفاً أمة محمد منهم ثمانون صفاً وإذا مناد ينادي أين ﴿عبد الله بن أبي قحافة﴾ رضي الله عنه ﴿فأجاب﴾ ابن أبي قحافة ﴿فأخذته الملائكة فأوقفوه أمام ربه﴾ أي قدماه ﴿عز وجل فحوسب حساباً يسيراً ثم نجا﴾ وأمر به وبصاحبيه ﴿وهما النبي ﷺ وعمر بن الخطاب﴾ إلى الجنة ثم نودي بعلي بن أبي طالب ﴿فجيء به فحوسب حساباً يسيراً ثم أمر به إلى الجنة﴾ قال عمر بن عبد العزيز: فلما قرب الأمر مني نودي أين عمر بن عبد العزيز قال: فتصيت عرفاً وهو ما سال من الجسد جمعه عروق وأعراق كما في المصباح ﴿ثم أخذتني الملائكة فأوقفوني أمام الحق سبحانه وتعالى فسألني عن النقيير والقطمير﴾ يعني عن كل شيء ولو قليلاً وأصل النقيير النكة في ظهر النواة والقطمير القشرة الرقيقة التي على النواة كاللغافة لها ﴿سألني﴾ عن كل قضية قضيتها ثم غفر لي فأمر بي ذات اليمين فمررت بحيفة ملقاة فقلت للملائكة: ما هذه الحيفة؟ فقالوا: سله يجيبك فتقدمت إليه فسألته ووكرته برجلي فرفع رأسه وفتح عينيه فقلت: من أنت؟ فقال: من أنت؟ فقلت: أنا عمر بن عبد العزيز فقال لي: ما فعل الله بك؟ فقلت: تفضل علي ورحمني وفعل بي كما فعل بمن سلف من الأئمة فقال: ليهنك ما صرت إليه من النعيم ﴿فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا الحجاج بن يوسف﴾ التقى وهو أمير عالم لكنه ظالم كما قاله بعضهم ﴿قدمت على الله عز وجل فوجدته شديد العقاب والغضب قلني بكل قيل قلته قلته وقلني بسعيد بن جبير﴾ أي بقلته ﴿سبعين قتلة وها أنا بين يدي ربي أنتظر ما ينتظر الموحدون من ربه﴾ إنا إلى الجنة وإنا إلى النار.

﴿تنبه﴾ قد أجمع العلماء على أن تعد قتل المكلف آدمياً محترماً بلا حق أكبر الكبائر.

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتحاهدوني في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين * (وأخرج الشيخان وأبو داود عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس

وهذا هو الجهاد الأصغر وأما الأكبر فهو جهاد النفس كما ورد في الخبر ﴿ قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴾ نزلت هذه الآية حين قالوا : لو تعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعلنا ونأمن بها تجارة لأنهم يرجون فيه رضا الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة بقوله ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم ﴾ أي الذي أمركم به من الإيمان والجهاد في سبيله ﴿ خير لكم ﴾ من أموالكم وأنفسكم ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ أنه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أو حسبتم الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أموالكم وأنفسكم فقلحون وتخلصون ﴿ يغفر لكم ذنوبكم ﴾ هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لأن معناه الأمر والمعنى آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله إذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ﴿ ويدخلكم جنات تجري من تحتها ﴾ أي من تحت شجرها ومسالكها ﴿ الأنهار ﴾ أي أنهار الخمر والماء والعسل واللبن ﴿ ومسكن طيبة ﴾ حلالا لكم ويقال طاهرة ويقال حسنة جميلة ويقال طيبة قد طيبها الله بالمسك والريحان ﴿ في جنات عدن ﴾ أي إقامة خلود يقال عدن بالمكان إذا قام به كذا قيل ﴿ ذلك ﴾ أي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة ﴿ الفوز العظيم ﴾ النجاة الوافرة فازوا بالجنة ونجوا من النار ﴿ وأخرى تحبون ﴾ أي ولكم تجارة أخرى وقيل لكم خصلة أخرى تحبون في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة ﴿ نصر من الله وفتح قريب ﴾ قيل هو نصر على كفار قريش وفتح مكة وقيل فتح مدائن فارس والروم ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة .

﴿ وأخرج الشيخان وأبو داود عن أبي هريرة ﴾ رضي الله عنه ﴿ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس ﴾
 أي أمرني الله بمقاتلتهم وحذف الجار من أن كبير قال المناوي: علم خاص منه من أقر بالجزية انتهى .

وقال العلقمي: فان قيل مقتضى الحديث قال كل من استع من التوحيد فكيف ترك قتال مؤدي الجزية والمعاهد فالجواب: من أوجه منها دعوى النسخ بأن يكون الاذن بأخذ الجزية والمعاهدة متأخرا عن هذه الأحاديث بدليل أنه متأخرا عن قوله تعالى: اقتلوا

حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله * وأبو داود وأبو يعلى عنه الجهاد واجب عليكم * والشيخان وأبو داود عن أبي موسى الأشعري من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله *

المشركين . ومنها أن يكون من العام الذي أريد به الخاص فيكون المراد بالناس في قوله : أقاتل الناس أى المشركين من غير أهل الكتاب ويدل عليه رواية النسائي بلفظ : أشرت أن أقاتل المشركين . فان قيل اذا تم هذا في أهل الجزية لم يتم في المعاهدين ولا فيمن منع الجزية أجيب بأن المنع في ترك المقاتلة رفعها لا تأخيرها مدة كما في الهدنة ومقاتلة من يمنع من أداء الجزية بدليل الآية . ومنها أن يقال الغرض من ضرب الجزية اضطرابهم إلى الاسلام وسبب السبب فكانه قال حتى يسلموا أو يلتزموا ما يؤديهم إلى الاسلام وهذا حسن كذا ذكره العزري (حتى يشهدوا) أى يقرأ ويدعوا (أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله) غاية لغايتهم وهى العبارة الدالة على الاسلام فمن قالها بلسانه سلم من السيف وكانت له حرمة الاسلام والمسلمين فان أسلم قلبه كما أسلم لسانه فقد سلم من عذاب الآخرة كما سلم من عذاب الدنيا (فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم) أى منقوها وحفظوها (الإحتماء) أى الدماء والأموال والبنا بمعنى عن معنى معصومة الا عن حق الله فيها كردة وحده وترك صلاة وزكاة أو حق آدمى كقود وقال الحنفى : قوله الإحتماء أى الدماء والأموال أو بحتمها أى كلمة الشهادة أى بالحق المترتب عليها بعد النطق بها فلا تنهوا أن النطق بها يسقط الحق المترتب عليهم ثم الحكم عليهم بما ذكر انما هو باعتبار الظاهر .

(هو) أما باعتبار البواطن والسر فأمر ليس إلى الخلق اذ (حسابهم) أى حساب بواطنهم وسرائرهم (على الله) اذ هو المطلع وحده على ما فيها من إيمان وكفر ونفاق وغير ذلك ولقطة على بمعنى اللام أو بمعنى إلى فذا أفهمه لفظ الصلاة من الوحي غير مراد فهو للتشبيه أى هو كالواجب على الله في تحقيق الوقوع أو بحسب وعده هذا ما عليه أهل السنة وأما عند المعتزلة فهو على ظاهره لأن الحساب عندهم واجب عقلا وفي هذا الحديث دليل على قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر والاكفاء في قبول الايمان بالاعتقاد الجازم خلافا لمن أوجب تعلم الأدلة ويؤخذ منه ترك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد الملتزمين للشرايع وقبول توبة الكافرين كرهه من غير تفصيل بين كفر ظاهرا وباطنا قاله العلقمي وحزم به العزري .

(و) أخرج (أبو داود وأبو يعلى عنه) أى عن أبي هريرة قال العزري : رواه ثقات لكن فيه انقطاع (الجهاد واجب عليكم) أى فرض كفاية أن لم يدخل الكفار بلادنا ولا افترض عين وتام الحديث كما في الجامع للسيوطي مع كل أمير برا كان أو فاجرا وان هو عمل الكبائر والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم برا كان أو فاجرا وان هو عمل الكبائر والصلاة واجبة عليكم على كل مسلم يموت برا كان أو فاجرا وان هو عمل الكبائر (و) أخرج (الشيخان وأبو داود عن أبي موسى الأشعري) رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قاتل لتكون كلمة الله هي قول لا إله إلا الله هي العليا) وهى ثابتة الأعلى (فهو في سبيل الله) تقديم هو يفيد الاختصاص فيفهم منه أن من قاتل للدنيا فليس في سبيل الله في الحقيقة ولا يكون له ثواب غزوه .

اعلم أن من قاتل لأجل الجنة من غير خطوط بياله اعلاء الكلمة فهو في حكم المقاتلة للاعلاء لأن المرجع فيهما واحد وهو رضا الله تعالى ولو كان القتال لأجل الجنة محلا للاخلاص وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال : في غزوة بدر : قوموا إلى الجنة عرضها السموات والأرض فالقوى واحد من الصحابة الثمرات التي كان يأكلها وقال : لن حيت أنا حتى أكل تمراتى إنها حياة طويلة فقاتل مع المشركين حتى قتل وبقي لنا بحث آخر وهو أن هذا القصد هل يشترط مقارنته بساعة الشروع في القتال أو يكفي عند التوجه إليه ؟ فتقول : القصد

والشيخان عن أبي هريرة سئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل قال إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال الجهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور * وهما عنه مثل المجاهد في سبيل الله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم الذي لا يفتر من صيام ولا صدقة حتى يرجع ويوكل الله للمجاهد في سبيله أذيتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر وغنيمة * والديلمي عنه ساعة في سبيل الله خير من خمسين حجة * والطبراني عن نعيم ابن هبار الشهداء الذين يقاتلون في سبيل الله في الصف الأول ولا يقبلون بوجوههم حتى يقتلوا فأولئك يلتقون في الغرف العلى من الجنة يضحك إليهم ربك وإن الله تعالى إذا ضحك إلى عبده المؤمن فلا حساب عليه *

الثاني كاف لأنه ثبت في الصحيح أن من حبس فرساً لأن يغزوه فله ثواب مقدار ما يشرب ويأكل ويستن ذلك الفرس والحال أن نية الغزوه في كل وقت يطعمه ويرسله ويتحرك معدومة ولأن أول القتال جال دهشة ولو كان القصد شرطاً فيه لكان حرجاً : كذا في شرح أحكام الأحكام ونقله بعض شراح المشرق * وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه * سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أفضل ؟ قال : إيمان * أي تصديق * بالله ورسوله * وما علم ضرورة بحجة صلى الله عليه وسلم من عند الله كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء واقتراض الصلوات الخمس والزكاة والصيام والحج * قيل : ثم ماذا ؟ * يا رسول الله * قال * عليه الصلاة والسلام * الجهاد في سبيل الله * أي لاعلاء دينه * قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور * يعني مقبول أو لم يخالطه اثم ولا رياء فيه وقيل حج مبرور يظهر بآخره فإن رجع الحاج خيراً عما كان عرف أنه مبرور ،

فإن قيل الحديث يدل على أن الجهاد والحج ليسا من الإيمان لما تقتضيه ثم من المغايرة والترتيب فالجواب : أن المراد بالإيمان هنا التصديق وهذه حقيقة والإيمان يطلق على الأفعال البدنية لأنها مكملاته وقدم الجهاد وليس من أركان الإسلام على الحج وهو ركن من أركانه لأن تقع الحج قاصر غالباً وتقع الجهاد متعد غالباً أو كان ذلك حيث كان الجهاد فرض عين إذا كان أهم منه أي من الحج فقدم أفاده العزري .

* وهما * أي وأخرج الشيخان وغيرهما * عنه * أي عن أبي هريرة * سئل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله * أشار به إلى اعتبار الاخلاص والجملة معترضة بين ما قبلها وما بعدها * كمثل الصائم القائم * بالليل * الدائم * أي على ذلك الصوم شبهه به في نيل الثواب في كل حركة وسكون كما يفيد قوله * الذي لا يفتر * من باب دخل ففي المصباح فتر عن العمل فتورا من باب قدما انكسرت حذته وهذا تأكيد لما علم من قوله الدائم * من صيام ولا صدقة * أي لا يفتر ساعة من العبادة فأجره مستبر وكذا المجاهد لا يضيع ساعة من ساعته بغير ثواب * حتى يرجع ويوكل الله للمجاهد في سبيله أذيتوفاه * وفي رواية أن يتوفاه * أن يدخله الجنة * أي مع السابقين والأفلا خصوصية بل كل من مات مسلماً دخل الجنة * أو يرجعه سالماً مع أجر وغنيمة * وفي رواية مع أجر أو غنيمة قال العلقمي : قيل أو بمعنى الواو وقيل مع أجران لم ينتم أو غنيمة ان غنم وقال المناوي : فهو أنه لا أجر مع الغنيمة وليس مراداً .

* وأخرج * الديلمي عنه * أي عن أبي هريرة أي عن ابن عمر أيضاً * ساعة في سبيل الله * أي في قتال الكفار لاعلاء كلمة الله الجبار * خير من خمسين حجة * أي لمن حج حجة الإسلام فكونه بعد ذلك مجاهد الكفار مرة واحدة إذا تعين عليه الجهاد أفضل من أن يحج خمسين حجة * وأخرج * الطبراني عن نعيم بن هبار * صحابي شامي وإسناده صحيح * الشهداء الذين يقاتلون في سبيل الله في الصف الأول ولا يقبلون * وفي رواية ولا يلتقون * بوجوههم حتى يقتلوا فأولئك يلتقون في الغرف العلى من الجنة يضحك * أي يرضى * إليهم ربك وإن الله تعالى إذا ضحك * أي رضى * إلى عبده المؤمن فلا حساب عليه * مطلقاً أي لا يناقش فيه .

والحاكم عن أبي هريرة الجنة تحت ظل السيوف * والترمذي وابن ماجه عن المقداد بن معدي كرب للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويحار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقربائه * ومسلم والترمذي عن ابن مسعود إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة

﴿و﴾ أخرج ﴿الحاكم عن أبي هريرة﴾ وعن أبي موسى باسناد صحيح ﴿الجنة تحت ظل السيوف﴾ قال الحنفى: أى لو رفعت السيوف فوق رؤس الكفار وكان لها ظل كانت الجنة تحت ذلك أى ما هو كالجنة من الخير وخص السيوف لأنها أغلب الآت الجهاد وقال العزنى: أى ثواب الله السبب الموصل الى الجنة عند الضرب بالسيوف في سبيل الله . وقال في النهاية: هو كناية عن الدنوم الضرب في الجهاد حتى يعلوه السيف ويصير ظله عليه .

﴿و﴾ أخرج ﴿الترمذي وابن ماجه عن المقداد بن معدي كرب للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة﴾ من دمه والدفعة بفتح الدال وضما ﴿ويرى مقعده من الجنة ويحار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين﴾ نفسا ﴿من أقربائه﴾ وفي رواية من أهل بيته والمراد بالسبعين الكثير .

﴿و﴾ أخرج ﴿مسلم والترمذي عن ابن مسعود﴾ رضى الله عنه ﴿ان أرواح الشهداء في أجواف طير خضر﴾ بأن يكون طائر ظرفا لها وليس هذا بحصر ولا حبس لأنها تجدد فيها من النعيم ما لا يوجد في الفضاء أو أنها في نفسها تكون طيرا بأن تمثل بصورة كمشيل الملك بشرا سويا وفي حديث آخر: ان أرواحهم نفسها تصير طيرا قال ابن رجب في كتاب أهل القبور: وهذا قد يتوهم منه أنها على هيئة الطير وشكله وفيه وقفه فان روح الانسان إنما هي على صورته ومثاله وشكله انتهى . وقال القاضي عياض: قد قال بعض مقدمى أمتنا: ان الروح جسم لطيف متصور على صورة الانسان داخل الجسم .

قال التوربشتى: أراد بقوله أرواحهم في أجواف طير خضر ان الروح الانسانية المتميزة بالمخصوصات بالادراكات بعد مفارقتها البدن بها يهباء لها طير أخضر فتنتقل الى جوفه ليعلق ذلك الطائر من ثمر الجنة فتجد الروح بواسطة ريح الجنة ولذا انها البهجة والسرور ولعل الروح يحصل لها تلك الهيئة اذا تشكلت وتمثلت بأمره تعالى طيرا أخضر كمشيل الملك بشرا سويا وعلى أى حالة كانت فالتسليم واجب علينا لورود البيان الواضح على ما أخبر منه الكتاب والسنة وورد صريحا فلا سبيل الى خلافه .

قال العلقمى: وأقول اذا فسرنا الحديث بأن الروح تشكل طيرا فلا شبهة ان ذلك في القدرة على الطيران فقط لاني صورة الخلقة لأن شكل الانسان أفضل الاشكال . وقد قال الشهابى في حديث الترمذي: ان جعفر بن أبى طالب أعطى جناحين يطير بهما في السماء مع الملائكة ويتبادر من ذكر الجناحين والطيران انهما كجناحي الطائر لهما ريش وليس كذلك فان صورة آدمية أشرف الصور وأكملها فالمراد بهما صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر انتهى . قال المناوى: ومفهوم الحديث ان أرواح غير الشهداء ليسوا كذلك لكن روى الحكيم والترمذي انما نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله يوم القيامة الى جسد قال الترمذي: وليس هذا لأهل التخليط فيما نعلمه انما هو للصديقين انتهى: وقضيه ان مثل الشهداء من المؤمنين الكامل كذلك وفيه ان الجنة مخلوقة الآن خلافا للمعتزلة ﴿لها قناديل معلقة بالعرش﴾ المراد منها او كآرامها الشريفة كما قاله بعض شراح المشارق ﴿تسرح في الجنة﴾ أى تروح وتناول

حيث شاءت ثم تأتي تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا أي شيء تشتهي ونحن نسبح في الجنة حيث نشاء يفعل بهم ذلك ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى قال إنه قد سبق أنهم إليها لا يرجعون قالوا فأنبلغ عنا إخواننا فأنزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء

حيث شاءت ثم تأتي أي ترجع تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم تعديته بال تضمنه معنى النظر والا فحقه أن تعدي بعلى اطلاعة هذا يدل على أن ذلك الاطلاع نوع آخر ليس من جنس اطلاعنا بل هو عبارة عن مزيد فضله عليهم فقال هل تشتهون شيئا قالوا أي شيء تشتهي ونحن نسبح في الجنة حيث نشاء يفعل سبحانه وتعالى بهم ذلك وهو إشارة إلى قوله هل تشتهون ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى قال عز وجل إنه أي الحال والشأن قد سبق في حكم الأزل أنهم أي الموتى إليها أي إلى الدنيا لا يرجعون فان قالت روية الله كانت أعظم النعم فلم يطلبوها قلت يجوز أن يكون روية موقوفة في ذلك على تكميل استعداد يليق بها فصرف الله قلوبهم عن طلب ذلك إلى وقت حصول الاستعداد

فان قلت ارادهم إعادة الروح إلى الجسد ان كان لطلب ما هم فيه فلا فائدة وان كان لغيره فهلا اشتبهوا قلت يجوز أن يكون مرادهم بذلك الكلام القيام بموجب الشكر في مقابلة النعم التي أنعم الله عليهم كذا في شرح المشارق قالوا فأنبلغ عنا إخواننا فأنزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا كسائر الأموات بل أحياء أي بل هم أحياء وظاهر الآية يدل على كون من قتل في سبيل الله حيا فاما أن يكون المراد أنهم سيصيرون أحياء في الآخرة أو يكون المراد أنهم أحياء في الحال

وعلى تقدير أنهم أحياء في الحال هل يكون المراد إثبات الحياة الروحانية أو إثبات الحياة الجسمية فهذه ثلاثة أوجه في معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الأول وهو أنهم سيصيرون أحياء في الآخرة قال معنى الآية بل هم أحياء في الذكر وإنهم يذكرون بخير أعمالهم وإنهم استشهدوا في سبيل الله وقيل بل هم أحياء في الدين وهذا القول ليس بصواب لأن الله تعالى أثبت لهم الحياة في الحال بقوله بل أحياء يعني في حال ما يقتلون فانهم يحيون وهو الاحتمال الثاني

واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي للروح أو للجسم والروح معا فمن أثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أرواح الشهداء في حواصل طير خضر فخص الأرواح دون الأجساد وقال بعض المفسرين ان أرواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة ومن أثبت الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الآية وهو قوله عبد ربهم يرزقون فأخبر الله سبحانه وتعالى أنهم يرزقون وبأن يكون يستعمون كالأحياء وقيل أن الشهيد لا يبلى في قبره ولا تأكله الأرض كغيره وروى أنه لما أراد معاوية أن يجرى الماء على قبر الشهداء أمر أن ينادى من كان له قتيلى فليخرجه فليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا إليهم فأخرجناهم رطاب الأبدان فأصابنا المسبحاة أصعب رجل منهم فانبعث دما وذكر البغوي غير سند عن عبد الله بن عمر قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أحد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ من المؤمنين وجاهل صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأنتمهم وزورهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه

عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله * والطبراني بسند رجاله ثقات عن عبد الله بن عمرو قال إذا قتل العبد في سبيل الله فأول قطرة تقع على الأرض من دمه يكفر الله ذنوبه كلها ثم يرسل الله بربطة من الجنة فيقبض فيها نفسه ويجسد من الجنة حتى يركب فيه روحه ثم يعرج مع الملائكة كأنه كان معهم منذ خلقه الله حتى يؤتي به الرحمن فيسجد قبل الملائكة فتسجد الملائكة بعده ثم يغفر له ويظهر ثم يؤمر به إلى الشهداء فيجد هم في رياض خضر وقياب من حرير وعند هم ثور وحوث يلعبان كل يوم بشيء لم يلعباه بالأمس يظل الحوت في أنهار الجنة يأكل من كل راحة من أنهار الجنة فإذا أمسى وكره الثور بقرنه فذكاه فأكلوا من لحمه ووجدوا في طعم لحمه راحة من ریح الجنة ويسيت الثور نافشا في الجنة يأكل من ثمر الجنة فإذا أصبح غدا عليه الحوت فذكاه بذنبه فأكلوا من لحمه فوجدوا في طعم لحمه كل ثمرة في الجنة ينظرون إلى منازلهم يدعون الله بقيام الساعة * والعقيلي عن أبي هريرة الشهداء عند الله على منابر من ياقوت في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله على كتب من مسك فيقول لهم الرب ألم أوف لكم وأصدقكم فيقولون بلى وربنا * والأصبهاني عن عبد الله بن عمرو بن العاص إن الله يدعو الجنة يوم القيامة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول الله سبحانه وتعالى أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وجاهدوا ادخلوا الجنة فدخلوها بغير حساب فتأتى الملائكة فيقولون ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار وقدس لك

﴿عند ربهم﴾ يعني في محل كرامته وفضله ﴿يرزقون﴾ يعني من ثمر الجنة وتحفها ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ يعني بما أعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضال في دار النعيم .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني بسند رجاله﴾ أي رواه ﴿ثقات عن عبد الله بن عمرو﴾ بن العاص رضى الله عنه ﴿قال: إذا قتل العبد في سبيل الله فأول قطرة تقع على الأرض من دمه يكفر الله ذنوبه كلها ثم يرسل الله بربطة﴾ بالفتح كل ملاة ليست قطعتين والجمع رباط مثل وكلاب وربط أيضا مثل ثمرة وتمر وقد يسمى كل ثوب رقيق ربط ﴿من الجنة فيقبض فيها نفسه و﴾ يرسل ﴿يجسد من الجنة حتى يركب فيه روحه ثم يعرج مع الملائكة كأنه كان معهم منذ خلقه الله حتى يؤتي به الرحمن﴾ عز وجل ﴿فيسجد﴾ ذلك العبد ﴿فتقبل الملائكة ثم تسجد الملائكة بعده ثم يغفر له ويظهر ثم يؤمر به إلى الشهداء فيجد هم في رياض خضر وقياب من حرير وعند هم ثور وحوث يلعبان كل يوم بشيء لم يلعباه بالأمس يظل الحوت في أنهار الجنة فيأكل من كل راحة من أنهار الجنة فإذا أمسى وكره الثور﴾ أي ضربه ﴿بقرنه فذكاه فأكلوا من لحمه ووجدوا في طعم لحمه راحة من ریح الجنة ويسيت الثور نافشا﴾ في المصباح نفشت الغنم نفشا رعت ليلا بغير راع فهي نافشة ﴿في الجنة يأكل من ثمر الجنة فإذا أصبح غدا عليه الحوت فذكاه بذنبه﴾ بفتحين جمعه أذاب مثل سيب وأسباب ﴿فأكلوا من لحمه ووجدوا في طعم لحمه كل ثمرة في الجنة﴾ وهم ﴿ينظرون إلى منازلهم يدعون الله بقيام الساعة﴾ .

﴿و﴾ أخرج ﴿العقيلي عن أبي هريرة﴾ رضى الله عنه ﴿الشهداء عند الله﴾ في الآخرة يكونون ﴿على منابر﴾ أي أماكن عالية ﴿من ياقوت في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله﴾ أي ظل عرشه والمنابر ﴿على كتب﴾ أي تل ﴿من مسك فيقول لهم الرب﴾ تعالى ﴿ألم أوف﴾ قال المناوي: بضم ففتح فكسر وقال العلقمي: بضم الحمزة وسكون الواو وكسر الفاء ﴿لكم﴾ ما وعدتكم به ﴿وأصدقكم﴾ بفتح الحمزة وسكون الصاد وضم الدال الخفيفة وسكون القاف قاله العلقمي ﴿فيقولون: بلى وربنا﴾ وفيت لنا .

﴿و﴾ أخرج ﴿الأصبهاني عن عبد الله بن عمرو بن العاص﴾ رضى الله عنه ﴿إن الله يدعو الجنة يوم القيامة فتأتى﴾ تلك الجنة ﴿بزخرفها وزينتها فيقول الله سبحانه وتعالى: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وجاهدوا ادخلوا الجنة فدخلوها بغير حساب فتأتى الملائكة فيقولون: ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار وقدس لك﴾ أي نزهك عن كل ما لا يليق بك

من هؤلاء الذين أترتهم علينا فيقول الرب هؤلاء الذين قاتلوا في سبيلي وجاهدوا فتدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار * والطبراني عن أنس إذا وقف العبد للحساب جاء قوم واضعوا سيوفهم على رقابهم تقطو دما فازدحموا على باب الجنة والناس في الموقف فيقال من هؤلاء قيل الشهداء كانوا أحياء مرزوقين * وابن ماجه عن أبي هريرة ما من مجروح يخرج في سبيل الله والله أعلم بمن يخرج في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وجرحه كهيئة يوم جرح اللون لون دم والريح ريح مسك * ومسلم وأبو داود عنه لا يجتمع كافرو قاتله في النار أبدا *

ومن هؤلاء الذين أترتهم أي أخرجتهم ﴿علينا فيقول الرب﴾ جل جلاله ﴿هؤلاء الذين قاتلوا في سبيلي وجاهدوا فتدخل عليهم الملائكة من كل باب﴾ من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور قال ابن عباس: يريد به التحية من الله والتحف والهدايا قائلين ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ أي سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافونها في الدنيا وأدخلكم الجنة بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعة وترك المحرمات وقيل أن السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا بالفعل فعلى هذا يكون سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم أي سلمكم بما صبرتم. قال مقاتل: إن الملائكة يدخلون عليهم في مقدار يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم ﴿فنعم عقبى الدار﴾ أي نعم الجنة لكم.

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني عن أنس﴾ رضى الله عنه ﴿إذا وقف العبد للحساب جاء قوم واضعوا سيوفهم على رقابهم تقطو دما فازدحموا على باب الجنة والناس في﴾ هول ﴿الموقف فيقال: من هؤلاء؟﴾ قيل الشهداء كانوا أحياء مرزوقين. و﴿ابن ماجه عن أبي هريرة﴾ رضى الله عنه ﴿ما من مجروح يخرج في سبيل الله والله أعلم بمن يخرج في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وجرحه كهيئة يوم جرح اللون لون دم والريح ريح مسك.﴾

﴿و﴾ أخرج ﴿مسلم وأبو داود عنه﴾ أي عن أبي هريرة رضى الله عنه ﴿لا يجتمع كافرو قاتله في النار أبدا﴾ قال العلقمي: وفي رواية لا يجتمعان في النار اجتماعا يضر أحدهما الآخر قيل: من هما يا رسول الله؟ قال: مؤمن قتل كافرا ثم سدد. قال النووي: قال القاضي في الرواية الأولى: يحتمل أن هذا يخص بمن قتل كافرا في الجهاد فيكون ذلك مكفورا لذنبه حتى لا يعاقب عليه أو يكون بينة مخصوصة أو حالة مخصوصة ويحتمل أن يكون عقابه أن عوقب بغير النار كالحبس في الأعراف عن دخول الجنة أولا ولا دخول النار أو يكون أن عوقب بها بغير موضع عقاب الكافر ولا يجتمعان في أدارهما قال: وأما قوله في الرواية الثانية اجتماعا يضر أحدهما الآخر فيدل على أنه اجتماع مخصوص قال: وهو مشكل المعنى وأوجه ما فيه أن يكون معناه ما أشرناه إليه من أنهما لا يجتمعان في وقت أن استحق العقاب فيعيره بدخوله معه أن لم ينفعه إيمانه وقتله إياه وقد جاء مثل هذا في بعض الآثار ولكن قوله في هذا الحديث مؤمن قتل كافرا ثم سدد مشكل لأن المؤمن إذا سدد ومعناه استقام على الطريقة المثلى ولم يخطئ لم يدخل النار أصلا سواء قتل كافرا أو لم يقتله. قال القاضي: ووجهه عندي أن يكون قوله ثم سدد عائد على الكافر القاتل ويكون معنى حديث. يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ورأى بعضهم أن هذا تغير من بعض الرواة وإن صوابه مؤمن قتل كافرا ثم سدد. ويكون معنى قوله لا يجتمعان في النار اجتماعا يضر أحدهما الآخر أي لا يدخلونها للعقاب ويكون هذا استثناء من اجتماع الورود وتخاصمهم على جسر جهنم هذا آخر كلام القاضي انتهى كلام النووي.

والطبراني الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم مس القرصة * وأبو الشيخ عضه نملة أشد على الشهيد من مس السلاح بل هو أشهى عنده من شرب ماء بارد لذيق في يوم صائف * والطبراني من فاته الغزو معي فليغز في البحر * وابن ماجه غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر والذي يصدر في البحر كالمشحط في دمه في سبيل الله * وهو يغفر لشهد البر الذنوب كلها إلا الدين ولشهد البحر الذنوب والدين * والطبراني أيما مسلم رمى بسهم في سبيل الله فبلغ مخطئا أو مصيبا فله من الأجر كركبة أعنتها من ولد إسماعيل

قال شيخنا : استشكل القاضي قوله مؤمن قتل كافرا ثم سدد بأن السداد هو الاستقامة على الطريقة المثلى من غير زيف ومن كان هذا حاله فانه لا يدخل النار أصلا قتل كافرا املا يحمل سدد على اسلم بمعنى ان القاتل كان كافرا ثم اسلم وصرفه للحديث الآخر الذي قال فيه يضحك الله لرجلين الى آخره قال القرطبي : الذي يظهر لي أن المراد بالسداد ان يسدد حاله في التخلص من حقوق الآدميين الخبر : ان الشهادة تكفر كل شيء الا الدين واذا لم تكفر الشهادة الدين كان أبعد أن يكفروه قتل الكافر ثم قال : ويحتمل ان يقال سدد بدوام الاسلام الى الموت أو باجتناب الموبقات التي لا تنفرد الا بالتوبة قال شيخنا قلت : وعندى أن مقصد الحديث الاخبار بأن هذا الفعل يكفر ماضى من ذنوبه كلها كبائرها وصفائرها دون ما يستقبل منها فان مات عن قريب أو بعد مدة وقد سدد في تلك المدة لم يعذب أخذ بما بعد ذلك لا بما قبله لأن قد كفر عنه هكذا ذكره العزيزي .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ عن أبي قتادة رضى الله عنه ﴿الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم مس القرصة﴾ بفتح القاف وسكون الراء أى الأخذ بأطراف الأصابع . وأخرج الترمذى عن أبي هريرة : الشهيد لا يجد من القتل إلا كما يجد أحدكم القرحة يقرحها . يحتمل أن ذلك للترغيب ويكون كناية عن تخفيف ألمه ولا مانع من بقاءه على حقيقة وان ضرب السيوف في الجهاد يجعله الله تعالى على الجاهد بمنزلة القرحة بالأصابع . قال العزيزي : فيه وفيما قبله ان الله تعالى يسهل خروج أرواح الشهداء ويكفيهم سكرات الموت وكرمه ﴿و﴾ أخرج ﴿أبو الشيخ﴾ ابن خبان ﴿عضه نملة أشد على الشهيد من مس السلاح﴾ لجسده ﴿بل هو﴾ أى مس السلاح ﴿أشهى عنده من شرب ماء بارد لذيق في يوم صائف﴾ أى شديد الحر .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه ﴿من فاته الغزو معي﴾ أى في البر ﴿فليغز في البحر﴾ فغزو البحر أفضل من غزو البر وذهب بعضهم الى العكس لأن سائر غزواته صلى الله عليه وسلم كانت في البر ﴿و﴾ أخرج ابن ماجه عن أم الدرداء رضى الله عنها ﴿غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر﴾ في الأجر ﴿والذي يصدر﴾ بفتح الدال المهملة ﴿في البحر﴾ أى تدور رأسه في السفينة التي ركبها للجهاد بسبب ريح أو غيره قال العلقمي : والسدر بالتحريك الدوران وهو كثير اما يعرض لراكب البحر يقال سدر يسدر سندرا ﴿كالمشحط﴾ أى الذي يتخبط ويضطرب ويسرع ﴿في دمه في سبيل الله﴾ أى مثله في حصول الأجر ولا يلزم منه التساوى . وأخرج الحاكم عن ابن عمرو بن العاص : غزوة في البحر خير من عشرة غزوات في البر ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها والمائد فيه أى الذي تدور رأسه من اضطراب السفينة كالمشحط في دمه ﴿وهو﴾ أى وأخرج ابن ماجه ﴿يغفر﴾ لشهد البر الذنوب كلها الا الدين ﴿أى الا حقوق العباد﴾ ﴿و﴾ يغفر ﴿لشهد البحر الذنوب والدين﴾ .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ عن عمرو بن عبسة ﴿أيما مسلم رمى بسهم في سبيل الله﴾ أى في قتال الكفار لاعلاء كلمة الله ﴿فبلغ﴾ أى وصل الى العدو ﴿مخطئا﴾ أى لم يصب أحدا ﴿أو مصيبا فله من الأجر كركبة أعنتها من ولد إسماعيل﴾ بن ابراهيم الخليل

وأما رجل شاب في سبيل الله فهو له نور وأما رجل أعتق مسلماً فكل عضو من المعق بعضو من المعق فداء له من النار * والترمذي مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة * والطبراني والحاكم والبيهقي حرس ليلة في سبيل الله عز وجل أفضل من ألف ليلة يقام ليها وبصام نهارها * ومسلم رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات أحد مرابطاً أجرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن من القتل * ومسلم وأبو داود من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق *

﴿وأما رجل مسلم شاب في سبيل الله﴾ أي في القتال أو الرباط وإن لم يكن من أهل بلد المراقبة ﴿فهو له﴾ أي الشيب المفهوم من شاب ﴿نور﴾ أن قيل أن كل شيب في الإسلام نور أجيب بأن المراد أن له نورا فوق نور شيب السلام ﴿وأما رجل أعتق﴾ رجلاً مسلماً فكل عضو من المعق بكسر التاء مقابل أو مفدى ﴿بعضو من المعق﴾ بفتحها ﴿فداء له من النار﴾ بنصب فداء على الحال أو التمييز أو المفعول المطلق والمرأة مثل الرجل وتام الحديث كما في الجامع للسيوطي : وأما رجل قام وهو يريد الصلاة فافضى الوضوء بفتح الواو إلى أباه سلم من كل ذنب وخطيئة هي له فإن قام إلى الصلاة رفعه الله بها درجة وإن رقد رقد سالماً .

﴿و﴾ أخرج الترمذي : مقام أحدكم في سبيل الله ﴿وفي رواية في الصف﴾ أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ﴿بضم الفاء﴾ ناقة ﴿ما بين حلبتيها﴾ وجبت له الجنة ﴿وفي رواية حرم الله وجهه على النار﴾ ﴿و﴾ أخرج الطبراني والحاكم والبيهقي عن عثمان بإسناد حسن ﴿أحرس ليلة في سبيل الله عز وجل أفضل من ألف ليلة يقام ليها وبصام نهارها﴾ بناء للمجهول يقام وحمله كما قال العزري إذا تعين الحرس لاشتداد الخوف وهذا قاله صلى الله عليه وسلم حين حصل شدة برد في ليلة من الغزو حتى تمت الصحابة أن تحضر وتردم على أنفسها بالتراب لشدة البرد فقال صلى الله عليه وسلم : من يحرس المسلمين فقام رجل وقال : أنا ثم قام آخر فذكر الحديث قاله الحفنى .

﴿و﴾ أخرج مسلم عن سلمان الفارسي ﴿رباط يوم وليلة﴾ أي ثواب ذلك والمراد به الإقامة ببلدة من أطراف بلاد الإسلام بقصد أنه لو جاء لقاتلهم وهذا عام في كل مؤمن قصد ذلك وإن كان من أهل البلد خلافاً لمن قيد بكونه يسافر من وطنه إلى ذلك الجبل الذي هو من أطراف بلاد الإسلام ﴿خير من صيام شهر وقيامه وإن مات أحد مرابطاً أجرى عليه عمله﴾ أي أجر عمله الذي كان يعمل ﴿حال الرباط إلى يوم القيامة﴾ وأجرى عليه رزقه ﴿كالشهداء الذين تكون أرواحهم في حواصل الطير تأكل من ثمر الجنة﴾ وأمن من القتل ﴿بفتح التاء أي فنان القبر وفي رواية أبي داود في سننه وأمن من فنان القبر بفتح الفاء وبضمها جمع فنان قال القرطبي : وتكون للجنس أي كل ذي فتنة . قلت : أو المراد فنان القبر من إطلاق صيغة الجمع على الاثنين أو على أكثر من اثنين فقد ورد أن فنان القبر ثلاثة أو أربعة وقد استدلل غير واحد بهذا الحديث على أن المراقبة لا يسئل في قبره كالشهيد انتهى . وقال الزبدي : السؤال في القبر عام لكل مكلف الأمن مات في قتال الكفار بسبب القتال ويحمل القول بعدم السؤال غيره على أنه لا يفتن . وأخرج الطبراني عن أبي أمانة بإسناد حسن : من مات مرابطاً في سبيل الله أمنه الله من فتنة القبر .

﴿و﴾ أخرج مسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿من مات ولم يغز ولم يحدث به﴾ أي بالغزو ﴿نفسه﴾ أي لم يمتل في نفسه باليتنى كت غارياً وقيل معنى تحدث النفس به ارادة الخروج له وعلامتها في الظاهر اعداد آله كما قال الله تعالى : ولو أراد الخروج لأعدوا له عدة ﴿مات على شعبة﴾ أي القطعة ﴿من النفاق﴾ يعني من مات على هذه الصفة فقد أشبه المنافقين المختلفين عن

والترمذي من لقى الله تبارك وتعالى بغير أثر من جهاد لقى الله تعالى وفي إيمانه ثلثة * ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من سأل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه * والطبراني من أسلم على يديه رجل وحيث له الجنة اللهم ارزقنا الشهادة بفضلك وأدخلنا الجنة بغير حساب برحمتك آمين * وروي رافع بن عبد الله عن هشام بن يحيى الكلابي أنه قال لي أحدثك حديثاً رأيته بعيني وشهدته نفسي وتغنني الله به فعمسى أن ينفعك به فقلت حدثني يا أبا الوليد قال غزونا أرض الروم في سنة ثمان وثمانين وكان معنا رجل يقال له سعيد بن الحارث ذو حظ من العبادة يصوم النهار ويقوم الليل فان سرنا درس القرآن وإن أقمنا ذكر الله تعالى فجاءت ليلة خفنا فيها فخرجت أنا وإياه نحرس ونحن محاصرون عند حصن من الحصون استصعب علينا أمره فرأيت من سعيد من العبادة في تلك الليلة وصبره على النصب ما تعجبت منه فلما طلع الفجر قلت له يرحمك الله إن لنفسك عليك حقاً فلو أرحمتها فبكى وقال يا أخي إنما هي أنفاس تعد وعمر يقضى وأيام تنقضى وأنا رجل أرتقب الموت وأبأ در خروج نفسي قال فابكاني ذلك فقلت له أقسمت عليك بالله إلا ما دخلت الخباء واسترحمت فدخل

الجهاد قيل هذا الحكم كان مخصوصاً بمن النبي صلى الله عليه وسلم والظاهر أنه عام .

﴿و﴾ أخرج ﴿الترمذي﴾ وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة باسناد رواه كما قاله العزيزي ﴿من لقى الله تبارك وتعالى بغير أثر﴾ بالتحريك أو علامة من جراحة ﴿من جهاد لقى الله تعالى وفي إيمانه ثلثة﴾ أي خلل ونقصان وأصلها الكسر في نحو الجدار ثم استعيرت للنقص وخص الجهاد للكفار لكونه من أعظم خصال الاسلام لأن به اظهاره قال المناوي : قيل وهذا خص بمن النبي صلى الله عليه وسلم .

﴿و﴾ أخرج ﴿مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه﴾ وابن عدى عن سهل بن حنيف بضم المهمله قال المناوي : وهو تابعي ﴿من سأل﴾ الله ﴿الشهادة﴾ أي أن يموت شهيداً ﴿بصدق بلغه الله منازل الشهداء﴾ أي أعطى من ثواب الشهداء قال العلقمي ﴿وان مات على فراشه﴾ قال العزيزي : وفيه استحباب سؤال الشهادة واستحباب نية الخير ﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ عن عقبة بن عامر الجهني باسناد ضعيف كما قاله العزيزي ﴿من أسلم على يديه رجل وحيث له الجنة﴾ قاله المناوي المراد أسلم بأشارته وترغيبه في الاسلام ﴿اللهم ارزقنا الشهادة بفضلك وأدخلنا الجنة بغير حساب برحمتك آمين﴾ .

﴿وروي رافع بن عبد الله عن هشام بن يحيى الكلابي أنه قال لي : أحدثك حديثاً رأيته بعيني وشهدته نفسي وتغنني الله به﴾ أي بالحديث ﴿فعمسى أن ينفعك﴾ الله ﴿به فقلت : حدثني يا أبا الوليد﴾ كتابة هشام بن يحيى ﴿قال : غزونا أرض الروم في سنة ثمان وثمانين﴾ من الهجرة النبوية ﴿وكان معنا رجل يقال له سعيد بن الحارث ذو حظ من العبادة يصوم النهار ويقوم الليل فان سرنا درس﴾ سعيد ﴿القرآن وإن أقمنا ذكر الله تعالى فجاءت ليلة خفنا فيها﴾ من العدو ﴿فخرجت أنا وإياه نحرس ونحن محاصرون عند حصن من الحصون استصعب علينا أمره فرأيت من سعيد من العبادة في تلك الليلة﴾ المخوفة ﴿وصبره على النصب﴾ بفتح ن أي التعب ﴿ما تعجبت منه فلما طلع الفجر قلت له : يرحمك الله إن لنفسك عليك حقاً فلو أرحمتها﴾ لكان خيراً ﴿فبكى﴾ سعيد ﴿وقال : يا أخي إنما هي أنفاس تعد وعمر يقضى وأيام تنقضى وأنا رجل أرتقب الموت وأبأ در﴾ أي أسارع ﴿خروج نفسي﴾ أي روحى ﴿قال﴾ هشام ﴿فابكاني ذلك﴾ أي قوله ما ذكر ﴿فقلت له : أقسمت عليك بالله ألا ما دخلت الخباء واسترحمت فدخل﴾ سعيد الخباء

فنام وأنا جالس ظاهر الخباء فسمعت كلاما في الخباء قلت ما فيه سواء فقد مت قليلا فإذا به يضحك في نومه ويتكلم فحفظت من كلامه يقول ما أحب أن أرجع ثم مد يده اليمنى كأنه يلتبس شيئا ثم ردها ردا رفيقا وهو يضحك ثم وثب من نومه وهو ينقض فاحضنه في صدرى مليا وهو يلتفت يمينا وشمالا حتى سكن وعاد إليه فهمه وجعل يهلل ويكبر فقلت ما الخبر قال نعم قلت حدثني فقد سمعتك تقول ما أحب أن أرجع ورأيتك مددت يدك ثم رددتها فقال لا أخبرك فأقسمت عليه قال أو تكتم عني ما حيت قلت بلى قال رأيت كأن يوم القيامة قد قامت وخرج الخلق من قبورهم شاخصين منتظرين أمر ربهم فينما أنا كذلك إذا أتاني رجلان لم أر أحسن منهما فسلما على فرددت عليهما السلام فقالا لي يا سعيد أبشر فقد غفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك واستجيب دعاؤك وعجل لك البشري فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم قال فانطلقت معهما حتى أخرجاني عن جملة الموقف وإذا بجبل لا تشبه خيل الدنيا إنما هي كالبرق الخاطف أو كهبوب الريح فركبنا وسرنا فاتمينا إلى قصر شاهق ما يبلغ الطرف منهاه كأنه صيغ من فضة وله نور يتلألأ فلما وصلنا إليه فتح بابه من قبل أن نستفتح فدخلنا فرأينا شيئا لا يلفه وصف واصف ولا يحظر على قلب بشر وفيه من الحور والوصاف والولدان بعدد النجوم فلما رأونا أخذوا في ألوان من القول الحسن بأنعام مختلفة وقائل يقول هذا ولي الله قد جاء فمرحبا به وأهلا فسرنا حتى انتهينا إلى مجالس ذات أسرة من ذهب مكللة بالجواهر مخوفة بكراسي من ذهب وعلى كرسي منها جارية لا يستطيع أحد من خلق الله أن يصفها.

﴿فنام﴾ فيه ﴿وأنا جالس ظاهر الخباء فسمعت كلاما في الخباء قلت﴾ في نفسي ﴿ما فيه﴾ أي ليس في هذا الخباء ﴿سواء﴾ أي غير سعيد ﴿فقد مت قليلا فإذا به يضحك في نومه ويتكلم فحفظت من كلامه يقول﴾ ما أحب أن أرجع ثم مد ﴿يده اليمنى كأنه يلتبس شيئا ثم ردها﴾ أي يده اليمنى ﴿ردا رفيقا وهو يضحك ثم وثب﴾ أي قام سعيد ﴿من نومه وهو ينقض فاحضنه في صدرى مليا﴾ أي زمانا طويلا ﴿وهو يلتفت يمينا وشمالا حتى سكن وعاد إليه فهمه وجعل يهلل﴾ أي يقول لا اله الا الله ﴿ويكبر فقلت﴾ ما الخبر ؟ قال : نعم ﴿عندي خبر﴾ قلت : حدثني فقد سمعتك تقول : ما أحب أن أرجع ورأيتك مددت يدك ثم رددتها ﴿ردا رفيقا﴾ فقال : لا أخبرك فأقسمت عليه قال : أو تكتم عني ما حيت ؟ قلت : بلى ﴿نكتم ذلك﴾ .

﴿قال رأيت كأن يوم القيامة قد قامت وخرج الخلق من قبورهم شاخصين منتظرين أمر ربهم فينما أنا كذلك إذا أتاني رجلان لم أر أحسن منهما فسلما على فرددت عليهما السلام فقالا لي يا سعيد أبشر فقد غفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك واستجيب دعاؤك وعجل لك البشري فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم قال﴾ فانطلقت معهما ﴿أي مع الرجلين﴾ حتى أخرجاني عن جملة الموقف وإذا بجبل لا تشبه خيل الدنيا إنما هي ﴿أي الخيل أي سيره﴾ كالبرق الخاطف أو كهبوب الريح فركبنا وسرنا فاتمينا إلى قصر شاهق ﴿أي مرتفع﴾ ما يبلغ الطرف ﴿بسكون الرء أي البصر﴾ أي ذلك القصر ﴿كأنه صيغ﴾ يعني فعل ﴿من فضة وله نور يتلألأ﴾ أي يضيء ﴿فلما وصلنا إليه﴾ أي القصر المذكور ﴿فتح بابه من قبل أن نستفتح فدخلنا فرأينا شيئا﴾ عجيبا ﴿لا يلفه وصف واصف ولا يحظر على قلب بشر وفيه﴾ أي في ذلك القصر ﴿من الحور والوصاف﴾ أي الغلمان ﴿والولدان بعدد النجوم فلما رأونا أخذوا﴾ أي شرعوا ﴿في ألوان من القول الحسن بأنعام مختلفة وقائل يقول هذا ولي الله قد جاء فمرحبا به وأهلا فسرنا حتى انتهينا إلى مجالس ذات أسرة﴾ جمع سرير ﴿من ذهب مكللة﴾ أي مخوفة ومزينة ﴿بالجواهر مخوفة بكراسي من ذهب وعلى كرسي منها﴾ أي من تلك الكراسي ﴿جارية﴾ فاء ﴿لا يستطيع أحد من خلق الله أن يصفها﴾ من حسناتها

وفي وسطهن واحدة عالية عليهن في طولها وكما لها وجمالها فقال الرجلان هذا منزلك وهؤلاء أهلك وهنا مثلك^(١) ثم انصرفا عني ووثبت الجواري بالترحيب والاستبشار كما يكون من أهل الغائب عند قدومه عليهن ثم حملوني حتى أجلسوني على السرير الأوسط إلى جانب الجارية فقلن هذه زوجتك ولك أخرى مثلها وقد طال انتظارنا لك فكلمتها وكلمتني فقلت أين أنا قالت في جنة المأوى وقلت من أنت قالت أنا زوجتك الخالدة قلت فأين الأخرى قالت في قصرك الآخر فقلت أقيم اليوم عندك وأتحول في غد إلى الأخرى ثم مدت يدي فردتها ردا رقيقا وقالت أما اليوم فأنت راجع إلى الدنيا وستقيم ثلاثا فقلت ما أحب أن أرجع فقلت لا بد من ذلك وستفطر عندنا بعد الثلاث ثم نهضت من مجلسها ثم نهضت لوداعها فاستيقظت قال هشام فغلبني البكاء وقلت هنيئا لك يا سعيد جدد الله شكرا فقد كشف لك عن ثواب عملك فقال هل رأى أحد غيرك ما رأيت قلت لا فقال بالله أكرم عني مادمت في الحياة ثم قام فطهر ومس الطيب وأخذ سلاحه وسار إلى موضع القتال وهو صائم فقاتل إلى الليل ثم انصرف فتحدث الناس بقتاله وقالوا ما رأينا فعل مثل اليوم لقد كان يطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم وكل ذلك ينبر عنه فقلت في نفسي لو يعلمون لتنافسوا في مثل عمله ثم مكث قائما إلى آخر الليل ثم أصبح صائما فقاتل أشد من اليوم الأول ثم مكث قائما إلى آخر الليل ثم أصبح صائما فقاتل أبلغ من كل يوم قال أبو الوليد فانطلقت لأنظر ماذا يكون منه فلم يزل يلقي نفسه في المهالك غالب النهار ولا يصل إليه شيء حتى إذا غروب الشمس جاء سهم في نحره فخر

﴿وفي وسطهن﴾ أي الجواري ﴿واحدة عالية عليهن في طولها وكما لها وجمالها فقال الرجلان﴾ لي ﴿هذا﴾ أي ما رأيته ﴿منزلك وهؤلاء أهلك وهنا مثلك﴾^(١) ثم انصرفا عني ووثبت الجواري أي أسرعن ﴿بالترحيب والاستبشار كما يكون﴾ ذلك ﴿من أهل الغائب عند قدومه عليهن ثم حملوني حتى أجلسوني على السرير الأوسط إلى جانب الجارية﴾ العالية ﴿فقلن هذه زوجتك ولك أخرى مثلها وقد طال انتظارنا لك فكلمتها وكلمتني فقلت أين أنا﴾ ﴿قالت﴾ تلك الجارية ﴿في جنة المأوى وقلت: من أنت؟﴾، قالت: أنا زوجتك الخالدة قلت: فأين الأخرى؟، قالت: في قصرك الآخر فقلت: أقيم اليوم عندك وأتحول في غد إلى زوجتي ﴿الأخرى ثم مدت يدي فردتها ردا رقيقا وقالت: أما اليوم فأنت راجع إلى الدنيا وستقيم﴾ فيها ﴿ثلاثا﴾ من الأيام ﴿فقلت: ما أحب أن أرجع﴾ إلى الدنيا ﴿فقلت: لا بد من ذلك﴾ الرجوع إليها ﴿وستفطر عندنا بعد الثلاث ثم نهضت﴾ أي قامت ﴿من مجلسها ثم نهضت لوداعها فاستيقظت قال هشام: فغلبني البكاء وقلت: هنيئا لك يا سعيد جدد﴾ أنت ﴿لله شكرا فقد كشف لك عن ثواب عملك فقال﴾ سعيد ﴿هل رأى أحد غيرك ما رأيت؟﴾، قلت: لا فقال بالله أكرم عني مادمت في الحياة ثم قام فطهر ومس الطيب وأخذ سلاحه وسار إلى موضع القتال وهو صائم فقاتل إلى الليل ثم انصرف فتحدث الناس بقتاله وقالوا: ما رأينا فعل مثل هذا ﴿اليوم لقد كان يطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم وكل ذلك﴾ أي المذكور من السهام والحجارة ﴿ينبر عنه﴾ يعني لم يصبه ذلك قال الفيومي: بنا السيف عن الضربة بنوا من باب قتل ونبروا على فعول رجع من غير قطع فهو ناب ونبا شيء بعد ونبا السهم عن الهدف لم يصبه ونبا الطبع عن الشيء نفر ولم يقبله ﴿فقلت لنفسي لو يعلمون لتنافسوا في مثل عمله ثم مكث قائما إلى آخر الليل ثم أصبح صائما فقاتل أشد من اليوم الأول ثم مكث قائما إلى آخر الليل ثم أصبح صائما فقاتل أبلغ من كل يوم﴾.

﴿قال أبو الوليد﴾ هشام الكنانى ﴿فانطلقت لأنظر ماذا يكون منه فلم يزل يلقي نفسه في المهالك غالب النهار ولا يصل إليه شيء

حتى إذا دنا﴾ أي قرب ﴿غروب الشمس جاء سهم في نحره فخر﴾ أي سقط

(١) قوله وهنا مثلك كذا بالأصل ولعله محرف عن: ولك مثل ذلك

صرعاً وأنا أنظر إليه فضجت الناس وبادروا إليه وأخذوه وجاءوا به يحملونه فلما رأيته قلت له هنيئاً ما تقطر عليه الليلة يا ليتني كنت معك قال فعرض على شقيقه وهو يضحك ثم قال الحمد لله الذي صدقنا وعده ثم مات قال هشام فصحت يا عباد الله لمثل هذا فليعمل العاملون واسمعوا ما أخبركم عن أخيكم هذا فأقبل الناس فحدثهم بالحديث على وجهه وما كان منه فما رأيت باكياً كالساعة ثم كبروا تكبيرة اضطرب لها العسكر وشاع الحديث وبلغ الخبر إلى مسلمة فجاء وقد وضعناه لنصلي عليه فقلت صل عليه أيها الأمير فقال بل يصلي عليه من عرف من أمره ما عرف في موضعه وبات الناس يتحدثون به فلما طلع الصبح تذكرنا حديثه فصاحوا صيحة وحملوا على العدو وفتح الله الحصن في ذلك النهار ببركة رحمة الله عليه ﴿وَحَكِي﴾ اليافعي عن الشيخ عبد الواحد بن زيد قال بينما نحن ذات يوم في مجلسنا هذا قد تهيأنا للخروج إلى الغزو وقد أمرت أصحابي أن يتهيأوا لقراءة آية فقرأ رجل في مجلسنا إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فقام غلام في مقدار خمس عشرة سنة أو نحو ذلك وقد مات أبوه وورثه مالا كثيراً فقال يا عبد الواحد بن زيد إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فقلت نعم حسبي فقال لي أشهدك أنني قد بعث نفسي ومالي بأن لي الجنة .

﴿صَرَعَا وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَضَجَّتِ النَّاسُ﴾ أي صاحوا ﴿وَبَادَرُوا﴾ أي أسرعوا ﴿إِلَيْهِ وَأَخَذُوهُ وَجَاءُوا بِهِ يَحْمِلُونَهُ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قُلْتُ لَهُ : هَنِيئاً مَا تَقْطُرُ عَلَيْهِ اللَّيْلَةُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكَ﴾ أبو الوليد ﴿فَعَضَّ عَلَى شَقِيْقِهِ وَهُوَ يَضْحَكُ ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَّقَنَا وَعْدَهُ ثُمَّ مَاتَ . قَالَ﴾ أبو الوليد ﴿هَشَامُ﴾ المذكور ﴿فَصَحَّتْ بِأَعْبَادِ اللَّهِ لِمِثْلِهِ هَذَا فليعمل العاملون واسمعوا ما أخبركم عن أخيكم هذا﴾ المقول ﴿فَأَقْبَلَ النَّاسُ فَحَدَّثْتُهُمُ بِالْحَدِيثِ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي جهة صوابه ﴿وَمَا كَانَ مِنْهُ فَمَا رَأَيْتُ بَاكِياً كَالسَّاعَةِ ثُمَّ كَبَرُوا تَكْبِيرَةً اضْطَرَبَ لَهَا الْعَسْكَرُ وَشَاعَ الْحَدِيثُ﴾ أي انتشر ﴿وَبَلَغَ الْخَبْرُ إِلَى مُسْلِمَةَ﴾ الأمير ﴿فَجَاءَ وَقَدْ وَضَعْنَاهُ﴾ أي الميت ﴿لِنُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَقُلْتُ : صَلِّ عَلَيْهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ فَقَالَ : بَلْ يُصَلِّي عَلَيْهِ الَّذِي عَرَفَ مِنْ أَمْرِهِ مَا عَرَفَ فِي مَوْضِعِهِ وَبَاتَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ بِهِ فَلَمَّا طَلَعَ الصَّبَاحُ تَذَكَّرْنَا حَدِيثَهُ فَصَاحُوا صِيْحَةً وَحَمَلُوا عَلَى الْعَدُوِّ فَفَتَحَ اللَّهُ الْحَصْنَ فِي ذَلِكَ النَّهَارِ بِبَرَكَاتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ .

﴿وَحَكِي﴾ الشيخ أبو محمد ﴿اليافعي﴾ في روضه ﴿عن الشيخ عبد الواحد بن زيد﴾ رحمه الله تعالى ﴿قال : بينما نحن ذات يوم في مجلسنا هذا قد تهيأنا للخروج إلى الغزو وقد أمرت أصحابي أن يتهيأوا لقراءة آية فقرأ رجل في مجلسنا﴾ قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ قال محمد بن كعب القرظي : لما بعث الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلاً قال عبد الله بن رواحة : اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال : اشترط لربي أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً واشترط لنفسي أن تمتنعوني بما تمتنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا : إذا فعلنا ذلك فما لنا ؟ قال : الجنة قالوا : ربح البيع لا نبيع ولا نستقبل فنزلت : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . قال أهل المعاني : لا يجوز أن يشتري الله شيئاً موله في الحقيقة لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملك والأشياء كلها ملك الله عز وجل ولهذا قال الحسن : أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقنا إياها لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعاء إلى الطاعة والجهاد وذلك لأن المؤمن إذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل أو أنفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الآخرة بما فعل في الدنيا فجعل ذلك استبدلاً واشترأ فهذا معنى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والمراد باشتراء الأموال اتفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعة .

﴿فَقَامَ غُلَامٌ﴾ غيره ﴿فِي مِقْدَارِ خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ وَقَدْ مَاتَ أَبُوهُ وَوَرِثَهُ مَالاً كَثِيراً فَقَالَ : يَا عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ زَيْدٍ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ فَقُلْتُ : نَعَمْ حَسْبِي فَقَالَ لِي : أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ بَعَثْتُ نَفْسِي وَمَالِي بِأَنْ لِي الْجَنَّةُ .

﴿فلما كان يوم الخروج﴾ للغزو ﴿كان﴾ أى الغلام ﴿أول من طلع علينا فقال: السلام عليك يا عبد الواحد فقلت: وعليك السلام رج البيع ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدم منا ويخدم دوابنا ويحرسنا اذا قمنا حتى اذا انتهينا الى بلاد الروم فينما نحن كذلك اذا به قد أقبل وهو ينادى واشوقاه الى العيناء المرضية﴾ وهي زوجة في الجنة ﴿فقال أصحابي: لعله وسوس هذا الغلام واختلط عقله فقلت: حبيبى وما هذه العيناء المرضية؟ فقال: انى غفوت﴾ أى نمت نومة ﴿غفوة فرأيت كأنه أتاني آت فقال لي: اذهب الى العيناء المرضية فبهجم﴾ أى أسرع ﴿بى على روضة فيها نهر من ماء غير آسن﴾ أى غير متغير ﴿واذا على شط النهر جوار عليهن من الحلى والحلل مالا أقدر أن أصفه﴾ والحلل جمع حلة بالضم لا تكون الا ثوبين من جنس واحد مثل غرفة وغرف ﴿فلما رأيته﴾ أى تلك الجوارى ﴿استبشرن وقلن: هذا زوج العيناء المرضية فقلت: السلام عليكم أفيمكن العيناء المرضية؟ فقلن: نحن خدماها واماؤها امض أمامك فمضيت أمامي فاذا بنهر من لبن لم يتغير طعمه في روضة فيها من كل زينة فيها جوار لما رأيتهن أقست بحسنتهن وجمالهن فلما رأيتهن استبشرن بى وقلن: والله هذا زوج العيناء المرضية فقلت: السلام عليكم أفيمكن العيناء المرضية؟ فقلن: وعليك السلام يا ولي الله نحن خدماها واماؤها فتقدم أمامك فتقدمت فاذا أنا بنهر من خمر وعلى شط الوادى جوار أنسبنى من خلفت﴾ لحسنتهن وجمالهن ﴿فقلت: السلام عليكم أفيمكن العيناء المرضية فقلن: لا﴾ أى ليست عندنا ﴿فنحن خدماها واماؤها امض أمامك فمضيت أمامي فاذا بنهر آخر من عسل مصفى وجوار عليهن من الثور والجمال ما أنساني ما خلفت فقلت: السلام عليكم أفيمكن العيناء المرضية؟ فقلن: يا ولي الله نحن اماؤها

وخدمها فامض أمامك فمضيت أمامي فوصلت إلى خيمة من درة يضاء وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحلي والحلل مالا أقدر أن أضفه فلما رأيته استبشرت ونادت في الخيمة أيها العبد المرضية هذا بعلك قد قدم قال فدنوت من الخيمة ودخلت فإذا هي قاعدة على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت فلما رأيته استبشرت بها وهي تقول مرحبا بك يا ولي الرحمن قد دنا لك القدوم علينا فذهبت لأعتقها فقالت مهلا فإنه لم يؤذن لك أن تعاقني لأن فيك روح الحياة وأنت تنظر الليلة عندنا قال فاستبشرت يا عبد الواحد ولا صبر لي عنها قال عبد الواحد فما انقطع كلامنا حتى ارتقت لنا سريرة من العد فحمل الغلام فعددت تسعة من العدو وقتلهم وكان هو العاشر فبررت به وهو يشحط في دمه وهو يضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا رضي الله عنه ونفعنا به آمين .

﴿فصل﴾ في الإنفاق في سبيل الله قال الله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء

وخدمها فامض أمامك فمضيت أمامي فوصلت إلى خيمة من درة يضاء وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحلي والحلل مالا أقدر أن أضفه فلما رأيته استبشرت ونادت في الخيمة أيها العبد المرضية هذا بعلك الذي زوجك قد قدم قال الغلام فدنوت أي قربت من الخيمة ودخلت فإذا هي أي العبد المرضية قاعدة على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت فلما رأيته استبشرت بها وهي تقول مرحبا بك يا ولي الرحمن قد دنا لك القدوم علينا فذهبت لأعتقها فقالت مهلا أي امهل واصبر فإنه لم يؤذن لك أن تعاقني لأن فيك روح الحياة وأنت تنظر الليلة عندنا قال فاستبشرت يا عبد الواحد ولا صبر لي عنها قال عبد الواحد فما انقطع كلامنا حتى ارتقت لنا سريرة من العدو فحمل الغلام فعددت تسعة من العدو وقتلهم وكان هو أي الغلام العاشر فبررت به وهو يشحط ويثوث في دمه وهو يضحك ملء فيه أي فيه حتى فارق الدنيا رضي الله عنه ونفعنا به آمين والله دار القاتل .

يا من يعاقب دينا لا بقاء لها * يمسى ويصبح مغرورا وغر

هلا تركت من الدنيا معاقبة * حتى تعاقب في الفردوس أباكرا

ان كنت تبغى جنان الخلد تسكنها * فينبغي لك أن لا تأمن النار

﴿فصل في﴾ فضيلة ﴿الإنفاق في سبيل الله قال الله تعالى: مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ قيل أراد به الإنفاق في الجهاد وقيل هو الإنفاق في جميع أبواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والطوع وفيه أضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴿كمثل حبة﴾ أي كمثل زرع حبة ﴿أنبت﴾ أي أخرجت تلك الحبة ﴿سبع سنابل﴾ جمع سنبلة ﴿في كل سنبلة مائة حبة﴾

فان قلت: فهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها؟ قلت: ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا فضرب المثل به جائز وإن لم يوجد والمعنى في كل سنبلة مائة حبة أن جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن وقيل أن المقصود من الآية أنه إذا علم الإنسان الطالب للزيادة والرجح أنه إذا بذر حبة واحدة أخرجت له سبع مائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب الآخر عند الله في الآخرة أن لا يترك الإنفاق في سبيل الله إذا علم أنه يحصل له بالواحد عشرة ومائة وسبع مائة ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ يعني أنه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء من سبع إلى سبعين إلى سبع مائة إلى ما يشاء من الأضعاف بما لا يعلمه أحد إلا الله

والله واسع عليهم * وأخرج ابن ماجه عن ثمانية من الصحابة قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية والله يضاعف لمن يشاء * وعن زيد بن خالد الجهني من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا * وأبو داود عن أبي أمامة من لم يغز أو يجهز غازيا أو يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة * ومسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال جاء رجل بناقحة مخطومة فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة * والترمذي عن عبد الرحمن بن خباب قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبحث على جيش العسرة فقام عثمان رضي الله عنه فقال يا رسول الله على مائة بعير بأحلاسها وأقاتها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقام عثمان رضي الله عنه فقال يا رسول الله على مائتا بعير بأحلاسها وأقاتها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال يا رسول الله على ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقاتها في سبيل الله فأتا رسول الله ﷺ ينزل من على المنبر وهو يقول ما على عثمان ما عمل بعد هذه ما على عثمان ما عمل بعد هذه *

﴿والله واسع﴾ أي غني يعطي الغني عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازة وعلى الجود والافضال ﴿عليهم﴾ يعني بنية من يتفق في سبيله وقيل عليهم بمقادير الاتفاق وبما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه .

﴿وأخرج ابن ماجه عن ثمانية من الصحابة﴾ رضوان الله عليهم ﴿قالوا﴾ قال رسول الله ﷺ : من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ثم تلا أي قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : والله يضاعف لمن يشاء . ﴿وأخرج مسلم في صحيحه﴾ عن زيد بن خالد الجهني ﴿عن﴾ رسول الله ﷺ أنه قال : ﴿من جهز غازيا﴾ قال العسري : من هيا أنساب سفره من شيء قليل أو كثير ﴿في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله﴾ أي صار قائما مقامه في تدبير أموره ودفع احتياجاتهم ﴿بخير فقد غزا﴾ أي حصل له أجر العزو ان كان التحيز في غير زمن التنفير وان كان فيه فمعتاه سقط عنه الفرض كذا قرره بعض الشراح ﴿وأخرج﴾ أبو داود عن أبي أمامة ﴿عليه السلام﴾ قال قال النبي ﷺ ﴿من لم يغز أو﴾ لم يجهز غازيا أو ﴿لم يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة﴾ أي بشدة من الشدائد وبلية من البلايا ﴿وأخرج﴾ مسلم ﴿في صحيحه﴾ عن أبي مسعود الأنصري ﴿عليه السلام﴾ قال : جاء رجل بناقحة مخطومة أي يجعل في أنفها خطام الزمام ﴿فقال﴾ : هذه في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ : لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة .

﴿وأخرج﴾ الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب ﴿رضي الله عنه﴾ قال : شهدت النبي ﷺ وهو يبحث ﴿الموسرين﴾ على تجهيز المعسرين في ﴿جيش﴾ غزوة ﴿العسرة﴾ بضم العين وسكون السين المهملة لما وقع فيها من العسرة في الماء والظهور والنفقة وهي غزوة تبوك وكانت آخر غزواته ﷺ وكانت في شهر رجب من سنة تسع قبل الحجة الوداع اتفاقا ﴿فقام عثمان﴾ بن عفان ﴿رضي الله عنه فقال﴾ : يا رسول الله على مائة بعير بأحلاسها ﴿جمع خلس مثل حمل وأحمال وهو كساء يجعل على ظهر البعير تحتي رحله﴾ وأقاتها ﴿جمع قتب وهو الأكاف﴾ في سبيل الله ثم حض ﴿على﴾ تجهيز ﴿الجيش﴾ فقام عثمان رضي الله عنه فقال : يا رسول الله على مائتا بعير بأحلاسها وأقاتها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال : يا رسول الله على ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقاتها في سبيل الله فأتا رسول الله ﷺ ينزل من على المنبر وهو يقول : ما على عثمان ما عمل بعد هذه أي الفعلة ﴿ما على عثمان ما عمل بعد هذه﴾ .

وأحمد عن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان بن عفان رضي الله عنهما بألف دينار في كفه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره
 ﷺ فرأيت رسول الله عليه وسلم يقلبها في حجره وهو يقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم يرددها مرارا * وعن قتادة أنه قال حمل
 عثمان في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا * وعن حذيفة بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى عثمان في جيش العسرة فبعث
 إليه عثمان بعشرة آلاف دينار فصبت بين يديه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهر البطن ويقول غفر الله لك يا عثمان
 ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة ما يبالي الله ما عمل بعدها * وعن أنس قال بينما عائشة في بيتها إذ سمعت رجلا
 فقال ما هذا قالوا غير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شيء وكانت سبعمائة بعير فارتجت المدينة من الصوت
 فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قد رأيت عبد الرحمن يدخل الجنة حبوا فبلغ عبد الرحمن
 فقال إن استطعت لأدخلتها قاتنا فجعلها بأحمالها وأقايها في سبيل الله عز وجل * وعن ابن عباس رضي الله عنهما من فدى أسيرا من
 أيدي العدو فأتانا ذلك الأسير .

﴿و﴾ أخرج أحمد عن عبد الرحمن بن سمرة قال : جاء عثمان بن عفان رضي الله عنهما بألف دينار في كفه حين تجهز جيش
 العسرة فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره وهو يقول : ما ضر عثمان ما عمل
 بعد هذا اليوم يرددها مرارا . . . وروى عن قتادة رضي الله عنه أنه قال : حمل عثمان في جيش العسرة على ألف بعير
 وسبعين فرسا . . . وعن حذيفة رضي الله عنه بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى عثمان في جيش العسرة فبعث إليه صلى الله
 عليه وسلم عثمان بعشرة آلاف دينار فصبت بين يديه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أي يأخذ بيده ويقلبها ظهر البطن
 ويقول : غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة ما يبالي الله ما عمل بعدها وجاء أبو بكر بكل ماله وهو
 أربعة آلاف درهم فقال صلى الله عليه وسلم هل أبيت لأهلك شيئا ؟ فقال : أبيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب بنصف
 ماله وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية وجاء العباس وطلحة بمال كثير وتصدق عاصم بن عدي بسبعين وسقا من تمر وأرسلت
 النساء بكل ما يقدرن عليه من حلين كذا ذكره الحضري في نور اليقين .

﴿و﴾ أخرج أبو نعيم في الحلية عن أنس بن مالك قال : بينما عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها إذ سمعت
 رجلا أي صوتا رجلا أي اضطربت منه المدينة فقالت : ما هذا ؟ قالوا : غير أي قافلة لعبد الرحمن بن عوف قدمت من
 الشام تحمل من كل شيء وكانت سبعمائة بعير فارتجت المدينة من الصوت فقالت عائشة رضي الله عنها أما اني سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول : قد رأيت عبد الرحمن يدخل الجنة حبوا قال الفيومي حبا الصغير يحبو حبوا إذا خرج على بطنه
 ﴿فيلج ذلك عبد الرحمن﴾ فأتاها فسالها عما بلغه فحدثته فقال : ان استطعت لأدخلتها قاتنا فجعلها أي تلك البعير
 بأحمالها وأقايها في سبيل الله عز وجل ورواه أيضا الطبراني في الكبير .

﴿و﴾ أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما باسناد حسن من فدى أسيرا أي بدفع مال مثلا
 من أيدي العدو أي الكفار فأتانا ذلك الأسير أي فكأنني إن المأمورون فداني والقصد الترخيب في فك الأسرى ذكره العزيمى
 وتأهيك بمن خلص رسول الله صلى الله عليه وسلم من يد العدو ولو على طريق الفرض والتقدير قاله الحفنى .

﴿فصل في الفرار من الزحف﴾ قال الله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير * وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات أي المهلكات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم

﴿فصل في﴾ ذم ﴿الفرار من الزحف﴾ أي من كافر أو كفار لم يزدوا على الصف إلا التحرف لقتال أو لتحيز إلى فئة يستجد فيها ﴿قال الله تعالى﴾ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ﴿ومن يولهم يومئذ دبره﴾ يعني ومن ينهزم ويول دبره يوم الحرب والقتال ﴿المتحرفا لقتال﴾ إلا منقطعاً إلى القتال يرى عدوه من نفسه الانهزام وقصده طلب الكرة على العدو والعود إليه وهذا هو أحد أبواب الحرب وخدعها ومكايدها ﴿أو متحيزا إلى فئة﴾ يعني أو مضماً وصائراً إلى جماعة من المؤمنين يريدون العود إلى القتال ﴿فقد باء بغضب من الله﴾ يعني من انهزم من المسلمين وقت الحرب إلا في هاتين الحالتين وهى التحرف للقتال والتحيز إلى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله ﴿وماواه﴾ أي مصيره ﴿جهنم وبئس المصير﴾ واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال أبو سعيد الخدري هذا في أهل بدر خاصة لأنه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم تكن لهم فئة يتحيزون إليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا إلى المشركين ولأنها أول غزاة غزاها صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشد الله عليهم أمر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فأما بعد ذلك اليوم فإن المسلمين بعضهم فئة بغض فيكون الفار متحيزاً إلى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن والضحك وقادة قال يزيد بن أبي حبيب : أوجب الله الفار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم أحد قال الله تعالى : إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كذبوا ولقد عفا الله عنهم . ثم كان يوم حنين بعده فقال سبحانه وتعالى : ثم ولتيم مذبذبين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : كما في جيش بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاص الناس حيصة فانهزمنا فقلنا : يا رسول الله نحن الفارزون قال : لا بل أتم الكراون أنا فئة المسلمين قوله فخاص الناس حيصة يعني جال الناس جولة يطلبون الفرار من العدو والحيص الحرب . وقال محمد بن سيرين : لما قتل أبو عبيدة جاء الخبر إلى عمر بن الخطاب فقال : لو انحاز إلى كت له فئة أنا فئة كل مسلم . وقال بعضهم : حكم الآية عام في حق كل من ولي ظهره منهزماً بدليل قوله : يا أيها الذين آمنوا وهذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وإن كانت الآية نزلت في غزاة بدر لكن العبر بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقال عطاء بن أبي رباح : هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : الآن خفف الله عنكم . فليس لقوم أن يوفروا من مثليهم فنسخت بذلك إلا في هذه العدة وعلى هذا أكثر أهل العلم أن المسلمين إذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا منهم ويولهم ظهورهم وإن كان العدو أكثر من المثليين جاز لهم أن يفروا منهم . قال ابن عباس : من فر ثلاثة لم يفروا من فر من اثنين فقد فر ،

﴿وأخرج الشيخان عن أبي هريرة﴾ قال : قال رسول الله ﷺ : اجتنبوا أي ابعدوا فهو أبلغ من لا تفعلوا لأنه لا يدل على طلب البعد وفي المصباح جنيت الرجل الشر جنوباً من باب قعد بعده عنه وجنبته بالثقل مبالغة انتهى . وحينئذ فهو افتعال من الجنوب على وزن القعود ﴿السبع﴾ أي الكبائر السبع ﴿الموبقات أي المهلكات﴾ جمع موبقة سميت بذلك لأنها سبب لأهلاك مرتكبها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات وفي الآخرة من العذاب ﴿قيل يا رسول الله وما هن ؟﴾ قال : عليه الصلاة والسلام ﴿الشرك بالله﴾ أي جعل أحد شريكاً لله سبحانه وتعالى والمراد الكفر به بأي نوع وهو أعظم الكبائر ﴿والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ أي بفعل موجب للقتل شرعاً ﴿وأكل الربا﴾ أي تناوله بأي وجه كان ﴿وأكل مال اليتيم﴾ ويرث سؤ الختام وشرط القاضي أبو سعيد الحارثي في كون

والتولى يوم الزحف وقذف الحصينات الغافلات المؤمنات * وأحمد من لقى الله عز وجل لا يشرك به شيئاً وأدى زكاة ماله طيبة بها نفسه
محتسباً وسمع وأطاع فله الجنة أو دخل الجنة * وخمس ليس لمن كفارة الشوك بالله وقتل النفس بغير حق وبعت المؤمن والفرار من
الزحف.

الغصب كبيرة أن بلغ نصاباً ويتردد في السرقة وطلعه جماعة في أكل مال اليتيم وأنواع الحياة هكذا نقله الحنفى عن الفتح والتملى يوم
الزحف الزحف اسم الجيش الكفار سمو بذلك لكثرة زحفهم عن المسلمين أى وإن كان لو ثبت قتل فيخرج التولى حيث كان في قتله
نكابة في العدى وبأن يقتل كثيراً قبل أن يقتل والا بأن علم أنه أن ثبت قتل من غير نكابة لهم فلا يحرم وقذف الحصينات أى رمين بالزنا
والاحصان هنا العفة من الفواحش أى الحفظات فروجهن الغافلات عن الفواحش وما قذف به المؤمنات أما لكافرات فقد هن
صغيرة وغير الغافلات عن الفواحش فلا يحرم قذفهن إن كن معلنات . وأخرج أحمد والنسائى بسئل رسول الله ﷺ عن الكباثر قال :
الاشراك بالله وقتل النفس المسلمة وفرار يوم الزحف . وأخرج الطبراني في تفسيره أنه ﷺ قيل له ما الكباثر ؟ قال : الشراك بالله وعقوق
والوالدين والفرار من الزحف وفي رواية له الاشراك بالله والفرار من الزحف وقتل النفس . وأخرج البزار بسند فيه مختلف فيه الكباثر سبع
أو لمن الاشراك بالله وقتل النفس بغير حقها وأكل الربا وأكل مال اليتيم وفرار يوم الزحف وقذف الحصينات الحديث . وأخرج الطبراني
بسند فيه ابن لميعة وحديثه حسن في المتابعات : اجتنبوا الكباثر السبع الشرك بالله وقتل النفس والفرار من الزحف الحديث . وأخرج
أبو القاسم البورى عن ابن عمر أنه سئل عن الكباثر فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : هن سبع قلت : وما هن ؟ قال : الاشراك بالله
وقذف الحصينات وقتل النفس المؤمنة والفرار من الزحف والسحر الحديث . وأخرج ابن مردويه في تفسيره وابن حبان في صحيحه أنه
صلى الله عليه وسلم كتب الى أهل اليمن كتاباً فيه الفرائض والسنن والديات وبعث به مع عمرو بن حزم قال : وكان في الكتاب أن أكبر
الكباثر عند الله يوم القيامة اشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق والفرار من الزحف وعقوق الوالدين ورمى المحصنة وتعلم
السحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم .

﴿و﴾ أخرج أحمد بسند فيه مختلف فيه ﴿من لقى الله عز وجل لا يشرك به شيئاً﴾ أى مات على الاسلام ﴿وأدى زكاة ماله
طيبة بها نفسه محتسباً﴾ أى طالباً للأجر ﴿وسمع﴾ ما قيل له من الحق ﴿وأطاع﴾ ما أمر به من ذلك ﴿فله الجنة أو﴾ قال ﴿دخل الجنة
﴾ أخرج أحمد وأبو الشيخ في التوبخ عن أبي هريرة بأسناد حسن ﴿خمس ليس لمن كفارة الشوك بالله وقتل النفس﴾ المعصومة ﴿بغير
حق وبعت المؤمن﴾ أى إيقاعه في البهتان والحيرة ﴿والفرار من الزحف﴾ حيث لا يجوز ﴿وبمين صابرة يقطع بها مالا﴾ لغيره ﴿بغير
حق﴾ وهو الغموس والصبر بمعنى الحبس سميت بذلك لأن صاحبها يحبس بها الحق عن صاحبها وهذا في غير شرك بالله أو محمول على
الزجر والتنفير أو على من استحل وما قررته من جعل هذا للشرط الأخير حديثاً واحداً هو ما في الجامع للسيوطى والمصنف جعله مع ما
قبله حديثاً واحداً تبناً للزواج ﴿و﴾ أخرج الطبراني عن ثوبان مولى المصطفى صلى الله عليه وسلم ﴿ثلاثة لا ينفع معهن عمل
الشرك بالله وعقوق﴾ بضم العين من العق وهو القطع . ﴿والوالدين والفرار من الزحف﴾ أى الحرب من القتال عند التقاء الصفوف بلا عذر
قال الحنفى : وهذا ظاهر بالنسبة للأول أما غيره فالمراد النفع الكامل .

* فصل في دم القرا من الطاعون * قال الله تعالى : ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا
ثم أحياهم . اعلم أن عادته تعالى أن يذكر القصص بعد بيان الأحكام ليعبد الاعتبار للسامع والمهمزة هنا للاستفهام التعريوى لدخولها

على حرف النفي بناء على علم المخاطب بالقصة قيل نزولها أنها للتنبه والعجب من حالهم والمخاطب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كل سامع قال أكثر المفسرين : هي قرية قرب واسط وقع بها طاعون فخرج عامة أهلها وبقيت طائفة فلم يبق منهم الا قليل مرض فلما ارتفع الطاعون رجع الهاربون سالمين فقال المرضى هؤلاء أحذم منا لو صنعنا كما صنعوا نجونا ولن وقع الطاعون ثانيا لنخرجن الى أرض لا وباء فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وهم بضعة وثلاثون ألفا وقيل سبعون ألفا وقيل ثلاثة آلاف ،

قال الواحدى : ولم يقول أدون من ثلاثة آلاف ولا أكثر من سبعين ألفا والوجه من حيث اللفظ أن يكون عددهم أكثر من عشرة آلاف اذ يقال في عشرة وما دونها ألوف أى الا نادرا حتى نزلوا واديا أفج وظنوا النجاة فتأداهم ملك من أسفل الأودى وآخر من أعلاه أن موتوا جميعا ولبت أجسامهم فمر بهم نبي يقال له حزقيل ثالث خلفاء بنى اسرائيل بعد موسى صلى الله على نينا وعليهما وسلم اذ خليفته الأكبر يوشع ثم كالب وحزقيل هذا هو خالفة كالب ولكن أمه سألت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت سمى بن العجوز قال الحسن ومقاتل وهو ذوالكل لأنه تكلم سبعين نيا ونجاهم من القتل فلما مر من حزقيل بأولئك الموتى وقف متفكرا متعجبا فأوحى الله اليه : أتريد أن أريك آية ؟ قال : نعم فقبل له ناديا أيها العظام ان الله يأمرك أن تجتمعى قطاير بعضها الى بعض حتى تمت ثم أوحى الله اليه أن نادها يا أيها العظام ان الله يأمرك أن تكسى لحما ودما ثم ناد ان الله يأمرك أن تقومين فقاموا أحياء قائلين سبحانك ربنا وحدك لاله الا انت ثم رجعوا الى قومهم وأما رات الموت ظاهرة عليهم في ووجهم وأبدانهم الى أن ماتوا بعد بحسب آجالهم .

وجاء أن عمر رضى الله عنه لما ذهب الى الشام وبلغ سرخ بلغه أن الوباء قد وقع بالشام فاستشار أكابر الصحابة فلم يجد عند أحد منهم علما حتى جاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فروى له أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض واتم بها فلا تخرجوا فرارا منه فرجع عمر من سرخ .

وقال ابن عباس وجماعة : سبب موت أولئك ان ملكا لبنى اسرائيل أمر عسكره بالقتال فجنبوا واعتلوا بأن الأرض التي نذهب اليها بها الوباء فلا تأتيها حتى يزول فأرسل الله عليهم الموت فخرجوا من ديارهم فرارا منه فلما رأى الملك ذلك قال : اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى مغصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلمون أنهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال لهم الله : موتوا أمر تحويل فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموت رجل واحد وبقي ثمانية أيام حتى انتفخوا وراحت أجسادهم وبلغ بنى اسرائيل موتهم فخرجوا لدفنهم فعجزوا لكثرتهم فحظروا عليهم الخطائر دون السباع فأحياهم الله بعد ثمانية أيام وبقي فيهم شيء من ذلك النقص وفي أولادهم الى يومنا هذا وقيل غير ذلك .

قوله تعالى : فقال لهم الله موتوا هو من باب قوله تعالى انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون والمراد سرعة وقوع المراد وعدم تخلفه عن تعلق الارادة به اذ لا قول هناك وقيل أمر للرسل أو الملك أن يقول ذلك والأول هو الظاهر ثم أحياهم صريح في حياتهم بعد موتهم وهو ممكن وقد أخبر به الصادق فوجب القطع به وقول المعزلة احياء الميت أمر خارق للعادة فلا يجوز اظهاره الا معجزة لنبي رده أهل السنة بأنه يجوز خرقها كرامة لولى وغير ذلك وانكار ذلك مكابرة للحس وليس ذلك بعيد من عقولهم الفاسدة الضالة ،

وسبب احياء استقاء بقية آجالهم وقدر في القصة ما يقتضى أن الموت فجأة كالنوم ولم يعانوا شدة ولا هولا فاندفع قول المعزلة أيضا المعارف تضيير ضرورة عند القرب من الموت ومعاينة الأحوال فيجب اذا عاشوا أن يبقوا ذاكرين ذلك لأن الأشياء العظيمة لا تنسى مع كمال العقل فتبقى لهم تلك العلوم ومع بقائها يمنع التكليف كما في الآخرة على أن لنا ان نلتزم أنهم عاينوها ولا يلزم ما ذكروه

وعين صابرة يقطع بها مالا بغير حق * والطبراني ثلاثة لا ينفع معهن عمل الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وعين صابرة يقطع بها مالا بغير حق والطبراني ثلاثة لا ينفع معهن عمل الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وأخرج أحمد والبخاري لغاز من الطاعون من الزحف ومن صبر فيه كان له أجر شهيد * والشيخان عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فرار منه

لجواز أن الله تعالى يلقي عليهم بعد حياتهم نسيان ما وقع لهم ابتلاء لهم حتى يتم تكليفهم في بقية آجالهم التي أحيوا ليستوفوها،

والطاعون وزنه فعول من الطن غير أنه لما عدل به عن أصله وضع دالا على الموت بالوباء . قال الجوهرى : وهو مبنى على اتحادهما والصحيح خلافه إذ الوباء الموت العام بسبب باطن والطاعون بثرات صغيرة تخرج في البدن يغلب وجودها في مرقه كالا باط وقد جاء عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فناء أمتي بالطعن والطاعون فقلت : يا رسول الله الطن قد عرفنا فما الطاعون ؟ قال : غدة كعدة البعير تخرج من المراق والآباط .

قال العلماء : وهذا قد يرسله الله نعمة وعقوبة على من يشاء من عصاة عبيده وكفرتهم وقد يرسله الله تعالى شهادة ورحمة لصالحهم لقول معاذ في طاعون عمواس أنه شهادة ورحمة لكم ودعوة نبيكم وهو قوله صلى الله عليه وسلم : اللهم اعط معاذا وأهله نصيبهم من رحمتك فطن في كفه رضى الله عنه وروى أحمد وأبو يعلى والطبراني عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تنفى أمتي إلا بالطعن والطاعون قلت : يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون ؟ قال : غدة كعدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منه كالقار من الزحف وفي رواية لأبي يعلى أنه صلى الله عليه وسلم قال : وخبرة أى طعن تصيب أمتي من أعدائهم من الجن كعدة الأبل من أقام عليها كان مرابطا ومن أصيب به كان شهيدا ومن فر منه كان كالقار من الزحف ورواه البزار وعنده قلت : يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون ؟ قال : يشبه الدم يخرج من الآباط والمراق وفيه تركية أعمالهم وهو لكل مسلم شهادة . قال الحافظ المنذرى : أسانيد هذه الروايات كلها حسان

﴿وأخرج أحمد﴾ بسند حسن ﴿والبخاري﴾ والطبراني عن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿الفار من الطاعون كالقار من الزحف ومن صبر فيه كان له أجر شهيد﴾ ورواه الترمذى وقال حسن غريب وابن حبان في صحيحه ﴿ون﴾ أخرج ﴿الشيخان﴾ وغيره ﴿عن عبد الرحمن بن عوف﴾ الزهري أحد العشرة رضى الله عنه ﴿أنه قال﴾ : سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها عليه قال المناوى : أى يحرم عليكم ذلك لأن الأقدام عليه جراءة على خطر وإيقاع للنفس في التهلكة والشرع ناه عن ذلك قال الله تعالى : ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقال بعضهم : النهى للتنزيه ﴿وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فرار﴾ أى بقصد الفرار ﴿منه﴾ فإن ذلك حرام لأنه فرار من القدر وهو لا ينفع والثبات تسليم لما يسبق منه اختيار فيه . قال الشيخ محمد حجازى الشعوانى : فلا يشكل بالنهى عن الدخول فإن لم يقصد فرارا بل خرج لنحو حاجة لم يحرم .

وقال القلقسى : قال ابن العربي في شرح الترمذى : حكمة النهى عن القدوم أن الله تعالى أمر أن لا يتعرض للتحف أى الهلاك والبلاء وإن كان نجاة من قدر الله تعالى إلا أنه من باب الحذر الذي شرعه الله تعالى وللايقول القائل لو لم أدخل لم أمرض ولو لم يدخل فلان لم يميت . وقال ابن دقيق : الذي يترجح عندى في الجمع بين النهى عن الفرار والنهى عن القدوم أن الأقدام عليه تعرض للبلاء ولعله لا يصبر عليه وربما كان فيه ضرب من الدعوى لمقام الصبر أو التوكل فمنع ذلك لاغترار النفس ودعواها ما لا تثبت عليه عند التحقيق وأما الفرار

﴿تنبيه﴾ إن الفرار من الزحف أي من كافر أو كفار لم يزيدوا على الضعف لغير تحرف لقتال أو تحيز إلى فئة يستجد بها من الكبائر المهلكة
﴿فصل في الغلول﴾ قال الله تعالى وما كان لنبي أن يغفل

فقد يكون داخل في باب التوكل في الإثبات متصورا بصورة من يحاول النجاة مما قدر عليه فيقع التكليف في القدوم كما يقع التكليف في
الفرار فأمر بترك التكليف فيهما إذ فيه تكليف النفس ما يشق عليها ونظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : لا تمنوا لقاء العدو فإذا
لقيتموه فاصبروا . فأمرهم بترك التمني لما فيه من التعرض لبلاء وخوف الاغترار بالنفس إذ لا يؤمن غدرها عند الوقوع ثم أمرهم
بالصبر عند الوقوع تسليما لأمر الله تعالى انتهى . وقيل أن الحكمة في منع الدخول ثلاث تعلق بقلوبهم الوهم أكثر مما يتعلق بمن لم يدخل .

قال الشيخ تاج الدين السبكي : مذهبنا وهو الذي عليه الأكثرون النهي عن الفرار منه للتحريم وقال بعض العلماء : هو للتنزيه
قال : والاتفاق على جواز الخروج لشغل غرض غير الفرار وقال شيخنا : وقد صح ابن حزيمة في صحيحه بأن الفرار من الطاعون من
الكبائر وأن الله يعاقب عليه ما لم يعف عنه .

قال شيخنا : وقد اختلف في حكمة ذلك فقل هو تعبد لا يعقل معناه لأن الفرار من الممالك بأمر به وقد نهى عن هذا فهو
السرفه لا تعلم حقيقة وقيل هو معطل بأن الطاعون إذا وقع في البلد عم جميع من فيه بمداخلة مبيته فلا يقيد الفرار منه إذا كان أجله
حضر فهو ميت سواء أقام أو رحل وكذا العكس ومن ثم كان الأصح من مذهبنا أن تصرفات الصحيح في البلد الذي وقع فيه الطاعون
كبصرفات المريض مرض الموت فلما كانت المفسدة قد تعينت ولا انفكاك عنها تعينت الإقامة لما في الخروج من العيب الذي لا يليق بالعلاء
وبهذا أجاب أمام الحرمين في النهاية وأيضا لو توارد الناس على الخروج لبقى من وقع به عاجزا عن الخروج فضاعت مصالح المرضى لفقد
من يتعهدهم والموتى لفقد من يجهزهم ولما في خروج الأقوياء على السفر من كسر قلوب من لا قوة له على ذلك . وابن قتيبة : نهى عن
الخروج ثلاثا يظنوا أن الفرار ينجيهم من قدر الله وعن العبور ليكون استكن لأنفسهم وأطيب لعيشهم وفي الحديث جواز رجوع من أراد
دخول بلد فعلم أن بها الطاعون وأن ذلك ليس من الطيرة وإنما هو منع الالتقاء إلى المهلكة كذا قاله العزيمى .

﴿تنبيه﴾ إن الفرار من الزحف أي من كافر أو كفار لم يزيدوا على الضعف لغير تحرف لقتال أو تحيز إلى فئة أي جماعة
﴿يستجد بها من الكبائر المهلكة﴾ كما صرح به العلامة ابن حجر في الزواجر .

﴿فصل في﴾ ذم ﴿الغلول﴾ من الغنمة والستر عليه ﴿قال الله تعالى﴾ : وما كان لنبي أن يغفل ﴿قال ابن عباس رضي الله عنهما﴾ :
نزلة هذه الآية في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض القوم لعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزل الله هذه الآية إلى آخرها
أخرج أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب . وروى عن الضحاك قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلعة فغنم
النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلعة فأنزل الله تعالى : وما كان لنبي أن يغفل . وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله تعالى
: وما كان لنبي أن يغفل . يقول : ما كان لنبي أن يقسم إلى طائفة من المؤمنين ويترك طائفة ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه
بأمر الله ويحكم فيه بما أنزل الله . وقال مقاتل والكلبي : نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنمة وقالوا : نخشى أن يقول النبي
صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له وإن لا تقسم الغنائم كما لم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله
عليه وسلم : ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمرى قالوا : تركنا بقاء أخواننا ووقفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل
ظننتم أنا نغل فلا تقسم فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال قتادة : ذكر لنا أنها نزلت في طائفة غلت من أصحابه وقيل أن الأقوياء الحوا عليه

ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون * وأخرج الطبراني عن المستورد قال قال رسول الله ﷺ ردوا المخيط والخياط من غل مخيطا أو خياطا كلف يوم القيامة أن يحيى به وليس بجاء * وأبو داود والحاكم إذا وجدتم الرجل قد غل فأحرقوا ماله واضربوه * والطبراني لا يغفل مؤمن * ومسلم عن عمر لما كان يوم خير قتل قتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال صلى الله عليه وسلم كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة غلها ثم قال صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ثلاثا قال

يسألونه من المغنم فأنزل الله تعالى : ما كان للنبي أن يغفل عن قوم ما يمنعون آخرين بل عليه أن يقسم بينهم بالسوية . وقال محمد بن كعب القرطبي ومحمد بن اسحق بن يسار : هذا في شأن الوحي يقول وما كان للنبي أن يكتم شيئا من الوحي رغبة أو رهبة أو مدهانة . والغلول هو الخيانة وأصله أخذ الشيء في خفية يقال غل فلان قري يفتح الياء وضم الغين أي وما كان للنبي أن يخون لأن النبوة والخيانة لا يجتمعان لأن منصب النبوة أعظم المناصب وأشرفها وأعلها فلا تليق به الخيانة لأنها في غاية الدناءة والحسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن أمته في شيء لا من الغنائم ولا من الوحي وقيل المراد به الأمة لأنه قد ثبت براءة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك أن المراد بالغلول غيره وقيل اللام فيه منقولة معناه ما كان للنبي ليغل على نقي الغلول عن الأنبياء وقيل معناه ما كان للنبي الغلول أراد ما غل نبي قط فتفى عن الأنبياء الغلول وقيل معناه وما كان يحل للنبي الغلول وإذا لم يحل له لم يفعل وحجة هذه القراءة أنهم نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغلول في بعض الروايات فين الله تعالى بهذه الآية أن هذه الخصلة لا تليق به وتفى عنه ذلك بقوله : وما كان للنبي أن يغفل وقري يغفل بضم الياء وفتح الغين ولها معنيان أحدهما أن يكون من الغلول أيضا ومعناه وما كان للنبي أن يخان وأن يخونه أمته والثاني : أن يكون من الاغلال ومعناه وما كان للنبي أن يخون أي ينسب إلى الخيانة ﴿ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة﴾ يعني بالشيء الذي غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة وقيل يمثل له ذلك الشيء في النار يقال له انزل فخذ فينزل فيحمله على ظهره فإذا بلغ موضعه وقع ذلك الشيء في النار فيكلف أن ينزل إليه ليخرجه بفعله ذلك ما يشاء الله وقيل معناه أنه يأتي بأثم غله فيجازي به يوم القيامة وهو قوله تعالى ﴿ثم توفي كل نفس ما كسبت﴾ يعني من خير أو شر والمعنى أن كل كاسب خيرا كان ذلك الكسب أو شرا فهو مجزي به يوم القيامة وهو في جزاء عمله ﴿وهم لا يظلمون﴾ أي بل يتعدل بينهم يوم القيامة في الجزاء فيجازي على عمله .

﴿وأخرج الطبراني عن المستورد﴾ بن شداد بن عمرو القرشي الفهري ﴿قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ردوا المخيط﴾ بكسر الميم أي الأبرة ﴿والخياط﴾ بكسر المعجمة عبر بها للمبالغة في عدم المساحة في شيء من الغنيمة ﴿من غل مخيطا أو خياطا﴾ من الغنيمة ﴿كلف يوم القيامة أن يحيى به وليس بجاء﴾ أي لا يقدر على الاتيان به فهو كناية عن شدة تعذيبه وذا يوم حنين ﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود والحاكم إذا وجدتم الرجل قد غل فأحرقوا ماله واضربوه . و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ عن ابن عباس باسناد حسن ﴿لا يغفل﴾ أي لا يخون في نحو غنيمة ﴿مؤمن﴾ كامل الإيمان

﴿و﴾ أخرج ﴿مسلم﴾ وغيره ﴿عن عمر﴾ وابن عباس ؓ ﴿لما كان يوم خير قتل قتل من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد فقال صلى الله عليه وسلم : كلا إني رأيته في النار في بردة غلها﴾ أو قال عباءة غلها ﴿ثم قال صلى الله عليه وسلم : يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ثلاثا قال﴾ عمر

فخرجت فناديت ألا إني لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ثلاثاً * وأبو داود والطبراني أتى صلى الله عليه وسلم بنطح من الغنمة فقيل يا رسول الله هذا لك تستظل به من الشمس قال أتحبون أن يستظل من نار يوم القيامة * وأبو داود من كم على غل فهو مثله * والطبراني إن لم تغل أمي لم يغم لهم عدو أبدا * قال أبو ذر لحبيب بن مسلمة هل يثبت لكم العدو وحلب شاة قال نعم وثلاث شياه غزر قال أبو ذر غلتم ورب الكعبة *

﴿فخرجت فناديت ألا إني لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ثلاثاً﴾ وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو العاصي رضي الله عنه قال : كان على نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي غنيمته رجل يقال كركرة بكسر كافين وحكى فتحهما مات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهو في النار فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عبادة قد غلها . وأخرج أحمد بسند صحيح أنه صلى الله عليه وسلم قيل له استشهد مولاك وغلانك فلان فقال : بل يجر إلى النار في عبادة غلها . وأخرج مالك وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه أن رجلا من أصحابه صلى الله عليه وسلم توفي يوم خير فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال : إن صاحبكم غل في سبيل الله فقتلوا متاعه فوجدوا خروا من حرز اليهودي لياسوي درهمين .

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود والطبراني : أتى﴾ بالبناء للمفعول ﴿صلى الله عليه وسلم بنطح من الغنمة فقيل يا رسول الله هذا لك تستظل به من الشمس قال﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿أتحبون أن يستظل﴾ زاد الطبراني نبيكم يظل ﴿من نار يوم القيامة . و﴾ أخرج ﴿أبو داود﴾ عن سمرة ناشئاد حسن ﴿من كم على غل﴾ أي ستر من سرق من الغنمة ﴿فهو مثله﴾ أي في مطلق الائم في الآخرة لا من كل وجه وليس مثله في أحكام الدنيا إذ السارق يقطع يده ومن ستر عليه لا يقطع يده ﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ بسند جيد ﴿إن لم تغل أمي لم يغم لهم عدو أبدا . قال أبو ذر لحبيب بن مسلمة : هل يثبت لكم العدو وحلب شاة ؟ قال : نعم وثلاث شياه غزر قال أبو ذر : غلتم ورب الكعبة﴾ .

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال : لألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يضم الرء وبالمعجمة والمد أي صوت الإبل وذوات الخف فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته فرس له حمحة بمهملتين مفتوحين صوت الفرس فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يضم المثلة وبالمعجمة والمد صوت الغنم . يقول يا رسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لأملك لك شيئا قد أبلغتك لألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته زقاع تحفق فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لألفين أحدكم يجي يوم القيامة على رقبته ضامت أي وهو الذهب والفضة فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك .

وأخرج أبو داود وابن حبان في صحيحة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصاب غنمة أمر بلالا فنادى في الناس فيجيئون بفنائهم فيخمسه ويقسمه فجاء رجل يوما بعد النداء بزمان من شعر فقال : يا رسول الله هذا كان فيما أصبناه من الغنمة فقال : أسمعت بلالا ينادي ثلاثا ؟ قال : نعم قال : فما متعك أن تجي به فاعتره إليه فقال : كن أنت تجي به يوم القيامة فلن أقبله منك . وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأحمد والتسائي من غزا في سبيل الله ولم ينو إلا عقالا فله ما نوى * وأبو داود عن أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يستني عرضا من أغراض الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أجر له فأعظم ذلك الناس وقالوا للرجل عد لرسول الله ﷺ لعلك أن لا تنهم فقال يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يستني عرضا من أغراض الدنيا قال لا أجر له فقالوا للرجل عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الثالثة فقال لا أجر له ﴿نتيجه﴾ إن الغلول هو اختصاص أحد الغزاة سواء الأمير وغيره بشيء من مال الغنيمة قبل القسمة من غير أن يحضره إلى أمير الجيش ليخمسه ويقسمه قسمة شرعية وإن قل المأخوذ فهو حرام بل هو كبيرة كما صرحوا به

إلى خير ففتح الله علينا فلم نغتم ذهابا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والياب ثم انطلقنا إلى الوادي يعني وادي القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه له رجل من جزام يدعى رفاع بن يزيد الضبيب فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمى سهم فكان فيه حقه فقلنا هنيئا له الشهادة يا رسول الله كلا والذي نفس محمد بيده أن الشملة وهي كساء أصغر من القميص للثوب عليه نار أخذها من الغنائم لن تصبها المقاسم قال : ففرغ الناس فجاء رجل بشارك أو شراكين فقال : أصبت يوم خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شارك من نار أو شراكين من نار .

وأخرج التسائي وابن حزم في صحيحه عن أبي رافع رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى العصر ذهب إلى بني عبد الأشهل فيحدث عندهم حتى يحذر المغرب قال أبو رافع : فينما النبي صلى الله عليه وسلم يسرع إلى المغرب مرورنا بالبيع أي ببيع الغر قد كما في رواية فقال : أف لك أف لك قال : فكبر ذلك في ذرعي أي في المعجزة عظم عندى موقعه فاستأخرت وظننت أنه يريدني فقال امش فقلت : أحدث حدث قال : وما ذاك ؟ قلت : أفتت بي ؟ قال : لا ولكن هذا فلان بعته سباعيا على بني فلان فغل غمرة بفتح فكسرة أي برودة من صوف يلبسها الأعراب فدرع مثلها من نار أي جعل له درع مثلها من نار . وأخرج التسائي وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين : من جاء برينا من ثلاثة دخل الجنة : الكبير ، والغلول ، والدن .

﴿وخرج أحمد والتسائي﴾ والحاكم عن عباد بن صامت بإسناد صحيح ﴿من غزا في سبيل الله ولم ينو إلا عقالا﴾ أي لم ينو إلا الغنيمة ولو عقالا من غير ﴿فله ما نوى﴾ قال العزيمى : القصد به الحث على قطع النظر عن الغنيمة وجعل الغزو خالصا لله تعالى ﴿وخرج أبو داود عن أبي هريرة﴾ رضى الله عنه ﴿أن رجلا قال : يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يستني﴾ أي يطلب ﴿عرضا من أغراض الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا أجر له فأعظم ذلك الناس وقالوا : للرجل عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لعلك لا تنهم فقال : يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يستني عرضا من أغراض الدنيا قال : لا أجر له فقالوا للرجل : عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الثالثة فقال : لا أجر له﴾

﴿نتيجه﴾ علم من الأحديث المذكورة ﴿إن الغلول هو اختصاص أحد الغزاة سواء الأمير وغيره بشيء من مال الغنيمة قبل القسمة من غير أن يحضره إلى أمير الجيش ليخمسه ويقسمه قسمة شرعية وإن قل المأخوذ فهو حرام بل هو كبيرة كما صرحوا به﴾ نعم يجوز عندنا التبسط بأخذ بعض المأكول له أو لدابته من مال الغنيمة قبل القسمة بشروط المذكورة في محلها قاله في الزاجر .

﴿فائدة ثان﴾ إحداهما أنه إذا حصل شيء من الغنيمة بيد أحد من الجند فإن لم يخمس ولم يقسم الباقي قسمة شرعية وجب الخمس في الذي صار إليه ولا يحل له الانتفاع بالباقي حتى يعلم أنه حصل لكل من الغانمين بقدر حصته من هذا فإن تعذر صرف ما صار إليه إلى مستحقه دفعه إلى القاضي العدل كسائر الأموال الضائعة فإلى عالم موثوق به وأعلمه الحال ليصرفه إلى مصارفه * وثانيهما أنه قال بعضهم كما يحرم الغلول من الغنيمة يحرم الغلول من الأموال المشتركة بين المسلمين ومن بيت المال والزكاة فلا فرق في غال الزكاة بين أن يكون من مستحقها وغيرهم لأن الظفر ممنوع فيها إذ لا بد من النية بل لو أفرز المالك قدرها ونوى لم يحجز الظفر أيضا لتوقف ذلك على إعطاء المالك فعند عدم إعطائه يتعذر الملك فكان باقيا على ملك مالكه حتى يعطيه فاتضح امتناع الظفر في مال الزكاة مطلقا .

﴿باب الكهانة والعرافة والطيرة والتنجيم والسحر وإتيان أصحابها﴾

﴿أخرج﴾ البزار عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من تطير أو تطير له

﴿فائدة ثان أحدهما أنه إذا حصل شيء من الغنيمة بيد أحد من الجند فإن لم يخمس ولم يقسم الباقي قسمة شرعية﴾ كما هي مقررة في محلها ﴿وجب الخمس في الذي صار إليه ولا يحل له الانتفاع بالباقي حتى يعلم أنه حصل لكل من الغانمين بقدر حصته من هذا﴾ الباقي ﴿فإن تعذر صرف ما صار إليه إلى مستحقه دفعه إلى القاضي العدل كسائر الأموال الضائعة﴾ فإن فقد القاضي العدل صرفه ﴿إلى عالم موثوق به وأعلمه الحال ليصرفه﴾ ذلك العالم ﴿إلى مصارفه وثانيهما﴾ أنه قال بعضهم كما يحرم الغلول من الغنيمة يحرم الغلول من الأموال المشتركة بين المسلمين ومن بيت المال والزكاة ﴿اتمى وهو ظاهر﴾ فلا فرق ﴿كما قاله العلامة ابن حجر﴾ في غال الزكاة بين أن يكون من مستحقها وغيرهم لأن الظفر ممنوع فيها إذ لا بد ﴿فيها أي في الزكاة﴾ من النية بل لو أفرز المالك قدرها ونوى لم يحجز الظفر أيضا ﴿أي كما يقع فيما تقدم﴾ لتوقف ذلك على إعطاء المالك فعند عدم إعطائه يتعذر الملك فكان باقيا على ملك مالكه حتى يعطيه فاتضح امتناع الظفر في مال الزكاة مطلقا .

وروى الطبراني أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا الكهان وهو متكى فقالوا الشرك بالله وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وقذف الحصنة وعقوق الوالدين وقول الزور والغلول والسحر وأكل الربا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنهم يجعلون الذين يشقون بعهد الله ثمنا قليلا إلى آخر الآية وعد السر عليه وهو صريح حديث أبي داود عن ثمر بن جندب رضى الله عنه قال : أما بعد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من يكتم غالا أي يستر عليه فإنه مثله .

﴿باب ذم الكهانة والعرافة والطيرة والتنجيم والسحر﴾

والطرق ﴿وإتيان أصحابها﴾ وسيأتي معناها قال الله تعالى : ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . أي لا تقل في شيء من الأشياء ما ليس لك به علم فإن حواسك مسئولة عن ذلك . قال تعالى : عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول . أي عالم الغيب هو الله وحده فلا يطلع عليه أحد من خلقه إلا من ارتضى للرسالة فإنه مطلع على ما يشاء من غيبه وقيل هو منقطع أي لكن من ارتضى للرسالة فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا والصحيح هو الأول لأن الله تعالى أطلع الأنبياء بل ورأىهم على مغيبات كثيرة لكنها جزئيات قليلة بالنسبة إلى علمه فهو المشرّد بعلم المغيبات على الإطلاق كليها وجزئها دون غيره و﴿أخرج البزار﴾ بإسناد جيد ﴿عن عمران بن حصين﴾ رضى الله عنه ﴿قال﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس منا ﴿أي من أهل سنتنا﴾ من ﴿تطير أو﴾ من ﴿تطير له﴾ بالبناء للمفعول بأن يأمر غيره بتغيير الصيد وينظر له أي جهة ذهب

أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ * وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم * والطبراني من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد بريء مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ومن أتاه غير مصدق له لم يقبل له صلاة أربعين يوما وهو من أتى كاهنا فسأله عن شيء حجب عنه التوبة أربعين ليلة فإن صدقه بما قال فقد كفر وهو أيضا من أتى عرافا أو ساحرا أو كاهنا يؤمن بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم * ومسلم من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما * وأبو داود وابن ماجه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد *

﴿أو تكهن أو تكهن له﴾ بأن ذهب إلى الكاهن ليخبر بأمر مغيب والذي تكهن هو نفس الكاهن المخبر بالغيب أو المصدوق له من غير ذهابه إليه ﴿أو سحر﴾ بنفسه ﴿أو سحر له﴾ أي أمر غيره بأن يسحر له ﴿ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول﴾ قال العزيمى والفرغى أنه سأله معتقدا صدقه ﴿فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ﴾ من الكتاب والسنة أي ارتكب ذلك مستحلا له أو صدقه فيما قال على الحقيقة وقال في النهاية: فقد كفر أي كفر بالنعمة ﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم﴾ عن أبي هريرة بإسناد صحيح ﴿من أتى عرافا﴾ هو من يخبر عن الأمور الماضية ﴿أو كاهنا﴾ وهو من يخبر بما يحدث في المستقبل من الكهنة أو من له ولى من الجن يخبر بما يطير أو يكون في أقطار الأرض ﴿فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ﴾. ﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾: من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد بريء مما أنزل على محمد ﷺ ومن أتاه غير مصدق له لم يقبل له صلاة أربعين يوما وخصت الصلاة لكونها عماد الدين فصورته كذلك ومعنى عدم القبول عدم الثواب أفاده العزيمى ﴿وهو﴾ أي وأخرج الطبراني عن وثالة بن الأسقع وضعفه المتذري ﴿من أتى كاهنا فسأله عن شيء حجب عنه التوبة أربعين ليلة﴾ أي لم يوقف لها هذه المدة حيث صدقه ولا يدخل في هذا الوعيد بمجرد السؤال له قاله الحنفى ﴿فإن صدقه بما قال فقد كفر﴾ أي ستر النعمة فإن اعتد صدقه في دعواه الاطلاع على الغيب كفر حقيقة ﴿وهو﴾ أي أخرج الطبراني في الكبير رواه ثقات ﴿أيضا﴾ أي كما أخرج ما تقدم ﴿من أتى عرافا أو ساحرا أو كاهنا يؤمن﴾ أي يصدق ﴿بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ﴾. ﴿و﴾ أخرج أحمد و﴿مسلم﴾ عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها ﴿من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما﴾ قال الحنفى: أما إذا أخيره من غير أن يسأله فلا بأس عليه وإن صدقه لأنه فيد الوعيد بالسؤال والتصديق معا فلا يحصل بأحد هما.

﴿و﴾ أخرج أحمد و﴿أبو داود وابن ماجه﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد صحيح ﴿من اقتبس علما من النجوم﴾ أي من علم تأثيرها بأن اعتقد تأثيرها في العالم السفلى أو من علم الأخبار بالغيب كأن يقول وقت طلوع نجم كذا يحصل كذا أما علم الأوقات بالنجوم فمطلوب قاله الحنفى والحاصل أن المخذور اسناد الآثار إلى النجوم واعتقاد أنها فاعل ذلك والا فلا محذور لاسيما من له أدنى مسكة من علم العقائد ﴿اقتبس شعبة من السحر﴾ المعلوم تحريمه قاله المناوى ثم استأنف جملة بقوله ﴿زاد ما زاد﴾ يعنى كلما زاد من علو النجوم زاد أثره.

وفي شرح الجامع للعزيمى ما نصه علم النجوم المنهى عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكواكب والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان بأوقات هبوب الرياح وحجى المطر وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار وما كان في معناها من الأمور التي يزعمون أنهم يدركون معرفتها بمسير الكواكب في مجازيها واجتماعها وافتراقها ويدعون أن لها تأثيرا في السفليات وأنها تجري على موجيلها وهذا منهم

والشيخان عن أبي هريرة اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات * والنسائي عنه من عقد عقدة ثم نقضها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق بشيء يوكل إليه أي من علق على نفسه الحروز والعوذ يوكل إليه * وأحمد عن عثمان بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول كان لداود نبي الله ساعة يوقظ فيها أهله يقول يا آل داود قوموا فصلوا فان هذه الساعة يستجيب الله فيها الدعاء إلا لساحر أو عاشر .

تهجم على الغيب وتعاطى علم قد استأثر الله به لا يعلم الغيب سواه وأما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال وتعلم به جهة القبلة فانه غير داخل فيما نهى عنه وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيء أكثر من أن الظل ما دام ناقصا فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي وهذا علم يصح دركه من جهة المشاهدة إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروه بما اتخذوا له من الآلات التي يستغنى الناظر فيها عن مزاعات مدته ومراصدته وأما ما يستدل به من النجوم على جهة القبلة فالتأني كواكب رصدها أهل الخبرة بها من الأئمة الذين لانكش في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به عنها مثل أن شاهدوها بحضرة الكعبة وشاهدوها على الحال الغيبة عنها وكان أدراكهم الدلالة منها للمعاينة وإدراكنا ذلك لقولنا خبرهم إذ كانوا عندنا غير متهمين في دينهم ولا مقصرين في معرفتهم .

﴿و﴾ أخرج الشيخان عن أبي هريرة ﴿اجتنبوا السبع الموبقات﴾ أي المهلكات ﴿قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات﴾ .

﴿و﴾ أخرج النسائي بسند عن الحسن ﴿عنه﴾ أي عن أبي هريرة رضي الله عنه ولم يسمع منه عند الجمهور ﴿من عقد عقدة ثم نقض فيها فقد سحر﴾ قيل إنما يكون هذا مذموما إذا كان سحرا مضرا بالأرواح والأبدان وإذا كان النفع لأصلاح الأرواح والأبدان وجب أن لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب إليه والنفع النفع مع ريق قليل وقيل أنه النفع فقط واختلوا في جوار النفع في الريق والتعاويد الشرعى المستحبة فجوزها الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض أحد من أهله نقض عليه بالمعوذات الحديث . وأنكر جماعة الثقل والنفع في الريق وأجازوا النفع بلا ريق . وقال عكرمة : لا ينبغي للراقي أن ينقض ولا يمسح ولا يعقد ﴿ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق بشيء﴾ كان اعتقد أن الشفاء في هذا الدواء أو هذه التيممة أو أن فلانا يحرسه وغفل عن مولاه أما إذا اعتقد أن الشفاء ليس فيه حقيقة وأن هذه أسباب فلا بأس به إذ الأسباب لا تنافي التوكل ﴿يوكل إليه﴾ أي يوكل الله شفاءه إلى ذلك الشيء فلا ينفع ﴿أي من علق على نفسه الحروز والعوذ﴾ وأشبه ذلك ﴿يوكل إليه﴾ وأخرج أحمد والترمذي والحاكم عن عبد الله بن غليم بضم ففتح : من تعلق شيء وكل إليه قال في النهاية : أي من علق على نفسه شيئا من التعاويد والتائم وأشباهاها معتقدا أنها تجلب نفعاً أو تدفع عنه ضراً وكل شفائه إلى ذلك الشيء فلا ينفع حينئذ ﴿و﴾ أخرج أحمد عن علي بن زيد عن الحسن ﴿عن عثمان بن العاص﴾ رضي الله عنه واختلف من سماع الحسن عن عثمان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كان لداود نبي الله عليه الصلاة والسلام ساعة يوقظ فيها أهله يقول . يا آل داود قوموا فصلوا فان هذه الساعة يستجيب الله فيها الدعاء إلا لساحر أو عاشر . أي أخذ العاشر . وأخرج أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه العيافة والطيرة والطرق من الجبت وهو بكسر الجيم كل ما عبد من دون الله .

﴿تنبيه﴾ الكهانة هي الإخبار عن المغيبات في مستقبل الزمان وادعاء الغيب وزعم أن الجن تخبره بذلك والعرافة هي ادعاء معرفة السارق ومكان الضالة والطيرة هي التشاؤم بالشيء والتنجيم هو ادعاء المنجم معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان كمجيء المطر والسيل وهبوب الريح وتغير الأسعار ونحو ذلك وهو يزعم أنه يدرك ذلك سيرا الكواكب لاقتراها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان وهذا علم استأثر الله تعالى به لا يعلمه أحد غيره فمن ادعى علمه بذلك فهو فاسق ربما يؤدي ذلك إلى الكفر والسحر

﴿تنبيه الكهانة هي﴾ تعاطى ﴿الإخبار عن المغيبات في مستقبل الزمان وادعاء﴾ علم ﴿الغيب وزعم أن الجن تخبره بذلك والعرافة هي ادعاء معرفة السارق ومكان الضالة﴾ ونحو ذلك ﴿والطيرة هي التشاؤم بالشيء﴾ والطرق بفتح فسكون هو زجر الطائر ليئيم أو يتشام بطيرانه . فان طار إلى الجهة اليمنى تيمن أو إلى جهة الشمال تشام . وقال ابن فارس : الضرب بالخصى هو نوع من التكهين ﴿والتنجيم هو ادعاء المنجم معرفة الحوادث الآتية في مستقبل الزمان كمجيء المطر والسيل﴾ ووقع الثلج ﴿وهبوب الريح وتغير الأسعار﴾ من غلاء أو رخص ﴿ونحو ذلك وهو﴾ أى المنجم ﴿وزعم أنه يدرك ذلك﴾ أى المذكور من الحوادث المستقبلية ﴿سيرا الكواكب لاقتراها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان وهذا﴾ أى ما ذكر من معرفة تلك الحوادث ﴿علم استأثر الله تعالى به لا يعلمه أحد غيره فمن ادعى علمه بذلك فهو فاسق ربما يؤدي ذلك إلى الكفر﴾

أما من يقول أن الافتراق أو الافتراق الذي هو كذا جعله الله علامة بمقتضى ما اطردت به عادته الإلهية على وقوع كذا وقد يختلف فانه لا اثم عليه بذلك وكذا الإخبار عما يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف بها الزوال وجهة القبلة وكه مضى وكه بقى من الوقت فانه لا اثم فيه بل هو فرض كفاية وفي حديث الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني رضى الله عنه قال : : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح في أثر السماء أى مطر كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال أتدرون ما ذا قال ربكم ؟ ، قالوا : الله ورسوله اعلم قال : أصبح من عبادى يؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك يؤمن بى وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوع كذا أو وقت النجم فلاننى فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب . قال العلماء : ذلك مرید أن النوء هو المحدث والموحد فهو كافر أو انه علامة على نزول المطر ومنزله هو الله تعالى وحده لم يكفر ويكفر له قول ذلك لأنه من الفاظ الكفرة . وروى الشيخان أن ناسا سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن الكاهن أو الكهان فقالوا : ليسوا بشيء فقالوا : يا رسول الله انهم يحدوثوا أحيانا بشيء أو بالشيء فيكون حقا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة من الوحى يحفظها الجن فيقرأها أو يلقونها في أذن ولله فيخلق معها مائة كذبة . وأخرج البخارى : أن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضى في السماء فيسرق الشيطان السمع فيسمعه فيوجهه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم .

﴿والسحر﴾ لغة ما لطف ودق من حجره إذا أبدى له أمرا فدق عليه وحفى ومنه قوله تعالى : فلما ألغوا سحرهم اعين الناس وهو مصدر شاذ إذ لم يأت مصدر لفعل بفعل بفتح عينه فيهما على فعل بكسر فسكون الإهذاب والسحر بفتح أوله الفداء لحفائه والبرقة وما تعلق بالخلقوم وهو يرجع لمعنى الخفاء أيضا ومنه قول عائشة رضى الله عنها توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى وسحرى وقوله تعالى : إنما أنت من المسحرين معناه من المخلوقين الذين يطعمون ويشربون بدليل قوله تعالى : ما أنت إلا بشر مثلتنا أى وما أنت إلا ذو وسخر مثلتنا وشرعا يختص بكل أمر يخفى بسببه وعمل على غير حقيقة ويجرى مجرى التورية والخداع وحيث أطلق فهو مذكوم وقد يستعمل مقيدا فيما ينفع ويمدح ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : أن من البيان لسحر . أى لأن صاحبه يوضح المشكل ويكشف عن

تخيّل

حقيقته بحسن بيانه وبلغ عبارته والقول بأنه خرج مخرج الذم للفصاحة والبلاغة اذ شبهه بالسحر بعيد واستدل له بما لا دلالة فيه وهو قوله
 ﴿فَلَعَلَّ بَعْضُكُمْ أَنْ يَكُونَ الْخَنَ بِمَحَبَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ وَقَوْلُهُ أَنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَى الثَّرَاوِنِ الْمُتَقَهِّمِينَ الثَّرَثَةَ كَثْرَةَ الْكَلَامِ وَتَرْدِيدُهُ يُقَالُ ثَرَثَ الرَّجُلُ
 فَهُوَ ثَرَاثٌ مَهْذَارٌ وَيُقَالُ فَلَانٌ يَتَقَهَّقُ فِي كَلَامِهِ إِذَا تَوَسَّعَ وَتَنَطَّعَ نَعِمَ يَقُولُ هَذَا الْقَوْلُ أَعْنَى أَنْ ذَلِكَ ذَمٌّ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ رَأَى الْحَدِيثَ
 وَصَعَصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ فَقَالَ : أَمَا قَوْلُهُ ﴿فَلَعَلَّ﴾ أَنْ مِنَ الْبَيَانِ لِلسَّحَرِ فَالْجُلُّ يَكُونُ عَلَيْهِ الْخَنَ وَهُوَ الْخَنَ بِالْجَجِجِ مِنْ صَاحِبِ الْحَقِّ فَيَسْحَرُ الْقَوْمَ
 بَيَانُهُ فَيَذْهَبُ بِالْحَقِّ وَهُوَ عَلَيْهِ وَأَمَّا يَحْمَدُ الْعُلَمَاءُ الْبَلَاغَةَ وَالنَّشْأَةَ مَا لَمْ تَخْرُجْ إِلَى حَدِّ الْأَطْنَابِ وَالْإِسْهَابِ وَتَصَوُّيرِ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ
 وَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ أَعْنَى أَنْ ذَلِكَ مَدْحٌ لِلْفَصَاحَةِ الْمُبْنِيَةِ لِلْحَقِّ وَالرَّافِعَةِ لِشَكْلِهِ فَإِنَّمَا سُمِّيَ مَا يَبْضُحُ الْحَقَّ سَحَرًا وَهُوَ إِنَّمَا قَصْدُهُ بِإِظْهَارِ
 الْحَقِّ لَإِخْفَاءِ الظَّاهِرِ عَكْسُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظُ السَّحَرِ لِأَنَّ ذَلِكَ الْقَدْرَ وَاللَّطْفَ وَحُسْنَهُ اسْتِمَالُ الْقُلُوبِ فَأَشْبَهَ السَّحَرُ الَّذِي يَسْتَمِيلُ مِنْ
 هَذَا الرَّجْعَةِ وَأَيْضًا فَالْقَادِرُ عَلَى الْبَيَانِ يَكُونُ غَالِبًا قَادِرًا عَلَى تَحْسِينِ الْقَيْحِ وَتَقْيِجِ الْحَسَنِ فَأَشْبَهَ السَّحَرُ مِنْ هَذَا الرَّجْعَةِ أَيْضًا ،
 وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي أَنَّ السَّحَرَ لَهُ حَقِيقَةٌ أَمْ لَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَنَّهُ ﴿تَخْيِيلٌ﴾ لِاحْتِقَاقِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : يَخْيَلُ إِلَيْهِ مِنْ سَحَرِهِمْ أَنَّمَا تَسْمَعُ
 . وَقَالَ الْآخَرُونَ : وَهُوَ الْأَصْحَحُ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ السَّنَةُ لَهُ حَقِيقَةٌ لِأَنَّ اللَّعِينَ لَيْدَ بْنِ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيَّ السَّاحِرَ سَجَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِإِخْرَاجِ
 سَحَرِهِ مِنْ بَنِي أَوْرَانَ بِدَلَالَةِ الْوَحْيِ لَهُ عَلَى ذَلِكَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَكَانَ ذَائِعِدٌ فَحَلَّتْ عَقْدَةٌ وَكَانَ كَلِمًا حَلَّتْ مِنْهُ عَقْدَةٌ خَفَّ عَنْهُ ﷺ إِلَى
 أَنْ فَرَعَتْ فَصَارَ ﷺ كَأَنَّمَا تَشْطُ مِنْ عَقَالٍ وَذَهَبَ ابْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى خَيْرٍ لِيُخْرِصَ ثَمَرَهَا فَسَجَرَهُ الْيَهُودُ فَانْكَشَفَتْ يَدُهُ فَأَجْلَا
 بِهِمْ عَمْرٍو حَامَتْ امْرَأَةٌ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ : يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ مَا عَلَى الْمَرْأَةِ إِذَا عَقَلَتْ بَعْضُهَا ؟ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ وَلَمْ تَنْهَمْ
 مُرَادَهَا لَيْسَ عَلَيْهَا شَيْءٌ فَقُلْتُ : إِنِّي عَقَلْتُ زَوْجِي عَنِ النَّسَائِي فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَخْرِجُوا عَنِّي هَذِهِ السَّاحِرَةَ ،
 وَالْجَوَابُ عَنِ الْآيَةِ أَنَا لَا نَمْنَعُ أَنْ مِنَ السَّحَرِ مَا هُوَ تَخْيِيلٌ بَلْ مِنْهُ ذَلِكَ وَمَالَهُ حَقِيقَةٌ وَأَمَّا أَثَرُ السَّحَرِ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى :
 وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ . أَمَّا لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ عِصْمَةُ الْقَلْبِ وَالْأَمَانُ دُونَ عِصْمَةِ الْجَسَدِ عَمَّا يَرِيدُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَوَاطِئِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَمَنْ ثُمَّ سَجَرَ
 وَشَجَّ وَجْهَهُ وَكَسَرَتْ رِبَاعِيَّتَهُ وَرَمَى عَلَيْهِ الْكَرْشَ وَأَذَاهُ جَمَاعَةً مِنْ قَرِيشٍ وَأَمَّا لِأَنَّ الْمُرَادَ عِصْمَةُ النَّفْسِ عَنِ الْإِفْكَاتِ دُونَ الْعَوَارِضِ الَّتِي
 تَعْرِضُ لِلْبَدَنِ مَعَ سَلَامَةِ النَّفْسِ وَهَذَا أَوْلَى بِأَنَّ هُوَ الصَّوَابُ لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَحْرُسُ فَلَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ أَمَرَ بِتَرْكِ الْحَرَسِ ،
 ثُمَّ السَّحَرُ عَلَى أَقْسَامٍ أُولَاهَا الَّذِينَ كَانُوا فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا الْمَدِيرَةُ لِلْعَالَمِ وَمِنْهَا يَصْدُرُ كُلُّ مَظْهَرٍ خَيْرٍ
 وَشَرٍّ وَهُمْ الْمَبْعُوثُ إِلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَبْطُلًا مَقَالَتِهِمْ وَرَدًا عَلَيْهِمْ وَهُمْ ثَلَاثُ فِرَقٍ . الْأُولَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْإِفْكَاتِ
 وَالْكَوَاكِبَ وَاجِبَةُ الْوُجُودِ لَذَوَاتِهَا غَنِيَّةٌ عَنْ مُوجِدٍ وَمَدِيرٍ وَخَالِقٍ وَهِيَ الْمَدِيرَةُ لِلْعَالَمِ وَهُمْ الصَّائِبَةُ الدَّهْرِيَّةُ . وَالثَّانِي الْقَائِلُونَ بِالْهَيْئَةِ الْإِفْكَاتِ
 زَعَمُوا أَنَّهَا هِيَ الْمُؤَثِّرُ لِلْخَوَاطِئِ بِاسْتِدَارِكِهَا وَتَحْرِكِهَا فَعَبَدُوهَا وَعَظَمُوهَا وَاتَّخَذُوا لِكُلِّ مِثَالٍ مَخْصُوصًا وَصَنَمًا مَعِينًا وَاسْتَغْلَوْا
 بِخُدْمَتِهَا فَهَذَا دِينُ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ . وَالثَّالِثَةُ اثْبَتُوا لِهَذِهِ النُّجُومِ وَالْإِفْكَاتِ فَاعْلَاحَتَارًا أَوْ جَدَهَا بَعْدَ الْعَدَمِ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَعْطَاهَا قُوَّةَ
 غَالِبَةٍ نَافِذَةٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ وَفَوْضَ تَدْيِيرِهِ إِلَيْهَا . النَّوعُ الثَّانِي : سَحَرُ أَصْحَابِ الْأَوْهَامِ وَالنَّفُوسِ الْقَوِيَّةِ . الثَّالِثُ الْإِسْتِعَانَةُ بِالْأَرْوَاحِ الْأَرْضِيَّةِ
 وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَوْلَ بِالْجِنِّ مِمَّا أَنْكَرَهُ بَعْضُ مَأْخَرِ الْفَلَسَفَةِ وَالْمُعْزَلَةِ وَأَمَّا أَكْبَرُ الْفَلَسَفَةِ فَلَمْ يَنْكَرُوهُ إِلَّا أَنَّهُمْ سَمَوْهُمُ الْأَرْوَاحَ الْأَرْضِيَّةَ وَهِيَ فِي
 نَفْسِهَا مُخْتَلِفَةٌ مِنْهَا خَيْرٌ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ وَشَرٌّ وَهُمْ كُفَّارٌ . الرَّابِعُ : التَّخْيِيلَاتُ وَالْأَخْذُ بِالْعَيْنِ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَخْلَاطَ الْبَصَرِ كَثِيرَةٌ فَإِنْ
 رَاكِبَ السَّفِينَةَ يَنْظُرُهَا وَاقِفَةً وَالشَّطَّ مُتَحَرِّكًا وَالْمُتَحَرِّكُ يَرَى سَاكِنًا وَالْقَطْرَةَ النَّازِلَةَ تَرَى حَظًّا مُنْسَقِمًا وَالدَّيَالَةَ تَدَارُ بِسُرْعَةٍ تَرَى دَائِرَةً

يؤثر في الأبدان بالأمراض والجنون والموت

وأما ذلك. الخامس: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات على النسب الهندسية مثل صورة فرس في يده بوق فإذا مضت ساعة من النهار صوت البوق من غير أن يمسسه أحد ومثل تصاوير الروم على اختلاف أحوال الصور من كونها ضاحكة وبكية حتى يفرق بين ضحك السرور وضحك الحجل وضحك الشامت وكان سحرة فرعون من هذا القيل ويذرج في هذا علم جر الاتقال وهو أن يجر شيئا ثقيلا عظيمة بالآلة خفيفة سهلة وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعد من باب السحر لأن لها أسبابا معلومة يقينية من أطاع عليها قدر عليها. السادس: الاستعانة بخواص الأدوية المبلدة والمزيلة للعقل ونحوها. السابع: تعليق القلب وهو أن يدعى إنسان أنه يعرف الاسم الأعظم وإن الجن تطيعه ويتقادون له فإذا كان السامع ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والخوف فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل فيه ما شاء. وحكى الشافعي رضي الله عنه أنه قال: السحر يخجل ويمرض ويقتل وأوجب القصاص على من قتل به فهو من عمل الشيطان يلقاه الساحر منه بتعليمه إياه فإذا تلقاه منه استعمله في غيره وقيل أنه يؤثر في قلب الأعيان.

وقيل الأصح أنه تخيل لكبه **﴿يؤثر في الأبدان بالأمراض والجنون والموت﴾** والكلام تأثير في الطباع والنفس كما إذا سمع إنسان ما يكره فيحمر ويغضب وربما حم منه وقد مات قوم بكلام سمعوه فهو بمنزلة العلل التي تؤثر في الأبدان وقال القرطبي: قال علماءنا: لا ينكر أن يظهر على يد الساحر خرق العادات بما ليس في مقدور البشر من مرض وزوال عقل وتعويج عضد إلى غير ذلك مما قام الدليل على استحالة لونه من مقدورات العباد قالوا: ولا يعد في السحر أن استدق جسم الساحر والاتصاف على رأس قصبة والجري على خيط مستدق والطيران في الهواء والمشي على الماء وركوب قلب وغير ذلك ولا يكون السحر علة لذلك ولا موجب له وإنما يخلق الله تعالى هذه الأشياء عند وجود السحر كما يخلق الشيع عند أكل والرى عند شرب الماء.

وانكر المغترلة الأنواع الثلاثة الأولى قيل ولعلمهم كثرة ما قال بها وبوجودها. وأما أهل السنة فجوزوا كلها. وقدرة الساحر على أن يطير في الهواء وأن يقلب الإنسان حمارا والعمار إنسانا وغير ذلك من أنواع الشبهة التي قالوا: إن الله تعالى هو الخالق لهذه الأشياء عند إلقاء الساحر كلماته المعينة ويدل لذلك قوله تعالى: وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله. ومراته صلى الله عليه وسلم سحر وعمل فيه السحر حتى قال: إنه ليخيل إلي أني أقول الشيء وأفعله ولم أفعله ولم أفعله والساحر له صلى الله عليه وسلم ليد بن الأعصم وبناؤه جعلوا تلك العقدة التي نقش عليها في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ووضعوا ذلك تحت رعوة البر السافلة فأثر فيه صلى الله عليه وسلم ودام ذلك سنة حتى رأى ملكين في النوم يقول أحدهما لآخر ما مرض الرجل؟ فقال له صاحبه: مطبوب أي مسحور قال: من طيبه؟ قال: ليد بن الأعصم قال: فيماذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة قال: فأن هو؟ قال: في برذى أروان رواه الشيخان ولفظهما عن عائشة رضي الله عنها: يا عائشة أشعرت أن الله تعالى إقاني فيما استقبلته فيه جاءني رجلاني فتعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي والذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب قال: من طيبه؟ قال: ليد بن الأعصم قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلع ذكر قال: فأن هو؟ قال: في برذى أروان ولما أخبر **ﷺ** بذلك ذهب إلى تلك البر فأخرج ذلك السحر على الصفة التي نعت له ومسح ماؤها حتى صار كقاعة الحناء وطلع النخل الذي حولها حتى صار كرووس الشياطين وأنزل الله تبارك وتعالى المعوذتين فكانتا شفاء له ولأمته من السحر.

فكل ما ذكر حرام إجماعاً بل هو من الكبائر اتفاقاً يكفر في بعض الأحوال * وقال الشافعي إن القتل بالسحر يوجب القصاص على من قتل به * وقال أبو حنيفة رضي الله عنه إن الساحر يقتل مطلقاً إذا علم أنه ساحر باقراره أو بيّنه تشهد أنه ساحر ويصفونه بصفة يعلم أنه ساحر ولا يقبل قوله أترك السحر وأتوب عنه * وسئل أبو حنيفة لم يكن الساحر بمنزلة المرتد حتى تقبل توبته فقال لأنه جمع مع كبره السعي في الأرض بالفساد ومن كان كذلك يقتل مطلقاً *

﴿فكل ما ذكر حرام إجماعاً بل هو من الكبائر اتفاقاً يكفر في بعض الأحوال﴾ واختلف العلماء في الساحر هل يكفر أم لا ؟ . وليس من محل الخلاف النوعان الأولان من أنواع السحر السابقة إذا ائتراع في كفر من اعتقد أن الكواكب مؤثرة لهذه العالم أو أن الإنسان يصل بالتصفيّة إلى أن يصير نفسه مؤثرة في إيجاد جسم أو أحياء أو تغيير شكل . وأما نوع الثالث : وهو أن يعتقد الساحر أنه بلغ في التصفيّة وقراءة الرقى وتدفين بعض الأدوية إلى أن الجن تطيعه في تغيير البنية والشكل فالمعزلة بقوته دون غيرهم وأما بقية أنواعه فقال جماعة : أنها كفر مطلقاً لأن اليهود لما صنفوا السحر لسليمان عليه الصلاة والسلام قال تعالى تنزيها له : وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر . فظاهر هذا أنهم إنما كفروا بتعليمهم لأن ترتيب الحكم على الوصف المناسب يشعر بعلمه وتعليم ما لا يكون كفراً لا يحجب الكفر وهذا يقتضي ذلك قوله تعالى : عن الملكين وما يعلمان من أجد حتى يقولاً إنما نحن فتنة فلا تكفر .

وأجاب القائلون بعدم الكفر كالشافعي رضي الله عنه وأصحابه بأن حكاية الحال يكفي في صدقها صورة واحدة فيجمل على ساحر من اعتقد الهية النجوم وأيضاً فلا نستلم أن ذلك فيه ترتيب حكم على وصف يقتضي إشعاره بالعلية لأن المعنى أنهم كفروا وهم مع ذلك يعلمون السحر .

﴿وقال الشافعي﴾ **﴿إن القتل بالسحر يوجب القصاص على من قتل به﴾** واختلفوا هل تقبل توبة الساحر ؟ ، فأما النوعان الأولان فمعتقد أحدهما مرتد فإن تاب فذاك والا قتل . وقال مالك وأبو حنيفة : لا تقبل توبتهما . وأما النوع الثالث وما بعده فإن اعتقد أن فعله مباح قتل لكفره لأن تحليل الحرم المجمع على تحريمه المعلوم من الدين بالضرورة كفر وإن اعتقد أنه حرام فعند الشافعي **﴿إنه خيانة فاذا فعله بالغير واقترانه يقتل غالباً قتل به لأنه عمد أو نادراً فهو شبه عمد أو خطأ من اسم غيره إليه فهو خطأ والدية فيهما على العاقل أن صدقته إذا لا يقبل إقراره عليهم﴾** وقال أبو حنيفة **﴿إن الساحر يقتل مطلقاً إذا علم أنه ساحر باقراره أو بيّنه تشهد﴾** عليه **﴿أنه ساحر ويصفونه بصفة يعلم أنه ساحر ولا يقبل قوله أترك السحر وأتوب عنه﴾** فإن أقر بأنني كتبت أسخر مدة وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل قاله ابن حجر **﴿وسئل أبو حنيفة : لم﴾** أي لأي شيء **﴿لم يكن الساحر بمنزلة المرتد حتى تقبل توبته ؟﴾** فقال **﴿إنه﴾** أي الساحر **﴿جمع مع كبره السعي في الأرض بالفساد ومن كان كذلك يقتل مطلقاً﴾** ورد ما قاله بأنه **﴿لم يقتل اليهودي الذي سحره فالمؤمن مثله لقوله﴾** اللهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين واحتج أبو حنيفة بما روي أن جارية لخصصة أم المؤمنين رضي الله عنها سحرها فأخذوها فاعترفت بذلك فأمرت عبد الرحمن بن زيد فقتلها فبلغ ذلك أمير المؤمنين عثمان فأنكره فجاه ابن عمر فأخبره بأمرها وكان عثمان إنما أنكر ذلك لأنها قتلها بغير إذنه وما روي عن عمر **﴿أنه قال : اقتلوا كل ساحر وساحرة فقتلوا ثلاث سواحر﴾** وأجاب أصحابنا عن ذلك بأن هذين على تقرير ثبوتها يحتمل أن القتل فيهما بكفر الساحر لوجود أحد النوعين الأولين فيه وذلك ليس من محل الخلاف كما مر وأى دليل قام على أنه من بقية الأنواع التي هي محل الخلاف كالشعبذة والآلات العجيبة المبنية على الهندسة وأنواع التخفيف والتعريض والوهم .

وروي أن امرأة أتت عائشة رضي الله عنها فقالت أنا ساحرة هل لي من توبة قالت وما سحرك فقالت سرت إلى الموضع الذي فيه هاروت وماروت أطلب علم السحر فقالا يا أمة الله لا تختاري عذاب الآخرة بأمر الدنيا فأيت فقالا لي اذهبي فبولي على ذلك الرماد فذهبت لأبول ففكرت في نفسي فقلت لا أفعل وحث إليهما فقلت قد فعلت فقالا لي ما رأيت لما فعلت فقلت ما رأيت شيئا فقالا لي فانتقي الله ولا تفعلني فأيت فقالا لي اذهبي فافعلي فذهبت وفعلت فرأيت كأن فارسا مقنعا بالحديد قد خرج من فرجي فصعد إلى السماء فجهتها فأخبرتهما فقالا ذاك إيمانك خرج منك وقد أحسنت السحر قلت وما هو قال لا تريدن بشيء فتصوريه في وهمك إلا كان قصورت في نفسي حبا من حنطة فإذا أنا بحب فقلت انزع فانزع فخرج من ساعته سنبلًا فقلت انطحن فانطحن من ساعته واخبز وأنا لا أريد شيئا أصوره في نفسي إلا حصل فقالت عائشة رضي الله عنها ليس لك توبة

﴿وروي أن امرأة أتت عائشة رضي الله عنها فقالت: أنا ساحرة هل لي من توبة؟﴾ قالت: وما سحرك فقالت: سرت إلى الموضع الذي فيه هاروت وماروت أطلب علم السحر ﴿فيلهما ملكان من السماء وهو الصحيح للتصريح به في الحديث الصحيح الذي أخرجه أحمد وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: أن آدم لما هبط إلى الأرض قالت الملائكة: أي رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ قال أنى أعلم ما لا تعلمون قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم قال الله تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة فننظر كيف يعملان قالوا: ربنا هاروت وماروت قال: فاهبطا إلى الأرض فتمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجأها سألها نفسها فقالت: لا والله حتى تكلمنا بهذه الكلمة من الإشرار قالوا: والله لا نشرك بالله أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت إليهما ومعهما صبي تحمله فسألها نفسها فقالت: لا والله حتى تقتل هذا الصبي فقالا: لا والله لا تقتله أبدا فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألها نفسها فقالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة: والله ما تركما من شيء أيسما على إلا فعلتما حين سكرتما فخير عند ذلك بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ويأتي هذا الحديث في باب شرب الخمر وقد ذكر المفسرون لهذين الملكين قصة عظيمة طويلة ليس هذا محل بسطها.

﴿فقالا: يا أمة الله لا تختاري عذاب الآخرة بأمر الدنيا فأيت﴾ أي امتنعت إلا أن أتعلم السحر ﴿فقالا لي: اذهبي فبولي على ذلك الرماد﴾ قالت المرأة ﴿فذهبت لأبول﴾ على ذلك الرماد ﴿ففكرت في نفسي فقلت لا أفعل وحث إليهما فقلت قد فعلت فقالا لي: ما رأيت لما فعلت؟﴾ فقلت: ما رأيت شيئا فقالا لي: فانتقي الله ولا تفعلني فأيت فقالا لي: اذهبي فافعلي ﴿فذهبت وفعلت فرأيت كأن فارسا مقنعا﴾ أي لابس القناع ﴿بالحديد قد خرج من فرجي فصعد إلى السماء فجهتها فأخبرتهما فقالا: ذاك﴾ الفارس ﴿إيمانك خرج منك وقد أحسنت السحر قلت: وما هو؟﴾ قالوا: لا تريدن بشيء فتصوريه في وهمك إلا كان ﴿قالت﴾ قصورت في نفسي حبا من حنطة فإذا أنا بحب فقلت: انزع فانزع فخرج من ساعته سنبلًا فقلت: انطحن فانطحن من ساعته واخبز وأنا لا أريد شيئا أصوره في نفسي إلا حصل فقالت عائشة رضي الله عنها: ليس لك توبة﴾.

قال القرطبي: أجمع المسلمون على أنه ليس في السحر ما يفعل الله عنده من انزال الجراد والقمل والضفادع وقلق البحر وقلب العصا حية وأحياء الموتى وانطاق العجماء وأمثال ذلك من آيات الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام والفرق بين السحر والمعجزة أن السحر يأتي به الساحر وغيره من كل من تعلم طريقته وقد يكون جماعة يعلمونه ويأتون به في وقت واحد .
وأما المعجزة فلا يمكن الله تعالى أن يأتي بمثلها ومعارضتها .

﴿وروى﴾ سفيان عن عامر الذهبي أن ساحرا كان عند الوليد بن عقبة يمشي على الحبل ويدخل في است الحمار ويخرج من فيه فاستل جندب سيفه وقتله به وهو جندب بن كعب الأزدي وهو الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه يكون في أمي رجل يقال له جندب يضرب ضربة بالسيف يفرق بها بين الحق والباطل فكانوا يرونه جندبا هذا قاتل الساحر .

قال الفخر : واتفق المحققون على أن العلم بالسحر ليس ببيع ولا محظور لأن العلم لذاته شريف لعموم قوله تعالى : هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون . ولو لم يعلم السحر لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة والعلم يكون المعجزة معجزا واجب وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجبا وما يكون واجبا كيف يكون حراما وقبحا وتقل بعضهم وجوب تعلمه على المفتي حتى يعلم ما يقتل منه وما لا يقتل فيفتي به في وجوب القصاص انتهى . وما قاله فيه نظره وتسليمه فهو لا ينافي ما قلناه من أن تعلمه وتعليمه كثيران لأن الكلام ليس فيهما وإنما هو في شخص تعلمه جاهلا بجرمته أو تعلمه عالما بها ثم تاب فما عنده الآن من علم السحر الذي لا كفر فيه هل هو قبيح في ذاته ؟ ، وظهر أنه ليس قبيحا لذاته وإنما قبحه لما يترتب عليه وما يقل عن بعضهم غير صحيح لأن افتاءه بوجوب القود أو عدمه لا يستلزم معرفته علم السحر لأن صورة افتائه أن شهد عدلان عرفا السحر وتاب منه أنه يقتل غالبا قتل الساحر والأفلا وكذا المعلم بالمعجزة لا يتوقف بالعلم بالسحر لأن أكثر العلماء كلهم إلا النادر عرفوا الفرق بينهما ولم يعرفوا علم السحر وكفى فارقا بينهما أن المعجزة تكون مقرونة بالتحدي بخلاف السحر فبطل قول الفخر لما أمكن الفرق إلى آخره وأما كونه فارقا فهو يشترك فيه السحر والمعجزة وإنما يفرقان بافتراؤها بالتحدي بخلافه فإنه لا يمكن ظهوره على يد مدع نبوة كاذبا كما جرت به عادة الله عز وجل المستمرة ضوئا لهذا المنصب الجليل وقد مر عن القرطبي أن المسلمين أجمعوا على أنه ليس في السحر ما يفعل الله عنده من أنزال الجراد وغيره مما سبق فهذا ونحوه مما يجب القطع بأنه لا يكون ولا يفعله الله عند إرادة الساحر . قال القاضي الباقلاني : وإنما منعنا ذلك لاجتماع ولولاه لأجزأه انتهى . وأورد عليه القرطبي قوله تعالى عن حبال سحرة فرعون وعصيتهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى فأخبر عز وجل عن العصى والخيال بأنها حيات وليس هذا الإيراد بصحيح لأن الجمع عليه نفس الانقلاب حقيقة وهذا تخيل ألا ترى إلى قوله تعالى : يخيل إليه .

﴿وروى﴾ سفيان عن عامر الذهبي أن ساحرا كان عند الوليد بن عقبة يمشي على الحبل ويدخل في است الحمار والامت عزته وصل ولأمه محذوفة والأصل سته ومعناه العجز ويراد به حلقة الدبر ولهذا يجمع على أسائه مثل سبب وأسباب ويصغر على سبه ﴿ويخرج من فيه﴾ أي فم الحمار ﴿فاستل جندب سيفه﴾ من غمده ﴿وقتله به﴾ أي بذلك السيف ﴿وهو جندب بن كعب الأزدي﴾ ويقال الجبلي ﴿وهو الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه يكون في أمي رجل يقال له جندب يضرب ضربة بالسيف يفرق بها بين الحق والباطل فكانوا﴾ أي العلماء ﴿يرونه﴾ أي الجندب الذي مدحه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ﴿جندبا هذا﴾ أي ﴿قاتل الساحر﴾ قال علي بن المديني : روى عنه حارثة بن مضرف هكذا ذكره العلامة ابن حجر في الزواجر .

﴿باب الزنا﴾

قال الله تعالى ولا تقرروا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا *

﴿باب ذم الزنا﴾ أعادنا الله منه ومن غيره بمنه وكرمه

﴿قال الله تعالى : ولا تقرروا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ وقال تعالى : واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ، واللذان يأتيناها منكم فاذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيمًا . وقال تعالى : ولا تتكحوا ما نكح آبؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة وساء سبيلا . وصف الله تعالى النكاح نكاح الزنا في الآية الأخيرة بأوصاف والزنا في الآية الأولى بوصفين أفحش وأقبح لأن زوج الأب تشبه الأم فكانت مباشرتها من أفحش الفواحش لأن النكاح الأمهات من أقبح الأشياء حتى عند الجاهلية الجهلاء فالفاحشة أقبح المعاصي والمقت بغض مقرون باستحقاق فهو أخص من الفاحشة وهو من الله عز وجل في حق العبد يدل على غاية الحزنى والخسار وانما قيل فيه ذلك مع قوله وساء سبيلا لأن ذلك قبل النهي عنه كان منكرا في قلوبهم بمقتوا عندهم وكانوا يقولون لولد الرجل من امرأة أبيه ميت وكان في العرب قبائل اعتادت أن يحلف الرجل على امرأة أبيه وكانت هذه السيرة في الأنصار لازمة وفي قرش مباحة مع التراخي ،

واعلم أن مراتب القبح ثلاثة عقلى وشرعى وعادى ففاحشة اشارة للأول ومقتا اشارة للثاني وساء سبيلا اشارة للثالث ومن اجتمعت منه هذه الوجة فقد بلغ الغاية في القبح والاستثناء في : الا ما قد سلف قيل منقطع اذ الماضي لا يجامع الاستقبال أى لكن ما قد سلف فلا اثم فيه وقيل المراد بالنكاح العقد الصحيح والاستثناء ما كان بعضهم يعاطاه من الزنا فالمعنى ولا تعتدوا على من عقد عليه آبؤكم في الجاهلية الا ما قد سلف من زناهم فانه لا يحرم عليكم من زنا بهن وقيل متصل بجمل النكاح على الوطء أى لا تطؤا ما وطء آباءكم وطأ مباحا بالتزويج الا من كان وطؤها فيما مضى وطء رنا في الجاهلية وقيل ما مصدرية والمعنى ولا تتكحوا مثل نكاح آبائكم في الجاهلية الا ما تقدم منكم من تلك العقود الفاسدة فمباح لكم الاقامة عليها في الاسلام اذا كانت بما يقرب عليه في الاسلام وحاصل كلام الزمخشري انه متصل وأن المعنى ولا تتكحوا ما نكح آبؤكم الا اللاتى مضين وفنين وكون هذا مما لا يمنع صحة الاستثناء ولا يخرج عن الاتصال ،

وانما جعل تعالى الشهادة على الزنا أربعة دون غيره تعليظا على المدعى وسرا على العباد وهذا الحكم ثابت في التوراة والانجيل أيضا كذلك . وأخرج ابو داود وغيره عن جبار بن عبد الله رضى الله عنهما قال : جاء اليهودى برجل وامرأة منهم زنيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم : اثبتنى بأعلم رجل مثكم فأتوه باثنين فشد هما كيف تجدان أمر هذين في الترة قالوا : نجد في الترة اذا شهد أربعة انهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة رجما قال : فما يمنعكم أن ترجموها ؟ ، قالوا : ذهب سلطاننا فكرمنا القتل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهود فشهدوا أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة فأمر صلى الله عليه وسلم برجمهما . وحكمة ايجاب الحبس او لان المرأة انما تقع في الزنا عند الخروج والبروز فاذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا . قال عبادة بن الصامت والحسن ومجاهد : كان هذا في ابتداء الاسلام حتى نسخ في الأذى الذي بعده تم نسخ ذلك بالرجم في الشيب . قال ابن فورك : وهذا امسك والحبس في الثبوت كان في صدر الاسلام ،

وقال تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما أي عقوبة قال مجاهد هو اسم واد في جهنم وقيل بئر فيها يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب * وقال الزاينة والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله أي في حكمه إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين هذا في غير المحصن أما المحصن فيرجم إلى أن يموت لما ثبت في الخبر الصحيح *

﴿وقال تعالى: والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك﴾ إشارة إلى جميع ما قبله لأنه بمعنى ما ذكر فلذا وجد ﴿يعلق أثاما أي عقوبة﴾ وقيل الائم نفسه أي يلق جزاء اثم ﴿قال مجاهد: هو اثم واد في جهنم وقيل بئر فيها. يضاعف العذاب يوم القيامة ويخلد فيه﴾ أي في العذاب ﴿مهانا إلا من تاب﴾ سبب نزولها أن ناسا من المشركين أكثروا من القتل والزنا فقالوا يا محمد ما تدعوا إليه حسن لو تخبرنا أن لما عملناه كفارة فنزلت هذا الآية ونزلت قل يا عبادي الذين أشرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا .

﴿وقال﴾ عز وجل ﴿الزينة والزاني﴾ وإنما قدم الزاينة لأن الزنا في الأغلب يكون بتعرفها للرجل وعرض نفسها عليه ولأن مفسده ته تحقق بالإضافة إليها ﴿فاجلدوا﴾ أي فاضربوا يقال جلد إذا ضرب جلد ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم ﴿كل واحد منهما مائة جلدة﴾ وقد وردت السنة بجلد مائة وتقرب عام وبه قال الشافعي . وقال أبو حنيفة : التغرب إلى رأى الإمام . وقال مالك : بجلد الرجل مائة جلدة وتقرب وتجلد المرأة ولا تقرب ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ أي رحمة ورقة قطعطوا الحدود ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وقيل معنى الرأفة أن تخففوا الضرب بل أوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن : قال الزهري : يجتهد في حد الزنا والقرية أي القذف وتخفف في حد الشرب . وقيل يجتهد في حد الزنا وتخفف دون ذلك في حد القرية وتخفف دون ذلك في حد الشرب ﴿في دين الله أي في﴾ تنفيذ ﴿حكمه﴾ عليهما روى أن عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد : اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه : . ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقال : يا بني إن الله لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فإن الإيمان يقتضي الجد في طاعة الله والإجتهاد في إقامة أحكامه وحدوده وهو من باب التمهيج والتهاب والغضب لله تعالى ولدينه ﴿وليشهد﴾ أي وليحضر ﴿عذابهما﴾ أي حدهما إذا اقيم عليهما ﴿طائفة من المؤمنين﴾ زيادة في التنكيل فإن التصحيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن أن تكون خافة حول شيء من الطوف وأقلها ثلاثة وقيل واحد أو إثنان والمراد جمع يحصل به التشهير .

﴿هذا﴾ أي ما ذكر من الجلد بنت السنة انه ﴿في غير المحصن أما المحصن﴾ ويأتي للمصنف معناه ﴿فيرجم﴾ بالحجارة ﴿إلى أن يموت لما ثبت في الخبر الصحيح﴾ وهو ما روى الشيخان عن عمر رضى الله عنه أنه خطب فقال : الرجم حق على من زنى إذا كان محصنا فقال : إن الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه كتابا وكان فيما نزل عليه آية الرجم فقلوها ووعينها وهى : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم قال وقد رجم النبي ﷺ ورجمنا بعده وكان ذلك بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه وروى أبو داود والنسائي عن يزيد بن أبي نعيم عن أبيه أبي نعيم بن هزال قال : كان معاذ بن مالك يسيما في هجر أبي هزال فأصاب جارية من الحى تسمى فاطمة فقيل غير ذلك وكانت أمة لهزال فقال أبو هزال : انت رسول الله ﷺ فأخبره بما صنعت لعله يستغفر لك فجاء رسول الله ﷺ فأخبره بذلك وأقر عنده أربع مرات فأمر برجمه فقال رسول الله ﷺ لماعز قبل رجمه : لو سترت بئوتك لكان خيرا لك

وأخرج الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي عن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت إن ذلك لعظيم قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك * وأبو داود والترمذي لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن زاد النسائي فإذا فعل ذلك خلع رقة الإيمان من عنقه فان تاب تاب الله عليه * وأبو داود والبيهقي والترمذي إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان وكان عليه كالظلة فإذا أقبل رجوع إليه الإيمان *

﴿وأخرج الشيخان﴾ في التفسير والأدب ومسلم في الإيمان ﴿وأحمد والترمذي والنسائي عن ابن مسعود﴾ رضى الله عنه ﴿قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم عند الله﴾ وعن أحمد أي الذنب أكبر ﴿قال﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿أن تجعل لله ندا﴾ بكسر النون والتشديد الدال المهمل أي مثلاً وشريكاً ﴿وهو خلقك﴾ الواو للحال وقال المظهرى: أكبر الذنوب أن تدعو الله شريكاً مع علمك بأنه لم يخلقك أحد غير الله ﴿قلت أن ذلك﴾ أي جعل الند له عز وجل ﴿لعظيم﴾ يا رسول الله ﴿قلت ثم أي﴾ بالتين عوضاً عن المضاف إليه وأصله ثم أي شيء من الذنوب أكبر من الكفر ﴿قال﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك﴾ بفتح التحتية والعين ولا خلاف أن أكبر الذنوب بعد الكفر قتل النفس المسلمة بغير حق لا سيما قتل الولد خصوصاً قتله خوف الإطعام فإنه ذنب آخر أيضاً لأنه بفعله لا يبرى الرزق من الله تعالى ﴿قلت: ثم أي﴾ أعظم عند الله ﴿قال: أن تزاني حليلة جارك﴾ بضم الفوقية بعد الزاي ألف للسنتلى والكشيمى أى أن تزنى بحليلة جارك والحليلة بجاء مهمل زوجة جارك التي يحل له وطؤها أو التي تحل معه في فراشه فالزنا ذنب كبير خصوصاً من مسكن جوارك والتجاً بأمانتك وثبت بينك وبينه حق الجوار وفي الحديث: ما زال جبريل يوصى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه. فالزنا بزوجة الجار يكون زناً وإبطال حق الجوار والحياة معه فيكون أقبح وإذا كان الذنب أقبح يكون الإثم أعظم.

﴿وأخرج الشيخان و﴾ أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن﴾ أى كامل أو محمول على المستحيل مع العلم بالتحريم أو هو خبر بمعنى النهى أو أنه شابه الكافر في عمله وموقع التشبيه أنه مثله في جواز قتاله في تلك الحالة ليكف عن المعصية ولو أدى إلى قتله وفي هذا الحديث نفى الإيمان في حالة ارتكاب الزنا ومقتضاه أنه يعود إليه الإيمان بعد فراغه وهذا هو الظاهر أو أنه يعود إليه إذا أفلح الاقتلاع الكلى فلو فرغ مصراً على تلك المعصية فهو كالمرتكب فيجبه أن نفى الإيمان عنه مستمر ﴿ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن﴾ وقد تضمن الحديث التحريم من ثلاثة أمور هي أعظم أصول المفاسد وأضدادها من أصول المصالح وهي استباحة الفروج المحرمة وما يؤدي إلى ما اختلال العقل وخص الخمر بالذكر لكونها أغلب الرخوة في ذلك والسرقة لكونها أعلى الوجوه التي يؤخذ بها مال الغير بغير حق ﴿زاد النسائي فإذا فعل ذلك﴾ أى ما ذكر من الزنا والسرقة وشرب الخمر ﴿خلع رقة الإيمان من عنقه فان تاب تاب الله عليه﴾.

﴿وأخرج﴾ أبو داود والبيهقي والترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه ﴿إذا زنى الرجل﴾ أى أخذ وشرع في الزنا ﴿خرج منه الإيمان﴾ أى نوره أو كماله ﴿وكان عليه﴾ أى على رأسه كما في رواية ﴿كالظلة﴾ بضم الظاء والتشديد اللام أى السحابة ﴿فإذا أقبل﴾ عنه بأن نزع وتاب وتوبه صحيحة ﴿رجع إليه الإيمان﴾ أى نوره أو كماله قال العلقمى: قال الطبرى: يمكن أن يقال المراد بالإيمان هنا وفي حديث: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن الحياء كما ورد أن الحياء شعبة من الإيمان أى لا يزني الزاني حين يزني وهو يستحي من

والحاكم من زنى أو شرب الخمر نزع منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه * وأبو داود والنسائي لا يخل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا في إحدى ثلاث زنى بعد إحصان فإنه يرحم ومن خرج مجاربا لله ورسوله فإنه يقتل أو يصلب أو ينقى من الأرض ومن يقتل نفسا فيقتل بها * وابن أبي الدنيا ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يخل له * وابن حبان في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قال تعبد عابد من بني إسرائيل فعبد الله في صومته ستين عاما فأمطرت الأرض فاحضرت فأشرف الراهب من صومته فقال لو نزلت فذكرت الله تعالى فازددت خيرا فنزل ومعه رغيف أو رغيفان فبينما هو في الأرض لقيه امرأة فلم يزل يكلمها وتكلمه حتى غشيها ثم أغشى عليه ثم مات فوزنت عبادة ستين سنة بتلك الزنية فرجحت الزنية بحسناته * والبخاري أن السموات السبع والأرضين السبع ليلعن الشيخ الزاني

الله تعالى لأنه إذا استحي من الله واعتقد أنه حاضر شاهد لحاله لم يرتكب هذا الفعل الشنيع . وقال الترمذي : هذا من باب الزجر والتشديد في الوعيد زجرا للسامعين ولطفا بهم وتثبيها على أن الزنا من شيم أهل الكفر وأعمالهم فالجمع بينه وبين الإيمان كالمستأففين وفي قوله صلى الله عليه وسلم : مثل الظلة وهي السحابة التي تظل إشارة إلى أنه وإن خالف حكم الإيمان فإنه تحت ظله لا يزول عنه حكمه ولا يرتفع عنه اسمه ﴿و﴾ أخرج ﴿الحاكم﴾ من طريق ابن حجر أنه سمع أبا هريرة رفعه ﴿من زنى أو شرب الخمر نزع منه الإيمان﴾ أي كماله ﴿كما يخلع الإنسان القميص من رأسه﴾ أبرز المعقول بصورة المحسوس تحقيقا لوجه التشبيه وذلك لأن الخمر أم الفواحش والزنا يترتب عليه المقت من الله تعالى . وأخرج البيهقي : أن الإيمان سر بال سر بله الله من يشاء فإذا زنى العبد نزع منه سر بال الإيمان فإن تاب رد عليه . وأخرج الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي : لا يخل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا باحدى ثلاث الشيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود والنسائي﴾ : لا يخل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا في إحدى ثلاث زنى بعد إحصان فإنه يرحم ومن خرج مجاربا لله ورسوله ﴿أي لأولياء الله وأولياء رسوله وهم المسلمون أي ساعيا في الأرض فسادا بقطع الطريق هذا هو معنى محاربة المسلمين﴾ فإنه يقتل أو يصلب أو تقطع يده ورجلاه من خلاف ﴿ينقى من الأرض﴾ أو تقسيم عقوباته تقسيما موزعا على حالاته فالقتل لمن قتل فقط والصلب لمن قتل وأخذ المال أي نصاب السرقة والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل والنفى لمن أخاف فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعي ويلحق بالنفى ما أشبهه في التنكيل من الحبس وغيره ﴿ومن يقتل نفسا فيقتل بها﴾

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن أبي الدنيا﴾ عن الهيثم بن مالك الطائي ﴿ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يخل له﴾ وقضيه أن الزنا أكبر الكبائر بعد الكفر لكن في أحاديث أصح من هذا أن أكبر ما بعده القتل قاله العزيزي ﴿و﴾ أخرج ﴿ابن حبان في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قال تعبد عابد من بني إسرائيل فعبد الله في صومته﴾ وهي ما بنى كهيئة المسجد قاله بعضهم ﴿ستين عاما فأمطرت الأرض فاحضرت فأشرف الراهب من صومته فقال : لو نزلت فذكرت الله تعالى فازددت خيرا فنزل ومعه رغيف أو رغيفان فبينما هو في الأرض لقيه امرأة فلم يزل﴾ أي الراهب ﴿يكلمها وتكلمه حتى غشيها﴾ أي جامعها ﴿ثم أغشى عليه﴾ فنزل الغدير ليستحم فجاء سائل فلو ما إليه أن يأخذ الرغيفين ﴿ثم مات فوزنت عبادة ستين سنة بتلك الزنية فرجحت الزنية بحسناته﴾ ثم وضع الرغيف أو الرغيفين مع حسناته فرجحت حسناته ففقره هكذا في الزواجر

﴿و﴾ أخرج ﴿البخاري﴾ عن بريدة ﴿أن السموات السبع والأرضين السبع والجبال﴾ ليلعن الشيخ الزاني ﴿واللن أبا بلسان

وإن فروج النار ليؤذي أهل النار تن ربحها * والخراطين وغيره المقيم على الزنا كعابد وثن أعادنا الله منه * وأبو داود من جامع المشركه وسكن معها فانه مثلها * والبخاري رأيت الليلة رجلين فأتاني فأخرجاني إلى أرض مقدسة فذكر الحديث إلى أن قال فانطلقا بي إلى ثقب مثل التور أعلاه ضيق وأسفله واسع توقد تحته نار فإذا ارتفعت ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة الحديث وفي آخره فأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التور فانهم الزناة والزواني *

المقال أو الحال وكما تلعن الشيخ الزاني تلعن الشبهة الزنية وخص الشيخ لأن الزناة منه أقبح وافحش لأن شهوته ضعفت ﴿وان فروج﴾ الزناة ﴿النار ليؤذي أهل النار تن ربحها﴾ بفتح النون وسكون المثناة الفوقية أي أهل النار مع شدة عذابهم يأدون من ريح الصديد السائل من فروجهم ﴿و﴾ أخرج ﴿الخراطين﴾ في كتاب مشارق الأخلاق ﴿وغيره﴾ أي كآبن عساكر عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال ﴿المقيم على الزنا﴾ أي المصير عليه ﴿كعابد وثن﴾ أي في مطلق التعذيب ولا يلزم منه استواءهما بل ذلك بخلافه يخرج . وورد أن مرتكب الكبائر إذا مات ولم يرب ترجى له رحمة الله فالأولى حمل هذا على المستحيل أو على الزاجر والتنفير ويؤيده ما صح أن مذنم الخمر إذا مات لقي الله كما بد وثن ولا شك أن الزنا أشد وأعظم عند الله من شرب الخمر ﴿أعادنا الله عنه﴾ ومن غيره من سائر الفواحش بمنه وكرمه آمين .

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود﴾ عن سمرة بن جندب بإسناد صحيح ﴿من جامع المشركه﴾ أي رافقه زاد المناوي أو معناه نكح الشخص المشرك يعني إذا أسلم فتأخرت عنه زوجته المشركه حتى بانت منه ﴿وسكن معها فانه مثلها﴾ قال المناوي : أي من بعض الوجوه لأن الأقبال على عدو الله وموالاته توجب اعراضه عن الله ومن أعرض عنه تولاه الشيطان ﴿و﴾ أخرج ﴿البخاري﴾ : رأيت الليلة رجلين فأتاني فأخرجاني إلى أرض مقدسة فذكر الحديث إلى أن قال فانطلقا بي إلى ثقب مثل التور أعلاه ضيق وأسفله واسع توقد تحته نار فإذا ارتفعت ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة الحديث وفي رواية فانطلقنا إلى مثل التور قال فاحسب أنه كان يقول : فإذا فيه لفظ واصوات قال : فانطلقنا عليه فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتهم لخب من أسفل منهم فإذا تألم ذلك اللهب ضوضوا أي ضاحوا الحديث ﴿وفي آخره فأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التور فانهم الزناة والزواني﴾

هكذا نقله المصنف من حديث طويل أخرجه البخاري عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول لأصحابه : هل رأى أحد منكم من رؤيا فيقص عليه من شأن الله أن يقص وأنه قال لنا ذات غداة أنه أتاني الليلة آتيان وانهما ابنتاى وانهما قالوا لي انطلق واتى انطلقت معهما وأنا آتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيبلغ رأسه فيندمده الحجر أي فيندخرج فيأخذ من غير رجوع إلى حتى يصبح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به في المرة الأولى قال : قلت لهما : سبحان الله ما هذان ؟ قالوا : انطلق انطلق قال فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقناه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا هو يأتى أحد شتى وجهه فيشر شرأى شتى شدة إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه قال وربما قال أبو رجاء : فيشق قال : ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول قال : فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصبح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل في المرة الأولى قال : قلت : سبحان الله ما هذان ؟ قال قالوا : انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التور قال : فاحسب أنه كان يقول فإذا فيه لفظ واصوات قال : فانطلقنا فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتهم لخب من أسفل

منهم فاذناتهم ذلك اللهب ضوءا يفتح المعجمين وسكون الواوين أى صلح مع انضمام وفتح عقال : قلت لهما : ماهؤلاء ؟ قال قالالى : انطلق انطلق قال فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول : أحمر مثل الدم وإذا في النهر رجل ساج يسبح وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السبح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرا فينطلق يسبح ثم يرجع اليه كلما رجع اليه فغرماء فمعجزة مفتوحين أى فتح له فاه فلقمه حجرا قال قلت لهما : ماهذان ؟ قال قالالى : انطلق انطلق قال فانطلقنا فأتينا على رجل كرمه المرأة كأكرو ما أنت راء رجل امرأة فإذا عنده نار يحشها بهيمة مضومة فمعجزة أى يوقدها ويسعى حولها قال : قلت لهما : ماهذا ؟ قال قالالى : انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على روضة معنة أى طويلة النبات من اعتم إذا طال فيها من كل لون الربيع وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا كأدأرى رأسه طولاً في السماء وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط قال : قلت : ماهذا ماهؤلاء ؟ قال قالالى : انطلق انطلق قال فانطلقنا فأتينا على روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم ولا أحسن منها قالالى : ارق فيها فارغبنا فيها فأتينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلنا ها فلقمنا راجال شط من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشط منهم كأقبح ما أنت راء قال لهم : اذهبوا فقعوا في ذلك النهر قال : وإذا نهر معترض يجري كان ماءها لحض أى خالص في البياض فذهبوا فوقوعوا فيه ثم رجعوا إلىنا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قال قالالى : هذه جنة عدن وهذاك منزلك قال : فسنا أى ارتفع بصري صعدا بضمتين إلى فوق فإذا قصر مثل الرابية أى السحابة البيضاء قال : قالالى : هذاك منزلك قلت لهما بارك الله فيكما ذراني فأدخله قال : أما الآن فلا وأنت داخله قال : قلت لهما : فاني قد رأيت منذ الية عجبا فما هذا الذي رأيت قالالى : أما أنا مستخبرك أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يتلغ رأسه بالحجر فانه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكوبة وأما الرجل الذي أتيت عليه يشر شر شدة إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة يتلغ الآفاق وأما الرجال والنساء العزاة الذين هم في مثل بناء التور فانهم الزناة والزواني وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فانه أكل الزنا وأما الرجل الكرمه المرأة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فانه مالك خازن النار وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فانه ابراهيم وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة فقال بعض المسلمين : يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأولاد المشركين وأما القوم الذين كانوا شط منهم حسن وشط منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا ضالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم . وفي حديث البزرا قال : ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم على قوم ترضع رؤوسهم بالصخرة كلما رضحت عادت كما كانت ولا يفر عنهم من ذلك شيء قال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين تآكلت رؤوسهم عن الصلاة .

وأخرج حزيمة في صحيحه عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بينا أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلا وعرا فقالا : اصعد فقلت : انى لأطيقه فقالا : أنا سنسهله لك فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل فإذا أنا بصوت شديدة فقلت : ماهذه الأصوات ؟ فقالا : أعواء أهل النار ثم انطلق بي فإذا بقوم مغلقين بغراقيهم مشقة أشداقهم تسيل أشداقهم دما قال : قلت : ماهؤلاء ؟ قبل هؤلاء الذين يفترون قبل تحلة صومهم فقال : خابت اليهود والنصارى قال سليم : ما أدري أسمع أم أأماة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شيء من رأيه ثم انطلق بي فإذا بقوم أشد شيء اتقاخا واتن ربحا واسواء منتظرا فقلت : من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء قلى الكفار ثم انطلق بي فإذا أنا بقوم أشد شيء اتقاخا ؟ قيل اتقاخا واتنه ربحا كان ربحهم المراحض قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الزانون والزواني ثم انطلق بي فإذا أنا بنساء تنهش ثديهن الحيات قلت : ما بال هؤلاء ؟

وابن أبي الدنيا والحرائطي عن علي كرم الله وجهه قال إن الناس يرسل عليهم يوم القيامة ريح منسنة حتى يأذى منها كل بر وفاجر حتى إذا بلغت منهم كل مبلغ ناداهم مناد يبلغهم الصوت فيقول لهم هل تدرون هذه الريح التي قد آذتكم فيقولون لا ندري والله إلا أنها قد بلغت منا كل مبلغ فيقال إنها ريح فروج الزناة الذين لقوا الله بزناهم ولم يتوبوا منه ثم ينصرف منهم * وروي عن النبي ﷺ أن إبليس يث جنوده في الأرض ويقول أيكم أضل مسلما ألبسه التاج على رأسه فأعظمهم فتنة أقرهم إليه منزلة فيجيء أحد هم فيقول لم أزل بفلان حتى طلق امرأته فيقول ما صنعت شيئا سوف يتزوج غيرها ثم يجيء الآخر فيقول لم أزل بفلان حتى أليت بينه وبين أخيه العداوة فيقول ما صنعت شيئا سوف يصالحه ثم يجيء الآخر فيقول لم أزل بفلان حتى زني فيقول إبليس نعم ما فعلت فيدينه منه ويضع التاج على رأسه نعوذ بالله من شر الشيطان وجنوده * وعنه أيضا أن في جهنم واديا يقال له جب الحزن فيه حيات وعقارب كل عقرب تعدل البغل لها سبعون شوكة في كل شوكة راوية سم تضرب الزاني وتفرغ سمها في جسمه يجد مرارة وجعها ألف سنة ثم يتهزى لحمه ويسيل من فرجه القيح والصدید ،

قل هؤلاء يمين أولادهم من البائنه ثم انطلق بي فاذا أنا بغلمان يلعبون بين نهرين قلت من هؤلاء قيل : هؤلاء ذراري المؤمنين ثم شرف بي شرفا فاذا أنا بثلاثة بشرى من خمرهم قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء جعفر وزيد وابن رواحة ثم شرف بي شرفا آخر فاذا أنا بثلاثة قلت : من هؤلاء ؟ قال : هذا إبراهيم وموسى وعيسى وهم ينتظرونك .

﴿و﴾ أخرج ﴿ابن أبي الدنيا والحرائطي﴾ وغيرهما ﴿عن علي كرم الله وجهه قال : إن الناس يرسل عليهم يوم القيامة ريح منسنة حتى يأذى منها كل بر وفاجر حتى إذا بلغت منهم كل مبلغ ناداهم مناد يبلغهم الصوت فيقول لهم : هل تدرون هذه الريح﴾ المنسنة ﴿التي قد آذتكم ؟ فيقولون : لا ندري والله إلا أنها قد بلغت منا كل مبلغ فيقال إنها ريح فروج الزناة الذين لقوا الله بزناهم ولم يتوبوا منه ثم ينصرف منهم﴾ ولم يذكر عند الصرف بهم جنة ولا نار . وأخرج السهتي : لما عرج بي مروت برجال تقرض جلودهم بمقاريض من نار فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : الذين يزنون للزينة قال : ثم مررت بجب من الريح فسمعت فيه أصواتا شديدة فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : ساء كن يزن للزينة ويفعل ما لا يحل لهم . وعن عطاء في تفسير قوله تعالى عن جهنم : لها سبعة أبواب . قال : أشد تلك الأبواب عما وكرب وحراواتها ريح الزناة . وعن مكحول قال : يجد أهل النار رائحة منسنة فيقولون : ما وجدنا من هذه الرائحة فيقال لهم : هذه ريح فروج الزناة وقال ابن زيد أحداثة التفسير : انه ليؤذى أهل النار ريح فروج الزناة .

﴿وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن إبليس اللعين﴾ ثبت ﴿أي ينشر﴾ جنوده في الأرض ويقول ﴿لهم﴾ أيكم أضل مسلما ألبسه التاج على رأسه وأعظمهم فتنة وأقرهم إليه ﴿أي إلى اللعين﴾ منزلة ﴿ورتبة﴾ فيجيء إليه أحد هم فيقول : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته فيقول ﴿إبليس﴾ ما صنعت شيئا لأنه ﴿سوف يتزوج غيرها﴾ أي المطلقة أو يرجع إليها ﴿ثم يجيء الآخر فيقول : لم أزل بفلان حتى أليت بينه وبين أخيه العداوة فيقول : ما صنعت شيئا سوف يصالحه ثم يجيء الآخر فيقول : لم أزل بفلان حتى زني فيقول إبليس : نعم ما فعلت فيدينه﴾ أي يقره ﴿منه﴾ ويضع التاج على رأسه نعوذ بالله من شر الشيطان وجنوده ﴿كذا ذكره في الزواج﴾ .

﴿وعنه﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿أيضا﴾ انه قال : في جهنم واد فيه حيات ثخن رقبة البعير تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهزى لحمه ﴿أن في جهنم واديا يقال له جب الحزن فيه حيات وعقارب كل عقرب تعدل البغل لها سبعون شوكة في كل شوكة راوية سم تضرب الزاني وتفرغ﴾ أي تصب ﴿سمها في جسمه يجد مرارة وجعها ألف سنة يتهزى لحمه ويسيل من فرجه القيح والصدید﴾ أي القيح المختلط بالدم كذا في الزواج أيضا .

وورد أن في الزور مكتوبا إن الزناة يعلقون بفروجهم في النار ويضربون عليها بسياط من حديد فإذا استغاث أحدهم من الضرب نادته الزانية أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتفرج ولا تراقب الله ولا تستحي منه ﴿وروي﴾ أيضا أن من زنى بامرأة مزوجة كان عليه وعليها في القبر نصف عذاب هذه الأمة فإذا كان يوم القيامة يحكم الله تعالى زوجها في حسنة هذا إذا كان بغير علمه فان علم وسكت حرم الله عليه الجنة لأن الله تعالى كتب علي بابها إنك حرام على الديوث وهو الذي يعلم الفاحشة في أهله وسكت ولا يفتار ﴿وروي﴾ أيضا أن من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه فإن قبلها قرضت شفاء في النار وإن زنى بها نطقت فخذاه وشهدت عليه يوم القيامة وقالت أنا للحرام ركبت فينظر الله إليه بعين الغضب فيقع لحم وجهه فيكابر ويقول ما فعلت فيشهد عليه لسانه ويقول أنا بما لا يحل لي نطقت ويقول يده أنا للحرام تناولت ويقول عينه أنا للحرام نظرت ويقول رجله أنا لما لا يحل لي مشيت ويقول فرجه أنا فعلت ويقول الحافظ من الملائكة وأنا سمعت ويقول الملك الآخر وأنا كتبت ويقول الله تعالى وأنا أطلعت وسئرت ثم يقول يا ملائكتي خذوه ومن عذابي فأذيقوه قد اشتد غضبي علي من قل حياؤه مني

﴿وروي﴾ أن في الزور مكتوبا إن الزناة يعلقون بفروجهم في النار ويضربون عليها بسياط من حديد فإذا استغاث أحدهم من الضرب نادته الزانية أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح في الدنيا ﴿وتفرح﴾ قال بعضهم والمرح أشد الفرج والسرور ﴿ولا تراقب الله ولا تستحي منه﴾ حيث ارتكبت الزنا

﴿وروي﴾ أيضا أن من زنى بامرأة مزوجة كان عليه وعليها في القبر نصف عذاب هذه الأمة فإذا كان يوم القيامة يحكم الله تعالى زوجها في حسنة هذا إذا كان بغير علمه ﴿أي زوجها﴾ فان علم وسكت حرم الله عليه ﴿أي على الزوج﴾ الجنة لأن الله تعالى كتب علي بابها إنك حرام على الديوث وهو الذي يعلم الفاحشة في أهله وسكت ولا يفتار، وورد أيضا أن من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه فإن قبلها قرضت شفاء في النار وإن زنى بها نطقت فخذاه وشهدت عليه يوم القيامة وقالت أنا للحرام ركبت فينظر الله إليه بعين الغضب فيقع لحم وجهه فيكابر ويقول ما فعلت ﴿شيئا بما ذكر﴾ فيشهد عليه لسانه ويقول أنا بما لا يحل لي نطقت ويقول يده أنا للحرام تناولت ويقول عينه أنا للحرام نظرت ويقول رجله أنا لما لا يحل لي مشيت ويقول فرجه أنا فعلت ويقول الحافظ من الملائكة وأنا سمعت ويقول الملك الآخر وأنا كتبت ويقول الله تعالى وأنا أطلعت وسئرت ثم يقول عز وجل ﴿يا ملائكتي خذوه﴾ هذا المذنب ﴿ومن عذابي فأذيقوه﴾ قد اشتد غضبي علي من قل حياؤه مني ﴿وتصدق ذلك من كتب الله عز وجل يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون هكذا في الزواجر﴾

وأخرج البزار: إذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة. وأخرج أحمد بسند رواه ثقات أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: ما تقولون في الزنا؟ قالوا: حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: لأن يزني الرجل بعشر نسوة أسير عليه من أن يزني بامرأة جاره. وأخرج الطبراني من رواية الصباح بن خالد عن أبي أنية عن نافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة مسكين متكبر ولا شيخ زان ولا منان على الله بعبله. وأخرج ابن النجار عن أنس بن مالك: من زنى زنى به ولو يحيطان داره.

واعلم أن أعظم الزنا على الإطلاق الزنا المحرم فقد صحح الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال: من وقع على ذات محرم فاقطعه. وعلم بما ذكر من الأخبار أن الزنا له ثمرات قبيحة منها أنه يورث النار والعذاب الشديد وأنه يورث الفقر وأنه يؤخذ بمثله من ذرية الزاني ولما

﴿تنبيه﴾ الزنا أكبر الكبائر بعد القتل إجماعاً ومن ثم قرنه تعالى بالشرك والقتل في الآية السابقة وقيل هو أكبر من القتل فهو الذي يلي الشرك وأفحش أنواعه الزنا بجميلة الجار ويكفر مستحله ومن ثمى أن لا يحرم ﴿واعلم﴾ أن حد الزاني المحصن الرجم فقط إلى أن يموت والمحصن هنا الواطئ أو الموطوءة

قيل لبعض الملوك ذلك أراد تجربته بآبنة له وكانت غلبة في الجنال فانزلها مع امرأة فقيرة وأمرها أن لا تمنع أحداً أراد التعرض لها بأي شيء شاء ثم أمرها بكشف وجهها وانها تطوف بها في الأسواق فاستلكت فما مرت بها على أحد الا واطرق رأسه عنها حياء وخجلاً فلما طافت بها المدينة كلها ولم يجد أحد نظره اليها حتى قربت بها من دار الملك لتريد الدخول بها فامسكها انسان وقبلها ثم ذهب عنها فادخلها على الملك فسألها عما وقع فذكرت له القصة فسجد لله شكراً وقال : الحمد لله ما وقع مني في عمري قط الا قبلت لامرأة وقد قوصت بها وعلم من ذلك أيضاً ان الزنا له مراتب فهو بأجنبية لا زوج لها عظيم وأعظم منه بأجنبية لها زوج وأعظم منه بمحرم وزنا الشيب أقيح من البكر بدليل اختلاف حديهما وزنا الشيخ لكمال عقله أقيح من زنا الشاب والحرم والعالم لكمال لهما أقيح من الفن والجاهل ﴿تنبيه.. الزنا﴾ وهو ايلاح فرج في فرج مشتهى طبعاً محرم شرعاً ﴿أكبر الكبائر بعد القتل إجماعاً﴾ أى لأجل أهل الملل على تحريمه فلم يحل في ملة قط ولهذا كان حده أشد الحدود في الجملة ﴿ومن ثم﴾ أى من أجل أن الزنا أكبر الكبائر بعد القتل ﴿قرنه تعالى بالشرك والقتل في الآيات السابقة﴾ أى قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آتاهما ﴿وقيل هو أكبر من القتل﴾ لأن فيه جناية على النسب وعلى العرض ﴿فهو الذي يلي الشرك﴾ وفي كلام بعض شراح الجامع الصغير أن أكبر الكبائر الشرك بالله ثم قتل النفس وإن ما وراء ذلك من السبع المبتقات وغيرها كالزنا لا ترتيب فيه وإنما يقال في كل فرض منه من أكبر الكبائر قتله بعضهم عن الشبراملسي ﴿وأفحش أنواعه الزنا بجميلة الجار ويكفر مستحله ومن ثمى أن لا يحرم﴾ أى الزنا.

﴿واعلم.. أن حد الزاني المحصن﴾ رجلاً أو امرأة ﴿الرجم﴾ بحجارة معدلة فيرجم الإمام أو نائبه بان يأمر الناس ليحيطوا به فيرموه من الجوانب ويسن لامرأة حفرة إلى صدرها ان لم يثبت زناها بأقرار ثلاثا تكشف بخلاف ما اذا ثبت بالإقرار فلا تسن لها ليكنه الحرب ان رجعت ﴿فقط﴾ أى دون الجلد عند جماهير العلماء لكن هذا محله إذا زنى بعد الإحصان أما لو زنى قبله ثم زنى بعده فإنه يجب جلده ثم رجمه على الأصح من وجهين في الروضة وهو المعتمد لانهما عقوبتان مختلفتان فلا يتداخلان لكن يسقط التغريب بالرجم ﴿لأن ان يموت﴾ وذلك للأخبار الصحيحة وتقدم بعضها ويستحب ان تعرض على الزاني المحصن قبل الرجم توبة لتكون خاتمة أمره ويؤمر بصلاة دخل وقتها ويوحب لشرب لا أكل وصلاة ركعتين إذا طلبها ويستد بقله بالسيف فاليرجم بعده إذا لا فائدة فيه لكن فات الواجب وهو الرجم بالحجارة.

﴿والمحصن﴾ بفتح الصاد من الإحصان وهو من الثلاثة التي جن نواذر يقال احصن فهو محصن واسهب فهو مسهب والفتح فهو ملتح وتقتصر الصاد على القياس فمعنى المفتوح احصن نفسه بالتزويج عن عمل الفاحشة والمحصن المتزوج والمراد به ﴿هنا﴾ أى في حد الزنا الرجل ﴿الواطئ أو﴾ المرأة ﴿الموطوءة﴾ أى حال الكمال بالبلوغ والعقل والخبرة فلا بد من وقوعه حال الكمال بما ذكر كما انه لا بد أن يكون الزنا حال الكمال فلا يرجم إلا من كان كاملاً في الحالين وإن تخللها نقص كجنون ورق مجلف ما لو وطئ وهو ناقص بان كان صبياً أو مجنوناً ثم زنى وهو كامل فلا يرجم ولا يرد التائم إذا استدخلت المرأة ذكره من حيث أنه صار محصناً وليس بمكلف عند الفعل لأنما تقول

في القبل في نكاح صحيح ولو مرة في عمره ويجوز للمضطر قتله وأكله كترك الصلاة بلا عذر ولا قصاص على من قتلها وحد غيره جلد مائة وتقرب عام ولأه إن كان حراً ومن زنى بكراً ثم محصناً يجلد ثم يرحم وحد من فيه رق وتقريبه نصف الحر * وروى عن عمر بن ميمون قال كتبت في حرث فرأيت قرودا كثيرة قد اجتمعن فرأيت قرودة وقد اضطجعا ثم أدخلت القرودة يدها تحت عنق القرد واعتنقها وناما فجاء قرد آخر فغمزها فنظرت إليه واستلكت يدها من تحت رأس القرد ثم انطلقت معه غير بعيد فنكحها وأنا أنظر ثم رجعت إلى موضعها فذهبت تدخل يدها تحت عنق القرد فاتبه فشم دبرها قال فاجتمعت القرودة فجعل يشير إليها فتفرقت القرودة فلم ألبث أن جيء بذلك القرد بعينه أعرفه فانطلقوا بها وبه إلى موضع كثير الرمل فحفروا لها حفرة فجعلوها فيها ثم رجموها حتى ماتا * وعن ابن عباس أنه قال كان في بني إسرائيل راهب متروك في صومعته دهرًا طويلاً وكان ملك يأتيه كل يوم غدواً وعشيا ويقول له ألك حاجة وأنت الله في الحجر فوق صومعته كرمًا يحمل له في كل يوم قطفاً من العنب وكان إذا عطش مديده فيسكب فيه الماء من الهواء فينما هو كذلك إذا هو بامرأة ذات حسن وجمال مع العشاء فنادته يا راهب أسألك بحق المعبود ألا ما يتنى عندك الليلة فإن مكاني بعيد فقال اصعدي

هو مكلف استصحاباً لحاله قبل النوم ، والأظهر أن الكامل من رجل أو امرأة يكون محصناً بوطء ناقص كما لو كانا كاملين ﴿ في القبل ﴾ وخرج به الدبر فلا يحصل بالوطء فيه تحصين كما لا يحصل به تحليل ﴿ في نكاح صحيح ﴾ أي عقد صحيح وإنما اعتبر في الإحصان الوطء في نكاح صحيح لأن به قضى الواطن الشهوة واستوفى اللذة فحقه أن يتمتع عن الحرام فإذا وقع فيه غلط فعليه الرجم ﴿ ولو مرة في عمره ويجوز للمضطر قتله ﴾ أي الزاني المحصن ﴿ وأكله كترك الصلاة بلا عذر ولا قصاص على من قتلها ﴾ أن ﴿ وحد غيره ﴾ أي الزاني المحصن وهو حر مكلف زنى بإبلاح حبشة أو قد رها من فاقدها في فرج آدمي قبل أو دبر مع علم بحريمه ﴿ جلد مائة وتقرب عام ﴾ من بلد الزنا تنكيلاً له وإبعاداً من موضع الفاحشة ﴿ ولأه ﴾ لمسافة قصر فأكثر برأى الإمام فلا يكفي التغريب لما دون مسافة القصر لتواصل الأخبار فيها إليه والمقصود إيجاشه بالبعد عن أهل والوطن ﴿ إن كان ﴾ الواطن والموطوء ﴿ حراً ومن زنى بكراً ثم محصناً يجلد ثم يرحم وحد من فيه رق وتقريبه نصف ﴾ حد ﴿ الحر ﴾ وتقريبه في جلد خمسين ويقرب نصف عام ويحد الرقيق الإمام أو السيد فإن تنازع عاقد المام

﴿ وروى عن عمر بن ميمون ﴾ رحمه الله تعالى ﴿ قال : كتبت في حرث فرأيت قرودا كثيرة قد اجتمعن فرأيت قرودة وقد اضطجعا ثم أدخلت القرودة يدها تحت عنق القرد وانتحها وناما فجاء قرد آخر فغمزها فنظرت إليه واستلكت يدها من تحت رأس القرد ثم انطلقت معه غير بعيد فنكحها ﴾ أي وظننها ﴿ وأنا أنظر ثم رجعت إلى موضعها فذهبت تدخل يدها تحت عنق القرد فاتبه فشم دبرها قال ﴾ عمر بن ميمون ﴿ فاجتمعت القرودة فجعل يشير إليها فتفرقت القرودة فلم ألبث أن جيء بذلك القرد بعينه أعرفه فانطلقوا بها ﴾ أي بتلك القرودة ﴿ وبه إلى موضع كثير الرمل فحفروا لها حفرة فجعلوها فيها ﴾ أي تلك الحفرة ﴿ ثم رجموها حتى ماتا ﴾

﴿ و ﴾ روى عن ابن عباس ﴿ رضى الله عنهما ﴾ أنه قال : كان في بني إسرائيل راهب متروك في صومعته دهرًا طويلاً وكان ملك من الملائكة ﴿ يأتيه كل يوم غدواً وعشيا ويقول له : ألك حاجة وأنت الله في الحجر فوق صومعته كرمًا يحمل له في كل يوم قطفاً من العنب وكان إذا عطش مديده فيسكب فيه ﴾ أي في يده ﴿ الماء من الهواء ﴾ كرمة له ﴿ فينما هو كذلك إذا هو بامرأة ذات حسن وجمال مع العشاء ﴾ يفتح العين ما يؤكل آخر النهار ﴿ فنادته ﴾ بأعلى صوتها ﴿ يا راهب أسألك بحق المعبود ألا ما يتنى عند الليلة فإن مكاني بعيد فقال ﴾ الراهب ﴿ اصعدي ﴾ إلى الصومعة

فلما صارت عنده رمت ثوبها وقامت عريانة تجلو نفسها فغطى وجهه ثم قال لها ويلك استترى فقالت والله لا بد لي منك أن تنزع الليلة بي فقال لنفسه ما تقولين فقالت اتق الله فقال لها ويحك تريد أن تذهبي بعبادتي وتذيقيني سرايل القطران ومقطعات الثيران وأخاف عليك من نار لا تطفأ وعذاب لا يفي وأخاف أن يغضب ربنا فلا يرضى فراودته نفسه فقال لها أعرض عليك نارا صغيرة فإذا صبرت عليها ستعك الليلة فقام وملا السراج زيتا وغلظ قليله والمرأة تسمع وتبصر ثم أخذ أصبعه فأدخلها في السراج فصاح بها ملك من السماء أحرقي إبهامه فأكلت إبهامه ثم رجعت إلى السبابة فأكلتها ثم كذلك حتى أكلت يده فصاحت المرأة صيحة فماتت فسترها بثوبها وقام إلى الصلاة فلما أصبح وقف إبليس عند صومعته وصرخ في المدينة إن الراهب قد زنى بفلاة وقتلها فركب ملك المدينة في مملكه وصاح به فأجابه فقال أين فلاة فقال عندني فقال قل لها تنزل قال إنها ماتت قال فما رضىت بالزنا حتى قتلها فخرىوا الدير وهدموا الصومعة وجعلوا في رقبته حبلا وحملت المرأة وحي بالرجل إلى موقف العذاب وكان القوم ينشرون الزاني والزانية بالمناشير ويده ملفوفة في كفه لا يعلمهم ولا يحذوهم بقصته فوضع المنشار على رأسه وقال لأصحاب العذاب جروا فجروا وبلغ إلى عنقه فتأوه فأوحى الله إلى جبريل أن قل له لا تنطق بها أنا أنظر إليك فقد أبكيت حملة العرش وسكان سمواتي وعزتي وجلالي لن تأوهم ثانية لأهدمن السموات ولأخسفن بمن في الأرض قال ابن عباس فرد الروح في المرأة فقامت وقالت والله هو مظلوم وما زنى بي وما قتلني وأنا بخاتم ربي ثم قصت عليهم القصة فأخرجوا يده فإذا هي محرقة فقالوا لو علمنا ما نشركنا وخر

فلما صارت عنده رمت ثوبها وقامت عريانة تجلو نفسها فغطى وجهه ثم قال لها : ويلك استترى فقالت : والله لا بد لي منك أن تنزع الليلة بي فقال لنفسه ما تقولين فقالت : ﴿ اتق الله ﴾ قوله فقالت اتق الله هكذا في النسخ التي بأيدينا فليحرر ﴿ فقال لها : ويحك تريد أن تذهبي بعبادتي وتذيقيني سرايل القطران ومقطعات الثيران وأخاف عليك من نار لا تطفأ وعذاب لا يفي وأخاف أن يغضب ربنا فلا يرضى فراودته نفسه ﴾ تلك المرأة ﴿ فقال ﴾ الراهب ﴿ لها ﴾ أي لنفسه ﴿ أعرض عليك نارا صغيرة فإذا صبرت عليها ستعك الليلة فقام وملا السراج زيتا وغلظ قليله ﴾ أي السراج ﴿ والمرأة تسمع ﴾ كلامه لنفسه ﴿ وتبصر ﴾ حاله ﴿ ثم أخذ أصبعه فأدخلها في السراج فصاح بها ﴾ أي بنار السراج ﴿ ملك من السماء أحرقي إبهامه فأكلت ﴾ النار ﴿ إبهامه ثم رجعت إلى السبابة فأكلتها ثم رجعت ﴾ كذلك حتى أكلت يده فصاحت المرأة صيحة فماتت فسترها ﴿ الراهب ﴾ بثوبها وقام إلى الصلاة فلما أصبح ﴿ أي دخل في الصبح ﴾ وقف إبليس عند صومعته وصرخ في المدينة إن الراهب قد زنى بفلاة وقتلها فركب ملك المدينة في مملكه ﴿ أي مع أهل مملكه ﴾ وصاح ﴿ نادى الملك ﴾ به ﴿ أي بالراهب ﴾ فأجابه فقال ﴿ الملك ﴾ أين فلاة ؟ فقال : عندني فقال : قل لها تنزل ﴿ من صومعك ﴾ قال ﴿ الراهب ﴾ إنها ماتت قال ﴿ الملك ﴾ فما رضىت بالزنا حتى قتلها فخرىوا الدير وهدموا الصومعة وجعلوا في رقبته حبلا وحملت المرأة وحي بالرجل ﴿ أي الراهب ﴾ إلى موقف العذاب وكان القوم ينشرون الزاني والزانية بالمناشير ويده ﴿ أي الراهب ﴾ ملفوفة في كفه لا يعلمهم ولا يحذوهم بقصته فوضع المنشار على رأسه وقال ﴿ الملك ﴾ لأصحاب العذاب جروا فجروا وبلغ ﴿ المنشار ﴾ إلى عنقه فتأوه فأوحى الله إلى جبريل أن قل له لا تنطق بها ﴿ أي بهذه المرأة من التأوه ﴾ أنا أنظر إليك فقد أبكيت حملة العرش وسكان سمواتي وعزتي وجلالي لن تأوهم ثانية لأهدمن السموات ولأخسفن بمن في الأرض قال ابن عباس ﴿ رضى الله عنهما ﴾ فرد ﴿ الله تعالى ﴾ الروح في المرأة فقامت وقالت : والله هو ﴿ مظلوم وما زنى بي وما قتلني وأنا بخاتم ربي ثم قصت ﴾ المرأة ﴿ عليهم القصة ﴾ المذكورة ﴿ فأخرجوا يده فإذا هي محرقة فقالوا : لو علمنا ﴾ شأنك ﴿ لما نشركنا وخر ﴾ الراهب

ميتا وخرت المرأة ميتة فحفروا لها قبرا فوحدوا فيه مسكا وكافورا ثم غسلوها وكفنوها وصلوا عليها ودفنوها فنادى مناد من السماء إن الله تعالى قد نصب الميزان تحت العرش وأشهد ملائكة أنى زوجته خمسين ألف عروس من الفردوس وهكذا أفعل بأهل المراقبة نفعا الله به ﴿وحيكى﴾ عن الحسن قال كانت امرأة بغى في زمن بني إسرائيل لها ثلث الحسن لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار وأنه أبصرها عابدا فأعجبته فذهب وعمل يده وعالج فجمع مائة دينار ثم جاء إليها وقال إنك أعجبتي فأنطلقت فعملت يدي وعالجت حتى جمعت مائة دينار فقالت ادخل فدخل وكان لها سرير من ذهب فجلست على سريرها ثم قالت له هلم فلما جلس منها مجلس للرجل من المرأة ذكر مقامه بين يدي الله الرقيب لأعمال العباد فأخذته رعدة فقال لها اتركني أخرج ولك المائة دينار قالت ما بدا لك وقد زعمت أنى أعجبك فلما قدرت على فعلت الذي فعلت قال فرعا من الله ومن مقامى بين يديه وقد غضب على فانت أبغض الناس إلى فقالت إن كنت صادقا فمالى زوج غيرك فقال دعيني أخرج فقالت له لا إلا أن تجعل لي أنك تزوج بي قال فلعل فقتنع بشبه ثم خرج إلى بلده فارحلت نادمة على ما كان منها حتى قدمت بلده فسألت عن اسمه ومنزله فدلته عليه وكانت تعرف بالملكة فقيل له إن الملكة قد جاءت فلما رآها شفق شهقة

﴿هيما وخرت المرأة ميتة فحفروا لها قبرا فوحدوا فيه﴾ أى في القبر المحفور ﴿مسكا وكافورا ثم غسلوها وكفنوها وصلوا عليها ودفنوها فنادى مناد من السماء إن الله تعالى قد نصب الميزان تحت العرش وأشهد ملائكة أنى زوجته خمسين ألف عروس من الفردوس وهكذا أفعل بأهل المراقبة نفعا الله به﴾ آمين .

ووقع لبعض الصالحين أن نفسه حدثه بفاحشة وكان عنده قيلة فقال لنفسه : يا نفس انى أدخل أصبى في هذه القيلة فان صبرت على خرها مكنتك مما ترين ثم أدخل أصبعه في نار القيلة حتى احسنت نفسه أن الروح كادت تزهر منه من شدة حرها في قلبه وهو يتخلد على ذلك ويقول لنفسه : هل تصبرين وإذا لم تصبر على هذه النار اليسيرة التي طغيت بالماء سبعين مرة حتى لم يقدر أهل الدنيا على مقابلتها فكيف تصبرين على حر نار جهنم المضاعفة حرارتها على هذه سبعين ضعفا فرجعت نفسه عن ذلك الخاطو ولم يحظر لها بعد .

﴿وحيكى﴾ عن الحسن البصرى رحمه الله تعالى ﴿قال : كانت امرأة بغى﴾ أى زانية ﴿في زمن بني إسرائيل لها ثلث الحسن لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار وأنه أبصرها عابدا فأعجبته فذهب وعمل يده وعالج فجمع مائة دينار ثم جاء إليها وقال : إنك أعجبتي فأنطلقت فعملت يدي وعالجت حتى جمعت مائة دينار فقالت : ادخل فدخل﴾ العابد ﴿وكان لها سرير من ذهب فجلست على سريرها ثم قالت له : هلم﴾ أى تعالى ﴿فلما جلس منها مجلس الرجل من المرأة ذكر﴾ العابد ﴿مقامه بين يدي الله﴾ عز وجل ﴿الرقيب لأعمال العباد فأخذته رعدة﴾ وقلق واضطرب ﴿فقال لها : اتركني أخرج ولك المائة دينار قالت : ما بدا﴾ أى شيء ظهر ﴿لك وقد زعمت أنى أعجبك فلما قدرت على فعلت الذي فعلت﴾ من الرعدة واردة الخروج ﴿قال فرعا﴾ أى خوفا ﴿من الله ومن مقامى بين يديه وقد غضب على فانت أبغض الناس إلى فقالت : إن كنت صادقا﴾ فيما تقول ﴿فمالى زوج غيرك ؟﴾ فقال : دعيني ﴿أى اتركني﴾ ﴿أخرج﴾ من عندك ﴿فقالت له : لا﴾ تخرج ﴿إلا أن تجعل لي أنك تزوج بي قال : فلعل﴾ أن تزوجك ﴿فقتنع﴾ العبد ﴿بشبه ثم خرج إلى بلده فارحلت نادمة على ما كان منها حتى قدمت بلده فسألت عن اسمه ومنزله فدلته عليه وكانت تعرف بالملكة فقيل له : إن الملكة قد جاءت فلما رآها شفق شهقة﴾ قال الفيومى : وشفق الرجل من باب تقع وضرب شهيقا رد نفسه مع

فمات رحمه الله فسقط في يدها وقالت أما هذا فقد فاتني هل له من قرب قالوا له أخ رجل فقير قالت فانا أنزج به حبا لأخيه فتزوجته فيسر الله تعالى منه سبعة أنبياء .

﴿وحكى﴾ اليا فعي أنه كان شاب في بني إسرائيل ولم ير في زمانه أحسن منه وكان يبيع القفاف فينما هو ذات يوم يطوف بقفاه إذ خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بني إسرائيل فلما رأيته رجعت مبادرة فقالت لابنة الملك اني رأيت شابا بالباب يبيع القفاف لم أر شابا أحسن منه فقالت لها أدخله فخرجت إليه وقالت يا فتى ادخل معي نشتر منك فدخل فأغلقت الباب دونه ثم دخل بابا آخر فكذلك حتى أغلقت عليه ثلاثة أبواب ثم استقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها ونحوها فقال اشترى حاجتك فقالت أنا لمدحك لهذا إنما دعونا لكذا يعني تراوده عن نفسه فقال لها انتى الله قالت إن لم تطاوعني على ما أريد أخبرتك الملك أنك إنما دخلت على تكابرني عن نفسي فوعظها فأبت فقال ضعوا لي وضوءا فقالت يا جارية ضعي له وضوءا فوق الجوشق مكانا لا يستطيع أن يفر منه قال وكان من فوق الجوشق إلى الأرض أربعون ذراعا فلما صار في أعلى الجوشق قال اللهم اني دعيت إلى معصيتك واني أختر أن أرمي بنفسي من الجوشق ولا أرتكب المعصية ثم قال بسم الله وألقى نفسه من أعلى الجوشق فأهبط الله إليه ملكا من الملائكة فأخذ بضبعيه فوقع قائما على رجله فلما صار في الأرض قال اللهم إن شئت رزقتني رزقا تغنيني به عن بيع هذه القفاف فأرسل الله إليه جرادا من ذهب فأخذ منه حتى ملا ثوبه فلما صار في ثوبه قال اللهم إن كان هذا رزقا رزقتني في الدنيا فبارك لي فيه

سماع صوته من خلفه ﴿فمات رحمه الله﴾ قال الحسن ﴿فسقط في يدها وقالت : أما هذا﴾ الميت ﴿فقد فاتني هل له من قرب ؟ قالوا : له أخ رجل فقير قالت : فانا أنزج به حبا﴾ وكرامة ﴿لأخيه فتزوجته فيسر الله تعالى منه سبعة أنبياء﴾ .

﴿وحكى﴾ اليا فعي ﴿رحمة الله تعالى﴾ أنه كان شاب في بني إسرائيل ولم ير في زمانه أحسن منه وكان يبيع القفاف ﴿جمع قفة وهي ما يتخذ من خوص كهيئة القرعة تضع فيه المرأة القطن ونحوه﴾ فينما هو ذات يوم يطوف بقفاه إذ خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بني إسرائيل فلما رأيته رجعت مبادرة فقالت لابنة الملك : اني رأيت شابا بالباب يبيع القفاف لم أر شابا أحسن منه فقالت بنت الملك ﴿لها : أدخله فخرجت﴾ المرأة ﴿إليه وقالت : يا فتى ادخل معي نشتر منك فدخل﴾ الشاب ﴿فأغلقت الباب دونه ثم دخل بابا آخر فكذلك﴾ أي أغلقت دونه ﴿حتى أغلقت عليه ثلاثة أبواب ثم استقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها ونحوها فقال : اشترى حاجتك فقالت : أنا لمدحك لهذا﴾ الشراء ﴿إنما دعونا لكذا﴾ أي الجماع ﴿يعني﴾ أي الراوى ﴿تراوده عن نفسه فقال لها : انتى الله قالت : ان لم تطاوعني على ما أريد﴾ من الجماع ﴿أنخبرت الملك أنك إنما دخلت على تكابرني عن نفسي فوعظها فأبت﴾ أي امتنعت من قبول الموعظة ﴿فقال : ضعوا لي وضوءا﴾ بفتح الواو ما يتوضأ به ﴿فقال﴾ أعلى تعال ﴿يا جارية ضعي له وضوءا فوق الجوشق﴾ وهو ﴿مكانا لا يستطيع أن يفر منه حال﴾ الراوى ﴿وكان من فوق الجوشق إلى الأرض أربعون ذراعا فلما صار في أعلى الجوشق قال : اللهم اني دعيت إلى معصيتك واني أختر أن أرمي بنفسي من الجوشق ولا أرتكب المعصية ثم قال : باسم الله وألقى نفسه من أعلى الجوشق فأهبط الله﴾ أي أنزل ﴿إليه ملكا من الملائكة فأخذ﴾ الملك ﴿بضبعيه﴾ بسكون الباء أي عضديه في المصباح والضبع بالسكون العضد والجمع أضباع مثل فرخ وأفرخ ﴿فوقع﴾ الشاب ﴿قائما على رجله فلما صار في الأرض قال : اللهم ان شئت رزقتني رزقا تغنيني به عن بيع هذا القفاف فأرسل الله إليه جرادا من ذهب فأخذ منه حتى ملا ثوبه فلما صار﴾ المأخوذ ﴿في ثوبه قال : اللهم ان كان هذا رزقا رزقتني في الدنيا فبارك لي فيه﴾ وإن كان ينقصني مما لي عندك في الآخرة فلا حاجة لي فيه

قال فنودي إن هذا الذي أعطيتك جزءاً من خمسة وعشرين جزءاً من أجر صبرك على القاتك نفسك من هذا الجوشق فقال اللهم لا حاجة لي فيما يتقصني بمالي عندك في الآخرة فرفع ذلك منه وقيل للشيطان هلا أغويته يعني بارتكاب الفاحشة فقال كيف أقدر أغوي من بذل نفسه لله ونفعنا به ﴿وَحَكِي﴾ أيضاً عن بعض الصالحين قال بينما أنا أطوف بالكعبة إذا بحارية على عنقها طفل صغير وهي تنادي يا كريم يا كريم عهده القديم قال فقلت لها ما هذا العهد الذي بينك وبينه قالت ركبت في سفينة ومعنا قوم من التجار فعصفت بنا ريح ففرقت السفينة وجميع من فيها ولم ينج منهم أحد غيري وهذا الطفل في حجرى وأنا على لوح ورجل أسود على لوح آخر فلما أضاء الصبح نظر الأسود إلى وجعل يدافع الماء يده حتى لصق بي واستوى معنا على اللوح وجعل يراودني عن نفسي فقلت يا عبد الله أما تخاف الله ونحن في بلية لا نرجو الخلاص منها بطاعته فكيف بمعصيته فقال دعني عني هذا فوالله لا بد لي من هذا الأمر قالت وكان هذا الطفل ثامناً في حجرى فقرصته فاستيقظ وبكى فقلت يا عبد الله دعني أنوم هذا الطفل ويكون من أمرنا ما قدر الله فمد الأسود يده إلى الطفل ورمى به إلى البحر فرمته إلى السماء بطرفي وقلت يا من يحول بين المرء وقلبه

﴿قال فنودي: إن هذا الذي أعطيتك جزءاً من خمسة وعشرين جزءاً من أجر صبرك على القاتك نفسك من هذا الجوشق فقال: اللهم لا حاجة لي فيما يتقصني بمالي عندك في الآخرة فرفع ذلك منه وقيل للشيطان هلا أغويته﴾ أى هذا الرجل ﴿يعنى بارتكاب الفاحشة﴾ أى الزنا ﴿فقال﴾ للشيطان ﴿كيف أقدر﴾ أن ﴿أغوى من بذل نفسه لله رضي الله عنه ونفعنا به﴾ آمين والحمد لله رب العالمين:

وسائل عنهم ماذا تقدمهم ✽ فقلت فضل به عن غيرهم بانوا

صانوا النفسوس عن الفحشاء وابتدلوا ✽ منهم في طرق العليا ما صانوا

﴿وَحَكِي﴾ اليا فمى ﴿أيضاً عن بعض الصالحين﴾ رحمه الله تعالى ﴿قال: بينما أنا أطوف بالكعبة إذا بحارية على عنقها﴾ وفي رواية على كتفها ﴿طفل صغير وهي تنادي يا كريم يا كريم عهده القديم قال فقلت لها: ما هذا العهد الذي بينك وبينه؟ قالت: ركبت في سفينة ومعنا قوم من التجار فعصفت بنا ريح ففرقت السفينة وجميع من فيها ولم ينج منهم أحد غيري وهذا الطفل في حجرى وأنا على لوح واحد من الواح تلك السفينة ورجل أسود على لوح آخر﴾ منها ﴿فلما أضاء الصبح نظر الأسود إلى وجعل يدافع الماء يده﴾ وفي رواية يديه ﴿حتى﴾ قرب و﴿لصق بي واستوى معنا على اللوح وجعل يراودني عن نفسي فقلت: يا عبد الله أما تخاف الله ونحن في بلية لا نرجو الخلاص منها بطاعته فكيف بمعصيته فقال﴾ الأسود ﴿دعني﴾ أى أتركني ﴿عنى هذا﴾ أى الذي أريده من الوقاع منك ﴿فوالله لا بد لي من هذا الأمر﴾ الذي أريده ﴿قالت: وكان هذا الطفل ثامناً في حجرى فقرصته﴾ فرصة ﴿فاستيقظ وبكى﴾ قال الزمخشري قرصته بظفره أى أخذ جلده بهما وفي الحديث حبه ثم أقرصه بالقرص الأخذ بأطراف الأصابع ﴿فقلت: يا عبد الله دعني أنوم هذا الطفل ويكون من أمرنا ما قدر الله فمد الأسود يده إلى الطفل ورمى به إلى البحر فرمته﴾ أى نظرت ﴿إلى السماء بطرفي﴾ بسكون الراء أى ببصرى ﴿وقلت: يا من يحول بين المرء وقلبه﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يحول بين المؤمنين والكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الإيمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدي: يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بأذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لأن أحوال القلوب اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد أن تتقدمها الإرادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله سبحانه وتعالى فثبت بذلك أن المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى. وإفاد البيضاوى أن هذا تمثيل لغاية قرنه عز وجل كقوله: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد.

حل بيني وبين هذا الأسود بجوئك وقوتك إنك على كل شيء قدير فوالله ما استوعبت الكلمات حتى ظهرت دابة من دواب البحر فتحت فاهها والتفت الأسود وغاصت به في البحر وعصمني الله منه بجوله وقدرته وهو القادر على ما يشاء سبحانه وتعالى قالت ولم تزل الأمواج تدافعني حتى رميتني إلى جزيرة من جزائر البحر فقلت في نفسي آكل من بقلها وأشرب من ماؤها حتى يأتي الله بأمره فلا فرج لي إلا منه فمكثت أربعة أيام فلما كان في اليوم الخامس لاحت لي سفينة في البحر على بعد فعلمت على تل فأشرت إليهم ثوب كان على فخرج إلى منهم ثلاثة أنفس في زورق فركبت معهم فلما دخلت السفينة الكبرى وإذا بالطفل الذي رمى به الأسود في البحر عند رجل منهم فلم أملك أن ترايت عليه وقيلته بين عينيه وقلت والله ولدي وقطعة من كبدي فقال لي أهل السفينة أبحثوني أنت أم خبل عقلك فقلت والله ما أنا بمحسنة ولا خبل عقلي ولكن خبري كيت وكيت وذكرت لهم القصة إلى آخرها فلما سمعوا ذلك مني أطرقوا رؤوسهم وقالوا يا جارية قد أخبرتنا بأمر تعجبنا منه ونحن أيضا نخبرك بأمر تعجبين منه بينما نحن نحوي برح طيبة إذا بدابة قد اعرضتنا ووقفت أمامنا وهذا الطفل على ظهرها وإذا مناد ينادي إن لم تأخذوا هذا الطفل من على ظهرها والا هلككم فصعد واحد منا على ظهرها وأخذ الطفل فلما دخل به في السفينة غاصت الدابة في البحر وقد تعجبنا من هذا وما أخبرتنا وقد عاهدنا الله تعالى أن لا يرانا على معصية بعد هذا اليوم قالت فتأبوا عن آخرهم قلت سبحانه اللطيف جميل العوائد سبحانه مدرك الملهوف عند الشدائد حماتا من الزنا الرب الودود وجعلنا من خير العباد وتبينه على أنه مطلع على مكنونات القلوب ﴿حل بيني وبين هذا الأسود بجوئك وقوتك إنك على كل شيء قدير﴾ قالت ﴿فوالله ما استوعبت الكلمات حتى ظهرت دابة من دواب البحر فتحت فاهها والتفت الأسود وغاصت به﴾ أي مع الأسود ﴿في البحر وعصمني الله منه﴾ أي من الأسود ﴿بجوله وقدرته وهو القادر على ما يشاء سبحانه وتعالى﴾.

قالت: وما زالت الأمواج تدافعني حتى رميتني ﴿تلك الأمواج﴾ إلى جزيرة من جزائر البحر فقلت في نفسي: آكل من بقلها ﴿أي الجزيرة﴾ وأشرب من ماؤها حتى يأتي الله بأمره ﴿وحكمه﴾ فلا فرج لي إلا منه ﴿تعالى﴾ فمكثت ﴿أي أقمت في الجزيرة﴾ أربعة أيام فلما كان في اليوم الخامس لاحت ﴿أي ظهرت﴾ لي سفينة في البحر على بعد فعلمت ﴿على تل﴾ أي مكان مرتفع ﴿فأشرت إليهم﴾ أي إلى أهل السفينة ﴿ثوب كان على فخرج إلى منهم ثلاثة أنفس في زورق﴾ أي سفينة صغيرة وهو المسمى بالسنبوك ﴿فركبت معهم فلما دخلت السفينة الكبرى وإذا بالطفل الذي رمى به الأسود في البحر عند رجل منهم فلم أملك أن ترايت عليه﴾ أي الطفل ﴿وقيلته بين عينيه وقلت﴾ هذا ﴿والله ولدي وقطعة من كبدي فقال لي أهل السفينة: أبحثوني أنت أم خبل عقلك؟ فقلت: والله ما أنا بمحسنة ولا خبل عقلي ولكن﴾ جرى ﴿خبري كيت وكيت وذكرت لهم القصة إلى آخرها فلما سمعوا ذلك﴾ الخبر ﴿منى أطرقوا﴾ أي خفضوا رؤوسهم وقالوا: يا جارية قد أخبرتنا تعجبنا منه ونحن أيضا ﴿أي كما أخبرتنا﴾ بخبرك بأمر تعجبين منه بينما نحن نحوي برح طيبة إذا بدابة قد اعرضتنا ووقفت ﴿أي تلك الدابة﴾ أمامنا ﴿أي قدأنا﴾ وهذا الطفل على ظهرها وإذا مناد ينادي إن لم تأخذوا هذا الطفل من على ظهرها والا هلككم فصعد واحد على ظهرها وأخذ الطفل فلما دخل به ﴿أي مع الطفل﴾ في السفينة غاصت الدابة في البحر وتعجبنا من هذا ﴿أي الذي رأيناه﴾ ﴿وما أخبرتنا﴾ به ﴿وقد عاهدنا الله تعالى أن لا يرانا على معصية بعد هذا اليوم﴾ قالت: فتأبوا ﴿أي أهل السفينة﴾ عن آخرهم ﴿قال بعض الصالحين﴾ قلت: سبحانه ﴿الله﴾ اللطيف ﴿الخير﴾ جميل العوائد سبحانه مدرك الملهوف ﴿أي المظلوم الذي يستغيث﴾ عند الشدائد.

قال المصنف رحمه الله ﴿حماتا﴾ أي منعنا ﴿من الزنا الرب الودود وجعلنا من خير العباد﴾ آمين.

﴿خاتمة﴾ في زنا العينين واليد وفي الخلوة بالأجنبية ﴿أخرج﴾ الشيخان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال كذب على ابن آدم نصيبه من الزنا يدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر والأذان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناه الخطأ والقلب يهوى ذلك ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه * وفي رواية لمسلم واليدان تزنيان فزناهما البطش والرجلان تزنيان فزناهما المشي والتم يزني فزناه التقيل * وأحمد والطبراني العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزني، وهما ما من مسلم ينظر إلى امرأة أول رمعة ثم يفيض بصره إلا أحدث الله تعالى له عبادة يجدها خلواتها في قلبه * قال البيهقي يعني إنما أراد أن يقع بصره عليها من غير قصد فيصرف بصره عنها تورعا *

قال البيهقي وفي هذا المعنى أقول:

يا مدمر كما يسرع اللطف والفرج * عند الشدائد للملأوف ذي الحرج
كلمة الطرف بل أدنى تقيث ولو * في قعر بحر وجوف الحوت في اللجج
عوائد منك يا رحمن جارية * على جميل بذى معروفك الهجج
عودتها وكعودت من نعم * وكعودتك بعد البؤس منتهج
فالخير منك نراه غير منقطع * والشر لسنا نراه غير منفرج
للك الحامد يا محمود أجمعها * هديتنا دين حق غير ذي عوج
يا حمد المحبتي صلى الله على * بدر الدجاء مع نجوم بعده سرج

﴿خاتمة﴾ نسال الله حسنهما ﴿في زنا العينين واليد وفي الخلوة بالأجنبية﴾ أخرج الشيخان عن أبي هريرة ﴿رضى الله عنه﴾ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كذب على ابن آدم أي قضى عليه وأثبت في اللوح المحفوظ ﴿نصيبه من الزنا﴾ قال المناوي: أي مقدماته ﴿يدرك ذلك﴾ أي ما كذب عليه ﴿لا محالة فالعينان زناهما النظر﴾ أي الحرم وكذا يقال فيما يأتي كما قاله الحفنى ﴿والأذان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطأ﴾ بالضم أي نقل الإقدام إلى ما لا يحل ﴿والقلب﴾ أي اللطيفة ﴿يهوى﴾ أي يميل ﴿ذلك﴾ أي ما لا يحل ﴿وتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه﴾ أي بالاثبات بما هو المقصود من ذلك أو بالتارك قال المناوي: ولما كانت المقدمات من حيث كونها طلائع تاذن بوقوع ما هي وسيلة إليه سمي ترتيب المقصود عليها وعدم ترتيبه صدقا وكذبا ﴿وفي رواية لمسلم واليدان تزنيان فزناهما البطش والرجلان تزنيان فزناهما المشي﴾ إلى ما لا يحل ﴿والتم يزني فزناه التقيل﴾ الحرم ﴿و﴾ أخرج أحمد والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه بإسناد صحيح ﴿العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزني﴾ تقدم معناه في الذي قبل هذا والعينان أصل زنا الفجر فان النظر يجري إليه

﴿وهما﴾ أي وأخرج أحمد والطبراني عن أبي أمامة وضعه المنذرى ﴿ما من مسلم ينظر إلى امرأة﴾ أجنبية ﴿أول رمعة﴾ يفتح الراء وسكون الميم أي نظرة يقال رمعة بعينه رمعا أطال النظر إليه قال الحفنى: إنما قال ذلك لأنه إنما تقع الفتنة من الشخص فها فيجب عليه الغض فورا فلا ينافي أن المكلف مخاطب بالغض من أول الأمر في النظرة الأولى وغيرها ﴿ثم يفيض بصره﴾ أي يكف عنها ﴿إلا أحدث الله تعالى له عبادة يجدها خلواتها في قلبه﴾ لأنه لما رفع بصره إلى محاسنها وجب الغض فاذا استل الأمر فقد قمع نفسه عن شهواتها فجور من باعطائه فورا يجدها خلوة العبادة ﴿قال البيهقي﴾ يعني إنما أراد أن يقع بصره عليها من غير قصد فيصرف بصره عنها تورعا *

والطبراني والحاكم أنه عليه السلام قال يعني عن ربه عز وجل النظره سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدله إيماناً يجد حلاوته في قلبه * والأصبهاني كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت من محارم الله وعين سهرت في سبيل الله وعين خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله * وهو أيضاً ثلاثة يتحدثون في ظل العرش آمين والناس في الحساب رجل لم يأخذه في الله لومة لائم ورجل لم يمد يده إلى ما لا يحل له ورجل لم ينظر إلى ما حرم الله عليه * والبيهقي عن الحسن مرسل قال بلغني أن رسول الله عليه السلام قال لعن الله الناظر والمنظور إليه * ومسلم عن جرير سألت رسول الله عليه السلام عن نظرة الفجاءة فقال له اصرف بصرك * وصح ما من صباح إلا وملكبان يتادبان ويل للرجال من النساء ويل للنساء من الرجال * والطبراني عن معقل بن يسار لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط أو بمسلة من حديد خير له من أن يمسن امرأة لا يحل له *

﴿و﴾ أخرج الطبراني والحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال يعني عليه السلام عن ربه عز وجل النظره سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدله إيماناً يجد حلاوته في قلبه * وأخرج أحمد والترمذي عن أبي موسى : كل عين نظرت زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالجلس فهي زانية .

﴿و﴾ أخرج الأصبهاني وأبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عليه السلام كل عين باكية يوم القيامة أي بكاء حزن وخسرة على ما فرطت من حقوق الله تعالى عليه السلام إلا عين غضت من محارم الله وعين سهرت في سبيل الله عليه السلام المراد به كل ما يقرب إليه تعالى من التهجد أو حراسة المسلمين من الكفار أو نحو ذلك عليه السلام وعين خرج منها مثل رأس الذباب عليه السلام من الدموع عليه السلام من خشية الله عليه السلام تعالى قال العزيمى : فيه الحث على هذه الخصال والترغيب فيها لما يشاء عنها من الأمن والسرور وقت اشتداد الكرب وليس الحصر مراداً .

﴿ووهو﴾ أي وأخرج الأصبهاني عن ابن عمر باسناد ضعيف عليه السلام أي كما أخرج ما تقدم عليه السلام ثلاثة يتحدثون أي يتكلمون بالحديث عليه السلام في ظل العرش عليه السلام يوم القيامة حال كونهم عليه السلام آمين والناس في الحساب أي مشغولون به عليه السلام ورجل لم يأخذه في الله لومة لائم أي فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يبالى عليه السلام ورجل لم يمد يده إلى ما لا يحل له عليه السلام تناوله عليه السلام ورجل لم ينظر إلى ما حرم الله عليه عليه السلام لأنه لما حفظ جوارحه التي هي أمانة عنده جوزى بالأمن يوم الفرع الأكبر .

﴿و﴾ أخرج البيهقي عن الحسن البصري عليه السلام مرسل قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله الناظر عليه السلام أي إلى الحرم عليه السلام والمنظور إليه عليه السلام وأصل اللعن الطرد والابتعاد من الله تعالى ومن الخلق السب والدعاء والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث لعناً وإنما أوحى الله إليه أن الله لعن فأخبر عن الله أنه لعن لأنه أنشأه ولادعاء منه عليه الصلاة والسلام وكذا كل ما ورد عنه من اللعن فإنه مؤول بذلك قاله السيوطي رحمه الله ونقله العزيمى عليه السلام وأخرج عليه السلام مسلم عن جرير عليه السلام رضي الله عنه عليه السلام سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاءة عليه السلام من غير قصد عليه السلام فقال له : اصرف بصرك عليه السلام وصح ما من صباح إلا وملكبان يتادبان ويل عليه السلام أي تخسر وملكة أو واد في جهنم عليه السلام للرجال من النساء ويل للنساء من الرجال عليه السلام .

﴿و﴾ أخرج الطبراني عليه السلام باسناد صحيح عليه السلام عن معقل عليه السلام بفتح الميم وكسر القاف عليه السلام بن يسار عليه السلام رضي الله عنه عليه السلام لأن يطعن عليه السلام بالبناء للمعول عليه السلام في رأس أحدكم بمخيط عليه السلام بكسر الميم وفتح المثناة التحتية ما يحاط به كالأبرة عليه السلام قال عليه السلام قال عليه السلام بمسلة عليه السلام بكسر الميم بمخيط كثير والجمع المسال قاله الفيومي عليه السلام من حديد خير له من أن يمسن امرأة لا يحل له عليه السلام قال الحنفى : قوله يطعن إلى آخره أي ذلك أعور عليه من تعذيبه يوم القيامة على من المرأة الأجنبية فإنه أشد من طعن رأسه بالمخيط .

وهو إياكم والخلو بالنساء والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما ولأن يزحم رجلا خنزير مطبخ بطين أو حمانى طين أسود متن خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له * وهو أيضا من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلو بامرأة ليس بينه وبينها محرم * والحاكم إياكم ومحاذة النساء فإنه لا يخلو رجل بامرأة ليس لها محرم إلا هم بها * وأحمد والبيهقي عن ابن سيرين قال خرجنا فإذا بداة فمن دنا منها قتله قال فجاء رجل أعور قال دعوني وإياها فدنا منها فوضعت رأسها له حتى قتلها فقالوا حدثنا من أمرك فقال ما أصبت ذنبا قط إلا ذنبا واحدا يعني هذه فأخذت سهما ففقتاها به .

﴿وهو﴾ أى وأخرج الطبراني ﴿إياكم والخلو﴾ أى اجتنبوها ﴿بالنساء﴾ والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامرأة أجنبية ﴿الادخل الشيطان بينهما ولأن يزحم خنزير مطبخ﴾ أى تملوث ﴿بطين أو حمانى﴾ أى طين أسود متن خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له . وهو ﴿أى وأخرج الطبراني﴾ أيضا : من كان يؤمن بالله إيمانا كاملا ﴿واليوم الآخر﴾ قال المناوى : وهو من آخر الحياة الدنيا إلى آخر ما وقع إلى يوم القيامة ﴿فلا يخلو بامرأة ليس بينه وبينها محرم﴾ حاضر معها كإيها وأخيها .
 ﴿و﴾ أخرج ﴿الحكيم﴾ في كتاب أسرار الحج عن سعيد بن مسعود ﴿إياكم ومحاذة النساء﴾ أى اتقوا محاذة النساء الخلو إلى الخلو بهم ﴿فإنه﴾ أى الشأن ﴿لا يخلو رجل بامرأة﴾ أجنبية ﴿ليس لها محرم﴾ حاضر معها ﴿الاهم بها﴾ أى يجامعها أو بمقدامته .
 وقالت أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها : استأذن ابن مكرم الأعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احتجبا قلنا : أوليس بأعمى لا يبصرنا ؟ فقال : وأتما لا تبصرانه أخرجه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح . وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة العيان كما جرت به العادة في أوقات المصائب والافرح فيحرم على الأعمى الخلو بالنساء الأجانب صرح بذلك غير واحد من العلماء ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق النظر إليه لغير حاجة ضرورية وفيه ما في الرجال وأكثر لأن غض البصر عن المحارم مما يورث قوة على الجماع وهؤلاء قد حجب أبصارهم عن الرؤية فرجعت قوتها إلى الجماع فلم يبق في حفظ أكثر من الذي يبصر فحينئذ فتنة النساء بهم أكثر فيجب منعهم عن الخلو بهم ومحاذتهم فإنهم أشد ضررا من البليس .

﴿و﴾ أخرج أحمد والبيهقي عن محمد بن سيرين رحمه الله تعالى قال : خرجنا فإذا بداة لي ﴿فمن دنا﴾ أى قرب ﴿منها قتله﴾ قال ابن سيرين ﴿فجاء رجل أعور قال : دعوني﴾ أى أتركوني ﴿وإياها فدنا﴾ الأعور ﴿منها فوضعت رأسها له حتى قتلها فقالوا : حدثنا من أمرك فقال : ما أصبت ذنبا قط إلا ذنبا واحدا﴾ يعني هذه فأخذت سهما ففقتاها به ﴿أى بالسهم فهذا فضل من حفظ العين واجتهد فيه حتى عاقبتها عند خياتها﴾ قال الإمام أبو حامد الغزالي وغيره : قلما يخلو الإنسان في ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فمهما يخيل إليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعندئذ ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل فإنه إن حقق النظر فاستحسن ثارت النفس بالشهوة وعجز عن الحصول إلى المطلوب فلا يحصل له إلا التخرس وإن استقبح ولم تلتذ تألم في نفسه لأنه قصد الاستداذ فقد فعل ما آله فلا يخل في كل حال عن معصية وعن تألم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فإن أخطأت عينه وحفظ الفرج من التمكن واليسر فذلك يسد على غاية القوة ونهاية التوفيق من الله تعالى .

فقد روى أبو نعيم في الحلية عن بكر بن عبد الله المزني قال : إن قصا بأولح بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فبعها ورودها عن نفسها فقالت له : لا تفعل لأن أشد حبالك منك لي ولكمى أخاف الله قال : وانت تخافينه وأنا لا أخافه

قال : فرجع ثابتاً فاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بنى اسرائيل فساله مالك . قال : العطش قال : تعالى حتى ندعوا الله بأن تظللنا سحابة حتى ندخل القرية قال : العقاب مالى من عامل الصالح فادع أنت قال : أنا أدعو وأمن أنت على الدعاء فدعا الرسول وأمن هو فأظلتها سحابة حتى انتهيا الى القرية فأخذ العقاب مكانه فمالت السحابة معه فقال له الرسول : زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذي دعوت وأنت الذي أنتت فأظلتنا سحابة ثم تبعك دونى لتخبرنى بأمرك فأخبره بما جرى له مع الجارية فقال الرسول : ان الثابت عند الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه .

وقصة يوسف عليه الصلاة والسلام وامتناعه من زليخا امرأة العزيز مع القدرة وتيسير الأسباب ومع رغبتها اليه معروفة عند الناس وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتاب العزيز وهو عليه الصلاة والسلام امام لكل من وفق لجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة وله به أسوة وقدوة .

فقد روى ابن سليمان بن يسار الهلالى كان من أحسن الناس وجهاً فدخلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرجها ربا من منزله وتركها فيه سليمان : فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأنى أقول له : أنت يوسف ؟ ، قال : أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لم تهتم وأشار الى قوله تعالى : ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه رواه أبو نعيم في الحلية من طريق مصعب بن عبد الله الزيرى . وعن سليمان أيضاً ما هو أعجب من هذا وذلك أنه خرج من المدينة حاجاً ومعه رفيق له حتى نزلا بالأبواء وهو موضع بين الحرمين فقام رفيقه وأخذ السفرة بضم مائه من جلد مذبوع تتخذ للتردد فيها في الأسفار وانطلق الى السوق ليتاع شيئاً وجلس سليمان في الخيمة وحده فبصرت به أعرابية من قلة الجبل فانحدرت اليه فلما رأت جمال وجهه ووجدته منفرداً جاءت حتى وقفت بين يديه وكان من أجمال الناس وجهاً وأورعهم فكشفت الأعرابية عن وجهها البرقع فاذا هو كأنه قمر حسنا وبهاء فقالت : اهثنى فظن أنها تريد طعاماً فقام الى فضلة السفرة ليعطيها فقالت : لست أريد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل الى أهله فقال : جهزك الشيطان الى ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في التحجب فلم يزل يبكى فلما رأت منه ذلك سددت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه من السوق فرأه وقد انتفحت عيناه من البكاء وانقطع حلقه أى صوته فقال له : ما يبكيك ؟ قال : خير ذكرت صيئى بالمدينة قال : لا والله أنا لك قصة انما عهدك بصيئتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابية فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكى بكاء شديداً فقال له سليمان : وأنت ما يبكيك ؟ قال : أنا أحق بالبكاء منك قال : ولم ؟ قال : لأنى أخشى ان لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزل يبكيان فلما انتهى سليمان الى مكة وطاف وسعى أتى الحجر الأسود فاجتبى بشو به فأخذته عينه فنام واذا رجل وسيم أى حسن الوجه جميلة طوال له شارة وهيئة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان : رحمك الله من أنت ؟ قال له : أنا يوسف بن يعقوب . قال سليمان : يوسف الصديق ؟ قال : نعم ، قال : ان فى شأنك وشأن امرأة العزيز لعجبا فقال له يوسف : شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي حازم .

ومحكى عن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه سعيد بن إبراهيم قال : كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم لمسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السميت فنظرت اليه امرأة ذات جمال فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقعت له على الطريق وهو يريد المسجد فقالت له : يا قسى اسمع منى كلمات أكلبك بها ثم أعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقعت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له : يا قسى اسمع منى كلمات أكلبك بها فاطرق الفتى ملياً وقال لها : هذا موقف تهمة ولنا أكرمان أكون

﴿وروي﴾ عن كعب الأحبار قال قحط بنو إسرائيل على عهد موسى عليه السلام فسألوه أن يستسقى فقال اخرجوا معي إلى الجبل فخرجوا فلما صعدوا إلى الجبل قال موسى

للهمة موضعا فقلت له . والله ما وقفت فوقى هذا جهالة منى بأمرك ولكن معاذ الله أن يشرف العباد إلى مثل هذا منى والذي حملنى على أن لستك في هذا الأمر بنفسى لمعرفتى أن القليل من هذا عند الناس كثيرا وأتم معاشر العباد في مثل القوايز برادنى شىء يعينها وجلة ما أقول لك أن جوارحى كلها مشغولة بك فאלله الله في امرى وأمرك قال : فمضى الشاب إلى منزله وأراد أن يصلى فلما يعقل كيف يصلى فآخذ قرطاسا وكب كتابا ثم خرج من منزله فاذا بالمرأة واقفة في موضعها فالتقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله وكان فيه مانصه : بسم الله الرحمن الرحيم اعلمى ابتهاء المرأة أن الله تعالى إذا عصاه العبد حلم فاذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستره فاذا لبس لها ملابسها بحيث صار معروفا بها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه ؟ فان كان ما ذكرت باطلا فانى أذكرك يوما تكون السناء فيه كالمهل أى كالزصاص الذائب وتصير الجبال كالعين وتجنو الأمم لصوله الجبار العظيم وانى والله قد ضعفت عن اصلاح نفسى فكيف باصلاح غيرى وان كان ما ذكرت حقا فانى أدلك على طيب يداوى الكلام المرصنة والأوجاع المرصنة ذلك الله رب العالمين فاقصديه بصدق المسئلة فانى مشغول عنك بقوله تعالى : وأنذرهم يوم الآزفة إذا القلوب لدى الخناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . والله يقضى بالحق فأين المهرب من هذا الآنة ؟

وهذا آخر ما في الكتاب ثم أنها جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق الذي يسلكه العابد إلى المسجد فلما رآها من بعيد أراد الرجوع لمنزله كيلا يراها فقالت له : يا فتى لا ترجع فلا كان الملقى بعد هذا اليوم أبدا الا غدا بين يدي الله تعالى ثم بكت بكاء شديدة وقالت : أسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك ثم أنها تبعته وقالت : امنن على بموعظة أحملها عنك وأوصنى بوصية أعمل عليها فقال لها : أوصيك بحفظ نفسك من نفسك والمراد بالنفس الأول الذات والثاني الامارة أى حفظ ذاتك من شرها واذكرك قوله تعالى : وهو الذي يوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار . قال : فاطرقت وبكت بكاء شديدا من بكائها الأول ثم أنها أفافت من بكائها ورجعت إلى موضعها ولزمت بيتها وأخذت في العبادة وجدت فيها فلم تزل على ذلك حتى ماتت فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكى فيقال له : مم بكائك قد استها من نفسك ؟ فيقول : انى قد ذبحت طمعها في أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لى عند الله تعالى فانا أستحى منه أن أسترذ ذخيرة أو ذخرتها عنده تعالى أخرج هذه القصة الامام أبو محمد بن جعفر بن أحمد بن الحسين السراج في كتاب مصارع العشاق .

وقال الشيخ أبو القاسم الأزجى رحمه الله تعالى : ووجدت في نسخة زيادة مسموعة عن الزينى شيخنا رحمه الله تعالى قال : ثم ان الجارية لم تلبث ان نليت ببلية في جسمها فكان الطبيب يقطع من لحمها ارطالا فكان الطبيب قد عرف حديثها مع الفتى فكان اذا أراد أن يقطع لحمها يحدتها بحدب الفتى فما كانت تجد لقطع لحمها ألما ولا كانت تتأوه فاذا سكنت عن ذكره تأومت قال : فلم تزل كذلك حتى ماتت كذا رحمة الله عليها .

﴿وروى﴾ عن كعب بن الأحبار ﴿رحمه الله تعالى﴾ قال : قحط بنو إسرائيل ﴿على عهد موسى عليه الصلاة والسلام﴾ فسألوه أن يستسقى فقال ﴿يا بنى إسرائيل﴾ اخرجوا معى إلى الجبل فخرجوا فلما صعدوا إلى الجبل قال موسى

لا يتبعني رجل أصاب ذنبا فانصرفوا جميعا إلا رجلا أعور يقال له برخ العابد فقال له موسى ألم تسمع ما قلت قال بلى قال فلم تصب ذنبا قال ما أعلمه إلا شيئا أذكره فان كان ذنبا رجعت قال ما هو قال مررت في طريق فإذا باب حجرة مفتوح فلمحت بعيني هذه الذاهبة شخصا لا أعلم ما هو رجل أم امرأة فقلت لعيني أنت من بدني سارعت إلى الخطيئة لا تصحيني بعدها فدخلت أصبغى فقلعتها فإن كان هذا ذنبا رجعت فقال موسى ليس هذا ذنبا ثم قال له استسقى يا برخ فقال قدوس قدوس ما عندك لا يتعد وخزائنك لا تنفي وأنت بالبخل لا ترمي فما هذا الذي لا تعرف به اسقنا الغيث الساعة الساعة قال فانصرفا يخوضان الوحل برحمة الله عز وجل ﴿وحكى﴾ الأصمعي قال خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام من طريق الشام فينما نحن سائرون إذ خرج علينا أسد عظيم الحلقة هائل المنظر فقطع على الركب الطريق فقلت لرجل إلى جاني أما في هذا الركب رجل يأخذ سيفا ويرد عنا هذا الأسد فقال أما رجل فلا أدري ولكنني أعرف امرأة ترده بغير سيف فقلت وأين هي فقام وقتت معه إلى هودج قريب منا فنادى يا بنية انزلي فردي عنا هذا الأسد فقالت يا أبت أيطيب قلبك أن ينظر إلى الأسد وهو ذكر وأنا أنثى ولكن يا أبت قل للأسد ابنتي فاطمة تقرئك السلام وتقسم عليك بالذي لا تأخذه سنة ولا نوم إلا ما عدلت عن طريق القوم ﴿وحكى﴾ اليافعي عن بعض الصالحين قال كان بالبصرة رجل يقال له ذكوان كان سيديا في زمانه فلما حضرته الوفاة لم يبق أحد بالبصرة إلا شهد جنازته قال فلما انصرف الناس من دفنه نمت عند بعض القبور وإذا ملك قد نزل من السماء

لا يتبعني رجل أصاب ذنبا فانصرفوا جميعا إلا رجلا أعور يقال له برخ العابد فقال له موسى : ألم تسمع ما قلت ؟ ﴿لم ذلك﴾ قال ﴿الاعور﴾ بلى ﴿سمعه﴾ قال ﴿عليه الصلاة والسلام﴾ فلم تصب ذنبا قال : ما أعلمه ﴿أي عدم اصابة الذنب﴾ ﴿الاشياء اذكره﴾ لك ﴿فان كان﴾ ذلك الشيء ﴿ذنبا﴾ رجعت قال : ما هو ؟ قال : مررت في طريق فإذا باب حجرة مفتوح فلمحت بعيني هذه الذاهبة شخصا لا أعلم ما هو رجل أم المرأة فقلت لعيني : أنت من بدني سارعت إلى الخطيئة ﴿حيث نظرت إلى ما لا ينبغي﴾ لا تصحيني بعدها ﴿أي بعد الخطيئة﴾ فدخلت أصبغى فقلعتها ﴿وازالتها عن موضعها﴾ فان كان هذا ذنبا رجعت فقال موسى : ليس هذا ذنبا ثم قال له : استسقى يا برخ فقال ﴿برخ في مناجته﴾ قدوس قدوس ما عندك لا يتعد وخزائنك لا تنفي وأنت بالبخل لا ترمي فما هذا الذي لا تعرف به اسقنا الغيث الساعة الساعة قال ﴿كعب الأخبار﴾ فانصرفا يخوضان الوحل ﴿فتحيت أي الطين الرقيق﴾ برحمة الله عز وجل ﴿أي سبب رحمة وهي المطر﴾

﴿وحكى الأصمعي﴾ رحمه الله تعالى قال : خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام من طريق الشام فينما نحن سائرون إذ خرج علينا أسد عظيم الحلقة هائل المنظر فقطع ﴿الأسد﴾ على الركب الطريق ﴿جمع راكب مثل صاحب وصحب﴾ فقلت لرجل إلى جاني أما في هذا الركب رجل يأخذ سيفا ويرد عنا هذا الأسد فقال : أما رجل فلا أدري ولكنني أعرف امرأة ترده بغير سيف فقلت : وأين هي ؟ فقام ﴿الرجل﴾ ووقيت معي هودج ﴿والهودج كما في القاموس مركب للنساء﴾ ﴿قريب منا فنادى يا بنية انزلي﴾ من هودجك ﴿فردي عنا هذا الأسد فقالت : يا أبت أيطيب قلبك أن ينظر إلى الأسد وهو ذكر وأنا أنثى ولكن يا أبت قل للأسد : ابنتي فاطمة تقرئك السلام عليك وتقسم عليك﴾ الله ﴿الذي لا تأخذه سنة﴾ بكسر السين أي ناس ﴿ولا نوم إلا ما عدلت عن طريق القوم﴾

﴿وحكى﴾ الإمام أبو محمد ﴿اليافعي﴾ رحمه الله تعالى عن بعض الصالحين قال : كان بالبصرة رجل يقال له ذكوان كان سيديا في زمانه فلما حضرته الوفاة لم يبق أحد بالبصرة إلا شهد ﴿أي حضر﴾ جنازته قال ﴿بعض الصالحين﴾ فلما انصرف الناس من دفنه نمت عند بعض القبور وإذا ملك قد نزل من السماء

وهو يقول يا أهل القبور قوموا لأخذ أجوركم فانشقت القبور عن أهلها وخرج كل من فيها فغابوا ساعة ثم جاءوا وذكوان في جملتهم وعليه حلطان من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وبين يديه غلمان يسبقونه إلى قبره وإذا ملك ينادي هذا عبد كان من أهل التقوى فبنظرة واحدة وصلت إليه الحن والبلوى فامتلأوا فيه أمر المولى فقرب من جهنم فخرج إليه لسان أو قال ثعبان فلدغ بعض وجهه فاسود ذلك الموضع ونادى يا ذكوان لم يخف عن المولى من أمرك شيء هذه النفخة بتلك النظرة ولوزدت لزدناك فبينما هو كذلك وإذا رجل قد أطلع رأسه من قبره فقال يا هؤلاء ما أردتم فوالله لقد مت منذ تسعين سنة فما ذهبت حرارة الموت مني حتى الآن فادعوا الله أن يعيدني كما بكت قال وبين عينيه أثر السجود ﴿تنبيه﴾ اعلم أن زنا العين هو تعمد نظر شيء من الأجنبية المشتهاة ولو منفصلا منها كشعر وقلامة ظفر أو كانت أمة عجوزا فهو حرام على رجل ولومع أمن فتنة أو فقد شهوة ومحرم نظر فرج صغيرة إلا على الأم زمن الرضاع والتربية

وهو يقول يا أهل القبور قوموا لأخذ أجوركم فانشقت القبور عن أهلها وخرج كل من فيها فغابوا ساعة ثم جاؤا وذكوان في جملتهم وعليه حلطان من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وبين يديه غلمان يسبقونه إلى قبره وإذا ملك ينادي هذا أي ذكوان ﴿عبد كان من أهل التقوى فبنظرة واحدة وصلت إليه الحن والبلوى فامتلأوا فيه أمر المولى فقرب﴾ بالبناء للمفعول ﴿من جهنم فخرج إليه منها﴾ أي جهنم ﴿لسان أو قال الثعبان فلدغ بعض وجهه فاسود ذلك الموضع ونادى يا ذكوان لم يخف عن المولى﴾ جل جلاله ﴿من أمرك شيء هذه النفخة بتلك النظرة ولوزدت﴾ تلك النظرة ﴿لزدناك﴾ النفخة ﴿فبينما هو كذلك وإذا رجل قد أطلع رأسه من قبره فقال يا هؤلاء ما أردتم فوالله لقد مت منذ تسعين سنة فما ذهبت حرارة الموت﴾ ومرارته ﴿منى حتى الآن فادعوا الله أن يعيدني كما بكت قال وبين عينيه أثر السجود﴾ وأنشدوا: أفليست تدري أن يومك قد دنا ﴿أولست تدري أن عمرك ينقذ﴾ فعلام تضحك والمنية قد دانت ﴿وعلام ترقد والثرى لك مرقد﴾

﴿تنبيه﴾ اعلم أن زنا العين هو تعمد نظر شيء من بدن ﴿الأجنبية﴾ أي ولوللوجه والكفين فيحرم النظر إليهما ووجهه الأنام باتفاق المسلمين على منع النساء عن الخروج سافرات الوجوه وبأن النظم مظنة الفتنة ومحرك للشهوة واللاق بمخاسن الشريعة سد الباب والاعراض عن تفاصيل الأحوال كالخلاء بالأجنبية ﴿المشتهاة﴾ أي لذوى الطباع السليمة ﴿ولو كان منفصلا منها كشعر وقلامة ظفر﴾ ومثل قلامة ظفر كما قال الشبرايملى: دم الفصد والحجامة لأنها أجزاء دون البول لأنه ليس جزءا. وقال الشوبري: الذي يظهر أن تخويرق والدم لا يحرم نظره لأنه ليس مظنة للفتنة برؤيته عند أحد ﴿أو كانت﴾ أي الأجنبية ﴿أمة عجوزا﴾ ولو شوهاء ولومع أمن الفتنة إذا ما بين ساقطة الأولى لا قطة وما أحسن ما قيل في هذا المعنى:

لكل ساقطة في الحى لا قطة * وكل كاسدة يوما لها سوق

﴿فهو حرام على رجل ولومع أمن فتنة﴾ هي ميل النفس ودعاؤها إلى الجماع ﴿أو فقد شهوة﴾ وهي التلذذ بالنظر وأفتى بعض المتأخرين بجواز نظر الصغير للنساء وفي الولائم والأفراح: والمعتمد عند الشيعين عدم جواز نظر فرج صغيرة لا تشتهى. وقيل بكره ذلك وصحح المتولى حل نظر فرج الصغيرة إلى التمييز وحزم به وغيره.

﴿محرم نظر فرج صغيرة﴾ والفرق بين فرج الصغير حيث حل النظر إليه وفرج الصغيرة حيث حرم النظر إليه أن فرجها أفحش ﴿الاعلى﴾ نحو ﴿الأم﴾ من كل من تبولى الارضاع والتربية ولوأجنبية أو ذكرا ﴿زمن الرضاع﴾ أي مدة الرضاع سنتين أو أكثر أو أقل ﴿زمن﴾ أي من التمهيد والإصلاح وإنما جاز ذلك لأن الضرورة داعية إليه إذا احتاج الأم ونحوها إلى غسل الفرج من النجاسة

ونظر المرأة إلى الرجل ولو عبدا كنعكسه ويحل نظر فرج صغير ما لم يميز ويحب على المسلمة أن تحتجب عن الكافرة والفاسقة بزنا أو سحاق أو قيادة وعن عبدها إن كانتا فاسقين ولو بغير الزنا وأن زنا الدين هو البطش فحيث حرم نظر حرم مس

ودهنه للتداوى وغير ذلك ﴿ونظر المرأة إلى الرجل ولو عبدا﴾ أي فيحرم نظر الأجنبية لشيء من بدن أجنبي وإن تحف فتنة ولم تنظر بشهوة وذلك لقوله تعالى : **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن** . ولأنه ﷺ أمر بيمونة وأم سلمة وقد رأى هما تنظران لابن أم مكتوم الأعمى بالاحتجاب منه فقالت أم سلمة : **أليس هو أعمى لا يبصر فقال : ألسنا تبصران** ﴿كنعكسه ويحل نظر فرج صغير ما لم يميز﴾ وصححه المتولى وحزم به غيره كما تقدم وقيل يحرم فقال ابن حجر : **وبدل له خبر الحاكم : أن محمد بن عياض قال رفعت إلى رسول الله ﷺ في صغيرى وعلى حرقة وقد كشفت عورتى فقال غطوا عورتى فان حرمة عورة الصغير كحرمة عورة الكبير ولا ينظر الله إلى كاشف عورته** ﴿ويحب على المسلمة أن تحتجب عن الكافرة﴾ لأنه يحرم نظر الكافرة إليها على الأصح وإذا كان ذلك حرم على المسلمة تمكينها منه فيلزمها الاحتجاب منها ويجوز للمسلمة النظر إلى الكافرة لعدم محذور فيه ولا ينافيه وجوب الاحتجاب منها لأنه لا يلزم من وجوب حرمة نظرها إلى الكافرة وإنما حرم النظر إليها لقوله تعالى : **أولسألهن أى المؤمنات والكافرة ليست من نساء المؤمنات فلو جاز لها النظر لم ينق تحصيل فائدة ثم المحرم إنما هو النظر لما لا يبدو فيحل على المعتد كما في التحفة وغيرها ثم أن الحرمة على الكافرة مبنية على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وهو الأصح ويحل ذلك كله في كافرة غير محرم للمسلمة وغير مملوكة لها ما هما فيجوز لهما النظر إليها ﴿و﴾ كذا يجب أن تحتجب عن ﴿الفاسقة﴾ لأنها تعينها على ما يخشى منه منفسدة ﴿بزنا أو سحاق﴾ وهوان تفعل المرأة مثل صورة ما يفعل لرجل ويأتى للمصنف حكمه ﴿أو قيادة﴾ في لسان العرب والديوث القواد على أهله والذي لا يثار على أهله والدثيث القيادة وفي الحكم الديوث الذي يدخل الرجال على حرمه بحيث يراهم . وقال ثعلب : **هو الذي يؤتى أهله وهو يعلم وأصل الحرف بالسريانية وعرب انتهى** . أى فعلى هذا هو سريانى معرب ثم على ما قاله صاحب لسان العرب ثانياً تشتمل الديانة القيادة وهى الجمع بين الرجال والنساء وأما ما قاله أولاً فنخص فيه الديانة بالقيادة على الأهل والذي جرى عليه الرافعى وغيره المغايرة بينهما وعبارة أصل الروضة عن التهمة القواد من يحمل الرجال إلى أهله ويحل بينهم وبين الأهل ثم قال : **ويشبه أن لا يختص بالأهل بل هو الذي يجمع بين الرجال والنساء في الحرام ثم حكى عن التهمة : أن الديوث من لا يمنع الناس الدخول على زوجته . وعن إبراهيم العبادى أنه الذي يشتري جارية تغنى للناس انتهى . وقصبتها أن يفرق بينهما فرق ما بين العام والخاص . وقال الزركشى : الديانة استحسان الرجل على أهله والقيادة استحسانه على أجنبية انتهى فالقيادة من خوارم المروءة لظهور قلة أكرات متعاطيها بمروءته لأن حفظ الأنساب مطلوب شرعاً وفي الطباع البشرية ما يقتضيه ففاعل ذلك مخالف للشرع والطبع وفيها اعانة على الحرام قال : **الجلال البلقينى بعد ذكره ذلك : فهذه كبيرة بلا نزاع ومنفسدتها عظيمة . قال بعضهم : ولا حاجة إلى التقييد بكونها بين الرجال والنساء .******

﴿و﴾ **أن تحتجب المرأة** ﴿عن عبدها إن كانتا فاسقين ولو بغير الزنا﴾ وخرج بذلك العبد العدل فيجوز النظر إلى سيده المتصفة بالعدالة ما عدا ما بين السرة والزكبة كما يجوز لها أن تنظر إلى عبدها العدل ما عدا ذلك أما بينهما فلا يجوز النظر إليه ويلحق به نفسها أخياً طاماً كما في التحفة .

﴿و﴾ **اعلم** ﴿أن زنا الدين هو البطش فحيث حرم نظر حرم مس﴾ أن كل موضع حرم نظره حرم مسه فيحرم مس الأمرد كما يحرم نظره ومس العورة كما يحرم نظرها وقد يحرم النظر دون المس كان أمكن الطبيب معرفة العلة بالمس فقط وقد يحرم المس دون النظر

ويحرم غمز الرجل ساق محرمه أو رجلها وعكسه بلا حاجة ويحرم تضاجع رجلين أو امرأتين عاريتين في ثوب واحد وإن كان كل منهما في جانب من الفراش ويجب التفرق بين ولد عشر سنين وأبويه وأخواته في المضجع وكما يحرم نظر ومس شيء من أجنبية يحرم إصغاء لصوتها تلذذ به وأن الخلوة بالأجنبية حرام حيث لم يكن معها محرم لأحدهما يحشمه ولا

كس بطن المحرم أو ظهرها إذا علمت ذلك فالقاعدة المذكورة بنطوقا ومفهوما أغلبية .

﴿ويحرم غمز الرجل﴾ والمراد مسه كما عبر به غيره ﴿ساق﴾ أو ظهر ﴿محرمه أو رجلها﴾ كأمه وبنته ﴿وعكسه﴾ أي مس المحرم كأمه وبنته لساقه أو ظهره أو رجله اختياطا كفس السرة والركبة وفارق النظر بأنه أبلغ في اللذة وحاجة النظر أعم فسومح فيه ما لم يسامح في المس قاله في فتح الجواد ﴿بلا حاجة﴾ أو شفقة ﴿ويحرم تضاجع رجلين أو امرأتين عاريتين في ثوب واحد وإن كان كل منهما في جانب من الفراش﴾ وذلك لخبر مسلم : لا يقض الرجل إلى ولا المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد . قال الشبرايملى : وكالمضاجعة ما يقع كثيرا في مصرنا في دخول اثنين فأكثر مغطس الحمام فيحرم أن خيف النظر أو المس من أحدهما العورة الآخر . وقوله رجلين أو امرأتين في التعبير بذلك إشارة إلى اشتراط بلوغ الشهوة وهو مجاوزة تسع سنين أي يبلغ أول العشرة قاله الرملى خلافا للزركشى حيث اكتفى ببعض تسع سنين ولا فرق في ذلك بين الأجانب والمحارم ولذا قال الرملى ولوأبوابه وأما وبنتها وأخا وأخاه وأختا وأختاها فإذا كان مع الاتحاد حراما فمع عدم الاتحاد أولى وقوله عاريتين خرج به ما إذا لم يكونا كذلك فيجوز نومها في فراش واحد ولو متلاصقين وظاهره ولو اتقى التجرد من أحدهما وهو محتمل وقوله في ثوب واحد ومثله بالأولى ما إذا لم يكونا في ثوب أصلا .

﴿ويجب التفرق﴾ قال في الاسنى : واحتج له الرفعى بخبر : مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع . ولادلالة فيه كما قاله السبكي وغيره على التفرق بينهم وبين آبائهم وأمهاتهم ﴿بين ولد عشر سنين وأبويه﴾ قال في الاسنى : نازع فيه الزركشى وغيره فقالوا : بل المعتبر السبع لخبر : إذا بلغ أولادكم سبع سنين ففرقوا بين فراشهم رواه الدارقطنى والحاكم وقالوا أنه صحيح على شرط مسلم وهذا يدل على أن قوله في الخبر المذكور وفرقوا بينهم في المضاجع راجع إلى أبناء سبع أو أبناء عشر جميعا ﴿وأخوته في المضجع﴾ أي الشاملين للأخوات غرقا . فروع : يستحب تضافح الرجلين أو المرأتين إذا تلاقيا لخبر : ما من مسلم يلتقيان يتصافحان الاغفر لهما قبل أن يتفرقا . وتكره المعانقة والتقبيل في الرأس الا لقادم من سفر أو تباعد لقاء عرفا فسنة للاتباع وسن تقبيل يد الحى لصالح أو نحوه من الأمور الدينية كعلم وزهد ويكره ذلك لغنى أو نحوه من الأمور الدنيوية كشوكة ووجاهة وسن القيام لأهل الفضل أكراما لارباؤهم وتفخيما ولا ينافى ذلك قوله ﷺ من أحب أن يمثل للناس بين يديه قياما فليتبوأ مقعده من النار لأنه محمول على من أحب أن يقام له وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه أمر أصحابه أن لا يقوموا إذا مر بهم فمر بوما بحسان ﷺ فقام وأنشد :

قيامى للعزیز علی فرض ❖ وترك الفرض ما هو مستقيم

عجبت لمن له عقل وفهم ❖ يرى هذا الجمال ولا يقوم

وقد أقره النبى ﷺ على ذلك وفيه حجة لمن قال أن مراعاة الأدب خير من امتثال الأمر ﴿وكما يحرم نظر ومس شيء من أجنبية يحرم إصغاء لصوتها﴾ أن خشى منه فتنه أو كان ﴿تلذذ به﴾ أى بصوتها ولو بنحو القرآن وإذا قرع باب المرأة أحد فلا يجيبه بصوت رخيتم بل تغلظ صوتها بأن تأخذ طرف كنها بفيها وتحب وفي العباب ويندب إذا خافت داعيا أن تغلظ صوتها بوضع ظهر كنها على فيها وخرج بما ذكر ما إذا لم تحش فتنه أو تلذذ به فلا يحرم سماع صوتها ومثله صوت الأمرد ﴿وأن الخلوة بالأجنبية حرام حيث لم يكن معها محرم لأحدهما يحشمه ولا

امراة كذلك ولا زوج لتلك الأجنبية ويحرم فعل هذه الثلاثة مع الأمرد الجميل .

﴿فصل في اللواط﴾ أخرج ابن ماجه والترمذي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ إن أخوف ما أخاف على أمي عمل قوم لوط
امراة كذلك ﴿أى يحشسها﴾ ولا زوج لتلك الأجنبية ﴿وذلك لخبر أخرجه الطبراني : أياكم والخلو بالنساء والذي نفسى بيده ما خلا
رجل بامراة الا دخل الشيطان بينهما الحديث . وخبر الطبراني أيضا : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلو بامراة ليس بينه وبينها حرم .
﴿ويحرم فعل هذه الثلاثة﴾ المذكورة وهى النظر بالشهوة مع خوف قننة واللمس كذلك والخلو ﴿مع الأمرد﴾ وهو الشاب الذي لم يثبت
لحيته ولا يقال لمن أسن ولا شعر بوجهه أمرد بل يقال له ثط بالناء والطاء المهملة ﴿الجميل﴾ أى بالنسبة لطبع الناظر عند ابن حجر وقال
الرملى : الجمال هو الوصف المستحسن عرف الذوى الطباع السليمة وذلك لأنه أشد قننة من النساء ولأجل ذلك بالغ الصالحون في الاعراض
عن المرد وعن النظر اليهم وعن مخالطتهم وبجالسهم . قال الحسن بن ذكوان : لا تجالسوا أولاد الأغنياء فان لهم ضرور كصور العذراء وهم
أشد قننة من النساء . وقال بعض التابعين : ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد يقعد اليه وكان يقول : لا يثيق
رجل مع أمرد في مكان واحد . وحرم بعض العلماء : الخلو مع الأمرد في بيت أو حائوت أو حمام قياسا على المرأة لأن النبى صلى الله عليه
وسلم قال : ما خلا رجل بامراة الا كان ثالثهما الشيطان . وفي المرد من يفوق النساء بحسنه فالقننة به أعظم ولأنه يمكن في حقه من طرق
الريبة والشر ما لا يسهل في حق المرأة فهو بالتحريم أولى وأقارب السلف في التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر وسموهم الاتن
لأنهم مستقذرون شرعا .

﴿فصل في﴾ ذم ﴿اللواط﴾ وإتيان البهيمة والمرأة في دبرها

﴿وأخرج ابن ماجه والترمذي﴾ وقال حسن غريب والحاكم صحيحه ﴿عن جابر بن عبد الله﴾ رضى الله عنهما ﴿قال : قال : قال :
رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أخوف ما أخاف﴾ أخوف شيء أخافه ﴿على أمي عمل قوم لوط﴾ وهو اللواط ولوط النبى عليه
الصلاة والسلام هو لوط بن هاران بن تارخ وهو آزر ولوط ابن أخى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان ابراهيم يحبه
حبا شديدا وهو أحد رسل الله الذي اتصرا بهلاك مكذبيه وقصته مذكورة في القرآن في مواضع ،

قال وهب بن منبه خرج لوط من أرض بابل في أرض العراق مع عمه ابراهيم تابعا له على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعهما سارة
امراة ابراهيم وخرج معهما آزر ابنا ابراهيم مخالفا لابراهيم في دينه مقيما على كفره حتى وصلوا الى حرار فمات آزر ومضى ابراهيم ولوط
وسارة الى الشام ثم مضوا الى مصر ثم عادوا الى الشام فنزل ابراهيم فلسطين ونزل لوط الأردن فأرسله الله الى سدوم وما يليها وكانوا كفارا
ياتون الفواحش التي منها هذه الفاحشة التي ما سبقهم اليها أحد من العالمين ويتضارطون في مجالسهم فلما طال تماديهم دعا اليهم لوط وقال :
رب انصرنى على القوم المفسدين فأجاب الله دعاءه فأرسل جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم الصلاة والسلام في صورة رجال
مرد حسان فنزلوا على ابراهيم ضيفا ناو بشروه بأسحق ويعقوب ولما جاء آل لوط العذاب في السحر اقلع جبريل عليه السلام قرى قوم لوط
الأربع وكان في كل قرية مائة ألف رفعتهم بجناحه بين السماء والأرض حتى سمع أهل السماء نبيح كلابهم وصياح ديكهم ثم قلبهم فجعل
عليها سافلها وأمطر عليهم الحجارة فأمطرت على شاردهم ومسافرهم وملكنت امراة لوط مع المالكين واسمها وائلة . وقال أبو بكر بن
عباس عن أبى جعفر استغنت رجال قوم لوط برجالهم ونسائهم بنسائهم فأهلكهم الله أجمعين فخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم
على أمته أن يفعلوا بسائهم فيحل بهم ما حل بهم هكذا قاله العزبرى .

وأحمد والنسائي لعن الله سبعة من خلقه من فوق سبع سموات وردد اللعنة على كل واحد منهم ثلاثاً ولعن كل واحد منهم لعنة تكفيه ملعون من عمل عمل قوم لوط ملعون من ذبح لغير الله ملعون من أتى شيئاً من البهائم ملعون من عوق والدية ملعون من جمع بين امرأة وابنتها ملعون من غير حدود الأرض ملعون من ادعى إلى غير مواليه * وأحمد ملعون من سب أباه ملعون من سب أمه ملعون من غير تحريم الأرض ملعون من كره أعمى ملعون من وقع على بهيمة ملعون من عمل عمل قوم لوط * والبيهقي أربعة يصبحون في غضب الله ويمسسون في سخط الله قلت من هم يا رسول الله قال المشبهون من الرجال بالنساء والمشبهات من النساء بالرجال والذي يأتي البهيمة والذي يأتي الرجال * والترمذي والنسائي لا ينظر الله عز وجل إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في دبرها * والطبراني ثلاثة لا يقبل الله لهم شهادة أن لا إله إلا الله الراكب والمركوب والراكبة والمركوبة والإمام الجائر *

﴿و﴾ أخرج أحمد والنسائي والطبراني في الأوسط بسند رجاله رجال الصحيح الأجرز بالراء والزاء قد حسن له الترمذي ورواه الحاكم من رواية أخى محرز وصححه واعتض به وأه كآخيه لكن أخوه أصح حالاً منهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿لعن الله سبعة من خلقه من فوق سبع سموات وردد اللعنة على كل واحد منهم ثلاثاً ولعن كل واحد منهم لعنة تكفيه﴾ قال ﴿ملعون من عمل عمل قوم لوط﴾ ملعون من عمل عمل قوم لوط ﴿ملعون من ذبح لغير الله﴾ بأن يذبح باسم غير الله كوثن أو صليب أو لموسى أو ليعسى أو للكعبة فكله حرام ولا تحل ذبحته فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبح له غير الله والعبادة كان ذلك كفراً ﴿ملعون من أتى شيئاً من البهائم ملعون من عوق والدية﴾ أباه وأمه وإن علياً ﴿ملعون من جمع بين امرأة وابنتها ملعون من غير حدود الأرض ملعون من ادعى إلى غير مواليه﴾ و﴿أخرج أحمد﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما باسناد ضعيف ﴿ملعون من سب أباه ملعون من سب أمه﴾ لأنه جازى صنعهما المعروف معه بحسن تربيته بالاساءة ﴿ملعون من ذبح لغير الله﴾ كالأصنام وهو ظاهر في حق الكفار أما في المسلم فمعنى ذبحه لغير الله أن يذبح المأكول لنحو تجرية مدية هل تذبح أو لا لأقصد حل أكله فهو لغير الله أي لغير الذي أمر به الله تعالى من قصد حل أكله قاله الحنفى ﴿ملعون من غير تحوم الأرض﴾ قال في النهاية أى معالمها وحدودها واحداً تحتم قيل أراد به حدود الحرم خاصة وقيل هو عام في جميع الأرض أو أراد المعالم التي يهتدى بها في الطريق وقيل أن يدخل الرجل في ملك غيره فيقطع ظملاً ويروى تحتم الأرض بفتح التاء مع الأفراد وجمعه تحوم بضم التاء والحاء ﴿ملعون من كره﴾ بتشديد الميم ﴿أعمى﴾ أى أضله عن الطريق كأن يقول : خذ على يمينك والحال أنه غير مقصده ﴿ملعون من وقع على بهيمة ملعون من عمل عمل قوم لوط﴾ من إتيان الذكور شهوة من دون النساء .

﴿و﴾ أخرج الطبراني والبيهقي : أربعة يصبحون في غضب الله ويمسسون في سخط الله قلت : من هم يا رسول الله ؟ قال : المشبهون من الرجال بالنساء والمشبهات من النساء بالرجال ﴿فلا يجوز لرجل تشبه بامرأة في نحو لباس أو هيئة ولا عكسه لما فيه من تغير خلق الله تعالى﴾ والذي يأتي البهيمة والذي يأتي الرجال و﴿أخرج الترمذي والنسائي﴾ وابن ماجه في صحيحه ﴿لا ينظر الله عز وجل﴾ نظر رحمة ﴿إلى رجل أتى رجلاً أو﴾ أتى امرأة في دبرها ﴿أى جامعها فيه ولو زوجة فهو من الكبائر وما ينسب إلى مالك في كتاب السير ومحمد بن كعب القرظي وإلى أصحاب مالك من حله فباطل وهم مبذون منه لأن الحكمة في خلق الأزواج طلب النسل فغير موضع النسل لا يناله ملك الزوج هذا هو الحق .

﴿و﴾ أخرج الطبراني ثلاثة لا يقبل الله لهم شهادة أن لا إله إلا الله الراكب والمركوب والراكبة والمركوبة والإمام الجائر .

وأبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به * وقال ابن عباس إن اللوطي إذا مات من غير توبة مسخ في قبره خنزيرا ﴿وروي﴾ أن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر رضي الله عنه أنه وجد رجلا في بعض نواحي العرب ينكح كما تنكح المرأة فجمع أبو بكر أصحاب رسول الله ﷺ فيهم على كرم الله وجهه فقال إن هذا ذنب لم تعمل به الأمم إلا أمة واحدة وقد علمت ما صنع الله بها وأرى أن تحرقوه بالنار فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ أن يحرق بالنار فحرقه خالد ﴿وروي﴾ أيضا أن عيسى عليه السلام مر في سياحته على نار توقد على رجل فأخذ ماء ليطفئها عنه فاقبلت النار صيا واتقلب الرجل نارا فتعجب عيسى من ذلك فقال يا رب ردهما إلى حالهما في الدنيا لأسلما عن خبرهما فأحياهما الله تعالى فإذا هما رجل وصبي فقال لهما عيسى عليه السلام ما خبركما وما أمركما فقال الرجل يا روح الله اني كنت في الدنيا مبتلى بحب هذا الصبي فحملتني الشهوة أن فعلت به الفاحشة فلما مت ومات الصبي صير الله الصبي نارا تحرقني مرة وصيرني نارا أحرقه أخرى فهذا عذابنا إلى يوم القيامة نعوذ بالله من عذابه وحمانا من موجبات سخطه وأليم عقابه ﴿تنبيه﴾ قال البغوي اختلف أهل العلم في حد اللواط فذهب قوم إلى أنه يحسد الفاعل حد الزنا إن كان محصنا يرحم وإن لم يكن محصنا يجلد مائة

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي﴾ بسند صحيح لكن أنكر على بعض رواته هذا الحديث ﴿من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به﴾ وأبو داود وغيره : من أتى بهيمة فاقتلوه واطلوا معه ﴿وقال ابن عباس﴾ رضي الله عنهما ﴿أن اللوطي إذا مات من غير توبة مسخ في قبره خنزيرا﴾ هكذا نقله في الزواج ﴿و﴾ قال الحافظ المنذرى : خرق للوطية بالنار أربعة من الخلفاء أبو بكر وعلي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم وهشام بن عبد الملك ، ﴿وروي﴾ أن خالد بن الوليد رضي الله عنه ﴿كتب إلى أبي بكر﴾ الصديق ﴿رضي الله عنه أنه وجد رجلا في بعض نواحي العرب﴾ بالبناء للمفعول ﴿ينكح كما تنكح المرأة فجمع﴾ لذلك ﴿أبو بكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم على كرم الله وجهه فقال : إن هذا﴾ أي نكاح الرجل مع الرجل ﴿ذنب لم تعمل به الأمم إلا أمة واحدة﴾ وهم قوم لوط ﴿وقد علمت ما صنع الله بها﴾ من العذاب ﴿وأرى أن تحرقوه بالنار فاجتمع رأي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحرق بالنار فحرقه خالد﴾ رضي الله عنه رواه ابن أبي الدنيا بإسناد جيد عن محمد بن المنكدر .

﴿وروي أيضا أن عيسى عليه السلام مر في سياحته على نار توقد على رجل فأخذ﴾ عيسى عليه السلام ﴿ماء ليطفئها عنه﴾ أي عن الرجل فاقبلت النار صيا واتقلب الرجل نارا فتعجب عيسى من ذلك ﴿أي ما رآه من حالها﴾ فقال : يا رب ردهما إلى حالهما في الدنيا لأسلما عن خبرهما فأحياهما الله تعالى فإذا هما رجل وصبي فقال لهما عيسى عليه السلام : ما خبركما وما أمركما ؟ فقال الرجل : يا روح الله اني كنت في الدنيا مبتلى بحب هذا الصبي فحملتني الشهوة أن فعلت به الفاحشة فلما مت ومات الصبي صير الله الصبي نارا تحرقني مرة وصيرني نارا أحرقه مرة ﴿أخرى فهذا عذابنا إلى يوم القيامة﴾ هكذا أورده العلامة ابن حجر في الزواج ﴿نعوذ بالله من عذابه وحمانا من موجبات سخطه وأليم عقابه﴾ ونسأله سبحانه وتعالى العافية والتوفيق لمراضاته .

﴿تنبيه﴾ من الحديث فيمن أتى البهيمة أنها تقل معه قال الخطابي : قد عارض في هذا الحديث فيه صلى الله عليه وسلم عن قتل الحيوان وما قاله صحيح فلا تقل غير المأكولة ولا تذبح المأكولة خلافا لمن زعمه ﴿قال البغوي﴾ اختلف أهل العلم في حد اللواط فذهب قوم إلى أنه يحسد الفاعل حد الزنا إن كان محصنا يرحم وإن لم يكن محصنا يجلد مائة وهو قول ابن المسيب وعطاء والحسن وقادة

وهو أظهر قول الشافعي عليه وعلى المفعول به عنده على هذا القول جلد مائة وتغريب عام رجلا كان أو امرأة محصنا أو غير محصن
 وذهب قوم إلى أن اللوطي يرحم ولو غير محصن وهو قول مالك وأحمد بن حنبل والقول الآخر للشافعي أنه يقتل الفاعل والمفعول به كما جاء
 في حديث **«فائدة»** يحرم مصافحة الأمرد بشرطه ولو قدم من سفر وقيل في هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطية وهم ثلاثة أصناف صنف
 ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث قال بعضهم والنظر إلى المرأة والأمرد زنا الخبر صحيح **«خاتمة»** في السخاقي

والنخعي وبه قال الثوري والأوزاعي **«وهو أظهر قول الشافعي رضي الله عنه»** ويحكى أيضا عن أبي يوسف ومحمد بن الحسن
«وعلى المفعول به عنده» أي الشافعي **«على هذا القول جلد مائة وتغريب عام رجلا كان أو امرأة محصنا»** كان **«أو غير محصن»**
 وذهب قوم إلى أن اللوطي يرحم ولو غير محصن **«رواه سعيد بن جبير ومجاهد عن ابن عباس وروى عن الشعبي وبه قال الزهري»** وهو
 قول مالك وأحمد بن حنبل **«واسحاق وروى حماد بن إبراهيم عن إبراهيم النخعي قال: لو كان أحد يستقيم أن يرحم مرتين لرحم**
اللوطي» والقول الآخر للشافعي أنه يقتل الفاعل والمفعول به كما جاء في حديث **«تقدم ذكره وهو: من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط**
فاقتلوا الفاعل والمفعول به» رواه أبو داود وغيره: قال ابن حجر: وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فعل قوم لوط من اللوطية المحرمين
 الفاسقين الملعونين فعليه لعنة الله ثم عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وقد فشا ذلك في التجار فاتخذوا حسان الممالك سوداء
 وبضياء فعليهم أشد اللعنة الدائمة الظاهرة وأعظم الحزى والبوار والعذاب في الدنيا والآخرة ماداموا على هذه القبائح الشنيعة الفظيعة
 المرجحة للفقر وهلاك الأموال وانمحاق البركات والحياة والمعاملات والأمانات ولذلك تجد أكثرهم قد افتقر من سوء ما جناه وقبح
 معاملته لمن أتم عليه وأعطاه ولم يرجع إلى باريته وخالفه وموجده ورازقه بل بارزة بهذه البارزة المبنية على خلع جلباب الحياء والبرورة
 والتخلي عن صفات سائر أهل السهامه والقوة والتحلي بصفات البهائم بل بأقبح وأفجع صفات وحلة إذ لا نجد حيوانا ذكرا ينكح مثله
 فناهيك برذيلة تعفت عنها الحميم فكيف يليق فعلها بمن هو في صورة رئيس أو كبير كلاب هو أسفل من قدره وإشام من خبره وأنث من
 الجيف وأحق بالشر والسرف وخائن عند الله وماله عنده من الأمانة فبعدا له وسحقا وهلاكا في جهنم وجحرا .

«فائدة» يحرم مصافحة الأمرد **«الجميل»** **«شرطه»** وهو خوف الفتنة والشهوة **«ولو قدم من سفر»** وكذا يحرم النظر إليه
 عند خوفها إذا كان بشهوة فإن لم تكن هناك شهوة ولا خوف فتنة فلا يحرم النظر إليه وهذا اختاره الغزالي وإن خاف من النظر الوقوع في
 الشهوة فوجهاً ، قال أكثرهم : يحرم تحرزا من الفتنة . وقال صاحب التقريب : واختاره الإمام أنه لا يحرم أيضا . وروى أن وفد عبد
 القيس قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم غلام حسن الوجه فأجلسه من ورائه وقال : إنما أخشى ما أصاب أخى داود
 وكان ذلك بمراى حاضرين فدل على أنه لا يحرم ولاتفاق المسلمين على أنهم ما منعوا من المساجد والمحافل والأسواق والخلوة بينه وبين
 الأجنبي في المكاتب وتعليم الصنعة وغير ذلك **«وقيل في هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطية وهم ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف**
يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث» قال بعضهم : والنظر إلى المرأة **«والأمرد زنا»** خبر صحيح فيه **«وهو ما**
صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : زنا العين النظر وزنا اللسان النطق وزنا اليد البطش وزنا الرجل الخط والقلب يهودى
ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه هكذا ذكره في الزواجر .

«خاتمة» في **«ذم»** **«السحاق»** وهو أن تفعل المرأة بالمرأة مثل صورة ما يفعل بها الرجل كذا ذكره بغضهم واستدل له بقوله صلى
 الله عليه وسلم : السحاق زنا النساء بينهن .

أخرج الطبراني ثلاثة لا يقبل الله لهم قول شهادة أن لا إله إلا الله الراكب والمركوب والراكبة والمركوبة والإمام الجاثر * وروى عنه صلى الله عليه وسلم إذا أنت المرأة المرأة فهما زانيتان ﴿واعلم﴾ أن تساحق النساء حرام ويعزرن بذلك قال القاضي أبو الطيب وإثم ذلك كإثم الزنا قال القاضي الحسين يكره للمرأة التي تميل إلى النساء النظر إلى وجوههن وأبدانهن وأن تضاجعهن بلا حائل كما في الرجال قال في العجالة وتشبيهه يقتضي تحريم النظر بشهوة والمضاجعة بلا حائل كما هما محرمان من الرجال ..

﴿فصل﴾ في قذف المحصن أو المحصنة بزنا أو لو اطع الله تعالى ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾

و﴿أخرج الطبراني: ثلاثة لا يقبل الله لهم قول شهادة أن لا إله إلا الله: الراكب والمركوب والراكبة والمركوبة والإمام الجاثر﴾ وهذا وعيد شديد وقد تقدم هذا الحديث . ﴿وروى عنه صلى الله عليه وسلم﴾ إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيتان و﴿إذا أنت المرأة المرأة فهما زانيتان﴾ كذا نقله في الزواجر .

﴿واعلم﴾ أن تساحق النساء حرام ويعزرن بذلك ﴿أى التساحق﴾ قال القاضي أبو الطيب: وإثم ذلك كإثم الزنا . قال القاضي الحسين: يكره للمرأة التي تميل إلى النساء النظر إلى وجوههن وأبدانهن و﴿أن تضاجعهن بلا حائل كما في الرجال قال في العجالة: وتشبيهه﴾ بما ذكر ﴿يقتضي تحريم النظر بشهوة﴾ تحريم ﴿المضاجعة بلا حائل كما هما﴾ أى النظر بالشهوة والمضاجعة بلا حائل ﴿محرمان من الرجال﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿فصل في قذف المحصن أو المحصنة بزنا أو لو اطع﴾ والشكوت على ذلك ﴿قال الله تعالى: والذين يرمون المحصنات﴾ أى الاتمسك المحصنات فيعم الرجال والنساء والتقدير والمحصنين للاجماع على استواء حكم النوعين في القذف والمراد بالاحصان هنا ما يأتي ذكره في كلام المصنف ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ وعلم من هذا أن سبب الحد هنا إنما هو اظهار تكذيبه وإفترائه فمن ثبت صدقه بأن أقام أربعة شهداء عدول . قال أبو حنيفة: يكفي هنا الفساق يشهدون بزنا المقتذوف أو رجلين باقراره أو ادعى أنه زان فوجهت إليه اليقين انه لم يزن فردها على القاذف فحلف لاحد عليه وشرط الحرمة والحد أن يصدر القذف من بالغ عاقل .

ولا يتكرر الحد بتكرر القذف مرارا وإن اختلفت كزيت بقلانة ثم قال: زنت بأخرى وهكذا ، نعم ان حد قذفه بعد عتزر وقيل بتعدد الحد بالتعدد مطلقا لأنه حق آدمى فلا يتداخل كالديون ويشترط في شهود الزنا تعرضهم للزاني والمزني به . وقال جماعة: يجب ان يقولوا رأينا ذكره يدخل في فرجها دخول الميل في المكحلة فلا يكفي قولهم زنى فقط بخلاف القاذف يحمد بقوله لغيره: زنت ولا يستفسر ولو أقر على نفسه بالزنا فقليل يجب استفساره كالشهود وقيل لا يجب كما في القذف الأول هو الأصح عندنا وفارق القذف عملا باحباط فيها إذ هو في حد القذف عدم توفقه على استفسار مبالغة في الزجر عنه لكونه حق آدمى وفي الاقرار توفقه عليه بمبالغة في سهر هذه الفاحشة التي هي حق الله تعالى .

ولا فرق عندنا بين شهادتهم مجتمعين أو متفرقين وكذا عدد أكر العلماء وقال أبو حنيفة ﴿ان تفرقوا لغت شهادتهم وحد وحجة الأولين أن التفرق أبعد في التهمة وأبلغ في ظهور الصدق لانتفاء احتمال تلقف بعضهم من بعض وأيضا فالتفرق لا بد منه لأنهم وإن اجتمعوا عند القاضي أو نائبه تقدموا واحدا فواحد التمسر شهادتهم معا وحجته ان من شهد أولا ثم ثانيا وهكذا يصدق على كل منهم أنه قذف ولم يأت أربعة شهداء فيحد الآية ولا أثر لاثباتهم بلفظ الشهادة لاتخاذ ذريعة إلى قذف المسلمين وأيضا فلان المغيرة بن شعبه شهد عليه بالزنا أربعة عند عمر رضي الله عنه رأيت أصبا يتبر وتسايعلوا ورجلاها على عاتقه كأذنى حمار ولا أدري ما وراء ذلك فحد

فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴿إن كان حراً فغيره بجلد أربعين﴾ ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا﴾ أي ما دام مصرا على قذفه ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾
إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴿وقال تعالى﴾ ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات﴾ أي عن الفاحشة ﴿لعنوا﴾
في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴿وأخرج الشيخان عن أبي هريرة أن﴾
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله
إلا بالحق وأكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات *

عمر الثلاثة ولم يسأل هل معهم شاهد رابع فلو قبل بعد ذلك شهادة غيرهم لتوقف أداء الحد عليه وبما في هذه الواقعة يرد على من قال
لاحد عليهم وإن لم يكمل النصاب لأنهم جاءوا بحجج الشهود ولأنهم لو وحدوا لانسد باب الشهادة على الزنا لأن كل أحد لا يأمّن أن لا يوافقه
صاحبه فيلزمه الحد ويرد ما علل به بأن القصد ستر هذه الفاحشة ما أمكن ﴿فاجلدوهم﴾ المراد منه الامام أو نائبه وكذا السيد في قته .
قال بعض المفسرين : أو رجل صالح إذا فقد الإمام ومذهبنا لا يوافق ذلك ﴿ثمانين جلدة﴾ محله ﴿إن كان حراً﴾ أي كامل الحرية ﴿فغيره﴾
بجلد أربعين ﴿ومحله أيضا في غير الوالد وإن علا فلا يحد بقذف فرعه كما لا يقبل به بل يعزر وكذا السيد مع قته وأشد الحد رد حد الزنا ثم
القذف ثم الحمر وكانهم لم يذكروا حد الكفر لأن الكلام في حدود المسلمين ولاحد قاطع الطريق لأنه قود لاحد ووجه أشد الزنا انه جنابة
على الأسباب التي هي شقائق النفوس ثم القذف انه جنابة على الأعراض العظيمة الرعاية عند ذوى المروآت مع تمحضها لحق الآدميين
﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا﴾ فمعنى أبدا ﴿أي مادام﴾ قاذفا أي ﴿مصرا على قذفه﴾ وبالتوبة زال أثر القذف فزال ما ترتب
عليه من رد الشهادة ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾ فيه أشد العقوبة وأبلغ الزجر وأكبر العقاب للقاذفين ﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾
فإن الله غفور رحيم ﴿اختلفوا فيه فقال أبو حنيفة رضي الله عنه وآخرون : انه خاص بالجملة الأخيرة وهي الحكم عليهم بالفسق﴾
فالقاذف فاسق إلا ان تاب وأما رد شهادته فهو معلق على حده في القذف ولم تقبل له بعد شهادة أبدا . وقال الشافعي : وأكبر الضحابة
والتابعين رضي الله عنهم الاستثناء راجع للجنح فمضى تاب القاذف توبة صحيحة زال فسقه وقبلت شهادته وبالتوبة زال أثر القذف
كما تقدم وقول أبي حيان : ليس ظاهر الآية يقتضي عود الاستثناء الى الجملة الثلاثة بل الظاهر ما يعضده كلام العرب وهو الرجوع الى
الأخيرة بمنع باطلاقة بل قاعدة العرب المقررة عند الشافعي في باب الوقف وغيره ان الاستثناء والوصف ونحوهما من المتعلقات ترجع
الى ما تقدمها بل والى جميع ما تأخر منها بل قال جمع من أئمتنا وغيرهم لو توسطت رجعت الى الكل أيضا لأنها بالنسبة لما قبلها متأخرة ولما
بعدها مقدمة فكان القياس في الآية عوده الى الجمل الثلاثة لكن منع من عوده الى الأولى وهي فاجلدوهم مانع هو عدم سقوط حد القذف
بالتوبة فبقى رجوع الاستثناء الى الأخيرين وهما رد الشهادة والفسق ومن ثم جاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال في قصة المغيرة السابقة
من أكذب نفسه قبلت شهادته فأكذب شبل ونافع أنفسهما فكان يقبل شهادتهما على أن الشعبي قال يرجوعه الى الأولى أيضا فقال : اذا
تاب القاذف سقط الحد عنه ذكره ابن حجر .

﴿وقال تعالى﴾ ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات﴾ أي عن الفاحشة . لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم، يوم تشهد
عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴿يومئذ يوفيه الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ ﴿وأخرج الشيخان عن أبي
هريرة﴾ ﴿أن رسول الله ﷺ قال﴾ ﴿اجنبوا السبع الموبقات﴾ أي المهلكات ﴿قيل يا رسول الله وما هن ؟﴾ قال : الشرك بالله والسحر
وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ﴿قد تقدم هذا الحديث

والحاكم أيما عبد أو امرأة قال أو قالت لولدتها يا زانية ولم يطلع منها على زنا جلدتهما وليدتهما يوم القيامة لأنه لا حد لمن في الدنيا * وهما من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال * وقال بعضهم وبما عنت به البلوى قول الإنسان لقته يا مخنث أو يا قحبة وللصغير يا ابن القحبة يا ولد الزنا وكل ذلك من الكبائر الموجبة للعقوبة في الدنيا والآخرة * تنبيه * إن القذف حرام إجماعا بل هو من الكبائر المهلكة اتفاقا وقد أجمع العلماء على أن المراد من الرمي في الآية الرمي بالزنا وهو يشمل الرمي باللواط كما يقول للمرأة يا زانية أو بغية أو قحبة أو لزوجها يا زوج القحبة أو لبنتها يا بنت الزنا أو للرجل يا زاني أو يا منكوح أو يا مخنث فمن قذف محصنا غير فرع وقت له حد أو غيره عزر والمحصن هنا مكلف حر مسلم عفيف عن زنا وعن وطء زوجة أو مملوكة في دبرها فمن فعل وطأ يحسد به أو وطئ حليلته في دبرها لم يجب على راميها بالزنا حد القذف وإن تاب وصلح حاله * فائدة * من قذف آخر بين يدي حاكم لزمه أن يبعث إليه ويخبره

﴿وخرج﴾ الحاكم ﴿عن عمرو بن العاص وقال صحيح الإسناد واعترض بأن فيه متروكا﴾ أيما عبد أو امرأة قال أو قالت لولدتها أو وليدته فعيلة بمعنى مفعولة أي أمها وأمه وأصل الولد ما ولد من الإماء في ملك الإنسان ثم أطلق في كل أمة ﴿يا زانية ولم يطلع﴾ أو يطلع ﴿منها﴾ على زنا جلدتهما واليدتهما يوم القيامة ﴿حد القذف﴾ لأنه لا حد لمن في الدنيا ﴿أي لأنه لا حد للأزواء على السادات بذلك في الدنيا لشرف المالكية فالأمة مثال والعبد كذلك﴾ وهما ﴿أي وأخرج الشيخان وكذا الترمذي وقال حسن صحيح واللفظ له﴾ من قذف مملوكه ﴿أي رماه﴾ بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون ﴿المقذوف﴾ كما قال ﴿القاذف من كونه زانيا﴾ وقال بعضهم وبما عنت به البلوى قول الإنسان لقته : يا مخنث أو يا قحبة وللصغير : يا ابن القحبة يا ولد الزنا وكل ذلك من الكبائر الموجبة للعقوبة في الدنيا والآخرة ﴿وروى ابن مردويه في تفسيره بسند فيه ضعف : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن كتابا فيه الفرائض والديات وبعث فيه عمرو بن حزم﴾ وكان في الكتاب : وإن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الأشراك بالله وقتل النفس المؤمنات بغير الحق والفرار في سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين ورمى المحصنة وتعلم السحر وأكل مال اليتيم . وروى الطبراني : أن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم عدوا بحضرة صلى الله عليه وسلم قذف المحصنة من الكبائر وأقرهم على ذلك .

﴿تنبيه﴾ إن القذف حرام إجماعا بل هو من الكبائر المهلكة اتفاقا وقد أجمع العلماء ﴿رحمهم الله تعالى﴾ على أن المراد من الرمي في الآية المذكورة ﴿الرمي بالزنا وهو يشمل الرمي باللواط كما يقول للمرأة : يا زانية أو بغية أو قحبة﴾ قال الفيومي : القحبة المرأة البغى والجمع قحاب مثل كلبة وكلاب يقال قحب الرجل يقحب إذا سعل من لؤمه والقحبة مشتقة منه قاله ابن قوطية . وقال في البارع أيضا والقحبة الفاجر وإنما قيل لها قحبة من السعال أرادوا أنها تتخح أو تسعل . وعن ابن دريد أجسب القحاب فساد الجوف قال : وأحسب أن القحبة من ذلك ﴿أو﴾ يقول ﴿لزوجها﴾ يا زوج القحبة أو ﴿يقول﴾ لبنتها : يا بنت الزنا أو للرجل : يا زاني أو يا منكوح أو يا مخنث ﴿فهذا كله قذف﴾ . وكأنه أخذ ذلك من شهوة أو استعمال ذلك في القذف والشهوة توجب الصراحة على ما قاله جمع لكن المعتمد خلافه فالذي يتجه أن ذلك كناية ﴿فمن قذف محصنا غير فرع وقت له حد أو غيره عزر والمحصن هنا مكلف حر مسلم عفيف عن زنا وعن وطء زوجة أو مملوكة في دبرها فمن فعل وطأ يحسد به أو وطئ حليلته في دبرها لم يجب على راميها بالزنا حد القذف وإن تاب وصلح حاله﴾ ثم قذفه بالزنا أو بخوة كبيرة كما هو ظاهر .

﴿فائدة﴾ من قذف آخر بين يدي حاكم لزمه أن يبعث إليه ويخبره ﴿به﴾

يطالب به إن شاء كما لو ثبت عنده حق مالي على آخر وهو لا يعلم يلزمه إعلامه

﴿باب شرب الخمر﴾

﴿يطالب به إن شاء كما لو ثبت عنده حق مالي على آخر وهو لا يعلم يلزمه إعلامه﴾ به .

* خاتمة * قد مر أنه صلى الله عليه وسلم قال : من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال : وكثيرون من الجهال واقعون في هذا الكلام القبيح الموجب للعقوبة في الدنيا والآخرة ومن ثم جاء في حديث الصحيحين : أن العبد يتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد بين المشرق والمغرب . وقال له معاذ : يا نبي الله وأنا لمؤاخذون بما بما تكلم به ؟ قال : تكلمك أنفك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم . وفي الحديث : ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن ؟ الصمت وحسن الخلق قال تعالى : ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد . وقال عقبة بن عامر : ما لنجاة يا رسول الله ؟ قال : أبسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك . وروى الترمذي والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن غريب : لا تكرر الكلام بغير ذكر الله فإنه يورث قسوة القلب وإن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسي . وقال صلى الله عليه وسلم : ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله يفيض الفاحشة البذاء بالذال المعجمة ممدودا هو المتكلم بالفحش وردى الكلام

﴿باب تحريم شرب الخمر﴾

وحمله وطلب حمله لنحو شربه وسقيه وطلب سقيه وبيعه وشرائه وطلب أحدهما والخمر المتعصر من العنب إذا غلى وقذف بالزبد ويطلق مجازا بل حقيقة بناء على ما يأتي من الأحاديث المصرحة بذلك أو على الأصح أن اللغة تثبت بالقياس على ما غلى وقذف بالزبد من غير العنب وسميت بذلك لأنها تخمير العقل أي تستره ومنه خمارة المرأة لستره وجهها والخامر وهو من يكتم شهادته وقيل لأنها تغطي حتى تشد ومنه خمرؤا أي غطوها وقيل لأنها تحالط العقل ومنه خامره داء أي خالطه وقيل لأنها تترك حتى تدرك ومنه اختمر العجين أي بلغ ادراكه وهي مقاربة وعليها فالخمر مصدر يراد به اسم الفاعل أو المفعول .

واحتج من ععم الخمر في عصير العنب وغيره في حديث أبي داود : نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة من العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة والخمر ما خامر العقل وحديث الصحيحين عن عمر رضي الله عنه أنه قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أن الخمر قد حرمت وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل وهذا إن صريحان في أن تحريمها يتناول تحريم هذه الأنواع أما الأول فظاهر وأما الثاني فلأن عمر عالم باللغة يرجع إليه فيها وقد قال : والخمر ما خامر العقل سيما وقد وافق حديث أبي داود المذكور وروى أبي داود أيضا حديث : أن من العنب خمر وإن من التمر خمر وإن من العسل خمر وهذا صريح أيضا في دخول هذه الأشياء في تحريم الخمر فإن الشارع ﷺ ليس مقصوده تعليم اللغة وإنما مراده بيان أن الحكم الثابت في الخمر ثابت في كل مسكر .

قال الخطابي وتخصيص الخمر بهذه الخمس ليس إلا لأجل أنها المقصودة في ذلك الزمان لا تحاذ الخمر منها فكل ما في معناها كذلك قالوا : ونزل في تحريم الخمر أربع آيات بمكة قوله تعالى : ومن ثمرات النجيل الآية وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم إن عمر ومعاذ وآخرين قالوا : يا رسول الله أفتنا في الخمر فإنها مذهب العقل نسبية للمال فنزل قوله تعالى : يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها اثم كبير ومنافع للناس واثمها أكبر من نفعها فقال ﷺ : إن الله يقدم في تحريم الخمر فمن كان عنده شيء منها فليبعه فتركها قوم لقوله اثم كبير وشرها لقوله ومنافع للناس إلى أن صنع عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه طعاما فدعا ناسا من الصحابة وأباهم بنجر فشرابوا فسكروا وحضرت

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * وقال رسول الله ﷺ كل مسكر حرام رواه الشيخان وأبو داود والنسائي وقال ﷺ ألا فكل مسكر خمر وكل خمر حرام رواه أحمد وأبو يعلى

صلاة المغرب فتقدم بعضهم ليصلى بهم فقرا قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون هكذا إلى آخر السورة بحذف لا فانزل الله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلمون ما تقولون فحرم السكر في أوقات الصلاة ولما نزلت هذه الآية حرمها قوم وقالوا لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة وتركها قوم في أوقات الصلاة فقط فكان أحدهم يشرب بعد صلاة العشاء فيصبح أوقد زال سكره وبعد صلاة الصبح فيصبحوا إذا جاء وقت الظهر ،

واتخذ عتيان بن مالك صنيعا ودعا رجلا من المسلمين فيهم سعيد بن وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فالحوى منه وشربوا الخمر حتى أخذ منهم ثم انهم اقتحروا عند ذلك وتناشدوا والاشعار فأنشد بعضهم قصيدة فيها هجاء الأنصار فخر لقومه فأخذ رجل من الأنصار لحى البعير فضرب به رأس سعيد فشبهه موضحة فانطلق سعيد إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه الأنصارى فقال : اللهم بين لنا رايك في الخمر بيانا شافعا فانزل الله تعالى ما ذكره المصنف بقوله (قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر) أى القمار (والأنصاب) أى الأصنام التي نصب للعبادة (والأزلام) وهى القداح التي كانوا يستقنون بها واحدا زلما وكانت أزلامهم سبع قداح مستوية مكتوبة على واحد منها : أمرنى ربي وعلى واحد : نهانى ربي وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل ،

وكانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا سفرا أو تجارة أو نكاحا واختلفوا في نسب أو أمر قيل أو تحمل عقل أو غير ذلك من الأمور العظام جاءوا إلى هبل وكانت أعظم صنم لقرش بمكة وجاءوا بمائة درهم وأعطوها صاحب القداح حتى يحيلها لهم فان خرج : أمرنى ربي ففعلوا ذلك الأمر وان خرج : نهانى ربي لم يفعلوه وان أجالوا على نسب فان خرج : منكم كان وسطا فيهم وان خرج : من غيركم كان خلفا فيهم وان خرج ملصق كان حاله وان اختلفوا في العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل أجالوا ثانيا حتى يخرج المكروب عليه . وقيل الأزلام كعاب فارس والروم التي كانوا ينامرون بها . وقيل كانت الأزلام للعرب والكعاب للنجم وكلها حرام لا يجوز اللعب بشيء منها .

وعن قطن بن قبيصة رحمه الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : العيافة الطيرة والطرق من الجبت أخرجه أبو داود وقال : الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ما عبد من دون الله عز وجل وقيل الكاهن (رجس) هو في اللغة الشيء الخبيث المستقذر (من عمل الشيطان) أى من تزنيه وإغوائه ودعائه إياكم إليها وليس المراد أنها من عمل يديه (فاجتنبوه) يعنى كونوا جانتا منه والضمير في قوله اجتنبوه عائدا إلى الرجس لأنه اسم جامع لكل كانه قال : ان هذه الأربعة الأشياء كلها رجس فاجتنبوه (لعلكم تفلحون) يعنى لكي تدرؤوا الفلاح إذا اجتبتكم هذه المحرمات التي هي رجس (وقال رسول الله ﷺ : كل مسكر) خمر وكل مسكر (حرام) رواه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وقال ﷺ : ألا فكل مسكر خمر وكل خمر حرام رواه أحمد وأبو يعلى وفي الصحيحين أنه ﷺ ينزل عن النبي أي نبيذ العسل فقال : كل شراب انسكر فهو حرام . قال الخطابي : والدلالة فيه من وجهين أحدهما ان الآية لما دلت على تحريم الخمر وكان سماها مجهولا للقوم حسن للشارع ان يقول مراد الله تعالى من هذه اللفظة هذا ويكون على سبيل أحداث لغة كما في الصلاة والصوم والوجه الآخر ان يكون معناه انه كالخمر في الحرمة لأن قوله هذا خمر ان كان حقيقة

وفي صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتّر رواه أبو داود قال الخطابي المفتّر كل شراب يورث القور والحدور في الأعضاء * وأخرج الشيخان عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن * والطبراني من شرب الخمر خرج نور الإيمان من جوفه * وأحمد بسند صحيح مدين الخمر إن مات أي من غير توبة لقي الله كما بد وثن * وابن حبان في صحيحه من لقي الله مد من خمر لقي الله كما بد وثن *

حصل المدعى أو مجازا فكذلك فيكون حكمه كحكمه لأننا بينا أن الشارع ليس مقصوده تعليم اللغات بل تعليم الأحكام وحديث النج المذكور عن الصحيحين يبطل كل تأويل ذكره القائلون بحل الانبذة ويفسد قول من زعم حل ما لا يسكر من الانبذة لأنه صلى الله عليه وسلم سئل عن نوع واحد من الانبذة فأجاب بتحريم الجنس الشامل للقليل والكثير ولو كان ثم تفصيل في كل شيء من أنواعه ومقاديره لذكره ولم يهمله وفي الحديث ما أسكر كثيرة فقليله حرام وفي حديث آخر ما أسكر الفرق منه بفتح الراء كل يسع ستة عشر رطل منه فله الكف منه حرام ذكره العلامة ابن حجر .

﴿وهي﴾ رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتّر رواه أبو داود قال الخطابي: المفتّر كل شراب يورث القور والحدور في الأعضاء . وأخرج الشيخان﴾ وغيرهما ﴿عن أبي هريرة﴾ رضي الله عنه ﴿أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن﴾ زاد في رواية له أبو داود في آخر ولكن التوبة معروضة بعد وفي رواية للنسائي قال: لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن وذكر رابعة فنيها فإذا فعل ذلك فقد خلع ربة الإيمان من عنقه فان تاب تاب الله عليه .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿من شرب الخمر﴾ عالما مختارا ﴿خرج نور الإيمان من جوفه﴾ فان تاب عاد عليه ﴿و﴾ أخرج ﴿أحمد بسند صحيح﴾ أي بسند رجاله رجال الصحيح ﴿مد من﴾ شرب ﴿الخمر ان مات أي من غير توبة لقي الله كما بد وثن . و﴾ أخرج ﴿ابن حبان في صحيحه من لقي الله مد من خمر لقي الله كما بد وثن﴾ وأخرج الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي: كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يشربها في الآخرة . وأخرج البيهقي: من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب لم يشربها في الآخرة وان دخل الجنة . وأخرج مسلم: من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرما في الآخرة .

قال الخطابي: قال البغوي في الشرح السنة: وفي قوله حرما في الآخرة وعيد بأنه لا يدخل الجنة لأن شرب أهل الجنة خمر الا أنهم يصدعون عنها ولا ينزفون ومن دخل الجنة لا يحرم شرابها انتهى . وفيه نظر وحديث البيهقي المذكور يرد للتصريح فيه بأنه لا يشربها وان دخل الجنة .

وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه ثلاثة لا يدخلون الجنة مد من الخمر وقاطع الرحم ومن صدق بالسحر ومن مات مد من الخمر سقاء الله جل وعلا من نهر غرطة قبل وما نهر غرطة قبل وما نهر الغرطة ؟ قال: نهر يجري من فروع المومسات أي الزواني يؤذي أهل النار ريح فروجهم . وأخرج ابن حبان: لا يدخل الجنة مد من خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع الرحم . وأخرج الحاكم وصححه: أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مد من الخمر وأكل الربا وأكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه . وأخرج أحمد: لا يلج حائط القد من مد من الخمر ولا العاق ولا المتأن عطاءه ورواه البزار الا أنه قال: لا يلج جنات الفردوس .

والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال لما حرمت الخمر مشى أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض وقالوا حرمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك * والنسائي عن أبي موسى أنه كان يقول ما أبالي شربت الخمر أو عبدت هذه السارية من دون الله إني في الإثم متقاربان * والطبراني ^{بالذبح} من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر * وهو من شرب حسوة من الخمر لم يقبل الله منه ثلاثة أيام صرفاً ولا عدلاً ومن شرب كأساً لم يقبل الله منه صلاة أربعين صباحاً والمد من الخمر حق على الله أن يسقيه من نهر الخبال قيل يا رسول الله وما نهر الخبال قال صديد أهل النار * والترمذي وحسنه والحاكم وصححه من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال قيل لابن عمر رواه وما نهر الخبال قال نهر من صديد أهل النار *

﴿و﴾ أخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما حرمت الخمر مشى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم إلى بعض وقالوا: حرمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك. ﴿و﴾ أخرج النسائي عن أبي موسى رضي الله عنه أنه كان يقول: ما أبالي شربت الخمر أو عبدت هذه السارية من دون الله إني في الإثم متقاربان ﴿و﴾ وكأنه أخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم: كما بد وثن وما مر عن الصحابة رضي الله عنهم.

﴿و﴾ أخرج الطبراني: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر ﴿و﴾ إن يشرب معهم لأنه تقرير على منكر أفاده العزيزي ومثل ذلك كما قاله الجفني مائدة فيها أن من التقدين فيحرم الجلوس عليها لوجوب إزالة المنكر ﴿و﴾ أي أخرج الطبراني ﴿من شرب حسوة﴾ أي شربه ﴿من الخمر لم يقبل الله منه ثلاثة أيام صرفاً﴾ أي فرضاً ﴿ولا عدلاً﴾ أي نافلة ﴿ومن شرب كأساً لم يقبل الله منه صلاة أربعين صباحاً﴾ قال المناوي: خص الصلاة لأنها أفضل عبادة البدن والأربعين لأن الخمر يبقئ في جوف الشارب وعروقه تلك المدة ﴿والمد من الخمر حق على الله أن يسقيه من نهر الخبال قيل يا رسول الله وما نهر الخبال؟﴾ قال: صديد أهل النار ﴿و﴾ أخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زيارته: والذي نفسى بيده ليعيق أناس من أمي على اشراب وبطر ولعب ولهو فيصبحون قردة وخنازير باستحلالهم المحارم واتخاذهم القينات وشربهم الخمر وأكلهم الربا ولبسهم الحرير وأخرج ابن ماجه وابن حبان في صحيحه يشرب ناس من أمي الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب على رؤسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير. وأخرج الترمذي من رواية عبد القدوس وقد وثق وقال غريب وقد روى الأعمش عن عبد الرحمن بن سابط مرشداً في هذه الأمة خسف ومسح وقد قال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال إذا ظهرت القينات أو القيان والمعازف وشربت الخمر. وأخرج أحمد بسند رواه ثقات: من مات من أمي وهو يشرب الخمر حرم الله عليه شربها في الجنة ومن مات من أمي وهو يتحلى بالذهب حرم الله عليه لباسه في الجنة.

﴿و﴾ أخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه: من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً فان تاب تاب الله عليه ﴿أي قبل توبته﴾ فان عاد إلى شربها ﴿لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحاً﴾ فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال قيل لابن عمر رواه ﴿وما نهر الخبال؟﴾ قال: نهر من صديد أهل النار ﴿و﴾ أخرج النسائي موقوفاً على ابن عمر من شرب الخمر فلم يشتر لم يقبل له صلاة نادام في جوفه أو عروقه منها شيء وإن مات

والطبراني بسند صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم عن ابن عمر قال إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وناسا جلسوا بعد وفاة رسول الله ﷺ ففكروا في أعظم الكبائر فلم يكن عندهم فيها علم فأرسلوني إلى عبد الله بن عمر فسأله فأخبرني أن أعظم الكبائر شرب الخمر فأتيتهم فأخبرتهم فأنكروا ذلك ووثبوا إليه جميعا حتى أتوه في داره فأخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن ملكا من ملوك بني إسرائيل أخذ رجلا فخيره بين أن يشرب الخمر

مات كافرا فإن اتشرب لم تقبل له صلاة أربعين يوما وإن مات فيها مات كافرا . وأخرج الترمذي : من شرب الخمر فجعلها في بطنه لم تقبل منه صلاة سبعا وإن مات فيها مات كافرا فإن أذهبت عقله عن شيء من الفروض وفي رواية عن القرآن لم تقبل له صلاة أربعين يوما وإن مات فيها مات كافرا أي إن كان مستحلا لشربها أو كافرا للنعمة . وأخرج ابن حبان في صحيحه : من شرب الخمر فسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فإن مات دخل النار فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد فشرب فسكر لم يقبل الله صلاة أربعين صباحا فإن مات دخل النار فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال قال يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : عصارة أهل النار . وأخرج الحاكم وقال صحيح على شرطهما : لا يشرب الخمر رجل من أمي فقبل له صلاة أربعين صباحا وأخرج أبو داود كل مخمر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا نجست صلاته أربعين صباحا فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال يا رسول الله ؟ قال : صديد أهل النار ومن سقى صهيرا لا يعرف حلاله من حرامه كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال . وأخرج أحمد عن أسماء بنت بريدة بسند حسن وأحمد والبخاري عن أبي ذر بسند حسن أيضا : من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة فإن مات مات كافرا فإن تاب تاب الله عليه فإن عاد كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال قيل يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : صديد أهل النار . وأخرج الأصبهاني من شرب الخمر سخط الله عليه أربعين صباحا وما يدر به لعل منية تكون في تلك الليالي فإن عاد سخط الله عليه أربعين صباحا فهذه عشرون ومائة ليلة فإن عاد فهو في ردغة الخبال قيل وما ردغة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار وصيدهم . وأخرج الأصبهاني : من فارق الدنيا وهو سكران دخل القبر سكران وبعث سكران وأمر به إلى النار سكران إلى الجبل يقال له سكران فيه عين يجري منها القيح والدم وهو طعامهم وشراهم ما دامت السموات والأرض . وأخرج الحاكم وصححه : من ترك الصلاة سكرًا مرة واحدة فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسلها ومن ترك الصلاة أربع مرات سكرًا كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال ؟ قال : عصارة أهل جهنم . وأخرج أحمد بسند رواه ثقات : ومن ترك الصلاة سكران مرة واحدة فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسلها . وأخرج البيهقي إذا استحلّت أمي خمسا فعليهم الدمار إذا ظهر التلاعن وشربوا الخمر ولبسوا الحرير واتخذوا القينات واكفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء .

﴿ وخرج الطبراني بسند صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم عن ابن عمر ﴾ رضي الله عنهما ﴿ قال : إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وناسا جلسوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففكروا في أعظم الكبائر فلم يكن عندهم فيها أي في أعظم الكبائر ﴾ علم ﴿ قال ﴾ فأرسلوني إلى عبد الله بن عمر ﴿ بن العاص ﴾ رضي الله عنه ﴿ فسأله ﴾ عن ذلك ﴿ فأخبرني أن أعظم الكبائر شرب الخمر فأتيتهم فأخبرتهم ﴾ بما أخبرني ابن عمر ﴿ فأنكروا ذلك ووثبوا ﴾ أي أسرعوا ﴿ إليه ﴾ أي إلى ابن عمر ﴿ وجميعا حتى أتوه في داره فأخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن ملكا من ملوك بني إسرائيل أخذ رجلا فخيره بين أن يشرب الخمر

أَوْ يَقْتُلْ نَفْسًا أَوْ يَزْنِيَ أَوْ يَأْكُلْ لَحْمَ الْخَنْزِيرِ أَوْ يَتْلُو فُلْحَارَ الْخَمْرِ وَأَنَّهُ لَمَّا شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ شَيْءٍ أَرَادَ وَهُ مِنْهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْرِبُهَا فَيَقْبَلُ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَا يَمُوتُ فِي مِائَةِ شَيْءٍ إِلَّا حُرِمَتْ بِهَا عَلَيْهِ الْجَنَّةُ فَإِنْ مَاتَ فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً * وَأَجْمَدُ وَابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ إِنَّ آدَمَ لَمَّا أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا رَبِّ اجْعَلْ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نَسْبِيحُ بِحَمْدِكَ

أَوْ يَقْتُلْ نَفْسًا أَوْ يَزْنِيَ أَوْ يَأْكُلْ لَحْمَ الْخَنْزِيرِ أَوْ يَتْلُو فُلْحَارَ الْخَمْرِ وَأَنَّهُ لَمَّا شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ شَيْءٍ أَرَادَ وَهُ مِنْهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْرِبُهَا فَيَقْبَلُ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَا يَمُوتُ فِي مِائَةِ شَيْءٍ إِلَّا حُرِمَتْ بِهَا عَلَيْهِ الْجَنَّةُ فَإِنْ مَاتَ فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً * هَكَذَا ذَكَرَهُ فِي الزَّوَاجِر .

وَأَخْرَجَ ابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ وَاللَّفْظُ لَهُ وَبِإِسْنَادِهِ مَرْفُوعًا مِثْلَهُ وَذَكَرَ أَنَّهُ الْحَقُوقُ : اجْتَنِبُوا أُمَّ الْخَبَائِثِ فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِنْ كَانٍ قَبْلَكُمْ يَتَعَبَّدُ وَيَعْتَزِلُ النَّاسَ فَعَلَّقَهُ امْرَأَةٌ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ خَادِمًا فَقُلْتُ أَنَا نَدْعُوكَ لِشَاهِدَةٍ فَدَخَلَ فَطَفَقَتْ كُلَّمَا يَدْخُلُ يَابَا أَعْلَقْتَهُ دُونَهُ حَتَّى أَقْبَضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئةً جَالِسَةً وَعِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةٌ فِيهَا خَمْرٌ فَقَالَتْ : أَنَا لَمْ نَدْعُوكَ لِشَاهِدَةٍ وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقْلَ هَذَا الْغُلَامَ أَوْ تَقَعَّ عَلَى أَوْ تَشْرِبَ كَسًا مِنْ هَذَا الْخَمْرِ فَإِنْ آيَتُ صَحَّتْ بِكَ وَفَضَحْتَ فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَدَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ قَالَ : اسْقِنِي كَأْسًا مِنْ هَذَا الْخَمْرِ فَسَقَتْهُ كَأْسًا مِنَ الْخَمْرِ فَقَالَ : زِيدْنِي فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا وَقَتْلَ النَّفْسِ فَاجْتَنَبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعُ إِيْمَانًا وَادِمَانُ الْخَمْرِ فِي صَدْرِ رَجُلٍ أَبَدًا لَوْ شَكَّنَ أَحَدُهُمَا يَخْرُجُ صَاحِبُهُ قَالَ أَبُو الْإِثْمِ : يَعْنِي أَنَّ شَارِبَ الْخَمْرِ إِذَا سَكَّرَ يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ كَلِمَةُ الْكُفْرِ وَيَعُودُ لِسَانُهُ بِذَلِكَ وَيَخَافُ عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يَجْرِيَ عَلَى لِسَانِهِ كَلِمَةُ الْكُفْرِ فَيَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى الْكُفْرِ فَيَبْقَى فِي النَّارِ أَبَدًا لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَنْزِعُ الْإِيْمَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ وَذَلِكَ سَبَبُ ذَنْبِهِ الَّتِي فَعَلَهَا فِي حَيَاتِهِ فَيَبْقَى فِي حَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ .

﴿و﴾ أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ ﴿وَقِيلَ الصَّحِيحُ وَقَعَهُ عَلَى كَعْبٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ﴿إِنَّ آدَمَ﴾ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿لَمَّا أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : يَا رَبِّ اجْعَلْ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا﴾ أَيْ بِالْمَعَاصِ ﴿وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ﴾ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴿وَنَحْنُ نَقْدُ مِنْ لَكَ﴾ فَإِنْ قُلْتُ : مَنْ أَيْنَ عَرَفُوا ذَلِكَ حَتَّى قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ ؟ قُلْتُ : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونُوا عَرَفُوا ذَلِكَ بِأَخْبَارِ اللَّهِ تَعَالَى أَيْ هُمْ أَوْ قَاسُوا الشَّاهِدَ عَلَى الْغَائِبِ . وَقِيلَ أَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا أَنَّ آدَمَ خَلَقَ مِنْ اخْتِلَاطِ مَرْكَبَةٍ عَلِمُوا أَنَّهُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْخَلْقُ وَالْقَضِبُ وَسَبَبُهُ يَتَوَلَّدُ الْفَسَادُ وَسَفْكُ الدَّمَاءِ فَلِهَذَا قَالُوا ذَلِكَ وَقِيلَ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى النَّارَ خَافَتِ الْمَلَائِكَةُ وَقَالُوا : لِمَنْ خَلَقْتَ هَذِهِ النَّارَ ؟ قَالَ لِمَنْ عَصَانِي فَلَمَّا قَالَ أَنِّي جَاعِلٌ فِيهَا لَأَرْضٍ خَلِيفَةً قَالُوا : هُوَ ذَلِكَ .

﴿فَإِنْ قُلْتُ﴾ الْمَلَائِكَةُ مَعْصُومُونَ فَكَيْفَ وَقَعَ مِنْهُمْ هَذَا الْإِعْتِرَاضُ ؟ قُلْتُ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ غَيْرُ مَعْصُومِينَ وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِرُجُوعِهِ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : اجْعَلْ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا . وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى عَصَمَتِهِمْ أَجَابَ عَنْهُ بِأَنَّ هَذَا السُّؤَالُ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى سَبِيلِ التَّعْجِبِ لَا عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ وَالْإِعْتِرَاضِ فَانَّهُمْ تَعَاجَبُوا مِنْ كَمَالِ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَاحْتَاظَ عَلَيْهِ بِمَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ وَلِهَذَا أَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَقِيلَ أَنَّ الْعَبْدَ الْمُخْلِصَ فِي حُبِّ سَيِّدِهِ يَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ عَبْدٌ آخَرُ يَنْصِبُهُ فَكَانَ سَوْأَلُهُمْ عَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ فِي اعْتَظَامِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَنَحْنُ نَسْبِيحُ بِحَمْدِكَ﴾ أَيْ يَقُولُونَ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ وَهِيَ صَلَاةُ الْخَلْقِ وَعَلَيْهَا يَرْزُقُونَ .

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ : أَيْ الْكَلَامُ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : كُلُّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ التَّسْبِيحِ فَالْمُرَادُ مِنْهُ الصَّلَاةُ فَيَكُونُ الْمَعْنَى : وَنَحْنُ نَصَلِّيُ لَكَ . وَقِيلَ أَصْلُ

وقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني آدم قال تعالى للملائكة هل علموا ملكين من الملائكة فننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت قال فاهبطا إلى الأرض فتسلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءها فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تكلمنا بهذه الكلمة من الإشراف قالوا والله لا نشرك بالله شيئا أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت إليهما ومعهما صبي تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالوا والله لا تقتله أبدا فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذا الخمر فشربا وسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة والله ما تركتما من شيء أيسأه علي إلا فعلتماه حين سكرتما فخير عند ذلك بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاخترتا عذاب الدنيا *

التسبيح تنزه الله تعالى لا يليق بجلاله فيكون المعنى: ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك حامدين لك أو متلبسين بحمدك فإنه لو لا انعامك علينا بالتوفيق لم تمكنا من ذلك ﴿وقدس لك﴾ أصل القديس التطهير أى نظهرك عن النقائص وكل سوء ونصفك بما يليق بعزتك وجلالك من العلو والعظمة واللام صلة: وقيل معناه نظهر أنفسنا لظاعتك وعبادك.

﴿قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ قيل أنه جواب لقول الملائكة: أتجعل فيها فقال تعالى: أعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون. وقيل أعلم أن فيهم من يعبدني ويطيعني وهم الأنبياء والأولياء والصالحون ومن يعصين منكم وهو ابليس. وقيل أعلم أنهم يذنبون ويستغفرون فأغفر لهم ﴿قالوا: ربنا نحن أطوع﴾ أى أكثر طاعة ﴿لك من بني آدم﴾ قال تعالى للملائكة: هل علموا ملكين من الملائكة فننظر كيف يعملان قالوا: ربنا هاروت وماروت ﴿إسمان سريانيان﴾ قال ﴿تعالى﴾ فاهبطا إلى الأرض فتسلت لهما الزهرة ﴿وهي امرأة من أحسن البشر فجاءها فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تكلمنا بهذه الكلمة من الإشراف﴾ قالوا: والله لا نشرك بالله شيئا أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت إليهما ومعهما صبي تحمله فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالوا: والله لا تقتله أبدا فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر فشربا وسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما من شيء أيسأه علي إلا فعلتماه حين سكرتما فخير عند ذلك ﴿أى عند ارتكاب المصائب المذكورة﴾ بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاخترتا عذاب الدنيا ﴿هكذا نقله ابن حجر في الزواجر﴾.

وذكر ابن عباس وغيره هذه القصة بأطول مما هنا فقالوا: إن الملائكة لما رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس عليه الصلاة والسلام عيروهم وقالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض واختبرتهم وهم يعصونك فقال الله تعالى: لو أنزلتكم إلى الأرض وركبتم فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوها قالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك، قال الله تعالى: فاخاروا ملكين من خياركم أمهبطهما إلى الأرض فاخاروا هاروت وماروت وكنا من أصلح الملائكة وأعبدهم وكان اسم هاروت عزرا وماروت عزرا فغيرا اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة وأمهبطهما إلى الأرض وأمرهما أو يحكما بين الناس بالحق ونهى هما عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فلذا أسما ذكرا اسم الله الأعظم فضعدا إلى السماء فلما مر عليهما شهر حتى افتنا في أول يوم وذلك أنه اختصا إليهما امرأة يقال لها الزهرة وكانت من أجمل أهل فارس فلما رأيا أخذتا بقلوبهما فقال أحدهما لصاحبه: هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي؟ قال: نعم فإرواها عن نفسها فأبى وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعل مثل ذلك فأبى وقالت: لا إلا أن تعبدنا هذا الصنم وتقتل النفس وتشرب الخمر فقالا: لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعهما قدح خمر وفي أنفسهما من الميل إليهما ما فيها فإرواها عن نفسها وتعرضت عليهما

ما قالت بالأمس فقالا : الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة سرب الخمر فشربا فلما امتثيا وقبا بالمرأة فزينا بها فراهما .
 انسان فقتلاه خوف الفضيحة . وقيل أنهما سجدا للصنم . وقيل جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها فقال أحدهما للآخر :
 هل سقط في نفسك مثل الذي في نفسي ؟ قال : نعم قال : هل لك أن تقضي لها على زوجها ؟ ، فقال له صاحبه : أما تعلم ما عند الله
 من العقوبة والعذاب ؟ ، فقال له صاحبه : أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فسألاها نفسها فقالت : لا إلا أن تقضي لي على زوجي
 فقضيا ثم سألاها نفسها فقالت : لا إلا أن لي صنيما أعبداه أن أتصليهما معي عنده فعلت فقال أحدهما لصاحبه مثل القول الأول فرد
 عليه مثله فصليا معها عنده فمشخت شهابا وقال على بن أبي طالب : رضى الله عنه : قالت لهما : لن تدركاني حتى تخبراني بالذي
 تصعدان به إلى السماء فقالا : اسم الله أكبر فقالت : فما أتيا بملكى حتى تعلمان إياه فقال أحدهما للآخر : علمها فقال انى أخاف الله
 فقال الآخر : فأين رحمة الله فعلمها ذلك فتكلمت به وصعدت إلى السماء فمسخها الله كوكبا . فذهب بعضهم إلى أنها هي الزهرة بعينها
 وأنكر آخرون ذلك وقالوا : أن الزهرة من الكواكب السارة السبعة التي أقسم الله بها قال : فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس . والتي قنت
 هاروت وما روت كانت امرأة تسمى الزهرة لجملها وحسنها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا ،

قالوا : فلما أمسى هاروت وما روت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود إلى السماء فلم تطاوعهما اجتنحتهما فعلمتا ما حمل بهما
 قصدا ادريس عليه الصلاة والسلام وأخبراهما بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عز وجل وقال له رأيتما يصعد لك من العبادة مثل ما
 يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا إلى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاخترارا عذاب الدنيا اذ
 علما أنه يقطع فهما ببابل يعذبان . قيل أنهما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة . وقيل أنهما متكوسان يضربان بسياط الحديد . وقيل أن
 رجلا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلتهما مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس بين السنتهما وبين الماء الا قدر أربع
 أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك ما له فقال : لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قال : لا اله الا الله من أنت ؟ ، قال رجل من الناس
 فقالا : من أى أمة أنت ؟ ، قال : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال : أوقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ، قال : نعم فقالا :
 الحمد لله وأظهر الاستبشار فقال الرجل : مما استبشار كما قال : انه نبى الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا .

* تنبيه * في القول بعصمة بعض الملائكة أجمع المسلمون على أن الملائكة معصومون فضلاء واتفق أئمة المسلمين على أن حكم
 الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شيء ثبت فيه عصمة الأنبياء فكذلك الملائكة
 وأنهم مع الأنبياء في التبليغ اليهم كالأنبياء مع أنهم ثم اختلفوا في غير المرسلين من الملائكة فذهب طائفة من المحققين وجميع المعزلة إلى
 عصمة جميع الملائكة عن جميع الذنوب والمعاصي واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهبت طائفة إلى أن غير المرسلين من
 الملائكة غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وما روت عن على رضى الله عنه وما نقله أهل
 الأخبار والسير ونقله ابن جرير الطبري في تفسيره عن جماعة من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وما روت بالفاظ متقاربة عن على
 بن أبي طالب وابن مسعود وكعب الأخبار والسدى الربيع ومجاهد رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ،

وأجاب من ذهب إلى عصمة جميع الملائكة عن قصة هاروت وما روت بأن ما نقله المفسرون وأهل الأخبار في ذلك لم يصح عن
 رسول الله ﷺ منه شيء وهذه الأخبار إنما أخذت من اليهود وعلم افتراءهم على الملائكة والأنبياء وقد ذكر الله عز وجل في قوله : واتبعوا
 ما تلقوا الشياطين على ملك سليمان وما كثر سليمان الآية افتراء اليهودى على سليمان أولا ثم عطف على ذلك قصة هاروت وما روت

وأبو داود وابن حبان في صحيحه إذا شربوا الخمر فاجلدوهم ثم إن شربوا فاجلدوهم ثم إن شربوا فاقتلوهم *
والترمذي من شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد في الرابعة فاقتلوه * وأبو داود إن الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه
* وابن ماجه والترمذي لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقياها وبائعها وآكل
ثمنها والمشتري لها والمشتراة له

ثانيا قالوا : ومعنى الآية وما كثر سليمان بالسحر الذي افعله عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهودي فأخبر عن افتراءهم وكذبهم وذكروا
أيضا في الجواب عن هذه القصة وأنها باطلة وجوها .

الأول : ان في القصة ان الله تعالى قال للملائكة : لو ابلستم بما ابلت به بنو آدم لعصيتوني قالوا : سبحانك ما كان ينبغي لنا أن
نعصيك . وفيه رد على الله تعالى وذلك كثر وقد ثبت أنهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم .

الوجه الثاني : أنهما خيرا بين عذب الدنيا وعذب الآخرة وذلك فاسد لأن الله تعالى لا يخير من أشراكه وإن كان قد صحت
توبتهما فلا عقوبة عليهما .

الوجه الثالث : أن المرأة لما فجرت فكيف يعقل أنها صنعت إلى السماء وصارت كوكبا وعظم الله قدرها بحيث أقسم بها في
قوله : فلا أقسم بالجنس الجوارى الكفن . فبان بهذه الوجوه ركة هذه القصة والله أعلم بصحة ذلك وسقمه والأولى تنزيه الملائكة عن كل
ما لا يليق بمنصبهم كذا ذكره الخازن .

﴿و﴾ أخرج ﴿أبو داود﴾ واللفظ له ﴿وابن حبان في صحيحه﴾ بنحوه ﴿إذا شربوا الخمر فاجلدوهم﴾ ثانيا ان كانوا أحرارا
والأفعرين ﴿ثم ان شربوا فاجلدوهم ثم ان شربوا فاجلدوهم ثم ان شربوا فاقتلوهم .﴾ و﴿الترمذي﴾ : من شرب الخمر
فاجلدوه فإن عاد في الرابعة فاقتلوه ﴿وأخرج أبو داود والنسائي وابن حبان : إذا سكر فاجلدوه ثم ان سكر فاجلدوه ثم ان عاد في
الرابعة فاقتلوهم .﴾ ﴿و﴾ جاء في السنة الغراء تشديد عظيم في شرب الخمر وبيعها وشراؤها وعصرها وحملها وأكل ثمنها .

وأخرج ﴿أبو داود﴾ : ان الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه ﴿وأخرج أيضا﴾ : لعن الله الخمر وشاربها
وساقياها ومبائعاها وبائعاها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه ورواه ابن ماجه وزاد وأكل ثمنها ﴿و﴾ أخرج ﴿ابن ماجه
والترمذي﴾ واللفظ له وقال حسن غرب قال الحافظ المندري : زواته ثقات ﴿لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة
عاصرها ومعتصرها﴾ أي طالب عصرها ﴿وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقياها وبائعاها وأكل ثمنها﴾ بالمد أي أخذه وخض الأكل
لأنه أغلب وجوه الانتفاع ﴿والمشتري لها والمشتراة له﴾ وأخرج أبو داود : لعن الله اليهود ثلاثا ان الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا
أثمانها ان الله اذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه . وأخرج أيضا : من باع الخمر فليشقص الخنازير . قال الخطابي : معنى هذا
توكيد التحريم والتغليظ فيه يقول : من استحل بيع الخمر فليستحل أكل الخنزير فانهما في الحرمة والاثم سواء فاذا كنت لا تستحل أكل لحم
الخنزير فلا تستحل ثمن الخمر انتهى . وأخرج أحمد بسند صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه : أثنى جبريل عليه السلام
فقال : يا محمد ان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعاها ومبائعاها وساقياها ومستقها وفي رواية يا
محمد ان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعاها ومبائعاها وشاربها وأكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه وساقياها ومستقها وبمجموع
هذه الأحاديث يعلم منها أن ما ذكر فيها كثيرة على أن الأصحاب صرحوا بأكثره فقد قال الصلاح العلاتي : نص الأصحاب على أن البيع

وجاء عنه عليه السلام أنه قال من شرب الخمر في الدنيا سقاء الله من سم الأسود شربة يساقط لحم وجهه في الإثاء قبل أن يشربها فإذا شربها تساقط لحمه وجلده يأذى به أهل النار ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها شركاء في إثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صياما ولا حجا حتى يتوبوا فإن مات قبل التوبة كان حقا على الله أن يسقيه بكل جرعة شربها في الدنيا من صديد جهنم ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام * وروي أن شربة الخمر إذا أتوا على الصراط تحفظهم الزبانية إلى نهر الخبال فيستقون بكل كأس شربوه من الخمر شربة من نهر الخبال فلأن تلك الشربة تصب من السماء لا حترقت السموات من حرها فعوذ بالله منها * وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال إذا مات شارب الخمر فادفنه ثم اصلبوني على خشبة ثم انبشوا عنه قبره فإن لم تروا وجهه مصروفا عن القبلة فاتركوني مصلوبا

الخمر كبيرة يفسق متعاطيه وكذلك يكون حكم الشراء وأكل الثمن والحمل والسقي وأما عاصرها فقالوا : لا يفسق بذلك وينبغي أن يكون ذلك دائر مع القصد فإن نوى به الخمر دخل في حكم الحديث وإن نوى به شيئا غيره لم يدخل . وحكى ابن الصباغ أمساك الخمر ليس بكبيرة ويجوز أمساكها لتقلب خلا . وقال الماوردي : أن أمساكها لذلك لم يحرم وإن قصد ادخارها على حالها فيفسق به وهذا موافق لما أشرنا إليه من معنى القصد انتهى . قال الجلال البلقيني : وما أشار إليه من القصد هو الصواب وأما الحال من القصد فلا انتهى .

والحاصل أن تعمد شرب القليل من الخمر أو التبيذ ولو مطبوخا منع علم التحريم كبيرة وكذا بيعها وشراءها لغير حاجة كداوى أو قصد تخلل وكذا عصرها واعتصارها ونحوهما مما مر أن قصد به شربها أو الإعانة عليه بخلاف نحو أمساكها لقصد أو تخلل قاله في الزواجر ولا يحل الداوى بالخمر فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : اشتكت بنت لي فنبذت لها في كوز فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغلى قال : ما هذا يا أم سلمة ؟ ، فذكرت له أني أداوى به ابنتي فقال صلى الله عليه وسلم : إن الله لم يجعل شفاء أمي فما حرم عليها .

وروي في الخمر أحاديث متفرقة من ذلك ما ذكره أبو نعيم في الحلية عن أبي موسى رضي الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بنيذ في جرة له نشيش فقال : اضربوا بهذا الحائط فإن هذا شراب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان في صدره أية من كتاب الله وصب عليها الخمر يحنى كل حرف من تلك الآية فيأخذ بناصيته حتى يوقفه بين يدي الله تعالى فيخاصمه ومن خاصمه القرآن خصم فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة . وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من قوم اجتمعوا على سكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخر : يا فلان لا جزاك الله عنى خيرا فأنت الذي أوردتنى هذا المورد فيقول الآخر : مثل ذلك وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : من شرب الخمر في الدنيا سقاء الله من سم الأسود أي الحيات شربة يساقط لحم وجهه في الإثاء قبل أن يشربها فإذا شربها تساقط لحمه وجلده يأذى به أهل النار ألا وشاربها ﴿﴾ الخمر ﴿﴾ وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها شركاء في إثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صياما ولا حجا حتى يتوبوا فإن مات قبل التوبة كان حقا على الله أن يسقيه بكل جرعة شربها في الدنيا من صديد جهنم ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام ﴿﴾ كذا ذكره في الزواجر

﴿﴾ وروي أن شربة الخمر إذا أتوا على الصراط تحفظهم الزبانية إلى نهر الخبال فيستقون بكل كأس شربوه من الخمر شربة من نهر الخبال فلأن تلك الشربة تصب من السماء لا حترقت السموات من حرها فعوذ بالله منها وجاء ﴿﴾ في الخبر آثار عن السلف ﴿﴾ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إذا مات شارب الخمر فادفنه ثم اصلبوني على خشبة ثم انبشوا عنه قبره فإن لم تروا وجهه مصروفا عن القبلة فاتركوني مصلوبا ﴿﴾ على تلك الخشبة . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : لا تتعدوا شربة الخمر إذا مرضوا . وقال أيضا : لا تسلموا على شربة الخمر .

وعن علي عليه السلام لو وقعت قطرة من خمر في بئر فبليت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بئر ثم جف ونبت فيه الكلام لم أرعه * وعن ابن عمر لو أدخلت أصبعي فيه لم تبعني أي لقطعها * وحكى عن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه حضر عند تلميذ له حضره الموت فجعل يلقيه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فكررها فقال لا أقولها وأنا بريء منها ثم مات وخرج الفضيل من عنده وهو يبكي ثم رآه بعد مدة في منامه وهو يسحب به إلى النار فقال يا مسكين بم نزع منك المعرفة فقال يا أستاذ كان بي علة فأتيت بعض الأطباء فقال تشرب في كل سنة قدحا من الخمر فان لم تفعل تبقى بك عليك فكنت أشربها في كل سنة لأجل الداوي فهذا حال من شربها للدواي فكيف حال من شربها لغير ذلك نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة * وحكى أنه سئل بعض التائين عن سبب توبته فقال كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتا مصروفين عن القبلة فسألت أهاليهم عنهم فقالوا كانوا يشربون الخمر في الدنيا وماتوا من غير توبة * (وحكى) عن نباش أنه قال نبشت قبراً فرأيت صاحبه قد حول خنزيراً وقد شد بالسلاسل والأغلال في عنقه فخفت منه وأردت الخروج فإذا بقاتل يقول ألا تسأل عن عمله ولم يعذب فقلت لماذا

قال بعض العلماء : وانما نهى عن عبادتهم والسلام عليهم لأن شارب الخمر فاسق ملعون قد لعنه الله ورسوله فان اشتربها أو عصرها كان ملعوناً مرتين وإن سقاها لغيره كان ملعوناً ثلاث مرات فلذلك نهى عن عبادته والسلام عليه إلا أن يتوب فان تاب تاب الله عليه . وقد ذهب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إلى أن الخمر أكبر الكبائر وهي بلا ريب أم الخباثات . (و) روى (عن علي عليه السلام) أنه قال (لو وقعت قطرة من خمر في بئر فبليت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في أي تلك القطرة في بئر ثم جف) أي يس البحر (ونبت فيه الكلام لم أرعه . و) روى (عن ابن عمر) رضي الله عنهما أنه قال (لو أدخلت أصبعي فيه) أي في ذلك البحر الذي وقعت فيه قطرة من الخمر (لم تبعني أي لقطعها) .

(وحكى) عن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه حضر عند تلميذ له حضره الموت فجعل الفضيل يلقيه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فكررها (أي كرر الفضيل كلمة الشهادة لينطق بها) فقال (التلميذ) لا أقولها وأنا بريء منها ثم مات ولم يقل تلك الكلمة وخرج الفضيل من عنده وهو يبكي لما رآه من تلميذه من علامة الشقاوة (ثم رآه بعد مدة في منامه وهو) أي ذلك التلميذ (يسحب) ويجر (به إلى النار فقال) له الفضيل (يا مسكين) أي يا من قل علمه (بم) أي بأي شيء (نزع منك المعرفة ؟ . فقال) يا أستاذ كان بي علة فأتيت بعض الأطباء فقال لي (تشرب في كل سنة قدحا من الخمر فان لم تفعل ذلك تبقى بك عليك فكنت أشربها في كل سنة لأجل الداوي) وقد ذكر هذه الحكاية حجة الاسلام أبو حامد الغزالي في منهاج العابدين (فهذا) أي ما ذكر من حال التلميذ (حال من شربها) أي الخمر (للدواي فكيف حال من شربها لغير ذلك ؟ . نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة) دينا وأخرى . (وحكى) أنه سئل بعض التائين عن سبب توبته فقال : كنت أنبش القبور لأجل أخذ الكفن (فرأيت فيها أمواتا مصروفين) وجوههم (عن القبلة فسألت أهاليهم عنهم فقالوا) أي الأهالي (كانوا) أي هؤلاء الأموات (يشربون الخمر في الدنيا وماتوا من غير توبة) هكذا نقله في الزواجر (وحكى عن نباش) قال الفيومي : نبشته نباشا من باب قتل أي استخرجته من الأرض ونبشت الأرض نباشا أي كسفتها ومنه نبش الرجل القبر والفاعل نباش للمبالغة (أنه قال : نبشت قبراً فرأيت صاحبه قد حول خنزيراً وقد شد بالسلاسل والأغلال في عنقه فخفت منه وأردت الخروج) من القبر (فإذا بقاتل يقول) ولا يرى شخصه (ألا تسأل عن عمله) أي صاحب القبر (ولم) بكسر اللام أي لأي شيء (يعذب فقلت : لماذا ؟) يعذب حتى حول بهذه الصورة

قال كان يشرب الخمر في الدنيا ومات من غير توبة * وحكى عن بعض الصالحين أنه قال مات لي ولد فلما دفنته رأيت بعد مدة في المنام وقد شاب رأسه فقلت يا ولدي دفنتك صغيرا فما الذي شريك فقال يا أبي لما دفنتني دفن إلى جانبي رجل كان يشرب الخمر في الدنيا فزفرت النار لقدومه إلى قبره زفرة لم يبق منا طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها نسأل الله العصمة منها ﴿تنبيه﴾ إن شرب الخمر والتبذ ولو قطرة منها حرام بل هو كبيرة إجماعا ويكفر مستحلها وحد شاربها أربعون جلدة إن كان حرًا

﴿قال: كان﴾ هذا الميت ﴿يشرب الخمر في الدنيا ومات من غير توبة﴾

﴿وحكى﴾ عن بعض الصالحين ﴿رحمه الله تعالى﴾ أنه قال: مات لي ولد فلما دفنته رأيت بعد مدة في المنام وقد شاب رأسه فقلت: يا ولدي دفنتك صغيرا فما الذي شريك ﴿رأسك﴾ ؟ ﴿فقال يا أبي لما دفنتني دفن إلى جانبي رجل كان يشرب الخمر في الدنيا فزفرت النار﴾ أي صوتت صوتا هائلا والزفير في الأصل أول صوت الحمار والشهيق آخره لأن الزفير إدخال النفس والشهيق إخراجها وقد زفر بزفر بالكسر زفيرا والاسم زفرة والجمع زفرات بفتح الفاء ﴿لقدومه إلى قبره زفرة لم يبق منا طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها﴾ هكذا ذكره في الزواجر ﴿نسأل الله العصمة منها﴾ أي من النار .

فينبغي للمسلم أن يمتنع من شرب الخمر ويتقطع عن يشربها فإنه إذا خالط شارب الخمر يخاف عليه أن يصيبه من غباره وينبغي أن يتفكر في هول يوم القيامة فإن تفكر ذلك فلا يميل قلبه إلى شرب الخمر ولا إلى صحبة شاربي الخمر .

وروى عن الحسن البصري رحمه الله تعالى قال: بلغنا أن العبد إذا شرب شربة من الخمر أسود قلبه فإذا شرب الثانية تهرأت منه الحنطة فإذا شرب الثالثة تهرأت منه ملك الموت فإذا شرب الرابعة تهرأت منه النبي صلى الله عليه وسلم فإذا شرب الخامسة تهرأت منه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفي السادسة تهرأت منه جبريل عليه الصلاة والسلام وفي السابعة تهرأت منه اسرافيل عليه الصلاة والسلام وفي الثامنة تهرأت منه ميكائيل عليه السلام وفي التاسعة تهرأت منه السموات وفي العاشرة تهرأت منه الأرض وفي الحادية عشرة تهرأت منه حيوان البحر وفي الثانية عشر تهرأت منه الشمس والقمر وفي الثالثة عشر تهرأت منه كواكب السماء وفي الرابعة عشر تهرأت منه الخلق وفي الخامسة عشر أغلق عليه أبواب الجنان وفي السادسة عشر فتحت أبواب النيران وفي السابعة عشر تهرأت منه حملة العرش وفي الثامنة عشر تهرأت منه الكرسي وفي التاسعة عشر تهرأت منه العرش فإذا شرب عشرين تهرأت منه الجبار تبارك وتعالى كذا ذكره السمرقندي .

﴿تنبيه﴾ . إن شرب الخمر والتبذ ولو قطرة منها حرام بل هو كبيرة إجماعا ويكفر مستحلها ﴿قال الخطيب في شرح المنهاج﴾ : ولم يستحسن الإمام إطلاق القول بتكفير مستحل الخمر قال: كيف يكفر من خالف الإجماع ونحن لا نكفر من يرد أصله وإنما نبذ عنه وأول كلام الأصحاب على ما إذا صدق المجمعين على أن تحريم الخمر ثبت شرعا ثم حلله فإنه رد للشرع حكاة عنه الرافعي وأجاب عنه الزنجاني بأن مستحل الخمر لا يكفر لأنه خالف الإجماع قط بل لأنه خالف ما ثبت ضرورة أنه من دين محمد ﷺ والإجماع والنص عليه .

﴿وحد شاربها﴾ أن كان مكلفا مختارا عالما بتحريم الخمر لغير تداو ﴿أربعون جلدة﴾ وذهبت الأئمة الثلاثة إلى أنه ثمانون ويجب توالي الضربات ليحصل الزجر والتبكيل فلا يجوز أن يفرق على الأيام والساعات لعدم حصول الإيلام المقصود من الحدود والضوابط أنه إن تخلل زمن يزول فيه الألم الأول لم يكف على الأصح ويحد الذكر قائما والأنثى جالسة ويجعل عند المرأة محرم أو امرأة تلف عليها ثيابها إذا انكشفت ويجعل عند الحنثى محرم لا رجل أجنبي ولا امرأة أجنبية ويكفي الحد المذكور ولو تعدد الشرب مرارا كثيرة قبل الحد ﴿وإن كان حراما﴾ ففي مسلم عن أنس رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم يضرب في الخمر بالجريد والنبال أربعين جلدة أي في غالب

وعشرون إن كان قنأ والنبيذ كالحمر فيحد شاربه ولو حنفا وإن لم ينكر عليه ﴿خاتمة﴾ في أكل الحشيشة والبنج * روى أحمد وأبو داود
نهي رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر قال الخطابي المفتر كل ما يورث القور والحد في الأعضاء وقال ﷺ كل مسكر حرام وقال كل ما
أسكر كثيره فقليله حرام ﴿واعلم﴾ أن الحشيشة حرام كالخمر ويحد أكلها أي على قول قال به جماعة من العلماء كما يحد شارب الخمر
أحواله صلى الله عليه وسلم والافقد جلد ثمانين كما في جامع عبد الرزاق ﴿وعشرون﴾ إن كان قنأ ولو سبغها لأنه حد يتبع فتنصف
على الرقيق كحد الزنا وإنما يحد الشاب إن ثبت شره باقراره أو شهادة رجلين لا بريح خمر ومئة مسكر وقى وتجد عثمان رضى الله عنه
اجتهاده .

* ثمة * لا يحد السكران في حال سكره لأن المقصود منه الردع والزجر والتنكيل وذلك لا يحصل مع السكر بل يؤخر وجوبا الى
افاقته ليرتدع فإن حد قبلها ففي الاعتداد به وجهان أحدهما كما قاله البلقيني الاعتداد به ولا في المسجد لخبر أبي داود وغيره : لا تقام
الحدود في المساجد واحتمال أن يلوث من جراحة تحدث ﴿والنبيذ كالخمر﴾ فهو حرام قليلا كان أو كثيرا وخالف الامام أبو حنيفة في
القدر الذي لا يسكر من تبع التمر والزبيب وغيره واستند لأحاديث معلولة بين الحفاظ وأيضا أحاديث التحريم متأخرة فوجب العمل بها
﴿فيحد شاربه﴾ المراد بالشارب المتعاطي شرابا كان أو غيره سواء فيه المتحقق على تحريمه والمتخلف فيه وسواء جامده ومائنه
مطبوخه ونه سواء أتأوله معتقدا تحريمه أم أباحه على المذهب لضعف أدلة الإباحة قاله في المغنى ﴿ولو حنفا وإن لم ينكر عليه﴾ .
﴿خاتمة﴾ سأل الله حسنها ﴿في أكل الحشيشة والبنج﴾ واعلم أن العلماء رضوان الله عليهم قد ذكروا في مضار الحشيشة نحو
مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية منها أنها تورث النسيان والصداع وفساد العقل والسل والاستيقاء والجذام والبرص وسائر الأمراض
وافشاء السر وانشاء الشر وذهاب الحياء وعدم المروءة وغير ذلك ومن أعظم قبائحها أنها تنسى الشهادة عند الموت وجميع قبائحها
موجود في الأفيون والبنج ونحوهما ويزيد الأفيون بأن فيه تغيير الخلقة كما هو مشاهد من أحوال من يتعاطاه .

﴿روى أحمد وأبو داود : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر﴾ حرام ﴿ومفتر وقال الخطابي : المفتر كل ما يورث
القور والحد في الأعضاء﴾ وتقدم هذا أول الباب ﴿وقال صلى الله عليه وسلم : كل مسكر﴾ خمر وكل مسكر ﴿حرام﴾ رواه
الشيخان وغيرهما ﴿وقال﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿كل ما أسكر كثيره فقليله حرام﴾ قال المناوي : فيه شمول للمسكر من غير العنب
وعليه الأئمة الثلاثة وخالف الحنفية وقال ابن المنذر : أجمعت الأمة على أن عصر العنب إذا غلت ورمت بالزبد أنها حرام وإن الحد
واجب في القليل منها والكثير وجمهورهم على أن ما أسكر كثيره من غير عصر العنب أنه يحرم كثيره وقليله والحد في ذلك واجب . وقال
أبو حنيفة وسفيان وابن أبي ليلى وابن سيرين وجماعة من فقهاء الكوفة : ما أسكر كثيره من غير عصر العنب فحرام وما لا يسكر منه حلال
وإذا أسكر حد منه دون أن يعتمد الوصول الى حد السكر فلا حد عليه . قال ابن عطية : وهذا القول لأبي بكر وعمر والصحابة على
خلافه كذا ذكره العلقمي عن الدميمي وهذا الحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي والبيهقي عن جابر بإسناد صحيح قاله العزيزي .

﴿واعلم أن الحشيشة﴾ المعروفة ﴿حرام كالخمر ويحد أكلها أي على قول قال به جماعة من العلماء كما يحد شارب الخمر﴾ قال
ابن حجر : وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج افسادا عجيبا حتى يصير في متعاطيها تخنث قبيح وديانة عجيبة
وغير ذلك من المفاسد فلا يصير له من المروءة شيء ألبتة ويشاهد من أحواله خنوة الطبع وفساده وانقلابه الى أشر من طبع النساء ومن
الديانة على زوجته وأهله فضلا عن الأجانب وكذا متعاطي نحو البنج والأفيون وغيرهما والخمر أخبث من جهة أنها تفضي الى الصيال

وقال ابن تيمية وأقره أهل مذهبه من زعم حل الحشيشة كثر . وقيل أنها نجسة كالخمر وهو الصحيح أي عند الحنابلة وبعض الشافعية وقيل المائنة نجسة والجامدة طاهرة وإنما لم يذكرها العلماء الأربعة لأنها لم تكن في عهد السلف الماضين وإنما حدثت في مجيء التار إلى بلاد الإسلام * وذكر الماوردي قولاً أن النباتات فيها شدة مطرية يجب الحد على أكلها ورأي آخرون من العلماء تعزير أكلها كالبيج نسأله الله أن يجنبنا المسكرات ويحمينا عن المخدرات .

على الغير وإلى المخاصمة والمقاتلة والبطش وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة وإنما يقول القول بأنه يحد وأن أكلها ينشئ ويشتهرها كالخمر وأكثر حتى لا يصبر عنها وتصد عنه ذكر الله وعن الصلاة مع ما فيها من تلك القبائح وسبب اختلاف العلماء في الحد فيها وفي نجاستها كونها جامدة مطعومة ليست شراباً .

﴿ قال ﴾ أحمد ﴿ ابن تيمية وأقره أهل مذهبه : من زعم حل الحشيشة كثر . وقيل أنها نجسة كالخمر وهو الصحيح أي عند الحنابلة وبعض الشافعية ﴾ وقيل ظاهرة لجمودها وهو الصحيح عند الشافعية ﴿ وقيل المائنة نجسة والجامدة طاهرة ﴾ وعلى كل حال فهي داخلية فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظاً ومعنى . وقال أبو موسى : أقتنا في شرابين كنا تصنعهما باليمن البع وهو من العسل بنيذ حتى يشتد والمزج وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام رواه مسلم . ولم يفرق صلى الله عليه وسلم بين نوع ونوع ككونه مأكولاً أو مشروباً على أن الخمر قد يتأدم بها بالخبز والحشيشة قد تذاب فكل منهما يؤكل ويشرب ﴿ وإنما لم يذكرها ﴾ أي الحشيشة ﴿ العلماء الأربعة لأنها لم تكن في عهد السلف الماضين وإنما حدثت في مجيء التار إلى بلاد الإسلام ، وذكر الماوردي قولاً أن النباتات فيها شدة مطرية يجب الحد على أكلها ورأي آخرون من العلماء تعزير أكلها كالبيج نسأله أن يجنبنا ﴾ أي يبعدنا ﴿ المسكرات ويحمينا عن المخدرات ﴾ .

حكى عن عبد الملك بن مروان أن شاباً جاء إليه باقياً حزناً فقال : يا أمر المؤمنين اني ارتكبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة ؟ ، فقال : وما ذنبك ؟ قال : ذنبي عظيم ، وما هو ؟ قب إلى الله فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات قال : يا أمير المؤمنين أنبش القبور وكنت أرى فيها أموراً عجيبة قال : ما رأيت ؟ ، قال : يا أمر المؤمنين نبشت ليلة قبراً فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه وأردت الخروج وإذا بقاتل في القبر يقول : ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة ؟ ، فقلت : لماذا حول ؟ قال : لأنه كان مستخفاً بالصلاة فهذا جزاء مثله ثم نبشت قبراً آخر فرأيت صاحبه قد حول خنزيراً وقد شد بالسلاسل والأغلال في عنقه فخفت منه وأردت الخروج وإذا بقاتل يقول : ألا تسأل عن عمله لماذا ؟ ، فقلت : لماذا ؟ ، فقال : كان يشرب الخمر ومات من غير توبة ثم نبشت قبراً آخر فوجدت صاحبه قد صد في الأرض أو نار من نار وأخرج لسانه من فمائه فخفت ورجعت وأردت الخروج فنوديت ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلى ؟ فقالت : لماذا ؟ فقال : كان لا يتحرز من البول وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله ثم نبشت قبراً آخر فوجدت صاحبه قد اشتعل بالنار فخفت وأردت الخروج فقيل لي : ألا تسأل عنه وعن حاله ؟ ، فقالت : وما حاله ؟ قال : كان تاركا للصلاة فهذا جزاء مثله ثم نبشت قبراً آخر فرأيت قد وسع على مد البصر وفيه نور ساطع والميت نائم على سريره وقد أشرق نوره وعليه ثياب حسنة فلأخذتني منه هبة فأردت الخروج فقيل لي : ألا تسأل عن حاله لماذا أكرم بهذه الكرامة ؟ ، فقالت : لماذا ؟ فقيل لي : انه كان شاباً طامناً نشأ في طاعة الله عز وجل وعبادته فقال عبد الملك عند ذلك : ان في ذلك لعبرة للعاصين وبشارة للطائعين جعلنا الله من أظلامه بينة وكرمه آيين .

﴿باب في اليمين الفاجرة﴾

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ أي يستبدلون ويأخذون ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ أي بما عهد إليهم ﴿وَأَيَّمَانِهِمْ﴾ أي الكاذبة ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي عرضا يسيرا من الدنيا ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي لا نصيب لهم من نعيمها وثوابها ﴿وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ﴾ أي بكلام يسر ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ أي نظر رحمة ﴿وَلَا يَزْكِيهِمْ﴾ أي لا يريد لهم خيرا ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ أي مؤلم شديد الإيلام * وأخرج الشيخان عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله إن الذين يشترون بعهد الله إلى آخر الآية *

﴿باب في اليمين الفاجرة﴾

وفسرهما الزركشي بما يشمل الكاذبة وإن لم تكن غموسا فقال: وهي عبارة عن اليمين الغموس وهي التي يحلف بها باطلا أو يبطل بها حقا سميت غموسا لأنها تقمس صاحبها في النار انتهى. فقله يحلف بها باطلا أي وإن لم يبطل بها حقا وهذه لا تسمى غموسا اصطلاحا خلافا لما يورعه كلام الزركشي المذكور.

﴿قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ: أَيِ يَسْتَبْدِلُونَ وَيَأْخُذُونَ. بِعَهْدِ اللَّهِ: أَيِ بِمَا عَاهَدَ إِلَيْهِمْ. وَأَيَّمَانِهِمْ: أَيِ الْكَاذِبَةِ. ثَمَنًا قَلِيلًا: أَيِ عَرْضًا يَسِيرًا مِنَ الدُّنْيَا﴾ وهو ما يحلفون عليه كاذبين ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ: أَيِ لَا نَصِيبَ لَهُمْ مِنْ نَعِيمِهَا وَثَوَابِهَا. وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ: أَيِ يَكْلَمُهُمْ يَسْرًا. وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: أَيِ نَظَرِ رَحْمَةٍ. وَلَا يَزْكِيهِمْ: أَيِ لَا يَرِيدُ لَهُمْ خَيْرًا﴾ ولا شيء عليهم بالجميل ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ: أَيِ مُؤَلِّمٌ شَدِيدٌ الْإِيلَامِ﴾ نزلت كما يعلم بما يأتي في الأحاديث الصحيحة وفي رجلين اختصنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أرض فهم المدعى عليه أن يحلف فلما نزلت نكل وأقر للمدعى بحقه.

﴿وأخرج الشيخان﴾ وغيرهما ﴿عن ابن مسعود﴾ رضى الله عنه ﴿أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم﴾ أي لأجل أن يأخذه أو يدفعه عن نفسه وتقيده بالمسلم اتفقت ﴿بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان﴾ أي معرض عنه قال عبد الله ﴿ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه﴾ أي ما يدل على صدق الحديث ﴿من كتاب الله إن الذين يشترون بعهد الله﴾ وأيمانهم ثمنا قليلا ﴿إلى آخر الآية﴾ قال: فدخل الأشعث بن قيس الكندي فقال: ما يجدكم أبو عبد الرحمن فقلنا: كذا وكذا فقال: صدق أبو عبد الرحمن كان ينسب بين رجل خصومة في بر فاخصمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهدك أو يمينة قلت: اذن يحلف ولا يبالى فقال صلى الله عليه وسلم: من حلف على يمين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان. ونزلت أن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا إلى آخر الآية.

وأخرج مسلم وغيره: جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا الحضرمي: يا رسول الله ان هذا قد غلبني على أرض كانت لأبي فقال الكندي: هي أرض في يدي أزرعها ليس له فيها حق فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألك بينة؟ قال: لا تلك يمينة قال: يا رسول الله ان الرجل فاجر لا يبالى على ما حلف عليه وليس يتورع عن شيء قال: ليس لك منه الا ذلك فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أدبر: لن حلف على ماله يأكل ظلما ليلتين الله وهو عنه معرض. وأخرج أبو داود: ان رجلا من كندة وأخرى من حضرموت اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرض باليمن فقال الحضرمي: يا رسول الله اغتصبنيها أبو هذا وهي في يده فقال: هل لك من بينة؟ قال: لا ولكن أحلفه بالله ما يعلم أنها أرضى اغتصبنيها أبو فتهبأ

والطبراني والحاكم وصححه من اقتطع مال امرئ مسلم يمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار قيل يا رسول الله وإن كان شيئا يسيرا قال وإن كان شراكا * وأبنا ماجه وحبان من حلف على يمين آثمة عند منبري هذا فليتبوا مقعده من النار ولو على سواك أخضر * والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كما نعد من الذنب الذي ليس له كفاة اليمين الغموس قيل وما اليمين الغموس قال الرجل يقطع يمينه مال الرجل * وهو والطبراني أن الله جل ذكره أذن لي أن أحدث عن ديك قدمرت رجلاه الأرض وعنقه منق تحت العرش وهو يقول سبحانه ما أعظمك ربنا فإرد عليه ما علم بي من حلف كاذبا *

الكندى اليمين فقال صلى الله عليه وسلم : لا يقطع أحد ما لا يمين الا لقي الله وهو أجزم فقال الكندى : هي أرضه . وأخرج ابن ماجه : من حلف على يمين يقطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله أجزم . وأخرج أحمد بسند حسن وأبو يعلى والبزار والطبراني : اختصم رجلان الى النبي صلى الله عليه وسلم في أرض أحدهما من حضر موت فجعل صلى الله عليه وسلم يمين أحدهما فضج الآخر فقال : اذن يذهب بأرضي فقال : ان هو أقطعها يمينه ظلما كان ممن لا ينظر الى الله اليه يوم القيامة ولا يزيكه وله عذاب أليم وورع الآخر فردها قال الحافظ المنذرى : وقد وردت هذه القصة من غير ما وجه وورع يكسر الراء أى تخرج من الاثم وكف عما هو قاصده ويحتمل أنه يفتح الراء أى جبن وهو معنى ضمها أيضا والأول أظهر .

وأخرج البخارى وغيره الكبار الاشراك وعقوق الوالدين واليمين الغموس وفي رواية له أن أعربيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما أكبر الكبائر ؟ قال : الاشراك بالله ثم ماذا ؟ اليمين الغموس قال : وما يمين الغموس ؟ قال : الذي يقطع مال امرئ مسلم يعنى يمين هو فيها كاذب . وأخرج الطبراني وابن ماجه في صحيحه واللفظ له : من أكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس والذي تقسى يده لا يحلف رجل مثل جناح بعوضة الا كانت كبة في قلبه يوم القيامة . وأخرج الطبراني في الأوسط بسند قيل رجاله موثقون : أكبر الكبائر الاشراك بالله واليمين الغموس وزواه الترمذى وحسنه وقال : وما حلف بالله يمين صبر فأدخل فيها مثل جناح بعوضة الا جعلت نكبة في قلبه الى يوم القيامة .

﴿و﴾ أخرج ﴿الطبراني﴾ واللفظ له ﴿والحاكم﴾ وصححه : من اقتطع مال امرئ مسلم يمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار قيل يا رسول الله وإن كان شيئا يسيرا ؟ قال : ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وإن كان شراكا ﴿وأخرج مالك مسلم والنسائي وابن ماجه : من اقتطع حق امرئ مسلم يمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة قالوا : وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله ؟ قال : وإن كان قضيا من أراك زاد مالك : وإن كان قضيا من أراك وإن كان قضيا من أراك . وأخرج ابن ماجه بسند صحيح : لا يحلف عند هذا المنبر عبد ولا أمة على يمين آثمة ولو على سواك رطب الا وجبت له النار ﴿و﴾ أخرج ﴿أبنا ماجه وحبان﴾ واللفظ لابن ماجه ﴿من حلف على يمين آثمة عند منبري هذا﴾ يعنى منبر المدينة ﴿فليتبوا مقعده من النار ولو على سواك أخضر﴾ ويستفاد منه وبما قبله كما ذكره أبو عبيدة والخطابي أن اليمين كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المنبر ﴿و﴾ أخرج ﴿الحاكم﴾ وقال صحيح على شرطهما ﴿عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كما نعد من الذنب الذي ليس له كفاة اليمين الغموس قيل : وما اليمين الغموس ؟ قال : الرجل يقطع يمينه مال الرجل . وهو﴾ أى وأخرج الحاكم وصححه ﴿والطبراني﴾ بسند صحيح ﴿ان الله جل ذكره أذن لي أن أحدث عن ديك قدمرت رجلاه الأرض وعنقه منق تحت العرش وهو يقول : سبحانه ما أعظمك ربنا فإرد عليه ما علم بي من حلف كاذبا﴾ .

والطبراني عن جبير بن مطعم أنه اقتدى يمينه بعشرة آلاف درهم ثم قال ورب الكعبة لو حلفت حلفت صادقا وانما هو شيء اقتديت به يميني * وروى عن الأشعث بن قيس أنه اشترى يمينه مرة بسبعين ألفا وحكى عن الشافعي رحمته الله أنه قال ما حلفت بالله في عمري لا كاذبا ولا صادقا نتيجه إن اليمين الفاجرة حرام بل هي كبيرة اتفاقا .

باب في شهادة الزور

أخرج الشيخان عن أبي بكر قال كما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا قالوا بلى يا رسول الله قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وشهادة الزور ألا وشهادة الزور وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت *

هو أخرج الطبراني باسناد جيد عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه اقتدى يمينه بعشرة آلاف درهم ثم قال ورب الكعبة لو حلفت حلفت صادقا وانما هو شيء اقتديت به يميني . وروى عن الأشعث بن قيس أنه اشترى يمينه مرة بسبعين ألفا هكذا ذكره ذكره في الزواجر . وحكى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : ما حلفت بالله في عمري لا كاذبا ولا صادقا نتيجه . إن اليمين الفاجرة حرام بل هي كبيرة اتفاقا كما قاله ابن حجر في الزواجر .

باب ذم شهادة الزور وقبولها

أخرج الشيخان عن أبي بكر واسمه تميم بن الحرث رضي الله عنه قال : كما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر جمع كبيرة وهي كل ما ورد فيه وعيد شديد في الكتاب أو السنة وإن لم يكن فيه حد على الأصح قاله الزيدى ثلاثا قالوا : بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم الإشراك بالله وعقوق الوالدين أو أحدهما وجمعها لأن عقوق أحدهما يستلزم عقوق الآخر غالبا أو يجر إليه وضابطه أن يفعل معهما ما يتأذيان به تأذيا ليس بالهين وليس المناط وجود التأذي الكبير بل أن يكون ذلك من شأنه أو يتأذى منه كثيرا .

فإن قلت أكبر الكبائر لا يكون الا واحدا وهو الشرك فكيف تعدد ههنا وأيضا فنحو القتل والزنا أكبر من العقوق فلم حذفا ؟ قلت ادعاء أن الأكبر لا يكون الا واحدا انما هو أن أريد الحقيقة أما أن أريد بالأكبر النسبي فهو يكون متعددا ولا شك أن الأكبر بالنسبة إلى بقية الكبائر أمور أشار إليها صلى الله عليه وسلم بقوله : اتقوا النسب الموبقات الحديث ، وحشد فالأكبر ههنا لتعدد في الجواب يراد به الأمر النسبي وانما ترك ذكر القتل ونحوه في هذا الحديث لأنه علم من أحاديث آخر أن ذلك أكبر الكبائر بعد الشرك على أنه صلى الله عليه وسلم كان يراعى في مثل ذلك احوال الحاضرين كقوله : أفضل الأعمال الصلاة لأول وقتها وأخرى : أفضل الأعمال بر الوالدين وغير ذلك من نظائره مما لا تحصى ألا وشهادة الزور ألا وشهادة الزور وكان صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس تنبيها على عظيم اثمها فما زال يكررها أي جملة ألا وشهادة الزور حتى قلنا ليته سكت صلى الله عليه وسلم ورواه الترمذي في الشمائل بلفظ : وجلس وكان متكئا فقال : ألا وشهادة الزور أو وقول الزور وعند البخاري : ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يقولها حتى : ألايته سكت وروى البخاري أيضا من حديث أنس رضي الله عنه : أكبر الكبائر الإشراك وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور .

وأبو داود والترمذي صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح فلما انصرف قام قائما فقال عدلت شهادة الزور الإشراف بالله ثلاث مرات ثم قرأ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به * وأحمد من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار * والطبراني من كتم شهادة إذا دعي إليها كان كمن شهد بالزور **تنبيه** إن شهادة الزور وهي أن يشهد بما لا يتحققه حرام بل صرحوا بأنها كبيرة قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام وإذا كان الشاهد بها كاذبا أثم ثلاثة آثام إثم المعصية وإثم إعانة الظالم وإثم خذلان المظلوم وإذا كان صادقا أثم إثم المعصية لا غير تسببه في براءة ذمة الظالم وإيصال المظلوم إلى حقه.

و أخرج **أبو داود** **و** **اللفظ له** **و** **الترمذي** **و** **ابن ماجه** عن **أمين بن خريم** **و** **صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فلما انصرف قام قائما فقال** **صلى الله عليه وسلم** **عدلت شهادة الزور الإشراف بالله** **قاله** **ثلاث مرات ثم قرأ** **رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى** **فاجتنبوا الرجس من الأوثان** **أي** **اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل** **سمى الأوثان رجسا لأن عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات** **و** **اجتنبوا قول الزور** **أي** **الكذب والبهتان وقال ابن عباس رضى الله عنهما** **هي شهادة الزور** **و** **حنفاء لله** **أي** **مخلصين له** **و** **غير مشركين به** **فدل ذلك على أن المكلف ينوي بما يأتيه من العبادة الإخلاص لله بها لا غيره ورواه الطبراني موقوفا على ابن مسعود بسند حسن.**

و **أخرج أحمد** **بسند رواه ثقات** **من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار** **وأخرج الطبراني أن الطير تغرب بمنافيرها وتحرك أذنابها من هول يوم القيامة وما يتكلم به شاهد الزور ولا يفارق قدماء الأرض حتى يتدف به في النار** **و** **أخرج الطبراني** **من رواية من احتج به البخاري عن أبي موسى** **من كتم شهادة إذا دعي إليها** **أي** **لأدائها عند القاضي أو المحكم بشرطه أما من دعي لأداء الشهادة عند أمير أو في مجلس عرقي فامتنع فلا يدخل في هذا الوعيد** **و** **كان كمن شهد بالزور** **فكتمان الشهادة من الكبائر.**

تنبيه . **إن شهادة الزور** **قال البيضاوي** : **والزور من الزور وهو الانحراف كما أن الافك هو الصرف فإن الكذب منحرف مصروف عن الواقع** **و** **وهي أن يشهد الشاهد** **بما لا يتحققه حرام بل صرحوا بأنها كبيرة** . **قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام** **رحمه الله تعالى** **وعدها كبيرة طاهر أن وقع في مال خطير فإن وقع في مال قليل كريمة أو تمرة فمشكل فيجوز أن تجعل من الكبائر فطما عن هذه المفاسد كما جعل شرب قطرة من الخمر من الكبائر وإن لم تحقق المفسدة ويجوز أن يضبط ذلك المال بنصاب السرقة قال : وكذلك القول في أكل مال اليتيم قال في الخادم : ويشهد للثاني ما سبق عن الحروري أي وهو اشتراطه في كون الغصب كبيرة أن يكون المغصوب ربيع دينار لكن عن ابن عبد السلام نفسه أنه حكى الإجماع على أن غصب الحبة وسرقها كبيرة وهذا مؤيد للأول أعنى أنه لا فرق في كون شهادة الزور كبيرة بين قليل المال وكثيره فطما عن هذه المفسدة القبيحة الشنيعة جدا ومن ثم جعلت عدلا للشرك ووقع له صلى الله عليه وسلم عند ذكرها من الغضب والتكرير ما لم يقع له عند ما هو أكبر منها كالقتل والزنا فدل ذلك على عظم أمرها ومن ثم جعلت في بعض الأحاديث السابقة أكبر الكبائر.**

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام أيضا **و** **إذا كان الشاهد بها كاذبا أثم ثلاثة آثام إثم المعصية وإثم إعانة الظالم وإثم خذلان المظلوم وإذا كان صادقا أثم إثم المعصية لا غير تسببه في براءة ذمة الظالم وإيصال المظلوم إلى حقه** **قال** : **ومن شهد بحق فإن كان صادقا أجر على قصده وطاعته وعلى إيصال الحق إلى مستحقه وعلى تخليص الظالم من الظلم وإن كان كاذبا بسبب سقوط الحق الذي تحمل**

﴿باب التوبة﴾

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي التي كُتب على نفسه قبولها بفضله ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ أي جاهلين إذا عصوا ربهم ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ﴾ زمن ﴿قَرِيبٍ﴾ قبل أن يفرغ وقبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها أو صحته قبل مرض موته ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

الشهادة به وهو لا يشعر بسقوطه أثيب على قصده ولا يثاب على شهادته لأنها مضرّة بالخصمين قال : وفي تفرغيه ورجوعه على الظالم بما أخذه من المظلم نظر إذا الخطاء والجهل في الأسباب والمباشرات سواء في باب الضمان أنت .

* خاتمة * قد عد العلامة ابن حجر في الزواج كتمان الشهادة بلا عذر من الكبائر وقيد الجلال البلقيني بما إذا ادعى إليها لقوله تعالى : ولا يابى الشهداء إذا ما دعوا . أما من كانت عنده شهادة الرجل وهو لا يعلم بها أو كان شاهدا في أمر لا يحتاج إلى الدعوى بل يجوز حسبه فلم يشهد بذلك ولم يعلم صاحب الحق حتى يدعى به هل يسمى ذلك كتماناً ؟ فيه نظر وكلام الشيخين في الأداء دليل على أنه ليس قاذحاً انتهى . وفيه نظر كما قاله بعضهم والآية لا تدل لما قيد به فالأوجه أنه لا فرق والله أعلم .

﴿باب التوبة﴾

اعلم أن الآيات فيها كثيرة مشهورة ﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴾ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالى : والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً وقال عز وجل ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي التي كُتب على نفسه قبولها بفضله وليس المراد به الوجوب إذ لا يجب على الله شيء ولكنه تأكيد للوعد يعني أنه يكون لا محالة كالواجب الذي لا يترك ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ﴾ يعني الذنوب والمعاصي سميت سوء السوء عاقبتها إذ لم يشب منها ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ أي جاهلين إذا عصوا ربهم .

قال قتادة رحمه الله تعالى : أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على أن كل شيء عصى الله به فهو جهالة عمداً كان أو غيره وكل من عصى الله فهو جاهل من جهالته عمل السوء فكل من عصى الله سمي جاهلاً وسمى فعله جهالة وإنما سمي من عصى الله جاهلاً لأنه لم يستعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب وإذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلاً بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة أن يأتي الإنسان بالذنب مع العلم بأنه ذنب لكنه يجهل عقوبته . وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ﴾ زمن . ﴿قَرِيبٍ﴾ لا يبعد في زمرة المصيرين ﴿قَبْلَ أَنْ يَفْرَغَ وَقَبْلَ أَنْ يَحِيطَ السُّوءُ بِحَسَنَاتِهِ فِيحْبُطَهَا أَوْ﴾ القرب أن يتوب ﴿صَحْتَهُ قَبْلَ مَرَضِ مَوْتِهِ﴾ وإنما سميت هذه المدة قريبة لأن كل ما هو آت قريب وفيه تنبيه على أن عمر الإنسان وإن طال فهو قليل وإن الإنسان يتوقع في كل ساعة لحظة نزول الموت به وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يفرغ .

والفرغ أن يجعل المشروب في فم المريض فيرده في الحلق ولا يصل إليه ولا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح إلى الحلقوم . وروى البغوي بسنده عن ابن سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوى عبادك ما دامت الأرواح في أجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي وارْتَفَاعُ مَكَانِي لَا أزال أغفر لهم ما استغفروني .

﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : علم ما في قلوب

ولست التوبة للذي يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن فلا تنفعه ولا تقبل منه ولا الذين يموتون وهم كفار وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا

عباده المؤمنين من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فوافناقة . (ولست التوبة للذين يعملون السيئات) قال ابن عباس: يريد الشرك وقال أبو العالية وسعيد بن جبير: هم المنافقون وقال سفيان الثوري: هم المسلمون ألا ترى أنه قال: ولا الذين يموتون وهم كفار حتى إذا حضر أحدهم الموت يعني وقع في النزع وعابن ملائكة الموت وهو حالة السرق حين تساق الروح للخروج من جسده (قال إني تبت الآن: فلا تنفعه) توبته (ولا تقبل منه) قال المحققون: قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الأحوال التي لا يمكن معها الرجوع إلى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا إيمانه وهو قوله تعالى: حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى: فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا .

(فإن قلت) قد تعلقت الوعيدية بهذه الآية وقالوا خبر الله تعالى أن عصاة المؤمنين إذا أهلكوا أمرهم إلى انقضاء أجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار ولأن الله تعالى جمعهم في قوله: أولئك أعدنا لهم عذابا أليما . وأيضا أنه تعالى أخبر أنه لا توبة لهم عند معاينة الموت وأسبابه .

قلت ليس الأمر كما زعموا فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: وليست التوبة للذين يعملون السيئات . يزيد الشرك وقال سعيد بن جبير: نزلت هذه الآية الأولى في المؤمنين يعني قوله تعالى: إنما التوبة على الله . والوسطى في المنافقين يعني قوله تعالى: وليست التوبة . والأخرى في الكافرين يعني قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار . وإذا كانت الآية الأولى نازلة فلا وجه لحملها على المؤمنين وعلى تقدير أن تكون الآية نازلة في عصاة المؤمنين فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: وليست التوبة ثم أنزل الله تعالى بعد ذلك: أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر وأرجاء أهل التوحيد على مشيئته ولم يؤسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة في حق المؤمنين .

(ولا الذين يموتون وهم كفار) أولئك أعدنا لهم عذابا أليما . معناه لا توبة للكفار إذا ماتوا على كفرهم وإنما لم تقبل توبتهم في الآخرة لرفع التكليف فيها ومعاينة ما وعدوا به من العقاب (وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) أي بالغة في النصيحة وهي صفة التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة وصفت بهم على إسناد الجازي مبالغة أو النصيحة بالكسر وهي الخياطة وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر تقديره ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا نصوحا لأنفسكم .

وقال صاحب الصغائر: يقال أن التوبة من طريق المعنى على ثلاثة أنواع ومن طريق اللفظ وسبيل اللطف على ثلاث وثلاثين درجة ثم قال: وأما درجات اللطف في الأولى أن الله أمر الخلق بالتوبة وأشار بأنها التي تليق بحال المؤمن: وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون . الثانية: لا تكون التوبة مثمرة حتى يتم أمرها توبوا إلى الله توبة نصوحا ومعنى النصوح الخالص لله خاليا عن الشوائب مؤخوذ من النصيح بضم فسكون على وزن فعول للمبالغة في النصيح وهو الخلوص ومنه قولهم نصح العسل إذا صفا كما تقدم وفي القوت قيل اشتقاقه من النصيح بالكسر وهو الخيط والمعنى حينئذ أي مجردة لاتعلق بشيء ولا يتعلق بشيء وهو الإستقامة على الطاعة من غير روغان إلى معصية كما تزوغ الثعالب وإن لا يحدث نفسه بعود إلى ذنب متى قدر عليه وإن يترك الدنيا لأجل الله خالصة لوجهه كما لا تركه لأجل هواه

عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار . وقال تعالى ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما * وأخرج الشيخان والترمذي عن الحارث بن يزيد قال قال ابن مسعود سمعت رسول الله ﷺ يقول لله أفرج بوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض وبينه له مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومه فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليوت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالتفت إليه أشد فرحاً بوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده *

مجما عليه بقلبه فمضى لى الله تعالى بقلب سليم من الهوى وعمل نستقيم على السنة فقد ختم الله له بحسن الخاتمة وهذا هو التوبة النصوح وهذا العبد التواب المطهر الحبيب .

وسئل الحسن عن التوبة النصوح فقال : هي ندم بالقلب واستغفار باللسان وتركية الجوارح وإضمار أن لا يعود . وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي بن كعب التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لا تعود إليه أبداً . وقال عمر بن الخطاب وأبي بن كعب ومعاذ رضي الله عنهم التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع . وقال محمد بن كعب القرظي التوبة النصوح بجمعها أربعة أشياء : الاستغفار باللسان والاقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالحنان ومهاجرة مسبب الإخوان وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال : تجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة والفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وإن تعزم أن لا تعود وإن ترى نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وقال القرطبي في تفسير التوبة النصوح ثلاثة وعشرون قولاً .

﴿ عسى ربكم أن يكفر سيئاتكم ﴾ هذا إطماع من الله تعالى لعباده في قبول التوبة وذلك تفضلاً وجوباً عليه ﴿ ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ يوم لا يجزى الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ﴿ وقال تعالى : ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ﴾ نزلت هذه الآية في ترغيب طمعه في التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت في قومه الذين جادلوا عنه وقيل هي عامة في كل مسمى ومذنب لأن خصوص السبب لا يمنع من إطلاق الحكم ومعنى الآية ومن يعمل سوءاً يسئ به غيره وإنما خص ما يتعدى إلى الغير باسم السوء لأن ذلك يكون في الأكثر أيضاً للضرر إلى الغير أو يظلم نفسه يعني فيما يخص به من الحلف الكذب ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوءاً أي قبيحاً وقيل السوء كل ما يأنثم به الإنسان والظلم هو الشرك فما دونه ﴿ ثم يستغفر الله ﴾ من ذنوبه ﴿ يجد الله غفورا رحيما ﴾ ففي هذه الآية دليل على أن التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبار والصغار لأن قوله : ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه عمم الكل .

﴿ و ﴾ الأحاديث في فضل التوبة كثيرة ﴿ أخرج الشيخان والترمذي عن الحارث بن يزيد قال : قال ابن مسعود ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول : الله اللام لام الابتداء واسم الجلالة مبتدأ وخبره ﴿ أفرج ﴾ أي أشد فرحاً أي رضا ومنه قوله تعالى : كل حزب بما لديهم فرحون . أي راضون ﴿ بوبة عبده المؤمن ﴾ فإطلاق الفرج في حق الله مجاز عن رضا الله وسعة رحمته ومزيد إقباله على عبده والكرامة ﴿ من رجل نزل في أرض وبينه له مهلكة ﴾ وفي رواية درية أي مغارة ﴿ له مهلكة ﴾ وهو مفعلة من الهلاك ﴿ معه راحلته ﴾ أي ناقته التي يرتحلها ﴿ عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه ﴾ على الأرض ﴿ فنام نومه فاستيقظ ﴾ من نومه ﴿ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا طلع عليه النهار ﴾ اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال ﴿ في نفسه ﴾ أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليوت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالتفت إليه أشد فرحاً بوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده ﴿

ومسلم يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة * وابن ماجه لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم تاب الله عليكم * والطبراني والبيهقي صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال فإذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين أمسك فيمسك ست ساعات فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيئا وإن لم يستغفر الله كتب عليه سيئة واحدة * وابن أبي حاتم وابن مردويه التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لا تعود إليه أبدا * والطبراني وأبو نعيم الندامة توبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له

فالمراد أن التوبة تقع من الله في القبول والرضا موقعا يقع في مثله ما يوجب فرط الفرح بمن يتصور في حقه ذلك فعبر بالرضا عن الفرح تأكيدا للمعنى في ذهن السامع ومبالغة في تقريره وحقيقة الفرح لغة انشراح الصدر بلذة عاجلة وهو حال في حقه تعالى.

﴿وخرج مسلم﴾ عن ابن عمر رضي الله عنهما ﴿يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة﴾ وأقسام التوبة ثلاثة توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من غفلة القلوب وتوبة خواص الخواص مما سوى المحبوب فتوبة كل عبد بحسبه وتوبته صلى الله عليه وسلم ليست من الثلاثة بل أنه إذا ترقى إلى مرتبة تاب من التي قبلها بمعنى أنه ينسب نفسه إلى التقصير حيث لم يبدل الجهد في وصول إلى تلك المرتبة التي وصل إليها وقوله مائة مرة للتكثير لا التحديد فلا ينافي الزيادة لما في قوله تعالى : ان تستغفر لهم سبعين مرة أمي أو ألف مرة مثلا فلن يغفر الله لهم فلامفهوم للتقيد بالسبعين قاله الحنفى .

﴿وخرج ابن ماجه﴾ باسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء﴾ أى لكثرتها وتراكم بعضها على بعض ﴿ثم تبتم تاب الله عليكم﴾ وأخرج ابن زنجويه في فوائده عن الحسن بلاغا لو أخطأ أحدكم حتى تملأ خطيئته ما بين السماء والأرض ثم تاب تاب الله عليه .

﴿وخرج الطبراني والبيهقي﴾ عن أبي أمامة رضي الله عنه باسناد صحيح ﴿صاحب اليمين﴾ أى الملك الموكل بكتابة الحسنات ﴿أمير﴾ أى لشرف الحسنات كان كاتبها له أمانة على كاتب السيئات حيث لا يكتب إلا بعد أذنه ﴿على صاحب الشمال﴾ أى الملك الموكل بكتابة السيئات ﴿فإذا عمل العبد﴾ المكلف ﴿حسنة كتبها بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين : أمسك﴾ عن الكتابة ﴿فيمسك ست ساعات﴾ قال المناوى : يحتمل الفلكية ويحتمل الزمانية ﴿فإن استغفر الله منها﴾ أى فإن تاب منها توبة صحيحة ﴿لم يكتب عليه شيئا﴾ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴿وإن لم يستغفر الله كتب عليه سيئة واحدة﴾ أى من غير مضاعفة بخلاف الحسنات فإنها تضاعف وهذا فضل عظيم من الله تعالى .

﴿وخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه﴾ عن أبي بن كعب باسناد ضعيف ﴿التوبة النصوح﴾ أى الصادقة والخاصة أو المشتملة على خوف ورجاء . وكون ذنبه بين عينيه لا ينساه أبدا وقبل غير ذلك ﴿الندم﴾ على الذنب حين يفرط ﴿بضم الراء﴾ منك فتستغفر الله ثم لا تعود إليه أبدا . ﴿وخرج الطبراني وأبو نعيم الندامة توبة﴾ أى أنها معظم أركان التوبة كخير الحج عرفة ولا بد في الندم أن يكون من حيث المعصية وقبحها وخوف عقابها بخلافه لتحوطك أو ضياع مال على المعصية أو نحو ذلك أفاده ابن حجر ﴿والتائب من الذنب﴾ توبة صحيحة ﴿كمن لا ذنب له﴾ لأن ندمه وذله وانكساره طهرة منه فساوى من لا يسبق له ذنب قاله العزبرى واستشكل هذا بأنه يقتضى أن من أذنب وتاب مثل من لم يفعل ذنبا أصلا ولو من الأنبياء أجيب بأن المشبه لا يعطى حكم المشبه به من كل وجه أما من لم يفعل ذنبا من غير الأنبياء من المحفوظين فمن فعل ذنبا وتاب أرقى منه لأنه عرف ربه فرجع إليه وكان مظهر الوصف العفو منه تعالى وفي

والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستغفر بربه * والترمذي إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر * ومسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه * والشيخان عن أبي سعيد الخدري قال قال ﷺ كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل العلم فدل على راهب فأناؤه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقله فكميل مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا

الحديث القدسي لولا توبون وتستغفرون لخلقت خلقا غيركم إلى آخره . والكلام فيمن وقع منه ذنب على سبيل الندور لافي المهلك على الذنوب كذا ذكره الحنفى ﴿والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستغفر بربه﴾ لأنه إذا طلب المغفرة كان حاله يقتضى الخضوع والذلة وإقامته على الذنب بمرزة للرب ومجارية فكيف يطلب منه حينئذ المغفرة فالاستغفار باللسان إنما يوصل للمطلب إذا انضم إليه التوجه القلبي أما الاستغفار باللسان مع غفلة القلب ففيه ثواب لكن دون ثواب من توجه بقلبه وفي الحديث من قال استغفر الله الحى القيوم وأتوب إليه كثر ذنوبه ولو فرغ من الزحف فهو يدل لمن قال بأنه يكفر الكبائر لكن الجمهور حملوه على الترغيب لأعلى حقيقة أو على ما اقترن بالتوبة ﴿و﴾ أخرج أحمد وابن ماجه وحبان و﴿الترمذي﴾ والحاكم والبيهقي عن ابن عمر رضى الله عنهما قال الترمذى حسن غريب ﴿إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر﴾ أى ما لم تصل روحه حلقومه لأنه لم يأس من الجاء فإن وصلت لذلك لم يعتذر بها لئاسه ولأن من شرط التوبة العزم على عدم المعاودة وقد فات . قال العلقمى : والغرغرة أن يجعل المشروب في الفم ويردد إلى أصل الحلق ولا يبلغ . وأخرج الحاكم : من تاب إلى الله قبل أن يغرغر قبل الله منه .

﴿و﴾ أخرج ﴿مسلم﴾ عن أبي هريرة ﴿من تاب﴾ أى رجع عن ذنبه بشرطه ﴿قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه﴾ أى قبل توبته ورضيها قال الحنفى : فالتوبة من الضغائر والكبائر مقبولة إلا في حالتين حالة طلوع الشمس من المغرب وحالة الغرغرة . وأخرج مسلم : أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها . وأخرج الترمذى وصححه : أن من قبل المغرب لبابا مسيرة عريضة أربعون عاما أو سبعون سنة فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السموات والأرض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه وصحح أيضا : أن الله تعالى جعل بالمغرب بابا أرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى : يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها الآية . قيل وليس في هذه الرواية ولا الأولى تصريح برفعه كما صرح به البيهقي انتهى . ويحاج بأن مثل هذا لا يقال من قبل الراى فله حكم المرفوع وأخرج الطبراني بسند جيد . للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه .

﴿و﴾ أخرج ﴿الشيخان﴾ عن أبي سعيد الخدري ﴿قال : قال﴾ رسول الله ﷺ : كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا ﴿التاء في تسعة على تأويل النفس بالشخص كما قال الله تعالى : والله خلقكم من نفس واحدة﴾ فسأل عن أعلم أهل العلم فدل ﴿بالبناء للمفعول﴾ ﴿على راهب﴾ مأخوذ من الرهبة وهى الخوف يعنى به خائفا من الله ﴿فأناؤه فقال : إنه قتل﴾ عبر عن نفسه بالغبية وهو التغات عند بعضهم ﴿تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟﴾ فقال ﴿الراهب﴾ لا فقله فكميل مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ومن يحول بينه وبين التوبة ﴿الاستغفار﴾ الإنكار يعنى لا يحول أحد بين الله وبين توبة عبده ﴿انطلق إلى أرض كذا وكذا﴾ وفيه استحباب أن يفارق التائب عن موضع الذنب والمساعدين ويستبدل منهم صحبة أهل الصلاح

فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاءنا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فحكموه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد قبضته ملائكة الرحمة * وفي الحديث الصحيح أنه ﷺ قال إن المؤمن إذا أذنب نكبت نكة سوداء في قلبه فإن تاب واستغفر صقل قلبه وإن لم يتب زادت

﴿فإن بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء﴾ بفتح السين وبإضافة الأرض إليه وهي أكثر استعمالا من الصفة ﴿فانطلق حتى إذا انصف الطريق﴾ بفتح الصاد وتخفيفها أي بلغ نصفها ﴿أتاه الموت فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاءنا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب: لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فحكموه بينهم﴾ أي جعلوا ذلك آدمي حكما بينهم قال النووي: هذا مجمل على أن الله أمرهم عند اختلافهم أن يحكموا رجلا ممن غيرهم ﴿فقال: قيسوا ما بين الأرضين﴾ أي الأرض التي قصدتها والأرض التي قتل فيها الراهب ﴿فإلى أيتهما كان أدنى فهو له﴾ يعني أن كان ذلك الميت حين مات أقرب إلى الأرض التي قصدتها يكون لمن يطلب للرحمة وإن كان أقرب إلى الأرض التي أساء فيها يكون لمن يطلب للعذاب ﴿فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد قبضته ملائكة الرحمة﴾ وفي رواية فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها وفي رواية فأوحى الله إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى وقال: قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذا أقرب بشبر فغفر له. وأخرج الطبراني بسند جيد أن رجلا أسرف على نفسه قتل رجلين فقال: إن الآخر قتل تسعة وتسعين نفسا ظلما فهل تجدلى من توبة؟ قال: لا فقتله وأتى آخر فقال: إن الآخر قتل مائة نفس ظلما فهل تجدلى من توبة؟ قال: أن حدثك إن الله لا يتوب على من تاب كذبتك ههنا قوم يتعبدون فأتهم تعبد الله معهم فوجه إليهم فمات على ذلك فاختمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فبعث الله إليهم ملكا فقال قيسوا ما بين المكاين فأتهم كان أقرب فهو منهم فوجدوه أقرب إلى دير التواين بأئلة فغفر له. وفي رواية له ثم أتى راهبا ثم أخرى فقال: أنى قتلت مائة نفس فهل تجدلى من توبة؟ قال: أسرفت ما أدري ولكن ههنا قربتان يقال لهما نصره والأخرى يقال لهما كفرة فأما أهل النصره فيعملون عمل أهل الجنة لا يثبت فيها غيرهم وأما أهل الكفرة فيعملون عمل أهل النار لا يثبت غيرهم فانطلق إلى نصره فإن ثبت فيها وعملت عمل أهلها فلا شك في توبتك فانطلق يريد ههنا حتى إذا كان بين القريتين أدركه الموت فسألت الملائكة ربها عنه فقال: انظروا إلى أى القريتين كان أقرب فأكثروه من أهلها فوجدوه أقرب إلى نصره بقية غلبة فكتب من أهلها. وصح عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: كانت قريتان أحدهما صالحة والأخرى طالحة فخرج رجل من القرية الطالحة يريد القرية الصالحة فأتاه الموت حيث شاء الله فاختم فيه الملك والشیطان فقال الشيطان: والله ما عصانى قط قال الملك أنه قد خرج يريد التوبة فقصى الله بينهما أن ينظر إلى أيهما أقرب فوجدوه أقرب إلى القرية الصالحة بشبر فغفر له.

﴿و﴾ ثبت في الحديث الصحيح الذي أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم والبيهقي وغيرهم عن أبي هريرة ؓ أنه ﷺ قال: إن المؤمن إذا أذنب ذنبا وفي رواية إن العبد إذا أخطأ خطيئة ﴿نكبت﴾ بضم النون وكسر الكاف ومثناة فوقية ﴿نكة سوداء في قلبه﴾ أي اثر قليل كالنقطة في صقيل المرأة والسيوف ونحوهما ﴿فإن﴾ هوزع و﴿تاب﴾ أي أتى ببقية أركان التوبة ﴿واستغفر صقل قلبه﴾ بالبناء للمجهول أي حلة الله تلك النكة عن قلبه فينجلى ﴿وإن﴾ عاد إلى ما اقترفه و﴿لم يتب زادت﴾

حتى تعلق قلبه أي تغشاه وتغطيه تلك النكة السوداء فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اللهم إنا نستغفرك وتوب إليك ونستعينك على أن لا نعود إلى معاصيك ﴿تنبه﴾ التوبة واجبة فوراً من كل ذنب ولو صغيراً فمن أخرها زمنياً يسئها كان عاصياً بتأخيرها قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكذلك يتكرر عصيانه بمرور الأزمنة المتسعة فيحتاج إلى توبة عن تأخيرها كما يحتاج إليها عن الذنب المتقدم ويجب تجديد التوبة عن المعصية كلما ذكرها بعد التوبة على ما زعمه القاضي أبو بكر الباقلاني قال فإن لم يجددها فقد عصى معصية جديدة تجب التوبة منها ثم إن علم ذنوبه على التفصيل لزمه التوبة عن آحادها على التفصيل ولا يكفي توبة واحدة فالتوبة من جملة الذنوب من غير ذكر تفاصيلها غير صحيحة قال الزركشي وهذا ظاهر وقال

نكة أخرى وهكذا ﴿حتى تعلق قلبه أي تغشاه وتغطيه تلك النكة السوداء﴾ وتغمره وتستر سائرته ويصير كله ظلمة فلا يعي خيراً ولا يثبت فيه صلاح ﴿فذلك﴾ أي ما يعلو على القلب من الظلمة ﴿الران﴾ قال المناوي: أي الطبع ﴿الذي ذكره الله في كتابه﴾ العزيز بقوله ﴿كلابل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ أي غلب واستولى عليها ما اكتسبوه من الذنوب حتى صارت سوداء مظلمة.

قال الحنفى: وهذه الآيات وإن كانت في حق الكافر إلا أن الحديث يشير إلى أن العاصي المستغرق في المعاصي كالكافر في كونه تمادى إلى أن أسود قلبه بالنكة المذكورة حتى هلك. وقال في النهاية: أصل الرن الطبع والتغطية ومنه قوله تعالى: كلاب ران على قلوبهم أي طبع وختم. وقال اليعاقبة: والررن الصدا. قال مجاهد: إذا أذنب الإنسان الذنب أحاط الذنب بقلبه حتى تقسى الذنوب قلبه. وقال بكر بن عبد الله: إن العبد إذا أذنب صار في قلبه كمخز الإبرة ثم إذا أذنب ثانياً صار كذلك ثم إذا كثرت الذنوب صار القلب كالمنخل أو كالغربال لا يعي خيراً لا يثبت فيه صلاح ﴿اللهم إنا نستغفرك وتوب إليك ونستعينك على أن لا نعود إلى معاصيك﴾.

﴿تنبه﴾ التوبة واجبة فوراً من كل ذنب ولو صغيراً أي سواء كان صغيراً أو كبيراً فلا يجوز تأخيرها ﴿فمن أخرها زمنياً يسئها﴾ كان عاصياً بتأخيرها قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: وكذلك يتكرر عصيانه بمرور الأزمنة المتسعة فيحتاج إلى توبة عن تأخيرها كما يحتاج إليها عن الذنب المتقدم ويجب تجديد التوبة عن المعصية كلما ذكرها أي المعصية بعد التوبة على ما زعمه القاضي أبو بكر الباقلاني قال: فإن لم يجددها أي التوبة فقد عصى معصية جديدة تجب التوبة منها والتوبة الأولى صحيحة إذ العبادة الماضية لا ينقصها شيء بعد تصرفها.

وقال الإمام الحرمين: لا يجب ذلك لكنه يستحب. قال الأذرعى في توسطه ويشبه أن يقال إن كان حين تذكره الذنب تنفر نفسه عنه فما اختاره الإمام ظاهر وإن كانت لا تنفر منه وتلد بذكره فذلك معصية جديدة تجب التوبة منها فالتوبة الصادقة تقتضى تذكر صاحبها زلله أسفاً وحياءاً من الله تعالى بما سلف منه ومن تتبع الآثار والأخبار وجد لذلك شواهد كثيرة انتهى. وكأنه أخذ ذلك من قول الإمام لا يبعد أن يندم عليها وتصح توبته ثم إذا ذكرها أضرب عنها فلم يفرج بها ولا خلاف أنه لا يلزمه استدامة الندم واستصحاب ذكره جهده وفي الشامل أن الوجوب ليس بشيء لأن الذين اسلموا كانوا يذكرون ما كانوا عليه في الجاهلية ولم يلزموا بتجديد الإسلام ولا أمرؤا به انتهى. ثم الخلاف إنما هو في الوجوب أما الذنب فلا خلاف فيه.

﴿ثم إن علم ذنوبه على التفصيل لزمه التوبة عن آحادها على التفصيل ولا يكفي توبة واحدة﴾ بخلاف التوبة عما لم يعلمه ﴿فالتوبة من جملة الذنوب من غير ذكر تفاصيلها غير صحيحة قال الزركشي: وهذا ظاهر﴾ لأنها الندم وهو لا يتحقق إلا إذا تذكر ما فعله حتى يتصور ندمه عليه ﴿وقال﴾ الشيخ عز الدين

ابن عبد السلام يذكر من الذنوب السالفة ما أمكن تذكره وما تعذر فلا يلزمه ما لا يقدر عليه وقال القاضي أبو بكر إن لم يذكر تفصيل الذنب فليقل إن كان لي ذنب لم أعلمه فإني نائب إلى الله تعالى ولعله إنما قال هذا فيما إذا علم لنفسه ذنبا لكنه لا يذكرها فاما إذا لم يعلم لنفسه ذنبا فالتدم على ما لم يكن محال وإن علم له ذنبا لكنه لم يتعين له في الذكر فيمكن أن يتدم على ما ارتكب من المخالفة على الجملة ثم العزم على أن لا يعود إلى المخالفة أصل.

﴿فصل﴾ شروط التوبة المستقلة للإثم ظنا لا قطعاً أن يتدم على فعل الذنب من حيث المعصية

﴿ابن عبد السلام يذكر من الذنوب السالفة﴾ أي الماضية ﴿ما أمكن تذكره وما تعذر﴾ ذكره ﴿فلا يلزمه ما لا يقدر عليه﴾ وقال القاضي أبو بكر ﴿الباقلاني﴾ أن لم يذكر تفصيل الذنب فليقل إن كان لي ذنب لم أعلمه فإني نائب إلى الله تعالى ولعله إنما قال هذا فيما إذا علم لنفسه ذنبا لكنه لا يذكرها فاما إذا لم يعلم لنفسه ذنبا فالتدم على ما لم يكن محال وإن علم له ذنبا لكنه لم يتعين له في الذكر فيمكن أن يتدم على ما ارتكب من المخالفة على الجملة ثم العزم على أن لا يعود إلى المخالفة أصل.

﴿واعلم أن التوبة﴾ واجبة على حيالها فيجب أداؤها كسائر الواجبات وهي ﴿في نفسها طاعة وعد الثواب عليها واما زوال العقاب الأليم فهو مفوض إلى الرب الحليم التواب الرحيم﴾ فهو سبحانه خير مأمول وأكرم مسئّل.

* تمة * اعلم أنهم اختلفوا هل قبول التوبة قطعي أو ظني والصحيح كما قاله النووي وغيره أن قبول توبة الكافر بإسلامه قطعي وقبول توبة غيره إذا وجدت شروطها ظني خلافاً لجمع من المتقدمين قال الإمام : وإذا أسلم فليس إسلامه توبة من كفره وإنما توبته يتدمه على كفره ولا يصور أن يؤمن ولا يتدم على كفره بل تجب مقارنة الإيمان للتدم على الكفر ثم وزر الكفر يسقط بالإيمان والتدم على الكفر بالإجماع هذا مقطوع به وما سواه من ضروب التوبة المقبولة مظنون غير مقطوع به وقد أجمعت الأمة على أن الكافر إذا أسلم وتاب عن كفره صحت توبته وإن استدام معاصي آخر . قال الزركشي : وهذا في الكفر بغيره لا يكفر إلا بتوبة عنه بخصوصه كما ذكره البيهقي في سننه الكبير واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم أن أحسن في الإسلام لم يؤخذ بالأول ولا بالآخر وإن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر ولو كان الإسلام يكفر سائر المعاصي لم يؤخذ بها إذا أسلم قال البيهقي في الشعب : قد جاءت أحاديث في أن الحدود كفارة إذا تاب بدليل قوله صلى الله عليه وسلم للساوق حين قطعه تب إلى الله ويوافقه قول الشيخين في الروضة وأصلها ويتعلق بالقتل المحرم سوى عذاب الآخرة مؤاخذات في الدنيا القصاص والدية والكفارة فإن ظاهره بقاء العقوبة في الآخرة وإن استوفى منه القود أو بدله لكن صرح النووي في شرح مسلم والفتاوى بأن الإسيءاء يسقط للإثم والمطالبة في الآخرة . وقال الزركشي : وقضيه عدم الاحتياج لتوبة والاشبه تفصيل بين من سلم نفسه امتثالاً لأمر الله تعالى فيكون ذلك توبة أو قهراً فلا انتهى . والذي ينبغي في ذلك أنه إذا استوفى منه برئ من حق العبد وعليه يحمل كلام شرح مسلم والفتاوى كحديث البخاري فمن أصاب ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له وبقي حق الله تعالى فإن تاب سقط أيضاً والا فلا وعليه يحمل كلام الرضوية وأصلها كقوله صلى الله عليه وسلم لمن قطعه : تب إلى الله ، وبهذا وإن لم أر من ذكره يجمع الأحاديث والأقوال المتعارضة في ذلك منكذا قاله ابن حجر .

﴿فصل﴾ شروط التوبة المستقلة للإثم ظنا لا قطعاً أن يتدم على فعل الذنب من حيث المعصية ﴿فالتدم على شرب الخمر لأضراره بالبدن ليس بتوبة وفي الزنا جر وإنما يعتد به أي بالتدم أن كان على ما فاتته من رعاية حق الله تعالى ووقوعه في الذنب وأسفاه على عدم رعاية حقه فلو تدم لحط ديني كما رأى ضياع مال أو تعب بدن أو تكون مقتوله ولده لم يعتبر كما ذكره أصحابنا الأصوليون وكلام أصحابنا الفقهاء ناظر بذلك وإنما لم يصرحوا به لأن التوبة عبادة وهي لا تكون إلا لله فلا يعتد بها إن كانت لغرض آخر وإن قيل من

وأن يعزم على أن لا يعود إليه أو إلى مثله خالصا لله تعالى وأن يقلع عنه حالا إن كان ملتبسا به أو مضرا على المعاودة إليه وأن يخرج من المظلم والزكاة إن كانت بردها أو بدلها إن تلفت لمستحقها ما لم يرثه منها

خصائص التوبة انه لا سبيل للشيطان عليها لانها باطنة فلا تحتاج إلى الاخلاص لتكون مقبولة ولا يدخلها العجب والرياء ﴿وإن يعزم على أن لا يعود﴾ في المستقبل ﴿إليه﴾ أي إلى الذنب ﴿أو إلى مثله خالصا لله تعالى﴾. وهذا انما يتصور اشتراطه فيمن يتمكن من مثل ما قدمه أما من جب بعد الزنا أو قطع لسانه بعد نحو القذف فالشرط في حقه عزمه على انترك ولو عادت إليه قدرته على الذنب وبهذا علم أن توبة العاجز عن العود صحيحة ولم يخالف فيها إلا ابن الجبائي وردوا عليه بما تقرر في نحو المجبوب ولا يتنافى ذلك ما في شرح إرشاد الإمام من أنه يصح العزم من مستمكن من مثلهما قدمه فلا يصح من المجبوب العزم على ترك الزنا مثلاً وانما يعزم على تركه لو عادت إليه آله ونقل القشيري عن الأستاذ أبي اسحاق انه تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على مثله حتى تصح من الزنا بامرأة مع المقام على الزنا بامرأة أخرى في مثل حالها وزنى بامرأة مرتين صحت من مرة فقد قال: والأصحاب يأبون هذا ويقولون: شرط صحة التوبة العزم على أن لا يعود إلى مثله وذلك محال مع الإصرار على مثله انتهى. وقال الحلبي: تصح من كبيرة دون أخرى من غير جنسها وقضيته عدم صحتها إذا كانت من جنسها وبه صرح الأستاذ أبو بكر وخالفه الأستاذ أبو اسحاق.

وقال الامام: التوبة لها ارتباط بالدواعي لا تصح بدونها ثم الدواعي تختلف منها حقوق العباد بكثرة الزواجر فلا تصح من ذنب مع الإصرار على مثله عند استواء الدواعي اليهما ولو اختلفا جنسا كقتل وشرب واستوت الدواعي فيهما مثلان لا تصح التوبة من احدهما مع الإصرار على الأخرى لاستوائهما فيما لأجله ندم عليه مثل أن يكون الداعي إلى التوبة كونه مخالفة ومعصية لله تعالى وإن دغاه إلى التوبة منه عظم العقوبة عليه ولم يعتده في الآخر صرح بيبغض الندم قال الامام: والعارف بالذكر لله تعالى بما توعده به تعالى على الذنب من العقاب لا يهجم على الذنب إلا بتأويل ولا يصح منه قصد إلى الذنب مع العلم بإطلاع الله تعالى عليه فان زالت غفله وفترت شهوته فانه يتوب إلى الله تعالى من جميع الذنوب ولا يتصور منه التبعيض في الندم والحالة هذه قال الله تعالى: ان الذين اتقوا اذا مسهم طاعة من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون. قال الأذرعى: المشهور من مذهب أهل السنة صحتها من بعض الذنوب مع اصرار على بعضها وما ذكره الامام فمن تصرفه وتوسطه.

﴿وأن يقلع عنه﴾ أي عن الذنوب ﴿حالا﴾ أي بأن يتركه من غير مهلة ﴿ان كان ملتبسا به أو﴾ كان ﴿مضرا على المعاودة إليه﴾ وعد هذا شرطا هو ما نقله الرافعي عن الأصحاب لكنه لما لم يقيد بما ذكر اعترض بان الجمهور لم يتعرضوا لهذا الشرط والجواب: ان من ذكره نظر إلى الملتبس والمصر فلا بد من اقلعهما قطعا إذ يستحيل حصول الندم الحقيقي على شيء هو ملازم له في الحال أو مع العزم على معاودته إذ من لازم الندم الحزن على ما فرط من الزلة ولا يجز ذلك إلا بتركها مع العزم على عدم معاودتها ما بقى وعاش.

﴿وأن يخرج من المظالم﴾ كالغصب وغيره ﴿والزكاة ان كانت﴾ أي وجدت وذلك ﴿بردها﴾ ان بقيت ﴿أو﴾ رد ﴿بدلها ان تلفت لمستحقها﴾ أي للمالكها أو نائبه أو لوارثه بعد موته ﴿ما لم يرثه منها﴾ فان لم يكن له وارث أو انقطع خبره دفعها إلى الامام لجعلها في بيت المال أو إلى الحاكم المأذون له في التصرف في مال المصالح قال العبادي: والعزم إلى تصديق عنها بنية العزم له اذا وحده والحق الرافعي في الفرائض واعتمده الاستوى وغيره بالصدقة سائر وجوه المصالح ولو أعسر من عليه الحق نوى العزم إذا قدر قال القاضي: ويستغفر الله أيضا فان مات قبل القدرة فالمرجوح من فضل الله تعالى المغفرة قال في الخادم: وما قاله لا خلاف فيه والأصل في توقف التوبة على الخروج من

حق آدمي عند الإمكان قوله ﷺ : من كان لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحله اليوم قبل أن لا يكون هناك دينار ولا درهم فإن كان له عمل يؤخذ منه بقدر مظلمته والأخذ من سيئاته صاحبه فحبل عليه . كذا أورده الزركشي عن مسلم والذي في صحيحه : أتدرون من المفلس قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال : ان المفلس من أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ورواه البخاري بلفظ : من كانت عنده مظلمة لأخيه فليستحللها منها فإنه ليس هناك دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته فان لم يكن حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه ورواه الترمذي بمعناه وقال في أوله : رحم الله عبدا كانت لأخيه مظلمة في عرض أو مال فجاءه فاستحله .

وكان ابن عبد السلام أخذ من هذه الأحاديث قوله : من مات وعليه دين تعدى بسببه أو مظلمة أخذ من حسناته بمقدار ما ظلم به فان فنيت حسناته طرح عليه من سيئات المظلوم ثم ألقى في النار وان كان لم يتعد بسببه ولا مظلمة أخذ من حسناته في الآخرة كما يؤخذ من أمواله في الدنيا حتى لا يبقى له شيء فان فقدت لم يطرح عليه من سيئات المستحق لأنه غير عاص .
فان قلت فما حكم من يفضل عليه شيء من الدين بعد فناء حسناته ؟ .

قلت الأمر فيه إلى الله تعالى ان شاء عوض رب الدين من عنده وان شاء لم يعوض وهذا موقوف على صحة الخبر فيه ولا يؤخذ من ثواب إيمانه الواجب كما لا تؤخذ في الدنيا ثياب بدنه وفي ثواب الإيمان المندوب نظر قال في الختام : والتحقيق في هذا ما صار إليه الرافعي والنووي وهو المناسب لأحكام الحليم الكريم أن يكون في هذه الديون على نسبة أحكام الدنيا فاذا حكم الشرع في الدين بسبب مباح إذا عجز ان يؤدي عنه جميع دينه من سهم الغارمين المحصل في بيت المال على يد حاكم الشرع فلم يرجو المدين العاجز عن الأداء إلى حين موته من غير عصيان إن الله تعالى يقضى عنه بإرضاء غرمائه من خزائن افضاله كما امر خلفاءه ان يقضوا عنه من بيوت أموالهم قال : ثم ما جزموا به من انقطاع الطلب عنه في الدنيا ليس على وجهه فإنه اذا كان له في بيت المال ما يفي بما عليه وجب أدائه منه وهذا من دقيق الفروع الذي ينبغي ان ينبه له الأئمة العادلون والقضاة الذين تحت أيديهم الزكوات وفيها سهم الغارمين وقد نبه على هذا ابن عبد البر في الاستذكار فإنه لما ذكر احاديث تعظيم الدين وأنه لا يغفر للشهيد قال : وهذا منه ﷺ كان قبل ان يفتح الله عليه الفتوحات وأما بعد ذلك فقال ﷺ : من ترك مالا فلورثته ومن ترك ديناً أو عيالا فعلى . فكل من مات وقد ادى في مباح وعجز عن ادائه أدى عنه الامام من سهم الغارمين أو من الزكاة أو الفبي وظاهر قوله ﷺ : فعلى . أنه لا فرق بين من ترك مالا ومن لم يتركه والمعنى ان الميت المسلم كان قد وجبت له حقوق في بيت المال من الفبي وغيره لم يصل إليها فلزم الامام أن يؤدي منها دينه ويخلص ماله لورثته فان لم يفعل الغريم ولا السلطان وقع القصاص بينهم في الآخرة ولم يحبس عن الجنة بدين له مثله على غيره من بيت المال أو غريم جحده ومحال ان يحبس عن الجنة من له مال يفي بما عليه عند سلطان أو غيره انتهى . قال الزركشي وهو حسن فيمن له في بيت المال مثل الذي عليه وليس كل أحد كذلك وفي الخصائص ان قضاء دين الميت المعسر كان واجبا على النبي ﷺ وهل على الأئمة بعده قضاءه من مال المصالح وجهان .

* تنبيه * من أخذ مالا حراما من سلطان لا يعرف مالكة فعن قوم يرده إليه ولا يتصدق به وهو اختيار الحرث الحاسبى رحمه الله . وعن آخرين يتصدق به أى عن مالكة اذا علم ان السلطان لا يرده إليه . وقال النووى : المختار انه ان علم أو ظن ظنا مؤكدا انه يصرفه في باطل لزمه صرفه كالمناظر فان شق عليه لنحو خوف تصدق به على الاحوج فالاحوج وأهم المحتاجين ضعفاء الجنة وان لم يظن

ومنه قضاء صلاة وصوم وإن كثرا فإن أخل شرط من الشروط المذكورة لم تصح توبته وأن يستغفر الله تعالى من ذنبه بلسانه ظاهرا وبقلبه باطنا على ما زعمه القاضي حسين والقاضي أبو الطيب والماوردي وغيرهم ويجب في التوبة عن قود أو قذف أن يعلم المستحق ويمككه من الاستيفاء

أنه يصرفه فليدفعه له أو لثأبه حيث لا ضرر ولا صرفه في المصالح وعلى نفسه أن احتاج . قال الامام الغزالي : حيث جاز صرفه للفقراء فليوسع عليهم أو لنفسه ضيق عليها ما أمكنه أو لعياله توسط بين السعة والضيق ولا يطعم غنيا منه إلا أن لم يجد غيره . ثم قال المصنف رحمه الله تعالى ﴿ ومنه ﴾ أي من الخروج عن المظام ﴿ قضاء صلاة وصوم ﴾ أن ترك الصلاة في وقتها أو الصوم في وقته ﴿ وإن كثرا ﴾ أي الصلاة والصوم أي قضاؤهما فيشترط لصحة التوبة فعل جميع ما عليه من الصلوات أو الصيام فإن لم يعرف مقدار ما عليه من الصلوات مثلا قال الغزالي : تحرى وقضى ما تحقق أنه تركه من حين بلوغه ﴿ فإن أخل شرط من الشروط المذكورة ﴾ وهي الندم وما بعده ﴿ لم تصح توبته ﴾ من الشروط التوبة ﴿ أن يستغفر الله تعالى من ذنبه بلسان ظاهرا وبقلبه باطنا على ما زعمه القاضي حسين والقاضي أبو الطيب والماوردي وغيرهم ﴾

قال البلقي : والذي يظهر والله أعلم من الكتاب والسنة أن الذنب المذكور وإن كان دنيا باطنا لا بد أن يظهر قولا يظهر منه ندمه على ذنب بأن يقول : استغفر الله من ذنبي أو رب اغفر لي خطيئتي أو تبت إلى الله من ذنبي ثم بسط ذلك وفيه نظر فقد ذكر ابن الرفعة ما يدل على أن الذين عبروا بالاستغفار إنما أوردوا به الندم لا التلفظ حيث قال : أعلم أن التوبة في الباطن التي تعقبها التوبة في الظاهر المرتب عليها غفران الذنب وغيره تحصل كما قال الأصحاب حيث لا يتعلق بالمعصية حد الله تعالى ولا مال ولا حق للعباد كقيل أجنبية واستمنا منحو ذلك بأمرين الندم على ما كان والعزم على أن لا يعود إليه وقد يعبر عن ذلك بعبارات أخرى فيقال أن يستغفر الله على ما مضى ويترك الإصرار في المستقبل قال تعالى : والذين إذا فعلوا فاحشة الآية . كذلك قاله البندنجي والقاضي أبو الطيب والماوردي وابن الصباغ والبعوي والحاملي وسليم الرازي وغيرهم انتهى . فتأمل قوله وقد يعبر عن ذلك إلى آخره بحده صريحاً فيما ذكرته أن مؤدى العبارتين واحد وإن من ذكر الاستغفار لم يرد به لفظه وإنما أراد به الندم الذي عبر به غيره فلا خلاف ولا قائل من هؤلاء الأئمة حينئذ باشرط التلفظ بالاستغفار .

﴿ ويجب في التوبة عن قود أو قذف أن يعلم المستحق ﴾ أي التائب أن جهل أنه القاتل أو القاذف ﴿ ويمككه ﴾ أي ويمكن التائب الذي عليه ظلمة مستحق القود وحد القذف ﴿ من الاستيفاء ﴾ بأن يأتي إليه ويقول له : أنا الذي قتلت أو قذفت ولزمني موجبها فإن شئت فاستوف وإن شئت فاعف فإن امتنع من كل منهما صحت التوبة ولو تعذر وصوله للمستحق نوى التمكين إذا قدر ويستغفر الله . وقال الامام وتبعه ابن عبد السلام وسكت عليه في الروضة : تصح توبته وإن لم يسلم نفسه لكن بشبهة لحق الله ومنعه معصية جديدة تقتضي توبة أخرى واعترضه البلقي بأنه يلزم الامام مثل ذلك في الأموال ولا قائل به وفرق الزركشي في الخادم بأن المالك الذي حصلت المعصية بأخذه يمكن رده أو رد بدله والنفس التي فانت بالقتل لا يمكن ردها ولا رد بدلها في الدنيا فجوزنا التوبة والتغيب عند رجاء العفو صيانة للنفس عن القتل .

وقال الامام عن الباقلاني : أنه يجوز للقاتل أن يحتج أيا ما حتى يسكن غضب ولي الدم مع العزم على التسليم وأكثرها ثلاثة أيام وادعاء كثر من إحالة وجود الندم مع الإمتناع من التمكين ممنوع ويجب الإخبار والتمكين في حد القذف أيضا قال الغزالي : ولو أتى بكناية

ومن نحو غيبة أن يستحل المغتاب منها إن علم والا استغفر لنفسه ودعا له

قذف مردياً له لزمه اخباره به لوجوبه الحد عليه باطناً ويحتمل ان لا يجب فيه لأن فيه إيذاء فيبعد ايجابه وسره أولى ويؤيد الأول قول العبادي والبعثي وغيرهما بخبره عن القذف والصرح خفية كما في حق القصاص والثاني له في التوسط للأذرعى وهو قوله مريباً لي تفصيل في وجوب اعلام المذوف وهو ان القاذف ان امن على نفسه وغيرها لو اخبه لزمه اخباره لا محالة وان لم يامن كان ظن انه يتجاوز إلى نحو تعذيبه لم يلزمه اعلامه بل يلجأ إلى الله تعالى في ارضائه عنه في قذفه نعم يلزمه بعد موته اعلام وارثه ان امن منه مع التصريح إلى الله تعالى في ارضائه المذوف الميت عنه في الآخرة ويستغفر له كما يأتي في الغيبة قال الأذرعى : ويشبه أن يأتي مثل هذا التفصيل في قود النفس أو الطرف فلا يجب اعلام الا حيث لم يغلب على الظن ظلمه بنحو أخذ مال أو تعذيب زائد على مثل جنائيه يشترط في صحة التوبة ﴿من نحو غيبة﴾ بكسر الغين ﴿أن يستحل المغتاب منها﴾ فان تذر الاستحلال لموته أو تذر لغيبه استغفر الله تعالى ولا اعتبار بتحليل الورثة ذكره الحناطى وغيره وأقرهم في الروضة وانما يحتاج لاستحلال المغتاب ﴿ان علم﴾ لما دخله من الضرر والغم ﴿والا﴾ أى وان لم يعلم ذلك ﴿استغفر لنفسه ودعا له﴾ أى المغتاب بأن يقول : اللهم اغفر لى وله هذا ما أوفى به الحناطى وحزم به ابن الصباغ حيث قال انما يحتاج لاستحلال المغتاب اذا علم لما دخله من الضرر والغم بخلاف ما اذا لم يعلم فلا فائدة في اعلامه لتأذيه فليتب فاذا تاب أغناه عن ذلك نعم ان كان اتقصه عند قوم رجع إليهم وأعلمهم ان ذلك لم يكن حقيقة انتهى . وتبعهما كثيرون منهم النووي واختاره ابن الصلاح في فتاويه وغيره . قال الزركشى : وهو المختار وحكاة ابن عبد البر عن ابن المبارك وانه ناظر سفيان فيه وقال له : لما أنكر عليه لا تؤذه مرتين وحديث كفاية الغيبة ان تستغفر لمن اغتبه تقول : اللهم اغفر لنا وله فيه ضعيف كما قاله اليهقي وقال وهو وان لم يعرف له اسناد معناه ثابت بالكتاب والسنة قال تعالى : ان الحسنات يذهبن السيئات . وقال ﷺ : واتبع السيئة الحسنة تمحها وحديث حذيفة لما اشكى اليه ذرب اللسان على أهله أين أنت من الاستغفار انتهى . واعترض بأنه ضح ما يعارضه وهو قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة في تلك المرأة : قد اغتبتها قومى فتحللها : وقوله صلى الله عليه وسلم : من كانت له عند أخيه مظلمة فليستحله وبانه لو أجزأ الاستغفار هنا لأجزأ في أخذ المال وقد يجاب بمنع المعوضة بأن يحمل هذا على انه أمر بالأفضل أو بما يتحوأثر الذنب بالكلية على الفور بخلاف الأول فانه ليس كذلك بوضوح الفرق بين الغيبة وأخذ المال ومن ثم وجهوا القول بأنه صغيرة مع عظم ما ورد فيها من الوعيد بأن عموم ابتلاء الناس بها اقتضى المسامحة بكونها صغيرة فلا يلزم تفسيق كلهم الا القذ النادر منهم وهذا حرج عظيم فلاجله خفف فيها بذلك فلم تكن كالاموال حتى تقاس بها فيما ذكره المعترض .

وقتل ابن القشيري عن القاضي : انه لو أظهر الاعتذار بلسانه حتى طاب قلب خصمه كفاء وانه لو أظهر بلسانه دون باطنه لم يكفه ثم قال : والحق انه لو لم يخلص فيه كان ذنباً فيما بينه وبين الله تعالى والأظهر بقاء مطالبة خصمه له في الآخرة لأنه لو علم عدم اخلاصه في اعتذاره لتأذى به وما ذكره صرح به الامام فقال : عليه ان يخلص في الاعتذار إذ هو قول النفس عند أصحابنا والترجمة عبارة عنه فان لم يخلص فهو ذنب فيما بينه وبين الله تعالى ويحتمل ان يبقى لخصمه عليه مطالبة في الآخرة لأنه غير مخلص لما رضى به انتهى .

هذا كله في غيبة اللسان فغيبه القلب لا يجب الاخبار بها على قياس ما صححه النووي في الحسد ونظرو فيه الأذرعى وفي الروضة حكاية وجهين في انه هل يكفي الاستحلال من الغيبة المجهولة والذي رجحه في الأذكار انه لا بد من معرفتها لأن الإنسان قد يسمح عن غيبة دون غيبة وكلام الحلي وغيره يقتضى الجزم بالصحة لا من سمح بالمعصية من غير كشف فقد وظن نفسه عليه مهما كانت الغيبة

ويوافقه قول النووي في الروضة أيضا وأما حديث أبجر أحدكم أن يكون كأي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال: إني تصدقت بعرضي على الناس. فمعناه لا أطلب مظلتي لا في الدنيا ولا في الآخرة فهذا ينفع في اسقاط مظلمة كانت موجودة قبل الإبراء فأما ما يحدث بعده فلا بد من إبراء جديد بعدها انتهى. ففي عبارتها هذه تصريح بالسقوط مع الجهل بالمبراء منه الواقع من قبل فوافق قضية كلام الحليمي. وقال في الإحياء: يستحل ممن تمر له بلسانه أو أذى قلبه بفعل من أفعاله فإن غاب أو مات فقد فارق أمره ولا يدرك إلا بكثرة الحسنات لتؤخذ عوضا في القيامة ويجب أن يفصل له إلا أن يكون التفصيل مضرا له فإنه يستحل منهما انتهى. وقوله (الحاسد) أي ظنه يكفى الاستغفار للمحسود وفي التحفة والنهاية: وكذا يكفى الندم والاقلاع عن الحسد انتهى. وأوجب العبادي في الحسد الإخبار كالغيبية واستبعده الرافعي وصوبه النووي أنه لا يجب بل ولا يستحب قال: ولو قيل يكره لم يبعد. قال الأذرعى: وهو كما قال ونص الشافعي رضي الله عنه: يفهمه أو يشبه حرمة إذا غلب على ظنه أنه لا يحلله وأنه يتولد منه عداوة وحقد وأذى للمخير وكذا لو شك فإن النفس الزكية نادرة وإن غلب على ظنه أنه لو أخبره خلله من غير ضرر يتولد منه لزمه إخباره ليخرج من ظلامته يقين انتهى. ملخصا قال الزركشي بعد إبراده كلام شيخه الأذرعى بصيغة قيل: فإن قيل تنافرت الأحاديث على ذم الحسد وهو من أعمال القلوب فتجب التوبة منه ولا طريق للتوبة إلا ذلك فيقوى ما قاله العبادي قلت: لكن ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل به يقتضى أنه مرفوع واختاره الحب الطبري فقال: الذي نعتده من سعة رحمة الله تعالى عدم المؤاخاة بحديث النفس بكل حال ما لم يقل أو يفعل عملا بالأحاديث الصحيحة في ذلك وتحمل أحاديث المؤاخاة على ما إذا اقترن به عمل جارئة ولا يخرج من ذلك إلا الكفر فاته من أعمال القلوب إجماعا.

وأما أحاديث الحسد فصحيحة وكل عمل سيئ فهو مذموم باطنا كان أو ظاهرا وأما المؤاخاة عليه فلا نعلم حديثا صحيحا تضمنه ولو صح فيه حديث تضمنه حملناه على حديث النفس الذي اقترن بقول أو فعل جمعا بين الأحاديث وما مر عن العبادي بعيد كما قاله الرافعي وهو كمن هم بسيئة ولم يعملها لا سيما إذا غلبت نفسه بجبلتها وهو كاره لما تهويه غير راض عنها في ذلك كاف لها عن العمل بموجبه قولاً وفعلًا مع القدرة عليه بل أرجو أن اجزاء ذلك أن يكسب له حسنة لأنه ترك السيئة من أجل الله تعالى فجاهد نفسه فخلق وحدير به أن يوصف بالإحسان ثم ذكر ثلاثة أحاديث تتعلق بما ذكره ثم قال: إن المعصية التي من عمل القلب ولا تعلق لها بأمر خارجي غير مؤاخذ بها وأما الحسد الذي يمكن دفعه عن نفسه ولم يدفعه فيحتمل أنه كذلك ويحتمل الفرق وهو المختار فإنه تمنى زوال نعمة الغير عنه وقد يمكنه السبب في إزالتها فتوقف المؤاخاة بخلاف سوء الظن فإنه لا تعلق له بفعل خارجي يتصور وجوده معه لأن متعلق الصفات المظنونة بالمظنون به لا غير قال: والقول بين جميع المغاصي ما سوى الشرك وما الحقناه به قول حسن جيد الخافق للمعاصي بعضها ببعض انتهى. قال ابن حجر الهيتمي: وعجيب من الزركشي فقال هذه المقالة واعتمدها مع ضعفها ومخالفتها لما عليه المحققون من التفصيل بين الهاجس وحديث النفس والهم والعزم وقد بينت ذلك كله وكلام الناس فيه أو آخر شرح الأربعين فاطلب منه فإنه مهم.

قال الزركشي بعد نقله ما مر عن الحب الطبري: وأما التهمة فينبغي أن تكون على هذا التفصيل ويحتمل أن يفصل بين ما هو شديد الأذى وما هو خفيف والخفيفة يسامح به صاحبه غالبا انتهى. وفيه نظر بل لا وجه لهذا التفصيل لأن الغيبة دون التهمة إجماعا ومع ذلك فلم يفصلوا فيها كذلك فالتهمة أولى قال: ثم رأيت بعد هذا في منهاج العايدين للقرأى: أن الذنوب التي بين العباد إما في المال

فيجب رده عند الامكان فان عجز لفقر استحلّه فان عجز عن الاستحلاله لغيته أو موته وأمكن التصديق عنه فعله والا فليكثر من الحسنات ويرجع إلى الله تعالى ويتضرع إليه في أن يرضيه عنه يوم القيامة واما في النفس فيمكنه أو وليه من القود فان عجز رجع إلى الله تعالى في ارضائه عنه يوم القيامة واما في المرض فان اغتابه أو شتمه أو بهته فحقه ان يكذب نفسه بين يدي من فعل ذلك معه ان امكنه بان لم يخش زيادة غيظ أو هيج فتنة في اظهار ذلك فالرجوع إلى الله ليرضيه عنه واما في حرمة فان قتله في أهله أو ولده أو نحوه فلاوجه للاستحلال والاستظهار لأنه يولد فتنة وغيظا بل يتضرع إلى الله سبحانه وتعالى ليرضيه عنه ويجعل له خيرا في مقابلته فان أمن الفتنة والهيج وهو نادر فليستحل منه واما في الدين فان كفره أو بدعه أو ظله فهو أصعب الأمور فيحتاج إلى تكذيب نفسه بين يدي من قاله في ذلك وان يستحل من صاحبه ان أمكنه والا فالإتهال إلى الله تعالى جديا والندم على ذلك ليرضيه عنه انتهى كلام الغزالي، قال الأذرعى: وهو في غاية الحسن والتحقيق انتهى، وقضية ما ذكره في الحرم الشامل للزوجة المحارم كما صرحوا به ان الزنا واللواط فيهما حق للآدمي فتوقف التوبة منهما على استحلال أقارب المزنى بها أو الملوط به وعلى استحلال زوج المزنى بها هذا ان لم يخف فتنة والا فليتضرع إلى الله في ارضائهم عنه ويوجد ذلك بأنه لا شك ان في الزنا واللواط الحاق عار بالأقارب وتطخ فراش الزوج فوجب استحلالهم حيث لا عذر فان قلت ينافى ذلك جعل بعضهم من الذنوب التي لا يتعلق بها حق آدمي وطء الا الأجنبية فيما دون الفرج وتقبلها من الصغار والزنا وشرب الخمر من الكبائر وهذا صريح في ان الزنا ليس فيه حق آدمي فلا يحتاج فيه إلى استحلال .

قلت هذا لا يقاوم به كلام الغزالي لا سيما وقد قال الأذرعى عنه: انه في غاية الحسن والتحقيق فالعبارة بما دل عليه على انه يمكن الجمع بحمل الأول على الزنا بمن لا زوج لها ولا قريب فهذه يسقط فيها الاستحلال تعذره . والثاني على من لها ذلك وأمكن الاستحلال بلا فتنة فيجب ولا تصح التوبة بدونه وقد يجمع ايضا بان الزنا من حيث هو فيه حق الله تعالى إذ لا يباح بالإباحة وحق للآدمي فمن نظر إلى حق الله لم يوجب الاستحلال ولا ينظر إليه وهو محمل عبارة غير الغزالي ومن نظر إلى حق الآدمي اوجب الاستحلال ويؤيده قول ابن عبد السلام: فمن اخذ مالا في قطع الطريق هل عليه الاعلام به ان غلبنا عليه حق الله تعالى لم يجب الاعلام به وان غلبنا في حد حق الآدمي وجب اعلامه ليستوفيه او يتركه ليستوفيه الاعلام به ثم رأيت ابن الرفعة مثل نقلا عن الأصحاب للمعصية التي لاحق فيها للعباد بتقبل الأجنبية وقد ينهم ان وطأها فيه حق للعباد وحنث فيوافق كلام الغزالي وان كان نحو ضرب لا قود فيه تحلل من المضروب لطيب نفسه فان احله ولا يمكنه من نفسه ليفعل به مثل ما فعله لانه الذي في وسعه فان امتنع من تحليله والاستيفاء منه صحت توبته ذكره الماوردي وذكر القاضي بنحوه .

وحكى في الحادام وغيره في التحلل من الظلمات والتبعات ثلاثة مذاهب . احدها قال: وهو مذهب الشافعي ان ترك التحلل منها اولى لان صاحبها يستوفيه يوم القيامة بحسنات من هي عنده وتوضع سيئاته على من هي عنده كما شهد به الحديث وهل يكون أجره على التحلل موازنا ماله من الحسنات في الظلمات او يزيد عليها او ينقص عنها وهو يحتاج الى زيادة حسناته ونقصان سيئاته . والثاني ان التحلل منها افضل لانه احسان عظيم ينبغي عليه المكافاة من الله وهو سبحانه اكرم من ان يكافى باقل مما وهب له منه مع قوله: ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم . الآية . قال: وهو الاظهر . والثالث وهو قول مالك التفرقة بين الظلمات والتبعات فيحلل من التبعات لان ظلمات عقوبة لافعلها اخذا بقوله تعالى: انما سئل على الذين يظلمون الناس الآية . واما في الدنيا فالعفو عن الظالم اولى من الاقتصار منه انتهى .

ربنا تقبل توبتنا واغسل حوبتنا وتحمل تبعاتنا بمك وكرمك آمين اللهم إنا نستغفرك من كل ذنب أذنبناه استعدناه أو جهلناه ونستغفرك من كل الذنب تبنا إليك منه ثم عدنا فيه ونستغفرك من الذنوب التي لا يعلمها غيرك ولا يسعها إلا حلك ونستغفرك من كل ما دعت إليه نفوسنا من قبل الرخص فاشبهه ذلك علينا وهو عندك حرام ونستغفرك من كل عمل عملناه لوجهك فخالطه ما ليس لك فيه رضا لا إله إلا أنت يا أرحم الراحمين ،

وما نقله عن الشافعي ومالك فيه نظر والذي دل عليه حديث أبي ضمضم السبكي أن النعمان أفضل مطلقا وعليه يدل قول الروضة السابق معناه لا اطلب مظلمتي لا في الدنيا ولا في الآخرة . وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإغراء على مثل فعل أبي ضمضم بقوله : ايعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته يقول : اني قد تصدقت بعرض على الناس . ثم نضرع المصنف لربه مستغفرا من ذنبه فقال : ﴿ ربنا تقبل توبتنا واغسل حوبتنا ﴾ بفتح الحاء أي خطيتنا ﴿ وتحمل تبعاتنا ﴾ جمع تبعه وهي حقوق الأدمي ﴿ بمك وكرمك آمين اللهم إنا نستغفرك من كل ذنب أذنبناه استعدناه ﴾ أي عملنا عدنا ﴿ أو جهلناه ونستغفرك من كل ذنب تبنا إليك منه ثم عدنا فيه ونستغفرك من الذنوب التي لا يعلمها غيرك ولا يسعها إلا حلك ﴾ ومغفرتك ﴿ ونستغفرك من كل ما دعت إليه نفوسنا من قبل الرخص ﴾ أي من جهتها ﴿ فاشبهه ذلك علينا وهو عندك حرام ونستغفرك من كل عمل عملناه لوجهك ﴾ أي خالصا لذاتك ﴿ فخالطه ما ليس لك فيه رضا لا إله إلا أنت يا أرحم الراحمين ﴾ وأكرم المعطين واجود الأجودين .

* تمة * اعلم أن حقيقة التوبة من كل ذنب عشرة أعمال إلا أن يكون العبد توابا يحبه الله ولا تكون توبته نصوحا التي شرطها الله تعالى وفسرها النبوة إلا أن يحكم العبد عشر توبات من كل ذنب أولها ترك العود إلى فعل الذنب ثم يتوب من القول به ثم يتوب من الاجتماع مع سبب الذنب ثم التوبة من السعي في مثله ثم التوبة من النظر إليه ثم التوبة من الاستماع إلى القائلين به ثم التعوية من الهمة ثم التوبة من التصير في حق التوبة . ثم التوبة من أن لا يكون أراد إلا وجه الله تعالى خالصا بجميع ما تركه لوجهه ثم التوبة في النظر إلى التوبة والسكون إليها والادلال بها وهذا مطالعة التوحيد وعلو الاشراف بالمريد ثم يشهد بعد ذلك تقصيره كله عن القيام بحق الزبونية لعظم ما يشهد من جلاله فتكون توبته بعد ذلك من تقصيره عن القيام بحق مشاهدته ويكون استغفاره من توبته لما ضعف قلبه ونقص همه عن معانية مشاهدته لعلو مقامه ودوام مزبده واعلامه ولكل مقام توبة ولكل حال من مقامات التوبة توبة ولكل مشاهدة ومكاشفة توبة فهذا حال التائب المتيب الذي هو من الله مقرب وعنده حبيب وهذا مقام مفتق تواب أي مختبر بالاشياء مبتلى بها تواب إلى الله تعالى منها راجع إليه بها لينظر مولاه أو ينظر بقلبه إليه أو إليها أو يعتكف عليه أو عليها أو يطمئن بوجودها إليها وإليه أو يطلب إياه هربا منها أو إياها من كل مشاهدة لسواه ذنب وعليه من كل سكون إلى سواه عتب لماله من كل شهادة علو ومن كل إظهار في الكون حكم فذنبه وتوبته إلى الله تعالى لا تحصى .

وروى صاحب نهج البلاغة أن عليا رضي الله عنه قال لرجل قال بحضرته : استغفر الله شككك أمك أتدري ما الاستغفار ؟ الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان ، أولها : الندم على ما مضى ، والثاني : العزم على ترك العود إليه أبدا . والثالث : أن تؤدي المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل ليس عليك ربه والرابع : أن تعمد إلى كل فرصة ضيعتها فتؤدي حقها . والخامس : أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيقه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد . والسادس : أن تذيق الجسم المطاعة كما أذقه حلاوة المعصية فعند ذلك تقول : استغفر الله انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿خاتمة في الخوف﴾ قال الله تعالى وإياي فارهبون وقال تعالى وخافون إن كنتم مؤمنين فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان فلذلك لا يتصور أن يتفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه *

﴿خاتمة﴾ نسأل الله حسناتها ﴿في الخوف﴾ أعلم أن الخوف عبارة عن تعلم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال لانه إنما يخاف أن يحل به مكروه أو يفوته محبوب من الله تعالى هو أن يخاف أن يعاقبه الله تعالى أما في الدنيا وأما في الآخرة قال الزبيدي : وللخوف لواحق الحزن والقبض والاشفاق والخشوع فحقيقة الحزن ألم يطرق القلب وتوجع لحاصل مكروه أو على فائدة محبوب فإن كان المحبوب والمكروه محمودين كان له حكمهما في الوجوب والفضيلة وإن كان مكروهين كان له حكمهما في الخطر والكراهة وحقيقة القبض هم يطرق القلب تارة يعلم سببه وتارة لا فاما ما يعلم سببه فحكمه حكم الحزن وما لم يعلم سببه فهو عقوبة من الله تعالى بسبب الإفراط في البسط يتأدب به المریدون المائلون عن الاعتدال وحقيقة الاشفاق اتحاد الخوف والرجاء واعتدالهما وحقيقة الخشوع سكون القلب والجوارح وعدم حركتها لما عاين القلب من عظيم أو مفرع.

واعلم أيضا أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والأخبار أما الاعتبار فسيله أن تعرف أن فضيلة الشيء بقدر غنائه في الأفضاء الى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة إذ لا مقصود سوى السعادة إذ هي الغاية المطلوبة ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما اعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر إعمائه وقد ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة الا بتحصيل محبة والأنس به في الدنيا فيموت على ذلك ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة لأنها فرعها فمن لم يعرف لم يحب ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر في مشاهدة خلائه تعالى ولا يحصل الأنس الا بالمحبة ودوام الذكر لآلاء الله تعالى ولا تيسر المواظبة على الذكر والفكر الا باقتطاع حب الدنيا من القلب وفراغه منه ولا ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقم الشهوات وكف النفس عنها ولا تنفع الشهوات بشيء كما تنفع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات والمزبل لآثارها فاذا فضيلة بقدر ما يحرق من الشهوة ويقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب إلى الله زلفى وفي هذا القدر مقتع لأهل التأمل والاعتبار وعبرة لأولى الأبصار.

وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر والاحصاء وناهيك دلالة على فضيلة جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى : وهدي ورحمة للذين هم لربهم يرهبون . والرهبة من لواحق الخوف ومقام من مقاماته وقال تعالى : إنما يخشى الله من عباده العلماء فوصفهم بالعلم لخشيتهم والخشية مقام من مقامات الخوف وقال تعالى : رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه . وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لأن الخوف ثمرة العلم بالله تعالى ﴿وقال تعالى : وإياي فارهبون﴾ وقال تعالى : وخافون إن كنتم مؤمنين . فأمر ﴿سبحانه وتعالى﴾ بالخوف منه ﴿ولوجه وشرطه في الإيمان فلذلك لا يتصور أن يتفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه﴾ كما أن قوة خوفه تكون بحسب قوة معرفته وإيمانه.

وحال الخوف ينظم من علم وحال وعمل أما العلم فهو العلم بالسبب المفضي إلى المكروه وذلك كمن جنى على مالك من المملوك ثم وقع في يده فيخاف العقل مثلا ويجوز العفو والانتلات ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية إلى قتله وهو

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية *

فما حش جنايته وكون الملك في نفسه حقودا غصوبا منتقما وكونه مخفوا بمن يحشه على الانتقام خاليا عن تشفع إليه في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك فالعلم بظواهر هذا الأسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جنايته بل عن صفة مخوف كالذي وقع في مخالف سبع فانه يخاف السبع وهي حرصه وسطوته على الافتراس غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل أو جوار خربق فان الماء يخاف منه لأنه بطبعه مجبول على السيلان والاعراق وكذا النار مجبولة بطبعها على الاحراق فالعلم بأسباب المكروه هو سبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتألمه وذلك الاحتراق هو الخوف .

فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته القديمة من العلم والارادة والقدرة والكلام أما العلم فالعلم بالسعيد والشقي وأنه في ذلك على أتم أنواع الكمال وأما الارادة فتخصيصها ما كشفه العلم من الاسعاد والاشقاء وأما القدرة فايحداها نقص الاسعاد والاشقاء في الوقت الذي خصصته الارادة من غير تقدم ولا تأخر وأما كلام فاخباره ايانا بالأسباب المسعدة والأسباب المشقية والأسباب منها اطلع عليه العباد من أن الطاعة مسعدة وأن المعصية مشقية منها ما خفي فلا اطلع لأحد عليه وذلك لخفي المكر والالطاف الموجبة للتعريب والابعاد فهذه الأبواب من الايمان يجب التصديق بها كلها .

وتارة يكون الخوف لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وملاستها وذلك يستدعي أن يعرف أولا أن كل ما سوى الله تعالى قابل للاهلاك والانتلاف والعقاب لما تقدمه من نقص العدم وما لحقه بعدم اليجاد من نقص الافتقار الى الله تعالى وكيف لا وذات الانسان أضعف ذوات العالم كله والكلمة الطيبة تنعش قلبه وقرصة البقعة ترعج بدنه وليس فيه جزء ثالث فاذا عرف العبد هذا أحسن بذله وعجزه وقبوله تأثره بالمحترات فكيف يقهر جبار السموات ثم علمه ان لسيده عليه نعمات ترى ظاهرة وباطنة عقلية وحسية ثم علمه بكثرة جنايته على مناهج سيده وشريعته وان النعم قابلة السلب والذهاب والجنايات مرتب عليها العذاب هذه معرفة بنفسه في هذا الباب وفي باب علاج الكبر فان لكل باب معرفة تناسبه والايمان بالاعتراف بذل العبودية وكثرة النعم واستحقاق العقوبة على الجنايات واجب وهو فرض عين .

وتارة يكون الخوف بالأمرين المذكورين جميعا وبحسب معرفته بعبود نفسه ومعرفة بجلال الله تعالى واستغنائاه وانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون يكون قوة خوفه فأخوف الناس لربهم أعرفهم بنفسه وبربه ﴿و﴾ لذلك ﴿قال رسول الله ﷺ﴾ : أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية ﴿رواه البخاري من حديث انس : والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له . وللشيخين من حديث عائشة : والله لانا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية . وروى أحمد من حديث رجل من الانصار أنا أتقاكم لله وأعلمكم بمجدود الله . هكذا ذكره الزبيدي .

ثم اذا كملت المعرفة أورثت حالة الخوف واحتراق القلب ثم يفيض أثر الحرقه من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات أما في البدن فبالنحول والصغار والغشية والبكاء وأما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتثييدها بالطاعات تلاقيها لما فرط منه واستعداد للمستقبل وأما في الصفات فبأن يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنه مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهي ويحبه اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتآدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة الكبر والحسد والحقد وسائر أوصاف الرعونة بل يصير مستوعب الهم مخوفه والنظر في خطر عاقبه فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل الا المراقبة

وقال ﷺ رأس الحكمة مخافة الله * وقال عليه الصلاة والسلام قال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمين فإن أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافني في الدنيا أمنت يوم القيامة * وقال عليه السلام إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله

والمحاسبة والمجاهدة والتفكير فلا تمر في غير ذكر الله ومواخذة النفس في الخطرات التي تمر والخطوات التي يخطوها ويكون حاله حال من وقع في محالب سبع ضار لا يدري أنه يفعل عنه فيفلت أو يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم.

وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف والذي هو تألم القلب واحتراقة وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبحسب قوة المعرفة بعيوب النفس وما بين يديه من الاخطار والاهوال وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمتنع عن المحظورات الشرعية ويسمى الكف الحاصل عنها ورعا فإن زادت قوته كف عما يتطرق إليه امكان التحريم فكف أيضا عما لا يتقن تجريمه ويسمى ذلك تقوى إذ التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه وقد يجعله على أن يترك ما لا بأس به بخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا ينس ما لا يسكه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلى الدنيا يعلم أنها تافقه ولا يصرف إلى غير الله تقسا من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في الصدق الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام ويتحدد له سبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فانه أعم لأنه كف عن كل محذور وأعلى منه التقوى فانه اسم الكف عن المحذور والشبهة جميعا ورواؤه اسم الصديق والمقرب قاله الغزالي وغيره.

﴿وقال﴾ رسول الله ﷺ رأس الحكمة ﴿أي أصلها وأسسها﴾ مخافة الله ﴿وفي لفظ خشية الله﴾ رواه ابن لال في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث ابن مسعود ورواه في دلائل النبوة من حديث عقبة بن عامر ولا يصح أيضا الحكيم في النوادر من حديث ابن مسعود كذا ذكره الزبيدي ﴿وقال عليه الصلاة والسلام﴾ قال الله عز وجل : وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمين فإن أمني ﴿في الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافني في الدنيا﴾ أي مع حضور الرجاء ﴿أمنت يوم القيامة﴾ فيه ترجيح الخوف على الرجاء قال المناوي : فمن كان خوفه في الدنيا أشد كان أمته يوم القيامة أكثر وبالعكس وهذا الحديث رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية الحسن مرسلا . وروى أبو نعيم في الحلية من حديث شداد ابن أوس : قال الله عز وجل : وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمين ولا خوفين إن هو أمني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبدي وإن هو خافني في الدنيا أمنت يوم أجمع عبدي : وعند ابن عساکر من حديث أنس يقول الله عز وجل : وعزتي وجلالي وأرفعني فوق خلقي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع لعبدي أمين فمن خافني في الدنيا أمنت اليوم ومن أمني في الدنيا أخفته اليوم . ذكره الزبيدي .

﴿وقال عليه﴾ الصلاة والسلام : إذا اقشعر جلد العبد ﴿بتشديد الرأ أخذته قشعريرة أي رعدة﴾ من خشية الله ﴿والمراد﴾ كما قاله الحنفى : إذا تحلى القلب بخشية الله تعالى وخوفه سواء حصل للبدن رعدة أولا لكن الغالب على من لاحظ الوعيد والعقاب وحصل له خوف حصل لبدنه رعدة وعبر بالخشية دون الخوف لأنها أخص إذ هي شدة الخوف وهذا الحديث لا يتنافى من يعتده تعالى لا لخوف من العذاب ولا طمعا في الثواب لأن غالب الأحاديث في حق عامة الخلق أما الخاصة فلهم أحاديث تخصهم تسمى لب الشريعة

تحات عنه خطاياهم كما يتحات عن الشجرة البالية ورقها * وقال الحسن عليه السلام : إن الرجل ليزن الذنوب فيما ينسأه ولا يزال متخوفا حتى يدخل الجنة * وقال كعب الأخبار عليه السلام : إن رجلا من بني إسرائيل أصاب ذنبا فحزن فجعل يذهب ويحيى ويقول هم أرضى ربي فكنت صديقا * وقال الفضيل رحمه الله عليه من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير * وسئل ابن جبير عليه السلام عن الخشية فقال هي أن تخشى الله حتى تحول خشيتك بينك وبين معاصيه * وفي صحيح البخاري وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا أي ذبه بيده فطار * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعقبة بن عامر لما سأله ما النجاة قال صلى الله عليه وسلم : أملك عليك لسانك وأبك على خطيتك * وقال صلى الله عليه وسلم : لا يبلغ أي لا يدخل النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع

﴿تحات عنه خطاياهم﴾ أي الصفات والكبائر ان اقترن بالخشية توبة كما هو الغالب ن ﴿كما يتحات عن الشجرة البالية ورقها﴾ وجه الشبهة سرعة سقوط الذنوب كمال للانسان وسقوط ورق الشجرة نقص لها لاكمال فهو السرعة ووجه الشبهة لا يجب ان يكون من كل وجه قاله الحنفى والحديث رواه سمويه في الفوائد والطبراني والبخاري عن العباس بن عبد المطلب وهو حديث ضعيف كما ذكره العزيمى. ﴿وقال الحسن رضى الله عنه﴾ : ان الرجل ليزن الذنوب فيما ينسأه ولا يزال متخوفا حتى يدخل الجنة وقال كعب الأخبار رضى الله عنه : ان رجلا من بني اسرائيل أصاب ذنبا فحزن فجعل يذهب ويحيى من شدة الحزن على ذنبه ﴿ويقول﴾ هم أرضى ربي فكنت صديقا ﴿وقال شاه الكرماني﴾ : علامة الخوف الحزن الدائم . وقال أبو القاسم الحكيم : من خاف من شيء هرب منه ومن خاف من الله عز وجل هرب إليه وسئل ذو النون المصري رحمه الله تعالى متى يتيسر على العبد سبيل الخوف ؟ فقال اذا انزل نفسه منزلة السقم يحتمى من كل شيء مخافة طول السقم . وقال يحيى بن معاذ : منسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقراء لدخل الجنة وقال خاتم الأصم رحمه الله تعالى لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف وعلامة الخوف قصر الأمل وقال ايضا : لا تتفر بموضع صالح فلا مكان أصح من الجنة ولقى آدم عليه الصلاة والسلام فيها ما لقي ولا تتفر بكثرة العلم فان بلغام كان يحسن اسم الله الأعظم فانتظر ماذا لقي ؟ ولا تتفر بروية الصالحين فلا شخص أكبر قدرا من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلغاته أقاربه . ﴿وقال الفضيل﴾ بن عياض ﴿رحمة الله عليه﴾ : من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير ﴿أي أرشده إلى كل ما فيه خير اما ظاهرا واما باطنا وذلك لأن صدق الخوف كما قال أبو عثمان هو الورع عن الآثام ظاهرا وباطنا﴾ وسئل ابن جبير عليه السلام عن الخشية فقال : هي ان تخشى الله حتى تحول خشيتك بينك وبين معاصيه ، وفي صحيح البخاري : وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ان المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا ﴿وهذا من باب اطلاق القول وارادة الفعل ولذا قال﴾ (أي ذبه) ودفعه ﴿بيده فطار﴾ : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعقبة بن عامر لما سأله ، ما النجاة ؟ قال صلى الله عليه وسلم : أملك عليك لسانك ﴿بأن لا تتكلم الا فيما يعنى ولذا اجعل له حسيان الانسان والشفقتان لشدة صياله على اعراض الناس﴾ (وليسعك بيتك) قوله وليسعك بيتك هكذا في النسخ التي بأيدينا . وقال المناوى : تعرض لما هو مناسب للزوم بيتك من الاشتغال وترك الاغيار ﴿وابك على خطيتك﴾ أي ذنبك ضمن ابك معنى الندامة وعدها بلى أي اندم على خطيتك رواه ابن ابى الدنيا في الصمت والترمذى وحسنه ابو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب ورواه أحمد من حديث ابى أمامة والطبراني من حديث ابن مسعود .

﴿وقال﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يبلغ أي لا يدخل النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع ﴿رواه الترمذي﴾

ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم * وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم ذكر من السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجلان تحابا في الله عز وجل ورجل دعت امرأته ذات جمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بيمينه فأخفاها عن شماله ورجل تعلق قلبه بالمسجد ورجل ذكر الله أي وعيده وعقابه خاليا

وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد الترمذي والنسائي ﴿ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم﴾ في منخوي مسلم أبدا . وقد رواه كذلك أحمد وهنا دون الحاكم والبيهقي . وقال القشيري في الرسالة أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد وس الحيري العدل قال أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن دلويع الدقاق قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا عامر بن أبي الفرات قال حدثنا المسعود عن محمد بن عبد الرحمن عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكره وعند البيهقي وحده : لا يلبح النار رجل بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذبوا لجاؤ الله يقوم يذنبون فيغفر لهم .

﴿وفي الصحيحين﴾ وغيرهما عن أبي هريرة وأبي سعيد ﴿أنه صلى الله عليه وسلم ذكر من السبعة﴾ أي من الأشخاص يدخل النساء فيما يمكن أن يدخلن فيه شرعا فلا يدخلن في الإمامة العظمى ولا في ملازمة المسجد لأن صلاتهن في بيتهن أفضل نعم يمكن أن يكن ذوات عيال فيدخلن في الإمامة كغيرها وحينئذ فالتمييز بالرجال لا مفهوم له ﴿الذين يظلمهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله﴾ قال المناوي المراد يوم القيامة إذا الناس لرب العالمين وقربت الشمس من الرؤس واشتد عليهم حرها وأخذهم العرق ولا ظل هناك شيء إلا العرش . وقال ابن دینار المراد بالظل هنا الكرامة والكف والكن من المكارة في ذلك الموقف يقال فلان في ظل فلان أي في كنفه وحمايته وهذا أولى الأقوال وقيل المراد بالظل الرحمة ذكره العزبي وهذه السبعة أولهم ﴿إمام عادل﴾ اسم فاعل من عدل فهو عادل وهو الذي يضع الشيء في محله أو الجامع للكمالات الثلاثة : الحكمة والشجاعة والعبقة التي هي أوساط القوى الثلاثة : العقلية والغضبية والشهوانية أو هو المطيع لأحكام الله والمراد كل من له نظر في شيء من أمور المسلمين من الولاية والحكام ﴿و﴾ الثاني ﴿شاب نشأ في عبادة الله﴾ لأن عبادته أشق لغلبة شهوته وكثرة الدواعي له على طاعة الحق وزاد حماد بن زيد عن عبد الله بن عمر فيما أخرجه الجوزقي حتى توفي على ذلك وفي حديث سلمان : أفنى شبابه ونشاطه في عبادة الله ﴿و﴾ الثالث ﴿رجلان تحابا﴾ بتشديد الموحدة أي أحب كل منهما صاحبه ﴿في الله عز وجل﴾ أي في طلب رضاه ولأجله لا يفرض ديني وزاد في رواية : فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه ﴿و﴾ الرابع ﴿رجل دعت﴾ أي طلبته ﴿امرأة ذات منصب﴾ بكسر الصاد أي صاحبة نسب شريف قوله ذات منصب هكذا في النسخ التي بأيدينا و﴿جمال﴾ أي مزيد حسن إلى نفسها للزنا أو للزوج بها فخاف أن يشغل عن العبادة بالاكسباب أو خاف أن لا يقوم بحتمها لشغله بالعبادة عن التكسب بما يلبق بها والأول أظهر كما يدل عليه السياق ﴿فقال﴾ بلسانه أو بقلبه ليزجر نفسه ﴿أنى أخاف الله﴾

﴿و﴾ الخامس ﴿رجل تصدق﴾ بصدقة تطوع وأما الزكاة ففيها تفصيل مذكور في محله ﴿بيمينه فأخفاها عن شماله﴾ ذكره مبالغة في الإخفاء والمعنى لو قدرت الشمال رجلا منسقطا ما علم صدقة اليمين وصور بعضهم إخفاء الصدقة بأن تصدق على الضعيف في صورة المشتري منه فيدفع له مثلا درهما فيما يساوي نصف درهم فالصورة مباينة والحقيقة صدقة وهو اعتبار حسن قال بعض شراح البخاري وأبنا عن بعضهم أنه كان يطرح دراهمه في المسجد ليأخذها المحتاج ﴿و﴾ السادس ﴿رجل تعلق قلبه بالمسجد﴾ وفي رواية بالمسجد أي من شدة حبه لها وإن كان خارجا عنها وهو كناية عن انتظاره أوقات الصلاة فلا يصلى صلاة ويخرج منه إلا وهو ينتظر وقت صلاة أخرى حتى يصلى فيه ﴿و﴾ السابع ﴿رجل ذكر الله أي وعيده وعقابه خاليا﴾ من الناس أو من الالتفات إلى غير المذكور

ففاضت عيناه أي خوفا مما جناه واقترفه من المخالفات والذنوب * وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما لأن أدمع دموعا من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار * وقال كعب الأخبار عليه السلام والذي نفسي بيده لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بجمل ذهب *

وإن كان في ملاء **﴿ففاضت﴾** أي سالت **﴿عيناه﴾** اسند الفيض إلى العين مع أن الفاض هو الدمع لا العين مبالغة لأنه يدل على أن العين صارت دموعا فياضا **﴿أي خوفا مما جناه واقترفه من المخالفات والذنوب﴾** قال بعض شيوخ البخاري: ثم أن فيضها كما قاله القرطبي بحسب حال الذاكر وما ينكشف له ففي أوصاف الجلال يكون البكاء من خشية الله كما في رواية حماد بن زيد عند الجوزي بلفظ ففاضت عيناه من خشية الله وفي أوصاف الجمال يكون شوقا إليه تعالى. وقد نظم السبعة المذكورة أبو شامة فقال:

وقال النبي المصطفى إن سبعة **✽** يظلمهم الله العظيم بظله

حب عفيف ناشئ متصدق **✽** وبالك مصل والإمام بعده

وذكر السبع لا مفهوم له فقد روى الاطلاق لذوي خصال الآخر وتبعها بعضهم فبلغت سبعين فمنها من انتظر معسرا أو وضع عنه ومن أعان مجاهدا في سبيل الله أو غارما في عسرتة أو مكاتبا في رقبته ورجل كان مع شرية في قوم فلقوا العدو فانكشفوا فحمى آثارهم حتى نجوا ونجا أو استشهد ومنها الوضوء على المكاره والمشى إلى المساجد في الظلم وإطعام الجائع حتى يشبع والتاجر الصدوق وحسن الخلق ولو مع الكافر ومن كل يتيم أو أرملة والذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم والحزين ولفظ حديثه: صل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فإن الحزين في ظل الله والتاصح للوالى في نفسه وفي عباد الله ومن لم يكن على المؤمنين غليظا وكان بهم روفًا رحيمًا ومن يعزى الشكلى وواصل رحمه وامرأة مات زوجها وترك عليها أيتاما صغيرا فقالت: لأن تزوج أقيم أيتامى وعبد صنع طعاما فأضاف ضيفه فأحسن ضيافته فدعا اليتيم والمسكين لوجه الله ورجل حيث توجه علم أن الله معه، ورجل يحب الناس للجلال الله تعالى، ورجل تأخذه في الله لومة لائم، ورجل لم يمد يده إلى ما لا يحل له، ورجل لم ينظر إلى ما حرمه الله عليه والذين لا يتغنون في أموالهم الربا ولا يأخذون على أحكامهم الرشاً، ومن فرج عن مكروب من أمته صلى الله عليه وسلم، ومن أحيا سته، ومن أكثر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، وذراعى المسلمين، والذين يعودون المرضى ويسقون الهلكى والصائمون، ومحبة على بن أبي طالب رضى الله عنه ومحبة شيعته، ومن قرأ إذا صلى الغداة ثلاث آيات من أول سورة الأتعام إلى قوله: ويعلم ما تكسبون، ومن ذكر الله تعالى بلسانه وقلبه، والذين يستغفرون بالأسحار ومن لا يحسد الناس، ومن بر والديه، ومن لا يمشى بالنسيمة، ومن قتل في سبيل الله، والمعلم لكتاب الله ورجل أم قوما وهم له راضون، ورجل كان يؤذن في كل يوم وليلة، وعبد أدى حق الله وحق مواليه، والقاضي لحوائج الناس، والمهاجرون، وشخص لم يمش بين اثنين بمراء قط، ومن لم يحدث نفسه بزنا قط، وجملة القرآن، وأهل الورع كذا قاله العزيزى.

﴿وقال عبد الله بن عمرو بن العاص﴾ كذا في نسخة هذا الكتاب وفي الأحياء عبد الله بن عمر بن الخطاب ولعله روى عنهما رضي الله عنهما: لأن أدمع دموعا من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار **﴿وفي لفظ يجمل من ذهب أخرجه أبو نعيم في الحلية﴾** وقال كعب الأخبار رضى الله عنه: والذي نفسي بيده لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بجمل ذهب **﴿أخرجه أبو نعيم في الحلية.**

وقال عوف بن عبد الله بلغني أن لا تصيب دموع الإنسان من خشية الله مكانا من جسده إلا حرم الله تعالى ذلك المكان على النار وكان محمد بن المنكدر إذا أبكى ومسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول بلغني أن النار لا تأكل موضعا من جسده الدموع وتفي صحيح ابن حبان عن عطاء قال دخلت أنا وعبيد بن عمر على عائشة رضي الله عنها فقالت لعبيد بن عمر قد آن لك أن تزورنا فقال أقول يا أمة كما قال الأول زر غبا تردد حبا فقالت دعونا من مطالبكم هذه فقال ابن عمر أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ قال فسكت ثم قالت لما كانت ليلة من الليالي قال يا عائشة دريني أعبد الليلة ربي قلت والله إني لأحب قربك وأحب ما يسرك قالت فقام فطهر ثم قام يصلي فلم يزل يبكي حتى بل حجره قالت وكان جالسا فلم يزل يبكي حتى بل لحيته قالت ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر

وقال عوف بن عبد الله رحمه الله تعالى هكذا في بعض النسخ ولعله عوف بالنون ﴿بلغني أن لا تصيب دموع الإنسان من خشية الله مكانا من جسده إلا حرم الله تعالى ذلك المكان على النار وكان أبو عبد الله محمد بن المنكدر﴾ بن عبد الله بن الهدير البجلي من حفاظ التابعين مات سنة ثلاثين ومائة عن نيف وسبعين سنة روى له الجماعة قال ابن حبان: من سادات القراء لا يتالك من النبلاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ إذا أبكى ومسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعا من جسده الدموع وفي صحيح ابن حبان عن غطاء بن أبي رباح قال: دخلت أنا وعبيد بن عمر هذا تحريف من نسخ وصوابه غير كام في الرسالة الشيعية وغيرها ﴿على عائشة رضي الله عنها فقالت لعبيد بن عمر﴾ فيه ما تقدم ﴿قد آن لك أن تزورنا فقال: أقول يا أمة﴾ أي يا أمي ﴿كما قال أول﴾ أي من الصحابة الكرام كابي هريرة وغيره عن رسول الله ﷺ قال ﴿زر غبا﴾ أي زرا أخاك أنا هريرة وقتا بعد وقت ولا تلازم زيارته كل يوم ﴿تردد حبا﴾ عنده أخرجه البزار والطبراني والبيهقي عن أبي هريرة وأخرجه البزار البيهقي أيضا عن أبي ذر أخرجه الطبراني والحاكم عن حبيب بن مسلمة الفهري قال المنذري روى من طرق كثيرة ولم أقف له على طريق صحيح بل له أسانيد حسنة ﴿فقلت: دعونا﴾ أي اتركونا ﴿من مطالبكم هذه فقال ابن عمر﴾ فيه ما مر فلا تغفل ﴿أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ قال﴾ عطاء ﴿فسكت﴾ عائشة رضي الله عنها وفي رواية فبكت ﴿ثم قالت: ما كانت ليلة من الليالي﴾ وفي رواية وقالت: وأى شيء من شأنه لم يكن عجبا أنه أتاني ليلة فدخل معي في فراشي أو قالت في لحافى حتى مس جلدي جلده ثم قال: يا عائشة دريني ﴿أي اتركني﴾ أعبد الليلة ربي قالت ﴿قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما يسرك﴾ من العبادة ﴿فقام﴾ إلى قرية ماء ﴿فقطر﴾ أي قوضا منها فلم يكثر صب الماء هكذا في رواية ﴿ثم قام يصلي فلم يزل يبكي حتى بل حجره قالت: وكان جالسا فلم يزل يبكي حتى بل لحيته قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى الأرض فجاء بلال يؤذنه﴾ أي يعلمه ﴿بالصلاة﴾ أي صلاة الفجر ﴿فلما رآه﴾ أي رأى بلال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿يبكي قال: يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ أي جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك قبل النبوة وما تأخر بعدها وهذا على قول يجوز الصغائر على الأنبياء.

وقال عطاء الخرساني: ما تقدم من ذنبك أي من ذنب أبويك آدم وحواء بكائك وما تأخر من ذنوب أمك بدعائك لهم. وقال سفيان الثوري: ما تقدم من ذنبك مما كان منك قبل النبوة وما تأخر أي كل شيء لم تعلمه ويذكر مثل هذا على طريق التأكيد كما تقول اعط من تراه ومن لم تراه واضرب من تلقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ما وقع لك من ذنب وما لم يقع فهو مغفور. وقيل المراد معه ما كان من سهو وغفلة وتأول لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ما عسى أن يكون وقع منه من سهو ونحو

قال أفلا أكون عبدا شكورا *

ذلك لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

﴿ قال أفلا أكون عبدا شكورا ﴾ وهذا قد أخرجه عبد بن حميد وابن منذر وابن مردويه وابن أبي الدنيا في الكفر وابن حبان في صحيحه كما مر وابن عساكر كلهم من طريق عطاء ، وقوله أفلا الفاء لسببية من محذوف أى أترك تلك الكلفة نظرا الى تلك المغفرة فلا أكون عبدا شكورا لابل الزمها وإن غفر لي فالمعنى أن المغفرة سبب ذلك التكلف شكر التوكل بل أفعله وأكون شاكرا في الشكر بحسب الأمكان البشري ومن ثم أتى بلفظ العبودية لأنها أخص أوصافه صلى الله عليه وسلم ولذا كررها تعالى في أعلى المقامة وأفضل الأحوال اذ هي مقتضى النسبة المستلزمة للقيام بأعلى الخدمة وهو الشكر اذ العبد اذا لاحظ كونه عبدا وإن ما لكه مع ذلك أنعم عليه بما لم يكن في حسابه علم تأكد وجوب الشكر والمبالغة فيه عليه أو معناه أفلا أكون طالبا للمزيد في المقامة فإن الشكر سبب الزيادة حيث قال : لن شكرتم لأزيدنكم . وقيل بتدوير الكلام اذا أنعم على بالأنعام الواسع أفلا أكون عبدا شكورا أى يصير هذا الأنعام سببا لخروجه عن دائرة المبالغة في الشكر والاستغناء لانكار سببية مثل هذا الأنعام لعدم كونه عبدا شكورا ولا يخفى تكلفه .

* تنبيه * قال الأستاذ أبو القاسم القشيري : حقيقة الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع وعلى هذا القول يوضح الحق سبحانه بأنه شكور توسعا ومعناه أنه يجازى العباد على الشكر فسمى جزاء الشكر شكرا كما قال : وجزاء سيئة سيئة مثلها . وقيل شكره أعطاه الكثير من الثواب على العمل اليسير من قولهم دابة شكور اذا أظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف ويحتمل أن يقال حقيقة الشكر الثناء على الحسن بذكر احسانه فشكر العبد الله تعالى ثناؤه عليه يذكر احسانه اليه وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بذكر احسانه له ثم ان احسان العبد طاعته لله تعالى واحسان الحق انعامه على العبد التوفيق للشكر له وشكر العبد على الحقيقة إنما هو نطق اللسان وإقرار القلب بأنعام الرب تعالى والشكر ينقسم الى الشكر باللسان وهو اعترافه بنعمت الاستكانة والشكر بالتدن والأركان وهو انصاف بالوفاق والخدمة والشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بادامة الحرمة ويقال شكر وهو شكر العالمين يكون من جملة اقوالهم والشكر هو نعت العابدين يكون نوعا من أفعالهم والشكر هو شكر العارفين يكون باستقامتهم له في عموم أحوالهم .

وقال أبو بكر الوراق : شكر النعمة مشاهدة المنة وحفظ الجرمة . وقال حمدون القصار : شكر النعمة أن ترى نفسك فيه طفيلا . وقال الجنيد : الشكر فيه علة لأنه طالب لنفسه المزيد فهو واقف مع الله تعالى على خط نفسه . وقال أبو عثمان والشكر معرفة العجز ويقال الشكر على الشكر ثم وذلك بأن ترى شكريك بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من أجل النعم عليك فشكره على الشكر ثم تشكره على الشكر ان ما لا يتناهى . وقال الجنيد : الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة . وقال شيخ الإسلام لأن من لم ير ذلك ورأى أن النعمة فضل من الله تعالى إستحيا من الله أن يكون شكره جزاء عليها لأنه اذا لاحظ شكره نعمة أخرى إحتاج الى الشكر فهو يترأس أن يكون شاكرا أبدا . قال الشبلي : الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة . وقال أبو عثمان : شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني وقيل قال داود عليه السلام : الهى أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك فأوحى الله اليه الآن شكر تنى . وقيل قال موسى عليه السلام في مناجاته : الهى خلقت آدم يدك فعلت وفعلت فكيف شكرك فقال : علم أن ذلك منى فكانت معرفته بذلك شكرا لى .

وفي منهاج الغزالي أن آدم صفي الله ونبه الذي خلقه يده وأسجد له ملائكته وحمله على أعناقهم إلى جواره لما أكل أكلة واحدة لم يؤذن له فيها فنودي أن لا يجاورني من عصائي وأمر الملائكة الذين حملوا سريره بزجونه من سماء إلى سماء حتى أوقعوه بالأرض ولم يقبل توبته فيما روى حتى بكى على ذلك مائة سنة ولحقه من الهوان والبلاء ما لحقه وبقيت ذريته في تبعات ذلك على الأبد ثم إن نوحا شيخ المرسلين عليه السلام الذي احتمل في أمر دينه ما احتمل لم يقل إلا كلمة واحدة على غير وجهها إذ نودي فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين حتى روى في بعض الأخبار أنه لم يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى أربعين سنة انتهى *

«وفي منهاج» العايدين للإمام أبي حامد «الغزالي» رحمه الله تعالى «أن آدم صفي الله ونبه الذي خلقه يده» أي بقدرته «وأسجد له ملائكته وحمله على أعناقهم إلى جواره» في جنة النعيم مجاورة معنوية «لما أكل» الشجرة في الجنة «أكلة واحدة لم يؤذن له فيها» أي في تلك الأكلة وقصته مذكورة في الكتاب العزيز «فنودي أن لا يجاورني من عصائي وأمر» سبحانه وتعالى «الملائكة الذين حملوا سريره» عليه الصلاة والسلام «بزجونه» أي يسرقونه ويدفعونه يقال رجاء يزجوه زجوا وأوى ساقه ودفعه يرفق وزجى الشيء تزجية دفعه يرفق «من سماء إلى سماء حتى أوقعوه بالأرض ولم يقبل توبته فيما روى» في بعض الأخبار «حتى بكى على ذلك» أي على الأكل المنهي عنه «مائة سنة ولحقه من الهوان والبلاء ما لحقه وبقيت ذريته في تبعات ذلك» الذنب «على الأبد ثم إن نوحا شيخ المرسلين عليه السلام الذي احتمل في أمر دينه ما احتمل» من الصبر على إيداء قومه وغيره «لم يقل» عليه السلام «إلا كلمة واحدة» وهي قوله : ان ابني من أهلي قيل له انه ليس من أهلك إلى آخره «على غير وجهها» أي على غير موضعها كما في نسخة «إذ نودي» بأنوح انه ليس من أهلك انه غير صالح «فلا تسألن ما ليس لك به علم» وذلك أن نوحا عليه السلام سأل ربه انجاء ولده كنعان من الفرق وهو من كمال شفقة الوالد على ولده وهو لا يعلم أن ذلك محذور لاصرار ولده على الكفار فتهاه الله سبحانه وتعالى عن مثل هذه المسئلة وأعماله ان ذلك لا يجوز فقال : فلا تسألن ما ليس لك به علم . «إني أعظك» أي أنهاك «أن تكون من الجاهلين» أي لمثل هذا السؤال قال : لب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وان لم تغفروا وتترحموا علي أكن من الخاسرين .

* فرع * وقد استدلل بهذه الآيات من لا يرى عصمة الأنبياء وبإنه أن قوله عمل غير صالح المراد منه السؤال وهو محذور فلماذا نهاه عنه بقوله : فلا تسألن ما ليس لك به علم وقوله سبحانه وتعالى : إني أعظك أن تكون من الجاهلين . يدل على أن ذلك السؤال كان جهلا فقيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بأن ينجاه وأهله فأخذ نوح ظاهر اللفظ وأتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك وعد الله سبحانه وتعالى فأقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله ما ليس له به علم وبين له أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وأعلمه الله سبحانه وتعالى أنه مغفوق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فأشفق نوح اقدمه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فلجأ إلى ربه عز وجل وخشع له وعاذ به وسأله المغفرة والرحمة لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين وليس في الآيات ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله واقدمه على سؤاله ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية «حتى روى في بعض الأخبار أنه» أي نوحا عليه السلام «لم يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى أربعين سنة انتهى» كلام منهاج الغزالي .

وقال الحسن إن آدم عليه الصلاة والسلام بكى حين أهبط من الجنة ثلاثمائة عام حتى جرت أودية سرنديب من دموعه * وقال وهب بن الورد إن نوحا عليه الصلاة والسلام لما عاتبه الله في ابنه بكى ثلاثمائة عام حتى صار في خديه أمثال الجداول أي الأنهار الصغار من البكاء * وقال مجاهد بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه حتى غطى رأسه فتودى يا داود أجائع أنت قطعتم أم ظمان قستى أم عار فكسى فنجب نجبة هاج منها العود فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله عليه التوبة والمغفرة فقال رب اجعل خطيئي في كفي فصارت خطيئة في كفه مكتوبة فكان لا يسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره إلا رآها فأبكنه * قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاء ماء فإذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه *

وقال الحسن البصري رحمه الله عليه ﴿إن آدم عليه الصلاة والسلام بكى حين أهبط﴾ أي أنزل ﴿من الجنة ثلاثمائة عام حتى جرت أودية سرنديب﴾ اسم بلد معروف بالهند ﴿من﴾ كثرة ﴿دموعه﴾. وقال وهب بن الورد ﴿رحمه الله تعالى﴾ إن نوحا عليه الصلاة والسلام لما عاتبه الله في ﴿ابنه﴾ كئمان ﴿بكى ثلاثمائة عام حتى صار في خديه أمثال جداول أي الأنهار الصغار من البكاء﴾. وقال مجاهد ﴿رحمه الله تعالى﴾ بكى داود عليه السلام أربعين ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه و﴿حتى غطى رأسه فتودى يا داود أجائع أنت قطعتم أم ظمان﴾ أي عطشان ﴿قستى أم عار فكسى فنجب نجبة﴾ أي صرخ داود صرخة ﴿هاج﴾ أي يسس ﴿منها﴾ من تلك النجبة ﴿العود فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله عليه التوبة والمغفرة فقال﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿هارج جعل خطيئي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان﴾ داود عليه السلام ﴿لا يسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره إلا رآها﴾ أي الخطيئة المكتوبة ﴿فأبكنه﴾ قال مجاهد ﴿وكان يؤتى بالقدح ثلثاء ماء فإذا تناوله﴾ أي ذلك القدح ﴿أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه﴾ رواه ابن أبي شبة وعبد بن حميد وابن المنذر بلفظ: لما أصاب داود خطيئة خرا الله ساجدا أربعين يوما وأربعين ليلة وكانت خطيئته في يده ينظر إليها لكيلا يفعل حتى نبت البقل حوله من دموعه ما غطى رأسه فتودى أجائع قطعتم أم عريان فكسى أم مظلوم فتتضرع قال: فنجب نجبة هاج ما يليه من البقل حين لم يذكر ذنبه فعند ذلك غفر الله له ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير بلفظ: لما أصاب داود خطيئة خرا الله ساجدا أربعين يوما حتى نبت من دموع عينية من البقل ما غطى رأسه ثم نادى رب قرح الجبين وجمدت الأعين فتودى أجائع قطعتم أم مريض فتشفى أم مظلوم فتتضرع لك فنجب نجبا هاج كل شيء نبت فعند ذلك غفر له وكان يؤتى بالاناء فيشرب فيذكر خطيئته فيشتحب فتكاد مفاصله يزول بعضها من بعض فياشرب بعض الاناء حتى يملأ من دموعه.

وروى أحمد في الزهد عن أبي عمران الجوني قال: سجد داود أربعين ليلة ويوما لا يرفع رأسه إلا صلاة فريضة حتى يسس وقرحت جبهته وكلاه وركبناه. وروى الحاكم وابن جرير عن السعد قلل: مكث داود ساجدا أربعين يوما يبكي لا يرفع رأسه إلا الحاجة ثم تقع ساجدا يبكي نبت العشب من دموع عينية فأوحى الله إليه بعد أربعين يوما يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك. وروى أحمد وعبد بن حميد عن يونس بن خباب أن داود بكى أربعين ليلة حتى نبت العشب حوله من دموعه ثم قال: قرح الجبين ورقا الدمع خطيئتي على كما هي فتودى أن يا داود أجائع قطعتم أم ظمان قستى أم مظلوم فتتضرع لك فنجب نجبة هاج ما هنالك من الحضرة فغفر له عند ذلك. وروى ابن أبي شبة وعبد بن حميد عن عبيد الله بن عمير الليث: أن داود سجد حتى نبت ما حوله خضرا من دموعه فأوحى الله إليه أن يا داود أتريد أن أزيد في مالك وعمرك؟ فقال: يارب هذا تريد على أريد أن تغفر لي. وروى عبد بن حميد عن كعب قال:

وقال عبد الله بن عمرو وكان يحيى بن زكريا عليهما السلام يبكي حتى تقطع خداه ويدت أضراسه فقالت له أمه لو أذنت لي يا بني حتى أتخذ لك قطعتين من لبود تواري بهما أضراسك عن الناظرين فأذن فألصقتهما بخديه فكان يبكي فكانتا تسيلان بالدموع فتجيء أمه فتعصرهما فتسيل دموعها على ذراعها *

سجد داود نبي الله أربعين يوماً وأربعين ليلة لا يرفع رأسه حتى رقا دمه ويس في مكان من آخر دعائه وهو ساجد أن قال: يا رب رزقني العافية فسألك علما فلما ابتليته لم أصبر فان تعذبني فأنا أهل ذلك وإن تغفر لي فأنت أهل ذلك . وروى الحكيم وابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أنس رفع قال: سجد داود أربعين ليلة حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الأرض جبينه وهو يقول في سجوده: رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب رب إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديتا في الخلوف من بعدى الحديث . وروى أحمد والحاكم وابن جرير عن عطاء الخراساني أن داود عليه السلام نقش خطيئته في كفه وقال عبد العزيز بن عمر: لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال: الهى بح صوتي عن صفاء أصوات الصديقين

«وقال عبد الله بن عمر» رضي الله عنهما «وكان يحيى بن زكريا عليهما السلام يبكي حتى تقطع خداه ويدت» أي ظهرت «أضراسه فقالت له أمه» وهي حنة أخت أم مريم بنت عمران بن ماثان قاله النسفي «لو أذنت لي يا بني حتى أتخذ لك قطعتين من لبود» أي ما يتلد من شعرا وصف «تواري» أي تستر «بهما أضراسك عن الناظرين فأذن» ابتها بذلك «فألصقتهما» أي القطعتين «بخديه فكان يبكي فكانتا تسيلان بالدموع فتجيء أمه فتعصرهما فتسيل دموعه على ذراعها» وذكر الغزالي بأيسر من هذا قال: وقال ابن عمر رضي الله عنهما: دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان فنظر إلى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف ونظر إلى مجتهدهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوا أنفسهم إلى أطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع إلى أبيه فمر بصبيان يلعبون فقالوا له: يا يحيى هلم بنا للعب فقال: اني لم أخلق للعب قال: فأتى أبيه فساءلها أن يد رعاها الشعر ففعل فرجع إلى بيت المقدس وكان يخدمه نهارا ويصلي فيه ليلا حتى أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم أطواد الأرض فخرج أبواه في طلبه فأدركاه على بحيرة الأردن وقد أتق رجليه في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول: وعزتك وجلالك لأذوق بارد التراب حتى أعلم أين مكاني منك فقالا أبواه أن ينظر على قوص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكثر عن يمينه فمدح بالبر ففرده أبواه إلى بيت المقدس فكان إذا قام يصلي يبكي حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغنى عليه فلم يزل يبكي حتى حرقت دموعه لحم خديه ويدت أضراسه للناظرين فقالت: يا بني لو أذنت لي أن أتخذ لك شيئا تواري به أضراسك عن الناظرين فأذن لها فعمدت إلى قطعتين لبود فألصقتهما على خديه فكان إذا قام يصلي يبكي فاذا استتعت دموعه في القطعتين أتت إليه أمه فتعصرهما فاذا رأى دموعه تسيل على ذرعى قال: اللهم هذ دموعي وهذه أسى وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا يوما: يا بني إنما سألت ربي أن يهلك لي لقر عينا بك فقال يحيى: يا أبت أن جبريل عليه السلام أخبرني أن بين الجنة والنار مغارة لا يقطعها الا كل بكاء ، فقال زكريا عليه السلام: يا بني فأبكت انتهى .

وروى المتذري وابن أبي حاتم والخراطي وابن عساكر عن معمر بن راشد قال: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب قال: ما للعب خلقت فهو قوله تعالى: وآتيناه الحكم صيا . وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد من طريق معمر عن قتادة قال: جاء الثعلبان إلى يحيى بن زكريا فقالوا: أخرج بنا نلعب فقال: ما للعب خلقت قال: فأنزل الله: وآتيناه الحكم صيا .

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها كان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن * وقال عبد الله بن عيسى كان في وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطان أسودان من البكاء * وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كنت شعرة في صدر مؤمن * وقال عمر رضي الله عنه أغند موته الويل لعمر إن لم يغفر الله له وبكى ابن عباس رضي الله عنهما حتى صار كأنه الشن البالي وبكى تلميذه سعيد بن جبير حتى عمشت عيناه * وعن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر قال قلت لزبد بن مرثد مالي أرى عينك لا تحف قال وما مسألتك عنه قلت عسى الله أن يتفني به قال يا أخي إن الله قد توعدني أن أنا عصيته أن يسجنني في النار والله لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لكنت حراً أن لا تحف لي عين قال فقلت له فكيف أنت في خلواتك قال وما مسألتك عنه قلت عسى الله أن يتفني به لك فقال والله إن ذلك ليعرض لي حين أسكن إلى أهل أي لإرادة وطنها فيحول ذلك بيني وبين ما أريد وأنه ليوضع الطعام بين يدي فيعرض لي فيحول بيني وبين أكله حتى تبكي امرأتي وتبكي صبياننا ما يدرون ما أبكنا *

وروى الحاكم في التاريخ من طريق نسل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس رفعه قال الغلمان ليحيى بن زكريا : اذهب بنا نلعب فقال يحيى : ما للعب خلقنا اذهبوا نصلي . وروى اسحق بن بشر في المبتدا وابن عساکر عن ابن عباس قال : مويحي بن زكريا على صنية أترب له يلعبون على شاطئ نهر بطين وماء فقالوا : يا يحيى تعال حتى نلعب فقال : سبحان الله أولعب خلقنا . وروى ابن أبي خاتم من طريق عبد الرحمن بن القاسم قال : قال مالك : بلغني أنه لم يكن ليحيى عيشة الاعشب الأرض وكان يبكي من خشية الله حتى لو كان على خده القار لأذابه . وروى ابن شيبه وأحمد في الزهد وابن عساکر عن أبي ادريس الخولاني قال : كان يحيى بن زكريا يأكل العشب وأنه كان ليكي من خشية الله تعالى حتى لو كان القار على عينه لحرقه ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه .

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه رجلاً بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن * وقال عبد الله بن عيسى رحمه الله تعالى * كان في وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطان أسودان من البكاء * أخرجه أبو نعيم في الحلية . وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشياً عليه فكان يعاد أياً ما وأخذ يوماً تبته من الأرض فقال : يا ليتني كنت نسياً نسياً باليتني لم تلدني أمي * وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ليتني كنت شعرة في صدر مؤمن * وقال عمر رضي الله عنه عند موته : الويل * أي الهلاك * لعمر * يعني نفسه * إن لم يغفر الله له . وبكى ابن عباس رضي الله عنهما حتى صار كأنه الشن البالي . وبكى تلميذه سعيد بن جبير رضي الله عنه * حتى عمشت عيناه ، وعن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر قال : قلت لزبد بن مرثد : مالي أرى عينك لا تحف * أي تيبس * قال * ابن مرثد * وما مسألتك عنه * أي ما مقصود سؤالك عن عدم جفاف عيني من الدموع ؟ * قلت : عسى الله أن يتفني به * أي بسؤال عماد ذكر * قال : يا أخي إن الله قد توعدني أن أنا عصيته أن يسجنني في النار والله لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام لكنت حراً أن لا تحف لي عين قال * عبد الرحمن * فقلت له فكيف هكذا قوله فهكذا : هكذا في النسخ التي بأيدينا * أي مثل حاله وهو البكاء * أنت في خلواتك قال : وما مسألتك عنه ؟ قلت عسى الله أن يتفني بذلك * البكاء * فقال * ابن مرثد * والله إن ذلك * البكاء * ليعرض لي حين أسكن إلى أهلي * أي زوجي * لا إرادة وطنها فيحول ذلك بيني وبين ما أريد * من الوطء * وأنه * أي الحال والشأن * ليوضع الطعام بين يدي فيعرض لي * ذلك البكاء * فيحول * ما يعرض لي * بيني وبين أكله حتى تبكي امرأتي وتبكي صبياننا ما يدرون * أي ما يعلمون * ما أبكنا *

وعن عمر بن زاذان قال قال لي كهمس يا أبا سلمة أذنبت ذنبا فانا أبكي عليه منذ أربعين سنة فقلت ما هو قال زارني أخ لي فاشتريت له سمكا بدقيق فلما أكل قمت إلى حائط جار لي فأخذت منه قطعة طين فغسل بها يده فانا أبكي على ذلك أربعين سنة * ودخل بعض أصحاب فتح الموصلي عليه فراه يبكي ودموعه خالطها صفرة فقال له بكيت الدم قال نعم قال على ماذا قال تخلفني عن واجب حق الله ثم رآه في المنام بعد موته فقال له ما فعل الله بك قال غفر لي قال ما صنع في دموعك قال قربني قال لي يا فتح على ماذا بكيت قلت يا رب على تخلفني عن واجب حقك قال فالدم قلت خوفا أن لا يفتح لي قال يا فتح ما أردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صعد حافظاك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة * وكان أبو الدرداء رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ يحلف بالله أن من أمن السلب عند موته سلب عند موته أي جزاء لآمنه مكر الله وقال عبد الرحمن بن مهدي مات سفيان الثوري فلما اشتد به النزاع جعل يبكي فقال له رجل

«وعن أبي سلمة رضي الله عنه عمر بن زاذان رضي الله تعالى عنه قال قال لي كهمس: بن الحسن التميمي البصري كان ثقة مات سنة تسع وأربعين بعد المائة رحمه الله تعالى ذكره في سراج السالكين يا أبا سلمة كية ابن زاذان أذنبت ذنبا فانا أبكي عليه منذ أربعين سنة فقلت: يا هو؟ أي ذلك الذنب قال زارني أخ لي في الله فاشتريت له أي لأكرم أخى كما هو حق المضيف سمكا مشويا بدقيق معرب وهو سدس درهم فلما أكل أي فرغ أخى من أكله قمت إلى حائط جار أي جداره لي فأخذت منه أي من الحائط قطعة طين فغسل أخى بها أي بالقطعة يده ولم أستحله قبل أخذى له هكذا ذكره القشيري في الرسالة فانا أبكي على ذلك الذنب أربعين سنة قال الشيخ الإسلام شارح تلك الرسالة فيكاه على خذه مع علمه بتحريمه وترك الاستحلال قبل أخذه وفي ذلك دلالة على غاية احترازه من الذنوب المستحقة عند الناس

«ودخل بعض أصحاب أبي محمد فتح بن سعيد الموصلي أحد الصوفية والزهاد صاحب الجد والاجتهاد من أقران بشر الحافي والنسري السقطي وكان كبير الشأن في الورع والمعاملات وسأل رجل المعافي بن عمران: هل كان لفتح الموصلي كبير محل؟ فقال: كذاك بعلمه تركه لنا ترجم له الشعراني زاد المناوي: أنه توفي سنة ١٣٠ عليه فراه أي رأى البعض فتح الموصلي يبكي ودموعه خالطها صفرة فقال البعض له أي لفتح الموصلي بكيت الدم قال: نعم قال البعض على ماذا؟ قال: تخلفني عن واجب حق الله ثم رآه في المنام بعد موته أي موت فتح الموصلي فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي قال: ما صنع سبحانه وتعالى في دموعك قال: قربني قال: عز وجل لي يا فتح على ماذا بكيت؟ قلت: يا رب بكيت على تخلفني عن واجب حقك قال: عز وجل فالدّم أي فعلى ماذا بكيت الدم قلت: خوفا أن لا يفتح لي قال: سبحانه وتعالى يا فتح ما أردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صعد حافظاك من الملائكة أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة.

«وكان أبو الدرداء رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ عليه وسلم يحلف بالله أن من أمن على إيمانه السلب عند موته أي جزاء لآمنه مكر الله قال صاحب الفتوح: فهذا أعلى أمرين أحدهما أن يخفى ذلك عليه فلا يعلم بسلب إيمانه تخفى مكر الله به، والثاني: أن يظلم قلبه ويسود لظلم الغفلة فلا يزال يفتقد أذ قد هيا قلبه على قلة المبالاة وترك الأكرام لذلك فيهنون عليه فقد الإيمان وقد كان بعض العلماء يقول: من أعطى التوحيد أعطيه بكماله ومن منعه منعه بكماله أذ كان التوحيد في نفسه لا يتبع

«وقال عبد الرحمن بن مهدي: رحمه الله تعالى مات سفيان الثوري رحمه الله فلما اشتد به النزاع أي نزاع الروح

«جعل يبكي» ويجزع فقال له رجل من الحاضرين

يا أبا عبد الله أتراك كثير الذنوب فرفع رأسه وأخذ شيئا من الأرض فقال والله الذنوبي أهون عندي من هذا اني أخاف أن أسلب الإيمان قيل أن أموت * وفي الروض الفائق عن سفيان الثوري أنه خرج إلى مكة حاجا فكان يبكي من أول الليل إلى آخره في الحمل فقال شيبان الراعي يا سفيان بكائك إن كان لأجل المعصية فلا تعصه

﴿ها أبا عبد الله﴾ كنية سفيان ﴿أتراك﴾ أي أترى نفسك ﴿كثير الذنوب﴾ عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك فقال لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأسأل الجبل من الخطايا وفي رواية ﴿رفع رأسه وأخذ شيئا من الأرض فقال: والله الذنوبي أهون عندي من هذا اني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت﴾ وقد كان رحمه الله أحد الخائفين قال موسى بن مسعود البصري: كنا إذا جلسنا إلى السفيان الثوري كان النار أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه أخرجه أبو نعيم في الحلية، وكان سهل التستري رحمه الله تعالى يقول: المرء يخاف أن يتلى بالمعاصي والعارف يخاف بالكفر

وحكى عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض اخوانه فقال: إذا حضرته الوفاة فاقعد عند رأسي فاذا غابت فانظروا إلى فاني رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر به لوزا وسكرا واشتره على صبيان أهل البلد وقل هذا عرس المنقلب الحاذق وإن مت على غير التوحيد فاعلم الناس اني مت على غير الاسلام حتى لا يغتروا بشهود جنازتي لئلا يلحقني الرباء بعد الوفاة فأكون قد خدعهم حيا وميتا قال له صاحبه: وم أأعلم ذلك؟، فذكر له علامة وهي أنه قال: ضع أصبعك في كفي فان أمسكها وشددت عليها فاعلم اني قدمت على التوحيد وإن أرسلتها ونبتتها فاعلم ان حالي سيئة ففعل فرأى علامة التوحيد عند موته بأن قبض على أصبعه وشدها فلم يخرجها من كفه الا بعد موته فنفذ وصيته فاشترى السكر واللوز وفرقه عند موته كما أمر قال: ولم يحدث بذلك أحدا الا خصوص اخواني من العلماء .

قال الزيدي: وذلك أن العبد مهما عمل في حياته من سوء أعيد ذكره عليه عند فراق الحياة وقلب قلبه فيه وأشهد وجده إياه عند آخر ساعة من وفاته فان استخلى ذلك بقلبه واستهوت نفسه وقف معه وسكن إليه فاذا وقف معه حسب عليه وجعل عملا من أعماله الا أنه من أعمال القلوب في الوقت وقد تقدم سعيه فيه وهو اهوى قبل الوقت وكان أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى يقول: منذ ثلاثين سنة أصلي واعتقادي في نفسي عند كل صلاة أصليها كاني مجوسى أريد أن أقطع زناري . قال شيخ الاسلام فسر في موضع آخر فقال: كتبت ثنتي عشرة سنة اعدد نفسي وخمس سنين مرآة قلبي وسنة نظرت فيما بينهما فاذا في وسطى زنار ظاهر فعلت في قطعه ثنتي عشرة سنة ثم نظرت فاذا في وسطى زنار باطنى فعلت في قطعه خمس سنين فقال: كتبت أعدل جوارحى وخواطرى بالخوف والرجاء هذه المدة حتى اعدلت على الشريعة فرأيت نفسى الثقات الى الخلق يعرفوا ما أنا عليه من الطاعة الخالصة فشبه نفسه حيث التقت في عمله الى غير الله بعلامة الشرك وهى زنار ظاهر فعل في قطعه فلما تخلص منه أعجب بنفسه وهواه وحمد نفسه على ذلك ونسى منه ربه عليه فلما أدرك رأى زنارا باطنا حيث جعل لنفسه أثرا في طاعته فلما من الله برؤية فضله عليه وأن جميع الخلق كالموتى في أنهم لا يضررون ولا ينفعون كبر عليهم أربع تكبيرات فذكر الله وحده واستند إليه دون غيره . فقوله كاني في صلاتي مجوسى يعنى في المدة التي كان يعمل فيها في قطع الزنار الظاهر مع ما قبلها والله أعلم .

﴿وفي الروضة الفائق﴾ في المواعظ والرقائق لمؤلفه رحمه الله تعالى عليه ﴿عن سفيان الثوري﴾ رحمه الله ﴿أنه خرج إلى مكة حاجا فكان يبكي من أول الليل إلى آخره في الحمل فقال شيبان الراعي: يا سفيان بكائك إن كان لأجل المعصية فلا تعصه﴾ تعالى

فقال سفيان أما الذنوب فما خطرت ببالي قط صغيرها ولا كبيرها وليس بكافي يا شيان من أجل المغصية ولكن خوف الخاتمة لأنني رأيت شيخا كبيرا كتبنا عنه العلم وعلم الناس أربعين سنة وجاور بيت الله الحرام سنين وكان يلتمس بركه ويستقي به الغيث فلما مات حول وجهه عن القبلة ومات على الشرك كافرا فأنا أخاف من سوء الخاتمة *

﴿فقال سفيان: أما الذنوب فما خطرت ببالي قط صغيرها ولا كبيرها وليس بكافي يا شيان من أجل المغصية ولكن﴾ كان بكافي ﴿خوف الخاتمة﴾ أي خاتمة السوء ﴿لأنني رأيت شيخا كبيرا كتبنا عنه العلم وعلم الناس أربعين سنة وجاور بيت الله الحرام سنين وكان يلتمس﴾ أي يطلب ﴿بركه ويستقي به الغيث﴾ أي المطر ﴿فلما مات حول وجهه عن القبلة ومات على الشرك كافرا فأنا أخاف من سوء الخاتمة﴾ فإذا كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء بل هم بطريق الأولى.

وسوء الخاتمة أسباب تقدم على الموت مثل البدعة والتفائق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة رضوان الله عليهم من التفائق كما هو معروف من سيرهم وأحوالهم حتى قال الحسن البصري رحمه الله: لو أعلم أني بريء من التفائق كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس. هذا مع فضله وزهده وورعه وما عتوا به التفائق الذي هو ضد أصل الإيمان كما يتبادر إلى الأذهان بل المراد به يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلما منافقا وله علامة كثيرة. قال صلى الله عليه وسلم: أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن فبها شعبة من التفائق حتى يدعيها من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتفق خان وإذا خاظم فجر. وفي لفظ آخر: وإذا عاهد غدر.

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: انكم تعلمون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كما تعدوها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات وعلامة التفائق أكثر من أن تحصى هي سبعون علامة ولا يعرى من التفائق الاطبقات ثلاث الصديقون والشهداء والصالحون وهؤلاء الذين ضمهم الله إلى الأنبياء ووصفهم بكمال النعمة عليهم وعافاهم من الخيرة بالبلوى وقال بعضهم لبعض العارفين: اني أخاف على نفسي التفائق قال: لو كنت منافقا لما خفت التفائق فلا يزال العارف بين التفائق السابقة والخاتمة خائفا منها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: المؤمن بين محققين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعجب ولا بعد الدنيا من دار الالجنة أو النار رواه البيهقي في الشعب.

واعلم أن أعمال العبركلها ضائعة إن لم يسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وأن سلامته مع اضطراب أمواج الحواطر مشكلة جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله رحمه الله يقول: اني لأعجب ممن هلك كيف هلك ولكني أعجب ممن نجى كيف نجى ولذلك قال حامد اللطاف: اذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقد مات على الخير والاسلام تعجبت الملائكة وقالوا: كيف نجى هذا من ه يافسد فيها خيارنا. قال الزبيدي: يشيرون بذلك إلى إبليس وهاروت وماروت وإنما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيحتم له بما سبق به الكتاب ولا يتسع فواق ناقة لأعمال توجب الشقاوة إذ الروح تكون قريبا من الصدر بل هي الحواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف وهذا من تقلبات القلوب عن حقيقة وجه التوحيد إلى وجهة الضلال والشرك عند ما يبدو من زوال العقل وذهاب علم المعقول قيده من الله ما لم يكن يحسب.

وقال سهل رأيت في المنام كأنني أدخلت الجنة فرأيت ثلاثاً نبي فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا فقالوا سوء الخاتمة اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة ونعوذ بك من سوءها وأن توفانا على الإيمان والتوبة * وفي الصحيحين قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: وأنذر عشيرتك الأقربين . فقال يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس عم رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً

﴿وقال﴾ أبو محمد ﴿سهل﴾ التستري رحمه الله تعالى ﴿رأيت في المنام كأنني أدخلت الجنة فرأيت ثلاثاً نبي فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا فقالوا: سوء الخاتمة﴾ أي الخاتمة من مكر الله عز وجل الذي لا يوصف ولا يظن له ولا عليه بوقت ولا نهاية لمكره لأن مشيئة وأحكامه لا غاية لها ولا أجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوط عليها وكان موت الفجأة مكرهاً أما موت الفجأة فلا نه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستلامه على القلب والقلب لا يخلو عن أمثاله الآن يدفع بالكراهة أو بنور المعرفة ولا أجل ما ذكر سأل المغفور به أن ينجيه من سؤال ذلك فقال ﴿اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة ونعوذ بك من سوءها﴾ ﴿أن توفانا على الإيمان والتوبة﴾ وإذا بان لك ما هو مخوف في الخاتمة فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا وأحرم من فعل المعاصي جوارحك الظاهرة وعن الفكر فيها قلبك واحترز من مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهلك وطاقتك فإن ذلك أيضاً يؤثر في قلبك تأثيراً يحول بينك وبين ذكر الله تعالى فيشغلك عن الله وإياك أن تسوف فإن كل نفس من أنفاسك هي خاتمتك اذ يمكن أن يحطف فيها روحك بغية هذا ما دمت في يقظتك وأما إذا نمت فإياك أن تنام إلا على طهارة الظاهرة والباطنة وإن يغلبك الابعد غلبة الذكر الله على قلبك أما نفاً وإثباتاً وأما اقتصاراً على لفظة الله مع كمال المراقبة لست أقول على لسانك فإن حركة اللسان بمجرد ما ضعيفة الأثر، وأعلم قطعاً أنه لا يغلب عند النوم على قلبك إلا ما كان غالباً عليه قبل النوم ولا يبعث عن نومك إلا ما غلب على قلبك في نومك والموت والبعث شبيه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد إلا ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ إلا ما كان عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء إلا ما عاش عليه ولا يحشر الأعلی ما مات عليه وتحقق قطعاً وبقيناً أن الموت والبعث حالتان من أحوالك كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك وآمن بهذا تصديقاً باعتقاد القلب إن لم تكن أهلاً لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب أنفاسك ولحظاتك كلها أن تمر في غير ذكر الله وإياك أن تفعل عن الله طرفة عين فإني إذا فعلت ذلك المذكور من الإيمان القلبي ومراقبة الأنفاس واللحظات كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف إذا لم تفعل ؟

﴿وفي الصحيحين﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﴿قام رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ على الصفا ﴿حين أنزل﴾ قوله تعالى ﴿عليه: وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ أي الأقرب منهم فالأقرب فإن الاهتمام بشأنهم أهم ولأن الحجة إذا قامت عليهم تعددت إلى غيرهم ﴿فقال﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿يا معشر قريش﴾ أو كلمة نحوها ﴿اشتروا أنفسكم من الله﴾ بخلصها من عذابه بالطاعة لأنها ثمن النجاة ﴿لا أغني عنكم من الله شيئاً﴾ أي لا أدفع . قال الله تعالى: هل أتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء . أو لا أنفعكم ﴿يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً﴾ يا عباس عم رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً ﴿يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً﴾

وقال كعب الأخبار عليه السلام إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ونزلت الملائكة فصارت صفوفا فيقول يا جبريل انني بجهنم فأتى بها جبريل نقاد سبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى إذا كانت من الخلاق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفدة الخلاق ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبته ثم تفرز الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتخرج العقول فيخرج كل امرئ إلى عمله حتى أن إبراهيم الخليل يقول بخلي لا أسألك إلا نفسي ويقول موسى بمناجاتي لا أسألك إلا نفسي وإن عيسى يقول بما أكرمتني لا أسألك إلا نفسي لا أسألك مريم التي ولدتني

وروى عن قبيصة بنت محارق وزهير بن عمر وقالوا : لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى روضة جبل فعلا أعلاما حجرا ثم نادى : يا بني عبد مناف اني نذير لكم إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشى أن يسبقوه فجعل يهتف : يا صباحاه ومعنى الآية أن الانسان اذا بدا بنفسه أولا وبالقول فالأقرب من أهله ثانيا لم يكن لأحد عليه طعن البتة وكان قوله أنفع وكلامه أنجح . وروى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهدى يابني عدي لبطن قريش حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو ف جاء أبو لهب وقريش فقال : أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ فقالوا : نعم ما جئنا عليك كذبا قال : فأتى نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب : تبالك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت تبث يداي بيني ولبي وبما أغنى عنه ما له وما كسب . وفي رواية قد تب وفي رواية للبخاري لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين . خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا : من هذا واجتمعوا إليه وذكر نحوه .

وقال كعب الأخبار رضي الله عنه : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ونزلت الملائكة فصارت صفوفا فيقول الله تعالى عند ذلك ﴿ يا جبريل انني بجهنم فأتى بها جبريل نقاد سبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ﴾ وروى ابن مردويه من حديث أبي سعيد : يجي بجهنم سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فشرذ شرذة لو تركت لأحرقت أهل الجمع . ومن حديث علي نحوه . وروى مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ﴿ حتى إذا كانت من الخلاق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت ﴾ أي ذهبت ﴿ لها أفدة الخلاق ثم زفرت ثانية ﴾ وشهت والزفير أول صوت الحمار والشيء آخره ثم استعير ذلك للنار لها زفير وشهيق . وروى ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى : سمعوا لها شهيقا قال صباحا . وروى عبد بن حميد عن يحيى قال : أن الرجل ليجر إلى النار فتشبه إلى النار ثم تفرز زفرة لا يبقى أحد الاخاف ﴿ فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبته ﴾ كما هو شأن كل مرعوب ﴿ ثم تفرز الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتخرج العقول فيخرج كل امرئ إلى عمله حتى أن إبراهيم الخليل ﴾ عليه السلام ﴿ يقول : بخلي لا أسألك إلا نفسي ويقول موسى بمناجاتي ﴾ عليه السلام ﴿ لا أسألك إلا نفسي ﴾ حتى ﴿ أن عيسى يقول : بما أكرمتني ﴾ بأنواع الكرامة ﴿ لا أسألك إلا نفسي لا أسألك مريم التي ولدتني ﴾ .

وذكر نحوه أبو الليث قال : وروى عن عمر الخطاب رضي الله عنه : أنه دخل المسجد وكعب الأخبار يحدث الثامن فقال له عمر : خوفنا يا كعب الأخبار فقال : والله أن الله ملائكة قياما من يوم خلقهم الله ما ثنوا أصلا بهم وآخرين سجدوا ما رفعوا رؤسهم حتى يفتح في الصور فيقولون جميعا : سبحانك اللهم وبحمدك ما عبدناك حق عبادتك ونحن لا ينبغي لك أن تعبد والذي نفسي بيده أن جهنم

وقال أيضا لوقح من جهنم قدر متخرون بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها

لتعرب يوم القيامة لما زفير وشهيق حتى اذا دنت وقربت زفرت فلم يبق نبي ولا شهيد الا جثا على ركبته ساقطا يقول كل نبي وكل صديق وكل شهيد: يا رب لا أسألك الانفس وينسى ابراهيم اسماعيل واسحق فيقول: يا رب انا خليك ابراهيم فلو كان لك يا ابن الخطاب يومئذ عمل سبعين نبيا لظننت انك لا تنجو فيكي القوم حتى شجوا فلما رأى عمر رضى الله عنه ذلك قال: يا كعب بشرنا فقال: أبشروا فان الله تعالى ثلثمائة وثلاثة شريعة لا يأتى العبد يوم القيامة بواحدة منها مع كلمة الاخلاص الا أدخله الله الجنة والله لو تعلمون كنه رحمة الله تعالى لأبطلتم في العمل.

﴿وقال﴾ كعب الأخبار ﴿أيضا لوقح من جهنم قدر متخرون بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها﴾ روى الديلمي من حديث أبي سعيد: لو خرج رجل من أهل النار ثم أقيم بالمشرق وأقيم رجل بالمغرب لما مات ذلك الرجل من تن ريحه وروى عن الأعمش عن يزيد بن وهب عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من تلك النار ولولا أنها ضربت في البحر مرتين لما انتفعت منها شيء. وقال مجاهد رحمه الله: ان ناركم هذه تعود من نار جهنم.

وروى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في ساعة ما كان يأتيه فيها متغير اللون فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: مالي أراك متغيرا اللون؟ فقال: يا محمد جئت في الساعة التي أمر الله بمناقع النار أن تنفخ فيها ولا ينبغي لمن يعلم أن جهنم حق وأن عذاب القبر حق وأن عذاب الله أكبر أن يقر عينه حتى يأنفها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا جبريل صف لي جهنم قال: نعم، ان الله تعالى لما خلق جهنم أوقد عليها ألف سنة فابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة فاسودت فهي سوداء مظلمة لا ينطق لها لسان ولا حرها والذي بعثك بالحق لو أن مثل خرم ابرة فتح منها لا حترق أهل الدنيا عن آخرها والذي بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض لما ت جميع أهل الأرض من تنها وحرها عن آخرهم لما يجدون من حرها والذي بعثك بالحق نيا لو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله في كتابه وضع على جبل لذاب حتى يبلغ الأرض السابعة والذي بعثك بالحق نيا لو أن رجلا بالمغرب يغذب لا حترق الذي بالمشرق من شدة عذابها حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وشرها الحميم والصديد وثيابها مقطعات التيران لها حبة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم من الرجال والنساء فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أي أبوابها هذه؟ قال: لاولكها مقروحة بعضها أسفل من بعض من باب الى باب مسيرة سبعين سنة كل باب منها أشد حرا من الذي يليه سبعين ضعفا يساق أعداء الله اليها فاذا اتوها الى بابها استقبلتهم الزانية بالأغلال والسلاسل فتلك السلسلة في فيه وتخرج من دبره وتغل يد اليسرى الى عنقه وتد خل يد اليمنى في فؤاده وتنزع من بين كفيه وتسد بالسلاسل ويقون كل آدمى مع شيطان في سلسلة وسحب على وجهه وتضربه الملائكة بمقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرج منها من غم أعيدوا فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من كان في هذه الأبواب؟ فقال: أما الباب الأسفل ففيه المنافقون ومن كثر من أصحاب المائدة وآل فرعون واسمها الهاوية، والباب الثاني فيه المشركون واسمها الجحيم، والباب الثالث فيه الصابئون واسمها سقر، والباب الرابع فيه ابليس ومن تبعه والجوسى واسمها لظى، والباب الخامس فيه اليهود واسمها الحطمة، والباب السادس فيه النصارى واسمها السعير ثم أسسك جبريل حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام لا تخبرني من سكان الباب السابع؟ فقال فيه أهل الكيان من أمك الذين ماتوا ولم يتوبوا فخر النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فوضع رأسه على حجره حتى أفاق فلما أفاق قال: عظمت مصيبتى واشتدت حزننى أو يدخل من أمى النار قال: نعم

أعادنا الله منها

أهل الكباثر من أمك فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله واحتجب عن الناس فكان لا يخرج الا الى الصلاة يصلي ويدخل ولا يكلم أحدا وبكى وينزع الى الله تعالى ،

قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فاذا كانت الخامسة لم يكلموا بعدها أبدا يقولون : ربنا أمنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل لي خروج من سبيل ؟ ، فيقول الله تعالى مجيبا لهم : ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كثرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ، ثم يقولون : ربنا أبصرنا واسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى : أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ، فيقولون : ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ، فيجيبهم الله تعالى : أولم نعمركم ما يتذكرفيه من تذكرو جاءكم التذير فذوقوا الخ . ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ، ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ، فيجيبهم الله تعالى : اخسئوا فيها وتكلمون . فلا تكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب رواه سعيد بن منصور ابن جرير في التفسير وابن المنذر والبيهقي في الشعب .

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرسل على أهل النار البكاء فيسكون حتى تنقطع الدموع ثم يسكون الدم حتى يرى في وجوههم كمية الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والشور فلم يمتهم مستراح ولكنهم يمتعون أيضا من ذلك رواه ابن ماجه وغيره وزوي هنا وأحمد وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة : يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال : يا أهل الجنة فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه ثم يقال يا أهل النار فيطلعون مشتبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي فيه فيقال هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح على الصراط ثم يقال للفرقين كلا كما خلود فبما تجدون لاموت فيها أبدا وللبخاري من حديث ابن عمر : يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم : يا أهل النار لاموت خلود ويا أهل الجنة لاموت خلود ورواه مسلم نحوه وفيه كل خالد فيما هو فيه .

وروى الطبراني من حديث ابن مسعود لوقيل لأهل النار انكم ما تكون عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا بها ولوقيل لأهل الجنة انكم ما تكون عدد كل حصاة لحزنوا ولكن جعل لهم الأبد ﴿ أعادنا الله منها ﴾ أي من نار جهنم فمن أراد أن ينجم من عذاب الله تعالى وينالوا ثوابه فعليه أن يصبر على شدائد الدنيا في طاعة الله ويحجب المعاصي وشهوات الدنيا فان الجنة قد حفت بالمكاره وحفت النار بالشهوات كما جاء في الخبر وأنشد بعضهم :

وفي الشيب ما ينهى الحليم عن الصبا * اذا استوقدت نيرانه في عذاره
أرى امرأ يرجو من العيش غبطة * اذا صفر عود الزرع بعد أخضراره
تجنب لحذر السوء واحذر وصاله * وان لم تطلق عنه محبصا فداره
وجاور قرين الصدق واحذر مرأه * تنل منه صفو الود ما لم تماره
وجاور اذا جاورت حرا أو امرأ * كرميا كريم الجده تلو بجاره
فمن يصنع المعروف مع غير أهله * يحده وراء البحر أو في قراره
والله في أرض السموات جنة * ولكم مخوفة بالمكلمه

﴿وروى﴾ عن النبي ﷺ أنه قال يا جبريل ما أرى ميكائيل يضحك قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وما جفت لي عين منذ خلقت جهنم مخافة أن أعصى الله عز وجل فيجعلني فيها فإذا كانت هذه حالة الأنبياء والملائكة المطهرين من الأدناس فكيف حالى وحال أسألي من عصاة الناس وابن بكائي لأصراري على المعاصي اللهم إني أسألك مخافة تحجزني عن معاصيك حتى أعمل بطاعته عملاً أستحق به رضاك وحتى أناضحك في التوبة خوفاً منك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ﴿ختم الخاتمة في الرجاء﴾ قال الله تعالى قل عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله

﴿وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يا جبريل ما أرى ميكائيل يضحك قال﴾ جبريل ﴿اضحك ميكائيل منذ خلقت النار وما جفت﴾ أي يست ﴿لي عين منذ خلقت جهنم مخافة أن أعصى الله عز وجل فيجعلني فيها﴾ ورواه أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية ثابت عن أنس باسناد جيد . وورد أيضاً في حق إسرائيل رواه البيهقي في الشعب ويقال إن لله ملائكة يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله عليهم فيعذبهم رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين . وعن محمد بن المنكر رحمه الله قال : لما خلقت النار طارت أفدة الملائكة من أماكها فلما خلق بنو آدم عادت أخرجه أبو نعيم في الحلية . وقيل كان الخليل عليه الصلاة والسلام إذا ذكر خطيئته يغشى عليه فيأتيه جبريل فيقول له ربك يقرئك السلام ويقول : هل رأيت خليلاً يخاف خليله فيقول : يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي نيت خلتي .

﴿فإذا كانت هذه﴾ أي الحالة المذكورة ﴿حالة الأنبياء والملائكة المطهرين من الأدناس﴾ الحسية والمعنوية وهم أعرف خلق الله بالله وصفاته صلوات الله عليه وسلامه عليهم أجمعين وعلى كل عبد مصطفى وعلى عباد الله المقربين وحسبنا الله ونعم الوكيل ﴿فكيف حالى وحال أسألي من عصاة الناس وابن بكائي لأصراري على المعاصي اللهم إني أسألك مخافة تحجزني﴾ أي تمنعني ﴿عن معاصيك حتى أعمل بطاعته عملاً أستحق به رضاك وحتى أناضحك في التوبة خوفاً منك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك﴾ يا أرحم الراحمين وسألك أن لا تسوف إلى التوبة سرائر قلوبنا وأن لا تجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول بلسانه ولا يعجز بحواره ويسمع بأذانه ولا يقبل بقلبه اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان أعظم من هذا فنسألك أن تمن علينا بتوفيق والرشد بمنك وفضلك وكرمك وجودك آمين .

﴿ختم الخاتمة في الرجاء﴾ فما ورد فيه من الآيات والأخبار النبوية كثير خارج عن الحصر والضبط ولكن يذكر هنا من كل ذلك ما ينفع الراغبين أما الآيات فقد ﴿قال الله تعالى : قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ أي تجاوزوا الحد في كل فعل مذموم وقيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ أي لا تيأسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله من الكبائر .

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا وانتكحوا الحرمات فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ان الذي تقول وتدعوا إليه لحسن لو تخبرنا بأن لما عملنا كفارة فنزلت : والذين لا يدعون مع الله ألهاً آخراً إلى قوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات . قال يبدل شركهم إيماناً وزناً هم احصانا ونزلت : قل يا عباد الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أخرجه النسائي . وعن ابن عباس أيضاً قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وحشى يدعو إلى الاسلام فأرسل إليه كيف يدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلقى أثاماً يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله

إن الله يغفر الذنوب جميعا ، وفي قراءة رسول الله ﷺ ولا يبالي أنه هو الغفور الرحيم وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول أتم أهل العراق يقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى : قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ، ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى فلا يرضى محمد ﷺ وأحد من أمته النار

فأنزل الله تعالى : الأمن تاب وآمن وعمل عملا صالحا . فقال وحشى : هذا شرط شديد لعل أقدر عليه فهل غير ذلك ؟ ، فأنزل الله تعالى : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . فقال وحشى : أراني بعد شبهة فلا أدري أيغفر لي أم لا ؟ ، فأنزل الله تعالى : قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . فقال وحشى : نعم هذا فجاء وأسلم .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة ووليد بن الوليد وقمر بن المسلمة كانوا قد أسلموا ثم قتلوا وعذبوا فافتنوا فكما تقول : لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فأنزل الله تعالى هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيده ثم بعث بها إلى عياش بن أبي ربيعة ووليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا جميعا وهابجروا . وعن ابن عمر أيضا قال : كما معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو تقول ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة حتى نزلت : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم . فلما نزلت هذه الآية قلنا : ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقال : الكبائر والفواحش قال : فكما إذا رأينا من أصاب شيئا منها قلنا : هلك فنزلت هذه الآية فكففتنا عن القول في ذلك وكما إذا رأينا من أصحابنا من أصاب شيئا من ذلك خففتنا عليه وإن لم يصب منها شيئا رجونا له

﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ وهذه أرجى آية في القرآن ﴿و﴾ روى ﴿في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبالي أنه هو الغفور﴾ بستر عظام الذنوب ﴿الرحيم﴾ يكشف فظائع الكروب وفي المشهور المتواترة بحذفها قال العراقي : رواه الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد وقال : حسن غريب وقال تعالى : أخبرنا عن الملائكة الخافين حول العرش : يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض . وقال تعالى في عفوه عن الظالمين : وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم . ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له : أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية .

﴿وكان أبو جعفر محمد بن علي﴾ بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم ﴿يقول : أتم أهل العراق يقولون : أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى : قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ، ونحن أهل البيت﴾ أى بيت النبوة والرسالة ﴿يقول : أرجى آية في كتاب الله قوله : ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ وعده ربه تعالى أن يرفقه في أمته ﴿فلا يرضى محمد ﷺ وأحد من أمته في النار﴾ هكذا أوردته صاحب القوت . وروى ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شرح قال : قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين : أرايت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي ؟ قال : إني والله حدثني عمي محمد بن الحنفية عن علي أن رسول الله ﷺ قال : أشفع لأمتي حتى ينادي بى ربى : رضيت يا محمد فأقول : نعم يا رب رضيت ثم أقبل على فقال : انكم تقولون يا معشر أهل العراق : أن أرجى آية في كتاب الله : قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية . قلت : أنا لبقول كذلك ولكننا أهل البيت نقول : أن أرجى آية في كتاب الله : ولسوف يعطيك ربك فترضى . وهى الشفاعة .

ومن الآيات الدالة على الرجاء قوله تعالى : والله لطيف بعباده يرزق من يشاء . وقوله تعالى : وكان بالمؤمنين رحيما . وقوله تعالى : ورحمتى وسعت كل شيء . فدخلت جهنم وغيرها في توسعة الرحمة من حيث كن شيئا وقوله تعالى : فسأكتبها للذين يتقون .

وأخرج الشيخان وابن ماجه قال رسول الله ﷺ لما قضى الله الخلق كتب كتابا فيه عتده فوق عرشه إن رجمي سبقت غضبي وفي رواية غلبت غضبي * وأحمد وابن ماجه والبيهقي قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فله وإن ظن شرا فله *

معناه خصوص الرحمة إذ لا نهاية للرحمة لأنها صفة الرحم الذي لا حده ولأنه لم يخرج عن رحمته كل شيء كما لم يخرج من حكمته وقدرته شيء لأن جهنم والنار الكبرى ليس كعذابه ولا كية تعذيبه فمن ظن ذلك به فلم يعرفه ولأنه إنما أظهر ما ظهر من النعم والعذاب بل لا ينبغي لهم أن يعرفوا فوق ما أبدى لأن نهاية تعذيبه وتنعيمه من نهاية ملكه الذي قام به وملكه عن غاية قدرته وسلطانه ولا نهاية لذلك ولا يطق الخلق كلهم أظهار ذلك أيضا عن تعالى صفاته ونهاية معاني اسمائه المتناهيات ولا سبيل إلى كشف ذلك من الغيوب فسبحان من لا نهاية لقدره ولا حد لعظمته ولأنه لا يحد لسلطانه وكذلك شهدوا ما سمعوا من قوله تعالى : إنه كان حليما غفورا . وكان الله عليما حليما . فاعلموا أن المغفرة على سعة كمال الحلم لسعة العلم فلما رأوا عظيم علمه رجوا عظيم مغفرته ولما شهدوا كيف سترته أملاوا جميل عفوه كذا ذكره الزبيدي .

وأخرج الشيخان وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما قضى الله الخلق كتب كتابا أي أجرى القلم على اللوح وأثبت فيه مقاديرهم على وفق ما تعلقت به الإرادة فهو أي المكتوب عنده فوق عرشه هذا تنبيه على جلالة الأمر وتعظيم قدر ذلك الكتاب إن رجمي سبقت غضبي وفي رواية غلبت غضبي وروى أبو الشيخ في الثواب : ما خلق الله من شيء الا وقد خلق له ما يغلبه وخلق رحمته تغلب غضبه ورواه كذلك الحاكم وصححه وتعب .

هو أخرجه أحمد وابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فله وإن ظن شرا فله وفي رواية الصحيحين من حديث أبي هريرة يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي الحديث . وفي رواية لمسلم يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني الحديث . وفي رواية للطبراني في الأوسط وأبي نعيم في الحلية وابن عساکر : أن الله عز وجل يقول : أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فخير وإن ظن شرا فشر ورواه كذلك الشيرازي في الألقاب من حديث أنس .

قال الحنفى : يحتمل أن المراد بالظن حقيقة أى الطرف الراجح فإذا ترجح عنده أنى أغفر له إذا استغفر وأتوب عليه إذا تاب وأرزقه إذا طلب الرزق وأعافيه إذا طلب الصحة إلى آخر ما يطلب وإذا ترجح عنده أنى لا يغفر له وغير ذلك كان ذلك وهو معنى إن خيرا فخير وإن شرا فشر ويحتمل أن المراد بالظن العلم واليقين ويكون إشارة إلى التوحيد الخالص أى علم عبدي وتيقن أنى متصف بالفقران والاعطاء إلى آخره أعطيه ذلك بخلاف ما إذا كان عنده رية في اتصاف بذلك فلا يزال منى ما طلبه .

وفي هذا الحديث إشارة إلى طلب الرجاء ولذا قال بعض الأمراء لبعض العلماء : ما تقول في مالنا وفي اتفاقنا له في الخير فسبكت الشيخ متأملا في جواب مناسب ثم أجاب بقوله : أصبح الأمير عالما بأن من أكسب مالا من حلال وأتقى في الخير كان موافقا سعيدا ، فقال الأمير : أنا أحسن ظنا بالله منكم فأنتم تعلم أنى أكسب من الشبهة وإنما استرت العبارة عنى فقال الشيخ : أسألك بالله أن تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ظنا بالله من جميع خلقه قال نعم ، فقال : هل كان يكسب من الشبهات ؟ ، فقال : لا ، فقال : ينبغي لك أن تكون على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا من الشيخ لطف وهو شأن من احتج بالأمراء فينبغى له الملا طقة معهم .

واليهي أمر الله جل وعلا بعبد إلى النار فلما وقف على شفيرها التفت فقال أما والله يا رب إن كان ظني بك لحسنا فقال الله عز وجل ردوه أنا عند حسن ظن عبدي * والشيخان والترمذي إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والحوام فيها يعاطفون وبها يتراحمون وبها يعطف الطير والوحش على أولادها وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة *

﴿و﴾ أخرج ﴿اليهقي﴾ في الشعب وضعفه من حديث أنس ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله ﴿أمر الله جل وعلا بعبد إلى النار فلما وقف على شفيرها التفت فقال: أما والله يا رب إن كان ظني بك لحسنا﴾ فقال عز وجل ﴿لما لك﴾ ردوه أنا عند حسن ظن عبدي ﴿وروى أحمد من حديث عبادة بن الصامت وفضالة بن عبيد معا: إذا كان يوم القيامة وفرغ الله من قضاء الخلق فيبقى رجلان فيؤمرهما إلى النار فالتفت أحدهما فيقول الجبار تعالى: ردوه فيردونه فيقول له: لم التفت؟ فيقول: كنت أرجو أن تدخلني الجنة فيؤمر به إلى الجنة فيقول: لقد أعطاني الله جل وعز حتى لو أعطيت أهل الجنة ما نقص ما عندي شيئا. ولفظ حديث أنس عند اليهقي: إن عبدا في جهنم ينادي ألف سنة: يا خنان يا منان فيقول الله لجبريل: اذهب أنتي بعبدي هذا فينطلق جبريل فيجد أهل النار يكون فيرجع إلى ربه عز وجل فيخبره فيقول: أنتي به فانه في مكان كذا وكذا فيجئ به فيوقف على ربه فيقول له: كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ فيقول: يا رب شر مكان وشر مقيل فيقول: ردوا عبدي فيقول: يا رب ما كنت أرجو إذا أخرجتني منها أن تعيدني فيها فيقول: دعوا عبدي وقد رواه كذلك أحمد وابن حزيمة فدل هذا الحديث على أن رجاءه كان سبب نجاته من النار.

وقال صاحب القوت: وروينا في خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا يخرج من النار فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول له: كيف وجدت مكانك الحديث. ثم قال: فقد صار الرجل طريقه إلى الجنة كما كان الخوف طريق صاحبه في الدنيا إليها. وروينا أن الآجر سعى مبادرا إلى النار لما قال ردوه فقل له في ذلك فقال: لقد ذقت من وبال معصيتك في الدنيا ما خفت من عذابك في الآخرة وقال: خفت أن أعصيه في الآخرة كما عصيته في الدنيا فقال: اذهبوا به إلى الجنة.

﴿و﴾ أخرج ﴿الشيخان والترمذي﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه ﴿إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والحوام فيها﴾ أي بالرحمة الواحدة ﴿تعاطفون وبها يتراحمون وبها يعطف الطير والوحش على أولادها وأخر﴾ سبحانه وتعالى ﴿تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة﴾ ورواه اليهقي من حديث أبي هريرة بلفظ: إن لله تعالى مائة رحمة قسم منها رحمة في دار الدنيا فمن ثم يعطف الرجل على ولده والطير على فرخه فإذا كان يوم القيامة صيرها مائة رحمة فعاد بها على الخلق ورواه الحاكم بلفظ: إن لله مائة رحمة قسم منها رحمة بين أهل الدنيا فوسعتهم إلى آجالهم وأخر تسعا وتسعين رحمة لأوليائه وإن لله قابض تلك الرحمة التي قسمها بين أهل الدنيا إلى التسع وتسعين فيكملها مائة رحمة لأوليائه يوم قيامه. وروى مسدد في مسنده عن حديث سلمان بلفظ: إن لله مائة رحمة منها رحمة يتراحم بها الخلق وتسعة وتسعين يوم القيامة ورواه ثقات.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن داود عن عثمان عن سلمان قال: خلق الله مائة رحمة فجعل منها رحمة بين الخلق كل رحمة أعظم مما بين السماء والأرض فيها تعطف الوالدة على ولدها وبها يشرب الطير والوحش الماء فإذا كان يوم القيامة قبضها الله من الخلق فجعلها إلى التسع والتسعين للمؤمنين فذلك قوله: ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون. هكذا رواه موقوفا ورواه الحاكم بنحوه من حديث أبي هريرة.

والشيخان قدم على النبي ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسمى إذ وجدت ضيئا من السبي أخذته فأصقته بطنها وأرضعته فقال النبي ﷺ أترون هذه طارحة ولدها في النار قلنا لا وهي تقدر على أن لا تطرحه قال الله أرحم عباده من هذه بولدها *
والنسائي عن عامر الرام قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل عليه كساء وفي يده شيء قد التفت عليه فقال يا رسول الله

وقال ابن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والبهايم بعضها على بعض وأخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة رحمة ومن هذا الوجه رواه أحمد وابن ماجه والضياء .

وروى الشيخان من حديث أبي هريرة: أن الله عز وجل خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة أرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب لم يأس من النار . وروى الطبراني من حديث ابن عباس: أن الله تعالى خلق مائة رحمة منها قسمها بين الخلق وأخر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة وروى تمام في فوائده وابن عساكر عن بهزم بن حكيم عن أبيه عن جده رفعه: أن الله خلق مائة رحمة فبث بين خلقه رحمة واحدة فهم يتراحمون بها وأخر عنده لأوليائه تسعة وتسعين . وروى الطبراني بنحوه .

* تنبيه * قال عز الدين بن عبد العزيز شارح المشارق: رحمة الله غير متناهية فلا يحورها تعديد وتجربة والمراد من هذا الحديث تمثيل مضروب للأمة لينفهموا التفاوت بين القسطين من الرحمة لأهل الدارين لكن الرحمة في حق الله غير مفسرة بالركة التي تكون بين العباد لاستحالتها فيه فالعلماء اختلفوا في تفسيرها فمنهم من جعلها من صفات الفعل فرحمة الله هي انعامه فمنهم من جعل من صفات الذات وهي ارادة ايصال الخير ففي هذا إشارة للمؤمنين لأنه اذا حصل من رحمة واحدة ما حصل من هذه الدار فما ظنك بناقيها في دار القرار .

﴿و﴾ أخرج ﴿الشيخان﴾ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ﴿قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بسبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسمى إذ وجدت ضيئا من السبي أخذته فأصقته بطنها وأرضعته فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أترون هذه طارحة ولدها في النار؟﴾ قلنا: لا﴾ والله ﴿وهي تقدر على أن لا تطرحه قال﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿الله أرحم عباده من هذه بولدها﴾ ورواه عبد بن حميد من حديث عبد الله بن أبي أوفى بلفظ: أترون هذه رحمة بولدها والذي نفسى يده الله أرحم المؤمنين من هذه بولدها . وفي هذا الحديث العظيم الوقع في القلوب أمران أحدهما أنه أعظم دليل على سعة رحمة الله تعالى والله دار القائل:

لم لا نرجو العفو من ربنا ﷻ أم كيف لانطمع في حلمه

وفي الصحيحين أتى أنه ﷻ بعبد أراف من أمه

وثانيهما حصول ذلك لعامة المؤمنين كما دلت بذلك رواية عبد بن حميد أولعامة الخلق وقد روى الطبراني والبيهقي في البعث من حديث حذيفة رضي الله عنه: والذي نفسى يده ليدخلن الجنة الفاجر في دينه الأحق في معيشته والذي نفسى يده ليدخلن الجنة الفاجر بذنبه والذي نفسى يده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب بشر والذي نفسى يده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتناول لها ابليس رجاء أن تصيبه .

﴿و﴾ أخرج ﴿النسائي﴾ عن عامر الرام قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل رجل عليه كساء وفي يده

شيء قد التفت عليه فقال: يا رسول الله

مررت بغيضة شجرة فيها أصوات فراخ طائر فأخذت فوضعتهم في كسائي فجاءت أمهم فاستدارت على رأسي فكشفت لها عنهم فوقعت عليهن فلففتهم بكسائي فمن أولاء معي قال ضعهم فوضعهم وأبت أمهم إلا لزومهم فقال رسول الله ﷺ أتعجبون لرحم أم الفراخ فراخها فوالذي بعثني بالحق الله أرحم بعباده من أم الفراخ بفراخها ارجع بهن حتى تضعهم من حيث أخذت أمهم وأمن معهن فرجع بهن * والترمذي وحسنه عن أنس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني

مررت بغيضة شجرة فسمعت فيها أصوات فراخ طائر فأخذت فوضعتهم في كسائي فجاءت أمهم فاستدارت على رأسي فكشفت لها عنهم فوقعت عليهن فلففت بكسائي فمن أولاء معي قال : ضعهم فوضعهم وأبت أمهم إلا لزومهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون لرحم أم الفراخ فراخها فوالذي بعثني بالحق الله أرحم بعباده من أم الفراخ بفراخها ارجع ﴿ يا أيها الرجل ﴾ بهن حتى تضعهم من حيث أخذت أمهم وأمن معهن فرجع ﴿ الرجل ﴾ أمثالاً لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وأخرج ﴾ الترمذي وحسنه ﴿ أي وقال حسن مرة أخرى غريب وعلى كل فسنده لا بأس به وقد أخرجه أحمد وأبو عوانة أيضاً في مسنده الصحيح من حديث أبي ذر والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ووفقه في بعض الطرق لا يؤثر لأن مع الرفع زيادة علم ﴿ عن أنس ﴾ رضي الله عنه ﴿ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : يا ابن آدم ﴾ نداء لم يرد به واحد بعينه ليعلم كل من يثأر نداءه والاضافة فيه للشرف والتكريم على حد قوله تعالى : يا عبادي ووجه عمومته أنه مفرد مضاف كما في قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أي عن كل أمر له صلى الله عليه وسلم فالنداء هنا لا يختص به منادى دون آخر وآدم هو أبو البشر عليه الصلاة والسلام وهو غير منصرف للعلمية ووزن الفعل اذ وزنه آدأ فعل أبدلت فاؤه ألفاً مشققة من أديم الأرض أو من الأدمة حمرة تميل إلى السواد وليس بأعجمي وقيل عجمي لا اشتقاق له وفي الحديث خلق آدم من أديم الأرض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك فيهم الأبيض والأسود والأحمر والشبل والحزن والطيب والخبيث وقال بعضهم : خلق آدم من ستين نوعاً من أنواع الأرض وطبائعها فجاءت أولاده تختلف اللون والطباع قيل ولهذا المعنى أوجب الله في الكفارة إطعام ستين مسكيناً بعدد أنواع بني آدم ليعلمهم الجميع بالصدقة وكان طوله ستين ذراعاً والذراع ثمانية أشبار فهو أربع مائة وثمانون شبراً وعاش ألف سنة وما أحسن ما قيل :

الناس كالأرض ومنها هم * من خشن اللبس ومن لين

فجلد تدمى به أرجل * وأمد يجعل في الأعين

﴿ إنك ما دعوتني ﴾ بمغفرة ذنوبك كما يدل عليه السياق الآتي أي مدة دوام دعائك إياي فما مصدريه ظرفية ﴿ والحال أنك

﴿ رجوتني ﴾ بأن ظننت تفضلني عليك بأجابة دعائك وقبوله اذ الرجاء تأميل الخير وقرب وقوعه .

* تنبيه * هل الأفضل للشخص تغليب الرجاء لا يغلب عليه داء اليأس من رحمة الله عز وجل أو الخوف لا يغلب عليه الأمن

من شكر الله تعالى فإن كان عاصياً فالرجاء أفضل وإن كان قبل الذنب فالخوف أفضل أو إن كان صحيحاً فالخوف وإن كان مريضاً

فالرجاء وهو المختار عندنا لقوله صلى الله عليه وسلم : لا يموت أحدكم إلا وهو بحسن الظن بالله ولكن الراجح عند الشافعية أن يكون

رجاؤه وخوفه مستويين ومن قطعات شعر عبد القاهر بن طاهر :

يا فاحتمالي كل باب مزيجي * اني لعفونك ربي مزيجي

فامنن علي بما يفيد سعادتي * فسعادتي طوعاً مني تأمير مجي

الإغفرت لك ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك

قال الدميري : وفي مروج الذهب عن ابن مسكين قال : دخلت على الشافعي أعوده في مرض موته فقلت له : كيف أصبحت من الدنيا راحلا واخواني مفارقا لكأس المنية شاربا ولا أدري إلى الجنة تصبر وروحي فأهنيها أم إلى النار فأعزها ثم قال :

ولما قسا قلبي وضافت مذاهبي ✽ جعلت رجائي نحو عفوك سالما

تعاطمني ذنبي فلما قرته ✽ بعفوك ربي كلن جفوك أعظما

ذكره حسن بن علي المدائني ✽ (الإغفرت لك) ✽ ذنوبك أي سترتها عليك بعدم العقاب عليها في الآخرة لأن الدعاء مخ العبادة كما ورد . وروى أصحاب السنن الأربعة أن الدعاء هو العبادة . وروى الطبراني : من أعطى الدعاء أعطى الإجابة لأن الله تعالى يقول : أدعوني استجب لكم . والرجاء يتضمن حسن الظن بالله تعالى وهو يقول : أنا عند ظن عبدي بي وعند ذلك توجه رحمة الله العبد وإذا توجهت لا يتعاطمها شيء لأنها وسعت كل شيء ✽ على ما كان منك ✽ أي من المعاصي وإن تكررت والذي يظهر أن على بمعنى مع كما في قوله عز وجل : وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم . أي مع شيء ظلمهم ✽ (ولا أبالي) ✽ أي لا أكثرت بذنوبك ولا استكثرها وإن كثرت إذ لا يتعاطمها شيء كما في الحديث الصحيح : إذا دعا أحدكم ربه فليعظم الرغبة فإن الله تعالى لا يتعاطم شيء . ولأنه لا يجز عليه تعالى فيما يفعله ولا يعقب حكمه ولا مانع لتفضله وعطائه ومعنى قوله لا أبالي بكذا أي لا يشتغل بآلي به أي لا يتعلق قلبي به وهو مستحيل في حق الله تعالى فيكون مثلك حاله تعالى في عدم استكثاره الذنوب وعدم استعظامها وإن كثرت وتلاشيها عند حلمه وعفوه بحال من لا يتعلق قلبه بأمر ولا يهتم به ثم استعبر اللفظ المستعمل في المشبه به للمشبّه فهو استعارة تمثيلية والقرينة الاستحالة وتسمى مجازا بليغا أيضا وأنه يلزم من عدم تعلق القلب بأمر عدم استعظامه واستكثاره فأطلق المألوم وأريد اللازم فهو من باب الكناية قوله ابن القيم ونقله ابن المدائني وجزم به ولا ينافي ما مر تخلف الإجابة عن الدعاء كثيرا لأن ذلك غالبا لا يتقاء بعض شروط الدعاء التي من جملتها تناول الحلال الخض وحفظ اللسان والفرج أولوحد بعض موانعه وقد استوفى العلامة ابن حجر الهيتمي بيانها مع ما يتعلق بها بما لا مزيد على بسطه واستيعابه في شرح العباب ومن أعظم شرائطه حضور القلب ورجاء الإجابة من الله خبر الترمذي : ادعوا الله وأتمموا مقتون بالإجابة فإن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل . وخبر أحمد : أن هذه القلوب أوعية في بعضها أوعى من بعض فإذا سألت الله فاسأله وأتمم مقتون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاء من ظهر قلب غافل . ولأجل ما ذكرنا من شروط رجاء الإجابة نهى العبد أن يقول في داعائه : اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليغرم المسئلة فإن الله تعالى لا مكروه له ، ونهى أن يستعجل ويترك الدعاء استبطاء الإجابة وإن ما جعل ذلك من موانع الإجابة حتى يقطع العبد دعاءه وإن أبطأت عليه الإجابة لأنه تعالى لا يحب الملحين على الدعاء . وأخرج الحاكم في صحيحه : لا تعجزوا عن الدعاء فإنه يفتق مع الدعاء أحد ومن أهم ما يسئل مغفرة الذنوب أو ما يستلزمها كالتجاة من النار أو سؤال دخول الجنة ، ومن رحمة الله بعبده أنه يدعو الحاجة دينية فلا يستجيبها له بل يعوضه خيرا منها كصرف سوء عنه أو إداره له في الآخرة أو مغفرة ذنب فقد أخرج أحمد والترمذي ما من أحد يدعو بدعاء إلا أنه الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله ما لم يدع باثم أو قطعة رحم . وأخرج أحمد والحاكم في صحيحه : ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها آثم أو قطعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن يجعل له دعوته وإما أن يدخرها في الآخرة وإما أن يكشف عنه من السوء مثلها قالوا : إذا أنكر قال الله أكبر ورواه الطبراني وأبدل الآخرة بقوله أو يغفر لك بها ذنبا قد سلف ✽ (يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك) ✽ أي وصلت ✽ عند فرضها اجراما

عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة *

﴿عنان﴾ يفتح العين المهملة مع تخفيف النون أي سحاب ﴿السماء﴾ بأن ملأت ما بينها وبين الأرض كما في رواية الأخرى لو أخطأتم تبقى بلغت خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتكم الله تعالى يغفر لكم وقيل عناها ما عن لك منها أي ظهر إذا رفعت رأسك إليها ﴿ثم استغفرتني﴾ أي ثبت توبة صحيحة بأن أقبلت عن المعصية لله وتذمت عليه من حيث كونها معصية وعزمت أن لا تعود إليها ورددتها مع الامكان إن كانت ظلمة إلى أهلها أو تحللت منهم ﴿غفرت لك﴾ وإن تكرّر الذنب والتوبة مرارا في اليوم الواحد ومن ثم ورد عنه صلى الله عليه وسلم: ما أصر من استغفر: أي تاب وإن عاد في اليوم سبعين مرة ونبه بقوله: لو بلغت ذنوبك عنان السماء وبلغها ذلك هو النهاية في الكثرة على أن كرمه وفضله وعفوه ومغفرته لا نهاية لها ولا غاية فذنوب العالم كلها مثلاشية ومعدومة عند حلمه وعفوه وما ذكر من أن المراد بالاستغفار التوبة لاجرة لفظه هو ما ذكره بعضهم الموافق للقواعد بالنسبة لكبارنا ولا يكفرها إلا التوبة بخلاف الصغار فإن لها مكفرات آخر كجنتاب الكبار والوضوء والصلاة وغيرها فلا يبعد أن يكون الاستغفار مكفرا لها أيضا وينبغي أن يحمل على التوبة أيضا تقييد بعضهم جميع ما جاء في نصوص الاستغفار المطلقة بما في آية آل عمران من عدم الإصرار فإنه تعالى وعد فيها بالمغفرة لمن استغفره من ذنوبه ولم يصر على ما فعل قال فتحمل نصوص الاستغفار المطلقة كلها على هذا المقيد انتهى . نعم نحو استغفر الله العظيم واللهم اغفر لي من غير توبة دعاء فله حكمته من أنه قد يجاب تارة وقد لا يجاب أخرى لأن الإصرار قد يمنع الإجابة كما أفاده مفهوم آية آل عمران السابقة .

وأخرج ابن أبي الدنيا: المستغفر من ذنب وهو مقيم عليه كالسهزي بربه . وأخرج أيضا مرفوعا: بينما رجل مستلق اذ نظر إلى السماء والى النجوم فقال: انى لا أعلم أن لك رباً خالقاً اللهم اغفر لي فغفر له . وفي الصحيحين: أن عبداً اذا أذنب ذنباً فقال: رب أذنبت ذنباً فاغفر لي فقال الله عز وجل: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً أخرى فذكروا مثل الأول مرتين آخرين . وفي رواية لمسلم أنه قال في الثالثة: قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء . أي مادام على هذا الحال كلما أذنب استغفروا بصر . وأخرج أبو داود والترمذي: ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة . فالاستغفار التام المسبب عنه المغفرة هو ما قرن عدم الإصرار لأنه حينئذ توبة نصوح وأما الإصرار فهو مجرد دعاء كما مروى من قال: أنه توبة الكذابين مراد أنه ليس بتوبة حقيقة قاله ابن حجر

﴿قالب آدم لو أتيتني بقراب الأرض﴾ يضم القاف وهو الأشهر ويكسرهما أي بقراب ملئها أو ملئها وهذا اللفظ مما قبله ﴿خطايا﴾ جمع خطيئة وأصله خطائي باء مكسورة وهى باء خطيئة وهمة بعدها هى لامها ثم أبدلت الياء همزة على حد الإبدال في صحائف فصار خطائى همزتين ثم أبدلت الثانية ياء لأن الهمزة المتطرفة بعد همزة تبدل ياء وإن لم تكن بعد مكسورة فبما ظنك بها بعد المكسورة ثم فتحت الأولى تخفيفاً ثم قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار خطاياً بالفتحة بينهما همزة فالهمزة تشبه الألف فاجتمع شبه ثلاث ألفات فأبدلت الهمزة فصار خطايا بعد خمسة أفعال هكذا نقله بعضهم عن الأشموني ﴿ثم لقيتني﴾ أي مت حال كونك ﴿لا تشرك بي شيئا﴾ أي بذاتى وصفاتى وأفعالى لاعتقادك توحيدى والتصديق برسلى وما جاء به ﴿لأتيتك بقرابها﴾ عبر به للمشاكلة والا فمغفرة الله تعالى أوسع وأعظم من ذلك ﴿مغفرة﴾ تميز كذاها من قوله ملء الأرض ذهباً فعلم من هذا أن الإيمان شرط من مغفرة ما عدا الشرك لأنه أصل الذي بنى عليه قبول الطاعة وغفران المعصية وأما مع الشرك فلا أصل يبنى عليه ذلك قال الله تعالى: وقد منا ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً . فالسبب الأعظم للمغفرة هو التوحيد فمن فقدّه فقد هبها ومن أتى به ولو وحده بأن لم يكن له عمل خير غيره فقد أتى بأعظم أسبابها لكنه تحت المشيئة وعلى كل حال فماله الجنة وأما من كمل توحيداً وإخلاصاً وقام بشرائطه وأحكامه فإنه ينظر له

وأحمد والطبراني عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ إن شتم أنبا تكم ما أول ما يقول الله تعالى للمؤمنين يوم القيامة وما أول ما يقولون له فإن الله تعالى يقول للمؤمنين هل أحببتم لقائي فيقولون نعم يا ربنا فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم عفوي ومغفرتي اللهم إنا نرجو عفوك ومغفرتك ولقاءك ونعوذ برضاك من سخطك ومعافاتك من عقوبتك اللهم إنا نسألك الراحة في الدارين وأن لا تنزع منا ما وهبت لنا من الإيمان أو العلم وأن لا تنزع قلوبنا بعد إذ هديتنا

ما سلف من ذنوبه ولا يدخل النار لا لتحلة القسم فقد أخرج أحمد : لا إله إلا الله لا نترك ديناً ولا يستحبها عمل : قاله ابن حجر وقوله : لا لتحلة القسم مصدر رحلت العين تحليلاً وتحلة أى أبرتها يريد ألا قد ما يبر الله وهو قوله عز وجل : وإن منكم إلا واردها . فإذا سبها وجاوزها فقد أبر قسمه وقيل ليس في قوله تعالى : وإن منكم إلا وادها قسماً فكون له تحلة ولكن معناه ألا التعزيز الذي يصيبه من قول العرب ضربه تحليلاً وضربه تعزيراً إذا لم يبلغ في ضربه والأول أصح وموضع القسم مردود إلى قوله فوزيك لنخسرنهم . وقيل القسم فيه مضمرة معناه وإن منكم والله إلا واردها والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿١٠﴾ أخرجه أحمد والطبراني عن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن ساردة بن يزيد بن جسيم بن الخزرج الأنصاري قال ابن عبد البر وهو أحد السبعين الذين شهدوا والعقبه من الأنصار وهو أعلم هذه الأمة بالحلال والحرام مات في طاعون عمواس وهو ابن ثلاث وثلاثين رضى الله عنه أفاده الزبيدي ﴿١١﴾ قال : قال رسول الله عليه وسلم : إن شتم أنبا تكم أى أخبر تكم ﴿١٢﴾ أى بالذي هو ﴿١٣﴾ أول ما يقول الله تعالى للمؤمنين يوم القيامة وما أول ما يقولون له ﴿١٤﴾ قالوا : أخبرنا يا رسول الله قال ﴿١٥﴾ فإن الله تعالى يقول للمؤمنين هل أحببتم لقائي ؟ فيقولون : نعم يا ربنا ، فيقول ﴿١٦﴾ عز وجل ﴿١٧﴾ أحببتموه ﴿١٨﴾ فيقولون : رجونا عفوك ومغفرتك فيقول : قد أوجبت لكم عفوي ومغفرتي ﴿١٩﴾ لأن الله تعالى عند ظن عبده به قال الحنفى في هذا الحديث الظن به تعالى أى مع الكف عن الرعونات لأن الشخص يرتكب كل معصية ويرجو العفو هو كالأستغناء اذ العفو لمن رجع إلى ربه وتاب وقوله أحببتم لقائي لا ينافيه كراهة الشخص الموت لأن هذا طائفة مخصوصين لا يكرهون الموت أو المراد بصورة من يحب اللقاء لأن المؤمن وإن كره الموت لكن إيمانه يقتضى محبته لو كشف له ما أعده الله تعالى له بعد الموت .

ثم ختم المصنف رحمه الله تعالى كتابه بهذا الدعاء فقال ﴿٢٠﴾ اللهم إنا نرجو عفوك ومغفرتك ﴿٢١﴾ هذا مرادف لما قبله كما قاله ابن حجر في شرح الأربعين لكن مقتضى كلام ابن عطية أن بينهما فرقا وهو أن الغفران لما لم يطلع عليه أحد والعفو لما اطلع عليه فانه قال في تفسير قوله تعالى : واعف عني أى فيما واقعه وانكشف واغفر لنا أى استر علينا ما علمت منا قال بعضهم : وهو بالتحكم أشبه ، وقال بعضهم : أن بين مفهومهما فرقا بحسب الوضع عموماً وخصوصاً من وجه فإن المغفرة من الغفر وهو السر والعفو بمعنى الخو ولا يلزم من السر الخو ولا عكسه بأن يحاسبه الله بذنبه على رؤس الأشهاد ثم يعفو عنه أو يستره ويجازيه عليه ﴿٢٢﴾ نرجو ﴿٢٣﴾ لقاءك ونعوذ برضاك من سخطك ومعافاتك من عقوبتك اللهم إنا نسألك الراحة في الدارين ﴿٢٤﴾ أى في الدنيا والآخرة ﴿٢٥﴾ نسألك ﴿٢٦﴾ أن لا تنزع منا ما وهبت لنا من الإيمان أو العلم ﴿٢٧﴾ نسألك ﴿٢٨﴾ أن لا تنزع أى لا تمل ﴿٢٩﴾ قلوبنا ﴿٣٠﴾ عن الحق والهدى ﴿٣١﴾ بعد إذ هديتنا ﴿٣٢﴾ أى وفقنا لدينك قال عليه الصلاة والسلام : قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه على الحق وإن شاء أزاغه عنه ذكره اليبضاوى في تفسيره .

وهذا من أحاديث الصفات وللعلماء فيه قولان أحدهما الإيمان به وإمراره كما جاء من غير تعرض لتأويل ولا تكشيف ولا معرفة معناه بل يؤمن به كما جاء وأنه حق ونكل علمه إلى مراد الله ورسول الله عليه وسلم هذا القول هو مذهب أهل السنة من سلف الأمة

وأن توفقنا للعمل بما تحبه وترضاه علمنا حجة علينا وأن تجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وأن تؤمننا من فزع الأكبر وأن تظلنا في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك وأن ترزقنا الجنة بغير حساب والنظر إلى وجهك بكرة وعشيا

وخلفها من أهل الحديث وغيرهم والقول الثاني أنه يتأول بحسب ما يليق به وإن ظاهره غير مراد قال تعالى: ليس كمثله شيء . فعلى هذا المراد هو المحاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفى يريد أنه تحت قد رته وفي تصرفه لأنه حال في كفه فمعنى الحديث أنه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما أراد منها كما لا يمتنع على الإنسان ما بين أصبعه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بما يفهمونه ويعلمونه من أنفسهم وإنما ثنى لفظ الأصبعين والقدرة واحدة لأنه جرى على المهود من التمثيل بحسب ما اعتادوه وإن كان غير معهود به التثنية والجفع وهذا مذهب الجمهور المتكلمين وغيرهم من المتأخرين وإنما خص القلوب لفائدة وهي أن الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر والارادات والنيات وهي مقدمات الأفعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة للقلوب في الحركات والسكنات

﴿و﴾ نسألك ﴿أن توفقنا للعمل بما تحبه وترضاه وأن لا تجعل علمنا حجة علينا وأن تجعلنا مع الذين أنعمت عليهم﴾ بالهداية والبر في الدنيا وبدخول الجنة في الآخرة ﴿من النبيين والصديقين﴾ الصديق الكثير الصدق والصديقون هم أتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعد هم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذي صدق بكل الذين حتى لا يخاطبه فيه شك ﴿والشهداء﴾ هم الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا جهدهم في اعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ﴿والصالحين﴾ جمع صالح وهو الذي استوت سريره وعلايته في الخير، وقيل الصالح اعتقاده صواب وعمله في سعة وطاعة.

وهذا اقتباس من قوله تعالى : ومن يطع الله والرسول فأولئك الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . وهذه الآية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ويعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما غير لونك ؟ فقال : يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أنني إذا لم أراك استوحشت وحشة شديدة حتى أفاك ثم أنى إذا ذكرت الآخرة أخاف أن لأراك لأنك ترفع إلى عليين مع النبيين وإنى أخاف أن دخلت الجنة كتبت في منزلة هي أدنى من منزلتك وإن لم أدخل الجنة لأأراك أبدا فنزلت هذه الآية وقيل أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : كيف يكون الحال وأنت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن أسفل منك وكيف نراك فانزل الله تعالى هذه الآية.

﴿و﴾ نسألك ﴿أن تؤمننا من الفزع الأكبر﴾ يوم القيامة ﴿وأن تظلنا في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك﴾ أى ظل عرشك ﴿و﴾ نسألك ﴿أن ترزقنا الجنة بغير حساب﴾ أن ترزقنا ﴿النظر إلى وجهك﴾ الكريم ﴿بكرة وعشيا﴾ ظرفان متعلقان بالنظر وهذه الرؤية هي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة .

قال علماء أهل السنة : رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا وأجمعوا على وقوعها في الآخرة وأن المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرون بدليل قوله تعالى : كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . وزعمت طوائف من أهل البدع كالمعتزلة والخوارج بعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين

صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المسلمين من أهل السنة وكذلك باقى شبههم وأجوبتها مشهورة مستقاضة في كتب الكلام ليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك ، وأما الأحاديث الواردة في إثبات الرؤية فمنها ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانته وأزواجه ونعمه وخدومه وسريته مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله عليه وسلم : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة . أخرجه الترمذى قال هذا حديث غريب . وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنه ولم يرفعه . وروى الشيخان عن جرير بن عبد الله قال : كما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال : انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتصامون في رؤيته فان استطعتم أن لاتقلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ : وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها . قوله لاتصامون روى بفتح التاء وتشديد الميم أيضا ومعناه لا ينضم بعضهم إلى بعض ولا تزدحمون وقت النظر إليه وروى بتخفيف الميم ومعناه لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعضهم دون بعض ، وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشييه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة لابتشيه المرئي بالمرئي . روى عن أبي هريرة رضى الله عنه : ان أناسا قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله قال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فانكم سترون كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذى وليس عنده في أوله : ان أناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها سحاب قال الترمذى : وقد روى مثل هذا الحديث عن أبي سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد أخرجه البخارى ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد وعن أبي زين العقيلي قال : قلت يا رسول الله كلنا يرى ربه محليا به يوم القيامة قال : نعم قلت : وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : يا أبا زين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر محليا به ؟ قلت : بلى ، قال : فالله أعظم انما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فالله أجل وأعظم أخرجه أبو داود . وروى مسلم عن صهيب رضى الله عنه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى والأحاديث في الباب كثيرة في هذا القدر كاف ثم انهم بعد الجواز اختلفوا هل وقوع الرؤية مخصوص بالآخرة وهو قول جماعة واحد قول الأشعرى وظاهر قول مالك ومنهم من قال : وقوع الرؤية غير مخصوص بالآخرة بل تقع في الدنيا وهو قول الكثير من السلف والخلف من أهل الحديث والتصوف والنظر واذا قلنا : بأنه غير مخصوص بالآخرة فهل هو مخصوص بالأنبياء أو غير مخصوص بل يجوز للولى قولان للأشعرى وعلى أنه مخصوص بالأنبياء فهل هو خاص نبينا صلى الله عليه وسلم أو غير مخصوص وبالجمله فقد اتفق الكل على وقوعها في الآخرة لجميع المؤمنين وأما في الدنيا فاختلف فيه صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقوال . الأول أنه رأى ربه وهو قول أكثر السلف وجماعة الصوفية ، قال النووي : وهو الصحيح . الثانى : أنه لم ير وهو قول أكثر الأشاعرة وبعض السلف . الثالث : الوقف وهو اختيار القاضي عياض وبالجمله فاختلاف الصحابة في هذه المسئلة دليل على اعتقادهم جوازها ثم هل جوز ذلك لأولياء أمه على سبيل الكرامة وطريق التبعية في ذلك قولان للأشعرى وأكثر أهل التصوف

خصوصا المتأخرين على أن ذلك يجوز كرامة وكرامة أولياء الله معجزة له صلى الله عليه وسلم وهذا حال اليقظة وأما في النوم فاتفق الأكثر على جوازها ووقوعها أما جوازها فيصح التمسك فيه بالسمع والعقل وأما الوقوع فليس إلا بالسمع إذا العقل لا يهتدى .

* نعمة * قال الامام أبو حامد الغزالي وغيره : الرؤية حق بشرط أن لا ينهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى منه رب الأرباب جل جلاله علوا كبيرا لتزهره عن المكان وعن طرق الخيال والتصوير اليه وتقد يرشكل بصورة فتراه في الآخرة كذلك بل الأقوال الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الوصف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الا من حيث زيادة الكشف والوضوح فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات صورة وجهه وتقد يرشكل فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح في غاية الكشف أيضا بجهة وصورة لأنها بعينها لا تفرق منها الا في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله تعالى : يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا . اذا اتمم النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف كما يرشد اليه لفظ الاتمام الذي هو معنى التوفية ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا بالعارفون في الدنيا لأن المعرفة هي النور الذي يتقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحب زرع ومن لا نواة في أرضه فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف بالله في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضا على درجات متفاوتة فاختلف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات الى اختلاف البذر اذ تختلف الاحالة بكثرة ثمراتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلي للناس عامة ولأبى بكر خاصة فلا ينبغي أن ينظر غير أبى بكر ممن هو دونه في المعرفة بمجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجد أبو بكر رضى الله عنه بل لا يجد الا عشر عشرة ولما فضل أبو بكر الناس بسروقه في صدره فضل للاحالة بتجل افرد به وكما أنك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرئاسة على المطعوم والمنكوح وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والأرض وسائر الأمور الآلية على الرئاسة وعلى المنكوح والمطعوم والمشروب جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجهه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا وصفنا من اثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لارابعة بنت اسمعيل العدوية قدس الله سرها ما تقولين في الجنة ؟ فقالت : مشاهدة بالحديث المشهور الجار ثم فبينت أنه ليس في قلبها التقات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة اذ لا يحصد أحد الا ما زرع ولا يحشر المرء الا على ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط الا أنه يتقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتضاعف اللذة به كما تضاعف لذة العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك منتهى لذته وانما طيبة الجنة ان لكل أحد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي الا لقاء الله فلا لذة له في غيره بل ربما يأتى به فحينئذ نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى ويقدر معرفته فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايان فقد روى من حديث على رضى الله عنه : الايمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان رواه ابن ماجه والطبراني والشيخرازي في الالقاء .

﴿فان قلت﴾ فلذة الرؤية ان كانت لها نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة وان كانت أضعافها لأن لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى أن يستحق سائر لذات الجنة فيها ، فاعلم أن هذا الاستحقاق للذة المعرفة صدر من الخلو عن

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة ثم هذه اللذة مع كما لها لانسبة لها أصلا إلى لذة اللقاء والمشاهدة كما لانسبة للذة خيال المعشوق إلى رؤيته ولا للذة استنشاق روائح الأطعمة الشبيهة اللذيذة إلى ذوقها ولا للذة اللمس باليد إلى لذة الوقاع .

﴿وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي﴾ أي الذي لا يكتب ولا يقرأ قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان صلى الله لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب . قال الزجاج في معنى الأمي : هو الذي على صفة الأمة العرب لأن العرب أكثرهم لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب فالنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك فهذا وصفه الله تعالى بقوله : الذين يتبعون الرسول النبي الأمي . وصح الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : نحن أمة أمية لانكتب ولا نحسب . قال أهل التحقيق : وكونه صلى الله عليه وسلم كان أميا من أكبر معجزاته وأعظمها وبيانه أنه صلى الله عليه وسلم أتى بالقرآن العظيم الذي أعجزت الحلائق فصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزاته وهو قوله تعالى : سنقرئك فلا تنسى . وقيل أنه لو كان يحسن الكتاب ثم أنه أتى بالقرآن العظيم لكان منهما فيه لاحتمال انه كبه ونقله عن غيره فلما كان أميا وأتى بالقرآن العظيم الذي فيه علم الأولين والآخرين والمغيبات دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وأيضا فإن الكتاب تعين الانسان على الاستغلال بالعلوم وتحصيلها ثم انه أتى بهذه الشريعة الشريفة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب والاستغلال على أحد فدل ذلك كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم ، وقيل معنى الأمي الذي هو منسوب إلى أمه كانه لم يخرج بعد عما ولدته عليه ، وقيل سمي أميا لأنه منسوب إلى أم القرى وهي مكة زادها الله شرفا ﴿وعلى آله﴾ أي اتباعه ولو عصاة لأن المقام مقام دعاء والعاصي أخوج إلى الدعاء من غيره ﴿وأصحابه﴾ جمع صاحب والمراد صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم تعريفه في خطبة هذا الكتاب .

﴿قلت﴾ لم قدم آل على الأصحاب مع أن فيهم من هو أشرف الأنام بعد النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبو بكر رضي الله عنه ؟ . فالجواب : أن الصلاة على آل شئت بالنص في قوله صلى الله عليه وسلم : قولوا اللهم صل على محمد وآله الحديث وعلى الأصحاب بالقياس على آل فاقضى ذلك التقدم ﴿وسلم﴾ عليه وعليهم تسليما كثيرا وبه انتهى الكتاب .

قال جامعهم ومهذبهم غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه بمنه وكرمه آمين هذا آخر ما جرت به قلم المدد في تهذيب شرح إرشاد العباد ولم آل جهدا في توضيح مرامه في عباراته وتبين رموزه وإشارته : ولا أدعى فيه البراءة من الغلط والنسيان والمقرب ذنبه يسأل الصفح والغفران فإن أصبت فتوفيق الله عز وجل وإن أخطأت فمن عوائد البشر الخطأ والخلل سائل آمن وقف عليه من الأفاضل ومن كل كامل أثار الله بصيرته وجبل على الانصاف سريره وأن يصفح مجله عن عثاري وزللي ويسد بسداد فضله خطي وخللي :

فالكرم يقبل العثار : ويقبل الاعتذار خصوصا قد رمثلى مع قصر باعه في الصناعة وكساد سوقه بما لديه من مزجاة البضاعة لكن أخذت غفلات الظلام الفاسق : والليل الواسق فسرقته من أيدي العوائد : والليل كما قيل عين السارق واستفتحت مغالقة المعاني بمفاتيح الفتوحات الالهية واستخرجت من كوز الفيوضات نقائس الفوائد البهية حامدا لله على ما أنعم والهم : وعلم ما لم أكن أعلم : مصليا مسلما على رسوله : محمدا شرف أنبيائه : وأفضل مبلغ لأنبيائه : وعلى آله وأصحابه وأحبابه وخلفائه : صلاة لا ينقطع عددها :

والله أسأل أن يعم به النفع : وينصبه للجزم بالرفع : ويجعله كأصله : ويصله بوصله : وأن ينفع به جيلاً بعد جيل : ونحسبنا الله ونعم الوكيل :
 وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم : مخلصاً من شوائب الرياء ودواعي التعظيم : وأن يرزقنا الانابة والتوفيق لما يحبه ويرضاه : ويبلغني مع
 سائر أحابي غاية ما أتمناه وأن يطيل عمري في طاعته ولبسني أثواب عافيه ويجمع لي والمسلمين بين خيرى الدنيا والآخرة ويصرف عنا
 سوءهما ويمتحننا بما يمنح به عباده الصالحين ورضوانه ويمتحننا بلذة النظر إلى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق وأستودع الله تعالى نفسى
 ودينى وخواتم عملى وما أنعم به على ربه وهذا الكتاب فانه سبحانه اذا استودع شيئاً حفظه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا
 محمد وآله وصحبه وجزبه وسلم تسليماً كثيراً ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . وقد وافق الفراغ من جمعة عصر يوم الخميس
 آخر شهر جمادى الثانية من شهر رستين بعد ثلاثمائة وألف من هجرة من له العز وتام الشرف وذلك بمنزلى في جمفس بمدينة كديرى خرسها
 الله تعالى وسائر بلاد الاسلام والحمد لله في البدء والخاتم ما دارت الأفلاك في طى الدهور والاعوام وصلى الله على نبيه وآله وأصحابه
 البررة الكرام وسلم .

الكاتب : وقد انتهى ما من الله به علينا في ٢٣ ذوالقعدة ليلة الخميس

سنة ١٣٩٥ مطابق ٢٧ نوفمبر ١٩٧٥ مناهيح الإمداد

في شرح إرشاد العباد تأليف العلامة الشيخ

محمد احسان بن محمد دخلان الجمفسى

الكديرى المتوفى في يوم الاثنين

٢٥ ذوالحجة سنة ١٣٧١

نفعنا الله ويعلموه

آمين

فهرست كتاب مهاج الإمداد على إرشاد العباد الجزء الثاني

- ٢ باب الحج ١١٤ فضيلة الاستغفار
- ١٤ فصل في أحكام الحج ١٢٣ باب فضل الصلاة على النبي ﷺ
- ١٩ تمة استحباب دخول البيت بعد فراغ من طواف الوداع ١٤٣ خاتمة في ذكر منامات
- ٢٣ محرمات الاحرام وطء الح ١٤٦ باب ذم الشرك الأصغر وهو الربا
- ٢٩ تمة نقل تراب الحرام وحجاره الى حل حرام ١٥٩ «مسئلان» أن يترك الطاعات خوف من الربا ليس بمحمود
- ٣٠ فصل في فضل مكة ١٦١ خاتمة في فضيلة الاخلاص والنية وما يتعلق بهما
- ٣٢ تنبيه أن مكة والمدينة أفضل بقاع الارض ١٦٢ بيان أقاويل الشيوخ في الاخلاص
- ٤١ فصل في حدود الحرمين الشريفين ١٦٧ باب الكبر والعجب
- ٤٨ واعلم أن السيآت تضاعف في مكة كما تضاعف الحسنات فيها ١٧٥ خاتمة في ذم الخيلاء وفضل التواضع
- ٥٠ فصل في مشروعية زيارة قبر نبينا ﷺ وفضل المدينة النبوية ١٨١ باب ذم الحقد والحسد
- ٥٤ خاتمة في فضيلة مسجد المدينة والصلاة فيه ١٩٣ باب ذم الغضب
- ٥٤ باب فضل القرآن على غيره وتلاوته وتعليمه ١٩٩ فصل ظن قوم أن الرضاة تنزل الغضب بالكلية
- ٥٩ تنبيه واختلف هل تجوز الرؤية له تعالى في الدنيا ٢٠٠ خاتمة في ذكر فضل كظم الغيظ والعفو
- ٦١ فرع يس ترتيب تلاوة القرآن حتى للأعجمي الذي لا يفهمه ٢٠٤ باب الغيبة
- ٦٦ فائدة الاشتغال بحفظ ما زاد على الفاتحة أفضل من صلاة تطوع ٢١٤ (مهمة) بيان معرفة علاج الغيبة
- ٦٨ فصل في فضائل بعض السور والآيات التي ورد فضلها ٢١٨ باب التهمة
- ٧١ فصل في ذكر أحاديث تتعلق بالآية ٢٢١ تنبيه اجتماع الأئمة على تحريم التهمة
- ٨٤ باب أذكار يقال عند الصبح والمساء ٢٢٥ باب الكذب
- ٩١ باب ما يقال من السور والأذكار والدعوات عند ارادة النوم ٢٣٣ باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٩٨ باب ما يقال من الأذكار والدعوات في بعض الأحوال ٢٣٦ تنبيه الأمر بواجبات الشرع والنهي عن محرماته واجب
- ١٠٦ باب في بيان فضيلة أذكار غير مقيدة بوقت من الأوقات ٢٤٠ باب المكسب
- ٢٤٤ تنبيه أفضل المكاسب التجارة ٢٤٥ فصل في البيع المكسب على كل حال وأركانها
- ٢٥٥ فصل في الربا ٢٦٦ (تنبيه) أن الربا حرام اجماعاً

- ٢٧٠ فصل في تحريم الاحتكار والتفريق بين الوالدة وولدها
- ٢٧٤ فصل في تحريم الغش في البيع وغيره
- ٢٧٧ فصل في اتفاق السلعة بالخلف الكاذب
- ٢٧٩ فصل في بحس نحو الكيل والوزن والذرع
- ٢٨٣ فصل في السباحة، المعاملة وإقالة النادم
- ٢٨٧ فصل في ذم أخذ الدين ومطل الغنى
- ٢٩٤ خاتمة في فضيلة انظار المعسر
- ٢٩٧ باب في ذم المكس
- ٣٠٢ باب الظلم
- ٣١٩ ﴿تنبيه﴾ إن الظلم لغة هو وضع الشيء في غير موضعه
- ٣٢٤ فصل في أكل مال اليتيم
- ٣٢٧ خاتمة في كفاية اليتيم والشفقة والسعي على الأرملة
- ٣٣١ فصل في ذم الخيانة
- ٣٣٦ باب ذم الاضرار في الوصية باب النكاح
- ٣٣٨ باب الترغيب في النكاح وبيان أركانه وغير ذلك
- ٣٤٤ فصل في أركان النكاح أربعة
- ٣٥١ فصل في ذكر ما يجزى بين الزوجين
- ٣٥٢ فصل في منع أحد الزوجين حق الآخر
- ٣٥٩ فصل في النشوز
- ٣٧٠ فصل في بيان حكم القسم وما يترتب عليه
- ٣٧٢ باب في التهاجر
- ٣٧٦ ﴿تنبيه﴾ هجر المسلم فوق ثلاثة أيام حرام
- ٣٧٧ باب عقوق الوالدين
- ٣٨٧ خاتمة في بر الوالدين
- ٣٩٢ فصل في حكم هذه المسئلة في شريعة الاسلام اذا وقعت
- ٣٩٤ باب قطع الرحم
- ٤٠٣ خاتمة في صلة الرحم
- ٤١٧ فصل في حقوق الجيران
- ٤٢٢ باب اثم القتل
- ٤٢٩ باب فضل الغزو والجهاد
- ٤٤٣ فصل في فضيلة الإتفاق في سبيل الله
- ٤٤٦ فصل في ذم الفرار من الزحف
- ٤٤٧ فصل في ذم الفرار من الطاعون
- ٤٥٠ فصل في ذم الغلول من الغنيمة والستر عليه
- ٤٥٤ باب ذم الكهانة والعرافة والطيرة والتنجيم والسحر
- واتيان أصحابها
- ٤٦٣ باب ذم الزنا أعادنا الله منه ومن غيره بمنه وكرمه
- ٤٧٨ خاتمة في زنا العينين واليد وفي الخلوة بالأجنبية
- ٤٨٧ فصل في ذم اللواط واتيان البهيمة والمرأة في دبرها
- ٤٩٠ فائدة يحرم مصافحة الأمرد بشرطه، خاتمة في السحاق
- ٤٩١ فصل في قذف المحصن أو المحصنة بزنا أو لواط
- ٤٩٤ باب بتحريم شرب الخمر
- ٥٠٦ خاتمة في أكل الحشيشة والبنج وحرامه كالخمر
- ٥٠٨ باب في اليمين الفاجرة
- ٥١٠ باب ذم شهادة الزور وقبولها
- ٥١٢ باب التوبة
- ٥١٩ تمة اختلاف قبول التوبة الكافر قطعى أو ظنى
- ٥١٩ فصل شروط التوبة المستطة للآثم
- ٥٢٧ خاتمة في الخوف
- ٥٣٤ تنبيه: حقيقة الشكر عند أهل التحقيق
- ٥٤٦ ختام الخاتمة في الرجاء